٤٧٣٦

٢١٨

ق . ط — قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد الى مقام التوحيد ، تأليف أبى طالب المكى ، محمد بن على – ٣٨٦ هـ .
بخط محمد بن على منصور فارس ١٢٦٤ هـ .

٤٧٣٦ — ج ١ (٢٢٠ق) ٣١ س ٣١×٥ر٢٠ سم
نسخة جيدة ، خطها مغربى ، طبع
تاريخ بغداد ٣:٨٩ الازهرية ٣:٦١٦
١ – الشعائر والتقاليد والاخلاق الاسلاميه
أ – المؤلف ب – الناسخ ج – تاريخ النسخ

مكتبة جامعة الملك سعود "قسم المخطوطات"
الرقم: ٤٧٣٦ ف ١٩٤٣/١
العنوان: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد
المؤلف: محمد بن علي بن عطية أبو طالب المكي - ٣٨٦هـ
تاريخ النسخ: ١٢٦٤هـ
اسم الناسخ: محمد بن علي منصور عباس
عدد الأوراق: ج ١ (٢٢٠ ق) ٢٢×٣٠ سم
ملاحظات:
٢١٨
م.ط

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الأول الأزلي قبل الكون والمكان، الأول بلا ابتداء الآخر الأبدي بعد فناء المكونات
والأزمان، بغير انتهاء، الظاهر في علوه بقهره عن غيره بعزه والباطن في دنوه بقربه ممن
يشاء بسر الذي أحسن الصنعة كل شيء بدأه وأتقن صنعه كل شيء إذ شاءه، ودبر الأحكام
بحكمته ومن ثبت المحكومات بمشيئته والحكم في الغيب والشهادة للطيف قدرته وعمه في العاجل
والآجل خلقه بنعمته وتمم على من أحب منهم بفضله وسبق بحسبهم عدله وأنعم عليهم بتعريفهم
إياه به وأحسن إليهم بأن جعلهم بعد أن أبلاهم الفتنة وأفاض عليهم تحبيبه كما مده لهم ومن
عليهم ببعثه رسولًا من أنفسهم إليهم فنسأله الصلاة على النبي محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين وأن يوزعنا بفضله شكر نعمه ويعيننا بخير قدره وصلى الله على
سيدنا ونبينا الأولين والآخرين ورسوله المفضل بالشفاعة والحوض المورود المحمود
المخصوص بالوسيلة والمقام المحمود وعلى إخوانه الأنبياء في الأزمان وأنصارهم
والتابعين لهم بإحسان

هذا كتاب قوت القلوب

في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد تصنيف الشيخ الشهير
أبي طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي رضي الله عنهم يشتمل على ثمانية وأربعين فصلا

الفصل الأول

في أماني النبي صلى الله عليه وسلم وذكر المعاملة

الفصل الثاني

في ذكر أماني النبي صلى الله عليه وسلم وأوراد الليل والنهار

الفصل الثالث

في ذكر عمل المريد في اليوم والليلة

الفصل الرابع

الفصل الرابع

في ذكر ما يستحب من الذكر وقراءة الآي في
المندوب إليه بعد التسليم من صلاة الصبح

الفصل الخامس

في ذكر الأدعية المختارة المتممة بعد صلاة الصبح

الفصل السادس

في ذكر عمل المريد بعد صلاة الصبح

الفصل السابع

في ذكر أوراد النهار وهي سبعة أوراد

الفصل الثامن

في ذكر الليل أوراده وهي خمسة أوراد

الفصل التاسع في ذكر وقت الفجر

الفصل العاشر في كتاب معرفة الزوال

وزيادة الفضل ونقصانه بالأفلام

الفصل الحادي عشر فيه كتاب فضل في الأيام والليالي

الفصل الثاني عشر في ذكر الوتر وفضل الصلاة في الليل

الفصل الثالث عشر فيه كتاب

جامع ما يستحب أن يقول العبد إذا استيقظ من نومه للتهجد وفي يقظته عند الصباح

الفصل الرابع عشر في ذكر
تقسيم قيام الليل ووصف القائمين

الفصل الخامس عشر في ذكر
ورد العبد من التسبيح والذكر والصلوات في اليوم والليلة وفضل الجماعة وذكر افضل
الاوقات المرغوب فيها للاجابة وذكر صلاة التسبيح

الفصل السادس عشر
في ذكر معاملة العبد في التلاوة ووصف التالين حق تلاوته بقيام الشهادة

الفصل السابع عشر فيه كتاب
ذكر نوع من المفصل والموصل من الكلام ومدح العاملين بعد ذم الغافلين وحروف تعشير غرائب القران

الفصل الثامن عشر فيه كتاب ذكر الوصف
المكروه من نعت الغافلين

الفصل التاسع عشر فيه
كتاب الحكم بالقران وما جاء فيه من البيانات وفضل حكم الجهر والاخفاء ان

الفصل العشرون في ذكر الليالي
المرغوب فيها الفضل المستحب احياؤها وذكر مواصلة الاوراد في الايام الفاضلة

الفصل الحادي والعشرون فيه كتاب
الجمعة وهيئاتها وآدابها وذكر المزيد في يوم الجمعة وليلتها

الفصل الثاني والعشرون
فيه كتاب الصوم وترتيبه ووصف الصائمين

الفصل الثالث والعشرون

فيه ذكر محاسبة النفس ومراعاة الوقت بالمزيد

الفصل الرابع والعشرون
فيه ذكر مراقبة الورد للمريد ووصف احوال العارفين بالمزيد

الفصل الخامس والعشرون
فيه كتاب تعريف النفس وتعريف مواجيد العارفين

الفصل السادس والعشرون
فيه ذكر مشاهدة اهل المراقبة

الفصل السابع والعشرون
فيه كتاب اساس المريدين

الفصل الثامن والعشرون
فيه كتاب مراقبة المقربين ومقامات المؤمنين

الفصل التاسع والعشرون
فيه ذكر فضائل اهل المقامات واليقين من المقربين وتمييزهم ونعت احوال المتعبدين
وتمييز اهل الغفلة المتعبدين والمتحيرين

الفصل الثلاثون فيه كتاب
ذكر تفصيل خواطر القلب ... معاملات القلوب

الفصل الحادي والثلاثون
فيه كتاب العلم وتفضيله واوصاف العلماء وذكر فضل المعرفة على سائر العلوم وكشف طريق
العلماء من السلف الصالح وذكر بيان فضل علم الباطن على علم الظاهر والفرق بين علماء الدنيا
وعلماء الآخرة وذكر علماء السوء الآكلين بعلومهم الدنيا وذكر وصف العلم وطريق السلف
وما احدث المتأخرون من القصص والكلام وباب في تفضيل علم الايمان
واليقين على سائر العلوم والتحذير من الشبهة وبيان ما هو كذلك وباب
تفضيل الاخبار وبيان طرائق الآثار

الفصل الثاني والثلاثون

فيه شرح مقامات اليقين واحوال الموقنين واول مقامات اليقين الذي تترتب عليها فروع احوال المتقين وهي تسعة اولها التوبة ثم الصبر ثم الشكر ثم الرجاء ثم الخوف ثم الزهد ثم التوكل ثم الرضا ثم المحبة

الفصل الثالث والثلاثون

فيه كتاب مباني الاسلام وهي خمسة فالاول منها شهادة التوحيد للمؤمنين ووصف فضائلها وهي شهادة المعرفة وذكر شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم وفضلها للموقنين والثاني شرح الصلوات واول ما فرض الاستقبال وسننه ومن ابتدا الوضوء وسننه وفضائله ومن ابتدا الصلوة وسننها واحكام المصلي في وقت الصلوة وذكر كيفيتها وما يتعلق بها ومبطلات الصلوة والمبادئ للمصلي فيها والثالث شرح الزكوة ووقت الاداء وذكر فضائل الصدقة والاداب الفضل ووصف احوال الفقر والفقراء والرابع شرح صوم شهر رمضان والخامس شرح كتاب الحج وكمال الشرح فيه ونظام المملكة

الفصل الرابع والثلاثون

فيه كتاب تفضيل الاسلام والايمان وعقود السنة واعتقاد القلوب وشرح معاملة القلب في العلم الظاهر وذكر علم الاسلام واركان الايمان وانفصال الاسلام من الايمان واختلاف القلوب في العمل وذكر بيان الذي فيه يكون الايمان والاسلام والاستثناء في الايمان والاشفاق من النفاق ولم يتخذ الشك فيه ذلك والله التوفيق

الفصل الخامس والثلاثون

في كتاب السنة وشرح فضائلها وجمل اداب الشرع فيه وذكر عقود القلوب في علم الظاهر وهي ستة عشر خصلة اولها ان تعتقد الايمان قولا وعملا وان القرءان كلام الله تعالى غير مخلوق وان يسلم اخبار الصفات وان يعتقد تفضيل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يعتقد ان الامامة في قريش عامة الى ان تقوم الساعة وان لا يكفر احدا من اهل القبلة وان يصدق بجميع اقدار الله عز وجل خيرها وشرها وان يسا يلة منكر ونكير حق وان عذاب القبر حق وان يؤمن بالميزان وان يعتقد ان الصراط حق وان يؤمن بالحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه وسلم وان يؤمن بالنظر الى الله عز وجل وان يعتقد اخراج الموحدين من النار وان يؤمن بوقوع الحساب وفيه فصل مستنبط من معنى الاجماع بذكر اهل البدع واحتراسهم من الجماعة وذكر فضائل السنة ووصف طرق السلف الصالح التابعين باحسان

الفصل السادس والثلاثون

الفصل السادس والثلاثون

فيه كتاب جمل الشرع فيه وعرى الايمان وذكر شرط المسلم الذي يكون به مسلما وذكر حسن اسلام المرء وعلامة محبة الله عز وجل له وذكر حق المسلم وهو وجوب حرمة الاسلام على المسلمين وذكر ستر الجسد وذكر ما في الحبة من المعاصي والبدع وذكر ما جاء في فضل بعض ذلك واستقصاء ذكر كتاب ما جاء من نوافل الركوع وما في من الفضل فيه

الفصل السابع والثلاثون

فيه كتاب شرح الكبائر ومسائل في محاسبة الكبائر

الفصل الثامن والثلاثون

فيه كتاب الاخلاص وشرح النيات والاعمال بتفسيرها في نفوس الاحوال والتفرقة من دخول الافات عليها والاعمال

الفصل التاسع والثلاثون

فيه كتاب في ترتيب الاقوات والنقصان منها او زيادة فيها

الفصل الاربعون فيه كتاب

الاطعمة وما يجمع الاكل من السنن والاداب وما يشتمل على الطعام والاكل والاستقبال

الفصل الحادي والاربعون

فيه كتاب ورايت الفقر وفضائله ونعت عموم الفقر له وخصوصهم وتفضيل قبول العطاء ورده ولم يفته السلف الصالح فيه

الفصل الثاني والاربعون

في كتاب المساجد والمقاصد في الاستعمال

الفصل الثالث والاربعون

فيه كتاب حكم الامامة ووصف الامام والمأموم

الفصل الرابع والاربعون

فيه كتاب الاخوة في الله عز وجل والصحبة والمحبة والاخوان فيه تبارك وتعالى واحكام
المودات واوصاف المحبين

الفصل الخامس والاربعون

فيه كتاب ذكر التزويج وفعله وتركه ايهما افضل وتحقيق احكام النساء في ذلك

الفصل السادس والاربعون

فيه كتاب ذكر دخول الحمام

الفصل السابع والاربعون

فيه كتاب الصنائع والمعايش والبيع والشراء وما يجب على التاجر والصانع من
شروط العلم في احكام التصرف

الفصل الثامن والاربعون

فيه كتاب تفصيل الحلال من الحرام وما بينهما من الشبهات وفضل الحلال وذم الشبهة
وتمثيل ذلك بصور الاموال تمت الفصول التي يشتمل عليها هذا الكتاب
وهي ثمانية واربعون فصلا

الفصل الاول في ذكر الاية التي فيها المعاملة

قال تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مومن فاولئك كان سعيهم مشكورا
وقال عز وجل من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها
وما له في الاخرة من نصيب وقال سبحانه وتعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وان
سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وقال [illegible] كلوا واشربوا هنيئا بما
اسلفتم في الايام الخالية وقال عز من قائل ولكل درجات مما عملوا وقال تعالى وما اموالكم
ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من امن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما
عملوا وقال تعالى ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون وقال عز وجل فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وقال تعالى نعم اجر العاملين الذين
صبروا وعلى ربهم يتوكلون وقال سبحانه وتعالى لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما
كانوا يعملون

الفصل الثاني في ذكر الاية التي فيها ذكر الاوراد بالليل والنهار

قال تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وقال سبحانه
وتعالى ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال تعالى وجل

واذكر اسم

واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال عز وجل وسبح
بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وقال
تعالى فسبح بحمد ربك وقال جل ذكره ان ناشئة الليل هي اشد وطئا واقوم قيلا
وقال تبارك وتعالى ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقال عز وجل
امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم
خوفا وطمعا وقال عز من قائل والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقال تعالى ذكره كانوا
قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال سبحانه وتعالى اقم الصلاة
لدلوك الشمس الى غسق الليل وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد
به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقال عز وجل اقم الصلاة طرفي النهار
وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات وقال جل جلاله فسبحان الله حين
تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون

الفصل الثالث في ذكر عمل المريد في اليوم والليلة من فضائل الاوراد وفضائل الثواب

فمن ذلك يستحب عند طلوع الفجر وطلوع الفجر هو البياض المستطيل من سواد الليل المعترض
في افق السماء الشرقي عند ادبار النجوم وادبارها اذا بدا ضوؤها وافترقها ايذانا باقبال غلبة
ضوء الفجر عليها وهو الوقت الذي اراد الله تعالى فيه بذكره اذ يقول تعالى ذكره ومن الليل
فسبحه وادبار النجوم وليصل العبد ركعتي الفجر يقرا فيهما قل يا ايها الكافرون وقل هو
الله احد وهذا اكثر ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا فيهما وقد روي عنه صلى
الله عليه وسلم انه قرا في الركعة الاولى الاية التي في سورة البقرة قوله عز وجل قولوا امنا
بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم الاية الى اخرها وفي الركعة الثانية قوله ربنا
امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين فليقرا بذلك احيانا ثم يستغفر
الله تعالى سبعين مرة يقول في كل مرة استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم واساله
التوبة ثم يسبح الله تعالى ويحمده مائة مرة بالكلمات الجامعات المختومات التي
هي في القران سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر استغفر الله وتبارك
الله ومن ثم ومسي مرة واحدة وليدع بهذا الدعاء فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يدعو به بعد ركعتي الفجر رواه ابن ابي ليلى عن داود بن علي عن ابيه عن ابن عباس
قال بعثني العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته ممسيا وهو في بيت
خالتي ميمونة فقام صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل فلما صلى ركعتين قبل صلاة الفجر
قال اللهم اني اسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد
بها الفتي وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي

وتذيقني بها رشده وتعصمني بها من كل سوء اللهم اعطني ايمانا صادقا ويقينا
ليس بعده كفر ورحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم اني اسألك الفوز
عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء ومرافقة الانبياء والنصر على الاعداء
اللهم اني انزل بك حاجتي وان قصر رايي وضعف عملي وافتقرت الى رحمتك فاسالك يا قاضي
الامور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور ان تجيرني من عذاب السعير ومن
دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رايي وضعف عنه عملي
ولم تبلغه نيتي وامنيتي من خير وعدته احدا من عبادك او خير انت معطيه
احدا من خلقك فاني ارغب اليك فيه واسالكه يا رب العالمين اللهم اجعلنا
هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك وسلما لاوليائك نحب بحبك
الناس ونعادي بعداوتك من خالفك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا
الجهد وعليك التكلان وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم
ذا الحبل الشديد والامر الرشيد اسالك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين
الشهود الركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد سبحان
من تعطف بالعز وقال به سبحان الذي لبس المجد وتكرم به سبحان من لا ينبغي التسبيح
الا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي القدرة والكرم سبحان الذي احصى
كل شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في بصري ونورا في
سمعي ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي
ونورا بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي
ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا واجعل لي نورا اي ليدع العبد بهذا
الدعاء بعد ركعتي الفجر لكي يقدم على دعائه المسالة لله تبارك وتعالى في
الصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله ليستجاب دعاؤه ولا يرد
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سالتم الله حاجة فابدؤوا بالصلاة علي
فان الله تبارك وتعالى اكرم من ان يسال حاجتين فيقضي احداهما ويرد الاخرى ثم
يصلي صلاة الفجر في جماعة ليكون في ذمة الله سبحانه وتعالى وفي جواره وفي
الخبر ان صلاة الفجر في جماعة افضل من قيام ليلة وان صلاة العشاء الآخرة في جماعة
افضل من قيام نصف الليل ولكن فائدة في صلاة بالغلس بجمع وشهود قلب وحضور
عقل وجمع همة ونية تبتغي وحسن اقبال وتدبر في ترتيل فاذا اسلم من صلاته قال ما
يستحب من الذكر

الفصل الرابع في ذكر ما يستحب من الذكر

وقراءة

وقراءة آية الكرسي المندوب اليها بعد التسليم من صلاة الصبح اخرجناها من ثم قال اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد انت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام فحينا ربنا منك
بالسلام وادخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام ثم ليقل سبحان الله ال
العظيم وبحمده ثلاثا ثم يستغفر الله عز وجل ثم يقول اللهم لا مانع لما اعطيت ولا
معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ثم ليقل وهو ثان رجليه عشر مرات قبل
ان يتكلم لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت
بيده الخير وهو على كل شيء قدير ثم ليقرا قل هو الله احد عشرا او ليقل
اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك
رب ان يحضرون عشر مرات ثم ليقل سبحان ربك رب العزة عما يصفون الى آخر السورة
ثلاث مرات وليقرا فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى آخر الثلاث الآيات ثم
يسبح ثلاثا وثلاثين ويحمد ثلاثا وثلاثين ويكبر اربعا وثلاثين فتلك مائة مرة وان جعلها
خمسا وعشرين وزاد فيها التهليل وان قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر خمسا وعشرين مرة استوعب ذلك مائة تسبيحة وكان ايسر عليه لاجل المداومة
ثم يقرا سورة الحمد وآية الكرسي وخاتمة البقرة من قوله آمن الرسول وشهد الله انه
لا اله الا هو الآية وقل اللهم مالك الملك الآيتين ثم ليقرا لقد جاءكم رسول من انفسكم
ليقرا
الى آخرها ثم ليقرا لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الى آخرها ثم ليقرا الحمد لله الذي لم
يتخذ ولدا الآية ثم يقرا خمسا من اول سورة الحديد وثلاثا من آخر سورة الحشر ثم ليقل
اللهم اني اسالك بك وبحمدك الصلاة على محمد وعلى آله واسالك الجنة واعوذ بك من النار
سبع مرات وقال قبيصة بن مخارق للنبي صلى الله عليه وسلم علمني كلمات
ينفعني الله بهن وجعل فيها واوجز فقد كبر سني وعجزت عن اشياء كنت اعملها فقال
صلى الله عليه وسلم اما لدنياك فاذا صليت الغداة فقل ثلاث مرات سبحان الله
وبحمده سبحان الله العظيم ولا حول ولا قوة الا بالله عز وجل فانك اذا قلتهن امنت
من غم وجذام وبرص وفالج واما لآخرتك فقل اللهم صل على محمد وعلى آله واهدني من عندك
وافض علي من فضلك وانشر علي من رحمتك وانزل علي من بركاتك ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اما انه اذا وافى بهن يوم القيامة لم يدعهن فتح الله له اربعة ابواب من الجنة
يدخل من ايها شاء وان قال المسبعات العشر التي اهداها الخضر عليه السلام الى ابراهيم
التيمي ووصاه ان يقرأهما غدوة وعشية وقال الخضر اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم
وذكر من فضلها وعظم شانها ما يجل عن الوصف وانه لا يداوم عليها الا عبد سبقت
له من الله عز وجل الحسنى وهي فيما ذكر ابو طالب اختصرناها قال فذلك فقد استكمل الفضل
والمداومة عليها تجمع له جميع ما وصفنا من الائمة روينا عن سعيد بن سعيد عن ابي
طيبة عن كرز بن وبرة قال وكان من الابدال وقال اتاني اخ لي من الشام فاهدى لي هدية

وقال لي يا كرز اقبل مني هذه الهدية فإنها نعم الهدية فقلت يا أخي من أهدى لك هذه الهدية
فقال أعطانيها إبراهيم التيمي قلت أفلم تسأل إبراهيم من أعطاه، قال بلى قال كنت
جالسا في فناء الكعبة وأنا في التهليل والتسبيح والتمجيد فجاءني رجل فسلم علي وجلس
عن يميني فلم أر في زماني أحسن منه وجها ولا أحسن منه ثيابا ولا أشد بياضا ولا أطيب
ريحا فقلت يا عبد الله من أنت ومن أين جئت فقال أنا الخضر فقلت في أي شيء
جئتني قال جئتك للسلام عليك وحبا لك في الله عز وجل وعندي هدية أريد أن أهديها
إليك فقلت ما هي فقال هي أن تقرأ قبل طلوع الشمس وتنبسط على الأرض وقبل أن تغرب
سورة الحمد سبع مرات وقل أعوذ برب الناس سبع مرات وقل أعوذ برب الفلق سبع
مرات وقل هو الله أحد سبع مرات وقل يا أيها الكافرون سبع مرات وآية الكرسي سبع
مرات وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم سبع مرات وتستغفر لذنبك ولوالديك و
وما تناسلا وللمومنين والمومنات الأحياء منهم والأموات مرات وتقول اللهم يا رب
افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يا مولانا
ما نحن له أهل إنك غفور رحيم جواد كريم رءوف رحيم سبع مرات فقلت أحب أن تخبرني
من أعطاك هذه العطية فقال أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم فقلت أخبرني بثواب
ذلك فقال إذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فاسأله عن ثوابه فإنه سيخبرك فذكر
إبراهيم التيمي رحمة الله عليه أنه رأى ذات يوم في منامه كأن الملائكة جاءته
فاحتملته حتى أدخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف أمورا عظيمة مما رآه في الجنة قال
فسألت الملائكة لمن هذا فقالوا للذي يعمل مثل عملك وذكر أنه أكل من ثمرها وسقوه
من شرابها وأتاني النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون
صفا من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب فسلم علي وأخذ بيدي فقلت يا
رسول الله الخضر أخبرني أنه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر صدق الخضر وكلما
حكاه فهو حق وهو عالم أهل الأرض وهو رئيس الأبدال وهو من جنود الله عز وجل في الأرض
فقلت يا رسول الله من فعل هذا وعمله ولم ير مثل الذي رأيت في منامي هل يعطى مما
أعطيته قال والذي بعثني بالحق إنه ليعطى العامل بهذا وإن لم يرني ولم ير الجنة إنه ليغفر
له جميع الكبائر التي عملها ويرفع الله عز وجل عنه غضبه ومقته ويأمر صاحب
الشمال أن لا يكتب عليه شيئا من السيئات إلى سنة والذي بعثني بالحق
نبيا ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله عز وجل سعيدا ولا يتركه إلا من خلقه شقيا وقد
كان إبراهيم التيمي رحمه الله مكث أربعة أشهر لم يطعم طعاما ولم يشرب شرابا
فلعله بعد الرؤيا والله تعالى أعلم ذكره، ولم أستغن عنه فهذا من جملة ما يستحب أن يقرأ
ويقال بعد صلاة الغداة ولذلك فضائل جمة وردت بها الأخبار حذفناها للاختصار

المسبعات

الفصل الخامس في ذكر الأدعية المختارة

بعد صلاة الصبح الجامعة المختومة التي تذكر في الأخبار المتفرقة روي أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان إذا انفتل من صلاته افتتحه بقوله سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب
وأنه كان يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي
لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن
لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون وروينا
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها عليك بالجوامع الكوامل
قولي اللهم إني أسألك الصلاة على محمد وعلى آله وأسألك من الخير كله عاجله وآجله
ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم
وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل وأسألك
من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأستعيذك مما استعاذك منه
عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشدا
برحمتك يا أرحم الراحمين وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لفاطمة ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث
لا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
أبا بكر الصديق رضي الله عنه هذا الدعاء فقال قل اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك
وموسى نجيك وعيسى روحك وكلمتك وبكلام موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وفرقان
محمد صلى الله عليه وسلم وكل وحي أوحيته أو قضاء قضيته أو سائل أعطيته أو غني
أفقرته أو فقير أغنيته أو ضال هديته وأسألك باسمك الذي أنزلته على موسى وأسألك
باسمك الذي تثبت به أرزاق العباد وأسألك باسمك الذي وضعته على السموات فاستقلت
وأسألك باسمك الذي وضعته على الأرض فاستقرت وأسألك باسمك الذي وضعته على الجبال
فأرسيت وأسألك باسمك الذي استقل به عرشك وأسألك باسمك المطهر الطاهر الأحد الصمد
الوتر المنزل في كتابك من لدنك من النور المبين وأسألك باسمك الذي وضعته على النهار
فاستنار وعلى الليل فأظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك أن تصلي على محمد نبيك وعلى آله
وأن ترزقني القرآن والعلم وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري وتستعمل به جسدي
بحولك وقوتك فإنه لا حول ولا قوة إلا بك يا أرحم الراحمين وروينا عن ابن عمر أن جبريل
صلى الله عليه وسلم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فعلمه هذا الدعاء يا نور السموات
والأرض يا جمال السموات والأرض يا عماد السموات والأرض يا بديع السموات والأرض
يا ذا الجلال والإكرام يا صريخ المستصرخين يا غوث المستغيثين يا منتهى رغبة
الراغبين والمفرج عن المكروبين والمروح عن المغمومين ومجيب دعوة المضطرين وكاشف
السوء أرحم الراحمين وإله العالمين منزول بك كل حاجة يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسي اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة وأسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وفي أهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي واقلني عثراتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن اغتال من تحتي وقال بريدة الأسلمي قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله عز وجل به خيرا علمهن إياه ثم لم ينسهن إياه أبدا قال قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليه قال قل اللهم إني ضعيف فقو في رضاك ضعفي وخذ إلى الخير بناصيتي واجعل الإسلام منتهى رضاي اللهم إني ضعيف فقوني وإني ذليل فأعزني وإني فقير فأغنني يا أرحم الراحمين وروينا عن أبي مالك الأشجعي قال حدثني أبي قال كنا نغدو إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيجيء الرجل أو المرأة فيقول كيف أقول يا رسول الله إذا أصبحت قال تقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واغفر لي وارحمني واهدني وارزقني واجمع لي فقد جمعن لك جوامع دنياك وآخرتك وروينا عن أبي زرعة قال كتب إلي أبو هريرة بهما الكاتبة وشافهني به فيما أعلم إن الشيطان لا يطيق يا إنسان يقول حين يصبح وحين يمسي اللهم إني أعوذ بأسمائك وكلمتك التامة من شر السامة والهامة وأعوذ بك بأسمائك وكلمتك التامة من شر عذابك ومن شر عبادك وأعوذ بأسمائك وكلمتك التامة من شر الشيطان الرجيم اللهم إني أسألك بأسمائك وكلمتك التامة أن تصلي على نبيك محمد وعلى آله وأسألك من خير ما تعطي وما تسأل ومن خير ما تخفي وخير ما تبدي اللهم إني أعوذ بأسمائك وكلمتك التامة من شر ما يجيء به النهار إن ربي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وإن كان مساء قال ومن شر ما يجيء به الليل يقول ذلك ثلاثا وروى عن عمر بن عبد العزيز عن محمد بن عبد الله قال أتى أبا الدرداء رجل فقيل احترقت دارك فقال ما كان الله عز وجل ليفعل ثم أتاه آت فقال يا أبا الدرداء إن النار حين دنت من دارك طفئت فقال قد علمت ذلك فقيل له أي قوليك أعجب قال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال هؤلاء الكلمات في ليل أو نهار لم يضره شيء وقد قلتهن وهي اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما شاء الله عز وجل ربي كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم وقد روينا عن أبي الدرداء أنه قال من قال في كل يوم سبع مرات فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم كفاه الله عز وجل ما أهمه من أمر آخرته صادقا كان بها أو كاذبا وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال

ما أصاب

ما أصاب أحدكم هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تصلي على نبيك وحبيبك محمد وآله وأن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي إلا أذهب الله عز وجل همه وحزنه وأبدله مكانه فرحا قال فقيل يا رسول الله ألا نتعلمها فقال صلى الله عليه وسلم ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها وروينا عن الأحبار أن إبراهيم الخليل كان يقول إذا أصبح اللهم هذا خلق جديد فافتحه علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي إنك غفور رحيم ودود قال ومن دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدى شكر يومه وكذلك إذا أمسى وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال إذا أصبح وإذا أمسى ثلاثا رضيت بالله عز وجل ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا كان حقا على الله أن يرضيه يوم القيامة وروينا عن معمر عن جعفر بن برقان أن عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر بيد غيري وأصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير أفقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسوء بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا مبلغ علمي ولا غاية أملي ولا تسلط علي من لا يرحمني وروينا عن عطاء عن ابن عباس قال يلتقي الخضر وإلياس في كل موسم ثم يفترقان عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله عز وجل ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله من قالها إذا أصبح ثلاث مرات أمن من الحرق والغرق والسرق ويقال إن هذا من استغفار الخضر عليه السلام اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه اللهم إني أستغفرك من كل عقد عقدته لك ثم لم أوف لك به اللهم إني أستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فتقويت بها على معصيتك اللهم إني أستغفرك من كل عمل عملته لوجهك خالطه ما ليس لك وحكى سعيد بن أبي الروحاء الحماني وكان من أهل الخير أنه توحش ليلة في أرض قفر فاستوحش ومن هي مظنة لذلك فقال فاشتد جزعي منه حتى سمعته يقرأ القرآن ثم قال لا إله إلا أنت فقلت أنست إذا استوحشت واهتديت إذا ضللت ونمت إذ أرقت فقلت علمني رحمك الله فقال قل بسم الله ذي الشأن عظيم البرهان شديد السلطان كل يوم هو في شأن لا حول ولا قوة إلا بالله وحدثونا عن يعقوب بن عبد الرحمن الزهري قال سمعنا محمد بن حسان يقول قال معروف الكرخي رحمه الله ألا أعلمك عشر كلمات خمسة للدنيا وخمسة للآخرة من دعا الله عز وجل بهن وجد الله سبحانه وتعالى عندهن قلت اكتبها قال لا ولكن أرددها عليك كما ردها علي بكر بن حبيش حسبي الله تبارك وتعالى لديني حسبي الله عز وجل لدنياي

الغربي

حسبي الله الكريم لما اهمني حسبي الله الحليم لمن بغى علي حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء حسبي الله الرحيم عند الموت حسبي الله الرؤوف عند المسألة في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله اللطيف عند الميزان حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وادع بهذه الكلمات اللهم يا هادي المضلين وراحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا مع الاحياء المرزوقين الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين امين يا رب العالمين يقول ان عتبة الغلام رئي في المنام فقال ما دخلت الجنة الا بهذه الدعوات **وليقل** بعدها لا اله الا الله . اللهم عالم الخفيات رفيع الدرجات ذا العرش تلقي الروح من امره على من تشاء من عبادك غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا انت اليه المصير

روي عن ابراهيم التيمي في النوم وقيل له بأي شيء نجوت فقال بهذه الدعوات **وليقل** بعد الدعاء يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الاصوات يا من لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات يا من لا يبرمه الحاح الملحين اذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك ورحمتك **يقال** ان الخضر عليه السلام علم علي ابن ابي طالب عليه السلام هذا الدعاء ويسبح تسبيحات ابي المعتمر وهو سليمان التيمي فقد روي من فضلها ان يونس بن عبيد راى رجلا كان قتل شهيدا ببلاد الروم فقال له ما افضل ما رايت من الاعمال فقال رايت تسبيحات ابي المعتمر من الله سبحانه وتعالى بمكان وقال المعتمر بن سليمان رايت عبد الملك بن خالد بعد موته فقلت ما صنعت قال خيرا فقلت تجوا للخاطب شيئا قال بالتمس تسبيحات ابي المعتمر فانها نعم الشيء وهذه هي التسبيحات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق وملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء سماواته وملء ارضه ومثل ذلك واضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه وحتى يرضى واذا رضي وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي من كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات وشم ونفس من الابد الى الابد ابد الدنيا وابد الاخرة واكثر من ذلك لا ينقطع اوله ولا ينفد اخره **وليدع** بهذا الدعاء فانه دعاء التوبة مرجو بيده الاجابة وينبغي عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة رضي الله عنها قالت لما اراد الله عز وجل ان يتوب على ادم طاف سبعا بالبيت وهو يومئذ ليس ببيتي ربوة حمراء ثم قام وصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسألك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لا يصيبني الا ما كتبت لي والرضا بما قسمت لي يا ذا الجلال والاكرام فاوحى الله عز وجل اليه اني قد غفرت

لها

لك ولمن يأتي بعدك من ذريتك يدعوني بمثل الذي دعوتني لاغفرن له ولكشفت همومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة وان كان لا يريدها **وليقل** هذه الكلمات المنثورة بانها مما روي في اسم الله سبحانه وتعالى الاعظم يا خبير في ذلك ما تقدم . اللهم اني اسألك بان لك الحمد لا اله الا انت الحنان المنان بديع السماوات والارض ذو الجلال والاكرام وانت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد يا حي يا قيوم يا حي حين لا حي في ديمومة ملكه وبقائه يا حي محيي الموتى يا حي مميت الاحياء ووارث اهل الارض والسماء اللهم اني اسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم اللهم اني اسألك باسمك الاعظم الاجل الاعز الاكمل الاكرم الذي اذا دعيت به اجبت واذا سئلت به اعطيت يا نور النور يا مدبر الامور يا عالم ما في الصدور ويا سميع يا قريب يا مجيب الدعاء يا لطيفا لما يشاء يا رؤوف يا رحيم يا كبير يا عظيم يا شديد يا رحمن يا ذا الجلال والاكرام الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وعنت الوجوه للحي القيوم ويا اله كل شيء . الها واحدا لا اله الا انت اللهم اني اسألك باسمك الله الله الله الذي لا اله الا هو رب العرش العظيم فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم انت الاول والاخر والظاهر والباطن وسعت كل شيء رحمة وعلما كهيعص حم عسق الم نون يا واحد يا فرد يا صمد يا جبار يا احد يا صمد يا ودود يا غفور هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين اللهم اني اعوذ باسمك المكنون المخزون المبارك السلام الطاهر القدوس المقدس يا دهر يا ديهور يا ديهار يا ابد يا ازل يا من لم يزل ولا يزول هو يا هو يا من لا اله الا هو يا من لا هو الا هو يا من لا يعلم ما هو الا هو يا كان يا كينان يا روح يا كائنا قبل كل كون يا كائنا بعد كل كون يا مكون لكل كون اهيا اشر اهيا ادوناي اصباوت يا مجلي عظائم الامور يا من تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد **وليقل** هذه الادعية المأثورة اللهم اني اسألك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد واسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك واسألك اللهم يا رب قلبا سليما ولسانا صادقا وعملا متقبلا واسألك من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم فانك تعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم صل على محمد وعلى ال محمد واغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير اللهم اني اسألك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم في اعلى جنة الخلد اللهم اني اسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين اسألك اللهم يا رب الصلاة على محمد وعلى اله اجمعين واسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقرب الى حبك

وأن تتوب علي وتعفو عني وترحمني وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون
يا أرحم الراحمين اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني
إذا كانت الوفاة خيرا لي اللهم إني أسألك يا رب خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل
في الرضى والغضب والقصد في الفقر والغنى ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك وأعوذ بك
من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم يا رب زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد واقسم لنا من خشيتك ما تحول بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما
تبلغنا به إلى جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد وارزقنا حزن خوف الوعيد وسرور رجاء الموعود حتى نجد لذة ما نطلب وغم ما نستعيذ منه
[illegible] اللهم صل على محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله أجمعين وألبس وجوهنا منك
الحياء واملأ قلوبنا بك رجاء واسكن في نفوسنا من عظمتك وذلل جوارحنا لخدمتك واجعلك
أحب إلينا مما سواك واجعلنا أغنى خلقك بك عمن سواك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعني
على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأسألك تمام النعمة بتمام
التوبة ودوام العافية بدوام العصمة وأداء الشكر بحسن العبادة اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد وأعوذ بك من فتنة الغنى وفتنة الفقر وأعوذ بك من ضيق الصدر وشتات
الأمر وعذاب القبر وأعوذ بك من غنى مطغي ومن فقر منسي ومن هوى مردي ومن [illegible]
مغوي اللهم إني أسألك الصلاة على محمد وعلى آل محمد وأسألك الصبر والتقى والعفاف
والغنى اللهم صل على محمد نبيك وحبيبك ولا تعذبني بعذاب ولا تخزني بسببي . البغض
أعوذ بك يا الله من الفتن ما ظهر منها وما بطن وأعوذ بك من الحق ما خفي منها وما علن
اللهم إني أسألك الصلاة على نبيك محمد وعلى آل محمد وأسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه
وأعوذ بك من شر ما فيه أعوذ بك اللهم يا رب من شر طوارق الليل والنهار ومن نكبات
الأمور ومجاري الأقدار ومن شر كل طارق يطرق إلا طارقا يطرق منك بخير يا رحمان الدنيا
والآخرة ورحيمهما اللهم صل على محمد وعلى آله واجعل يومنا هذا أوله صلاحا وأوسطه
فلاحا وآخره نجاحا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره
تكرمة اللهم صل على محمد نبيك وعلى آله وأعوذ بك أن أزل أو أضل أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي
عز جارك وجل ثناؤك وتبارك اسمك ولا إله غيرك اللهم صل على محمد وعلى آله وأعوذ
بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال وإذا
أردت بقوم سوءا أو فتنة فاقبضني إليك غير مبدل ولا مفتون اللهم صل على محمد وعلى
آله وأحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي اللهم إني
أسألك أن تصلي على محمد وعلى آله وأسألك خير الحياة وبركة الوفاة وأعوذ بك من شر
الوفاة وأسألك خير ما بينهما وخير ما بعده أحيني حياة السعداء حياة من تحب
بقاءه وتوفني وفاة الشهداء وفاة من تحب لقاءه يا خير الرازقين ويا أحسن التوابين ويا أحكم

الحافظين

الحاكمين ويا أرحم الراحمين ويا رب العالمين أعوذ بك من شر ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما
ينزل من السماء وما يعرج فيها الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته
وخضع كل شيء لملكه واستسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته
والحمد لله الذي أظهر كل شيء بحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه اللهم صل على محمد وعلى آله
وأزواجه وذريته وبارك عليه في العالمين إنك حميد مجيد اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك
النبي الأمي ورسولك الأمين وأعطه المقام المحمود يوم الدين اللهم إني أعوذ بك من حرارة
الحرص وشدة الطمع وسورة الغضب وسنة الغفلة وتعاطي الكلفة أعوذ بك من
مباهاة المكثرين والإزراء على المقلين وأن أظلم ظالما أو أخذل مظلوما وأن أقول في العلم
بغير العلم وأعمل في الدين بغير يقين اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك
لما لا أعلم اللهم إني أعوذ بك من اتباع خطوات الشيطان وشركه في المال والأولاد وقبوله
أو في السوء والفحشاء اللهم إني أسألك الصلاة على نبيك محمد وعلى آله وأسألك
حسنى لا تحنثنا رحمتك لا عنفنا ومصرف لا فتنة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واختم
بخير وافتح بخير وأنت الفتاح العليم اللهم صل على نبيك محمد وعلى آل محمد وارحم
ما خلقت وأعتق ما قدرت وطيب ما رزقتنا وتمم ما أنعمت وتقبل ما استعملت واحفظ
ما استحفظت ولا تهتك ما سترت فإنه لا إله لنا إلا أنت أستغفرك من كل لذة بغير ذكرك
ومن كل راحة بغير خوفك ومن كل سرور بغير قربك ومن كل فرح بغير مجالستك ومن كل
شغل بغير طاعتك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعلنا من أوليائك المتقين
وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واستعملنا بطاعتك عمل
وبغضنا إليه فيما فيه يحبك اجتنابه لنا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ونسألك
جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك
من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعطنا بها وتبلغ
وأعطنا ما تمنينا وأعطنا لنا عافيتنا يا حافظ الحافظين ويا ذاكر الذاكرين
ويا شاكر الشاكرين بحفظه حفظوا وبذكره ذكروا وبفضله شكروا ويا غوث يا مغيث
يا مستغاث يا غياث المستغيثين لا تكلني إلى نفسي يا رب طرفة عين
فأهلك ولا تكلني إلى الخلق فأضيع إلهي كلأ ابن الوليد ولا تخلي عني وتولني
بما تتولى به عبادك الصالحين اللهم صل على نبيك محمد وعلى آله واغفر لي وتب
علي إنك أنت التواب الرحيم وكلمة عني اعف عني إنك أنت الغفار وبعلمه في
ارفق بي إنك أنت الرحمن الرحيم وبملكك لي ملكني نفسي ولا تسلطها علي إنك
أنت الملك الجبار سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر
لي ذنبي إنك أنت ربي ولا يغفر الذنوب إلا أنت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ورده
وألهمني رشدي وقني شر نفسي اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقني حلالا

لا تعاقبني عليه وقنعني بما رزقتني واستعملني به حالا تقبله مني اللهم اني
اسالك ان تصلي على نبيك محمد وعلى ال محمد واسالك العفو والعافية وحسن اليقين
والمعافاة في الدنيا والاخرة اللهم صل على نبيك محمد وعلى ال محمد واعوذ بعفوك من عقابك
واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ابوء
بنعمتك علي وابوء بذنوبي التي من يدي وبما كسبت عيني وابي عمري كله صحيحين
بيده جار في حكمك نافذ في قضائك عدل في مشيئتك ان تعذب فاهل ذلك انا وان ترحم
فاهل ذلك انت فافعل اللهم يا مولاي بي يا الله يا رب ما انت له اهل ولا تفعل اللهم يا رب
يا الله بي ما انا له اهل فانك انت اهل التقوى واهل المغفرة يا من لا تضره الذنوب
ولا تنقصه المغفرة هب اللهم يا رب لي ما لا يضرك واعطني ما لا ينفعك افرغ علينا
يا رب صبرا وتوفنا مسلمين توفني مسلما والحقني بالصالحين انت ولينا فاغفر
لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة
ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر
لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا
وانصرنا على القوم الكافرين ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا
ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار اللهم اني اسالك ان
تصلي على نبيك محمد وعلى ال محمد واسالك الصبر في الدين والعون على الطاعة
والعصمة من المعصية والفراغ للصبر في الحرمة وايزاع الشكر على النعمة واسالك
يا مولاي يا الله يا رب الصلاة على نبيك محمد وعلى ال محمد وحسن الخاتمة اللهم
اني اسالك ان تصلي على نبيك محمد وعلى ال محمد واسالك اليقين وحسن المعرفة بك
واسالك المحبة وحسن التوكل عليك واسالك الرضا وحسن المنقلب اليك ربنا اننا
سمعنا مناديا ينادي للايمان ان امنوا بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا
سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك
لا تخلف الميعاد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على
الذين من قبلنا الى اخرها اللهم صل على محمد وعلى ال محمد وطهر قلوبنا في قلوب الابرار وزك
اعمالنا في عمل الاخيار وصل على ارواحنا في ارواح الشهداء يا اكرم الاكرمين ويا اجود الاجودين
ويا ارحم الراحمين ربنا اتنا في الدنيا حسنة علما وزهدا وعبادة وامنا ورزقا من حلال
وفي الاخرة حسنة رضوانك والجنة وقنا برحمتك عذاب النار وعذاب القبر وقنا سخطك وعـ
ـقوبتك وعذابك واهوال الدنيا عاجلا واجلا في الدين والدنيا والاخرة برحمتك يا ارحم الراحمين
وان تجبر الله تعالى غروره وعشيته بما يجبر به نفسه وتزود من هذا ما هو غاية الطالبين
روينا عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان الله تبارك وتعالى يمجد نفسه كل يوم يقول سبحانه وتعالى انا الله رب العـ

العالمين

العالمين اني انا الله لا اله الا انا الحي القيوم اني انا الله لا اله الا انا العلي العظيم
اني انا الله لا اله الا انا العزيز الغفور اني انا الله لا اله الا انا مبدئ كل شيء واليه
يعود اني انا الله لا اله الا انا لم يولد ولم يلد اني انا الله لا اله الا انا العزيز الحكيم اني
انا الله لا اله الا انا مالك يوم الدين اني انا الله لا اله الا انا الرحمن الرحيم اني انا الله
لا اله الا انا خالق الخير والشر اني انا الله لا اله الا انا خالق الجنة والنار اني انا
الله لا اله الا انا الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا اني انا الله لا اله
الا انا الفرد الوتر اني انا الله لا اله الا انا عالم الغيب والشهادة اني انا الله لا اله
الا انا الملك القدوس اني انا الله لا اله الا انا السلام المؤمن المهيمن اني انا الله
لا اله الا انا العزيز الجبار المتكبر اني انا الله لا اله الا انا الخالق البارئ اني انا الله
لا اله الا انا الاحد المصور اني انا الله لا اله الا انا الكبير المتعال اني انا الله لا اله
الا انا المقتدر القهار اني انا الله لا اله الا انا الحكيم الكريم اني انا الله لا اله الا انا اهل
الثناء والمجد اني انا الله لا اله الا انا اعلم السر واخفى اني انا الله لا اله الا انا
القادر الرزاق اني انا الله لا اله الا انا خالق الخلق والخليقة اني انا الله لا اله الا انا
الجبار المتكبر فسبحان الله رب العرش العظيم من دعا بهذه الاسماء وليقل انت الله كذا
وانت الله كذا ومن دعا بهذه الاسماء كتب من الساجدين المخبتين الذين يجاورون محمدا
صلى الله عليه وسلم وابراهيم وموسى وعيسى والنبيين صلوات الله عليهم اجمعين
في دار الجلال وله ثواب العابدين في السموات والارضين اللهم صل على محمد وعلى ال
محمد صلاة تكون لك رضا ولحقه اداء واعطه الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود
الذي وعدته واجزه عنا ما هو اهله واجزه افضل ما جزيت نبيا عن امته واعطه الشرف
والشفاعة يوم الدين اللهم صل على محمد نبي الرحمة وشفيع الامة وعلى جميع اخوانه
النبيين وصل على ابينا ادم وامنا حواء ومن ولد بينهما من الصالحين والمسلمين وصل على
ملائكتك اجمعين من اهل السموات واهل الارضين وصل علينا معهم برحمتك يا ارحم الراحمين
واغفر لي ولوالدي وما توالدا رب ارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين
والمسلمات الاحياء منهم والاموات رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وانت الاعز الاكرم وانت
خير الراحمين وخير الغافرين وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل فهذا اجمع ما اجل به من فضل ما يقال في الرغائب عن
المصطفى صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة وعن الائمة المهديين وحرز بليغ في فضائل ذلك وما
جاء فيه من الروايات الجليلة فيقول هذا الدعاء بعد صلاة الغداة وقبل غروب الشمس
في كل يوم وان قاله بعد كل صلاة مكتوبة فقد استكمل الفضل بفضل الله عز وجل

الفصل السادس في جمل من عمل المريد بعد صلاة الغداة

وهو أنه يأخذ في تلاوة القرآن وفي أنواع الذكر من التسبيح والحمد والثناء وفي التفكر في عظمة
الله سبحانه وتعالى وآلائه وفي تواتر إحسانه ونعمائه من حيث يحتسب العبد ومن حيث لا
يحتسب وفيما يعلم العبد وفيما لا يعلم أو يتفكر في تقصيره عن الشكر في ظواهر النعم وبواطنها
وعجزه عن القيام بما أمره به من حسن الطاعة ودوام الشكر على النعمة أو يتفكر فيما علمه
من الأوامر والنواهي ويتفكر في كيفية سنن الله تبارك وتعالى عليه ولطفه صنعه به
وخوفه لطاعته وفيما اقترف ووطئ فيه من الزلل وفي جبروت الأوقات الخالية من صالح العمل
أو يتفكر في حكم الله سبحانه في الملك وقدرته في الملكوت وآياته فيهما أو يتفكر في عقوبات
الله عز وجل وبلاياه الظاهرة والباطنة فيهما ومن ذلك قوله عز وجل وذكرهم بأيام
الله قيل بنعمه وقيل بعقوباته ومنه قوله عز وجل فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون
ومثله فبأي آلاء ربكما تكذبان أي بأي نعمة تكذبان يا معشر الجن والإنس أن
استطعتم ومنها الثقلان وقال بعض العلماء في تفسير الخبر تفكر ساعة خير من
عبادة سنة وهو التفكر الذي ينقل إلى المكاره إلى المحاب ومن الرغبة والحرص إلى التفكر
القناعة والزهد وقيل هو التفكر الذي يحدث مشاهدة وتقوى ويحدث ذكرا أو هو
لقوله تعالى واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ولقوله تعالى لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا
ومثله يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة أي فتعملون لما
يبقى وترغبون فيما يدوم وتزهدون فيما يفنى وقد جعل الله عز وجل البيان بعلمنا اقتضاء
الشكر عليه وقال يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون وكما قال تعالى واذكروا ما فيه
لعلكم تتقون وقد وصف أعداءه بضد ذلك فقال الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري
وقالت أم الدرداء كانت أكثر عبادة أبي الدرداء التفكر وقد كان يقول ما يسرني
أن أربح في كل يوم ثلاثمائة دينار أنفقها في سبيل الله عز وجل قيل ولم ذلك قال لا
يشغلني ذلك عن التفكر ويتفقد حسن النيات ويتوخى جميل المطويات فيما بينه
وبين الخالق تعالى وفيما بينه وبين الخلق أو يستغفر الله تعالى ويجدد التوبة مما
مضى من عمره ولما يأتي في مستقبله أو يجلس للدعاء بتمسكن وتضرع وتملق وتخشع
ووجل وافتقار أن يعصمه من جميع المناهي وأن يوفقه لصالح الأعمال ويفيض عليه رغائب
الأفضال وهو في ذلك مراع القلب مجدا لهمة موقنا بالإجابة راغبا في القسم أو يتكلم بمعروف
وخير ويدعو به إلى الله عز وجل وينفع به أخاه المسلم أو يعلم من هو دونه وينشر العلم فهذه
كانت أذكار المتقدمين وأفكار السالفين وقد كان الذكر والفكر من أفضل عبادة العابدين
وهو طريق المخلصين إلى رب العالمين يعني أي هذه المعاني أخذ فهو ذاكر الله عز وجل فلا يزال
كذلك وهو في جميع ذلك مستقبل القبلة في مصلاه لا يستحب له أن يتكلم أو يعمل غير
ما ذكرناه من الأذكار وقد كانوا يكرهون الكلام بغير معروف وتفكر من طلوع الفجر إلى طلوع
الشمس ومنهم من شدد في ذكر الكلام من الفجر إلى صلاة الغداة بعقب ذكر دبر وهذه سنة

ثم جلست في عمل بما قد ذكرنا

الفصل السابع في ذكر أوراد النهار

ومنها هو الورد الأول من النهار وفي النهار سبعة أوراد أولها من طلوع الفجر الثاني إلى
طلوع الشمس وهو ما ذكرناه من الأذكار وهو الذي أقسم الله عز وجل به فقال والصبح
إذا تنفس فتنفسه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وهو الظل الذي مده الله تعالى العبرة
ثم قبضه إليه بسبب الشمس عليه وأظهر من آياته وجعل الشمس كالشعاع له ودليلا
عليه فقال سبحانه وتعالى ألم تر إلى ربك كيف مد الظل يعني بسطه ولو شاء لجعله ساكنا
يعني مقيما على حاله لا يحول ثم جعلنا الشمس عليه دليلا يقول كشفناه بها وفيه أن
الدليل هو الذي يكشف المشكل ويرفع المشتبه ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا أي يقبض
الظل من تحت الشمس بسبب الشيء خفيا لا يعطي له ولا يرى فما تدرج الظل في الشمس بقدر تسنم
انزواء الظلمة في النور إذا دخل عليها جملة وهو الإصباح والفلق الذي تمدح الله عز
وجل بخلقه وأوانا بالشتم بدله عنه ولا يستعاذ من شر ما خلق فيه فقال عز وجل فالق
الإصباح وقال فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون أي فسبحوه بالصلاة عندهما
وقال قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق يعني فلق الصبح فإن أمن العبد الفتنة والكلام
فيما لا يعنيه والاستماع إلى شبهة من القول والنظر إلى ما يكره أو يشغله عن
الذكر ويذكر الدنيا وأمن دخول الآفة عليه من التزين والتصنع للناس ورزقه
الشغل بمولاه والإخلاص له بالإعراض عمن سواه فعل ما ذكرناه من الذكر في مصلاه
في مسجد الجماعة فهو أفضل من منزله أو التنزه مع المساجد في قوله عز وجل في بيوت أذن
الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وإن لم يأمن الفتنة وخشي دخول الآفة عليه من
لقاء من يكره ومن يلجئه إلى تقية ومداراة أو خاف الكلام فيما لا يعنيه أو الاستماع
لما يضر به البدن أن ينصرف إذا صلى الغداة إلى منزله أو إلى موضع خلوته بعد أن يقول لا إله
إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده
الخير وهو على كل شيء قدير عشر مرات في مصلاه وهو ثان رجله قبل أن يقوم ويقرأ
بعدها قل هو الله أحد عشرا قبل أن يتكلم ويقرأ شيئا من الكلام في هذا من الحزب في
الذي ورد فيهما ثم ائتي ببقية ورده في بيته أو خلوته وهو في ذلك مستقبل القبلة وهذا
حينئذ أفضل له واجمع لقلبه ولا يقدم على التسبيح لله عز وجل والذكر له بعد صلاة الغـ
ـداة وقبل طلوع الشمس لا أحد شيئا معا وشيء على بر وتقوى يعرض عليه أو شرب
البدن لما يختص به لنفسه أو يعود نفعه على غيره ويكون ذلك له أيضا مما يتقرب فيه بقوته
وقته والمعنى الآخر يكون إلى تعلم علم أو استماعه مما يقرب به إلى الله عز وجل في دينه

وآخرون نظروا في الدنيا والهوى من العلماء بالله عز وجل الموقنون بعلمهم وهم علماء
الآخرة والمتقين والهدى الزاهدون في فضول الدنيا ويكونوا في مقعده ذاكرا لله عز وجل
او متفكرا في أفكار العقلاء عن الله عز وجل فإن اتفق له هذان في الغدو والآصال أفضل
من جلوسه في مصلاه لأنهما ذكر الله عز وجل وعمل له وطريق إليه على وجه مخصوص مندوب
إليه قال الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
وقال النبي صلى الله عليه وسلم من غدا من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى
يرجع وقال ابن مسعود اغد عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك وفي الخبر
من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله عز وجل حتى يرجع ومن خرج من منزله
يلتمس علما وضعت له الملائكة أجنحتها رضى بما صنع واستغفر له دواب الأرض وطير
السماء وحيتان الماء والغدو والغداة يكون قبل طلوع الشمس وفي حديث أبي ذر
الغفاري حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة وأفضل من شهود ألف جنازة
ومن عيادة ألف مريض قيل ومن قراءة القرآن فقال وهل تنفع قراءة القرآن
إلا بعلم فإن لم يتفق له أحد هذين المعنيين فقعوده في مصلاه أو في مسجد جماعة
أو في بيته وفي خلوته ذاكرا الله تعالى بأنواع الأذكار أو متفكرا فيما فتح له بتلاوة
الأذكار في مثل هذه الساعة أفضل له مما سواهما **فيما** روينا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لأن أقعد في مجلس أذكر الله عز وجل فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب
إلي من أن أعتق أربع رقاب وروينا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى
الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي بعضها ويصلي ركعتين وقد ندب
إلى ذلك في غير حديث وجاء من فضل الله الجلوس بعد صلاة الصبح إلى طلوع
الشمس وفي صلاة ركعتين بعد ذلك ما جاء وعدد اختصرناه روينا عن النبي
بن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يذكر من رحمة ربه أنه قال يا ابن آدم
اذكرني من بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما
ارتفعت الشمس وابيضت فصلى الضحى ثمان ركعات وهذا الوقت هو الذي ذكره الله تعالى
بقوله يسبحن بالعشي والإشراق ثم ينظر فإن علم مريضا عاده وإن حضرت جنازة
شيعها وإن كانت معونة على بر وتقوى سعى فيها وإن كانت حاجة لأخ من إخوانه
قضاها وإن كان فرضا يلزمه القيام به سارع إليه وإن كان لا خير له فضل ندب إليه
انتهى فيه فوقته هذا أفضل شيء يفعله بعد الأذكار والأذكار من بعد طلوع الشمس
فإذا فرغ من ذلك ولم يتفق له ما ذكرناه من القربات اختير في الصلاة أو تلاوة القرآن
أو صنوف الأذكار مثلا وبه أو ذكر إليه أو المحاسبة لنفسه فيما سلف والمطالبة
بها ولا ينبغي منها فيما يأتنفه والمراقبة في كل حال إلى أن تنبسط الشمس
وترمض الفصال وترتفع النهار وهذا هو الورد الثاني من النهار والضحى الأعلى

الربع

١٢

الذي أقسم الله تعالى به فقال والضحى إذا أضحيت الأفق وحمي الشمس وإنه كان العبد
على ذلك وقته اتبع ما أنزل إليه من ربه عز وجل وقد سمع قوله عز وجل اتبعوا ما أنزل
إليكم من ربكم الآية قال المثاني أعبر بهذه البقرة التي هي مثانية قال وإن أتلو
القرآن وكما قال تعالى اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى
عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر وصلاة الضحى في هذا الوقت أفضل وهو حقيقة وقتها
لوجوه أنسبها قال النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الضحى إذا رمضت الفصال وخرج
على أصحابه عليهم السلام يوما وهم يصلون عنده الإشراق فنادى بأعلى صوته ألا إن
صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال وقوله الأوابين يعني التوابين إلى الله عز وجل
في كل وقت ثم ليأخذ العبد بعد ذلك فيما قرب إليه وأتيح له من التنوع في معاشه إن كان
من تجارة بتصرف أو صناعة يتبعها إن احتاج إلى ذلك وليكتف إن كفى والأحوال اليقظة
والنوم فيهما سلامة من الآثام وخلاء الحفظة الليلة ويحفظ في العلم وإنني على الناس
زمان يكون أفضل أعمالهم فيه الصمت وأفضل أعمالهم النوم هذا الدخول المشكلات في الكلام
وخروج الإخلاص ووجود الآفات في الأعمال وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول كان
يعجبهم إذا تفرغوا أن يناموا لطلب السلامة من الناس من يكون أحسن أحواله النوم وليتق
العبد أن يكون في غفلته كالقوم الذين في نومه السلامة وأفضل أعماله في هذا الوقت ال
السلامة والمراد بالغافل أهل الأفضال الذين هم أعلى السلامة والعقل والإحسان
والفضل فإن نام في هذا الوقت فهو حسنة فوق الغافلة وما تشبيهه فيه من المعاش
يصنع في هذا الوقت من الضحى الأعلى إلى زوال الشمس وهو الورد الثالث من النهار
ثم يتوضأ للصلاة قبل دخول وقتها وكذلك يستحب المحافظة عليها والإقامة فإن
حصلت له عادة بتوق في نومه وقد تقدم في وقتنا من النهار ترك السوق ودخل بيته أو قعد في بيت
من بيوت الله تعالى واشتغل بالحرفة فتنزه عن الغافلين وقد كان الصالحون كذلك يفعلون كان يقال
لا يوجد المؤمن إلا في ثلاثة مواطن مسجد يعمره أو بيت يستره أو حاجة لابد له منها
فإذا زالت الشمس فإن أبواب السماء تفتح للمصلين والذاكرين ويستجاب الدعاء للمؤمنين
فهذا أول الورد الرابع من النهار وليصل بعد الزوال أربع ركعات يقرأ فيهن بمقدار سورة
البقرة أو سورتين من المئين أو أربع من المثاني يطيلهن ويحسنهن ولا يفصل بينهن
بتسليم هذه الصلاة وحدها من بين صلاة النهار أربع ركعات بتسليمة واحدة وهذا
الورد هو الأظهار هو الذي ذكره الله عز وجل فقال وله الحمد في السموات
والأرض وعشيا وحين تظهرون وليتق العبد الصلاة عند استواء الشمس في كبد
السماء وهو قبل الزوال عند تعلم الظل وقيام ظل كل شيء تحته فإذا الشمس
الظلمة فيقدر الناس لا يجيء استواؤها في الشتاء لقصر النهار ولبعد الشمس في سيرها
عن وسط البلد فيقطع عرضا فيكون أقرب بالغروب فإذا قدرت لم ترتفع وقدر استوائها قبل

الزوال نحو اربع ركعات يقرأ فيهن من القرآن وهو آخر الورد الثالث فان لم يقرأ فيه ورد القرآن ورده
التسبيح والذكر وهو آخر الاوقات الخمسة التي نهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الصلاة فيهن والاربعة الاخر عند طلوع الشمس حتى ترتفع قيد رمحين في عين
الناظر وعند تدليها للغروب حتى تغيب وبعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر واحب
له ان يحيي ما بين الاذان والاقامة بالركوع فانها ساعة يستجاب فيها الدعاء وتفتح
فيها ابواب السماء وتزكو فيها الاعمال وافضل اوقات النهار اوقات الفرائض فان لم
يقرأ فيه من حزبه احببت له ان يقرأ في تنفله الاي التي فيها الدعاء
مثل آخر سورة البقرة وآخر سورة آل عمران ومن تضاعيف السور الاي التي فيها
والثناء مثل قوله تعالى انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا ومثل قوله ربنا لا تزغ قلوبنا
بعد اذ هديتنا وقوله ربنا عليك توكلنا واليك انبنا وان قرأ الاي التي فيها
التعظيم والتسبيح والاسماء الحسنى فحسن مثل اول سورة الحديد وآخر سورة
الحشر ومثل آية الكرسي وقل هو الله احد ليكون قد جمع بين التلاوة والدعاء
والثناء ويدعو في الصلاة بالتعظيم والمدح بالاسماء **ثم يصلي** الظهر في
جماعة ولا يدع ان يصلي قبلها اربعا وبعدها اربعا بعد ركعتين ومن هذا آخر
الورد الرابع من النهار ومن افضل الاوراد وافضلها فان كان قد ورد قبل الزوال فكان
قد في هذا الورد فانه يستحب له ان ينام في يوم لما يذكر له نوم النهار من عون على سهر
بالليل ورويناه عن بعض العلماء ذلك يحفظ الله عليها الصحة من غير عجب ولا كسل
من غير جوع ونوم النهار من غير بالليل وان لم يكن قد رقد فاحب ان ينام بين الظهر
والعصر ليستعين بذلك على قيام الليل فان نومها بعد الظهر لليلة المستقبلة
ونومها قبل الظهر لليلة الماضية فان دام سهره بالليل واتصلت اوراده دائما
بالنهار حسن ان ينام قبل الظهر لما سلف من ليلته وينام بعد الظهر لما غبر
من الاخرى الا انه لا يستحب له ان يزيد في اليوم والليلة على الثلث من نوم ثمان
ساعات ومن الناس من يقول انه ان نقص من نوم هذا المقدار في اليوم والليلة
اضطرب بدنه لان النوم قوت الجسم وراحته قال الله تعالى وجعلنا نومكم سباتا
اي راحة كما قال وجعلنا النهار معاشا الا ان يكون السهر عادته فان العادة
قد تعمل في الطبع وينقل عن العرف فلا يقاس عليها واحياء ما بين الظهر والعصر
وهو صلاة الغفلة وهو تشبيه بقيام الليل ويستحب العكوف في المسجد فيما
بين الاولى والعصر للصلاة والذكر ليجمع بين الاعتكاف والانتظار للصلاة فقد كان
ذلك من سنة السلف قال كان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع له
للمصلين دوي كدوي النحل من التلاوة الا ان يكون بيته اسلم لدينه واجمع لقلبه
فلا سلم معه الا فضل وكذلك احياء الورد الثالث الذي هو بين الضحى الاعلى الى زوال الش

الشمس

١٣

الشمس فيرون هذا في الفضل يدرك به العبد فوت قيام الليل لان الناس في هاتين الوقتين
مشغولون بطلب الدنيا وخدمة الهوى والقلب المبغض لربه عز وجل يفرغ في هاتين
الوقتين ويسكن ويجد العامل للعمل حلاوة وللاقبال والتفرغ لذة ويكون له الغنم
من الخلق ويشغله بالخالق تعالى وزيادة وبركة ومن هذا احد الوجهين في قوله تعالى وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اي جعلهما خلفتين يتعاقبان
في الفضل فيخلف احدهما الاخر فمن فاته شيء من الليل قضاه في هذين الوردين من النهار
احدهما من الضحى الاعلى الى الزوال والثاني ما بين الاولى والعصر والوجه الثاني
ان النهار جعله خلفة من الليل لمن فاته من عمل الليل قضاه في النهار وكان منه بدلا ومن
فاته شيء من اوراد النهار كان الليل خلفا له كذلك واحد منهما خلف عن صاحبه وعقبه لديه
ما فات وخلف ما سلف من الذكر والشكر والذكر اسم جامع لاعمال القلوب من مقامات
اليقين ومشاهدة العلوم من الغيب والشكر ايضا يشتمل على جمل كمال الجوارح من
شرايع الاسلام وهذان جملة العبد وكنه خدمته وهما المعنيان اللذان ذكرهما
الحكيم الجليل في قوله عز وجل كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انتظم التسبيح والذكر جميع
نور الجسم ونور القلب **ومن هذا** هو الورد الخامس الذي هو بين الظهر والعصر وهو
من اطول الاوراد وامتعها للعباد وهو يقابل في الورد الثالث في الطول وهو اصيل
النهار والاصال التي ذكر الله عز وجل فيه سجود كل شيء وقرنه بالغدو فقال
ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال فما افحش ان تكون
الاشياء الموات جمادا ساجدات ذاكرات والمؤمن الحي عن ربه معرض وغافل **ثم**
يصلي قبل صلاة العصر اربعا ويغتنم الصلاة بين الاذان والاقامة كما ذكرناه قبل فانها
ساعة يرجى فيها الاجابة فاذا دخل وقت العصر دخل العبد في الورد السادس
من النهار وقد اقسم الله عز وجل به في قوله والعصر وهذا احد الوجهين من الوقت
في الاصال الذي ذكر الله عز وجل وهو العشي الذي ذكر الله عز وجل التسبيح فيه والتحميد
والحمد له فقال وعشيا وحين تظهرون وقال بالعشي والاشراق وليس في هذا الورد صلاة
الا ما كان بين الاذانين ثم يتنفل بعد العصر فيما يشاء من ذكر ومن اعمال القلوب
والجوارح فيما يعرض عليه او يقرب اليه وافضله التلاوة للقرآن بتدبر وترتيل
وتفهم وحسن تأويل فاذا اصفرت الشمس وماتت حرها وارتفعت الشمس الى اطراف
الجدر ودنا النجم وكان مقبلها حين تطلع دخل في الورد السابع من النهار فهذا التسبيح
والذكر والتلاوة والاستغفار الى غروب الشمس ومن افضل ما قيل في هذا الوقت وفي
مثله من اول النهار ان يقال استغفر الله لذنبي وسبحان الله وبحمده يجمع بين الاستغفار
والتسبيح في الكلام ويطابق الامر فيهما بالقرآن بقوله تعالى واستغفر لذنبك وسبح بحمد
ربك بالعشي والابكار وان قال استغفر الله الحي القيوم واسأله التوبة سبحان

الله العظيم وبحمده ويغفر جلاله بفضله في الأرض ولا بفضل من لا يستغفر أربعين في الغد أن
نشاء أن يقول أستغفر الله إنه كان غفارا أستغفر الله إنه كان توابا أستغفر الله إن
الله غفور رحيم أستغفر الله التواب الرحيم رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين فاغفر
لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين وهذا الورد في الفضل مثل الورد الأول من طلوع الفجر
إلى طلوع الشمس وهما أول النهار وآخره الذي ذكر الله عز وجل الثناء فيه وقال فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون أي سبحوا الله عز وجل فأقام الاسم مقام الفعل وهو الطرف
الثاني من النهار الذي أمر الله عز وجل فيه بالتسبيح في قوله عز وجل ومن الليل فسبح
وأطراف النهار ويستحب أن يقرأ قبل غروب الشمس والشمس وضحاها والليل إذا يغشى والمعوذتين
والمعوذتين وأن يغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار فيكون مما أوصيه في هذا الوقت
من الأذكار وكلما يستحب من التسبيح والحمد والدعاء والذكر في أول النهار قبل طلوع
الشمس فإنه يستحب في هذا الورد قبل غروب الشمس لأن الله عز وجل قرنهما في الذكر
فقال وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وقال وأطراف النهار وقال بالعشي
والإبكار وقال أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب أي من شر
الليل إذا دخل فليعمل العبد ما ذكرناه في الورد الأول من الأدعية والتسبيح وليقل
عند أذان المغرب اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك وحضور صلاتك
وشهود ملائكتك صل على محمد وعلى آله وآته الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام
المحمود الذي وعدته ثم ليقل رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه
وسلم نبيا عند الأذان أن قال ذلك فقد وقع هذا الأذان وكذلك فليقل مثله إذا سمع الأذان
في الفجر لأنه يقول عند إدبار ليلك وإقبال نهارك والثاني يقول عند الغروب وكان
الحسن البصري يقول كانوا أشد تعظيما للعشي منهم لأول النهار وقال بعض
السلف كانوا يجعلون أول النهار للدنيا وآخره للآخرة فإذا توازن بالحجاب أنقصنا أوراد
النهار السالفة بالتي في أجل المسكين وإذا انقضى له معها وإذا انقضى
منها عند ما وإذا أفضى عليه بيعها وقد قطعنا من عمرها مرحلة ونقصنا من آجالنا
يوما فإذا قطعنا في سعيها بقطع رحلته وإذا ارتابع عن أجله نقصنا من يومه قال
النبي صلى الله عليه وسلم الناس غاديان فغاد نفسه فمعتقها أو راهن نفسه
فموبقها وقد قال الله عز وجل في تصريف قول النبي صلى الله عليه وسلم إن سعيكم
لشتى وقال في معناه كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين وجاء في الخبر
لا بورك لي في يوم لا أزداد فيه خيرا وقيل في الأثر من استوى يوماه فهو مغبون ومن
كان يومه شر من أمسه فهو محروم ثم جعلنا أوراد الليل الخمسة فنذكرها إن شاء الله
فيستقبل من الليل ما فات فيما مضى من النهار فقد روى أبو هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل يبغض كل جعظري جواظ الغليظ الفظ

حزبهم

خوّاب صخّاب بالأسواق جيفة بالليل حمار بالنهار عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة

الفصل الثامن في ذكر أوراد الليل الخمسة

وفي الليل خمسة أوراد أولها أن يصلي بعد المغرب ست ركعات ويستحب له قبل أن
يتكلم أحد أن يقرأ في الأوليين قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ليتبع بهما بعد صلاة المغرب
قيل أن يتكلم ويشتغل بشيء، وفي الخبر اسم عوابي ركعتين بعد المغرب فإنهما ترفعان
مع المكتوبة فإن كان منزله قريبا من مسجده فلا بأس أن يركعهما في بيته وليطل الركعتين الأخريين
وكان أحمد بن حنبل رحمه الله يستحب أن يطيلهما الرجل في بيته وكان كذلك يفعل ويقول
هو مستقبلانه روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يطيلهما في بيته ولكن بيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان في مقدم المسجد وقد صلاهما في المسجد ثم يصلي بين العشاءين
ما تيسر إلى أن يغيب الشفق الثاني وهو البياض الذي يكون بعد الحمرة وبعد غسق
الليل وظلمته لأنه آخر ما يبقى من شعاع الشمس من القطر الغربي إذا قطعت ذهابا بالأرض
العليا وجاوزت من وراء جبل قاف مطهرة تطلب المستقر في هذا الوقت هو المستحب
لصلاة العشاء وهو آخر الورد الأول من أوراد الليل والصلاة فيه ناشئة الليل في ساعاته
لأنه أول نشوء ساعاته وهي التي من الأخلاق التي ذكرها الله عز وجل في قوله ومن
آناء الليل فسبح وإلا فإجماع أنه في وقت منه وقيل إن ناشئة الليل قيام الليل
هذا وأموت في لسان الحبشة يقولون نشأ إذا قام وقد أقسم الله تعالى وقال فلا أقسم
بالشفق والشفق ما بين العشاءين وهي صلاة الأوابين أيضا ويقال صلاة الغفلة

وقال يونس بن عبيد

عن الحسن في قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال الصلاة فيما بين العشاءين
حتى قال أنس من المواقف سئل عن من قام بين المغرب والعشاء فقال لا نفعل
فإنها من صلاة الأوابين وصف الله عز وجل المؤمنين بالقيام فيها وقال تتجافى
جنوبهم عن المضاجع قال يعني الصلاة بين المغرب والعشاء وقد أسند إلى أبي الزناد
إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع
قال الصلاة فيما بين العشاءين ثم قال عليكم بالصلاة فيما بين العشاءين فإنها ترتيب
بالأوقات أول النهار وتهذيب آخره فقوله الملغاة جميع ملغاة وهو من اللغو في يوم
المطروح عن العبد من الباطل واللهو وتذهب آخره أي تنضيه وتجوده، ويستحب العكوف
في المسجد بين العشاءين للصلاة وتلاوة القرآن وقد روي فضلة لأن يكون
بيته المسلم لكن قول أبيه عليه ممن سلم فيه ويصلي به ثم ليصل قبل العشاء
الآخرة أربعا وبعدها ركعتين بعدهن أربعا ويقال إن الأربع بعد صلاة العشاء

الله

في بيته بعد ان ينقلب من ليلة القدر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليهن في
بيته اذا دخل وكان ابن مسعود يكره ان يصلي بعد كل صلاة مثلها وكانوا يستحبون
ان يصلي بعد المكتوبة ركعتين ثم اربعا وان قرا في الاربع في الاولى اية الكرسي والايتين
بعدها في الثانية امن الرسول بما انزل اليه من ربه والاية قبلها وفي الثالثة والحديد
الى قوله وهو عليم بذات الصدور وفي الرابعة اخر الحشر من قوله هو الله الذي لا اله الا هو
عالم الغيب والشهادة فقد احسن واصاب فان صلى بعد الاربع ثلاث عشرة ركعة اخرها
للوتر فان هذا العدد اكثر ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى به من الليل الا في خبر
مقطوع وهو سبعة عشر ركعة والمشهور انه كان يصلي احدى عشرة ركعة وثلاث
عشرة وربما حسبوا فيها ركعتي الفجر واستحب له ان يقرأ في ركوعه هذا ثلاثمائة اية
اية فما عدا فانه لئلا يكتب من الغافلين ودخل في احوال العابدين وقد قيل
ان الناس ياخذون اوقاتهم من اول الليل والاقوياء ياخذون اوراقهم من اخر
الليل فان قرأ في ركوعه هذا سورة البقرة وسورة الشعراء ففيهما ثلاثمائة اية
اية فان لم يحسنهما قرا خمسا من المفصل فيها ثلاثمائة اية سورة الواقعة وسورة
نون وسورة الحاقة وسورة المدثر وسورة الواقع فان لم يحسن فمن سورة الله
الطارق الى خاتمة القرآن ثلاثمائة اية ولا استحب للعبد ان ينام حتى يقرأ هذا المقدار
من الاي في هذا العدد من الركوع بعد عشاء الاخرة فان قرأ في هذا الورد الثالث بعد
عشاء الاخرة وقبل ان ينام الف اية فقد استكمل الفضل وكتب له قنطار من الاجر وكتب
من القانتين وافضل الاي اطولها لكثرة الحروف وان اقتصر على قصار الاي عشر
ينوي بذلك الفضل لحصول العدد ومن سورة الملك الى خاتمة القرآن الف اية
فان لم يحسن ذلك قرأ قل هو الله احد مائتين وخمسين مرة في ثلاث عشرة ركعة فان
فيها الف اية فهذا فضل عظيم **وفي الخبر** من قرأها عشر مرات بنى الله عز
وجل له قصرا في الجنة **وروينا** عن النبي صلى الله عليه وسلم في السور
التي لم يكن يدعهن في كل ليلة ثلاث اخبار احدها انه لم يكن ينام حتى يقرأ
سورة السجدة وتبارك الملك والاخر بعده انه كان يقرأ في كل ليلة بني اسرائيل والزمر
والغريب منها انه كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيهن اية افضل من الف اية
قال فكان العلماء يجعلونها ستا فيزيدون فيها سبح اسم ربك الاعلى وفي الخبر كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب سبح اسم ربك الاعلى وهذا يدل على انه كان يكثر
قراءتها ولا يدع ان يقرأ هؤلاء الاربع في كل ليلة سورة يس وسجدة لقمان وسورة الدخان
وتبارك الملك فان ضم اليهن سورة الواقعة وسورة الصف والجمعة والحشر وتبارك كثيرا
حسن فان لم يكن من عادته القيام من الليل فدوام الوتر بعقب العشاء المروي عن ابي هريرة او
صاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا انام الا على وتر وان كان معناه ابصلاة الليل

فالافضل

فالافضل تاخير الوتر الى اخر صلاته من تهجده والى السحر على حديث ابن عمر صلاة الليل مثنى مثنى
فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة عن ابن عمر رضي الله عنهما اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم من
اول الليل ومن اوسطه ومن اخره وانتهى وتره الى السحر فان نام على وتر ورزق القيام لم يوتر
بعده ولا اول على الخبر الذي جاء لا وتران في ليلة وقد قال بعض العلماء يصلي ركعة
واحدة يشفع بها وتره من اول الليل ويصلي صلاته من الليل ويوتر اخر صلاته وقد
روي في هذا عن عثمان وعلي رضي الله عنهما وان كان قد صلى ركعتين من جلوسه بعد
وتره الاول ثم استيقظ للصلاة شفعتا وتره الركعة الواحدة لانهما بمنزلة ركعة واحدة
تشفع له ركعة الوتر التي صلاها قبلها ثم ليصل من الليل مستانفا ما بدا له ثم يوتر
بركعة واحدة في اخر صلاته فيكون له جمع ثلاثة اعمال قصر الامل وتحصيل الوتر والوتر
في اخر الليل ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين جالسا بعد
وتره والله اعلم فليقرأ فيهما جالسا سورة اذا زلزلت الهاكم التكاثر وقل يا ايها الكافرون
منفردا لانه في خبر يثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فيهما بزلزلة لما في اذا زلزلت
والتكاثر من التخويف والوعظ ولما في سورة الكافرون من التبري من عبادة سوى
المعبود وافراد العبادة لله سبحانه بالتوحيد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في
يقرأ بها عند النوم واوصى رجلا يقرأ بها عند منامه ويعقبهم الوتر فيستحب لمن اختلفت عادته
في قيام الليل ومن كان لا يغلب عليه غلبة النوم وتاخير الوتر ليكون من اخر صلاته قبل
طلوع الفجر افضل **وليقل** بعد التسليم من الوتر سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح
والروح جللت السماوات والارض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد
بالموت ثلاثا وهذا هو الورد الثاني من الليل اعني الصلاة بعد العشاء الى هدأة
الناس وقد اقسم الله عز وجل به في قوله والليل وما وسق اي وما جمع من ظلمته وذكر الله
عز وجل في قوله الى غسق الليل فقال هو غسق الليل ويستوسق ظلمته ثم ينام وان احب
وهو على طهارة وعزم وقد كان الصالحون لا ينامون الا غلبة ويكرهون التعمل للنوم
وهو التمهيد للعادة وقد كان منهم من يجد لنفسه بالنوم ليتقوى به على صلاة
وسط الليل واخره للفضل في ذلك ومن غلبة النوم حتى شغله عن الصلاة والذكر فان
السنة ان ينام حتى يعقل ما يقول وينشط في خدمته وقد كان ابن عباس يكره النوم
قاعدا وفي الخبر لا تكابدوا الليل وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصلي
من الليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال ليصل احدكم من الليل ما تيسر
فاذا غلبه النوم فليرقد وقال اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وقيل
له ان فلانا يصلي الليل لا ينام ويصوم الدهر لا يفطر فقال خير هذا الهدي اسهر ثم
قال لكني انا اصلي وانام واصوم وافطر هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني وقال
لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه ولا تبغض الى نفسك عبادة الله

عز وجل والورد الثالث يكون بعد نومة الناس وهو التهجد الذي ذكر الله في قوله ومن
الليل فتهجد به نافلة لك ولا يكون التهجد الا بعد النوم وتلك النومة هي الهجوع الذي
ملكها الله تعالى من القليلين اجزاء الليل فقال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
والهجوع النوم والتهجد القيام وقد يقال الهجود ومكذا يكون نصف الليل فهذا
اوسط الاوراد وهو شبيه الورد الاوسط من النهار في افضل الاوراد وهذا افضل الاوراد
وانفعها للعبادة وقد اقسم الله عز وجل به في قوله والضحى والليل اذا سجى قيل اذا سكن
وسكونه هدوه وسنة كل عين بعد وغفلته الا عين الحي الذي لا تاخذه سنة ولا نوم
وقيل اذا سجى اذا امتد وطال ويقال اذا اظلم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي الليل اسمع فقال جوف الليل الغابر وروينا في اخبارنا وروي عنه عليه السلام النبي
ايني احببت ان تعبدك فاي وقت افضل فاوحى الله عز وجل اليه يا داود لا تقم
اول الليل ولا اخره فانه من قام اوله نام اخره ومن قام اخره لم يقم اوله ولكن قم وسط
الليل حتى تخلو بي واخلو بك وارفع الي حوائجك والورد الرابع يكون بين الفجرين اخرهما الفجر
الاول وهو بدو سلطان شعاع الشمس ان طلعت من وراء الارض الخامسة كسطوع ضوء ما
في وسط السماء حتى تنقطعه تمهيدا لطلوع الفجر الاول ثم تغرق في الظلمة لا ستقبل الفجر ذنب
وتحجبه الارض لسداد سمنة مبتدا الضوء ويعود سواد الليل كما كان الغيبة الشمس
وهو الثلث الاخير وفيه وردت الاخبار بالغفران العرش وانتشار الارواح من جنة عدن ومن
نزول الجبار الى سماء الدنيا وفيه الخبر المشهور ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل
اي الليل افضل فقال نصف الليل الغابر يعني الباقي وهذا هو الورد الرابع وهو من
نصف الليل الى وقت السحر الاول ثم يدخل الورد الخامس وهو السحر الاخير وفيه
يستحب السحور لمن اراد التسحر في اوله يغتنم الفجر وهو قبل طلوع الفجر الثاني فيفرد فيه
قراءة جزء من القرآن ودي هذا الورد الاستغفار وقراءة القرآن وقد ذكر الله عز و
جل في قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا قيل تشهده ملائكة الليل وملائكة
النهار لتوسط هذا الورد بينهما وقد ذهب اهل الحجاز الى ان الصلاة الوسطى
التي نص الله على افرادها فالمحافظة عليها هي صلاة الفجر تعظيما لهذا الوقت
وتنبيها لذلك لتوسطه بين اخر الليل واول النهار فهذا الورد هو افضل الاوراد ومن
افضلها وهو من السحر الاول الى طلوع الفجر الثاني لا ما كان من صلاة نصف الليل
فلذلك هو افضل نشيه من الليل وهو اوسط الاوراد لانه هو الورد الثالث ويصلح في
هذا الورد الخامس من السحر تاخير الصلاة لمن استيقظ من ساعته ولم تمض به صلاة
والصلاة فيه تجمع بتفضيل وهو يفيد لذة الصلاة في اول الليل بين العشاءين لان معنى
قوله عز وجل عن بعض المحسنين وبالاسحار هم يستغفرون اي يصلون وكذلك قوله عز
وجل وقرآن الفجر يعني به الصلاة بكثرة جزء القرآن ولا استغفار عن الصلاة ثم اما

وادبار

وصلاة منها قبل الصلاة تسبيحه وتسبيحة اي فيها التسبيح وكذلك يقال للصلاة استغفار
لانه يطلب بها المغفرة وتكون هذه الصلاة في السحر بدلا من السجود الى طلوع الفجر الثاني
وقد روي ان سلمان اخا ابا الدرداء ليلة زاره في حديث طويل قال فلما كان اخر
الليل ذهب ابو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له نم
فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الان فقاما فصليا فقال ان لنفسك
عليك حقا وان لاهلك عليك حقا وان لربك عليك حقا وان لضيفك عليك حقا فاعط
كل ذي حق حقه وذلك ان ام الدرداء اخبرت سلمان انه لا ينام الليل قال
فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له فقال صدق سلمان وهذا الورد الخ
الخامس يشبه الورد السابع من النهار قبل الغروب في فضل وقتهما وهذا قبل الفجر
الثاني وهو انشقاق شفق الشمس وهو بدو بياضها الذي يخلفه الحمرة وهو الشفق
الثاني على ضد غروبها لان شفقها الاول في العشاء وهو الحمرة بعد الغروب وبعد
الحمرة البياض وهو الشفق الثاني من اول الليل وهو اخر سلطان الشمس وبعد
البياض سواد الليل وغسقه ثم ينقلب ذلك على الضد فيجوز بروز طلوعها الشفق
الاول وهو البياض وبعد الحمرة وهو شفقها الثاني وهو اول سلطانها من اخر الليل
وبعده طلوع قرص الشمس والفجر هو انفجار شعاع الشمس من الظلمة لا ستقبال الظهرت
على وجه الارض الدنيا تسمت عينها الجبال والبحار ولا قال المتفقهة العالمية وذهب
شعاعها فتنشر الى وسط السماء عرضا مستطيرا فهذا اخر الورد الخامس وعنده
يكون الوتر فاذا طلع الفجر فقد انقضت اوراد الليل الخمسة ودخلت اوراد النهار
فانظر هل دخلت في حوله عليك في جملة العابدين ام خرج عنهم وانت من الغافلين
وتكون في لبسة اللبسة فان الليل جعل لباسا اهل لبستنا فيه حلة النور ثيابه فنسج
تجارة تبور ام لبسه الليل ثوب ظلمته فتكون ممن مات قلبه لموت جسمه ويقبل فيه ود
ثم يقوم العبد حينئذ فيصلي ركعتي الفجر وهما معنى قوله ومن الليل فسبحه وادبار
النجوم وقيل ركعتي الفجر ثم يقرا شهد الله انه لا اله الا هو الى اخرها ويقول انا اشهد
بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته واولوا العلم من خلقه واستودع الله
هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة حتى يؤديها واساله حفظها حتى يتوفاني
عليها اللهم احطط بها عني وزرا واجعل لي بها عندك ذخرا واحفظني بها واحفظها
علي وتوفني عليها حتى القاك بها غير مبدل تبديلا وافضل ما عمل من وردي
اوراد الليل والنهار بعد القيام بفرض عليه وفضل حاجة لا غنية للمؤمن يعينه
الصلاة بتدبر الخطاب ومشاهدة المخاطب فان ذلك يجمع العبادة كلها ثم بعد
ذلك التلاوة بتيقظ وعقل وتدبر ثم اي عمل فتح له فيه من فكر او ذكر بتفتق قلب
وخشوع جوارح ومشاهدة غيب فذلك افضل اعمال الدين في وقته

الفصل التاسع فيه ذكر وقت الفجر وحكم ركعتيه للأداء والقضاء

وحكم الوتر ووقت القضاء له والأداء. وفي الشهر ليلتان فيهما يعتبر وقت الفجر أحدهما بطلوع القمر فيها
عند طلوع الفجر وهي ليلة ستة وعشرين والأخرى يغيب القمر فيها عند طلوع الفجر وهي ليلة اثني
عشرة من الشهر ومن طلوع الفجر إلى طلوع الشمس مقدار ثلثي سبع تلك الليلة ومقداره يكون في
الصيف وتكون في الشتاء أقل منه لأنه يكون نصف سدس تلك الليلة وهو الورد الأول من النهار
ووقت الأداء للوتر من بعد صلاة عشاء الآخرة إلى طلوع الفجر الثاني فإذا طلع الفجر الثاني فقد ذهب
وقت الأداء ويبقى وقت القضاء للوتر فليصل الوتر حينئذ من لم يكن أداه إلى قبل صلاة الصبح
وإذا صلى الصبح ذهب وقت قضاء الوتر أيضا ووقت الأداء لركعتي الفجر إذا طلع الفجر الثاني ف
فالمستحب له أن يصليهما في منزله وقبل صلاة الغداة والسنة أن يخففهما فإذا صلى الصبح
ولم يكن صلاهما فقد ذهب وقت الأداء ويبقى له وقت القضاء فليصلهما حتى تطلع الشمس وتحل
الصلاة فليقضهما على سبحة الضحى ومنتهى وقت القضاء لركعتي الفجر إلى صلاة الظهر وإذا
صلى الظهر ولم يكن صلاهما فقد ذهب وقت قضائهما أيضا ومن فاته ورده من الليل فالمستحب
له أن يقضيه في وقته أو قبله متى ذكر لا على وجه القضاء لأنه يقضي الفرائض لا على وجه
التزايد ورياضة النفس بذلك ليألف بالعمل كيلا يفعل الترك فيه وأحب وأجل الخبر المأثور
أحب الأعمال إلى الله عز وجل أدومها وإن قل كثير وفي حديث عائشة رضي الله عنها كان لو غير
على ما اعتاده من العبادة روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم من عبد الله تعالى بعبادة ثم تركها ملالة
مقته الله عز وجل وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غلبه النوم أو وجع
وضعف فلم يجد في تلك الليلة صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة ومن دخل المسجد لصلاة الصبح ولم يكن
صلى ركعتي الفجر في منزله صلاهما وأجزأتا عنه من تحية المسجد ومن كان قد صلاهما في بيته ثم جاء
كان دخوله المسجد فليجلس عند طلوع الفجر واشتباك النجوم صلى ركعتي تحية المسجد وإن كان دخوله
عند انمحاق النجوم وأسفر أعني الإقامة فقعد ولم يصل ركعتين لئلا يكون جامعا بين صلاة الصبح وبين صلاة قبلها
ولا يصلي بعد طلوع الفجر الثاني إلا ركعتي الفجر فقط ومن دخل المسجد ولم يصل ركعتي الفجر فإن كان قبل الإقامة
صلاهما وإن دخل وقت الإقامة وقرأ ابتدأ الإمام الصلاة فلا يصليهما وليدخل في صلاة المكتوبة فإنه
أفضل وكذا أبيه وقيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة
وليصل من قعد في المسجد على غير طهارة ركعتي تحية المسجد سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله
أكبر هذه الأربع كلمات يقولهن أربع مرات فإنها تعدل ركعتين في الفضل وكذلك من دخله وكان على
غير وضوء أو مر في المسجد على طريق ومن دخل مسجدا فلا يقعد حتى يصلي ركعتين وإلا كره دخول المسجد
والقعود فيه على غير وضوء

الفصل العاشر في معرفة الزوال وزيادة الظل ونقصانه بالأقدام

واختلافه في الصيف والشتاء. وقال الله جل ثناؤه ألم تر إلى ربك كيف مد
الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار
آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد
السنين والحساب وقال سبحانه والشمس والقمر بحسبان وفي حديث أبي الدرداء وكعب
الأحبار في صفة هذه الأمة يراعون الظلال لإقامة الصلاة وأحب عباد الله إلى الله عز
وجل الذين يراعون الشمس والقمر والأظلة لذكر الله عز وجل وقال بعض العلماء بالحسبان
والأزمان من أهل التجربة أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ثلاثون شعيرة ويأخذ
كل واحد منهما من صاحبه في كل يوم شعيرة حتى تستكمل الساعة في شهر وبين أول الشهر و
وآخره ثلاثون درجة الشمس كل يوم في درجة فإذا أخذ تقسيم ذلك أنه إذا مضى من أيلول
سبعة عشر يوما استوى الليل والنهار ثم يأخذ الليل من النهار من ذلك اليوم في
كل يوم شعيرة حتى يستكمل ثلاث ساعات في كل ثلاثين يوما فإذا مضى سبعة عشر يوما من
كانون الأول ينتهي طول الليل وقصر النهار وكانت تلك الليلة أطول ليلة في السنة
وهي خمس عشرة ساعة وكان ذلك اليوم أقصر يوم في السنة وهو تسع ساعات ثم يأخذ
النهار من الليل كل يوم شعيرة حتى إذا مضت سبعة عشر ليلة من آذار استوى الليل
والنهار وكان كل واحد منهما اثنتي عشرة ساعة ثم يأخذ النهار من الليل كل يوم شعيرة حتى
إذا مضى سبعة عشر يوما من حزيران كان نهاية طول النهار وقصر الليل فيكون النهار
يومئذ خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات ثم ينقص من النهار كل يوم شعيرة حتى
إذا مضى سبع عشرة ليلة من أيلول استوى الليل والنهار ثم يعود الحساب على ذلك
فأما مواقيت الصلاة فمن ذلك أن الشمس إذا وقعت فهو قبل الزوال فإذا زالت فأول الظهر
منزلة أول وقت الظهر قال والذي جاء في الحديث أن الشمس إذا زالت بقدر الشراك منزلة وقت
الظهر إلى أن يصير ظل كل شيء مثله منزلة آخر وقت الظهر وأول وقت العصر وكذا صلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في أول يوم ثم صلى من الغد الظهر حين صار ظل كل شيء مثله وذلك هو
آخر وقت الظهر وأول وقت العصر ثم صلى العصر حين صار ظل كل شيء مثليه وذلك آخر وقت العصر
وقال من يبني هذا بحيث وقتا فإذا أردت تعتبر الظل حتى تعرف ذلك فانصب عودا أو أقم قائما
في موضع من الأرض مستو ثم اعرف موضع الظل وانتهاءه فخط على موضع الظل خطا ثم انظر أ
ينقص الظل أم يزيد فإن كان ينقص فإن الشمس لم تزل بعد فإذا دام الظل ينقص فإذا قام الظل
بمنزلة نصف النهار ولا يجوز في هذا الوقت الصلاة فإذا زاد الظل فمنزلة زوال الشمس في طول
ذلك الشيء الذي قستنا به طول الظل ذلك أول وقت الظهر فإذا زاد الظل بعد ذلك قدر ما
فقد دخل وقت العصر حتى يزيد الظل طول ذلك الشيء مرة أخرى فمنزلة وقت العصر الثاني في
ممنا قلباء زيد أن تقيس الظل بطولك فإن طولك سبعة أقدام بقدمك سوى قدمك التي

تنقص عليها فإذا أقبل الظل واستقبل الشمس بوجهه ثم رأى أو إنسانا يعلم طرف الظل بعلامة
ثم قيس من عقبه إلى تلك العلامة فإن كان بينهما أقل من سبعة أقدام أو سوى ما زال الناس عليه
الشمس من الظل فإنه في وقت الظهر ولم يدخل وقت العصر حتى يزيد الظل على سبعة أقدام
سوى ما تزول عليه الشمس من الظل فذلك وقت العصر ثم أن الأقدام تختلف في الشتاء
والصيف فمن بدء الظل وينقص في الأيام جميع مدته لذلك في استواء الليل والنهار لسبعة
يوما من آذار فإن الشمس تزول يومئذ وظل الإنسان ثلاثة أقدام وكذلك ظل كل شيء. نصفه
فإن الشمس تزول يومئذ وظل ذلك الظل كل الشيء ثلاثة أسباعه ثم ينقص الظل وكلما
مضى ستة وثلاثون يوما نقص الظل قدما حتى ينتهي طول النهار وقصر الليل في سبعة
عشر من حزيران فتزول الشمس يومئذ وظل الإنسان نصف قدم وذلك أقل ما تزول عليه
الشمس ثم يزيد الظل فكلما مضت ستة وثلاثون يوما زاد الظل قدما حتى يستوي الليل
والنهار في سبعة عشر يوما من أيلول فتزول الشمس يومئذ والظل على ثلاثة أقدام ثم
يزيد الظل فكلما مضى أربعة عشر يوما زاد الظل قدما حتى ينتهي طول الليل وقصر النهار
وذلك في سبعة عشر يوما من كانون الأول فتزول الشمس يومئذ على تسعة أقدام ونصف
قدم وذلك أكثر ما تزول الشمس يومئذ عليه ثم كلما مضى أربعة عشر يوما زاد الظل قدما
حتى ينتهي إلى سبعة عشر يوما من آذار منزلة استواء الليل والنهار وتزول الشمس على ثلاثة
أقدام وذلك لدخول الصيف وزيادة الظل ونقصانه الذي ذكرناه في كل ستة وثلاثين يوما
قدم في الصيف والخريف وزيادته في كل أربعة عشر يوما قدم في الربيع والشتاء هذا ذكره
بعض علماء المتأخرين من أهل العلم بالنجوم وقد ذكر غيره من القدماء قريبا من هذا وذكر زوال
الشمس بالأقدام في شهر وخالف هذا في حزيران من نهاية الطول والنقص قريبين يزكي أن
أقل ما تزول عليه الشمس في حزيران على قدمين وأن أكثر ما تزول عليه الشمس في كانون
ثمانية أقدام ولكن الأول أشهر وأخبر أو أقوم تحريرا وقد ذكر هذا أن الشمس تزول في
أيلول على خمسة أقدام وفي تشرين الأول على ستة وفي تشرين الآخر على سبعة وفي كانون
على ثمانية فإذا ذلك منتهى نقص النهار وطول الليل وهو أكثر ما تزول عليه الشمس قال
ثم ينقص الظل ويزيد النهار فتزول الشمس في كانون الآخر على سبعة أقدام وتزول
في نيسان على أربعة أقدام وتزول في أيار على ثلاثة وتزول في حزيران على قدمين فذلك
منتهى طول النهار وقصر الليل وهو أقل ما تزول الشمس عليه فيكون النهار خمسة عشر
ساعة والليل تسع ساعات وتزول في تموز على ثلاثة أقدام وفيه يستوي الليل
والنهار **وقد روينا** عن سفيان الثوري رحمه الله أكثر ما تزول عليه الشمس
لسبعة أقدام وأقل ما تزول عليه قدم وهذا أقرب إلى القول الأول في التقريب وقد
جاء في ذكر الأقدام لوقت الصلاة أثر من سنة فلذلك ذكرناهما ما يتوجه من غير ...
روينا عن أبي مالك سعد بن طارق الأشجعي عن الأسود بن يزيد أن ابن مسعود قال

كانت

كان قدر صلاة الظهر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصيف ثلاثة أقدام إلى خمسة
أقدام إلى خمسة أقدام وفي الشتاء خمسة أقدام إلى ستة أقدام **وفصل** الخطاب أن
معرفة الزوال بهذا التقدير ليس بفرض ولكن صلاة الظهر بعد يقين زوال الشمس بغير حسبان
زالت الشمس ومبلغ علمه ويقين قلبه ومنتهى عينيه وكانت الشمس على حاجبه الأيمن في
الصيف إذا استقبلت القبلة وقدر الثلث لا تنشأ بعد فصل الفيء أن يكون ظل كل شيء مثله فهذا
آخر وقت الظهر وأول وقت العصر ثم صل العصر إلى أن يصير ظل كل شيء مثليه فهذا وقت
الضرورات وهو مكروه إلا لمريض أو معذور **وروي** عن النبي صلى الله عليه وسلم
من أدرك من العصر ركعة قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر ومن أدرك من الصبح ركعة قبل
أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح فإذا كانت الشمس على حاجبك الأيسر وأنت مستقبل
القبلة في الصيف فإن الشمس لم تزل مبلغ علمك ومنتهى عينيك فإذا كانت بين عينيك في
استوائها في كبد السماء نحو عينيك ويصلح أن تكون قد زالت الضحى النهار وفي أول الشتاء
ومنها تكون زالت إذا طال النهار وتوسط الصيف فإذا صارت إلى حاجبك الأيمن فقد زالت
في أي وقت كان ثم إن هذا يختلف في الشتاء فإذا كانت على حاجبك الأيسر في الشتاء وأنت
مستقبل القبلة فيصلح أن يكون الضحى النهار في أول الشتاء وقد لا تكون زالت إذا قصر
النهار وفي أول الصيف فإذا كانت الشمس بين عينيك في الشتاء فقد زالت لا شك فيه فصل
الظهر فإذا صارت إلى حاجبك الأيمن فهذا آخر وقت الظهر في الشتاء وهو أول وقت الظهر
في الصيف وهذا التقدير إنما هو لأهل إقليم العراق وخراسان وهم يصلون إلى الركن الأسود
ويلي الباب من وجه الكعبة فأما إقليم المغرب واليمن فإن تقديرهم على ضد ذلك وقبلتهم
إلى الركن اليماني وإلى مؤخر الكعبة فلذلك اختلف التقدير وتضاد لاختلاف التوجه إلى
شطر البيت وتفاوت الأمصار في الأقاليم المستقيم نحوه فهذا كان تقدير المتقدمين وما
سوى ذلك من التدقيق والتحري يجزئ لأنه علم لا يسعه ومن أشكل عليه الوقت فجهل الزوال لغيم
أو لغيم اعترض فليتحر بقلبه وليجتهد بعلمه ولا يصلي صلاة إلا بعد يقين دخول وقتها وإن تأخر
ذلك فهو أفضل حينئذ ولكن قد جاء في الخبر ثلاث من قواعد الإيمان الصلاة في الصيف وإسباغ
الوضوء في الشتاء وتعجيل الصلاة في يوم الدجن ومن أمثال العرب يوم الدجن تضرب
فيه عنق السمور هذا أي الوقت في الغيم كأنه يغيب لغيبة الشمس فيغفل الإنسان عن
مراعاة الوقت أو يتشاغل عنه لأن العرب تقبل إلا على يقين وأما أن يصليها بعد دخول الوقت
على اليقين أفضل من أدائها في الوقت على الشك المتسع إلى قوله صلى الله عليه وسلم
فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين فلا يبني فيزول الأحسن إلا لليقين ومن صلى وهو يرى
أنه الوقت أو توجه إلى القبلة فيما يعلم ثم تبين له بعد أنه صلى قبل الوقت أو صلى لغير
القبلة نظر فإن كان في الوقت أو بعده فليعد إعادة الصلاة أحب إلي وإن كان الوقت قد خرج

ولا يخفى عليه وهو المعبر الخطاب واحب النبي ان يبعث تلك الصلاة متى ذكرها وقال بعض اهل
العلم ان للشمس سبعة ازولة ثلاثة منها لا يعلمها البشر الزوال الاول تزوله عن قطب
الفلك الاعلى لا يشعر به ولا يعلمه الا الله عز وجل والزوال الثاني عن وسط الفلك لا يعلمه
من خلق الله تعالى الا خزان الشمس الموكلون بها الذين يرمونها بجبال الثلج لينكسر حرها
ويخبو اشتعالها عن العالمين ويسر فوقها على العجلة المركبة في الفلك والزوال الثالث
يعلمه ملائكة الارض ثم ان الزوال الرابع يكون على ثلاث دقائق وهو ربع شعيرة وال
والشعيرة جزء من اثني عشر جزءا من ساعة يعلمه الزوال بعد هذا الا سبعة المنجمين
اهل العلم بمساحة الفلك وتركيب الابراج وتقويم سير الشمس في الشتاء والصيف
في فلكها فهم يعرفون ذلك بالنظر في المجلات الطالعة على التقويم فاذا زالت الشمس
الزوال الخامس نصف شعيرة وهي ست دقائق عرف زوالها اهل الحساب والتقاويم ب
بالاصطرلاب الطالع فاذا زالت شعيرة وهو الزوال السادس المستقيم وهو جزء من اثني
عشر جزءا من ساعة عرف زوالها علماء المؤذنين واصحاب مراعاة الاوقات فاذا زالت
ثلاث شعيرات فهو الزوال السابع وهو ربع ساعة عرف الناس كلهم زوالها وعند هذا
الوقت صلاة الكافة وهو اوسط الوقت واوسعه وذلك واسع برحمة الله سبحانه و
تعالى ورحمته وهذا كله لبعد منصب السماء واستواء تقويم صنعتها في الافق الاعلى
ولا تعارض صنعتها في الجو المخرق علوا وفي الاقطار المتسعة المستديرة استواء و
ولسلاسة فقد روي في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام
هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف هذا فقال من قولي لا الى نعم قطعت من الفلك
خمسين الف عام فكان النبي صلى الله عليه وسلم سأله عن زوالها على علم الله سبحانه
وتعالى به وقد قال بعض العلماء سعة ان السماء تدور كما يدور الرحى فتدور الاملاك بدورانها
على القطب ولكن لا يرى ذلك منها لبعدها وعلوها وتقويم استدارتها وقد ذكر بعض
العلماء من السلف فتبارك الله رب العالمين احسن الخالقين وذكر بعض العارفين
العجب من هذا والطف من قدرة الله عز وجل وعجيب صنعه وذكر ان الليل والنهار اربعة
وعشرون ساعة وان الساعة اثنا عشر دقيقة كل دقيقة اثنا عشر شعيرة وكل
شعيرة اربعة وعشرون نفسا فتنقضي الانفاس من خزانة الجسم فيفنى الشعير
ويفنى الشعير فتنقضي الدقائق فتفنى الساعات وتفنى الساعات فتفنى الايام
وتفنى الايام فيفنى الليل والنهار في الحدود والاقطار ويفنى الليل والنهار فتفنى
السماء في الافاق ويفنى الحساب بالتفصيل فاذا اخفيت الانفاس تقطعت
الانفاس انعكست الاملاك فعندها تنتثر النجوم وتنشق السماء وتخرب الكرة دار
ويبطل دار القرار فسبحان الله الصادقين وافهم الغافلين وقد قال سبحانه

وتعلى

وتعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت وقال سبحانه وتعالى يوم نطوي السماء مر بعض
ثم يدور فسبحان اللطيف الحكيم الذي زينها بالافلاك الدوارة لا تعلم الا انفاس الطالب كما
يحجب الفلك الكثيف بسنن الفضاء اللطيف والفلك العظيم يحجب السماء والفضاء الرقيق
يحجب الفلك لاقتدارها سبحانه وتعالى ان يريك السماء واحب ان يخفي عنك الفلك فلم تر الا ما
اراك وانما العبد هو سبب لزلله ومحو لزلله ولا ينتفع بذلك بمرارات الانفاس وانفاسه
ساعاته وساعاته عمره واجله واجله اخرته وهو في غفلة يريد وفي لعب ما يهواه فان
نظر الى السماء رأيتها تشتبه لانفاسه وان نظرت الى الانفاس رأيتها تمر مر الافلاك وان نظر
في فوق المعوق عيينا عما سواه فلا اله الا هو رب العرش العظيم صنع الله الذي اتقن كل
شيء ان ربي لطيف لما يشاء سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم وفي الارض آيات
للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون نسبح كرمه نحسني
ونخفيها الا شفق واما صلاة المغرب فافضل ما صليت فيه اذا توارى حاجب الشمس الا على
وهو غيبتها على ان لا يصال روي عن عمر رضي الله عنه انه اخر صلاة المغرب ليلة حتى طلع
نجم فاعتق رقبة وروي ان ابن عمر رضي الله عنه اخر المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين
وافضل ما صليت فيه عشاء الاخرة اذا غاب البياض الغربي والظلمة وهو الشفق الثاني
الى ما بعد ذلك فيما بينهم كما افضل الى ربع الليل فاما بعد ذلك والنوم قبلها مكروه شتر بر ووقتها
حسن في سنة ان يصليها بمقدار غيبة القمر ليلة ثالثة من الشهر وهذا يكون بعد سبع ونصف
من الليل لانه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي عشاء الاخرة لسقوط
القمر ليلة ثالثة وافضل ما صليت فيه صلاة الصبح اذا طلع الفجر الثاني وهي الصلاة
الوسطى التي امر الله تبارك وتعالى بالمحافظة عليها لانها تختص بمعان ثلاث من التوسط
لا توجد في سائر الصلوات منها انها بين الليل والنهار والثاني انها بين صلاتين من صلاة
الليل وصلاتين من صلاة النهار والثالث انها متوسطة بين صلاتين جهر وصلاتين
مخافتة وايضا فانها افضل الصلوات عددا لانها ثلاث ولا اربع فلما اقتضت بتوسط هذه المعاني
دون غيرها كانت هي الوسطى وايضا فان الله سبحانه وتعالى نبه على ذكر الفجر في قوله
عز وجل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا وقيل في التفسير يشهده ملائكة الليل
والنهار ومكان هذا ذكر الله بوصف اخر وكثير من الصحابة عليها فان صح الخبر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر بطل ما قلناه وتبين
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه هو الحق وبه نقول ولا احسب الخبر الا ثابتا
وفرجا بانشر الترجيح اخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال هي التي
شغل عنها اخي سليمان حتى توارت بالحجاب والسنة ان يقرأ في صلاة الصبح بسورة
من المثاني او بطوال المفصل لانها فوتت وعوض منها طول القيام فان كان اجمع للمصلين
واكثر لعددهم اذا توسط الوقت فحسن قبل ان تمحق النجوم واقل ان يسفر حتى يتبين البياض

تحت الجمرة منزلة هو شعاع شيء من الشمس وان كنت واصلا فيها بغلس في الغلس افضل والمحافظة على اوايل الاوقات من كل صلاة من افضل الاعمال اذ ذاك من تاخير صلاة عشاء الاخرة لثلث الليل فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الصلاة في اول الوقت على الصلاة في اخر الوقت كفضل الاخرة على الدنيا **وفي الخبر** ان العبد يصلي الصلاة في اخر وقتها ولما فاته من الوقت الاول خير له من الدنيا وما فيها والخبر المشهور ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي الاعمال افضل فقال الصلاة لوقتها وقد جاء في الاخبار الوقت الاول رضوان الله عز وجل والوقت الاخير عفو الله تبارك وتعالى فينبغي رضوان الله عز وجل يكون للمحسنين وعفو الله سبحانه وتعالى يكون عن المقصرين والوقت الاول من كل صلاة متنعمة الدين وطريق المتقين للصلاة المحافظين والوقت الثاني رخصة في الدين وسعة من الله عز وجل ورحمة للعالمين

الفصل الحادي عشر فيه كتاب فضل الصلوات

في الايام والليالي في ذكر ما جاء في صلوات النهار من الفضايل روينا عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء واذا دخلت الى منزلك فصل ركعتين يمنعانك من مدخل السوء سعيد ابن ابي طويل سمع انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في صلاة الصبح من توضا ثم توجه الى المسجد يصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة بعشر امثالها فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فان جلس حتى يركع كتب الله له بكل جلسة الف الف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة عطاء ابن يسار عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى اربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون الف ملك يستغفرون له حتى الليل ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع اربعا بعد الزوال يطيلهن ويقول ان ابواب السماء تفتح هذه الساعة واحب ان يرفع لي فيها عمل قبل يا رسول الله فيهن سلام فاصل قال لا وروي عنه صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا صلى اربعا قبل العصر وروي عن سعيد عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الجمعة اربع ركعات يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب والرسول مرة كتب الله عز وجل له بعدد كل نوع نبي وبني اثنية حسنات واعطاه ثواب نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة الف صلاة واعطاه الله عز وجل في الجنة بكل حرف مدينة من مسك اذفر **وروينا عن علي** عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وحدوا الله تبارك وتعالى بكثرة الصلاة يوم الاحد فانه سبحانه وتعالى واحد لا شريك له فمن صلى يوم الاحد بعد صلاة

الظهر اربع ركعات بعد الفريضة والسنة فقرا في الركعة الاولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام فصلى ركعتين اخريين قرا فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسال الله تعالى حاجته كان حقا على الله سبحانه وتعالى ان يقضي حاجته وبري بيده مما كانت النصارى عليه **ابي الزبير** عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واية الكرسي مرة وقل هو الله احد مرة والمعوذتين مرة فاذا سلم استغفر الله عز وجل عشر مرات غفر الله عز وجل له ذنوبه كلها **ثابت البناني** عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاثنين اثني عشر ركعة يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب واية الكرسي مرة فاذا فرغ من صلاته قرا اثني عشر مرة قل هو الله احد واستغفر الله عز وجل اثنتي عشرة مرة ينادى به يوم القيامة اين فلان بن فلان ليقم فليأخذ ثوابه من الله عز وجل فاول ما يعطى من الثواب الف حلة ويتوج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة الف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدور على الف قصر من نور يتلالا **ذكر صلاة الثلاثا** يزيد الرقاشي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الثلاثا عشر ركعات عند انتصاف النهار وفي لفظ حديث اخر عند ارتفاع النهار يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب واية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلاث مرات لم يكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما فان مات الى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة **ذكر صلاة يوم الاربعا** ابو ادريس الخولاني عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاربعا اثني عشر ركعة عند ارتفاع النهار يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد ثلاث مرات والمعوذتين ثلاث مرات نادى به ملك عند العرش يا عبد الله استانف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ورفع الله عز وجل عنه عذاب القبر وظلمته وضيقه ورفع عنه شدائد القيامة ويرفع له من يومه عمل نبي

ذكر صلاة يوم الخميس

روينا عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الخميس ما بين الظهر والعصر ركعتين يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واية الكرسي مائة مرة وفي الركعة الثانية فاتحة الكتاب مرة ومائة مرة قل هو الله احد ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة اعطاه الله عز وجل ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من امن بالله عز وجل وتوكل عليه

ذكر صلاة يوم الجمعة

رويناه عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الجمعة صلاة كله ما من عبد مؤمن قام إذا استقبلت الشمس وارتفعت قدر رمح أو أكثر من ذلك فتوضأ ثم أسبغ الوضوء فصلى تسبيحة الضحى ركعتين إيمانا واحتسابا كتب له مائتي حسنة ومحي عنه مائتي سيئة ومن صلى أربع ركعات رفع الله تبارك وتعالى له في الجنة أربعمائة درجة ومن صلى ثمان ركعات رفع الله عز وجل له في الجنة ثمانمائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى اثني عشر ركعة كتب الله عز وجل له ألفا ومائتي حسنة ومحي عنه ألفا ومائتي سيئة ورفع له في الجنة ألفا ومائتي درجة **أبو صالح** عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الجمعة في جماعة ثم جلس في المسجد يذكر الله سبحانه وتعالى حتى تطلع الشمس كان له في الفردوس سبعين درجة بعد ما بين الدرجتين حضر الفرس المضمر سبعين سنة ومن صلى صلاة الجمعة في جماعة كانت له في الفردوس خمسين درجة حضر الفرس الجواد خمسين سنة ومن صلى العصر في جماعة فكأنما أعتق ثمانية من ولد إسماعيل كلهم رب البيت ومن صلى المغرب في جماعة فكأنما حج حجة مبرورة وعمرة متقبلة نافع قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات قبل صلاة الجمعة قرأ في كل ركعة الحمد وقل هو الله أحد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له

ذكر صلاة يوم السبت

سعيد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم السبت أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل يا أيها الكافرون ثلاث مرات فإذا فرغ وسلم قرأ آية الكرسي كتب الله عز وجل له بكل حرف حجة وعمرة ودفع له بكل حرف أجر سنة صام نهارها وقام ليلها وأعطاه الله بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرشه مع النبيين والشهداء

فضل صلاة الجماعة

أبو كامل عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى أربعين يوما في جماعة لا تفوته التكبيرة الأولى مع الإمام كتب الله عز وجل له براءتين براءة من النار وبراءة من النفاق

ذكر ما جاء في صلوات الليالي وما دخل فيه من الصلاة بين العشائين

صلاة ليلة الأحد عن مختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله أحد

خمسين

خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة ثم استغفر الله سبحانه وتعالى مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى علي مائة مرة وتبرأ من حوله وقوته إلى حول الله عز وجل وقوته وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن آدم صفوة الله تبارك وتعالى وفطرته وإبراهيم خليل الله عز وجل وموسى كليم الله وعيسى روح الله سبحانه وتعالى ومحمدا صلى الله عليه وسلم حبيب الله تبارك وتعالى كان له من الثواب بعدد من دعا لله عز وجل ولدا وبعثه الله تبارك وتعالى يوم القيامة مع الآمنين وكان حقا على الله سبحانه وتعالى يوم القيامة أن يدخله الجنة مع النبيين

فضل صلاة ليلة الاثنين

رويناه عن الأعمش عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات يقرأ في الركعة الأولى الحمد لله وقل هو الله أحد عشر مرات وفي الركعة الثانية الحمد وقل هو الله أحد عشرين مرة وفي الركعة الثالثة الحمد وقل هو الله أحد ثلاثين مرة وفي الركعة الرابعة الحمد مرة وقل هو الله أحد أربعين مرة ثم يسلم ويقرأ قل هو الله أحد خمسا وسبعين مرة واستغفر لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة وصلى على محمد خمسا وسبعين مرة ثم سأل الله سبحانه وتعالى حاجته كان حقا على الله عز وجل أن يعطيه سؤله ما سأل وهي تسمى صلاة الحاجة القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاثنين ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق خمسة عشر مرة وقل أعوذ برب الناس خمسة عشر مرة ويقرأ بعد التسليم خمسة عشر مرة آية الكرسي ويستغفر الله سبحانه وتعالى خمسة عشر مرة جعل الله عز وجل اسمه في أصحاب الجنة وإن كان من أصحاب النار وغفر له ذنوب السر وذنوب العلانية وكتب له بكل آية قرأها حجة وعمرة وإن مات ما بين الاثنين إلى الاثنين مات شهيدا **ذكر صلاة ليلة الثلاثاء** في الخبر من صلى ليلة الثلاثاء اثني عشر ركعة في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وإذا جاء نصر الله خمسة عشر مرة بنى الله له بيتا في الجنة عرضه وطوله وسع الدنيا سبع مرات **ذكر صلاة ليلة الأربعاء** في الخبر من صلى ليلة الأربعاء ركعتين في أول ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل أعوذ برب الناس عشر مرات تنزل من كل صلاة بالسماء سبعون ألف ملك يكتبون ثوابه إلى يوم القيامة **فضل صلاة ليلة الخميس** أبو صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله أحد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فإذا فرغ من صلاته استغفر الله تبارك وتعالى خمسة عشر مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد أدى حقهما وإن كان عاقا لهما وأعطاه الله سبحانه وتعالى ما يعطي الصديقين والشهداء **فضل صلاة الجمعة** أبو جعفر محمد بن علي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء

اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد عشر مرات والكمال بالكمال
عند الله سبحانه وتعالى اثنتي عشرة سنة صام نهارها وقام ليلها وروينا عن ابن كثير بن سليم
عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة عشاء الآخرة
في جماعة وصلى ركعتين السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد مرة وقل
هو الله أحد مرة والمعوذتين مرة ثم أوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الأيمن ووجهه إلى القبلة
فكأنما أحيا ليلة القدر وقال النبي صلى الله عليه وسلم أكثروا علي من الصلاة في الليلة
الغراء واليوم الأزهر يعني ليلة الجمعة ويوم الجمعة **فصل صلاة** ليلة السبت كثير
بن سليم عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى ليلة السبت بين
المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصرا في الجنة وكأنما تصدق على كل مؤمن
ومؤمنة وتبرأ من اليهودية وكان حقا على الله عز وجل أن يغفر له

فضل الصلاة بين المغرب والعشاء

وما يحتج به في ذلك الوقت في كل ليلة روينا عن سليمان التيمي أن رجلا حدثه قال لعبيد
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر
بالصلاة غير المكتوبة قال ما بين العشاء والمغرب **أبو عمر** سمع محمد بن المنكدر يحدث
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى ما بين المغرب والعشاء فإنها من صلاة الأوابين
عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال ما أتيت عبد الله بن مسعود في تلك الساعة
إلا وجدته يصلي فقلت له في ذلك فقال نعم ساعة الغفلة يعني بين المغرب والعشاء
وسئل مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي شيء كان يصنع النبي صلى الله
عليه وسلم بين المغرب والعشاء إذ دخل بيته قال يصلي كان ثابت البناني قال كان أنس
بن مالك يصلي ما بين المغرب والعشاء يقول هي ناشئة الليل **حدثنا** عن فضيل
بن عياض عن أبان عن أبي عياش قال سألنا أو أتينا أنس بن مالك فقلنا إذا رقد قبل العشاء
فنهاها وقال نزلت هذه الآية فيما بينهما تتجافى جنوبهم عن المضاجع **حدثنا** عن أحمد
بن الحواري قال قلت لأبي سليمان الداراني أصوم النهار وأفعل فأتعشى بين المغرب والعشاء
أحب إليك أو أفطر بالنهار وأحيي ما بينهما فقال إن جمعتهما فهو أفضل فقلت فإن لم
يستو لي قال فأفطر بالنهار وصل بين المغرب والعشاء هشام بن عروة عن أبيه عن
عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أفضل الصلوات عند الله عز
وجل صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار
فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة من ذهب أو فضة
ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر الله له ذنوب عشرين سنة أو قال أربعين سنة
أبو سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ست ركعات

بعد

بعد المغرب عدلت له عبادة سنة أو كأنه صلى ليلة القدر سعيد بن جبير عن ثوبان قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة
لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآن كان حقا على الله سبحانه وتعالى أن يبني له قصرين في الجنة
مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه أهل الدنيا لوسعهم
محمد ابن الحجاج سمع عبد الكريم بن الحارث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
قال من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بني له قصر في الجنة فقال عمر إذا تكثر
قصورنا يا رسول الله قال الله عز وجل أكثر وأفضل أو قال وأطيب أبو عمر أيمن السعدي
وأبو حفص العوفي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى
الله عليه وسلم من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولم يتكلم بشيء فيما بينهما
ثم له من أول الرتيبة يقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وعشر آيات من أول البقرة ثم
آيتين من وسطها وهي وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إن في خلق السماوات
والأرض إلى آخر الآية وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد فإذا هو قرأ في
الركعة الثانية قرأ بفاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها إلى قوله تبارك
وتعالى أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وثلاث آيات من آخر البقرة من قوله عز وجل
لله ما في السماوات إلى آخرها وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة بني له في جنات عدن ألف
مدينة من الدر والياقوت في كل مدينة ألف قصر ألف دار في كل دار ألف حجرة في كل حجرة ألف
صفة في كل صفة منها ألف خيمة في كل خيمة ألف سرير من أصناف الجوهر على كل سرير ألف
فراش بطائنها من استبرق وظواهرها من نور منضد وألف وجنة من ضروب الطرب من الشراب
وألف ضرب من الطرب لا أحد فوق ذلك العرش زوجة من الحور العين لا تؤذيه بشيء لا زالت
عليه حالا وكمالا لا يراها ملك مقرب ولا نبي مرسل لا فتنتني بحسنها فرط الكمال
ما بين طرف السرير على كل زوجة منهن ألف حلة لا تراد في حلة حلة ولا تبالي في الحلل الحلل
الحلل يرى بعضها من تحت بعض كما يرى السلك من الياقوتة وكما يرى الشراب الأحمر من
الزجاجة البيضاء لكل زوجة منهن ما بين ألف وصيفة وما بين العجائب وما بين الألف
غلمان على قصورها أو قيام عندها هذا لمن أخلصه لربه من قوم زوجها في كل خيمة منهن نهر من
التسنيم ونهر من الكوثر وعين من الكافور وعين من الزنجبيل وعين من السلسبيل وغصن
من شجرة طوبى وغصن من سدرة المنتهى في كل خيمة ألف مائدة من الدر والياقوت أحمر في
مائدة منها مثل استدارة الدنيا مرتين في كل مائدة منها ألف صحفة محلاة من ذهب مكللة
بالدر والجوهر في كل صحفة منها ما بين ألف لون من طعام مختلف طعمه ولونه وريحه وفرادة
يعطي الله سبحانه وتعالى وليه المؤمن من القوة ما يأتي على تلك الأطعمة وتلك المنازل
وما في علو وليه الأزواج كلهن على مقدار يوم من أيام الدنيا فسبحان الله الملك الوهاب
القادر على ما يشاء رب العالمين **عبد الرحمن بن منصور** عن سعد بن سعيد عن كرز بن

وبه قال وكان ورد من الابدال قال قلنا للخضر عليه السلام علمني شيئا اعمله في
ليلتي فقال اذا صليت المغرب فقم الى صلاة عشاء الآخرة مصليا من غير ان تكلم احدا واقبل
على صلاتك التي انت فيها وسلم في كل ركعتين واقرأ في كل مرة بفاتحة الكتاب
مرة وقل هو الله احد ثلاثا فاذا فرغت من صلاتك انصرف الى منزلك ولا تكلم احدا وصل
ركعتين واقرأ بفاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد
تسليمك واستغفر الله سبحانه وتعالى سبع مرات وصل على النبي صلى الله عليه وسلم
سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع راسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل
يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام يا اله الاولين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة
ورحيمهما يا رب يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وانت رافع يديك فادع بهذا الدعاء
ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي صلى الله عليه وسلم وادم
الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم فقلنا له احب ان تعلمني ممن سمعت هذا فقال اني
حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء واوحي اليه به وكنت عنده وكان
ذلك بمحضري فتعلمته ممن علمه اياه وقيل ان هذه الصلاة وهذا الدعاء من داوم عليه بحسن
يقين وصدق نية رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه قبل ان يخرج من الدنيا
وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى انه دخل الجنة ورأى فيها الانبياء ورأى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكلمه وعلمه ولهذا فضايل كثيرة اختصرناها للايجاز

الفصل الثاني عشر في ذكر الوتر وفضله وفضل الصلاة بالليل

عن مبارك بن عوف الاحمسي عن عمر بن الخطاب قال ان الاكياس يوترون اول الليل والاقوياء
يوترون آخر الليل وهو افضل وقد يروى في خبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ابا
بكر رضي الله عنه متى توتر فقال من اول الليل قبل ان انام وقال لعمر رضي الله عنه
متى توتر فقال من آخر الليل فقال لابي بكر حذر هذا وقال لعمر قوي هذا وفي بعض الاخبار
انه قال لابي بكر مثلك كالذي قال احرزت نهبي وابتغي النوافل وقال لعمر انك لقوي
مكين. روينا عن عثمان رضي الله عنه انه قال اما انا فاني اوتر اول الليل فاذا
استيقظت صليت ركعة شفعت بها وتري فما شبهتها الا كالغريبة من الابل ضممتها
الى اخواتها ثم اوترت من آخر صلاتي والمشهور عنه من فعله انه كان يحيي الليل كله بركعة
واحدة يختم فيها القرآن وهي وتره. وروينا عن علي عليه السلام انه قال الوتر
على ثلاثة انحاء ان شئت اوترت اول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين وان شئت اوترت

ركعة فاذا استيقظت شفعتها الى اخرى ثم اوترت من آخر الليل وان شئت اخرت الوتر حتى
يكون آخر صلاتك

وفي حديث ابن عمر

صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خشيت الصبح فاوتر بركعة وهذا احب الوجوه الي وقال
مجاهد قال عبد الله بن عمر من صلى اربعا بعد العشاء كن كعدلهن من ليلة القدر قال حصين
بن ذكرت ذلك لابراهيم فقال كان عبد الله بن مسعود يكره ان يتبع كل صلاة مثلها وكانوا
يصلون العشاء ثم يصلون ركعتين ثم اربعا فمن بدا له ان يوتر اوتر ومن اراد ان ينام نام
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتروا يا اهل القرآن وقالت عايشة رضي الله
عنها من كل الليل قد اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم من اوله واوسطه وانتهى وتره
الى السحر وفي الخبر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر عند الاذان ويصلي ركعتين
عند الاقامة وسال رجل عليا عليه السلام عن وقت الوتر فسكت عنه ثم خرج اليهم عند
الاذان لصلاة الفجر فقال اين السايل عن الوتر هذا وقت حسن. ابو امامة عن عمرو
بن عبسة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اقرب ما يكون الرب
عز وجل من العبد جوف الليل الآخر فان استطعت ان تكون ممن يذكر الله سبحانه وتعالى
في تلك الساعة فكن. ابو ذر الغفاري قال قلت يا رسول الله اي الليل الصلاة فيه
افضل قال نصف الليل الغابر يعني الباقي وسال رسول الله صلى الله عليه وسلم
جبريل عليه السلام اي الليل اسمع فقال ان العرش يهتز من السحر وقد روي في خبر ان
في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله الكريم خيرا الا اعطاه وفي خبر يصلي او يدعو
الا استجاب له وهي في كل ليلة وقال ان في الليل وقتا لا يريد ان ينام فيه او تغفل كل عين
الا الحي القيوم ولعلها هذه الساعة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مضى
نصف الليل وفي لفظ آخر اذا بقي ثلث الليل الآخر نزل الجبار سبحانه وتعالى الى سماء الدنيا
فقال لا يسال عن عبادي غيري هل من تائب فاتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له هل من
داع فاستجيب له هل من سايل فاعطيه كذلك حتى يطلع الفجر وفي حديث عمرو بن عبسة
عليكم بصلاة آخر الليل فانها مشهودة محضورة يعني يحضرها ملايكة الليل وملايكة النهار

الفصل الثالث عشر في كتاب جامع

ما يستحب ان يقول العبد اذا استيقظ من نومه للتهجد وفي يقظته عند الصباح ليقل اذا
استيقظ من منامه بكرة اصبحنا واصبح الملك لله والعظمة لله والسلطان لله والقدرة
لله والعزة لله عز وجل اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم وملة ابينا ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين الحمد لله احيانا بعدما اماتنا

والبه النشور اللهم انا نسألك ان تبعثنا في يومنا هذا الى كل خير ونعوذ بك ان نجترح فيه
سوءا او نجره الى مسلم فانك قلت وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم
يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر
حسبانا اسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه واعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم الله ما
شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله
ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله رضينا بالله عز وجل ربا وبالاسلام دينا وبمحمد
نبيا ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ويقرا المعوذتين فاذا امسى يقول
مثل ذلك كله الا انه يقول امسينا وامسى الملك لله عز وجل اسألك خير هذه الليلة ولا
يدع ان يقول في كل ليلة بسم الله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا
في السماء وهو السميع العليم اعوذ بكلمات الله التامات واسمائه كلها من شر ما ذرا وبرا
ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة انت اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم وان
دخل عند دخوله الخلاء وقت السحر كان افضل لئلا يشتغل عن الذكر فجعله في اخر النهار
او في الليل فقد فعل ذلك كثير من الصالحين وهو حسن الا ان دخول الخلاء عند الصباح اصلح
للجسم من جهة الطب وانظف للطهارة سيما لمن ياكل بالنهار

ذكر ما يستحب من القول

اذا اخذ العبد مضجعه للنوم ليقل باسمك ربي وضعت جنبي وباسمك ارفعه اللهم ان امسكت
نفسي فاغفر لها وارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين وعلم رسول
الله صلى الله عليه وسلم البراء بن عازب ان يقول اذا اخذ مضجعه اللهم اني وجهت وجهي اليك
وفوضت امري اليك والجأت ظهري اليك رهبة ورغبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك
امنت بكتابك الذي انزلت وبرسولك الذي ارسلت وروي عن النبي صلى الله عليه و
سلم انه كان يقول عند النوم اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك وانه امر ان يقال
الحمد لله الذي علا فقهر الحمد لله الذي بطن فخبر الحمد لله الذي ملك فقدر الحمد لله الذي
يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير **وليقل** بعد ذلك اللهم اني اسألك الراحة بعد
الموت والعفو عند الحساب واعوذ بك من غضبك وسوء عقابك وشر عبادك ومن شر الشياطين
وشركهم وليقرا خمسا من اول سورة البقرة وثلاثا من اخرها واية الكرسي والايتين
اللتين بعدها وليقرا قوله عز وجل والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم والايتين اللتين
بعدها الى قوله عز وجل لقوم يعقلون ويقال من قرا هذه الاي عند منامه حفظ عليه
القران فلم ينسه ولا يدع ان يقرا اخر بني اسرائيل لا تثنى قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن وعشر ايات من سورة الاعراف ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في
ستة ايام فانه يدخل في اشعاره ملك يوكل بحفظه ويستغفر له **وليقرا** الخمس

من اول

من اول سورة الحديد والثلاث من اخر سورة الحشر وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد
والمعوذتين فيتوسد بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده كذلك روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قوله وفعله وليقرا عشر ايات من اول الكهف وعشرا من اخرها وهذه
الاي لقيام الليل وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقراءة قل يا ايها الكافرون عند
النوم وكان علي عليه السلام يقول ما ارى ان رجلا مستكمل عقله ينام قبل ان يقرا
الايتين من سورة البقرة اخرها وليقل اللهم ايقظني في احب الساعات اليك
واستعملني باحب الاعمال اليك الذي يقربني اليك زلفى ويبعدني من سخطك بعدا اسألك
فتعطيني واستغفرك فتغفر لي وادعوك فتستجيب لي اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك
ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين فقد قيل من قال هذه الكلمات
عند نومه ابعث الله سبحانه وتعالى ثلاثة املاك يوقظونه للصلاة فان صلى ودعا امنوا
على دعائه وان لم يقم تعبدت الاملاك في الهواء وكتب له ثواب عبادتهم ثم يسبح ثلاثا وثلاثين
مرة ويحمد ثلاثا وثلاثين مرة ويكبر اربعا وثلاثين مرة وان احب ان يقولها خمسا وعشرين
مرة ليجمع مائة كلمة وهو احب اليه فعل ومنه **روينا** عن [illegible] عن الشعبي عن
عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخر ما يقول حين
ينام وهو واضع يده على خده اليمنى وهو يرى انه مقبوض في تلك الليلة اللهم رب السموات
السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء منزل التوراة والانجيل والفرقان فالق الحب
والنوى اعوذ بك من شر كل دابة انت اخذ بناصيتها اللهم انت الاول فليس قبلك شيء وانت
الاخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء
اقض عني الدين واغنني من الفقر ويسبح ثلاثا وثلاثين مرة ويحمد ثلاثا وثلاثين
مرة وان شاء ربعها خمسا وعشرين وزاد فيها التهليل ليجتمع له مائة كلمة وهو احب
اليه لموافقته قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقربا اليه ادبار الصلوات في
الخمس وعند النوم فهذا جامع ما يستحب من قراءة الاي والدعاء عند النوم

ذكر هيئة العبد عند النوم

والتهيؤ للمضجع ومعنى الاعتبار بذلك بعين الاستبصار يستحب للعبد ان ينام على طهارة سابغة
ولا يمسح اعضاءه مسحا وقد كانوا يستحبون السواك عند النوم وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يفعله وقد كان بعض السلف يجعل عند راسه سواكه وطهوره فاذا انتبه
من الليل استاك ومسح اعضاءه ثلاثا وكانوا يذكرون الله عز وجل بالتلاوة والتسبيح في
تقلبهم ويعدون هذا بعدل قيام الليل وقد روي هذا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن
غيره وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه وانه كان يستاك في كل ليلة مرارا
عند نومه ومن نومه ويجعل العبد طهوره وسواكه عند راسه وينوي قيام الليل واي وقت

استيقظ من نومه صلى أو قعد وقرأ أو دعا وذكر الله عز وجل واستغفر أو تفكر في آياته
وعظمته وعلمه وقدرته فهذه أحسن وجه أخذ من هذه المعاني فهو ذكر وقد استعمل ذلك وجمعه
ونيته إلى الله عز وجل وهو فضل من الله تعالى ورحمة عليه ولا ينبغي للعبد أن يبيت وله
شيء يوصي فيه إلا ووصيته مكتوبة عنده فإنه لا يأمن الفجأة بالوفاة وقد قرب ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك في قوله لا ينبغي لعبد أن ينام ليلتين وله
شيء يوصي فيه إلا ووصيته مكتوبة عنده ويقال من مات من غير وصية لم يؤذن له في
الكلام في البرزخ إلى يوم القيامة فيتزاور الأموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيما
بينهم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات عن غير وصية فيكون ذلك حسرة عليه فيهم
وموت الفجأة تخفيف ومستحب للمؤمن العفيف التواب الذي لا مال له ولا دين عليه فأما
المتعلق بالدين والمخلط في الدين ومن له مال وهو مقيم على حال فإن موت الفجأة له
عقوبة ومكروه ولا ينبغي للعبد أن يبيت إلا تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع
المسلمين لا يحدث نفسه بظلم أحد ولا يعقد على خطيئة إن استيقظ وقد جاء في الخبر
من أوى إلى فراشه لا ينوي بظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم وليستقبل في نومه
القبلة واستقبال القبلة على ضربين إن كان مستلقيا فاستقباله القبلة أن يكون
وجهه إليها مع أخمص قدميه كحال الميت المسجى وإن كان على جنبه فاستقباله القبلة
أن يكون وجهه إليها مع شقه الأيمن كهيئة الملحد في قبره فيستحضر البعد عن قريب وليذكر
بقومه على هذه الحالة التي يأتي عند موته وحين اضطجاعه في قبره وقد قال
الله عز وجل ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا أي تجمعهم أحياء على ظهرها
وأمواتا في بطنها وهو مذهب أهل التفسير وأمواتا في بطونها وقد جعل الله تعالى النوم
من آياته الدالة عليه لأهل السمع منه وهو سمع اليقين وقرنه بأنه تفضل من فضله
وقال تعالى ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات
لقوم يسمعون وكان فقراء أهل الصفة وبعض زهاد التابعين إذا رقدوا لا يجعلون
بينهم وبين الأرض شيئا فكان أحدهم يباشر التراب بجلده ويطرح ثوبه فوقه ويقول
منها خلقناكم وفيها نعيدكم كأنهم ذكروا التراب مع علمهم أنه الوفاة منه فيرون ذلك
أرق لقلوبهم وأبلغ في تواضعهم ومثل النوم عند أهل الاعتبار مثل البرزخ هو
بين الدنيا والآخرة كذلك النوم بين الحياة والموت فإذا كشف حجاب النوم ظهرت
الدنيا بالحقيقة وكذلك إذا كشف الغطاء ظهرت الآخرة بالقدرة فصارت الدنيا
كالأحلام في النوم وقد قال الله عز وجل وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم
بالنهار ثم يبعثكم فيه وكان بعضهم يقول عجبا لمن يعصي الله عز وجل ثم ينام بعد
ذلك وذكر بعض العلماء عن الله عز وجل إن كنتم تعصوني فاخرجوا من بساطي ولا تناموا
في قبضتي وقال لقمان لابنه يا بني إن كنت تشك في الموت فلا تنم فكما أنك تنام

فكذلك

فكذلك تموت وإن كنت تشك في البعث فلا تنتبه فكما أنك تنتبه بعد نومك
فكذلك تبعث بعد موتك فليذكر العبد عند نومه حين موته وليعلم أن الله عز وجل يكون
له بعد موته كما كان العبد له قبل نومه فلينظر على أي حال نام وعلى أي شيء نام المترتب
عليه وليتذكر بانتباهه البعث فإن العبد يبعث من قبره على ما مات وما مات عليه في
الدنيا فيبعث بهمه وبحبه ومع محبوبه كما ينتبه النائم عن همه إلى محبوبه الذي نام عنه
وفي الخبر المرء مع من أحب وله ما احتسب وروي عنه صلى الله عليه وسلم من مات
على مرتبة من المراتب بعث عليها يوم القيامة **وروينا** عن كعب الأحبار قال إذا
نمت فاضطجع على شقك الأيمن واستقبل القبلة بوجهك فإنها وفاة **بيان**
. أخي من الاعتبار لأهل النهى والتذكار وليعلم العبد أن الله عز وجل يكون له بعد
بعثه من قبره كما كان العبد له بعد بعثه من نومه فلينظر إلى أي حال ينبعث وإن كان العبد
ليحق موته فكم متأوه وحم مات معطفا ولم يضار منه مسارعا كان الله له في آخرته لوجهه مكرما و
ولشأنه معظما وإن يحبو بدومه ثم ند من النعيم المقيم قسما وإن كان العبد يحق موته فمثله وذل
وباء مستخف ولشعائر مستصغرا كان الله تعالى له مهينا ولشأنه محتقرا وقد قال الله
عز وجل وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء. ثم
قال قليلا ما تتذكرون فرجا لهم بذلك وقال في فتنة أفنجعل المسلمين كالمجرمين ثم قال
ما لكم كيف تحكمون ثم أثنى معاتبا لهم أقالهم ثم أخبر بحكمه فيهم فقال أم حسب الذين
اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم
ساء ما يحكمون هكذا تفسير الكلام وهو من المقدم والمؤخر فيه وحسبانهم وأخبر بسوء حكمهم
ثم ذكر حكمهم عنده في المحيا والممات فقال سواء محياهم ومماتهم أي كما كانوا في الحياة كذلك
يكونون بعد الوفاة ثم عقب ذلك بذكر عدله في خلقه فقال وخلق الله السموات و
والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون فكان هذا أفصل الخطاب وتذكار
أولي الألباب وقال في معناه وأمر بتدبر كلامه وأخبر بتذكر العقلاء خطابه فقال كتاب
أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب فيتدبرون فيخبرون أن لا
نجعل المفسدين كالمصلحين أو نجعل المتقين كالفاسقين وهو قوله عز وجل أم نجعل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار فما للتدبر ابتغيهم
والتذكر التقوى والعمل **وروينا** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يعلم
منزلته عند الله عز وجل فلينظر كيف منزلة الله تعالى من قلبه فإن الله عز وجل ينزل
العبد عنده حيث أنزله العبد من نفسه فإذا نام العبد على طهارة وذكر وعن نية هذه
المشاهدة والعبرة فإن مضجعه يكون مسجدا وإنه يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل
في شعاره ملك فإن تحرك في نومه فذكر الله عز وجل دعا له الملك واستغفر له **وفي
الخبر** إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم

بهم على طهارة فمن نام روحه عن البلوغ فتلك المنامات أضغاث أحلام لا تصدق فإن غلبه
النوم حتى يصبح حسب له قيام ليلته وكان نومه عليه صدقة ومن كان هذا وصفه في منامه
يسبق كثيرا من العباد في قيامهم عن سهو وغفلة وقد روينا في خبر نوم العالم عبادة
ونفسه تسبيح

ذكر ما يستحب من القول عند القيام إلى التهجد

فإذا قام من الليل متهجدا فليقل الحمد لله الذي أحياني بعد ما نومني وإليه المصير وليقرأ
العشر الآيات من آخر سورة آل عمران وليستاك وليتوضأ ويقول سبحانك وبحمدك أستغفرك
وأتوب إليك وأعوذ بك واغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين
واجعلني من المتطهرين واجعلني صبورا شكورا واجعلني أذكرك كثيرا وأسبحك بكرة
وأصيلا ثم يرفع رأسه إلى السماء فيقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن
محمدا عبده ورسوله وأعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك
لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أنا عبدك وابن عبدك ناصيتي بيدك ماض
في حكمك عدل في قضاؤك جزائي بما اكتسبت وهذه نفسي بما اجترحت لا إله إلا
أنت سبحانك إني كنت من الظالمين عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي إنك أنت
ربي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فإذا قام إلى الصلاة فتوجه فليقل الله أكبر كبيرا
والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثم يسبح عشرا ويحمد عشرا ويهلل عشرا
ويكبر عشرا وليقل الله أكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والجلال والعظمة والقدرة
وليقل هذه الكلمات فإنها مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامه
للتهجد اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض
ولك الحمد أنت زين السموات والأرض ولك الحمد أنت قيام السموات والأرض ومن فيهن ومن
عليهن أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد
صلى الله عليه وسلم حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وبك خاصمت وإليك
حاكمت فاغفر لي يا رب ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم
وأنت المؤخر لا إله إلا أنت اللهم آت نفسي تقواها اللهم زكها أنت خير من زكاها أنت
وليها ومولاها اللهم اهدني لأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني
سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء
المفتقر الذليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفا رحيما يا خير المسؤولين ويا أكرم
المعطين ويستحب أن يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين ولا يستحب له أن يطيل كل
شيئا ولا يستتم ما حتى يقضي نهمته من صلاته فإن العبد إذا استيقظ من نومه يكون

حام

حامي القلب فارغ الهم فإذا أكل أو شرب ثقل قلبه عن همته فليؤخر أكله إلا أن يخاف
أن يعجل الفجر إن لم يتسحر أو يشتهي فليصب اليسير له ولا قوة إلا بالله

الفصل الرابع عشر في ذكر تقسيم قيام الليل ونومه ووصف القائمين المتهجدين

قد قرن الله سبحانه قيام الليل برسوله المصطفى وجمعهم في نشر المعاملة وحسن الجزاء فقال
تعالى إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك وقد
أخبر الله سبحانه أن قيام الليل أشد وطئا للقلب وأقوم قيلا للحجة والزكي في تواطئ ال
القلب اللسان بالفهم والحجة ومن يسمى الله تعالى أهل الليل علماء وجعلهم أهل الخوف
والرجاء وأخفى لهم قرة الأعين من الجزاء فقال أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما
يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ثم قال هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وهذا
من المعروف ضرب لترك الكلام عليه والمعنى أمن هو كذا كالم فإنه مطبوع لا يستوي
مع من هو غافل نائم ليلة أجمع فهو غير عالم بما يحذر وبما يرجو من ربه عز وجل وقال
عز وجل في وصفهم في الكتاب ووصف ما أعد لهم في الآخرة والذين يبيتون لربهم سجدا
وقياما تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا أي تنبو عن الفراش رهبة
ولا يطمئن لما فيها من خوف الوعيد ورجاء الموعود ثم قال فلا تعلم نفس ما أخفي لهم
من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون فقيل كان عملهم قيام الليل وقيل بل كانوا أهل خوف
ورجاء وهذا أن من أعمال القلوب عن مشاهدة الغيوب فلما أخفوا له الإخلاص الأعمال
السر أخفى لهم من الجزاء بغير الزخائر ولا تقر أعين سواها المحبين إلا بوجهه كما لم يعملوا
إلا لوجه الله وقال بعض العلماء في قوله واستعينوا بالصبر والصلاة قال هي صلاة
الليل استعينوا بها على مجاهدة النفس ومصابرة العدو ثم قال وإنها لكبيرة إلا على
الخاشعين يعني الخائفين المتواضعين لا تثقل عليهم ولا يخففوا بل تخف وتحلو له وفي
الخبر قيل يا رسول الله إن فلانا يصلي من الليل فإذا أصبح سرق فقال سينهاه ما تقول
وقال صلى الله عليه وسلم نعم الرجل عبد الله بن عمر لو كان يصلي من الليل قال فما
ما ترك بعد ذلك ليلة حتى يقوم ويصلي وفي الخبر عليكم بقيام الليل فإنه مرضاة
لربكم ومكفر لسيئاتكم وهو دأب الصالحين قبلكم ومنهاة عن الإثم وملقاة للوزر ودافعة
لكيد الشيطان ومطردة للداء عن الجسد ومن جعل الله سبحانه قيام الليل من أوصاف
الصالحين يستحب من قيام الليل للتهجد وأقل ما يستحب لهم من القيام سدس
وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقم ليلة حتى أصبح بل كان ينام منها ولم ينم ليلة
حتى يصبح بل كان يقوم منها ويقال إن الصلاة أول الليل للمتهجدين وقيام أوسطه
للقانتين وقيام آخره للمصلين والقيام من الفجر للغافلين وحدثنا عن عبد
الله بن عمر قال حدثنا يوسف بن مهران قال بلغني أن تحت العرش ملكا في صورة

ثم يلي راتبه من لولو صبحته من زبرجد اخضر فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وزقا
وقال ليقم القانتون فاذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المتهجدون فاذا
مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المصلون فاذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وقال
ليقم المصلون فانهم الغافلون وعليهم اوزارهم

وقال بعض العلماء

اهل الليل على ثلاثة اصناف قوم قطعهم الليل فكان هؤلاء الذين يريدونه ولا يريدون ولا
جزاء لما جربوا الليل وقلبهم قال وقوم قطعوا الليل فكان هؤلاء العاملون الذين صبروا
صابروا الليل بقلبهم قال وقوم قطع بهم الليل فكان هؤلاء المحبون والعلماء اهل الفكر والمحبة
والاعتبار واهل الانس والمجالسة واهل الذكر والمناجاة واهل التملق والملاطفات نفي
عليهم الليل حالهم وقص النعيم عليهم ليلهم ورفع الحجب عنهم نورهم وخفق الهم عليهم قلوبهم
وانه حبب ذكر الوصل عنهم مللهم واوصل العذاب بهم سهرهم وقيل لبعض اهل الليل كيف
انت والليل قال ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تاملته قط وقال اخر انا
والليل فرسا رهان مرة يسبقني الى الفجر ومرة يقطعني عن الذكر وقيل لبعضهم كيف الليل
عليك فقال ساعة انا فيها بين حالتين ابرح بظلمته اذا جاء واغتم بالفجر اذا طلع ما تم فرحي
به قط ولا استغنيت فيه قط وقيل لبعض المحبين كيف الليل عليك فقال والله ما انا فيه
كبعد اذا جاءني الا انس نظرة ووقفة ثم قيل بظلامه فانزعه ثم يسبقني قبل ان اتلبس بما اشتفي

لم استتم عناقه لقدومه ... حتى بدأت بسلامه لوداع

وقال بعضهم

وزائر طيفه حتى اذا ... اراد ان يمضي تعلقنا به
فليتنا لليلي لم يزل سرمدا ... والصبح لم انظر الى كوكبه

وشكى بعض المريدين الى استاذه طول سهره بالليل وان السهر قد اضر به
فقال ما هم في بيته اختلط بالنوم وقال استاذه يا بني ان لله نفحات في الليل
والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطئ القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات
بعينك الحي وقال يا استاذ ثم كتبت له انام في الليل ولا بالنهار ونزل قوم قصيرة الا
الليل عليهم وقال بعضهم اما الليل فقد ينام قد لا ينام قبل ان يحس وقال
علي بن بكار منذ اربعين سنة وما احزنني شيء الا طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض
اذا غربت الشمس فرحت بدخول الظلام وخلوتي فيه بربي فاذا طلع الفجر حزنت
لدخول الناس علي **وقال ابو سليمان** اهل الليل في ليلهم الذ من اهل
اللهو في لهوهم ولولا الليل ما احببت البقاء في الدنيا وقال ايضا لو عوض الله عز وجل
اهل الليل من ثواب اعمالهم ما يجدونه في قلوبهم من اللذة لكان ذلك اكثر من اعمالهم وقال

بعض

بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم
بالليل من حلاوة المناجاة وقال بعضهم قيام الليل والتملق للحبيب والمناجاة للقريب
في الدنيا ليس من الدنيا هو من الجنة اظهر لاهل الله تعالى في الدنيا لا يعرفه الا هم ولا يجده
سواهم روحا لقلوبهم **وقال عتبة** الغلام كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت
به عشرين سنة **وقال يوسف** بن اسباط قيام الليل اسهل علي من عمل دقيقة
وكان يصلي في كل يوم عشرين ركعات وقال غيره ما رأينا اعجب من الليل ان اظلم بات مخشيه
غلبه وان تبسمنا لم يوف

وبكى عامر بن عبد الله

حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقال والله ما ابكي حبا للبقاء ولكن ذكرت ظما
الهواجر في الصيف وقيام الليل في الشتاء **وقال ابن المنكدر** ما بقي من لذات الدنيا
الا ثلاث قيام الليل ولقاء الاخوان والصلاة في جماعة وقال بعض العارفين ان الله عز
وجل ينظر بالاسحار الى قلوب المتيقظين فيملاها انوارا فتنزل الفوائد على قلوبهم فهم
يستنيرون ثم تنتشر من قلوبهم الفوائد الى قلوب الغافلين وقال بعض العلماء ان الله عز
وجل يتجلى الى الجنان عند السحر نظرة فيتنشر قد نضجت وتزداد طيبا في حسنها وحسنها
وطيبها الف الف ضعف في جميع معانيها ثم تقول قد افلح المؤمنون فيقول الله عز وجل
تبيننها لهم منازل الملوك وعزتي وجلالي وارتفاعي ومكاني لا يسكنك جبار ولا بخيل ولا متكبر
ولا مغرور وينظر الى العرش نظرة فيتسع الف الف سعة زائدة بكل توسعة الف الف عالم
بالله منها كل عالم لا يعلم الا الله عز وجل ثم يهتز فيتنقل على الحملة حتى يموج بعضهم في
بعض ويحيط بعضهم ببعض ثم يرعد جميع ما خلق الله عز وجل اضعافا جميع ما خلق الله عز
فيقول العرش سبحانك اني ما كنت واين ما تكون فينادي في حلة العرش سبحان من لا يعلم
اين هو الا هو سبحان من لا يعلم ما هو الا هو وروينا عن بعض العلماء من القدماء ان الله
عز وجل اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبوني واحبهم ويشتاقون
الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان
حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك **قال يا رب** وما علامتهم قال يراعون
الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير
الى اوكارها عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت
الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا اقدامهم وافترشوا لي وجوههم وناجوني بكلامي
وتملقوا لي بانعامي فبين صارخ وباك وبين متاوه وشاك وبين قائم وقاعد وراكع وساجد
بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم اقذف من
نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات السبع والا
رض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي عليهم فترى من

اقبلنا بوجهي عليه ابعلم اعرما اريد ان اعطيه **وقال مالك بن دينار**
اذا قام العبد يتهجد من الليل وذلك الغير ان كما ام قرب الجبار تعالى منه قال وكانوا يرون ان ما
يجدون في قلوبهم من الرقة والحلاوة والفتوح والانوار من قرب الرب عز وجل من القلب و
وفي الاخبار عن الجبار عز وجل ايما عبد اطلعت الذي اقترنت لغلبة وبالغيب رأيت
سرور في **وفي الخبر** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشيء
كاذنه لحسن الصوت بتلاوة القرآن ان يعني ما استمع الى شيء كاستماعه العبد **وفي**
الحديث لله اشد اذنا الى قارئ القرآن من صاحب القينة الى قينته
واهل الهوى في غفلة عما اهل الآخرة فيه وفي عما يهيبون هم الحاضرون اليه ولا يبغي
من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون بل قلوبهم في غمرة من هذا
ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون **ويقال ان وهب بن منبه اليماني**
ما وضع جنبه الى الارض ثلاثين سنة كانت له مسورة من ادم اذا غلبه النوم وضع صدره
عليها وخفق خفقات ثم يفزع الى القيام وكان يقول لان ارى في بيتي شيطانا ا
حب الي من ان ارى فيه وسادة لانها تدعو الى النوم **وقال رقبة بن مسقلة**
رأيت رب العزة تعالى في النوم فسمعته يقول وعزتي وجلالي لاكرمن مثوى سليمان التيمي
فانه صلى الغداة بوضوء العشاء الآخرة اربعين سنة ويقال انه كان مذهبه ان النوم اذا
خالط القلب وجب الوضوء وذكر من روي عنه انه احيا الليل كله وصلى الغداة بوضوء العـ
العشاء الآخرة اربعين سنة وثلاثين سنة حتى نقل لنا عنه اربعون من التابعين
منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد
المكيان وطاوس ووهب بن منبه اليمانيان والربيع بن خثيم والحكم بن عتيبة الـ
الكوفيان وابو سليمان الداراني وعلي بن بكار الشاميان وابو عبد الله الخواص و
وابو عاصم العبادانيان وحبيب ابو محمد وابو جابر السلماني الفارسيان ومالك بن
دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن ابي ثابت ويحيى البكاء البصريون
وكهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهم رجع فقرأ مرة وايضا
من اهل المدينة ابو حازم ومحمد بن المنكدر في جماعة يكثر عددهم هؤلاء المشهورون منهم
فان احب المريد قيام ثلث الليل الاول وقام نصفه وثلثه وسدسه فقد روي ان هذا
من افضل القيام وانه كان قيام نبي الله داود عليه السلام وجاء ذلك في رواية
وان احب العبد قيام الليل فيما ما اخره الى السحر فان قام نصف الليل قسم نومه
في اول الليل وآخره وان قام ثلث الليل نام سدسه الآخر وانما اختار ان يقوم من اول
الليل حتى يغلبه النوم ثم ينام ثم يقوم فاذا استيقظ ثم ينام ومتى غلبه النوم نام ثم
يقوم آخر الليل فيكون له من الليل نومتين وقومتين فهذا من مكابدة الليل وهو من اشد
الاعمال وهذه طريقة اهل الحضور واليقظة واهل الاذكار والتذكرة وقد كان هذا من

اخلاق

اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انس بن مالك ما كنا نشاء ان نرى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الليل الا رأيناه ولا كنا نشاء ان نراه نائما الا رأيناه وكان هذا مذهب
ابن عمر واولو العزم من الصحابة في قيام الليل وفعله جماعة من التابعين وقد رأينا
من كان له في الليل نومتان وقومتان في تضاعيف ذلك فاقل ان يكون القيام والمنام عن
موزونا وليبشر ذلك الا لمتنبه . فيغلب في اليقظة بوجهين من الله عز وجل لا يبلغ
هذا الطريق الا بأسباب هي زاده لان كل طريق يقطع بزاده فمثله بما زاد اخذ من
زاده فبالاسباب احدهما ذبول القلب وحزن يسكن فيه ويقطعه ما يحيي بها القلب
وفكر في الملكوت بل الملكوت فنطق وخلو المعدة من الطعام وقلة التنفس وان يغتسل بالنهار
ولا يكلف نفسه تعبا بجوارحه في امور الدنيا فهذه رياضة المريد الى ان يتابع القيام ويستحلي
حبيبه بمناجاة حبيبه **وروي عن الله سبحانه وتعالى** ان عبدي الذي هو
عبدي حقا الذي لا ينتظر بقيامه صياح الديك ومن احسنا على القيام قبل السحر
ونوم آخر الليل تستحب لمعنيين احدهما انه يذهب بالنعاس بالغدوات وقد كانوا
يكرهون النعاس بالغدوات ويأمرون الناعس بعد صلاة الصبح بالنوم والمعنى الثاني
انه يقل صفرة الوجه فلو قام العبد اكثر الليل ونام سحرا ذهب نعاسه بالغداة وقلت
صفرة وجهه ولو قام اكثر الليل وسهر من السحر جلب عليه النعاس بالغداة وصفرة الوجه
فلينظر العبد لمحبة انه بان غامض من السهو والشهوة الخفية **وليقل شرب**
الماء بالليل فقد يكون منه الصفرة سيما في آخر الليل وبعد لا ينتبه من النوم
وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينام اول الليل فان كانت له حاجة الى اهله قضى ثم اضطجع في مصلاه حتى يأتيه
بلال فيؤذنه للصلاة **وقالت ايضا** ما الفيته السحر الا نائما تعني رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اوتر من آخر الليل اضطجع على شقه الايمن
هجعة حتى يأتيه بلال فيخرج معه الى الصلاة وقد كان السلف يستحبون هذه الهجعة
بعد الوتر وقبل صلاة الصبح حتى قال بعضهم هي سنة منهم ابو هريرة ومروان والنوم
من آخر الليل وفي الثلث الاخير مزيد لاهل المشاهدة والحضور لانه يكشف لهم عن الملكوت
واستماع العلوم من الخبير وهو راحة وسكن للعمال واهل المجاهدة ولذلك حضت الصلاة
بعد طلوع الفجر وبعد صلاة العصر ليستريح عمال الله تعالى واهل اوراد الليل والنهار فيهما
والنوم من آخر الليل نقصان لاهل السهو والغفلة من حيث كان مزيدا لاهل الشهود و
واليقظة لانه آخر حرفة اوليائه وهو تطاول النوم والغفلة فيه نقصهم وليحرص العبد في تضاعيف صلاة الليل بجلوس يسبح فيه ما بين تسبيحة فان ذلك
ترويح له وعون على الصلاة وهو داخل في قوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار السجود اي
اعقاب الصلاة في احد الوجهين على قراءة من نصب وان اراد المريد ان يحيى الورد بين

الذي يجيء من أول الليل آخر ما بين العشاءين والثاني قبل نومة الناس فإن أحياه هذا بين
الوردين عند بعض العلماء أفضل من قيام يوم ثم يليه الورد الرابع وهو ما يتبع الجزء من
أول الليل الى آخره والورد الخامس وهو السحر الأعلى قبل طلوع الفجر الثاني وهو يصلح
للقراءة والاستغفار ان كان لم يعتد القيام في جوف الليل وفي أخبار أبي موسى ومعاذ لما
تذاكرا قال معاذ لأبي موسى كيف تصنع في قيام الليل فقال أقومه أجمع لا أنام
منه شيئا وأتفوق القرآن فيه تفوقا فقال معاذ لكني أنام ثم أقوم وأحتسب في
نومتي ما أحتسب في قومتي فذكرا ذلك لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال لأبي موسى معاذ أفقه منك وقد كان بعضهم لا ينام حتى يغلبه النوم وكان
بعض السلف يقول هي أول نومة فإن انتبهت ثم عدت الى نومة أخرى فلا أنام الله
عيني وسئل قزازة الشافعي عن وصف الأبدال وكانوا لا يظهرون له فقال
أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وصمتهم حكمة وعلمهم قدرة وقيل لآخر صف لنا
الأبدال يعني فقال أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى وفي ربع القرآن يقوم
مقدار خمس الليل أو سدسه وهو ورد من أوراد الليل أوردتها على اختلافهما
في الطول والقصر فتعرف إن كان قيامه واقتصاده في ورد أحياء من الليل فلا يفوته شيء
من الأذكار وقد دخل في أهل الليل وله معهم نصيب ومن أحيا أكثر ليلته ونصفها
كتبت له أحياء جميعها وتصدق عليه بما بقي منها ومن صلى في ليلة عشر
ركعات ومن بعدها كان حسب له كأنه أحياها بفضل الله ورحمته وقد كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقوم ليلة نصف الليل وليلة ثلثه وليلة ثلثيه وذلك في
أول ما ينبغي من قيام الليل في سورة المزمل وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقوم ليلة نصف الليل ونصف سدسه معه ويقوم ليلة ربعه وفيه ويقوم ليلة سدس
سدس الليل حسب وذلك مذكور في آخر المزمل من قيام الليل وهذا على قراءة من
كسر ونصفه وثلثه فأما من نصب فقال نصفه وثلثه فإنه يعني يقوم نصف
الليل مع السدس والنصف وحده والثلث وحده وهذا الذي ذكرناه من الآية الأولى

وقد جاء في التفسير نحو هذا

وهو صلى الله عليه وسلم مفترض عليه صلاة الليل بالآية الأولى أمره تعالى بقيام الليل
بقوله والأخرى أخبر عنه بفعله فيمن كيف هو فأحسن أن يكون ما أخبر عنه مواظبا له وبه
فالترغيب أمره ان قال تعالى قم الليل ثم استثنى القليل منه فقال الا قليلا ثم فسر
أمره فقال نصفه أو انقص منه قليلا يعني والله أعلم وانقص نصف السدس أو ثلثه
النصف هذا أقل أسماء النقصان عند العرب ثم قال أو زد عليه يعني زد على النصف
كأنه زد عليه نصف سدس الليل لأنه أخبر عنه في الآية الأخرى بأقل من الثلثين

وقال

وقال ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل فيكون هذا نصفا ونصف سدس وهو
أقل التشبيه عندهم ثم قال ونصفه أي ويعلم أنك تقوم نصفه أيضا وثلثه أي وتقوم
ثلثه فهذا الاختيار فيوطأ لمن قرأ بالكسر وقال ونصفه وثلثه في وتقوم أدنى
من نصفه وهو الربع والثلث وأدنى من ثلثه وهو السدس أو نصف السدس وقد
قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقوم من الليل إذا سمع الصارخ يعني الديك وهذا يكون من السحر فعلى هذا يكون
سدس الليل ونصف سدسه وفيه رخصة وسعة لقوام الليل فلعل هذا نفيا تخبيرا
والله أعلم والنصف اختيار ولا يحمد على معنى كثرة القيام ومواطأة الخبر عنه للأمر
وقد جاء في الخبر صلوا من الليل ولو قدر حلب شاة فهذا يكون أربع ركعات وقد
يكون ركعتين وقال أبو سليمان الداراني من أحسن في نهاره كوفئ في ليله ومن أحسن
في ليله كوفئ في نهاره وكان يقول أهل الليل على ثلاث صيغات فمنهم من إذا قرأ تفكر وبكى
ومنهم من إذا تفكر صاح وراحته في صياحه ومنهم من إذا قرأ فتفكر بهتا فلم يبح ولم يبك قلت له من
أي شيء صاح هذا ومن أي شيء بهت هذا فقال لا أقوى على التقسيم وقال رجل
للحسن يا أبا سعيد إني أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهوري فما بالي لا أقوم
فقال ذنوبك قيدتك يا ابن أخي وكان الحسن إذا دخل السوق يسمع لغطهم ولغوهم قال
أظن ليل هؤلاء ليل سوء ما يقيلون وقال بعض السلف كيف يفلح التاجر من
من سوء الحساب وهو يلغو بالنهار وينام بالليل وقال الثوري حرمت قيام
الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته قيل له وما هو قال رأيت رجلا يبكي فقلت في نفسي
هذا مراء وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت له ما بالك أتاك نعي
بعض أهلك فقال أشد فقلت وجع يؤلمك قال أشد فقلت فما ذاك قال بابي مغلق
وستري مسبل ولم أقرأ حزبي البارحة وما ذاك الا بذنب أحدثته وقال أبو
سليمان لا يفوت أحد صلاة في جماعة الا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة
والجنابة البعد وكأنه يعني في الصلاة والتلاوة الذي في ذلك قرب ومن هذا قوله تعالى
فيمن يدعى عن جنب وكان الحسن رضي الله عنه يقول ان العبد ليذنب الذنب
فيحرم به قيام الليل وصيام النهار وقال بعض العلماء إذا صمت يا مسكين فانظر
عند من تفطر وعلى أي شيء تفطر فإن العبد ليأكل الأكلة فيتقلب قلبه عما كان عليه
فلا يعود الى ما كان عليه وقال أخي كم من أكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة حرمت
قراءة سورة وان العبد ليأكل الأكلة أو يفعل الفعلة فيحرم بها قيام سنة فيصيبني
التفقد ليعرف الزمن النقصان ويعرف الزيادة يوقف على التفقد وكان
بعض يقول لو رزقنا من فهم القرآن وقيام الليل أول ما رزقنا لأن ما كنت

حزبنا فيه ولا اشتغلنا بغير القرآن ويقال إن طول القيام وإحياءات القيام من
وإن صلاة الليل كفارات الكبائر وقيل إنه حبب إلى المداومة من العبادة بعض من صلاة النهار
كثرة الركوع والسجود وفي صلاة الليل طول القيام واعلم أن صلاة الليل فاضلة لأن رسول
النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقيم الليل حتى تورمت قدماه وصلاة الليل تكملة النفل برأ بعضا
وفي الخبر إذا نام العبد عقد الشيطان على رأسه ثلاث عقد فإن قام وذكر
الله انحلت عقدة وإن توضأ انحلت عقدة أخرى وإن صلى ركعتين انحلت العقد
كلها وأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح كسلان خبيث النفس **وفي خبر**
أن رجلا نام حتى يصبح بال الشيطان في أذنه **وقد روينا في الخبر** لا خير أن ات
للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فإذا أسعط العبد ساء خلقه وإذا لعقه ذرب
لسانه بالشر وإذا ذره نام بالليل حتى يصبح ويستعان على قيام الليل بثلاث أكل الحلال
ولا يستغرقه على التوبة وعمر خوف الوعيد وشوق رجاء الموعود والزيغ يحرم العبد
به قيام الليل أو يعاقب معه بطول الغفلة ثلاث أكل الشبهات أو إصرار على الذنب
أو غلبة ثم الكربيا على القلب

الفصل الخامس عشر ذكر ورد العبد من التسبيح والذكر والصلاة في اليوم والليل وفضل صلاة الجماعة وذكر فضل الأوقات المرجو فيها الإجابة وذكر صلاة التسبيح وما يستحب أن يكون شعاره

يكون للعبد في كل يوم وليلة ورد من التسبيح وأقل ما ينبغي أن يسبح مائة مرة من أنواع
ما تكرر النبي ورد بفضله الأخبار فليقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير مائة مرة فإنه قال
ذلك مائة مرة لم يعمل أحد في يومه أفضل من عمله إلا من زاد عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله مائة مرة وليقل اللهم صل
على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي مائة مرة وليقل أستغفر الله الحي القيوم
وأسأله التوبة مائة مرة وليقل سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة وليقل لا إله إلا
الله الملك الحق المبين مائة مرة وليقل ما شاء الله عز وجل لا قوة إلا بالله مائة مرة
يقول هذا في كل يوم وفي كل ليلة فإن زاد فزيادة عليه فهو فضل وليكن هذا معلومه
وقد كان في الصحابة من ورده في كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة وكان من التابعين
من ورده في كل يوم ثلاثون ألف **وحدثونا عن إبراهيم**
بن أدهم عن بعض الأبدال أنه قام ذات ليلة يصلي على شاطئ البحر فسمع صوتا
عاليا بالتسبيح ولم ير أحدا فقال من أنت أسمع صوتك ولا أرى شخصك فقال أنا ملك

من

من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله عز وجل بهذا التسبيح منذ خلقت قلت فما اسمك
قال مهلهيائيل قلت فما ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من
الجنة أو يرى له وهو هذا التسبيح سبحان الله العلي الديان سبحان الله الشديد الأركان
سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا يشغله شأن عن شأن
سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح في كل مكان وإن كان للعبد من الصلاة أو
أوراد معلومة يحتسبها فهو فضل كما كان من التابعين ورده في كل يوم مائة ركعة وأربع
مائة ركعة وكان منهم من ورده ستمائة ركعة إلى ألف ركعة وأقل من نقل عنه من الأوراد
مائة ركعة في اليوم وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة وكان يطوف في كل يوم سبعين أسبوعا
وفي كل ليلة سبعين أسبوعا فقال فحسبناه فكان عشر فراسخ وعشرة أسابيع
مائتان وثمانون ركعة قال وكان يختم القرآن في الليل واليوم والليلة مرتين

وقال هشام بن عروة

كان أبي يواظب على ورده من التسبيح كما يواظب على جزئه من القرآن ولا يدع العمل
أن يسبح أدبار الصلوات الخمس مائة تسبيحة عند كل صلاة ويكبر ويكبر له عند
النوم مائة وليواظب على أن يقول إذا أصبح وإذا أمسى ما جاء في التسبيح قوله عز
وجل له مقاليد السموات والأرض فإن لذلك أجرا عظيما وروينا عن عثمان رضي الله عنه
أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن تفسير هذه الآية له مقاليد السموات والأرض
فقال لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك هو لا إله إلا الله والله أكبر
وسبحان الله وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله وأستغفر الله لا إله إلا الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن
له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير من قالها عشر مرات حين يصبح وحين
يمسي أعطي بها ست خصال فأول خصلة يحرس من إبليس وجنوده والثانية يعطى
قنطارا من أجر والثالثة ترفع له درجة في الجنة والرابعة يزوجه الله عز وجل من الحور العين
والخامسة يحضرها اثنا عشر ملكا والسادسة يكون له من الأجر كمن حج واعتمر **وقد**
روينا في تفسير هذا القول أخص من رواية أخرى وأنه يقال إنه كنوز أهل الجنة وما هو
وإن ضم هذا إليه يعز جمع إلى ويتقي واستوعب العضبلتيني رواه عبد الرحمن بن أبي
ليلى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم فسأل
وأجاب عنها فقال إقليد لبيد السموات والأرض أن يقول العبد لا إله إلا الله محمد رسول
الله وأقاليد أهل الجنة يقول سبحان من في السماء عرشه سبحان من في السماء موضع
أثره سبحان من في البحر سبيله سبحان من في الجنة رحمته سبحان من في النار عقابه سبحان
من سبقت رحمته غضبه سبحان من لا ملجأ ولا منجى إلا إليه يا عثمان من قالها كل يوم عشر
مرات كتب الله له بها ست خصال تحرسه من إبليس وجنوده وإن مات مات شهيدا ويبنى له

فتح ابواب الجنة وكلاهما في التوراة والانجيل والزبور والفرقان وكلاهما اسم من اسماء نبيه من
ولد اسماعيل اغنه فيهم ولا يدع قراءة هذه الايات الست عند كل صلاة يصليها فريضة
او تطوعا ففي ذلك ثواب عظيم سبحان ربك رب العزة عما يصفون الى اخر السورة وقوله
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون واستغفر للمؤمنين
والمؤمنات كل يوم خمسين مرة خمسا وعشرين اذا اصبح وخمسا وعشرين اذا امسى فانه
يكتب من الابدال فانه ربما ذكر في الحديث عن ذلك والاصل الاستغفار الذي جاء به الخبر
ان يقول اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات احيائهم وميتهم شاهدهم
وغائبهم قريبهم وبعيدهم انك تعلم متقلبهم ومثواهم

وليقل بعد الاستغفار

في تشهده ايضا فقد جاء ذلك وليقل في كل يوم عشر مرات اللهم اصلح امة محمد اللهم ارحم
امة محمد اللهم فرج عن امة محمد صلى الله عليه وسلم فقد قال من قاله في كل يوم كتب له ثواب
من الابدال وليقل اذا اصبح ثلاثا واذا امسى ثلاثا اللهم انت خلقتني وانت
تهديني وانت تطعمني وانت تسقيني وانت تميتني وانت تحييني انت
ربي لا رب لي سواك ولا اله الا انت وحدك لا شريك لك فان في ذلك شكر نعمة يومه ولا يدع
ان يقول كلما استيقظ من نومه وكلما اراد المنام هذه الكلمات بسم الله ما شاء
الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله
ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله ففيه حرز عصمة من الله عز وجل وحرز له من
الشيطان وقد جاء في الخبر من قال هذا مائة مرة يوم عرفة قبل غروب الشمس نادى الله
عز وجل من فوق عرشه قد ارضيتني وعلي رضاك سلني ما شئت اعطك ولا يدع
ان يقول في كل غدوة وعشية فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت
وهو رب العرش العظيم سبع مرات وكذلك يسال الله عز وجل الجنة ويستعيذ
به من النار سبعا وكلما سمع الاذان قال كما يقول المؤذن فاذا فرغ فليقل رضيت
بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا اللهم رب هذه الدعوة
التامة والكلمة الصادقة والصلاة القائمة صل على محمد واته الوسيلة
والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته فاذا كان الاذان للصلاة الصبح او صلاة
المغرب زاد في ذلك اللهم عند اقبال ليلك وادبار نهارك واصوات دعاتك وحضور صلواتك
وشهود ملائكتك صل على محمد واغفر لي ثم يدعو بما احب وليغتنم الصلاة والدعاء بين
الاذان والاقامة فانه مستجاب وليكن هذه الكلمات المحبوبات شعاره في الاوقات
وانها من دعاء الابدال فيما بينهم وشعارهم في اوقاتهم ما شاء الله لا قوة الا بالله
العلي العظيم بالسلام سلم يا رب يا رب يا ذا الجلال والاكرام اللهم افتح بخير واختم

بخير لا اله الا الله يا حي يا قيوم ويا ذا الجلال والاكرام ويا رب يا رب يا الله يا الله يا غني
يا عزيز يا قريب يا قريب سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا يا الله يا الله يا عزيز
يا عزيز يا قريب يا قريب يا غفار يا واسع المغفرة اغفر لي وعافني واعف عني نسالك
العفو والعافية يا غياث المستغيثين وفي جميع ما ذكرناه فضائل وردت بها الاثار عن
النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين باحسان طويناها لان ذلك ان لم يكن
قصدنا فضائل الاعمال والمداومة اوراد العمال ولا يدع السواك في كلما استيقظ
من نوم النهار وبالليل فانه يقال من حبل رحمة الطاهر لا بعد النوم وغير كره للطعام
ومن الخبر طيبوا طرق القران من افواهكم بالسواك

وفي الحديث

السواك مطهرة للفم مرضاة للرب عز وجل ويقال ان الصلاة بعد السواك تفضل على
الصلاة بغير سواك سبعين ضعفا واكثر ما استعمل فيه السواك اربعة اوقات قبل
الزوال للصائم ويوم الجمعة مع الغسل لها وفي قيام الليل وبالقراءة عند ما يستيقظ من
النوم وقد كانوا يستحبون للعبد ان لا ياتي عليه يوم وليلة الا تصدق فيه بصدقة
وان قل قليل القمة او تمرة حتى كان بعضهم يتصدق ببصلة ونحوها لانه جاء في الاثر كل امرئ
يوم القيامة في ظل صدقته والله سبحانه يشكر القليل الدائم ويهب الكثير
المنقطع المرتفع لمن اعطى وذلك في قوله تعالى واعطى قليلا واكدى اي قطع
ومدح فواكه الجنة بعيب بدلها من فواكه الدنيا في تقدم الخطاب فقال وفاكهة كثيرة لا
مقطوعة ولا ممنوعة اي فاز هدوا في فواكه الدنيا فانها مقطوعة ممنوعة رغبة في
هذه الدائمة وكان من اخلاق السلف ان لا يردوا سائلا لا يستقيم وان قل لقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة ولقوله صلى الله عليه وسلم للسائل
حق ولو جاء على فرس مطوق بفضة ولقوله صلى الله عليه وسلم ردوا السائل ولو بظلف
محترق وقد بعثت عائشة رضي الله عنها الى السائل عنبة واحدة فاستقلها بعضنا
الى بعض فقالت ما لكم ان فيها لمثاقيل ذر كثيرة وقد كان من اخلاقهم ان لا يسال احدهم
شيئا او يرد عليه وما امر فيقولون لا لكراهتهم الخلاف ومحبتهم الايثار وكان ذلك من اخلاق
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سئل شيئا قط فقال لا فان لم يقدر عليه سكت
وقد كانوا يجتمعون على الطعام واحد يقلب واخر لا يستبد بعضهم دون بعض ولا يستاثر احد
بشيء دون اخيه ونزل فيهم الله عز وجل في قوله وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم
ينفقون اي امورهم مشاعة فيما بينهم غير مقسومة هم فيها سواء ويستحب للعبد
ان يجمع من هذه الاعمال اربعة صوم وصدقة وعيادة مريض وشهود جنازة وقد كان هذا
طريق المريدين يسارعون اليه وفي الخبر من جمع بين هذه الاربعة في يوم غفر له

وفي بعضها دخل الجنة وإن أتى أذى لا منها فلا يدعه أو أمكنه بالعجز فلا يفوته حسب له
تمامها لحسن نيته ولا يدع حال الجماعة سبيلا إذا سمع النداء وإن كان في جوار المسجد
وحد الجوار أن يكون بينه وبين المسجد ثلاث دور وأدنى المساجد أن يصلي فيه أفضل
فإن لم يكن له نية في كثرة الخطا ولفضل إمام فيه فالصلاة خلف العالم
العامل أفضل أو يريد أن يعمر بيتا من بيوت الله عز وجل بالصلاة فيه فهو أن يعمر

وقال سعيد ابن المسيب

من صلى الخمس في جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة وليتوضأ لكل صلاة قبل دخول وقتها
فإنه من الحماقة أن يطلبها ومن حسنى أفهمها **وقال أبو الدرداء** وحلف بالله وما
سمعته حلف بالله قط قال من أحب الأعمال إلى الله عز وجل ثلاث أمور بصرفة وخطوه
إلى صلاة جماعة وإصلاح بين الناس ويستحب له كلما دخل منزله أن يصلي ركعتين
وكلما خرج منه صلى ركعتين وكان السلف لا يخرجون من منازلهم حتى يتوضأوا ويستحب له
كلما أحدث أن يتوضأ وكلما توضأ أن يصلي ركعتين فإن ذلك من عمل الأبرار وشواهد فإن
على هذا العمل شهادة وإذا خرج من منزله قال بسم الله ما شاء الله حسبي الله توكلت
على الله لا قوة إلا بالله اللهم إليك خرجت وأنت أخرجتني اللهم سلمني فيه وردني
كما أخرجتني اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي جل ثناء وجهك
تبارك وتعالى ولا إله غيرك وليقرأ سورة الحمد والمعوذتين ولا يدع صلاة الضحى أربع ركعات
ويزيد ما شاء الله إلى ثمان ركعات إلى اثنتي عشرة ركعة وإن زاد على ذلك فإن تنشط
فالضحى وإن قرأ فيهن وليجعل من قراءته فيهن والشمس وضحاها وسورة الضحى وآخر
سورة الحشر ثم ليتنفل بعد ذلك بما شاء من عمل أن يكون ورد صلاة الضحى بعد المواظبة
عليه

وفي حديث عائشة

رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى أربعا ويزيد ما شاء
الله وفي خبر عن الله عز وجل يا ابن آدم صل لي أربع ركعات في أول النهار أكفك
آخره وفي حديث أم هانئ بنت أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم
صلى الضحى ثمان ركعات وفي الخبر يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعني
في كل مفصل وفي جسده ثلاثمائة وستون مفصلا فأمره بالمعروف صدقة ونهيه عن
المنكر صدقة وحمله عن الضعيف صدقة وهدايته الطريق صدقة وإماطته الأذى صدقة
حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الضحى تأتي على ذلك كله وقد كان من
سيرة المتقدمين دخول المسجد سحرا قبل طلوع الفجر والقعود فيه إلى صلاة الصبح
ويفضلون هذا الفعل وهو تونا عند أحد من التابعين قال دخلنا المسجد قبل

طلوع

طلوع الفجر فلقينا أبا هريرة قد سبقنا فقال لي ابن أخي لأي شيء خرجت من منزلك
هذه الساعة فقلت لصلاة الغداة فقال أبشر فإنا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد
هذه الساعة ننتظر الصلاة بمنزلة غزوة في سبيل الله عز وجل أو قال مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأفضل الأوقات المرجو فيها الإجابة أربعة عند السحر وعند طلوع
الشمس وعند غروبها وحين الإقامة وأفضل أوقات الليل والنهار أوقات الصلوات
المكتوبة وإذا دعا الله سبحانه فليدعه بمعاني أسمائه وبأنه صفاته وهو يحب ذلك
والمنا الظهر هو البعوث فما شكل أن يدعو بها فيقول يا جبار اجبرني فليتبع يا غفار اغفر
لي يا رحمان ارحمني يا رحيم ارحمني يا تواب تب علي ويستحب أن يدعو الله عز
وجل بأسمائه التسعة والتسعين في كل يوم وليلة مرة فإنه روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من أحصاها دخل الجنة وهي متفرقة في جميع القرآن فمن دعا
الله عز وجل بها موقنا كان كمن ختمه فإن تعذر عليه حفظها لأنها منثورة على غير ترتيب
فلينطق بها من حروف المعجم فليأت من كل حرف ما فيه كأنه يبتدئ بالألف
فيستقصي ما فيه عليه من الأسماء ثم الباء ثم التاء فيقول يا الله يا أول يا آخر يا بار يا
باطن يا بر يا تواب وقد يتعذر عليه وجود بعضها في بعض الحروف فيعيد لأنها
تخرج في سائر الحروف المتبسمة فإن أسماء الظاهرة فإنه أعني من الحروف تسعة وتسعين
اسما أجزاه ذلك لأنه يجري في الحروف الواحد العشرة فأكثر ودون ذلك فيبقى إن لم يعرف
في بعض الحروف اسما إذا أحصى العدد فقد حصل له الفضل اللازم في ذلك

ذكر صلاة التسبيح

استحب له أن يصلي صلاة التسبيح في الجمعة مرتين مرة في النهار ومرة في الليل
وهي ثلاثمائة تسبيحة في أربع ركعات إن صلاها نهارا لم يفصل بينهن بتسليم وإن صلاها
ليلا سلم فيها مثنى وقد كان الصالحون يصلونها ويعرفون وينبروا وكون فضلها وقد روينا
فيها روايتين أحسنهما حديث الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك بشيء إذا
أنت فعلته غفر الله عز وجل لك ذنبك أوله وآخره قديمه وحديثه وخطأه وعمده سره و
علانيته تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فإذا فرغت
من القراءة في أول ركعة وأنت قائم فقلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله
أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها عشرا ثم ترفع رأسك فتقولها عشرا ثم تسجد
فتقولها عشرا ثم ترفع رأسك فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع رأسك
من السجود فتقولها عشرا ثم تقوم فذلك خمسة وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في
أربع ركعات إن استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل فإن لم تفعل ففي كل جمعة

مرة فان لم تفعل ففي كل شهر مرة

وحدثنا عن ابي داود

السجستاني وقال ليس في صلاة التسبيح حديثا اصح من هذا وذكر في هذه الرواية
انه يسبح في القيام خمس عشرة بعد القراءة وانه يسبح عشرا بعد السجدة الثانية في
الركعة الاولى قبل القيام وكأنه يجلس جلسة قبل ان ينهض وفي الركعة الثانية يفعل مثل ذلك
قبل ان يتشهد وروينا في الخبر الآخر انه يفتتح الصلاة ويقول سبحانك اللهم
وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة
ثم يقرأ الحمد لله وسورة ثم يسبح عشرا ثم يركع فيكون له في قيامه خمسا وعشرين
تسبيحة ولا يسبح بعد السجود في الجلسة الاولى من الركعتين ولا في جلسة التشهد
شيئا وكذلك روينا في حديث عبد الله بن زياد بن سمعان عن معاوية بن عبد الله بن جعفر
عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم علمه صلاة التسبيح قال فيها يفتتح الصلاة
ثم يكبر ثم يقول فذكر الكلمات وزاد فيها ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقال
فيه يقول ذلك خمس عشرة مرة ولم يذكر بعد السجدة الثانية عند القيام فان يقولها
وهذه الرواية احب الوجهين الي وهو اختيار عبد الله بن المبارك حدثونا
عن سهل بن عاصم عن ابن وهب قال سألنا ابن المبارك عن الصلاة التي يسبح فيها فقال
يقول سبحان الله والحمد لله الكلمات خمس عشرة مرة ثم يتعوذ ويقرأ فاتحة الكتاب
وسورة يقولها عشرا ثم يركع وذكرها قال فذلك خمس وسبعون تصلي اربع ركعات على
هذا ان صليتها ليلا فاحب الي ان تسلم من الركعتين فان صليتها نهارا صليت اربعا
وان شئت سلمت واذا عد في الركوع بعد باصابعه على ركبتيه وفي السجود باصابعه
على الارض وحدثونا عن محمد بن جابر قال قلنا لابن المبارك في صلاة التسبيح
اذا رفعنا رأسنا من آخر السجدتين اسبح فيه ان اقوم قال لا تلك القعدة ليست
من سنة الصلاة وقال لابن ابي رزمة عن ابن المبارك قلت له يقول سبحان ربي الع
العظيم سبحان ربي الاعلى ثلاث مرات قال نعم قلت فان سها يسبح في السهو
عشرا قال لا انما هي ثلاثمائة تسبيحة واحب ان تكون السورة التي يقرأها
في صلاة التسبيح مع الحمد فوق العشرين آية وقد روينا في حديث عبد
الله بن جعفر الزبيري رواه اسماعيل بن رافع ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في
السورة التي بعد ام القرآن عشرين آية فصاعدا وكذلك احب زيادة لا حول ولا قوة
الا بالله لما ذكرناه في الخبر الآخر فان قرأ بعد فاتحة الكتاب في كل ركعة عشر مرات قل هو الله احد
فقد ضاعف العدد واستكمل الاجر

الفصل السادس

٢٢

الفصل السادس عشر في ذكر معاملة العبد في التلاوة

ووصف التابعين للقرآن حق تلاوته وختمه بفواتح السور ما يستحب للمريد ان يختم
القرآن في كل اسبوع ختمتين ختمة بالنهار وختمة بالليل ويجعل ختمته بالنهار في
يوم الاثنين في ركعتي الفجر وبعدهما ويختم ختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب
او بعدهما ليستقبل بختمتيه اول النهار واول الليل فان الملائكة تصلي عليه ان كانت
ختمته ليلا حتى يصبح وتصلي عليه ان كان ختمه نهارا حتى يمسي فيحيط هذان الوقتان
يستوعبان كلية الليل والنهار وفي الخبر لم يفقه من قرأ القرآن في اقل
من ثلاث وامر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو ان يقرأ القرآن في سبع و
وكذلك جماعة من الصحابة يختمون القرآن في كل جمعة وروينا عن يحيى بن الحارث الذماري
عن القاسم بن عبد الرحمن قال كان عثمان بن عفان رضي الله عنه يفتتح ليلة الجمعة
بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم
وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالعنكبوت الى ص
وليلة الاربعاء بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس وكذلك كان زيد بن ثابت وابي بن كعب
يختمان القرآن في كل سبع

وروينا عن ابن مسعود

انه يختم القرآن في سبع ليال وكان يقرأ في كل ليلة سبعا الا انه ليس يقرأه
على غير ترتيب مصحفنا هذا فلم نذكره لان الاعتبار لا ينبغي به وجماعة يذكر عنهم ختم القرآن
في كل يوم وليلة وقد كره ختمه في اقل من ثلاث طائفة والتوسط من ذلك ما ذكرناه وكره
ان يختم القرآن في كل ثلاثة ايام

ذكر احزاب القرآن وكيف حزبه الصحابة

رضي الله عنهم وان قرأ القرآن احزابا في كل يوم وليلة حزبا فحسن وهو سنة فذلك انشر
لمراعاة القلب واقوم للترتيب والمذاق اي الفهم وان احب قرأ في كل ركعة ثلث عشر القرآن
ونصفه لئلا يكون الجزء من اجزاء الثلاثين في ركعة او ركعتين فان قرأ في كل ورد حزبا او حزبين
او دون ذلك فحسن

واحزاب القرآن

سبعة فالحزب الأول ثلاث سور والحزب الثاني خمس سور والحزب الثالث سبع سور
والرابع تسع سور والخامس إحدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والمفصل
من قاف حتى تختم فهذه تحزيب القرآن وكذلك حزبه الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وكانوا يقرأونه
وقد روي كذلك وجاء في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحزبه على عدد الحواميم
إنه عددها سبعة أحزاب وما بينهن سبعة وكذلك الحواميم ابتدأ **وقد** اعتبرت ذلك في كل
حزب فرأيته يتقارب وهذا قبل أن تعمل الأخماس والأعشار والأجزاء فأما تسبيع هذا المحدث يقال
إن الحجاج جمع قراء البصرة والكوفة منهم عاصم الجحدري ومطر الوراق وسهل بن ... يعني
بأمرهم بذلك وقد قال كان الحسن وابن سيرين يكرهان هذه الأخماس والأعشار والأجزاء
وروي عن الشعبي وإبراهيم كراهية النقط بالحمرة وأخذ الأجرة على ذلك وكانوا
يقولون جردوا القرآن وقال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير كان القرآن مجردا في
المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به فإنه نور له
ثم أحدثوا بعده نقطا كبارا عند منتهى الآي فقالوا لا بأس به يعرف به رأس الآي ثم
أحدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح **واعلم** أنه لا يجد فهم القرآن العبد الذي يكتنفه
مشاهدة ويلحظه من الملكوت فإن عبد فيه أحد هذه الخصال التي نذكرها ومصر على ذنب
أو عبد في قلبه كبر ومقارب الهوى قد استمكن في قلبه وحب الدنيا وعبد غير محقق
الإيمان أو ضعيف اليقين ولا من هو واقف مع مقراه ولا عبد همه تتبع حرفه واختيار ...
ولا تابع في قول مفسر بما يحكي في علمه الظاهر ولا راجع إلى معقوله ولا قاض بمذهب
أهل العربية واللغة من باطن الخطاب ومراد المراد هؤلاء كلهم محجوبون بعقولهم ومردودون
إلى ما تقرر في علومهم موقوفون مع ما تقرر في قلوبهم ويردهم على مقدار علومهم وغرائب
عن عقولهم هؤلاء مشركون بعقولهم ومعلومهم عند الموحدين وهذا داخل في الشرك الخفي
الذي أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء وفي الخبر أكثر منافقي أمتي
قراؤها وهذا نفاق الوقوف مع سوى الله تعالى والنظر إلى غيره لا نفاق الشرك دونه تذكرا
لقدرة الله عز وجل فهو لا ينتقل عن التوحيد ولكنه لا ينتقل إلى مقام المزيد فإذا كان
العبد ملقيا السمع بين يدي سميعه مصغيا إلى سر كلامه شهيد القلب لمعاني صفات
شهيده ناظرا إلى قدرته تاركا لمعقوله ومعهود علمه متبرئا من حوله وقوته معظما
للمتكلم واقفا على حضوره مفتقرا إلى الفهم بحال مستقيم وقلب سليم وصفاء يقين
وقوة علم وتمكين سمع وفصل الخطاب وشهد غيب الجواب وأفضل القراءة الترسل لأنه تجمع
الأمرين الترتيل وفيه التدبر والتذكر **وروي عن علي** رضي الله عنه لا خير في عبادة
لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها **وعن ابن عباس** لأن أقرأ البقرة وآل
عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب إلي من أن أقرأ البقرة وآل عمران هذرمة وروي

عنه أيضا

عنه أيضا لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحب إلي من أن أقرأ البقرة وآل عمران
تهذيرا

وسئل مجاهد عن رجلين

دخلا في صلاة فكان قيامهما واحدا إلا أن أحدهما قرأ البقرة والآخر قرأ القرآن كله فقال
هما في الأجر سواء لأن قيامهما كان واحدا وأفضل التدبر في القرآن ما كان في صلاة ويقال
إن التفكر في الصلاة أفضل منه في غير الصلاة لأنهما عملان وهذا هو التفكر في معاني التدبر
والفهم لخطاب الوعد والوعيد والزجر والأمر ونعت الصفات المتنوعة وأهل الله **وسئل**
النبي صلى الله عليه وسلم أي الصلاة أفضل فقال طول القنوت **وروي** في خبر آخر من
سجد لله عز وجل سجدة رفعه الله بها عز وجل درجة وإنه قال لأبي فاطمة خادمه وقد
سأله الدعاء أعني في الجنة فقال أعني بكثرة السجود **وروينا** عن أبي ذر الغفاري إن كثرة
السجود بالنهار وإن طول القيام بالليل ويقال إن العبد يحشر من قبره على هيئته في
الصلاة من السكون في الطمأنينة ويكون راحته في الموقف على قدر راحته وتنعمه بالصلاة
وروينا معنى هذا عن أبي هريرة وعلى هذا المعنى تأويل قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم لبلال أرحنا بالصلاة أي روحنا بها نعمنا فيها من الروح والراحة ...
ويقال أرحنا بالشيء أي روحنا منه أي أسقطه عنا وذهب عنا منه ولم يقل أرحنا
كيف وقرة عيني فيها **وقال** بعضهم إني لأفتتح السورة فيوقفني بعض ما أشهد
فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر وما قضيت منها وطري

وقال سليمان

ابن أبي سليمان الداراني إنه وعد آية في التنزيل آخر له أن يبلغ
عشرة فما بطأ عليه حتى طلع الفجر فليقسه أخوه من القدر فقال وعسى أن تقطع عقله في
ما خلقت وقال لولا معبود ما أقمت ثم في الدنيا سبقتني عنه إلي ثم صليت العتمة قلت
أوتر قبل أن أجيء ... أمن ما تحذرين من الموت فلما كنت في الثلث من الليل رقدت في روضة
خضراء فيها أنواع الزهر من الجنة فما زلت أنظر إليها حتى أصبحت وقال عز وجل كتب
في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه فقيل القرآن قوى إيمانهم بعلم القرآن فالقرآن روح
الإيمان وتقويتهم استعمالهم له وفي التفسير في يحيى خذ الكتاب بقوة قيل يعمل به وقيل
لبعضهم إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء فقال وشيء أحب إلي من القرآن
أحدث نفسي به وهو صفة قوي مكين ويقال إن في القرآن ميادين وبساتين وم
ومقاصير وعرائس وديابيج ورياضا وخانات فالميمات ميادين القرآن والراءات
بساتين القرآن والحاءات مقاصير والمسبحات عرائس القرآن والحواميم ديباج القرآن
والمفصل رياض والخانات ما سوى ذلك فإذا دخل المريد في الميادين وقطف من
البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الديباج وتنزه في الرياض وسكن

غرف الجنان فقطعه وأوقفه ما يراه ويشغله المشاهد به عما سواه. وروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فردّدها عشرين مرة وكان له
صلى الله عليه وسلم في كل آية فهم ومن كل كلمة علم فينبغي أن يكون قلب التالي في
بوصف كل كلمة يتلوها المتفهم إلى ما يفتح الله عز وجل له من المزيد عليها فجاء ورتل
ووقع ما يفهم بها من غيرها ويشهد غيرها فيها فقد كان بعضهم يقول كل آية لا أتفهمها
ولا يكون قلبي فيها لم أعتد لها ثوابا وكان بعض السلف إذا قرأ السورة ولم يكن
قلبه فيها أعادها ثانية وإذا مرّ بتسبيح وتكبير سبّح وكبّر وإن مرّ بدعاء واستغفار
دعا واستغفر وإن مرّ بمخوف ومرجوّ استعاذ وسأل وذلك معنى قوله عز وجل
يتلونه حق تلاوته وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلاوته على
هذا المعنى ما روي في الخبر من أراد أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة
ابن أم عبد أي على معنى تلاوته لأنه كان يقرأ بقلب شهيد وسمع عتيد ويوجد به
وكان يتلو القرآن على معاني الكلام وعلى شهادة وصف المتكلم الوعيد منه
بالتخويف والوعد بالتشويق والوعظ بالتخويف والإنذار بالتشديد والتبشير
بالتشويق لأنه قد كان عالما بصفات المتكلم واجد الذوق الحكم فمثل هذا العبد أحسن
الناس صوتا بالقرآن كما جاء في الخبر أحسن الناس صوتا بالقرآن من إذا قرأ
رأيت أنه يخشى الله ومن هذا قيل إذا قرأتم القرآن فابكوا وإن لم تبكوا فتباكوا
وقيل هذا القرآن نزل بحزن أي إذا قرأتموه فتحازنوا أي القرآن لما فيه من التهديد
والوعيد والوثائق والعهود يوجب البكاء والحزن فإن لم تحزنوا وجدا ولم تبكوا فقدا
فتباكوا وتحازنوا تعطفا لأجل التصريف ولإقراره قدر به فيترجم إلى التحازن في التلاوة وو
والتباكي يجتمع هم العبد في المتلو ويتدبر الكلام عسى أن يكون قلبه بعنايه ويكون
التباكي والتحزن سببا لجمع همه وفراغ قلبه لأن المتباكي الصادق يجتمع الهم فيما
يبكيه والحزين حاضر القلب مجموع الفكر مشغول عن سوى ما يبكيه من ذلك ما
روينا عن ابن عباس إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فإن لم تبك
عين أحدكم فليبك قلبه وبكاء القلب حزنه وخشيته أي فإن لم تبكوا بكاء العلماء
عن الفهم فليحزن قلوبكم على فقد البكاء وليخشوا كيف لم يوجد فيكم وصف أهل العلم ب
وقد روينا عن عزانيا التفسير في معنى قوله تعالى وإن من الحجارة لما يتفجر منه
الأنهار قال هي العين الكثيرة البكاء وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء قال هي
العين القليلة البكاء وإن منها لما يهبط من خشية الله قال هو بكاء
من غير دموع عيني

قال ثابت البناني

رأيت

رأيت في النوم كأني أقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فلما فرغت قال
هذه القراءة فأين البكاء وكان الحسن يقول والله ما أصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن
يؤمن به إلا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وب
وبطالته والناس في التلاوة على ثلاث مقامات أعلاهم من شهد أوصاف المتكلم في
كلامه وعرف أخلاقه بمعاني خطابه وهذا مقام العارفين من المقربين ومنهم من يشهد
ربه تعالى يناجيه بألطافه ويخاطبه بإنعامه وإحسانه فمقامه الحياء والتعظيم وحاله
الإصغاء والفهم وهذا للأبرار من أصحاب اليمين ومنهم من يرى أنه يناجي ربه عز وجل
فمقامه السؤال والتملق وحاله الطلب والتعلق وهذا للمقتصدين والمريدين وينبغي
للعبد أن يشهد في التلاوة أن مولاه يخاطبه بالكلام لأنه يسمعه فيتكلم بكلام يسمعه
وليس للعبد في كلامه كلام وإنما جعل له حركة اللسان بوصفه وتيسير الذكر بلسانه
بحكم ربه عز وجل هذا للعبد ومثال ذلك كما كانت الشجرة وجهة لموسى عليه السلام
كلمه الله منها ويقال إن كل حرف من كلام الله عز وجل في اللوح المحفوظ أعظم من جبل
قاف وإن الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلّوه ما أطاقوه حتى يأتي إسرافيل
وهو ملك اللوح المحفوظ فيرفعه فيقله بإذن الله عز وجل ورحمته لكن الله عز وجل
لطف بذلك للخلق فاستعملهم به

وقال جعفر بن محمد الصادق

والله لقد تجلى الله عز وجل لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون وقال أيضا وقد سألوه
عن حالة لحقته في الصلاة حتى خرّ مغشيا عليه فلما سرّي عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت
أردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته وكذلك
المخصوص يرددون الآية بقلوبهم على قلوبهم ويتوقفون فيها في مشاهدتهم بنور من شهيدهم
حتى يستغرقهم الفهم فيغرقون في بحر العلم فإن قصرت مشاهدة التالي عن هذا المقام فل
فليشهد أنه يناجيه بكلامه ويتملقه بمناجاته فإن الله عز وجل إنما خاطبه بلسانه
وكلمه بحكمته وصوته ليفهم عنه بعلمه الذي جعله له ويعقل عنه بفهمه الذي قسمه له حكمة
منه ورحمة إذ لو تكلم الجبار عز وجل بوصفه الذي يدركه سمعه لم يثبت للكلام عرش ولا
ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات أنواره فحجبه في غيب علمه
عن العقول وستره بصنع قدرته عن القلوب وأظهر للقلوب علوم غيوبها وأشهد
العقول عرف يعقوب بلطفه وحنانه ورحمته وإحسانه وبلغنا في الأخبار
السالفة أن وليا من أولياء الله تعالى من الصديقين انتبه في الفترة إلى ملك من
الجبابرة يدعوه إلى التوحيد وإلى شريعة الأنبياء فسأله الملك عن أشياء من معاني ال
التوحيد فجعل الصديق يجيبه عنها بما يقرب من فهمه ويدركه عقله من ضرب الأمثال

بل يستعمله الناس عندهم وينتفعون به عندهم الى ان قال له الملك أرأيتنا ما يأتي به
الانبياء اذا ادعيتا انه ليس بكلام الناس ولا انهم امر كلام الله هو فقال الحكيم نعم
قال الملك وكيف يطيق الناس حمله فقال الحكيم انا رأينا الناس لما ارادوا ان
يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتأخيرها واقبالها وادبارها
لم تحمل الدواب والطير تحمل كلامهم فوضعوا من النقر والصفير والزجر ما عرفوا انها
تطيق حمله وكذلك الناس يعجزوا ان يحملوا الكلام الله ككنهه وكماله وصفته فصاروا فيما
تراجعوا بينهم من الاصوات التي سمعت بها الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة
الحكمة المخبوءة في تلك الاصوات من ان شرف الكلام بشرفها وعظم بتعظيمها وكان
الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما ان اجساد
البشر تكرم وتعز لمكان الروح التي فيها والكلام عالي المنزلة رفيع الدرجة
قاهر السلطان نافذ الحكم من الحق والباطل وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى
يأمر وينهى ولا طاقة للباطل ان يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم
قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر ان ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم ان
ينفذوا بابصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من شعاع الشمس ما تحيا به ابصارهم
ويستدلون به على حوائجهم فالكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه الشاهد امره
كالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الزاهرة التي يهتدى بها
من لا يقف على سيرها فالكلام اعظم واشرف من ذلك هو مفتاح الخزائن النفيسة
وباب المنازل العالية ومراتب الدرجات الرفيعة الربيعة وشراب الحياة الذي
من شرب منه لم يمت ودواء الاسقام الذي من سقي منه لم يسقم اذا البسملة لم يتسلح
به ابرا عورته والذي تسلح به غير اهله لم يخرج الا منه نقلنا هذا نقلا من كلام الصديق
الحكيم الذي خاطب به الملك واستغنا بالله بالأخذ الله عز وجل فهذا وصف كلام الله عز
وجل الذي جعله لنا آية وعبرة ونعمة علينا ورحمة فانظر الى الحكيم كيف جعل عقول
البشر في فهم كلام الله العظيم بمنزلة فهم البهائم والطير والنقرة والصفير الى عقول
البشر وكيف جعل النقر والصفير والاصوات من الناس للانعام والاصوات مثلا لما افهم
الله به الانام من معاني كلامه الجليل فالمفهوم به من الكلام ان ربي لطيف لما
يشاء انه هو العليم الحكيم فهذه قدرة لطيفة من قدرته التي لا تتناهى وحكمة
محكمة من حكمه الذي لا يطلع عليها الا انه حكيم عليم تنزيلا لتنتفع العباد لانه مقصود بجميع
القرآن والحكمة التي هي خلاصته ومراده فعلى العبد ان يضرب باقبال الله ويتعبد بجميع ذكره واوصافه
لان الله سبحانه وتعالى لما تكلم بهذا الكلام وخاطب به المومنين كان هو واجرهم وكان
حاضرا معهم وقد سوى الله عز وجل بين المومنين في تنزيل القرآن عليهم وبين النبي
صلى الله عليه وسلم بمعنى من المعاني فقال واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم

دم فام

ق

من الكتاب والحكمة يعظكم به كما قال لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وكذلك قال
وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم وقال كذلك يبين الله للناس آياته لعلهم
يتقون وقال ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات كما قال لقد انزلنا اليكم آيات
بينات وقال عز وجل واتبع ما يوحى اليك واصبر ثم قال اتبعوا ما انزل
اليكم من ربكم وقال فاستقم كما امرت ومن تاب معك غير انه سبحانه عم الجملة واله
بالخطاب والبيان وخص بالهدى والرحمة اولي التقوى والايمان بمنزلة قوله
عز وجل هذا بيان للناس وهدى ورحمة لقوم يومنون هذا بيان للناس وهدى
وموعظة للمتقين فالمومنون هم المتقون والمتقون هم المرحومون وقد امر بالطلب
فيه القرآن كما امر قال ورتله

وروينا عن نبينا صلى الله عليه وسلم

اقرءوا القرآن والتمسوا غرائبه وقال ابن مسعود من اراد علم الاولين والآخرين فليثور
القرآن ومن حديث علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثني
بالحق ليفترقن امتي على اصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة
يدعون الى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله عز وجل فان فيه نبأ ما كان قبلكم
ونبأ ما يأتي بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم
من غيره اضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك
به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستقيم ولا ينقضي عجائبه ولا يخلق كثرة
الرد هو الذي سمعته الجن فلم تتناه ان تولوا الى قومهم منذرين فقالوا يا قومنا
انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن تمسك به
هدي الى صراط مستقيم وقد روينا معناه في حديث حذيفة لما اخبره
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال فقلت يا رسول الله فما تأ
مرني ان ادركت ذلك قال تعلم كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال
فاعدت عليه فقال تعلم كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه فيه النجاة ثلاثا وعن
علي رضي الله عنه قال ما اسر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا كتمته
عن الناس الا ان يوتي الله عبدا فهما في كتابه وعنه رضي الله عنه انه قال ومن فهم فسر
جمل العلم وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله عز وجل ومن يوت الحكمة فقد
اوتي خيرا كثيرا قال الفهم في كتاب الله عز وجل وقال احسن القائلين ففهمناها
سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فجمع الفهم مقاما فوق الحكم والعلم واضافه اليه للتخصيص
وجعله وقفا اعلاما فيهما وكلاهما عنده علما فاذا فهم العبد الكلام وعامل به المولى تحقق بما

يقول وكان من أصحابه ولم يكن حاكيا كقوله كما يليه مثل أن يتلو منه إني أخاف إن عصيت
ربي عذاب يوم عظيم ومثل أن يقول عليك توكلنا وإليك أنبنا ومثل قوله ولنصبرن
على ما آذيتمونا فيكون هذا بل هو الخائف لليوم العظيم ويكون هو المتوكل المنيب
وهو الصابر على الأذى متوكلا على المولى تبارك وتعالى ولا يكون مخبرا عن قائل قال له
فلا يجد حلاوة ذلك ولا فهم أنه فإذا كان هو كذلك وجد حلاوة التلاوة وتحقق بحسن
الولاية وكذلك إذا تلا الآي المذموم أهلها الممقوت فاعلها مثل قوله تعالى وهم
في غفلة معرضون وقوله تعالى فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا
ومثل قوله عز وجل ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون فما ينبغي أن يعيب ذلك وهو من
أهله وما أعظم أن يذم أمرا له وهو بوصفه بهذا من يحج القرآن عليه فلا يجد معه له
حلاوة المناجاة ولا يسمع خطاب المناجي لأنه وصفه المذموم فتحجبه وهو إلا على الرد في
عن حقيقة الفهم فهو مده ولا نسوة قلبه عن الفهم [illegible] حاله عن البيان
وأخرسه فإذا كان هو المبغض المقبل وهو التائب الصادق سمع فصل الخطاب ونظر
إلى الداعي وله استجاب وقد اشترط الله عز وجل لآياته التبصرة وحضور القلب
للتذكرة فقال عز وجل تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وقال وما يتذكر إلا من ينيب
وقال عز وجل إنما يتذكر أولوا الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق
الميثاق ولا مستقيمة على التوبة من الوفاء بالعهد وتعدي الحدود من نقض
الميثاق وقلة الصدق والإنابة هي التوبة بإقبال على الله عز وجل
والألباب هي العقول الزكية والقلوب الطاهرة ويصفو التالي الخائف
النازح لنفسه والمخلوق السليم القلب إذا تلا في الوعد والمدح ومحاسن الوصف
ومقامات المتقين أن لا يشهد نفسه هنالك ولا يرى أنه كذلك بل يشهد الموقنين
فيها وينظر إلى الصادقين منها سلامة وتحملا وإذا تلا الآي المحمودة أهلها
المتوعد عليها المذموم وصفها من مقامات الغافلين وأحوال الخاطئين شهد
نفسه هنالك وأنه منه هو المخاطب المقصود بذلك خوفا منه وشفقا فهذه المشاهدة
ترجوا الخلق ويخاف على نفسه ومن هذه الملاحظة يسلم قلبه للعباد ويمقت نفسه

وروينا عن عمر ابن الخطاب

رضي الله عنه أنه كان يقول اللهم إني أستغفرك لظلمي وكفري فقال قائل
يا أمير المؤمنين هذا الظلم فما بال الكفر فتلا قوله إن الإنسان لظلوم كفار وقالت
هذا أن المعنيان على عبد حتى تشهد نفسه في المدح والوصف وشهد غيره في الذم
والمقت انقلب قلبه عن وجهة الطاعة قبل وتنكب [illegible] عن صراط الخائفين فيله

وأهله

وأهله لأن من شهد البعد في القرب لطف به بالخوف ومن شهد القرب في البعد مكر به
في الأمن وقال بعض العلماء كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأني أسمعه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه ثم رفعت إلى مقام فوقه فكنت
أتلوه كأني أسمعه من جبريل عليه السلام ويلقيه على رسول الله صلى الله عليه و
سلم ثم جاء الله عز وجل بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمعه من المتكلم به عز من قائل فعندها
وجدت له نعيما ولذة لا أصبر عنه وقال عثمان رضي الله عنه وحذيفة لو طهرت القلوب
لم تشبع من تلاوة القرآن وقال ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة
وتنعمت به عشرين سنة وقال بعض علمائنا لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من
فهمها أكثر وعن علي رضي الله عنه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة
الكتاب وعن أبي سليمان الداراني إني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس
ليال ولولا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها وروينا عن بعض السلف
أنه بقي في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ منها وحدثنا عن بعض العارفين
قال لي في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة وفي السنة ختمة ومنذ ثلاثين سنة ما فرغت
منها بعد يعني ختمة الفهم والمشاهدة وكان هذا يقول أقمت نفسي في العبودية
مقام الأجراء فأنا أعمل مياومة ومشاهرة ومجامعة ومسانهة وإنما حجب الخلق
عن فهم كنه الكلام ومعرفة سر المراد لأنهم حجبهم عن حقيقة كنه معرفته وإنما أعطاهم
من معرفة الكلام بقدر ما أعطاهم من معرفة المتكلم إذ لمعاني كلامه ظهور وعلانية في
صفاته وأفعاله وأحكامه ولأن معاني كلامه عن معاني أوصافه وأخلاقه فلذلك جاء
فيه السعة واللطف والتشبيه والقصص والرجاء والخوف لأن من أوصافه الرحمة
واللطف والانتقام والبطش فلما لم يصلح أن يعرفوه كعلمه بنفسه لم يصلح أن يعلموا
كنه كلامه لأنهم لا يعرفون كنه صفاته لأن هو فاعل الخلق لمعاني الصفات وأعرف العباد
بمعاني الأوصاف والأخلاق وغوامض الأحكام أفهمهم لسر الخطاب ووجه الحروف
ومعاني بواطن الكلام وأحسنهم تلاوة أخشاهم له وأخشاهم له أفهمهم منه من حضر [illegible]
وتمثل بعظمته وقد جاء في الخبر أحسن الناس صوتا بالقرآن من إذا قرأ رأيت
أنه يخشى الله ولا يخشاه حتى يعرفه ولا يعرفه حتى يعامله ولا يعامله حتى يقربه
ولا يقربه حتى يقف به فيكشف له ويعبر ما عرف من سر الخطاب ويطلع على بواطن الكتاب
وإذا سجد العبد بسجود القرآن فليدع في سجوده بمعاني الآية من الخير وليستعذ
من معاني شرها وكذلك فعل العلماء بالقرآن والله يحب ذلك ولتلك المعاني
أسجدهم له مثل أن يقرأ قوله عز وجل خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم ولا يستكبرون فيقول
اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين
عن أمرك وعلى أوليائك ومثل هذا قوله عز وجل يخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا

ويقول اللهم اجعلني من الباكين الذين الخاشعين له وعلى هذه المعاني ونحوها وليكن
القرآن هو علمه وذكره وغذاؤه وهمه وشغله وفيه يسأل وعليه يثاب وقد قسم
منه وذكره فيه واحواله فيه مجموع لانه كله فيه في كلامه عز وجل العارفين والحافظين
شهدوا وصابروا المرتقين بعقولهم من كلامه ومواجيدهم من علومهم ومشاهدتهم من
معانيه وطابوا بكلامه عن مشاهدتهم لان ضروب الكلام هو من الله معاني الهبات
فمنه كلام راض ومنه كلام غضبان ومنه كلام منعم ومنه كلام منتقم وكلام جبار متكبر
وحنان متعطف فاذا كان العبد من اهل العقل فلا يقبله الفهم عنه والسمع من الله عز
وجل والمشاهدة له فهو ما غاب عن غيره وابو ما عمي عنه سواه وقد قال سبحانه
فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون وقال عز وجل فاعتبروا يا اولي الابصار معناه
في الفهم اعتبروا الذي فقرأتموه ما لنا قد تكون لمعنى تلك الفعل بزحل التخفيف
بالوصف والمبالغة في الفعل فلما اعطاهم الايدي والابصار عبروا بقلوبهم الى ما
ابصروا وفروا الى الله عز وجل من الخلق حين ذكروه فما خلق مخرجوا على معيار حسن
لما نبتلا ولم يفهم البلاء شيئا وكانوا الحاضرين والحالدين امر في قوله عز وجل ومن
كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله ثم قال ولا تجعلوا مع الله
الها آخر وكانوا هم الموحدون المخلصون له وكان هو المنفرد المستخلص لهم ثم
جاوزوا التذكرة الى لا شيء اليه فذكروه عنه فيه حتى هربوا اليه منه حتى [illegible]
بوجلهم [illegible] الى سواه كما يعبروا الا اليه وكذلك رايتها في مصحف عبد الله ففروا
الى الله اني لكم منه نذير مبين في الخبر عن ابن مسعود وبعض الرواة
في وجه وقد روينا مسندا من طريق وهم خصوص العارفين من المحبين والخلصين
اطلعوا على السر واوقفوا على الحكم وكانوا مقربين شاهدين ان للقرآن ظهرا
وبطنا وحدا ومطلعا فظهره لاهل العربية وباطنه لاهل اليقين وحده
لاهل الظاهر ومطلعه لاهل الاشراق وهم العارفون المحبون والخائفون اطلعوا على
لطف المطلع بعد ان خافوا هول المطلع واودعوا السر عند مقام امين واوقفوا على
الحكم في حال مكين فكانوا الربانيين مقربين انما كانوا به شاهدين وقال النبي صلى الله
عليه وسلم يرى الشاهد ما لا يرى الغائب فمن حضر شهد ومن شهد وجد ومن وجد
وجد ومن وجد عرف ومن غاب عمي ومن عمي فقد ومن فقد نسي ومن نسي نُسي
وقد قال الله عز وجل وكذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي فتركتها
فلم تعبأ بها ولم تتكلم [illegible] وكذلك اليوم نتركك فلا نلتفت اليك رحمة ولا نكلم باللطف
ولا نعبأ بك

الفصل السابع عشر فيه

كتاب

كتاب ذكر نوع من المفصل والموصل

الكلام وفيه مدح العالمين به وذم الغافلين عنه وتفسير الغريب والمشكل من القرآن
باختصار لاصول الدلالة على المعنى بما قل ظاهر الكلام فيه وعلى معنيين عجيبين وهو مجمل مختصر
وموصل مكرر بما اجمله واختصره للبلاغة والايجاز قال الله تعالى ان في هذا لبلاغا لقوم
عابدين ومكرره وتفصيله للافهام والتذكار قال الله عز وجل ولقد وصلنا لهم القول لعلهم
يتذكرون قال الله عز وجل في المبهم والمجمل والتوحيد المفصل الرحمن ثلاثة اسماء
الله لطيف رحيم وقيل بل هي حروف من اسم وهو الرحمن الرحيم ثم اظهر السبب وقال
كتاب احكمت آياته يعني بالتوحيد ثم فصلت اي بالوعد والوعيد ثم قال من لدن حكيم
اي بالاحكام للاحكام خبير بالتفصيل للحلال والحرام لا تعبدوا الا اياه هذا هو التوحيد
الذي احكمه انني لكم منه نذير وبشير هذا هو الوعد والوعيد الذي اعلمه من المختصر للايجاز
الى قوله عز وجل وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها في هذا مضمر ومحذوف فالمضمر قوله
تعالى مبصرة المعنى آية مبصرة ومحذوف قوله فظلموا بها المعنى فظلموا انفسهم بالتكذيب
والمختصر كلمتان من كلمتين للايجاز ومثله وهي خاوية على عروشها الجدار والعروش
السقوف وهو جمع عرش فيكون خالية من العروش والعروش موجودة فيها
فهذا من المختصر المحذوف ومعناه وهي خاوية من ثمارها ومن اهلها واقعة على عروشها
ومثله قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله وقد يكون من البدل فيكون المحذوف اسم البر لا
الفعل وكانه ولكن البر بر من آمن بالله فلما كان البر وصفا فيه وكانه المثل ومعنى الاول
قوله عز وجل واشربوا في قلوبهم العجل اي حب العجل ومن ذلك قوله عز وجل اقتلت نفسا زاكية
بغير نفس ولم يذكر قتله والمعنى بغير نفس قتلها فحذف الفعل ومثله انه من قتل نفسا
بغير نفس او فساد في الارض اضمر قوله بغير نفس قتلها وبغير فساد في الارض
والكناية عنه يذكر غير الاولى وكذلك قوله من السموات والارض معناه ومن في الارض
وكذلك قوله من في السموات والارض هو منفصل بقوله سبحانه لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم وفصل بينهما التين والزيتون والمعنى فما يكذبك بعد هذا
البيان ايها الانسان في الدين [illegible] فحمله على التكذيب ان تمييز الله
تعالى وهو احكم الحاكمين من المبدل المتضمن ايضا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف
الممات المعنى ضعف عذاب الاحياء وضعف عذاب الموتى واضمر لما بان ذكر العذاب
وابدل الاحياء والموتى بذكر الحياة والممات فاقام الوصف مقام الاسم ويصلح ايضا ان يكون
الوصف على لفظه ويضمر اهل فيكون ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب اهل الممات
كما اضمر اهل في ذكر القرية وذكر العير فقال واسأل القرية التي كنا فيها
والعير التي والمعنى واسأل اهل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها

ومن هذا المعنى قوله تعالى ثقلت في السموات والارض هو من المبدل المضمر فيه لانه ثقلت
معناه خفيت ابدل بدلا لان المعنى عليه لان الشيء اذا خفي علمه ثقل في السموات
معناه على ومضمر اهل والمعنى خفيت على اهل السموات واهل الارض لا تاتيكم الا بغتة
يعني فجاءة ومنه قوله عز وجل تالله تفتؤ تذكر يوسف فيه مضمر محذوف لمجزوم لا تزال ومضمره
لا التي هي جواب القسم والمعنى قالوا تالله لا تزال تفتؤ تذكر يوسف فاضمرت
لا وابدلت تزال بقوله تفتؤ وهي من محتوا الكلام وفصيحه وبليغه وهي لغة بعض
العرب وفي القرءان من كل لغة ومن هذا قوله عز وجل وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
وقوله عز وجل بدلوا نعمة الله كفرا معناه تجعلون شكر رزقكم انكم تكذبون وكذلك
بدلوا شكر نعمة الله كفرا ومثله وكاين من قرية اهلكناها وكاين من قرية امليناها
لها معناه اهل قرية مثل قوله وسل القرية المعنى اهل القرية والعير هي الابل المحمولة
وهذا الذي تسميه النحويون المجاز ومثله قوله ان هذا القرءان يهدي للتي هي
اقوم معناه للكلمة التي هي اقوم ومثل هذا قوله عز وجل وقل لعبادي يقولوا
التي هي احسن اي يقولوا الكلمة التي هي احسن ومثل هذا قوله عز وجل ادفع
بالتي هي احسن السيئة اي بالكلمة او بالفعلة التي هي احسن ومثله قوله
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اي الكلمة الحسنى والوجه الاخر ان الحسنى
اسم لا نعت معناه الجنة ومثله قوله على ملك سليمان اي على عهد ملك سليمان
فالمضمر قوله عهد ومثل قوله ... اتيناه او عرضنا على رسله اي على السنة رسله فاضمر
السنة ومن المعنى المضمر قوله تعالى وما انسانيه الا الشيطان اضمر الحوت وذكره واسم
موسى للاختصار والمعنى وما انسانيه ذكر الحوت لك الا الشيطان ومثله قوله
انا انزلناه في ليلة القدر اي انا انزلنا القرءان وكنى عنها ولم يجر لها ذكر ومثله
ومثله قوله عز وجل حتى توارت بالحجاب يعني توارت الشمس بحجاب الليل وكنى عنها
ولم يجر لها ذكر ومثله قوله عز وجل وما يلقاها الا الذين صبروا اي الكلمة الطيبة والفعلة
التي هي احسن ومعناه وما يلقاها الا الصابرون يعني كلمة [illegible] في الدنيا و[illegible]
الترغيب والرغبة في الاخرة [illegible] على قوله تعالى ويلكم ثواب الله خير [illegible] المقالة
ومن المبدل المختصر قوله عز وجل واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم معناه
حملته العزة على الاثم اي حمله التعزز والانفة على ان يأثم ولم يبال فاخذته يعني
حملته والباء بمعنى على الاثم ومن هذا قوله لا تاخذه سنة ولا نوم اي لا تحل به سنة
ولا نوم لان السنة تحل العبد اي تذهب به من التيقظ ومن المنقول المنقلب قوله
عز وجل يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه اللام في لمن منقولة والمعنى يدعوا من ضره اقرب
من نفعه ومثله لتنوء بالعصبة معناه لتنوء العصبة بها اي لتثقل بحملها لثقلها
عليهم ومثله قوله وطور سينين سلام على ءال ياسين وهو مما قلب اسمه لازدواج الكلم

المعنى

المعنى طور سيناء وسلام على ءال ياسين وقيل [illegible] في حرف ابن مسعود سلام
على ادراسين ونحو جعلوا القرءان عضين اي اعضاء كانهم عضوه فامنوا ببعض و
وكفروا ببعض و[illegible] وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت المعنى وجعل منهم
من عبد الطاغوت ويصلح ان يكون معطوفا على قوله من لعنه الله وغضب عليه ومن
عبد الطاغوت ومن قرا الطاغوت بالكسر فانه يجعل عبد اسم اضافة الى الطاغوت
بمعنى وعبد وعباد وفيه خمس لغات اخرى عبدة الطاغوت وعبد الطاغوت وعبدة
وعباد الطاغوت وعبد الطاغوت واما عبد الطاغوت نصبا فهي بمعنى الفعل من العبادة
ومن المضمر المختصر ايضا قوله عز وجل الا ان عادا كفروا ربهم [illegible] احد الكلمتين كفروا نعمة
ربهم كفروا توحيد ربهم فاضمر للاختصار وانتصاب [illegible] لسقوط الخافض وفيها
وجه غريب [illegible] انه لمحمول على المعنى لانهم عصوا ربهم [illegible] اي عصوا [illegible] وما عاد
اليه من النحو والمعنى كفروهم اي غطوا عليهم ما اعطوا هكذا حقيقته في التوجيه الا ولية
في كل فعل منه [illegible] فيما بعد [illegible] بمعنى قوله والبسنا عليهم ما يلبسون الملبس
ايضا التغطية ومنه قوله والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم [illegible] يقولون
ما نعبدهم ومثله فظلتم تفكهون انا لمغرمون اي يقولون انا لمغرمون وعلى هذا
المعنى وجه قوله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك المعنى فيه يقولون ما اصابك على معنى
الاخبار عنهم والله [illegible] القدرية [illegible] بعلم [illegible] وظنوا انه ابتدا
شيء [illegible] من الله عز وجل وقد احكم الله عز وجل ابتداء شيء وبيانه بالاول الاية
في قوله قل كل من عند الله

وقد كان ابن عباس يقول

اذا اشتبه عليكم شيء من القرءان فالتمسوه في كلام العرب فان الرجل يتلو الاية
فيعيا بوجهها [illegible] وفي قراءتنا في مصحف عبد الله بن مسعود فما لهؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا قالوا ما اصابك من حسنة [illegible] وقراءتنا في مصحف عبد الله [illegible]
والذين اتخذوا من دونه اولياء قالوا ما نعبدهم [illegible] ومن المضمر قوله تعالى ولو
نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون ليس انه يجعل من البشر ملائكة ولكن
معناه لجعلنا بدلا منكم ملائكة ويصلح لجعلنا بدلكم يعني منكم ومن البدل قوله عز
وجل وهم لها سابقون اللام بدل من الى المعنى وهم اليها سابقون لانهم لم يسبقوها
[illegible] وعلى هذا المعنى قال بعضهم ان قوله عز وجل فلما تجلى ربه للجبل اي بالجبل
كان الجبل حجابا لموسى [illegible] فتجلى به كما قال من الشجرة اي يا موسى انني
انا الله وكانت الشجرة [illegible] لموسى كلمه الله عز وجل منها ومثله ولاصلبنكم في جذوع
النخل وكذلك ولا تجعلني في القوم الظالمين معناه مع القوم [illegible] ام لهم سلم [illegible]

يستمعون فيه اي عليه، ويصلح به. وكذلك قوله مستكبرين به اي عنه يعني على القرءان
يعني هذا المجاز. قوله تعالى الرحمن فسئل به خبيرا اي سل عنه. ومن حروف العوامل يقوم بعضها
مقام بعض ومثل قوله السماء منفطر به اي فيه يعني في اليوم. ومثله لئلا يكون للناس
عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم، ولا الذين ظلموا ابدلتها الا بقوله ولا يجوز ان يكون
الا استثناء يعني لكن الذين ظلموا متصلة بحجة هنا من قوله فلا تخشوهم فهو معنى
قوله لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء. فيكون مستثنى لا لكن
جرها بعده بمعناه. قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي مع اموالكم ومثله
معناه. وكذلك وجه قوله وايديكم الى المرافق اي مع المرافق. لا خلاف اخلة في الغسل والحدود
العوامل ينوب بعضها عن بعض ولو اطلت مثل هذا المختصر وصل مثل هذا المخرج لكان الى
الفروان ضيعته. ومن المتصل المكرر كرر البيان والتوكيد قوله عز وجل وما يتبع الذين
يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن. قوله ان يتبعون مردود للتوكيد ولا بهام
كانه لما طال الكلام اعيد ليفهم من الفهم والمعنى وما يتبع الذين يدعون من دون
الله شركاء الا الظن اي اتباعهم الشركاء كلا شيء منهم غني ونحوه من المكرر المؤكد
قال الملا الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن امن منهم اختصارا
الذين استكبروا للذين امنوا منهم الذين استضعفوا يعني قدم الذين استضعفوا
وكان المراد بعضهم كرر المراد بالاعادة ذكر من امن منهم للبيان ومثله الا ءال لوط
انا لمنجوهم اجمعين الا امراته فادخل الا مستثنى على الا مستثنى وهو يجوز في كلامهم
لانه اراد بالاعادة بعضه الا ما احملهم اخرج مستثنى من مستثنى وفي هذا دليل
ان الازواج من ءال لوط لانه استثنى امراته من ءاله ومن المكرر للتوكيد قوله تعالى
فلما ان اراد ان يبطش مختصر، فلما اراد ان يبطش وقد قيل ان هذا من المختصر المحكم
مما اعترض فيه لا اسم وحرف فيه الفعل وهو غريب فيكون تعجيل، فلما اراد لا اسم
يلي ان يبطش موسى بالذي هو عدو لهما فلم يفعل قال يا موسى اتريد ان تقتلني
هذا حسبنا من اختصار الكلام واوجز، ومن المكرر قوله عز وجل فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة ومفهومه جاز، فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم كانوا اشد منهم قوة فوصل بين وكرر مكان وعبرتهم **وقراتها** في مصحف
ابن مسعود عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد قوة ليس فيه الا تكرار. قوله
منهم وبعدنا. وان في قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا هذا مثال
طول للبيان والمعنى لجعلنا لبيوت لمن يكفر بالرحمن فلما افرد من وهي اسم
من يكفر اعيد ذكر البيوت مرة. ومن المكنى المبهم المشتبه قوله عز وجل ضرب الله
مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء. الشيء في هذا الموضع لا يقع بما رزق الله
وقوله تعالى بعد وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء. والشيء

في هذا الموضع لا يقع بالعبد لانه لا يقدر منه على الهدى. وكذلك قوله فان اتبعتني فلا
تسألني عن شيء. والشيء في هذا الموضع وصف مخصوص من وصف الربوبية من
العلم الذي علم الخضر عليه السلام من لدنه لا يصلح ان يسال عنه حتى يبتدئه به
فلذلك الناعنه وكذلك العلم على من يبتدره لا يصلح ان يبتدا به حتى يسال عنه وهو
مما لا يضيق علمه فلذلك وسع جهله وحسن كتمه وعلم لا ينبغي ان يسال عنه من معنى
صفات التوحيد ونعوت الوحدانية لا يدرك في العقول بل يجب به الرضى المجهول بعلم
الحق الذي نزل على موسى ان لا يسال عنه ثم امر به من هذا النوع والله غالب
على امره. ومثله قوله تعالى ام خلقوا من غير شيء. يعني الله تبارك وتعالى اي كيف تكون
خلق من غير خالق يعني وجوده ثم يثبت خالق بهم لانه عليه انه خلقهم **وروينا**
ذلك عن ابن عباس وعن زيد بن علي رضي الله عنهما قالا في قوله عز وجل من غير شيء.
اي من غير رب كيف يكون خلق من غير خالق. وقوله عز وجل والله فضل بعضكم على
بعض في الرزق لا والمفضل في الرزق هم الاحرار والبعض الاخر المفضول هم المماليك
مثل قوله قال قرينه هذا ما لدي عتيد قرينه هذا هو الملك الموكل بعمله احصى ما
عنده مما عمله من فعله وقوله عز وجل قال قرينه ربنا ما اطغيته قرينه هذا هو
شيطانه المقرون به. ومثله قوله تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي الهاء والميم في
المتصلة باخوان اسماء الشياطين والهاء والميم المتصلة بيمدون اسماء المشركين
اي الشياطين اخوان المشركين في الغي ولا يقصرون عنهم في الامداد وبمعنى هذا
قوله انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون الهاء والهاء التي المتصلة
بيتولون كناية عن ابليس والهاء المتصلة بالياء من قوله هم به تعود الى اسم الله عز وجل
وقد قيل ايضا انها عائدة على ابليس فيكون المعنى هم به صاروا مشركين في التوحيد
اي اشركوه بعبادة الله ومثل هذا قوله عز وجل فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا
الهاء الاولى كناية عن الحوافر وهي الموريات قدحا يعني الخيل تقدح بحوافرها
بنور في الناس فاثرن به اي بالحوافر النقع يعني التراب والهاء الثانية كناية
عن الغارة فوسطن به اي فوسطن بالغارة وهي المغيرات صبحا ووسطن جمع
المشركين اغاروا عليهم بجمعهم والمشركون علمون. وبهذا المعنى قوله عز وجل فانزلنا
به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات الهاء الاولى عائدة على السحاب اي انزلنا بالسحاب
الماء. وفي قوله به مبدل ومكنى فالمكنى هو ما ذكرناه من اسماء السحاب والمبدل الذي
معنى منه. ومثل هذا قوله يشرب بها عباد الله اي منها وهو صريح قوله في المعصرات وانزلنا
من المعصرات ماء ثجاجا يعني السحاب وهو قوله سقفنا لبلد ميتا وقوله في الهاء
الثانية فاخرجنا به من كل الثمرات يعني بالماء فجميع هذا السحاب والماء بالماء. ومما يشكل
ومن البيان الثاني والثالث المخاطب الجمع قوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه

القرآن فلم يفهم منه لان القرآن انزل في شهر رمضان ولم يرد انه كله انزل فيه
وليلا وقال في البيان الثاني انا انزلناه في ليلة مباركة ولم يرد اي ليلة هي
وقال في البيان الثالث انا انزلناه في ليلة القدر فهذا غاية البيان وبعضه
قوله تعالى ولما بلغ اشده واستوى اتيناه فهذا البيان لا زيادة على الاشد
وهو الوصف لانه غير مفسر ثم قال في البيان الثاني حتى اذا بلغ اشده وبلغ
اربعين سنة ففسر الاشد بالاربعين اذ لا تكون الواو للمدح والوصف في احد
الوجهين ومن الموحد ومعناه الجمع قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر
معناه ان الناس لفي خسر اي في خسران لقوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لا يستثنى جماعة من واحد وانما يستثنى جماعة من جماعة اكثر منهم وانما
يوخذ الاسم للجنس وكذلك قوله تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا
معناه يا ايها الناس انكم كادحون دل عليه قوله عز وجل فاما من اوتي كتابه
بيمينه واما من اوتي كتابه وراء ظهره وانما وحد النعت لتوحيد الاسم وهو
وكذلك قوله عز وجل وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا معناه حملها الناس
كلهم وهذا احد الوجهين الذي لقوله عز وجل عقبه ليعذب الله المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات ومثله قوله عز وجل واذا اذقنا الانسان منا
رحمة فرح بها معناه واذا اذقنا الناس منا رحمة فرحوا بها فلما وحد الاسم وحد
نعته دل عليه قوله تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فاظهر الجمع ومن
الجمع المراد به الواحد قوله عز وجل كذبت قوم نوح المرسلين يعني نوحا وحده
لانه لم يرسل الى قوم نوح غيره ودل عليه قوله تعالى اذ قال لهم اخوهم نوح وحد
الجمع ومثله قوله تعالى فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله
على من يشاء يعني به النبي صلى الله عليه وسلم وحده يوم خيبر ومن الجمع
المعنى قوله عز وجل لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس في هذا الموضع الدجال
نزل في ذكر الدجال واستعظامهم لوصفه وكذلك قوله تعالى الذين قال لهم
الناس ان الناس قد جمعوا لكم يعني رجلا واحدا قال لهم وهو عروة بن مسعود
الثقفي فجمع لعظمه لاجل جنسه والعرب تجمع الواحد للجنس وكذلك قيل في الوجوه
ان قوله عز وجل ثم افيضوا من حيث افاض الناس يعني ادم وحده وهو ادم من طاف
بالبيت واتاه جبريل واشعر له المناسك وقد يقع في بعض حروف الشك من حيث
افاض الناسي فهذا شاهد له

ومن المقدم والمؤخر

تحسين تأليف الكلم ومن ترتيب البيان والاختصار قوله عز وجل ومن يكفر بالله من

بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غ
غضب من الله الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن وكذا بقوله ولكن من شرح بالكفر صدرا
لما استثنى المكره وقلبه مطمئن بالايمان ولم يجعل المكره اخر الكلام ليليه قوله ف
فعليهم غضب من الله وهو في المعنى مقدم وخبر للاول من قوله من كفر بالله من بعد
ايمانه فاخر ليليه قوله تعالى ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة لانه متى
وصلهم فيكون هذا احسن في تأليف الكلام وصيانة المعنى وكذلك قوله عز وجل
وقيله يا رب ان هؤلاء قوم هذا من المعطوف المضمر ومن المقدم والمؤخر ومعناه قوله
وعنده علم الساعة وقيله وعلم والمعنى عنده علم الساعة وعلم قيله يا رب وهذا
على من كسر اللام واما من نصبها فانه وفقه ايضا ومحمول على المعنى اي وعنده
علم الساعة ويعلم قيله يا رب فاما من رفع اللام وقرا وقيله فتكون مستانفة على
الخبر وجوابها الفعل من قوله فاصفح عنهم اي قوله ان هؤلاء قوم لا يومنون فاصفح عنهم وقد
وقد تكون الواو في قوله وقيله للجمع مضمومة الى علم الساعة من المعنى وعنده علم الساعة
وعنده قوله يا رب فجمع بينهما بعضه بهذا المجاز […] المغاربة […] الثلاث والعربية ومما حمل
على المعنى قوله عز وجل فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا ثم قال والشمس والقمر ح
حسبانا فلو لم يحمل على المعنى لكانت والشمس والقمر خفضا اتباعا للاول قوله فالق
وجاعل ولكن معناه وجعل الشمس والقمر حسبانا وعلى قراءة من قرا وجعل الليل سكنا
ثم قال متبعه يجعل ظاهرا ومعناه فقوله تعالى فامسحوا برءوسكم وارجلكم في قراءة من
نصب اللام محمول على معنى الغسل من قوله عز وجل فاغسلوا وجوهكم وارجلكم ايضا ومن
قرا وارجلكم خفضا حمله على اتباع الاعراب من قوله عز وجل برءوسكم فاتبع الاعراب قوله
لان مذهبه الغسل لا المسح واختيار من نصب اللام في المعنى على نص الغسل واتباع الوجه
واليدين لانه روي عن ابن عباس وانس بن مالك نزل القرآن بغسلين ومسحين وسن
رسول الله منه صلى الله عليه وسلم غسل الاقدام فينبغي نفعل كما فعل وقوله عز وجل
ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى من المقدم والمؤخر والمعنى فيه
ولولا كلمة سبقت من ربك واجل لكان لزاما وبه ارتفع الاجل ولولا انه لكان نصبا
كاللزام وانما اخر لتحسين اللفظ ومعناه قوله عز وجل يسالونك كانك حفي عنها المعنى
يسالونك عنها كانك حفي بها اي كانه عالم بها ومثله قوله او ننسها نات بخير منها
او مثلها اي فان نجمع بعضه ونجمع واخر منها ما نشكل ومن المؤخر بعد توسط الكلام
قوله عز وجل لتركبن طبقا عن طبق في قراءة من وحد الفعل وهو متصل بقوله عز وجل
يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا لتركبن طبقا عن طبق اي حالا بعد حال
في البرزخ فلاقى الاحوال الغائرة في الدار وكذلك هو في قراءة من جمع وقال لتركبن اي ايها
الناس فيكون الانسان في معنى الناس كما ذكرنا اولا ويكون الجمع عطفا على المعنى

والمواجهة للجنس وكأنه قال يا أيها الناس لتركبن طبقا عن طبق فأخر هذا الخبر لما
توسطه من الكلام المتصل بالقصة ومعناه التقديم ومثل هذا قوله عز وجل ولولا
فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان وقوله إلا قليلا وآخر الكلام لاتبعتم
الشيطان وقد قيل أن قوله إلا قليلا مستثنى من الأول في قوله وإذا جاءهم أمر من الأمن
أو الخوف أذاعوا به إلا قليلا منهم وفي هذا بعد والأعجب إلي وعلى هذا المعنى فسره
ابن عباس في رواية عنه لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم جعله متصلا
بقوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم إلا من ظلم وصار آخر الكلام لا يحب
الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم أصلا ومثل هذا قوله تعالى والذين كفروا بعضهم
أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض إنما هو من صلة قوله وإن استنصروكم في
الدين فعليكم النصر إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وكذلك قوله في أول الشورى لهم مغفرة
ورزق كريم كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ليس هذا من صلة الكلام إنما هو مقدم وهو
متصل في المعنى بقوله قل الأنفال لله والرسول كما أخرجك ربك من بيتك بالحق
أي فصارت الأنفال الغنائم لك إذ أنت راض بإخراجك وهم كارهون فاعترض الكلام
بينهما بالتقوى والصلاح والوصف لحقيقة الإيمان والصلاح وأشكل فيهم
وعلى هذا قوله عز وجل حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن
لك إنما هو موصول بقوله قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إلا قول
إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك إنما نزلت في قوم صغرا يستغفر إبراهيم لأبيه وهو
مشرك غير قوله سأستغفر لك ربي فقالوا ما لنا لا نستغفر لآبائنا المشركين فنزلت
هذه الآية يستثني القدوة بإبراهيم في هذا ثم نزلت الآية الأخرى معذرة
له لموعدة إياه إلى أن علم تبرئته على الكفر فقال وما كان استغفار إبراهيم
لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ولا ينبو كذلك قوله عز وجل ورضيت لكم الإسلام
دينا فمن اضطر في مخمصة وهذا متصل بقوله حرمت عليكم الميتة والدم إلى آخر
الآية ثم قال فمن اضطر في مخمصة يعني مجاعة وقلما ذكرناه من علم القرآن كثير
وإنما نبهنا على جمل غير ليستدل بما ذكرناه على نحوه ويلحق به ما مثله ومثل
ذلك على ضروب كلام العرب ومعانيه التي استعملوها ووجوه استحسانهم إذ في كلامهم
المطول للبيان والمختصر للإيجاز والمقدم والمؤخر للتحسين وكله فصيح بليغ لأن
وصف البلاغة عندهم رد الكثير إلى القليل وشرح القليل المجمل لتبيين المبهم
والمغمض من الكلام عندهم مع الحاجة إلى المعاني المتعرفة عجز والمطول منه مع
الاكتفاء بالمعنى الجلي ومنه عيب فلما خاطبهم بكلامهم أفهمهم بعقولهم واستعمالهم
ليستدل له عندهم فيكون حجة عليهم من حيث يعقلون لأنه أفهمهم بما يعلمون وما
يستحسنون حكمة منه ولطفا وبرا لهم أيضا على هذه المعاني يفهم الخصوص من مكانهم

ويشهدهم عن علو فهمهم في وكان ما الظهر لهم من العلم به ونصيبا ما قسم لهم من العقل
عنه فهم متبعا وتزين في الأشهاد والعموم حسب تفاوتهم في الأفضلية من العقول والعلوم
إذ القرآن عموم وخصوص ومحكم ومتشابه وظاهر وباطن فعمومه لعموم الخلق وخصوصه
لخصوصهم وظاهره لأهل الظاهر وباطنه لأهل الباطن والله واسع عليم فهذا الله
الذين أقبلوا لما اختلعوا أيديهم من الحق بأنه فيه وأنه أصغى القلب بنور التعبير وأيد
العقل بالتوفيق والتمكين ونحوها لهم من تعلق بخلق وبالله السميع بالعكوف على
الخالق وحلت النفس من الهوى ثم ثبت الروح مجال الثابت في الملكوت الأعلى كشف للقلب
بنور اليقين النافذ ملكوت العرش عن معاني صفات موصوف وأحكام أخلاق مألوف
وبالطف أسماء معروف وغرائب علم رحيم رؤوف يشهد عن الكشف وطاف ما عرف
وقام حيث شهد ما عرف وكان ممن قال يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون
به فحق التلاوة للمؤمنين هو الذي أنه إذا أعطاه حقيقته من الإيمان أعطاها فتلقاها
من معناه ومعرفة حقيقته من مشاهدة وكانت تلاوته عن مشاهدته وكان قد برئ
عن معنى تلاوته وكان قد لهم على وعيد رهبة من الإيمان كما قال وإذا تليت عليهم
آياته زادتهم إيمانا أولئك هم المؤمنون حقا فيكون العبد بوصف من نعت بالحضور
والاستماع وخص بالمزيد والاستبشار في قوله عز وجل فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما
قضي ولوا إلى قومهم منذرين وفي قوله عز وجل فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون و
ويكون بمعنى من مدحه بالعلم وأثنى عليه بالرجاء ووصفه بالخوف في قوله تعالى يحذر
الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال عز
وجل يدعون ربهم خوفا وطمعا وكان هذا من أهل الله وخاصته ومن محبيه وخاصته
كما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل القرآن أهل الله وخاصته
وقال ابن مسعود لا على أحدكم أن يسأل عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب
القرآن فهو يحب الله وإن لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله وهذا كما قال لأنه إنما
إذا أحببت متكلما أحببت كلامه وإذا كرهته كرهته وقال أبو محمد سهل
من علامة الإيمان حب الله عز وجل ومن علامة حب الله حب القرآن ومن علامة
حب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم
حب اتباعه ومن علامة اتباعه الزهد في الدنيا وحدثونا عن بعض المريدين
قال كنت في حدة أراد في فرطت بتلاوة القرآن ثم رغبت عنه مدة فبقيت
ليلة قائلا اقرأ إن كنت تحبني هكذا من قبل الله عز وجل إن كنت تحبني فلم جفوت كتابي
أما تذكر ما فيه من لطيف عتابي وقال بعض العارفين لا يكون المريد مريدا حتى
يجد في القرآن كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغني بالمولى
عن العبيد وأقل ما قيل في العلوم التي يحويها القرآن من ظواهره المجموعة في أربعة

وعشرين ألف علم ومائتي ألف علم لكل آية علوم أربعة ظاهر وباطن وحد ومطلع
وقد قيل إنه يحتوي على سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم من علوم إذ لكل كلمة
علم وكل علم عن وصف وكل كلمة مقتضى صفة موجبة لمعان حسنة وغيرها على
معانيها فسبحان الفتاح العليم

الفصل الثامن عشر فيه كتاب ذكر الوصف المكروه من نعت الغافلين

بإزاء ما ذكرنا من التالي هذا الوصف الذي تقدم حسنه أو كان على ضده من السهو والغفلة
والعمى والجهل محدثاً لنفسه مصغياً إلى هواه وموسوساً لعدوه متوهماً للظنون
عاكفاً على الأماني فخشينا عليه أن يكون بمعنى ما قال الله عز وجل ومنهم أميون
لا يعلمون الكتاب إلا أماني يعني إلا تلاوة القرآن لا غير وإن هم إلا يظنون يحكمون
بالظن وهو ضد اليقين كما أخبر عن الظالمين في قولهم إن نظن إلا ظنا وما نحن
بمستيقنين ويخشى أن يكون ممن قال وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم
عنها معرضون فالقرآن من أجل آيات الأرضين والسموات الدالة على ما لطف من
ومثله وكان يوصف بمودة فعلمه فيه عند استماعه لكلامه الغيبة منها وقلبه
مناجياً لغيره إذ يقول تعالى نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى
ومثل من سمع وقلبه مشغول عن المسموع بما سواه مما يتبعه حتى إذا خرج عن
الكلام سأل من حضر بقلبه ماذا فهم من الخطاب الذي كان هو عنه بغفلته فقد
غاب وقد كان حاضراً بجسمه حجة عليه بمعنى قوله عز وجل ومنهم من يستمع إليك
حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً أولئك الذين
طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم يعني فقد الخطاب فلم يسمعه القلوب
ولم يعه واتبعوا أهواءهم يعني أباطيلهم وظنونهم الكاذبة ويقال إن العبد
إذا تلى القرآن واستغفر نظر الله إليه برحمته فإذا قرأ القرآن وخلط قال الله
عز وجل ما لك ولكلامي وأنت معرض عني دع عنك كلامي إن لم تتب إلي

وروينا في الإسرائيليات

أوحى الله عز وجل إلى نبيه موسى وداود عليهما السلام وعصاة بني
إسرائيل لا يذكروني فإني آليت على نفسي أن أذكر من ذكرني وإني أذكرهم باللعنة وأن يوصف
من أهل عنه إذ يقول تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا
الأدنى ويقولون سيغفر لنا الآية وهذا وصفهم اللعن الكاذبة بأو أجل المخلف للكذب

لم يعرفوا

لم يعرفوا قالي حرفوا والتبديل عما أحل لهم عاجلاً وتمنوا عليه المغفرة جهلاً منهم
بحكمته وإعراضاً عن أحكامه قال الله عز وجل ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا
يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه ثم أخبر عن علمهم بذلك علم قول وخبر لا علم
يقين ومعاينة **قال سبحانه** ودرسوا ما فيه أي قرأوه واحتجوا وعلموه ولم يعملوا
به فلم ينتفعوا بشيء منه وكان هذا توبيخاً لهم وتقريعاً كقوله تعالى بئسما يأمركم
به إيمانكم إن كنتم مؤمنين وفيها وجه غريب ودرسوا ما فيه أي محوه بترك العمل به
والفهم له من قولهم درست الريح الآثار إذا محتها وخط دارس وربع دارس إذا امحى
وعفا أثره وهذا المعنى مواطئ لقوله تعالى نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب
كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين أي تتبع
وتتلو ومواطئ لقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فسمى
ترك العمل منهم له طرحاً له وإلغاء ونبذاً له بالرغبة والتمني وأوكلوا ما ينبغي التحرج
والوعيد فلكلاً ما ينبغي منها وعظاً وتخويفاً وللغافلين منها وصفاً ونعتاً في علمه من
علمه كقوله تعالى في ذكر النار ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون وقال
تعالى في خبر ما أعد للكافرين وقال بعض السلف إن العبد ليفتتح سورة فيصلي
عليه حتى يفرغ منها وإن العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها وقيل
وكيف ذلك قال إذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه وإلا لعنته وقال بعض
العلماء إن العبد يتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول ألا لعنة الله على
الظالمين وهو ظالم ألا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال سفيان في قوله عز
وجل سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق قال أصرف عنهم فهم
القرآن **وفي الخبر** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عظمت أمتي
الدنيا والدرهم نزع منها هيبة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر حرموا بركة الوحي

وقال الفضيل

حرموا فهم القرآن وفي الأخبار عنه وقراءة البطالين أخشى من أن تتركما وروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أكثر منافقي أمتي قراؤها وكان الحسن يقول إنكم
اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملاً فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله
وإن من كان قبلكم رأوه رسائل إليهم من ربهم وكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار
وقد كان ابن مسعود من قبله يقول أنزل عليهم القرآن ليعملوا به فاتخذوا دراسته
عملاً إن أحدهم ليتلو القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد أسقط
العمل به

وفي حديث ابن عمر

وهو بين جنبيه لقد عشنا برهة من دهرنا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فتنزل السورة
على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها وما ينبغي أن يوقف
عنده منها كما تعلمون أنتم القرآن ثم لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل
الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ولا يدري ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يوقف
عنده منه فينثره نثر الدقل وهذا لما قال لأن المراد والمقصود بالقرآن الائتمار بالأوامر
والانتهاء عن الزواجر إذ هي حدود مفترض ومسؤول عنها العبد ومعاقب عليه وليس
حفظ حروفه بمجرده والإعتاب على العبد إذا لم يحفظ ذا وسعه منه قال الله عز
وجل إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا أي العمل به ثقيلة ولا يقدر عليه إلا المزكي ومن ثم كان
الخبر المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم
ولانت له جلودكم فإذا اختلفتم فلستم تقرءونه وفي بعضها إذا اختلفتم فقوموا عنه

وحدثني شيخ فاضل

قرأت عليه القرآن قال قرأت القرآن في
على شيخ في بلدي فلما ختمت رجعت إليه لأقرأ فقال جعلت القرآن علي اذهب
فاقرأ على الله عز وجل وانظر ما يسمعك منه ويفهمك عنه وقد كان من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من لا يجاوز الجزء والجزأين والسورة المعروفة وسورتين
وكان من يجاوز الحزب منه وهو السبع والبقرة والأنعام علماء فيهم وقبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألف صحابي عيني ثم لم يجمع القرآن كله
إلا ستة اختلف منهم في اثنين وقال بعضهم لم يكن جمعه من الخلفاء الأربعة إلا
وختم ابن عباس على أبي بن كعب وقرأ عبد الرحمن بن عوف على ابن عباس وقرأ عثمان ابن
عفان على زيد بن ثابت وقرأ أهل الصفة على أبي هريرة وكلهم كان متبعا للأوامر مجتنبا
للزواجر عاملا به فيما فيه وقال يوسف بن أسباط وقد قيل له إذا ختمت القرآن
بأي شيء تدعو قال بأي شيء أدعو أستغفر الله عز وجل مائة مرة من تلاوتي
وكان يقول إني لأهم بقراءة القرآن فإذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فأعدل إلى
التسبيح والاستغفار واعلم أن للعبد في تلاوة القرآن حسب ما له من تعظيمه
والفهم له والمشاهدة منه والمعاملة به لأنه من أكبر شعائر الله في خلقه وأعظم آياته
في أرضه الدالة عليه وأسبغ نعمه الكاملة علينا وللعبد من التعظيم له بقدر تقواه
وله من فهم الخطاب وتعظيم الكلام نحو ما أعطي من معرفة المتكلم وهيبته وإجلاله
فإذا عظم المتكلم في قلبه وكبر في هيبته عظم تدبر كلامه وأطال الفكرة في خطابه والخشية [illegible]
وذكره على قلبه واسمع عن تذكره عند النازلة به والحاجة إليه فاتقى وحذر ولذلك قال
سبحانه واذكروا ما فيه لعلكم تتقون وقال كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون
ولعلهم يتذكرون ولأن كل الكلام موقوف على قائله يعظم بتعظيمه ويقع في القلب بعلو مكانه

اوبيون

أو يهون لسهولة شأنه فالله عز وجل ليس كمثله شيء في العظمة والسلطان وليس
ككلامه كلام في الأحكام والبيان وقرأت سورة الحجتين من التوراة فإذا عبدي أما
تستحيي مني يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق و
تقعد لأجله وتقرأه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك منه شيء وهذا كتابي أنزلته إليك
انظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه
أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك يا عبدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل
وجهك وتصغي إلى حديثه بكل قلبك فإن تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت
إليه أن كف وها أنا مقبل عليك ومحدثك وأنت معرض بقلبك عني أفجعلتني أهون عندك
من بعض إخوانك وكما قال وإنما خفت القيام على أهل الليل لنعيم الخطاب وثقل على
أهل النوم لتعطل القلوب عن الوقوف ونشوة الحجاب كما قال تعالى ثقلت في السموات
والأرض لا تأتيكم إلا بغتة أي خفي علمها بعينه الساعة ثقلت عليهم فسمي ما خفي علمه ثقيلا

الفصل التاسع عشر فيه كتاب ذكر الجهر بالقرآن وما في ذلك من النيات

وتفصيل حكم الجهر والإخفات روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل
قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على العلانية وفي لفظ آخر الجاهر
بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمسر بالصدقة وفي الخبر العام يفضل
عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا وفي مثله من العموم خير الرزق ما يكفي
وخير الذكر الخفي وفي الخبر لا يجهر بعضهم على بعض بالقراءة بين المغرب والعشاء
وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد
العزيز يجهر بالقراءة في صلاته وكان حسن الصوت فقال لغلامه اذهب إلى هذا
المصلي فمره أن يخفض من صوته فقال الغلام إن المسجد ليس لنا وإن للرجل فيه نصيبا
فرفع سعيد صوته فقال يا أيها المصلي إن كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض
صوتك وإن كنت تريد الناس فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا قال فسكت عمر وخفف
ركعته فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة وعلى ذلك فقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسمع جماعة من أصحابه يجهرون بالقرآن في صلاة الليل فيصوب لهم
ذلك ويسمع البعض وقد أمر بالجهر فيما روي عنه إذا قام أحدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته
فإن الملائكة وعمار الدار يستمعون إلى قراءته ويصلون بصلاته ومر رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ثلاثة من أصحابه في الليل مختلفي الأحوال فمنهم من كان يخافت وهو أبو بكر

رضي الله عنه يسأله عن ذلك فقال إن الذي أناجيه هو يسمعني ومنهم من كان يجهر وهو
عمر رضي الله عنه فسأله عن ذلك فقال أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان ومنهم من
كان يقرأ آيا من هذه السورة وهو بلال فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب
فقال كلكم قد أحسن وأصاب **فيقول والله أعلم** إن المخافتة في القراءة أفضل لمن
يخاف على نفسه الرياء في الجهر وكان ذا اشتغال عن الهمة والمعاملة بذكر الآخرة أقرب إلى السلامة
وأبعد من دخول الآفة وأن الجهر أفضل لمن كانت له نية في الجهر ووقع ما للقلب هو لا بد لأنه
قد قام بسنة قراءة الليل وأن المخافتة نفعها لنفسه والجهر نفعه له ولغيره
وخير الناس من نفع الناس النفع بكلام الله عز وجل من أفضل المتاجر
وانه قد اجتمع له أعمال جليلة جزاء بها فرتبة ثابتة على عمله ولما كان في ذلك له
أفضل وليجعل العبد مفتاح درسه أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون وكيف قال أعوذ برب
الناس وسورة الحمد وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله وبلغ رسول الله اللهم
انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين أستغفر الله الحي القيوم ومن جملة
جوارحه وقلبه عن التشاغل بغير عمل بالقرآن في خلوته لأنه قد أمسك على جملة العبد
وجوارحه جملته وفي الجهر بالقراءة سبع نيات منها الترتيل الذي أمر به ومنها تحسين
الصوت بالقرآن الذي ندب إليه في قوله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن بأصواتكم
وفي قوله ليس منا من لم يتغن بالقرآن أي يحسن به صوته وهو أحد الوجهين وأحبهما إلى
أهل العربية والوجه الآخر أي من لم يستغن به من الغنيمة والانتقال وقد يقال من هذا
الوجه تنقلا به ومنها أن يسمع أذنيه ويوقظ قلبه ليتدبر الكلام ويفهم المعاني
ولا يكون ذلك كله إلا في الجهر ومنها أن يطرد النوم عنه برفع صوته ومنها أن يرجو بجهره
يقظة نائم فيذكر الله عز وجل فيكون هو سبب إحيائه ومنها أن يراه بطال غافل
فينشط للقيام ويشتاق إلى الخدمة فيكون معاونا له على البر والتقوى ومنها
أن يكثر بجهره تلاوته ويدوم قيامه على حسب عادته للجهر ففي ذلك كثرة عمله فإذا كان
العبد معتقدا لهذه النيات وطالبا لها ومتقربا إلى الله سبحانه عاملا بنيته ومجانبا
لقصد ما ظهر إلى مولاه الذي استعمله فيما رضيه فجهره أفضل لأن له فيه أعمالا وإنما يفضل
العمل بكثرة النيات فيه **وارتفع العلماء** وفضلت أعمالهم بحسن معرفتهم بنيات
العمل واعتقادهم لها فقد يكون في العمل الواحد عشر نيات يعلمها أهل العلم فيعملون
بها فيعطون عشرة أجور وأفضل الناس في العمل أكثرهم نية فيه وأحسنهم قصدا وأدبا
وفي بعض التفسير في قوله عز وجل وأما بنعمة ربك فحدث قال قراءة القرآن وفي
الخبر من استمع إلى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نورا يوم القيامة وفي خبر
آخر كتب له عشر حسنات والتالي يشركه في الأجر لأنه الكاسب له وقال

بعضهم

بعضهم للقارئ أجر وللمستمع أجران وقال آخر للمستمع تسعة أجور وكلاهما صحيح لأن
كل واحد منهما على قدر إنصاته ونيته فإذا كان التالي مكتسبا للغير هذه الأجور فإن له
بكل أجر اكتسبه إياه أجرا بتسببه لقوله صلى الله عليه وسلم الدال على الخير كفاعله
وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحدث عند عائشة رضي الله عنها فأبطأت عليه
فقال ما حبسك فقالت يا رسول الله كنت أسمع قراءة رجل ما سمعت صوتا أحسن
منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى
أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله واستمع أيضا ذات ليلة إلى قراءة
عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلا ثم قال من
أراد أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لابن مسعود اقرأ فقال يا رسول الله أقرأ وعليك أنزل فقال إني
أحب أن أسمعه من غيري فكان يقرأ ورسول الله صلى الله عليه وسلم عيناه تفيضان
حتى بلغ قوله فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا الآية
واستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قراءة أبي موسى فقال لقد أوتي هذا
مزمارا من مزامير آل داود فبلغ ذلك أبا موسى فقال يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لحبرته لك
تحبيرا وكان ابن مسعود يأمر علقمة بن قيس أن يقرأ بين يديه فيقول له رتل فداك
أبي وأمي وكان حسن الصوت بالقرآن وفي الخبر كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن وقد كان عمر يقول
لأبي موسى رضي الله عنهما ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن
يتوسط فيقال يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول أولسنا في صلاة فكأنه يتأول
قوله عز وجل ولذكر الله أكبر وقال بعض علماء الشام يعني لما وضع بعض الفقهاء فيمن
كتابا في معاني الأبرار ذكر فيه آفات النفوس قال لقد كنت أمشي بالليل أسمع أصوات
أصوات المتهجدين كأنها أصوات [illegible] فكان ذلك لنا أنسا وحثا على الصلاة والتلاوة
حتى جاء هذا المبتدع بدون بر في ذكر الأبرار وفعل الآفات فسكت المتهجدون فلم يزل ذلك
ينقص حتى ذهب وانقطعوا إلى اليوم فإن لم يكن للتالي نية في شيء مما ذكرناه
وكان ساهيا غافلا عن ذلك وكان واقفا مع شيء من الآفات ورسخ في قلبه شهوة
أو ما لا يزكي نفسه فقراءته سرا أفضل فعليه أن يجتنب الجهر فإن جهره على تغلب قلبه وفساد عمله
لا يستكمل الإرادة فيه وكان إلى الأنقص أقرب ومن الإخلاص أبعد فعليه حينئذ بالإخفاء
بالإخفاء دواء يعالج به حاله فإنه أصلح لقلبه وأسلم لعمله وأحوج على تفقده وقد
يكون العبد واجد الحلاوة الهوى في الصلاة والتلاوة وهو يظن أن ذلك حلاوة الإخلاص
الإخلاص وهذا من دقيق شهوات الشهوة الخفية ولطيف الانتقاص وقد يلتبس ذلك على
الضعفاء ولا يفطن له إلا العلماء والمراد حلاوة الإخلاص الزاهد في الدنيا وفي [illegible]

الناس العلماء به وبلغته بصحيح المعاملة وصدق الحرمة المحبون لله عز وجل الخائفون
منه والاعتبار فيه لأجل اخر سيحكي سقوطها التعبير باستواء المدح والذم وهذا اصل الز
في مقام الزهد او خروج الخلق من الطلب بمشاهدة اليقين وهذا في مقام المعرفة
وفي هذا تمييز المتفاوتين فيستوي السر والعلانية وقد يكون العلانية افضل لأجل نية
التقوى والعدل وحدثنا عن رجل من اهل الخير قال كنت اقرأ السحر في غرفة في صحار عنة
سورة طه فلما ختمتها اغفوت بعدها اغفوة فرأيت شخصا نزل من السماء بيده صحيفة
بيضاء ونشرها بين يدي واذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة
الا كلمة واحدة فإني رأيت مكانها محوا ولم ار تحتها شيئا فغمني ذلك فقلت فوالله
قرأت هذه الكلمة وما ارى لها ثوابا ولا ارى لها ثوابا ولا اراها اثبتت فقال الشخص صدقت
قد قرأتها وكتبناها لك الا انا سمعنا مناديا نادى امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها فبكيت
في منامي وقلت لم فعلتم ذلك فقال مر رجل فرفعت صوتك بها لأجله فمحوناها

وقد روينا ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يجهر بقراءته فناداه فقال
يا فلان اسمع الله ولا تسمعني واعلم ان السمعة معروفة بالرياء ومحكوم لها بحكمه
من فساد العمل ونقصان العامل وهي مأخوذة من السمع كان العبد يسمع بعمله غير
الله عز وجل ويحب ان يسمع به مخلوق ليمدحه به لغلبة هواه وضعف يقينه فيكون
قد اشرك في عمله غير الله عز وجل فيبطل عمله ويحبط له في التوحيد اذ لو علم يقينا انه لا نافع
ولا ضار الا الله عز وجل ولا معطي ولا مانع الا اياه خلص له توحيده من الشرك فخلص له
عمله من الرياء وكذلك الرياء مأخوذ من رأي العين والسمعة هي بمعناه وفي الخبر لا يقبل
الله عز وجل من مسمع ولا مراء وفي خبر آخر من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله
به وصغره وحقره فأما من كانت له نية صالحة في ان يسمع اخاه كلام الله عز وجل
ليتعلمه به وينتبه او يستمع فيستمتع باستماعه ويتزكى به فليس داخلا في السمعة
لوجود حسن النية ومحبة القصد ولعقد انه لا آفة ولا ارادة لطمع عاجل من مدح
او عرض دنيا كما قال ابو موسى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمت انك تسمع
لحبرته لك تحبيرا فلم ينكر عليه لانه تمنيه في الخير وحسن قصده وقال للذي رفع
صوته فلان اسمع الله عز وجل ولا تسمعني فأنكر عليه لما اشهر السمعة فيه وقد
روينا انه صلى الله عليه وسلم مر برجل يطيل التلاوة والوجل فقال من كان معه
يا رسول الله اتراه مرائيا فقال لا بل اواه منيب وقراءة القرآن في المصحف افضل
من قراءته ظاهرا واعلم ان الاكل والنوم على السلامة والصدق افضل في الحال
وارفع في المقام واصح في المآل من القيام والصيام على سبيل من التصنع والتزين
للخلق ومعرفة هذا والقيام به هو موضع علم العلماء بالله عز وجل وحدثنا عن الحسن
البصري قال تفقد الحلاوة في ثلاث فان وجدتها فابشر وامض لقصدك وان لم تجدها

فاعلم

فاعلم ان بابه مغلوق عند تلاوة القرآن وعند الذكر وفي السجود وزاد غيره عند الصدقة
وفي الاسحار وقراءة القرآن في المصحف افضل من قراءته على ظهر قلب فقال الختمة بسبع
ختمات لان النظر في المصحف عبادة وكان كثير من الصحابة والتابعين يقرؤون في المصحف
ويستحبون ان لا يخرج يوم الا نظروا فيه وخرق عثمان مصحفين من كثرة درسه

الفصل العشرون في ذكر احياء الليالي المرجو فيها الفضل

ويستحب احياء اربع عشرة ليلة في السنة خمس منها في شهر رمضان وهي وتر ال
العشر الاخير منه وليلة سبع عشرة من رمضان هي صبيحة يوم الفرقان يوم التقى
الجمعان فيه كانت وقعة بدر وكان ابو الزبير يذهب الى انها ليلة القدر واما
الثمانية الاخر فأول ليلة من شهر المحرم وليلة عاشوراء واول ليلة من شهر رجب
وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وفيه اسري برسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة المعراج وليلة عرفة وليلة العيدين وليلة النصف من شعبان
وقد كانوا يصلون في هذه الليلة مائة ركعة بالف قل هو الله احد عشرا في
كل ركعة ويسمون هذه الصلاة صلاة الخير ويتعرفون بركتها ويجتمعون فيها وربما صلوها
جماعة وروينا عن الحسن قال حدثني ثلاثون من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ان من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله عز وجل اليه سبعين نظرة فقضى له
بكل نظرة سبعين حاجة ادناها المغفرة وقد قيل ان هذه الليلة هي التي قال
الله عز وجل فيها يفرق كل امر حكيم وانه ينسخ فيها امر السنة وتدبير الاحكام
الى مثلها من قابل والله اعلم والصحيح من ذلك عندي انه في ليلة القدر وبذلك سميت
لان التنزيل يشهد له اذ في اول الآية انا انزلناه في ليلة مباركة ثم وصفها
فقال فيها يفرق كل امر حكيم فالقرآن انما انزل في ليلة القدر فكانت هذه
الآية بهذا الوصف في هذه الليلة مواطئا لقوله عز وجل انا انزلناه في ليلة القدر
الا ان لها مواصلة لا وراد في الايام الفاضلة وتسعة عشر يوما تستحب فيها مواصلة
الاوراد والرواتب للعباد منها يوم عاشوراء ويوم عرفة ويوم سبعة وعشرين
من رجب ويوم سبعة عشر من شهر رمضان ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة
ويوم العيدين والايام المعلومات وهي عشر ذي الحجة والايام المعدودات وهي
ايام التشريق وفي الخبر صوم عرفة يكفر سنتين سنة ماضية وسنة مستقبلة وصوم
يوم عاشوراء كفارة سنة وقد روينا عن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة وقال بعض
علماء بلدنا من اخذ مسناة في حر الايام الخمسة في الربيع لم ينل مسناة في الاخرة
وقال حر الايام فرجي بها الفضل من الله عز وجل والمزيد يعني الايام الخمسة
العيدين ويوم الجمعة ويوم عرفة ويوم عاشوراء ومن فواضل الايام
بعد هذه يوم الاثنين ويوم الخميس يوم ما ترفع فيهما الاعمال الى الله
عز وجل ومن فواضل الشهور الاربعة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
ورجب خصها الله عز وجل بالنهي عن الظلم فيهن لعظم حرمتهن بمنزلة الاعمال فيها ان
يتقى وفضل على غيرها وافضلها ذو الحجة لوقوع الحج فيه وما اختص به من الايام المعلومة
والايام المعدودات ثم ذو القعدة ثم عشر الوسطى فعلا وهو من اشهر الحرم ومن اشهر
الحج واما المحرم ورجب فليسا من اشهر الحج واما شوال فليس من اشهر الحرم ولكنه من
اشهر الحج والفضل الايام في شهر العشر الاواخر من رمضان والعشر الاول
من ذي الحجة وبعدها عشر المحرم من اوله والاعمال في هذه الايام لها فضل ومزيد على
سائر الشهور ورويناعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام ثلاثة ايام من
شهر حرام بعده الله من النار بسبع مائة عام يوم الخميس ويوم الجمعة ويوم السبت
في خبر اخر صوم يوم من اشهر الحرم يعدل صوم ثلاثين يوما من غيره وصوم يوم من
شهر رمضان يعدل صوم ثلاثين يوما من شهر حرام ثم ان افضل الاوقات في جملة
الايام اوقات الصلوات الخمس وروينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
اذا دخل العشر الاواخر من رمضان طوى الفراش وشمر المئزر وفي حديث اخر اذا دخل
العشر الاواخر اداب اهله يعني اديم واداموا التعب والتقلب في العبادة ثم
وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ايام العمل فيهن افضل واحب
الى الله عز وجل من ايام عشر ذي الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام
ليلة منها يعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا رجل خرج بنفسه
وماله ولم يرجع منهما بشيء وفي لفظ اخر الا من عقر جواده واهرق دمه واذا
احب الله عز وجل عبدا استعمله في الاوقات الفاضلة بافضل الاعمال ليثيبه افضل
الثواب واذا مقت عبدا استعمله باسوا الاعمال في افاضل الاوقات ليضاعف له
السيئات بانتهاك حرمات الشعائر وانتهاك الحرمات وقال من علامة
التوفيق كلما دخول اعمال البر عليك من غير قصد للتأوب في المعاصي عنده مع
الطلب لها وفتح باب الحياء والافتقار الى الله عز وجل في السر والعلن ومن
علامة الخذلان كلما تعسر الخيرات عليك مع الطلب لها وتيسير المعاصي
لك مع الهرب منها وغلق باب الحياء والافتقار الى الله عز وجل في كل حال فنسال الله
عز وجل بفضله حسن التوفيق والاختيار ونعوذ به من سوء القضاء والاقدار

الفصل الحادي والعشرون

الفصل الحادي والعشرون فيه كتاب الجمعة وذكر هيئاتها وادابها وما يستحب من العمل فيها والمزيد في ليلتها ويومها

صلاة الجمعة واجبة فرضا وصلاة وساقطة فرضا وصلاة فوجوبها يكون بالاقامة والاستطاعة
وحضور وقتها الظهر وتكملة عدة اربعين رجلا وسقوطها بالسفر وبدخول وقت العصر
ونقصان العدة ووقوع العذر وهي من اعمال الاولياء تصلى خلف كل من اقام بها منهم الا انني
احب ان يتم ظهرا اذا صليتها خلفه فيستدرك فان اجتمع في بلد كبير جامعان صليتها خلف
الافضل من امامهما فان استويا في الفضل صليتها في الاقدم من الجامعين فان تساويا في
الفضل صليتها في الاقرب منهما الا ان يكون له نية في البعد لاستماع علم ونشره او تعلمه وهو
يوم عظمه الله تعالى به الاسلام وزينه وشرفه به المسلمين وفضلهم وصلاتها في
الجامع الاعظم حيث يكون المسلمون اكثر افضل من صلاتها في ايها احب حسبتها صلاة
قال ابن جريج قلت لعطاء اذا كان في المصر جامعان او ثلاثة في ايها اصلي فقال
حيث جمع المسلمون فانها جمعة قال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا نودي
للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع الاية فالبيع والشراء محرم بعد
الاذان للجمعة عند طائفة من العلماء لعموم النهي فيه ومنهم من قال لا يرد البيع لانه
فاسد الا انني احب ذلك للحرم وعندنا الاذان الثالث وهو مع خروج الامام واذا قعد
على المنبر لان هذا كان هو الاذان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد ابي
بكر وعمر رضي الله عنهما والاذانان الاولان احدثه عثمان رضي الله عنه لما كثر الناس وقال
الله عز وجل فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله الاية
فامر عباده المومنين في يوم الجمعة بالذكر له ونهاهم عن البيع وامرهم بطلب الفضل منه
ووعدهم الفلاح والفلاح وهما اسمان جامعان لغنيمة الدنيا والاخرة وقد روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في
مقامي هذا وروي عنه صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة من غير عذر
طبع الله على قلبه وفي لفظ حديث اخر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره واختلف رجل
الى ابن عباس يساله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة فقال في النار فلم
يزل يتردد اليه شهرا يساله عنه كل ذلك يقول في النار وفي خبر الجمعة من ترك جمعتين
او ثلاثة واستحبا لمن يكون النداء من اهل القرى فادركه واذا ادركه الليل فلم يرجع الى اهله اذا
رجع ان يشهدها الا انها ساقطة عن خمسة الصبي والمملوك والمراة والمسافر والمريض

بمن شهدها من هؤلاء فصلاها اجزت عنه وكان موسعا في الفرض وفي الخبر ان اهل الكتابين
اعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله عز وجل له واخره لهذه الامة
فجعله عيدا لهم فهم اول الناس به سبقا واهل الكتابين لهم تبع وفي حديث انس بن
مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل عليه السلام وفي كفه
مرآة بيضاء فقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك قلت
فما لنا فيها قال لكم فيها ساعة من دعا فيها بخير هو له قسم اعطاه الله عز وجل
او ليس له قسم ادخر له ما هو اعظم منه او يتعوذ من
شر هو عليه مكتوب الا اعاذه الله عز وجل من اعظم منه وهو سيد الايام عندنا ونحن
ندعوه في الآخرة يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك عز وجل اتخذ في الجنة واديا افيح من
مسك ابيض فاذا كان يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه وذكر الحديث قال فيتجلى
لهم حتى ينظروا الى وجهه ذكرناه بتمامه في مسند الا **وروي عنه** صلى
الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة
وفيه اهبط منها الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه
الملائكة في السماء وهو يوم النظر الى الله عز وجل في اخبار يطول ذكرها وفي الحديث
ما من دابة الا وهي قائلة على ساق مصيخة اي مصغية تتوقع شفقة من قيام الساعة
الا الشياطين وشقي بني آدم ويقال ان الطير والهوام يلقى بعضها بعضا يوم
الجمعة فيقول سلام سلام يوم صالح **وفي الخبر** ان لله عز وجل في كل يوم جمعة ستمائة
الف عتيق من النار **وفي حديث** انس عن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام وقال كعب في الخبر ان الله عز وجل فضل من كل شيء
شيئا وفضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وفي الخبر ان جهنم
تسعر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة
الا يوم الجمعة فانه صلاة كله وان جهنم لا تسعر فيه وافضل ما يفعله العبد في يوم
الجمعة البكور الى الجامع في الساعة الاولى فان لم يفعل ففي الساعة الثانية فان لم
يفعل ففي الساعة الثالثة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من راح الى الجمعة
في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن
راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا ومن راح في الساعة الرابعة فكانما اهدى
دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما اهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت
الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد
ذلك فانما جاء لحق الصلاة وليس من الفضل في شيء والساعة الاولى تكون بعد
صلاة الصبح والساعة الثانية تكون عند ارتفاع الشمس والثالثة تكون عند
انبساطها وهي الضحى الاعلى اذا رمضت الاقدام بحر الشمس والساعة الرابعة تكون

قبل

قبل الزوال والساعة الخامسة اذا زالت الشمس او مع استوائها وليس الساعة
الرابعة والخامسة مستحبة الا ان افضل المصلي الجمعة بعد الساعة الخامسة لان
الامام يخرج فيه اخرها فلا يبقى الا من يصلي الجمعة ويقال ان الناس يكونون في قربهم من
الله عز وجل عند النظر اليه تعالى على قدر بكورهم الى الجمعة **ودخل**
ابن مسعود يوم الجمعة بكرة فرأى ثلاثة نفر سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل
يقول رابع اربعة سعيد وهذا من اليقين في هذه المشاهدة وقد جاء في الاثر ان
الملائكة يتفقدون العبد اذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه ما
فعل فلان وما الذي اخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان اخره فقر فاغنه وان كان اخره
مرض فاشفه وان كان شغل ففرغه لعبادتك وان كان اخره لهو فاقبل بقلبه
وروينا في خبر مقطوع عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث لو يعلم الناس
ما فيهن لركضوا الركض في طلبهن الاذان والصف الاول والغدو الى الجمعة قال احمد بن
حنبل وقد ذكر هذا الحديث افضلهن الغدو الى الجمعة وقد روي في خبر اذا كان يوم
الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون
الاول فالاول على مراتبهم وجاء في الاثر ان الملائكة يتفقدون العبد اذا تأخر عن وقته
يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان وما الذي اخره عن وقته فيقولون اللهم
ان كان اخره فقر فاغنه وان كان اخره شغل ففرغه لعبادتك وان كان اخره لهو فاقبل
بقلبه الى طاعتك ولا يتعدى في الفضل يوم الجمعة بذكر او تحلق في حلقة قبل الصلاة
فانه روي في خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل
الصلاة الا ان يكون عالما بالله تعالى يذكر بايام الله عز وجل ويفقه في دين الله
تعالى يتكلم في الجامع بالغداة فيجلس اليه فيكون جامعا بين البكور الى الجمعة
والاستماع الى العلم ولا يدع الغسل يوم الجمعة الا من ضرورة فانه فرض عند
بعض العلماء والاغتسال في البيت افضل **وروينا عن رسول الله** صلى الله
عليه وسلم غسل الجمعة واجب على كل مسلم والمشهور من حديث نافع عن ابن عمر وكان
اهل المدينة يتسابون بينهم فيقولون لانت انتن ممن لا يغتسل يوم الجمعة وقد قال
عمر لعثمان رضي الله عنهما لما دخل وهو يخطب اهذه الساعة فقال ما زدت بعد
ان سمعت الاذان على ان توضأت وخرجت فقال عمر والوضوء ايضا وقد علمت ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان امرنا بالغسل ولكن في ترك الغسل رخصة لوضوء
عثمان مع علمه ويستدل له الى الخبر المشهور من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن
اغتسل فالغسل افضل وروينا عن الصحابة انهم قالوا الغسل يوم الجمعة في الصيف
فيما جاء في السنة قال من شاء اغتسل ومن لم يشأ ترك الغسل وقد روينا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل فلذلك قال مالك

إلى أن يتيسر له الغسل إذا حضر الجمعة اغتسل لها ومن اغتسل من جنابة أجزأه الغسل
للجمعة إذا نوى ولا بد من النية لغسل الجنابة لأجل الجمعة فهو أفضل ويكون الغسل
للجمعة داخلا فيه فإن أفاض الماء عليه ثانيا بعد غسله للجنابة لأجل الجمعة فلا
بأس وهو أفضل دخل بعض الصحابة على ابنه يوم الجمعة يغتسل فقال للجمعة
غسلك هذا فقال بل من جنابة قال فأعد غسلا ثانيا فإني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول واجب على كل مسلم أن يغتسل يوم الجمعة ومن اغتسل
بعد طلوع الفجر للجمعة أجزأه ولكن أفضل الغسل ما عند الرواح إلى الجامع وأحب أن
لا يحدث وضوءا بعد الغسل حتى يفرغ من صلاة الجمعة من العلماء من كره ذلك ولا يحق
أن يكر إلى الجامع فيتوضأ ثانيا من حدث لخفة لا فتراء الوقت فإنه على غسل
الجمعة ويستحب أن يتأهب ويلبس من صالح ثيابه ويتجنب المشهورة من الثياب ومن
أفضل الثياب البياض أو برد أو حبرة يمنية ويكره السواد يوم الجمعة ليس من السنة
ولا من الفضل أن ينظر إلى لابسه وليقلم الأظفار ويأخذ من شاربه فقد روي في فضل
ذلك من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضائله وقد روينا عن ابن مسعود
وغيره من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله عز وجل منه داء وأدخل شفاء وليتطيب
بأطيب طيبه مما ظهر ريحه وخفي لونه فإن طيب الرجال وطيب النساء مما ظهر
لونه وخفي ريحه روينا ذلك في الأثر وتستحب العمامة يوم الجمعة وقد روينا
بإسناد ثابت عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن الله عز وجل وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة فإن أكربه الحر فلا بأس
أن ينزعها قبل الصلاة وبعدها ولا يصلي إلا معتما ولكن يخرج من منزله إلى الجامع وهو
لابسها ولا يصلي إلا معتما ليحصل له فضيلة العمة فإن نزعها فليلبسها حين ينزل
عن صعود المنبر ليصلي وهي عليه فإن شاء نزعها بعد ذلك وليخرج إلى الله عز
وجل خاشعا متواضعا ذا سكينة ووقار وإخبات وافتقار وليكثر من الدعاء
والاستغفار وينوي في خروجه زيارة ربه ومولاه في بيته والتقرب إليه بأداء فرضه
وبفضله والعكوف في المسجد حين انقلابه ثم ليشرك جوارحه عن اللهو واللغو
وينوي في الغسل الخرقة مولاه وليكن له راحته في ذلك اليوم ومضاه من عاجل هذه
الدنيا وليواصل الورد فيه ليجعل أوله إلى انقضاء صلاة الجمعة للخدمة بالصلاة
وأوسطه إلى صلاة العصر لاستماع العلم ومجالس الذكر وآخره إلى غروب الشمس
للتسبيح والاستغفار ولذلك كان المتقدمون يقسمون يوم الجمعة هذه الأقسام
الثلاثة وإن صامه فحسن يضمه إلى يوم الخميس أو يضيف إليه يوم السبت وقد
كره إفراده بصوم ومن لم يصمه وكان له أهل فالمستحب أن يجامع فيه فقد روي في فضل
ذلك وكان بعض السلف يفعله **وروينا** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

من

من غسل واغتسل وغدا وابتكر ودنا من الإمام ولم يلغ كان له بكل خطوة صيام سنة
وقيامها وفي خبر آخر ودنا من الإمام ولم يلغ كان له بكل خطوة صيام سنة وقيامها
وزيادة ثلاثة أيام وفي لفظ آخر غفر له إلى الجمعة الأخرى وقد اشترط في بعضها ولم يتخط
رقاب الناس ومعنى قوله من غسل واغتسل يكون معناه غسل رأسه واغتسل لجسده
وليتق أن يتخطى رقاب الناس فإن ذلك مكروه جدا وقد جاء فيه وعيد شديد أن من فعل
ذلك جعل جسرا يوم القيامة يتخطاه الناس **وقال ابن جريج** حدثني مرسلا
أن النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ رأى رجلا يتخطى رقاب
الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته عارض الرجل
حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك أن تجمع اليوم معنا فقال يا نبي الله قد جمعت فقال
أولم أرك تتخطى رقاب الناس وفي حديث مسند أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال له ما منعك أن تصلي الجمعة معنا فقال أولم ترني فقال قد رأيتك تأنيت وآذيت أي
تأخرت عن البكور وآذيت الحضور ولا يقعد إلى القصاص في يوم الجمعة وقد كره ذلك وفي
حلقة قبل الصلاة وقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو أن النبي
صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة إلا أن يكون عالما بالله
عز وجل يذكر بأيام الله ويفقه في دين الله يتكلم في الجامع بالغداة فيجلس إليه فيكون
جامعا بين البكور إلى الجمعة وبين الاستماع إلى العلم **وروينا عن بعض
علماء السلف** قال إن لله عز وجل فضلا سوى الرزق سوى أرزاق العباد
لا يعطي من ذلك الفضل إلا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة **وفي الخبر**
المشهور أن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها
شيئا إلا أعطاه وفي لفظ آخر لا يصادفها عبد يصلي **واختلف** في وقت هذه
الساعة فقيل إنها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال ويقال مع الأذان ويقال
هي إذا صعد الإمام وأخذ في الذكر وقيل إذا قام الناس إلى الصلاة وقيل بعد العصر
من آخر وقتها ويقال مع غروب الشمس إذا تدلى حاجبها للسقوط وكانت
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تراعي ذلك الوقت وتأمر خادمها أن ينظر
إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار في ذلك الوقت إلى أن تغرب
الشمس وتخبر أن تلك الساعة هي المنتظرة وتأثره عن أبيها صلى الله عليه وسلم
وبعض أهل قيل في هذه الساعة بروايات جاءت في ذلك فليتبع فيتحرى فيها ذكرنا للاحتياط
وليتعرض لهذه الأوقات وليغتنم الدعاء فيها والصلاة فيها يصلح منها **وقد
قال بعض العلماء** إن هذه الساعة هي مبهمة في جميع اليوم لا يعلمها
إلا الله عز وجل كما أبهمت ليلة القدر مبهمة في جميع شهر رمضان وكما أبهمت الصلاة
الصلاة الوسطى في جملة الصلوات الخمس وقد قيل إنها تنتقل في ساعات يوم الجمعة

كثنفل ليلة القدر عند بعضهم في ليالي الشهر ثم لا يكون العبد طالبا الى الله عز
وجل فتضرعا متعرضا في جميع ذلك اليوم من اوله الى اخره وعرضا للذكر كل ساعة حادبها
بابا الله عز وجل فان لم يواصل الساعات في يوم واحد فليعملها في جمع شتى. بعضها
ونتا على وقتنا على ترتيب اوقات يوم فانها تقع في جميعها وقد اتت ثلاثة محادثة ولتكن الدعاء
الدعاء والتضرع في وقتنا من خاصته عند صعود الامام للمنبر الى ان تقام الصلاة. وب
دخول وقتها وعند اخر ساعة وقتنا تدلي الشمس للغروب فان الوقتين من افضل
اوقات الجمعة ويقوي في نفسه ان في اخرها الساعة موجودة. **وقد جمع**
كعب الاحبار مع ابي هريرة واجتمع رايي كعب انها في اخر ساعة من يوم الجمعة
وقال ابو هريرة كيف يكون اخر ساعة وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لا يوافقها عبد يصلي وليست حين صلاة فقال كعب الم يقل رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قعد ينتظر الصلاة فهو في صلاة قال بلى قال فذلك صلاة فسكت
ابو هريرة فكانه وافقه وليكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة
وليلتها واقل ذلك ان يصلي عليه صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة مرة وقد جاء في
الخبر من صلى علي في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول
الله كيف الصلاة عليك قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي
الامي وتعقد واحدة فكيفما صلى عليه بعد ان يأتي بلفظ ذكر الصلاة عليه
فهي صلاة والصلاة المشهورة هي النبي وتيب في التشهد وان جعل من صلاته
عليه ان يقول اللهم صل على محمد وعلى ال محمد صلاة تكون لك رضى ولحقه اداء واعطه
الوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو اهله واجزه افضل ما جزيت
نبيا عن امته وصل على جميع اخوانه من النبيين والصالحين يا ارحم الراحمين يقول هذا
سبع مرات فيه فضل عظيم يقال من قاله سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت
له شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان زاد هذه الصلاة فهي مأثورة اللهم
اجعل فضائل صلواتك ونوامي بركاتك وزكواتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين
وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائد الخير وفاتح البر ونبي الرحمة
وسيد الامة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه يغبطه به الاولون
والاخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة
والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم اعط محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله اول
شافع واول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وابلج حجته وارفع في المقربين
درجته اللهم احشرنا في زمرته واجعلنا من اهل شفاعته واحينا على سنته وتوفنا
على ملته واوردنا حوضه واسقنا بكاسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين
ولا فاتنين ولا مفتونين امين رب العالمين **وليكثر من الاستغفار** يوم الجمعة وليلتها

وابي

فصل في الصلاة على النبي ﷺ

وابي لعلة ذكر فيه سؤال المغفرة فهو مستغفر وان قال اللهم اغفر لي وتب علي انك انت
التواب الرحيم فهو افضل وان قال رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت خير الراحمين فحسن ويستحب
له ان يقرأ ختمة في يوم الجمعة فان ضاق عليه ذلك فليضف اليه ليلتها ليكون ابتداؤه من
ليلة الجمعة وان جعل ختمه للقرآن في ركعتي الفجر من يوم الجمعة او في ركعتي المغرب
ليلة الجمعة فحسن ليستوعب بذلك ليلة اليوم والليلة وان جعل ختمه بين الاذان
للجمعة والاقامة للصلاة فيه فضل عظيم ويستحب ان يصلي قبل الجمعة عشر ركعات
وبعدها ست ركعات واذا دخل الجامع فليصل اربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله احد
مائتي مرة في كل ركعة خمسين مرة ففيه اثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعله
لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له واذا دخل الجامع فلا يقعد حتى يصلي ركعتين
وكذلك ان دخل والامام يخطب صلاهما خفيفتين وان سمعه الامر النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك لانه قد جاء في حديث غريب ان النبي صلى الله عليه وسلم سكت له حتى صلاهما
فقال الكوفيون ان سكت له الامام صلاهما ولعل سكوت رسول الله صلى الله عليه وسلم
مخصوص له لوجوب قوله **وروى ابن جريج** عن عطاء عن ابن عباس وابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة او يوم الجمعة اعطي
نورا من حيث يقرأها الى مكة وغفر له الى الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة ايام وصلى عليه
سبعون الف ملك حتى يصبح وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة
وفتنة الدجال ويستحب ان يصلي يوم الجمعة اربع ركعات باربع سور سورة الانعام و
وسورة الكهف وسورة طه ويس فان لم يحسن ذلك قرأ سورة يس وسجدة لقمان وسورة
الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الاربع سور في كل ليلة الجمعة ففيه ذلك الاثر
وفضل كبير فان لم يحسن القرآن قرأ جميع ما يحسن فهو بمنزلة له ختمة وقد قبل ختمه من حيث
عمله وقد كان العابدون يستحبون ان يقرأوا يوم الجمعة الف مرة قل هو الله احد فان قرأها
في عشر ركعات او عشرين فهو افضل من ختمة وقد كانوا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم
الف مرة ومن التسبيح والتهليل بالكلمات الاربع الف مرة وهذا ثلاثة اوراد حسنة
في يوم الجمعة اعني قراءة قل هو الله احد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
والتسبيح والتهليل الف الف فلا يدع ذلك من ورده اذ اكثرها فانه من افضل الاعمال
في هذا اليوم وان صلى يوم الجمعة قبل الزوال صلاة التسبيح وهي ثلاثمائة تسبيحة
في اربع ركعات بذكر الاثر والطابه **وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**
انه قال صلها في كل جمعة مرة وذكر ابو الجوزاء عن ابن عباس انه لم يكن يدع هذه الصلاة
كل يوم بعد الزوال واخبر عن فضلها بالجليل وصعدوا ان قرأ المسبحات الست في يوم الجمعة
او ليلتها فحسن وليس يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ السور باعيانها
الا في يوم الجمعة وليلتها فانا روينا انه كان يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا ايها

فصل على فضل سورة الكهف

الكافرون وقل هو الله أحد وكان يقرأ في صلاة عشاء الآخرة ليلة الجمعة بسورة الجمعة
وسورة المنافقين وقد روي أنه كان يقرأ فيها بهاتين السورتين في صلاة الجمعة وكان يقرأ
في صلاة الغداة يوم الجمعة بسورة سجدة لقمان وسورة هل أتى على الإنسان ولا
واستماعه إلى علم اليقين والمعرفة وحضور مجالس الذكر أفضل من صلاته وصلاته أفضل
من حضور مجالس القصاص ورويناه من حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من
صلاة ألف ركعة وفي خبر آخر لأن يتعلم أحدكم بابا من العلم ويعلمه خير له من صلاة ألف
ركعة وفي خبر قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل ينفع القرآن إلا بعلم
والصلاة إذا عدم مجالس العلم بالله والتفقه في دين الله عز وجل أزكى من حضور مجلس
القصاص من الاستماع إلى القصاص فإن القصص كان عندهم بدعة وكانوا يخرجون القصاص
من الجامع روي أن ابن عمر جاء ذات يوم إلى مجلسه في المسجد فإذا قصاص يقص فقال له
قم عن مجلسي فقال لا أقوم وقد جلست فيه أولا وقد سبقتك إليه قال فأرسل
ابن عمر إلى صاحب الشرطة فأقامه فلو كان ذلك من السنة لما جاز لابن عمر أن يقيمه من
مجلسه سيما وقد سبقه إلى الموضع كيف وهو الذي روى عن رسول الله صلى الله ع
عليه وسلم لا يقيم أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا
قال فكان ابن عمر إذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود إليه ورويناه ثم
يجلس فيه وقد روينا أن قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة فأرسلت إلى ابن
عمر إن هذا قد آذاني بقصصه وشغلني عن سبحتي قال فضربه ابن عمر حتى كسر عصى
على ظهره وليحذر أن يمر بين يدي المصلي وقد سوى في ذلك بين المار والمصلي في الوعيد
وفي حديث زيد بن خالد الجهني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم
المار بين يدي المصلي والمصلي ما عليهما في ذلك لكان أن يقف أربعين سنة خير له
من أن يمر بين يديه وليبدر المصلي من أسطوانة أو جدار أو ما يجعله له ظلا ويدني الجدار
إن لم يمر بين يديه وليدرأ ما استطاع وفي حديث عبد
الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال فإن أبى فليقاتله فإنما هو
شيطان ... وكان أبو سعيد يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه وربما تعلق
به الرجل فاستعدى عليه مروان فيخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بذلك فإن
لم يجد له أسطوانة فليجعل شيئا بين يديه يكون طوله عظم الذراع وقد قيل إن كان
خطا ممدودا أجزأ بينه وبين المار وقد قيل أربع من الجفاء أن يبول الرجل قائما أو يصلي
في الصف الثالث ويترك الأول فارغا أو يمسح جبهته في صلاته أو يصلي بسبيل من يمر
بين يديه وقد كان الحسن يقول تخطوا رقاب الذين يقعدون على أبواب الجامع يوم
الجمعة فإنه لا حرمة لهم وليقرب من الإمام ويجلس ويستمع ويستقبله بوجهه
كذلك السنة إلا أن يخاف أن يسمع أو يرى منكرا من لبس فيه سواد أو حرير أو ديباج

أو حمل

أو حمل سلاح ثقيل ولا يستطيع تغييره فليبعد حينئذ فهو أسلم ولا يلغو ولا يتكلم في
حلقة من يتكلم والإمام يخطب ولا يقول لأحد اسكت ولا يحكي يومئ إليه إشارة أو يحصبه
بحصاة فإن لغى والإمام يخطب بطلت جمعته ومن لم يقرب من الإمام ولم يستمع فلينصت
فإن بعد كذلك المستحب وقد روينا عن عثمان وعلي رضي الله عنهما من استمع
وأنصت فله أجران ومن لم يستمع وأنصت فله أجر
ومن سمع ولغى فعليه وزران ومن لم يستمع ولغى فعليه وزر واحد وفي حديث أبي
ذر لما سأل أبيا والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى أنزلت هذه السورة
فأومأ إليه أن اسكت فقال له أبي اذهب فلا جمعة لك فشكاه أبو ذر إلى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال صدق أبي وكذلك جاء في الخبر من قال لصاحبه والإمام يخطب
فلا جمعة له وليقطع الصلاة إذا أخذ المؤذن في الأذان بين يدي الإمام فقد روى أبو
إسحاق عن الحارث عن علي رضوان الله عليه تكره الصلاة في أربع ساعات بعد الفجر وبعد
العصر ونصف النهار والصلاة والإمام يخطب وقد روينا في الأثر خروج الإمام يقطع
الصلاة وكلامه يقطع الكلام وسجود العامة عند قيام المؤذن بين للأذان قبل الخطبة
ليس بسنة فإن وافق ذلك سجودا في صلاة أو سجود قرآن فلا بأس إن لم يتبين في الرعاع
إلى مراعاته لأنه وقت وفضل ولا أحب في ذلك أدري غير أنه مباح ومن العلماء من كره الصلاة
في المقصورة لأجل أنها قوت على السلطان وأوليائه وأنه بدعة ابتدعت عند أهل
الورع ابتدعت في المساجد لأتباعهم مطيفة محجلة للناس فلذلك دخل في الخبر كان
الحسن وبكر المزني يصليان في المقصورة وروي رأيت أنس بن مالك يصلي في المقصورة
وعمران بن حصين أيضا ومنهم من يكره ذلك ورأيناه فيه فضلا لأجل السنة من في الدنو
من الإمام واستماع الذكر فإن اتفقت للعامة زالت الكراهة عنها وإن خص بها
أولياء السلطان ومنعت عليهم فإن صلى مصل فيها فإن بعض العلماء قد كره الصلاة في
قبالة المنبر من قبل أن المنبر يقطع الصفوف وكان عندهم أن يقرب من الصفوف إلى قبالة
المنبر بدعة وكان الثوري يقول الصف الأول هو الخارج بين يدي المنبر ومن خشي أن
العبيد ولا منه في زيه من الإمام فإن يستمع ما لم يجب عليه إنكاره أو يرى ما يلزم الإمام
فيه أو النهي عنه من لبس حرير أو ديباج أو الصلاة في السلاح الثقيل المشغل
كان بعده من الصفوف والمقدمة أصلح لقلبه وأجمع لهمه لغفلة وملاقاة الناس وكذا
النظر إليهم والأصلح للقلب والأجمع للهم هو أفضل حينئذ وقد كان جماعة من العلماء
يصلون في أواخر الصفوف إيثارا للسلامة وقيل لبشر بن الحارث إذا تبكر يوم
الجمعة وتصلي في أواخر الصفوف فقال إنما يراد قرب القلوب لا قرب الأجسام
ونوى سفيان الثوري إلى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع إلى خطبة أبي جعفر فلما
جاء بعد الصلاة قال شغل قلبي قربك من هذا هل أمنت أن تسمع كلاما يجب عليك

انكاره فلا تقوم به ثم قال ما احدثوا من لبس السواد قلت يا ابا عبد الله اليسير
في الجمعة ان دنا واستمع فقال ومجانبته للخلفاء الاشرين المصرين فاما هو فلا فكلما
بعدت عنهم ولم تنظر اليهم كان اقرب لك الى الله عز وجل وقد روينا عن ابي
الدرداء فضيلة في الصف المؤخر قال سعيد بن عامر صليت الى جنبه فجعل يتأخر
في الصفوف حتى كان في اخر صف فلما صلينا قلت له اليس يقال خير الصفوف
اولها فقال نعم الا ان هذه امة مرحومة منظور اليها من بين الامم وان الله عز وجل
اذا نظر الى عبد منهم في الصلاة غفر لمن وراءه من الناس وانما تأخرت رجاء ان يغفر
لي بواحد منهم ينظر الله اليه وقد وجدت بعض الرواة ان ابا الدرداء سمع النبي
صلى الله عليه وسلم يقول ذلك والصدقة مستحبة وفضلها يوم الجمعة خاصة
فانها تضاعف الا على من سال والامام يخطب وكان يتكلم في كلام الامام وهذا مكروه
قال صالح بن احمد سال مسكين يوم الجمعة وكان الى جنب ابي فاعطى
رجل ابي قطعة ليناوله اياها فلم يأخذها منه وقال ابن مسعود
اذا سال الرجل في المسجد استحق ان لا يعطى واذا سال على القرآن فلا تعطوه
ومن العلماء من كره الصدقة على سؤال الجامع الذين يتخطون رقاب الناس الا ان
يسال قائما من غير ان يتخطى المسلمين او قاعدا في مكانه **وروينا عن كعب**
الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع
فركع ركعتين يتم ركوعهما وخشوعهما وسجودهما ثم يقول اللهم اني اسالك باسمك
بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا
نوم لم يسال الله عز وجل شيئا الا اعطاه وقد روينا عن بعض السلف على غير
هذا الوصف قال من اطعم مسكينا في يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ احدا ثم قال
حين يسلم الامام اللهم اني اسالك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم ان تغفر لي
وترحمني وان تعافيني من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له وان سمع قراءة القرآن
بل الامام لم يقرا في صلاته الا سورة الحمد لا غير وان لم يسمع قراءته قرا سورة مع الحمد
ان احب فاما من سمع الامام وقرا معه بسورة الحمد او غيرها من السور فقد خالف
الامة وعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اعلم مذهبا لاحد من المسلمين فاذا
سلم من صلاة الجمعة قرا وهو ثان رجليه قبل ان يتكلم الحمد سبع مرات وقل هو
الله احد سبعا والمعوذتين سبعا سبعا فقد روي لنا عن بعض السلف ان من فعله
عصم من الجمعة الى الجمعة وكانت له حرزا من الشيطان واستحب له ان يقول بعد
صلاة الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود اغنني بحلالك
عن حرامك وبفضلك عمن سواك يقال من داوم على هذا الدعاء اغناه الله عز وجل عن
خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب **وقد روينا** ابن عمر ان النبي صلى الله

وسلم كان يصلي بعد الجمعة ركعتين وروى ابو هريرة انه كان يصلي بعدها اربعا
وروي عن علي وعبد الله رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي
بعدها ستا وانما اصلي العبد ست ركعات بعد استوعبا جميع الروايات واكره شراء الماء
في المسجد للشرب او ليسبله لئلا يكون مبتاعا في المسجد فقد كره الشراء والبيع في المسجد
فان باعه او دفع اليه القطعة خارجا من المسجد وشرب او سبل في المسجد فلا باس
وقد جاء عن بعض السلف انه كره الصلاة في رحاب الجامع وعن بعض الصحابة انه كان
يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب ويقول لا تجوز الصلاة في الرحاب فمن اعتدى على
قوم يعني وهو ان الصلاة في رحاب الجامع الزوايا المتصلة في الصفوف التي تلي
حائط الجامع لا اعلم بالصلاة فيه وسطه غير مكروهة والصلاة في رحابه المتفرقة
في افنيته التي هي من وراء جدار الجامع كله مكروه وكذلك الصلاة في الحوانيت
والدور المتفرقة عن الجامع غير المتصلة الصفوف فيه عن طريق وبعد مكان فلا يجوز هذا
الذي كرهه من كان ينهى عن الصلاة فيه فاذا صلى الجمعة انتشر في ارض الله عز وجل يطلب
من فضل الله تعالى ومن الفضل طلب العلم واستماعه ويقال هو مزيد يوم الجمعة للعالم
والمتعلم قال الله عز وجل وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال الله
تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يعني العلم بدليل ظهورها من الاية الاخرى في قوله
تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا وقد روينا عن
انس بن مالك في قول الله عز وجل فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا
من فضل الله قال اما انه ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم
وزيارة اخ له في الله عز وجل فان الذكر بالعلم وتعليم الناس ايام التذكير بالله
عز وجل والدعوة اليه في يوم الجمعة له فضل عظيم على سائر الايام لانه يوم المزيد
وللقلوب فيه اقبال وتحرير وكذلك السعي اليها والاستماع له وحضور مجالس
الذكر يوم الجمعة لا مجالس القصاص افضل من سائر الايام والمستمع شريك القائل في
الاجر **وقد قيل** اقرب الى الرحمة وقد كره العلماء الجلوس الى القصاص سيما يوم الجمعة
خاصة لانهم يثبطون عن الغدو الى الجامع في الساعة الاولى والثانية اللتين
ورد الفضل فيهما فمتى اتفق له عالم بالله عز وجل يذكر به ويدله عليه من علماء الاخرة
الزاهدين في الدنيا يوم الجمعة غدوة في الجامع وبعد صلاة الجمعة جلس اليه واستمع
منه وان حضر من يتكلم بعلم اليقين وكان العبد محتاجا الى ذلك فالجلوس اليه
الافضل لان مجالس العلماء في الجامع من زين يوم الجمعة ومن تمام فضله **قال الحسن**
الدنيا ظلمة الا مجالس العلماء فان لم يتفق له ذلك احببنا بين الصلاتين وهو الورد
الخامس من النهار ويستحب صلاة العصر في الجامع لا سيما لا يبرح فانه وان يفرا الى
غروب الشمس فيدرك الساعة المنتظرة اذا امن الغيبة والتصنع والكلام فيما

لا يعينه ويقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب حجة ومن صلى المغرب كان له ثواب
عمرة فإن خشي دخول الآفة عليه أو لم يأمن التصنع أتم الى منزله ذاكراً لله عز
وجل مفكراً في الآية وحسن نعمائه وراعى غروب الشمس بالأذكار والتسبيح والآيات
ولا يشتغل في منزله أو مسجد بيته بشيء غير ذلك فهو أفضل له **وقال بعض السلف** أوفر
الناس نصيباً من الجمعة من راعاها وانتظرها من الأمس وأقل الناس نصيباً من يصبح
يوم الجمعة فيقول أيش اليوم وقد كان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع لأجل
صلاة الجمعة ومنهم من كان يبيت ليلة السبت في الجامع لمزيد الجمعة وكثير من السلف
من كان يصلي الغداة يوم الجمعة في الجامع ويقعد ينتظر صلاة الجمعة لأجل البكور
ليستوعب فضل الساعة الأولى ولأجل ختم القرآن وعامة المؤمنين كانوا يخرجون
من صلاة الغداة في مساجدهم ينفرجون الى جوامعهم ويقال أول بدعة حدثت في
الإسلام ترك البكور الى الجامع قال وكنا نرى يوم الجمعة سحراً وبعد صلاة الفجر
الطرقات مملوءة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون فيها الى الجامع كما يزدحمون
اليوم الى الأعياد حتى اندرس ذلك وقل وجهل وترك أولا يستحيي المؤمن أن أهل
الذمة يبكرون الى كنائسهم وبيعهم قبل خروجه الى جامعه أولا يعتبر بأهل
الطعمة الساعة في رحبات الجامع أنهم يغدون الى المزيد والغلة قبل غدوه هو
الى الله تعالى والى الآخرة فينبغي أن يسابقهم الى مولاه ويسارعهم الى ما عنده
من الغداء ويجب أن يكون للمؤمن يوم الجمعة مزيد في الأوراد والأعمال وليتفرغ فيه
لعبادة ربه عز وجل ويجعله يوم آخرته إن لم يكن له يوم السبت فيوم الجمعة في
الأوراد المتصلة والمزيد من الأذكار على المعلوم فيصير ما تكون الجمعة كالسبت في
تجارة الدنيا والتشاغل بأسباب الدنيا لذلك التأهب ليوم الجمعة من يوم الخميس من
إعداد المأكول والترفه من النعمة والأكل والشرب فقد روينا حديثاً من طريق أهل
البيت فيه نظر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يأتي على أمتي زمان يتأهبون
لجمعتهم في أولها بتأهبهم عشية الخميس كما تتأهب اليهود لسبتها عشية الجمعة
وإنما كان الموفقون يتأهبون فيه للآخرة بالأوراد الحسنة ويتزيدون من الأذكار
المتصلة **وقد كان** أبو محمد سهل رحمه الله يقول من أحدث حدثاً في الدنيا في هذه
الأيام لم يبق حجة من الآخرة فيها يوم الجمعة وقال أيضاً يوم الجمعة من الآخرة ليس
من الدنيا وقال بعضهم لولا يوم الجمعة ما احتمل البقاء في الدنيا فهو عند الخصوص
يوم العلوم والأنوار ويوم الخدمة والأذكار لأنه لله عز وجل يوم المزيد بالنظر إليه
في المزار **وروينا حديثاً** عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم دعوا الشغل يوم الجمعة فإنه يوم صلاة وتمجيد وتهليل
عن جعفر الصادق قال يوم الجمعة لله عز وجل ليس فيه شغل قال الله عز وجل ولا

وابتغوا

وابتغوا من فضل الله ومأخذنا من الصلاة والسورة المقروءة والصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم وجميع الذكر في يوم الجمعة فإنه يستحب في ليلتها وهي من أفضل الكلمات فلا يدعن
ذلك من وجد إليه سبيلا فإن للصادق المريد في كل وقت مفضل من الله عز وجل من يدرك فإذا
أحب الله عز وجل عبداً استعمله في الأوقات الفاضلة بفواضل الأعمال وإذا مقت عبداً شغله
في الأوقات الفاضلة بسيئ الأعمال ليكون أوجع في عقابه وأشد لمقته لحرمانه بركة الوقت
وانتهاكه حرمة الوقت **وما يختص به يوم الجمعة** من
الذكر والتمجيد في الأسماء فصول أربعة أولها أربعون اسماً التي دعا بها إدريس
عليه السلام خصه الله بها وذكر الحسن البصري أن موسى صلى الله عليه وسلم قد
كان دعا بهن وأن فيها حاجتنا من دعاء محمد صلى الله عليه وسلم **والفصل** الثاني
كان إبراهيم بن أدهم الزاهد يدعو به كل يوم جمعة عشر مرات إذا أصبح وإذا أمسى وكان
ذلك من عمله في يومه **والفصل** الثالث رويناه عن علي رضي الله عنه رواه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل مجد نفسه في كل يوم وليلة
والفصل الرابع تسبيحات أبي المعتمر وهو سليمان التيمي التي دعى التسبيح
بعد قتله في المقام فقيل له ما أفضل ما رأيت تسبيحات أبي المعتمر من الله عز وجل فكان
فأما هذان الفصلان في تمجيد الرب عز وجل نفسه وتسبيحات أبي المعتمر وقد ذكرناهما
في أول الكتاب فيما افتتحنا من الأدعية المختارة بعد صلاة الغداة وقبل غروب الشمس
في كل يوم فاستقللنا إعادتهما هنا وأما الفصلان الآخران فنحن ذاكروهما

ذكر دعاء إدريس

النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن بن يحيى الشاهد القاسم بن داود القراطيسي
ثنا عبد الله بن محمد القرشي ثنا محمد بن سعيد المؤذن سلام الطويل عن الحسن البصري
قال لما بعث الله عز وجل إدريس الى قومه علمه هذه الأسماء فدعا بهن الله فكشف سراً في
نفسه ولا يذكرهن للقوم فيدعو بهن قال ودعا بهن فرفعه الله عز وجل مكاناً علياً ثم
علمهن الله عز وجل موسى عليه السلام ثم علمهن الله عز وجل محمداً صلى الله عليه
وسلم ودعا بهن في غزوة الأحزاب قال الحسن وكنت مستخفياً من الحجاج فدعوت الله
عز وجل بهن فحجبه الله عني ولقد دخل علي في بيتي مرتين فدعوت بهن فأخذ الله
عز وجل بأبصارهم عني فادع بهن النماس المغفرة لجميع الذنوب ثم سل حاجتك من
أمر دنياك وآخرتك تعطاها إن شاء الله تعالى وهي أربعون اسماً عدد أيام التوبة سبحانك
لا إله إلا أنت يا رب كل شيء ووارثه يا إله الآلهة الرفيع جلاله يا الله المحمود في كل فعاله
يا رحمان كل شيء وراحمه يا حي حين لا حي في ديمومة ملكه وبقائه يا قيوم فلا يفوت

فيه دعاء [illegible] ادريس

شيء علمه ولا يؤوده، يا واحدا إليه يلجأ أو لكل شيء، ومن أخره يا دائم بلا فناء ولا زوال
يا صمد من غير تشبيه ولا شيء كمثله يا بارئ فلا شيء كفؤه، ولا مكان لوصفه يا كبير أنت
الذي لا تهتدي القلوب لوصف عظمته يا بارئ النفوس بلا مثال خلا من غيره يا زاكي الطاهر
من كل آفة بقدسه يا كافي الموسع لما خلق من عطايا فضله يا نقي من كل جور لم يرضه ولم
يخالطه بفعاله يا حنان أنت الذي وسعت كل شيء رحمة وعلما يا منان ذو الإحسان
قد عم كل الخلائق منه يا ديان العباد كل يقوم خاضعا لرهبته يا خالق من في السموات
والأرض وكل إليه معاده، يا رحيم كل صريخ ومكروب وغياثه ومعاذه، يا تام فلا تصف
الألسن كل جلال ملكه وعزه، يا مبدع البدائع لم يبغ في إنشائها عونا من خلقه
يا علام الغيوب فلا يؤوده شيء من خلقه يا حليم ذا الأناة فلا يعادله شيء من خلقه
يا معيد ما أفناه إذا برز الخلائق لدعوته ومن مخافته يا حميد الفعال ذا المن على
جميع خلقه بلطفه يا عزيز المنيع الغالب على أمره فلا شيء يعادله يا قاهر ذا
البطش الشديد أنت الذي لا يطاق انتقامه يا قريب المتعالي فوق كل شيء.
ارتفاعه ما من كل جبار يقهر عزيز سلطانه يا نور كل شيء وهداه أنت الذي فلق
الظلمات بنوره يا عالي الشامخ فوق كل شيء علوا ارتفاعه يا قدوس الطاهر من كل
شيء فلا شيء يعادله من خلقه يا مبدئ البرايا ومعيدها بعد فنائها بقدرته يا جليل
المتكبر عن كل شيء فالعدل أمره والصدق وعده يا محمود فلا تبلغ الأوهام كل ثنائه
ومجده يا كريم العفو ذا العدل أنت الذي ملأ كل شيء عدله يا عظيم ذا الثناء الفاخر
العالي وذا العز والمجد والكبرياء فلا يذل عزه يا عجيب فلا تنطق الألسن بكل
آلائه وثنائه يا غياثي عند كل كربة ويا محسن عند كل دعوة أسألك اللهم يا رب
الصلاة على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وأمانا من عقوبات الدنيا والآخرة
وأن تحبس عني أبصار الظلمة المريدين بي السوء وأن تصرف قلوبهم عن شر
ما يضمرون به إلى الخير فإنه لا يملكه غيرك اللهم هذا الدعاء ومنك الإجابة وهذا
الجهد وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله وصلى الله على النبي وآله وسلم

ذكر دعاء إبراهيم بن أدهم

حدثنا أحمد بن الموصلي
حدثنا أحمد بن الموصلي الوكيل ثنا جعفر بن نصير الخواص ثنا إبراهيم بن نوح الخراساني
حدثني إبراهيم بن بشار خادم إبراهيم بن أدهم قال كان إبراهيم بن أدهم يقول هذا
الدعاء في يوم الجمعة إذا أصبح ويقوله إذا أمسى مرحبا بيوم المزيد والصبح
الجديد والكاتب الشهيد يومنا هذا يوم عيد اكتب لنا ما نقول بسم الله الحميد
المجيد الرفيع الودود الفعال في خلقه ما يريد أصبحنا بالله مؤمنين وبلقائه مصدقين

وحجته

وحجته معترفا ومن ذنبي مستغفرا ولربوبية الله خاضعا ولسوى الله عز وجل في
الإلهية جاحدا وإلى الله فقيرا وعلى الله متوكلا وإلى الله منيبا أشهد الله وأشهد
ملائكته وأنبياءه ورسله وحملة عرشه ومن خلق ومن هو خالقه بأنه هو الله لا إله إلا
هو وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وأن الجنة
حق والنار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكر ونكير حق ولقاءك حق ووعدك حق
والساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور على ذلك أحيا وعليه أموت
وعليه أبعث إن شاء الله اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا
على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك اللهم من شر كل ذي شر اللهم إني ظلمت نفسي
واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي
لأحسنها إلا أنت واصرف اللهم يا رب عني سيئها فإنه لا يصرف سيئها إلا أنت
لبيك وسعديك والخير كله بيديك أنا لك وإليك أستغفرك وأتوب إليك آمنت اللهم
بما أرسلت من رسول وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب وصلى الله على النبي وعلى
آله وسلم كثيرا خاتم كل نبي ومفتاحه وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين رب العالمين
اللهم أوردنا حوضه واسقنا بكأسه شربا رويا سائغا هنيئا لا نظمأ بعده أبدا واحشرنا
في زمرته غير خزايا ولا نادمين ولا ناكثين ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا
ولا ضالين اللهم اعصمني من فتن الدنيا ووفقني لما تحب وترضى من العمل وأصلح لي
شأني كله وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولا تضلني وإن كنت
ظالما سبحانك سبحانك يا علي يا عظيم يا بار يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من
سبحت له السموات بأكنافها وسبحان من سبحت له الجبال بأصواتها وسبحان من
سبحت له البحار بأمواجها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحت له
النجوم في السماء بأبراجها وسبحان من سبحت له الأشجار بأصواتها ونظارتها وسبحان من
سبحت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحانك سبحانك
يا حي يا حليم سبحانك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وأنت حي لا تموت
بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير. فمن قاله إذا أصبح [illegible] الأربعاء يوم الجمعة وقد
فضل الله عز وجل وتم عليه فضله فإذا أتم [illegible] ما ذكرنا من الأعمال والأذكار واجتنب
سيء ما كرهنا من الأقوال والأفعال فهو من أهل الجمعة ومن له المزيد نصيبا موفورا
وكان عمله الخالص وذكره الصادق عند الله عز وجل مشكورا. انتهى كتاب الجمعة وسننها وآدابها

الفصل الثاني والعشرون

فيه كتاب الصيام وتنبيهه وذكر ما يستحب للعبد من الصيام ولهم طبقات الطالبين في الصوم

ووصف صوم الخصوص قال الله عز وجل واستعينوا بالصبر والصلاة جاء في التفسير
الصبر يعني الصوم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي شهر رمضان شهر
الصبر وهو حبس النفس عن الهوى وايقافها وحبسها على امر المولى **ومن روينا**
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر نصف الايمان والصوم نصف الصبر
وقال الله تعالى واستعينوا بالصبر معناه على مجاهدة النفس وقيل على مصابرة
العدو وقال بعض العلماء واستعينوا بالصبر على الجهاد وفي الدنيا بالصوم
لان الصائم كان اصبر العابدين فالصوم مقام الزهد في الدنيا وباب العبادة للمولى
لانه منع النفس عن ملاذها وشهواتها من الطعام والشراب كما منعها الزاهد
العابد بدخوله في الزهد وشغله بالعبادة ولذلك جمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بينهما في المعنى فقال ان الله عز وجل يباهي ملائكته بالشاب العابد
يقول ايها الشاب التارك شهوته من اجلي المبتذل شبابه لي انت عندي كبعض
ملائكتي وقال في الصائم مثل ذلك يقول عز وجل يا ملائكتي انظروا الى عبدي ترك
شهوته ولذته وطعامه وشرابه من اجلي ففي الصوم عون حسن على مجاهدة النفس
وقطع حظوظها ومنع عادتها وفيها اضعاف لها ونقصان لهواها وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كل عمل ابن ادم له الا الصوم فانه
لي وانا اجزي به فاضافه عز وجل اليه تفضيلا له وتخصيصا كما قال وان المساجد
لله فلا تدعوا مع الله احدا وكما قال انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي
حرمها فلما كان المساجد احب بيوت الدنيا اليه وكانت مكة اشرف البلاد عنده
اضافهما اليه ذكرا ولله كل شيء كذلك لما كان الصائم افضل الاعمال عنده واحبها اليه لان
يشبه خلقا من اخلاق الصمدية ولانه من اعمال السر بحيث لا يطلع عليه الا هو اضافه
الى نفسه وقيل ما في عمل ابن ادم شيء الا ويقع فيه قصاص وينقص بمظالم
الا الصوم فانه لا يدخله قصاص ويقول الله عز وجل يوم القيامة هذا لي فلا
يقتص منه احد شيئا ويقال ما من عمل الا وله اجر معلوم الا الصوم فانه لا تعلم نفس
ما جزاؤه ويكون اجره بغير حساب يعرف له اجر اعظم ويجازى به وهذا احد الوجوه في
قوله عز وجل فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون قيل كان
عملهم الصيام وكذلك في تاويل قوله عز وجل السائحون قيل هم الصائمون لانهم ساحوا
الى ربهم عز وجل بجوعهم وعطشهم وتركوا قرة اعين ابناء الدنيا من الاكل والشرب
فاراهم مولاهم ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء لعملهم وقال تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب قيل الصائمون والصبر اسم من اسماء الصوم فلما اخفى ذكره فالصوم
في نفسه اخفى الله عز وجل له جزاء اذا من غير نفسه وفي الخبر نيته قرنت في نفسه
لكونه في نفسه بالصوم ذكر الله عز وجل ذكره وليس استحب للعبد ان يزيد على

افطار

افطار اربعة ايام فصاعدا فان ذلك يقسي القلب ويغير الحال ويولد العادات
ويفتق الشهوات ولانه لم يصم ولم يفطر الى ان يوالي بين افطار اكثر من اربعة ايام متوا
لية وهو يوم النحر وايام التشريق ويستحب له ان يصوم يوما ويفطر يوما
او يصوم يومين ويفطر يومين فذلك صوم نصف الدهر وان احب فليصم يومين
ويفطر يوما فذلك صوم ثلثي الدهر فان احب فليصم يوما ويفطر يومين وهذا صيام
ثلث الدهر هذا طريق الصالحين ويقتصر ولايات من قبله في فضل ذلك للاقتصار وان
صام ثلاثا من اول الشهر وثلاثا من وسطه وثلاثا من اخره فحسن فان صيام الاثانين
والاخمسة والجمع بين ذلك خير كبير وافضل له ان يصوم ايام البيض واول يوم من الشهر
واخر يوم **وافضل الصيام** ما كان في الاشهر الحرم وافضل ذلك ما وقع في
العشر منها وهو المحرم وذو الحجة وبعد ذلك ما كان في شعبان فان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يكثر الصيام فيه حتى يصله بشهر رمضان ولا يدع ان يصوم من كل
شهر ثلاثة ايام ويواظب على صوم الاثنين والخميس **وفي الخبر** افضل الصيام
بعد رمضان شهر الله المحرم وصوم النصف الاول من شهر شعبان مستحب وقد كانوا
يفطرون النصف الاخير منه وقد روينا خبرا اذا كان النصف من شعبان فلا
صوم حتى رمضان او ليفطر قبل رمضان اياما فان وصل شعبان برمضان فجائز ولا يجوز
ان يستقبل رمضان بيومين او ثلاث الا ان يوافق ذلك يوم اثنين او خميس فقد كان يصومه
وقد كان بعض الصحابة يكره ان يصام رجب كله لئلا يضاهى به شهر رمضان وكانوا
يستحبون ان يفطر والله منه اياما وقد كره قوم صيام الدهر كله وردت اخبار في كراهيته
وقد قال ذلك بانهم كانوا يصومون السنة كلها مع يومي العيد وايام التشريق
وان كان في صلاح قلبه وانكسار نفسه واستقامة حاله في صوم الدهر فليصمه فهو
حسبه فكان احب اليه اذ كان تقواه وصلاحه فيه **فقد روينا** عن سعيد
عن قتادة عن ابي تميمة الهجيمي عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من صام الدهر ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين معناه لم يكن له
فيها موضع وقد دلنا الاصول على صوم الدهر وقد صامه طبقات من السلف الصالح
من الصحابة والتابعين باحسان الا ان يكون الرجل يرغب عن السنة ويرى الرخصة
في الافطار بدعة له صوم الدهر لمعاندته لان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر
بالسعة في الدين واخبر عن الله عز وجل بانه يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان
يؤخذ بعزائمه وفي لفظ اخر يحب ان يؤخذ برخصه كما يكره ان يؤتى معصيته ومعاصيه
وقد دلنا الاخبار على فضل صوم نصف الدهر ان يصوم يوما ويفطر يوما ذلك ليكون العبد
بين حالين حال صبر وحال شكر ومن ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم عرضت علي
مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الارض فرددتها وقلت اجوع يوما واشبع يوما احمدك اذا

اذا شبعتنا وانتم عن النبيه اذا جعتنا ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم افضل الصوم
صوم اخي داود وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ومن ذلك ما نزلته عليه السلام
لعبد الله بن عمرو في الصوم وهو ان يقول اني اريد افضل من ذلك حتى قال له النبي صلى
الله عليه وسلم صم يوماً وافطر يوماً قال اريد افضل من ذلك قال لا افضل من ذلك **وروي**
في الخبر صوم يوم من شهر حرام افضل من صوم ثلاثين يوماً من شهر حرام وفي حديث من
صام ثلاثة ايام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله تعالى له
عبادة سبعمائة عام **وقد روينا** ان النبي صلى الله عليه وسلم ما صام
شهراً كاملاً قط الا رمضان بل كان يفطر منه وقد وصل مرة شعبان برمضان وفصل
صوم رمضان مراراً من شعبان وما ذكرنا من انواع الصوم صيام جماعة من السلف
الصالح وفي كل منه ورد فيه فضائل يكثر ذكرها وكذلك في جميع ما نذكره من اعمال القلوب
والجوارح في الايام والليالي وكذلك فيما نذكره من اخلاق الايمان واوصاف المؤمنين
فرجاء في الكتب ذلك فضائل ومثوبات الا انا لم نقصد ذلك وليس من شيمنا الاشتغال
بذكر فضائل الاعمال الظاهرة بل غرضنا تهذيب قلوب العمال فيظهر لهم القلب وحقيقة
الايمان لتزكوا الاعمال وتقرب العاملون المتقربون من نحو الجلال

ذكر صوم الخصوص من الموقنين

فاما صوم الخصوص من الموقنين فان الصوم عندهم هو صوم القلب عن الهمم الدنية والافكار
الدنيوية عن البطش والسعي في اسباب التعيش فمن صام بهذا الوصف فقد دام وقته
في جملة يومه وصار له في كل ساعة من نهاره وقتا ومن عمر يومه كله بالذكر وهذا افضل
يوم الظاهر عبادة ونفسه تسبيح وقد قرن الله عز وجل الاستماع الى الباطل والقول
بالاثم الى اكل الحرام ولولا ان في المسموعات والمقولات حرام على المستمع الاصغاء
اليه وحرام على القائل النطق به ما قرنهما الى اكل الحرام وهو من الكبائر فقال تعالى
سماعون للكذب اكالون للسحت وقال سبحانه وتعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار
عن قولهم الاثم واكلهم السحت فالعبد الحافظ لحدود الله عز وجل ان افطر بالاكل
والجماع فهو صائم عند الله في الفضل للاتباع ومن صام من الاكل والجماع وتعدى
الحدود واضاع فهو مفطر عند الله عز وجل صائم عند نفسه لان ما اضاع احب الى
الله عز وجل مما حفظ ومثل من صام من الاكل وافطر بالاثم في سائر الجوارح مثل
من مسح كل عضو من اعضائه في وضوئه ثلاثا ثم صلى فقد وافق الفضل في العدد الا انه ترك
الفرض من الغسل فصلاته مردودة عليه لجهالته وهو مغتر بفعله ومثل من افطر بالاكل
وصام بجوارحه من النهي مثل من غسل كل عضو من اعضائه في وضوئه مرة فقد ترك

للفضل

للفضل في العدد الا انه مكمل للفرض محسن في العمل فصلاته متقبلة لاحكامه للاصل والعلم
بالعمل ومثل من صام من الاكل والجماع وجميع جوارحه عن الاثام كمثل من غسل كل عضو
ثلاثا ثلاثا فقد تمم الفرض واحسن بتكملة الفضل فهذا الكامل تعالى تماما على الذي احسن
وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوضوء كذلك هذا وضوئي ووضوء
الانبياء من قبلي ووضوء ابي ابراهيم وقد قال ملة ابيكم ابراهيم اي عليكم بها فالزموها واقتدوا
به فيها **وقد روينا** عن النبي صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم
الصابر وجاء في الخبر ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجهدهما
الجوع والعطش في آخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم تستأذنانه في الافطار فارسل اليهما قدحا وقال
قل لهما قيئا فيه ما اكلتما قال فقاءت احداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا
وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هاتان صامتا عما احل الله عز وجل لهما وافطرتا على ما حرم
الله عز وجل عليهما قعدت احداهما الى الاخرى فجعلتا يغتابان الناس فهذا
ما اكلتا من لحومهم وكان ابو الدرداء يقول يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف لا
يعيبون صوم الحمقى وسهرهم ولذرة من ذي يقين وتقوى افضل وارجح من امثال الجبال
من عبادة المغترين وكل محظور عليك ان تقول به محظور عليك ان تسمع اليه وكل
حرام عليك ان تفعله محرم ان تنظر اليه او تحضر فاعله وقد سوى الله عز
وجل بين المستمع والقائل في قوله تعالى انكم اذا مثلهم ومثل الصائم مثل التوبة لان
الصوم من اوصافها وانما كانت التوبة مكفرة لما سلف من السيئات لاجل انه صوم
عما سلف من شيء . العبادات ان تمنى اعتقد ترك العود الى مثل ما سلف فصيانته جوارحه
جوارحه التي كانت طرائق المكروهات كذلك كان الصيام جنة من النار ووقاية
بعد رجاء الابرار انما اصبح عليه الصائم حفظ جوارحه فيه من المآثم فانما الا من جهتها في الايام
وكان كالتائب المنتهي المنافق للمنهيات فلم تكن توبته نصوحا لان كان صومه هذا
صحيحا لاجل انه في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة من النار ما لم يخرقها
بكذب ولا غيبة وامر في قوله عليه السلام اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يجهل
وان امرؤ شاتمه فليقل اني صائم وفي لفظ اخر ولا يجعل يوم صومه ويوم فطره سواء اي نهي
ان يجهل في صومه كما في فطره **وفي خبر اخر** ان الصوم امانة فليحفظ احدكم امانته
امانته مجيبا لا امانة من صيانة الجوارح لقول النبي صلى الله عليه وسلم
لما تلا هذه الاية ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وضع يديه على سمعه
وبصره وقال السمع امانة والبصر امانة فلولا انه من الامانة لما قال فليقل اني صائم اي بذكر الامانة
الذي حمل بها الى اهلها ومن حفظ الامانة ان يكتمها وان يشكرها من غيرهم

حاجة وهي خيانة لا في موضعها فلا يجب ان يطلع عليها وحقيقة حفظ السر نسيانه
وضياع السر ان يكون خزانه وحقيقة الصايم ان يكون ناسيا لصومه لا يبتغي الوقت
شغلا عنه بالموقت

الفصل الثالث والعشرون

في كتاب محاسبة النفس ومراعاة الوقت قال الله عز وجل ونضع الموازين
القسط ليوم القيامة الى قوله . اتينا بها وقرئت آتينا بها ممدودة اي جازينا
بها يكفى بالتخويف بهذا الحرف اشد وابلغ وقال تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا
ليروا اعمالهم لا يتقوا واوصى ابو بكر عمر رضي الله عنهما عند موته فقال ان الحق ثقيل
وهو مع ثقله مري وان الباطل خفيف وهو مع خفته وبي وان لله عز وجل حقا
بالنهار لا يقبله بالليل وحقا بالليل لا يقبله بالنهار وانه لو عدلت على الناس
كلهم وجرت على واحد منهم لمال جورها بعدله وان حفظت وصيتي لم يكن شيء احب
اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتي لم يكن شيء ابغض اليك من الموت
ولن تعجزه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا
وزنوها قبل ان توزنوا وتهيئوا للعرض الاكبر على الله تعالى يوم تعرضون لا تخفى
منكم خافية وانما خف الحساب في الاخرة على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا وحق
لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يكون ثقيلا فمحاسبة النفس تكون بالورع والموازنة
تكون بمشاهدة اليقين والتزين للعرض الاكبر يكون بمخافة الملك الاكبر وهو حقيقة
الحذر واوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا فقال له اتق الله حيث
ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وجدت
هذه الوصية في كتاب الله عز وجل لعباده بقوله عز وجل ولقد وصينا الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله والكلمة الثانية في قوله تعالى ويدرؤن
بالحسنة السيئة اي يدفعون بعمل الحسنة وينفعون السيئة لمن فرقة ذكرهم على
والكلمة الثالثة وقولوا للناس حسنا اخبر الله عز وجل عن وصية عباده الصالحين
كذلك ان الانسان لفي خسر اي لفي خسر ان ذهب يومه اوقاته ويغتر بالاهم
ثم استثنى فقال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر
وقال في الوصف الثالث وتواصوا بالمرحمة ونتراعى الحق لمجاهدة الهوى فيه الصلاح اذ في
موافقة الهوى الفساد والصبر قوام الامر وبتراحم يكون الحجر والرحمة للخلق باب الرحمة
الى الخالق ومفتاح حسن الخلق ومعناه حسن الظن وسلامة القلب وعدم التنقص
الحسد والغل والتواضع والذل وهذا وصف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذين اختارهم لصحبة نبيه عليه السلام وانزل عليهم سكينته وايدهم بروح منه فقال

رحماء

رحماء بينهم وقال تعالى في حقيقة الرحمة واخفض لهما جناح الذل من الرحمة **وقال في**
مثله عز وجل في صفة احبابه لا خوانهم اذلة على المومنين فقوة الثلاث وقد تنتج
رقة القلب ومفارقة القسوة وفي الرقة الاقبال على الله عز وجل وعلى الدار الاخرة
والتيقظ للامر والتذكر في وعده ووعيده وفي القسوة الاعراض وطول الغفلة فمحاسبة
النفس تكون بالورع ومواذنتها يكون بمشاهدة عين اليقين والتزين للعرض الاكبر
الاكبر يكون بمخافة الملك الاكبر وهو حقيقة الحذر **وروينا عن علي**
رضي الله عنه اما بعد فان المرء يسوؤه درك ما لم يكن ليفوته ويسيئه فوت
ما لم يكن ليدركه فما نالك من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك
اسفا وليكن سرورك بما قدمت واسفك على ما خلفت وليكن همك فيما بعد
الموت **وقال ايضا** الهوى شريك العمى ومن التوفيق الوقوف عند الحيرة ونعم طارد
الهم اليقين وعاقبة الكذب الذم وفي الصدق السلامة رب بعيد اقرب من قريب وغريب
من لم يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يعدمك من حبيب سوء الظن نعم الخلق التكرم
والحياء سبب الى كل جميل واوثق العرى التقوى واوثق سبب اخذت به نفسك سبب بينك
وبين الله عز وجل انما لك من دنياك ما اصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق
يطلبك فان لم تاته اتاك وان كنت جازعا على ما انفلت من يديك فلا تجزع على ما لم يصل اليك
واستدل على ما لم يكن بما قد كان فان الامور اشباه وقال عبد الله بن عباس لكل شيء افة
وافة العلم النسيان وافة العبادة الكسل وافة اللب العجب وافة الظرف الصلف
وافة التجارة الكذب وافة السخاء التبذير وافة الجمال الخيلاء وافة الحسب الفخر وافة
الاسلام الهوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افة الدين الرياء والله رحيم
وروينا عن ربيعة السلمي عن مجاهد قال اوصاني ابن عباس بخمس لهن احسن من الدراهم الـ
الموقوفة ومن الذهب الموصوف قال لا تكلمن فيما لا يعنيك فانه افضل من السلامة ولا
امن عليك الخطا ولا تكلمن فيما يعنيك حتى ترى له موضعا فرب متكلم فيما يعنيه وقد وضعه
في غير موضعه فلقي عنتا ولا تمارين حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك واما السفيه
فيؤذيك واذكر اخاك اذا غاب عنك بمثل ما تحب ان يذكرك به اذا غبت عنه واعفه مما
تحب ان يعفيك منه واعمل عمل رجل يعلم انه مكافا بالاحسان ماخوذ بالاساءة
وفي وصية العباس لابنه عبد الله قال يا بني اني
ارى هذا الرجل يقدمك على الاشياخ ويكرمك فاحفظ عني ثلاث خصال لا تفشين
له سرا ولا تغتابن له احدا ولا يطلعن منك على خيانة ولا يجربن
عليك كذبة هذا في رواية بنيه فدخلت احد بنيها في الاخرى قال الشعبي فقلت
كل واحدة منهن خير من الف فقال كل واحدة منهن من عشرة الاف **وقال يوسف**
بن اسباط كان يقال ثلاث من كن فيه فقد استكمل الايمان من اذا رضي لم يخرجه

غضبه عن حق وانه اقر لم يخرج ما يبشر له **وقد روينا مسندا من طريق**
وقال سري بن المغلس ثلاث يستبين بهن اليقين القيام بالحق في مواطن الهلكة
والتسليم لامر الله عند نزول البلاء والرضى بالقضاء عند زوال النعمة نعوذ بالله منه
وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فقد استكمل الايمان
لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله واذا عرض له امران احدهما للدنيا
والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا وفي الخبر المشهور ثلاث منجيات وثلاث مهلكات
فاما المنجيات فخشية الله في السر والعلانية وكلمة الحق في الرضا والغضب و
والقصد في الغنى والفقر واما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه
وروينا في الخبر الكرم التقوى والشرف التواضع والغنى اليقين وفي الخبر ايضا الايمان
عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم **وفي حديث عمار**
اشتكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالموت واعظا وكفى بالخشية
علما وكفى باليقين غنى وكفى بالعبادة شغلا وروينا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم سيد العلماء وخطيب الخطباء وحكيم الحكماء في خطبة الوداع كلمات جامعات
موجزات في الوعظ والتذكرة والزهد والتقوى وتنتظم جميع معاني ما قيل في
معناها رواه ابان بن ابي عياش عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطب على ناقته فقال ايها الناس كان الموت فيها على غيرنا كتب وكان الحق فيها
على غيرنا وجب وكان من نشيع من الاموات سفر عما قليل الينا راجعون نبوئهم
اجداثهم ونأكل تراثهم كانا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة وامنا كل جائحة طوبى
لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وانفق من مال اكتسبه من غير معصية ورحم اهل
الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة طوبى لمن اذل نفسه وحسنت خليقته
وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك
الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعد منها الى بدعة **وقد روي** عنه صلى الله
عليه وسلم حديث جامع لهذه المعاني المستوفاة مختصر في اللفظ والمعنى يقال
انه نصف العلم وهو قوله من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وما لم يورثه العبد
رضا ولم يتقرب اليه فضلا ولا يحتاج اليه فيما اشتغل فهو مما لا يعنيه وحديث . اخر هو
نصف الورع قوله دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشر حواز القلوب اي دع ما
تشك فيه من قول او فعل ان فيه غنيمة او سلامة الى ما لا تشك فيه وانت على يقين من
الفضيلة فيه او السلامة منه وما حاك في قلبك ولم تنشرح له فدعه فان ذلك لمة
اثم وان قل **وقد روينا** عنه صلى الله عليه وسلم في الوصف المبسوط من
اوصاف المومنين لوصف الله تعالى اولياءه في الكلام المشروح انه بينما هو جالس صلى
الله عليه وسلم بين اصحابه اذ سجد واطال ثم رفع راسه مادا يديه فقال اللهم [illegible]

ولا تهنا

ولا تهنا وزدنا ولا تنقصنا واعزنا ولا تذلنا قلنا وما ذاك يا رسول الله قال انزلت علي
عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم تلا قد افلح المومنون الى . اخر العشر وروينا عنه في
الوصف الجامع المختصر كوصف الحكيم الا كيس من صلح لله من عباده فالاخلاص في التوحيد والعمل
وقال صلى الله عليه وسلم لو لم ينزل علي الا هاتان الآيتان لكانتا تكفيني ثم قرأ آخر سورة
الكهف فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا الى . اخرها فكان هذا فصل الخطاب وجملة
عامة وفي الالباب فالعمل الصالح الاخلاص بالعبادة وترك الشرك بالخلق هو اليقين
بتوحيد الخالق وقد قال الله احسن القائلين في وصف اوليائه الخائفين ان الذين
هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يومنون الى قوله وهم لها سابقون
فوصفهم بسبع مقامات جامعات بالغايات تنتظم مقامات اهل المحاسبة وتستغرق
على معاني اهل المراقبة افتتحها بالخشية والاشفاق وختمها بالوجل والاشفاق وجعل
موجبها اليقين وهو الزهد ومجتنابه موازين المتقين . اخر وصفهم ونهاية نعتهم وهو
قوله انهم الى ربهم راجعون اي لاجل تعيينهم برجوعهم اليه خافوا واشفقوا ووجلوا
به واخلصوا وانت نفوسهم وافنوا اموالهم وجلوا اجرا كقوله في الكلام المختصر واتقوا
الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المومنين وبالخائفين لا امن الخوف عند القلب
وحسن المنقلب والبشرى بالقرب لربه وان لعبد تصور المحاسبة ان يقف العبد
وقفة عند ظهور الهمة وابتداء الحركة ثم يميز الخاطر وهو حركة القلب والاضطراب وهو
نوى الجسم فان كان اخفى به الخاطر من الهمة التي تقتضي نية او عقدا او عزما او فعلا
وسعيا ان كان لله عز وجل بدر فيه ومعنى لله عز وجل اي خالصا لاجله ومعنى بدر في
مسارعة فيه لا لمفارقة نفسه وهواه ومعنى فيه اي في سبيله وطلب رضاه عنه
وما يقرب اليه عند اوضاه ويسارع في تنفيذه وان كان لعاجل دنيا او عارض هوى او
لسهو وغفلة سرت في طبع البشرية ووصف الجبلية نفلا وسارع في نفيه ولم
يمكن الخاطر من قلبه ولا اصغى اليه والمحاسبة له فيرحل فيه فمما ردما يضعف عليه يعمل
حسن توحيده ويتبحج منه ومكان بدا يغسم يعرفنا نعيبه ويوزن لها في قلبه اذ ايس
ويستبين له بعد هذين فعله ومعنى قولنا ان كان لله خالصا لاجله ومعنى قولنا فيه اي
مسارعة فيه لا لمفارقة نفسه ووجده ومعنى فيه اي في سبيله وطلب ما عنده
لا لاجل عاجل حظه فان اشتبه عليه الخاطر فلم ينكشف له ما ورد به المحمود هو لله
عز وجل فيه رضى وعلى العبد فيه سبق ونفعه ام مكروه ليس لله فيه محبة وللعبد
في نفسه وبرده قربة فيكون اشكل لدخول معانيه كان ضعف يقينه عن نفي معرفة
المبتلى وقلة علم عن جهل بغامض الحكم الباطن او لغلبة هوى كامن في النفس
متولد من طبايع الجسم **وقد قال بعض العلماء** وليس العالم الذي
يعرف الخير من الشر هذا العاقل يعرفه ولكن العالم من يعرف خير الشرين فيجتنب بفعله

اذا ظهر اليه وعرف سنن الخير يعني فاجتنبه لم يقل الله. **واعلم** ان حكم الله
فيما اشتبه من الامور الامهال والوقوف وان لا يقدم العبد على ذلك بفعل ولا عزم
ان كان من اعمال القلوب ولا يمضي ذلك بفعل ولا سعي ان كان من اعمال الجوارح بل
يدع ويتوقف الامر حتى يتبين له صريح الورع لان الورع هو الخير والتأخر عن الاقدام
عن المشكلات وعن الهجوم في الشبهات لا يقول ولا يفعل ولا يعتقد حتى ينكشف
وانكشافها يكون بالعلم لغموضها وترفيق معرفة المعاني لرقتها وخفائها
كما جاء في الخبر اعلم الناس ابصرهم بالحق اذا اختلف الناس. **وعن بعض العلماء**
يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يحب البصر النافذ
عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات وجاء عن ابن
مسعود في وصف كثرة الشبهات آخر الزمان انتم اليوم في زمان خيركم فيه المسارع وسيأتي
عليكم زمان يكون خيركم فيه المتثبت لما وقع طائفة من الصحابة عن القتال
مع اهل العراق واهل الشام لما اشكل عليهم الحال منهم سعد وابن عمر واسامة
ومحمد ابن مسلمة وغيرهم فمن لم يتوقف عند الشبهات واقدم عليها كان متبعا
لهواه معجبا برأيه وهذا من معنى الخبر الذي جاء في ذم من كان هذا وصفه فاذا
رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك
فلم يذم بوجود الشح لانه صفة النفس وانما ذم من اطاع النفس في شحها باتساع
محبوبها على ايثار محبة الله عز وجل من الانفاق ومثله وهوى متبع فلم يعبأ بوجود
الهوى لانه روح النفس فسكنه فيها وانما عاب اتباعه كذلك قوله واعجاب كل
ذي رأي برأيه لم ينقص لوجود رأيه فان الرأي لا بد منه لانه نتيجة عقله وثمرة فهمه
وانما ينقص من نظر الى الهوى الذي هو دون سبق نور الحق من اراه ويتزين هواه وايثار
رأيه على رأي من هو اعلم منه او فاته ان يزيد على رأيه غيره اختيارا لرأيه وقد قال الله
عز وجل فلا تزكوا انفسكم وقد وصف اهل الرأي منا والبابه في قوله عز وجل ان في
ذلك لآيات للمتوسمين وقال على بصيرة انا ومن اتبعني. **وجاء في الاثر**
ما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المؤمنون قبيحا فهو عند الله
قبيح. **وجاء** انتم شهداء الله في ارضه وعن بعض السلف افضل العبادة الرأي
الحسن فاما ما اشكل لتجاذب الامثال فلم يتبين لك الى اي مثل ترده فالورع ان
يقف ولا يمضي حتى ينكشف واما ما استبهم لقصور العلم فانه يستدل فالعلم
به ان ترده الى اصله من الحلال والحرام ثم ترده الى اشبههما به مثال ما اصلنا فلا يعتق
النظر الى الغلام الجميل لانه لا يحتاج اليه ترده الى الاصل لانه مشتبه قال الله
عز وجل انظروا الى ثمره اذا اثمر وقال قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم فكان هذا
الاصل الشبه لوجود الجنس ومثله الاستماع الى القصائد فكان الاستماع الى القرآن

حلالا والاستماع الى الغناء حراما وكانت القصائد بين القرآن والغناء اشبه واحد منها لغير اهله وكذلك
القول في نحو القميص ان اجاوز الكعبين من المغصوب وفوق المعروف مكروه لشبهه بالاسراف في
ومثل اللبس الغليظ ولبس الحرير وفي هذا اللبس الملحم المعمول به لانه بالحرير اشبه لما فيه
فهذا ما لا اقدام على الامور الغامضة ما لم ينكشف للاسماع ويظهر للابصار وان الـ
القلوب نسأل عن عقودها هو الظن فيها والقطع بظاهر الامر عليها وهو معنى قول
الله عز وجل ولا تقف ما ليس لك به علم انما جعل من علم العبد وشهد عليه بمسائله الجوارح
عنه في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم اي لا تتبع ولا تجسس اثر ما لم تعلم فتشهد عليه
بسمع او رؤية او عقد قلب انه حقيقة من العلم السمع والمشاهدة فلذلك قال ان السمع
والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم اياكم
والظن فان الظن اكذب الحديث فمن اشتبه عليه الامر فاقطع به فهو متبع للهوى ومن كان به
في فعل او امر غاب عنه حقيقته واخبر به والظن على صاحبه بعد الاستواء كيف وقد جاء في
الخبر من حدث بما انه عنده او سمعت انا ذا كتبه الله عز وجل من الذين يحبون ان
تشيع الفاحشة في الذين آمنوا هذا الكشف ستر الله على عباده ومحبته للستر في
فيهم ولذلك كان من دعاء ابي بكر الصديق رضي الله عنه اللهم ارنا الحق حقا فنتبعه
والباطل باطلا فنجتنبه ولا تجعله علينا متشابها فنتبع الهوى وكذلك روينا
عن عيسى عليه السلام انما الامور ثلاثة امر استبان لك رشده فاتبعه وامر استبان
لك غيه فاجتنبه وامر اشكل عليك فكله الى عالمه وقد كان من دعاء علي
رضي الله عنه **اللهم** اني اعوذ بك ان اقول في العلم بغير علم فنعمة الله سبحانه
في كشف الباطل باطلا وبيان الضلال ضلالا مثل نعمته في اظهار الحق وبيان الصدق
لانه من باب اليقين ولذلك امتن الله به على نبيه صلى الله عليه وسلم وجعل من تفصيل
آياته في قوله سبحانه وتعالى وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين
فنصب سبيلهم على اظهار اسمه ورفعه على كشف الآيات لانه وتبيانا طرقه
وقد وعد الله المتقين وقدمه على تكفير السيئات والمغفرة واخبر انه لذو
الفضل العظيم في قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا
ويكفر عنكم سيئاتكم اي نورا في قلوبكم تفرقون به بين الشبهات ومثله ومن
يتق الله يجعل له مخرجا اي من كل امر اشكل على الناس ويرزقه من حيث لا يحتسب علم
بغير تعلم بل الهام وتوفيق من لدن الحكيم العليم وقد وعد الله المؤمنين عند اختلاف
العلماء للبغي بينهم وهو الكبر والحسد وحرم ذلك على المنافقين الذين لا يبصرون الا
بالآيات والعبر الغائبات وقال عز وجل في ذلك وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد
ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه
وصنع الموانين للحق ان يكشف الحق الا هو الى التقي له ما يبين الباطل للباطل وما

يعود على العبد من الأحكام وقد يكون الباطل اسما للعدم ويجوز وصفا للتجسس المن
تسمع قوله عز وجل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد أي لما جاء الحق أبدأ الباطل
وأعاده فالمعنى حقيقته لا في بدء أو عود **وقد قيل** أن الباطل يعني به إبليس
لعنه الله وقد يرد وقال إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله وكما أنه عز
وجل في البيان نعمة لأنه لا يقع إلا بقدرته كما قال فلما تبين له قال أعلم أن الله
على كل شيء قدير فكذا له على العبد فيه شكر وقد يكون سببا للإنعام بالبيان
وعلى الله الأجر على الشكر كما قال كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون
وقال في تحقيق الشكر فالمعتبر الشاكر على التعريف كذلك نصرف الآيات لقوم
يشكرون فإذا وقع العبد في الشبهات عن الأمضاء وأوقع الكلام على الاشتراء
حتى يستعبد الله عز وجل له بمن يدعو إلى علم أو قوة يقين أو كشف حجاب الهوى وقد
وفق للصواب وهو معنى قوله عز وجل وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وداخل في قوله
ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا أهل الإلهام في الطلب ولم يجعل العالم الأجرة
وكان كشفه للعبد بوصفه فإن أراد في الطلب لا وليا به وجعل العلماء كالأدلة
عليه اضطر إن يسأل عالما بالله وبالحق أحكامه عارفا بالطريق محاكيه وخفيه
كشفه ويكشف له على لسانه إذا لم يكن العبد ممن يكاشف بقلبه لتحقيق قوله
فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ولتصريف قوله الرحمن فاسأل به خبيرا والله
تعالى هو المسبب الأول والمبدي الآخر لأن التبيين والسؤال على العبد والهدى
والبيان على الله وفي المبين كما قال عز وجل سيروا في الأرض فانظروا وقال فإن
كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل ثم قال إن علينا بيانه إن علينا للهدى وعلى
الله قصد السبيل كذلك سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تحويلا
ألم تسمع قوله تعالى وعلم آدم الأسماء كلها فهذا هو المجتبى للتعليم لأنه خص
تخصيصه من الله عز وجل بالتفهيم المصطفى بالمكان للتخصيص **ثم قال**
يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم فجعل آدم وزيد الله وذكر
تخصيصه بالعلم منه بعد أن دل بالواسطة عليه فقال ألم أقل لكم إني أعلم
ولم يقل إن آدم يعلم ما أخفى آدم وخصيصه في إرفاده بقلبه لمكان تنبيهه وأعز
الملائكة أن أضيفهم إن الله عز وجل من نصيب آدم بواسطته والله هو الرزاق
كما هو الخلاق **هل من خالق غير الله** يرزقكم والعبد يا أخوان
أنصبتهم بأقسامهم من حيث الطرق وأسبابهم وهذا حين أزول المحاسبة عن
مشاهدة حسيبها والتحقيق بالمحاسبة هو أول المراقبة عن رؤية رقيبها والمقام
من المراقبة هو حال من أحوال الموقنين وعلم اليقين هو أخ علم الإيمان وأخو نصيب
العبد من علم اليقين أعني نهايته أول عين اليقين وهو شهادة المعرفة والمعرفة

على

على هذا الوصف في باب المحبة يبعد التعبير ويستولي عليه الإجابة يبعد حاجبه ويتبعه
عقله تحت كنفه وتنطوي حكمته في قدرته كما ينطوي نور القمر في ضياء الشمس والله غالب على
أمره **وعلم** معاني الأسماء والصفات ونعوت الأخلاق وباطن الأحكام الذات يكون في
مقامات القرب لمن أثر نور الوجه فيه وحكم المكان ويشهد كان وقع كون المرآة ويشهد
الوجه بنورها وتغيب المرآة عن كونها مشاهدة الحضرة فيه في صيرورة العبد شبه فينبه
فيكون العبد فانيا فيه فهو فيه لا يكونه كما يشهد الوجه بنور المرآة لا تجسمها ولا يكون
هذا إلا بعد محاسبته وصف وبعد حسن المراقبة في جميع المعاملة وحسن الأدب في محادثة
الرب بتنقيه خواطر الخير وسر عند تعظيم خواطر الشر حتى لا يبقي شيء. فهذا وهذا أحوال
المشاهدة والقرب وما لم يخرج العبد إلى صفاء القلب بعلم اليقين وصفاء القلب معه
في مقامات المشاهدة العين حتى لا يختلج بقلبه الأخلاط حتى أن عصاه عصى الحق وفي
هذا والغض عنه كدر القلب وفي كدرة ظلمته وذلك مقامات في القسوة ومنتهى أول
العبد **وبلغني أنه ما من فعلة** وإن صغرت إلا وينشر لها ثلاثة
دواوين الأول لم والثاني كيف والثالث لمن فمعنى لم أي لم فعلته وهذا موضع الابتلاء
عن وصف الربوبية بحكم العبودية إذ كان عليه أن يعمل لمولاه أم كان ذلك منه
بهواه فإن سلم من هذا الديوان فإن كان عليه أن يعمل لمولاه به سئل عن الديوان الثاني
فقيل كيف فعلت هذا وهو مكان المطالبة بالعلم وهو البلاء الثاني أي قد عملته فإن كان
عليك عمله فكيف عملته أبعلم أم بجهل فإن الله تعالى لا يقبل عملا إلا على طريقته ولم يقبله
العلم فإن سلم من هذا نشر عليه الديوان الثالث فقيل لمن وهذا طريق التعبد الإخلاص
لوجه الربوبية وهو البلاء الثالث وهو يقينه الله عز وجل من خلقه الذين قال فيهم
إلا عبادك منهم المخلصين وهذا مقتضى كلمة الإخلاص على ذلك وما سواه وهي لا إله
إلا الله وليس يعد إلا الشرك إلى وجهة الثلاثة أي فمن عملته بعلم فلمن عملته لوجه
الله خالصا فأجر لك عليه أم لشيء فشأنه المجزاة أجرك منه أم لتناول عاجل حظك في الدنيا وقد وفينا
إليك عملك فيها أم عملته لتعبده بسهوة وغفلته وقد سعفك أجرك وخيب عملك لا صاحبه
عن القصد وعدم النية في العمل وفي جميع ما أردت به سواه فقد تعرضت للمقت واستوجبت
العقاب بمن دعا عليه وجهل ما لم تكن كنت عبدا لي تتولى غيري وإذا أنت عامل لمن فعلت
وتعمل لسواي وإن كان الرياء فقد جعلته لنفسك فقد صرت به مشركا وفي وبكه أقال
سمعتني أقول ألا لله الدين الخالص أما علمت أوفي أنه قلت وما أمروا إلا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين ويقول له وبكه أما سمعتني أقول إن الذين تعبدون من دون
الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه حيث أمثال القرآن يشهد
منها العلماء أمثالهم وهي إذا كان الخطاب عند ذلك فيهم محبة العارفين أذكارهم في
يكون تفريح الله عز وجل للغافلين يعزلهم كلامه وغلبك خطابه أشد عليهم وأدوم

واوجع لهم من البين عقابه وذلك ان الله تعالى استخلص الدين لنفسه ولم يشرك فيه احدا
من خلقه وقال الا لله الدين الخالص فالطريق الموصل غير المنتهج الصالح غير الكدر لان
الاخلاص التصفية من اكدار الهوى والشهوة وضرر الشرك وهو الخالي بعينه من حظ
النفس والناس لما انعم علينا بالرزق الخالص من بين الفرث والدم فتمتن به النعمة في
قوله نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا فلو وجد فيه خلط من احدهما
لم تتم النعمة به علينا وكذلك ينبغي ان يكون عملنا له خالصا من الهوى والشهوة
ليستحق به الاجر والحظوة منه مع القيام بواجب الحق علينا فكما ان لو راينا في
اللبن الذي انعم به علينا قذارة او دما لعافته انفسنا مع ذلك كله كذلك الحكيم الخبير
اذا راى في عملنا اخلاطا من رياء وشهوة رده علينا ولم يقبله منا وكما انعم لنا بما
عملت ايدي بقدرته تعالى فانه كما انه منعما لكونه وما كان لنا فينبغي ان نشكره فنعمل
له بعبادة كل عمل صالح الحلال ثم بعد ذلك انعم علينا فقال كلوا من الطيبات واعملوا
صالحا فمن جعل ما جعل الله لنفسه وزاد للمريد من الاخلاص لوجهه استوجب المقت
لجهله واستحق العقاب لجزاء الغفلة وفي تدبير ما قلناه الهرب من الخلق والبكاء على
النفس الى لقاء الحق ثم استروا دفعا واربه بالحضور ملجأ

الفصل الرابع والعشرون

في ذكر ماهية الورد للمريد ووصف حال العارف والمريد **اعلم** ان الورد اسم لوقت
من ليل او نهار يرد العبد فيه بذكر ورابطة في قربة الى الله عز وجل ويرد فيه محبوبا له عليه
في الاخرة والقربة اسم لما هو متعين اما مفروض عليه او فضل ندب اليه فاذا فعل ذلك في وقت
من ليل او نهار رده او دام عليه فهو ورد يقدم عليه غدا اذا قدم وايسر الاوراد صلاة
اربع ركعات او قراءة سورة من المثاني او يسعى على معاد ونحو ذلك **قال
انس بن سيرين** كان لمحمد بن سيرين في كل ليلة سبعة اوراد وكان اذا فاته
منها شيء قضاه بالنهار ويسمى الحمل الموظف الموقت وردا **فقالت
المعتمر** بن سليمان ثم يثبت العبد في عمل الموقت فلا ومن الذي يمر عليه ولا في
وردي الا اربع بسميه الحزب من احزاب القران لوقت ما او ربع من العمل فمن كان يجعل
الاوراد من اجزاء القران ومنهم من كان يجعله من اعداد الركوع وقيوما ونحوها من العلماء
كانوا يجعلون الاوراد من اوقات الليل والنهار بان قطع الوقت فيه او ركعة او
ركعتين او تسبيحة في الاوراد **واما العارفون** فانهم يرقبوا الاوراد ولم
يقسموا الاوقات بل جعلوا الورد واحدا هو وجعلوا احوالهم من الله نيل حضور دائم
وصير الوقت مسا وبالتسليم ثم ونصرهم لمقاصدهم يدخل عليهم فيوضعوا حالهم في

رفقة العبودية وصفوا افرادهم في مصاف الحضرة وكانوا في كل وقت بحكم ما يستعملون في
وبحسب ما به يطالبون بذلك وردهم وذلك علامتهم عن حسن اختيار الله عز وجل لهم في
وجميل تولية ايداعهم الا يكلهم الى نفوسهم ولا يوليهم بعضهم وهو يتولى الصالحين
فشاهدتهم لله وفي الحبيب حسبهم ليس يستشعرون فضيلة في غير محبوبهم ولا يرجون
فيه بغيره معروفهم به يتقربون اليه واليه يستعينون له وعليه يتوكلون لا يرقبه
يخافون عنده واياه يحبون فلو اسقطوا الاعمال كلها غير ما تعلق بالتوحيد
لبوته ما نقص من توحيدهم ذرة ولو تركوا الاوراد المريدين كلها ما في قلوبهم وفسولة
لا فترة لا يرون بالاعمال يتخصصون بها ولا يتقربون قلوبهم واحوالهم وبالاوراد
يبعدون النقصان والمريد منه لا تجتمع همومهم بسبب وتقوى نفوسهم بطلب
شتت شتتها لعدم سببها وضعفها فيهم لطلب هذه المعاني هي احوال المريدين
وعملية تغيرهم في تشتت صرفهم بالخلق فهربوا منه وانساعهم بالخلق فاستراحوا
اليهم ولولا ذلك لم فرغهم منه لمراقبة راحتهم بدولة وقفهم مشاهدتهم عليه فلما نظروا الى
سواه واما العارفون فقد فرغ لهم من قلوبهم واجتمعت الهمم فكانت مجامعها وافرادهم
لهم الفاهم لهم مشاهدتهم له ولهم بكل شيء ويرون بقيتهم في تحرير بغير تغيير
لا نقص يرون لا انقلاب ولا تغيير ويرون لطلب احد منهم الشيئية بالاشياء فيجمعه بها زرب
الا وليس لا ندم لا دليل لاجتماع وانما استوحش بالمشتتات لا استجماع ما هو في قلبه الا انه
رفقة فيه محبوبه ويمكنا منه عند محبوبه اذا علم انه طالبه يطرح نفسه ليجله محله
بالنوال ولم يكله الى نفسه وهواه بين مفعولات الا حيلة لا يدع ويها سوا الهم ولا تعطى
لا الهم ولا يلتفت الا لهم ولا يفارس عليها ولا يدعي وكان صادقا ولا تستنطق فتنتقل الصلاة لا ترده
ولا تنتفع بفعل العلماء في الاجتماع والمراد بها مجمولون بها مراجعون بعلمها
مسلم لهم بعد مقامات ومن زاد قارب هي محبوسة عليهم ومقصودة لهم فهم لها
سابقون **فاولياء الله** عابدوه وقد علقوا قلوبهم لمعبودهم ونظروا الى
معبودهم الذي عبدوا عليه فبهموا عند فصل الخطاب فلا اشارتهم من مشاهدته حكمة
حكم الكتاب انه يقول وانظر الى الاحد الذي كلفت عليه عارفا بعد قوله الغافلين
معرضا قوما اصلا وتقطع لهما عاكفين مع قوله امنوا واصبروا وعلى المؤمنين ان هذا التسبيح
يراد الى قوله واصبر لحكم ربك فانك باعيننا فعلموا ان الاخلاص الذي امروا به هو
العبادة ولا عبادة الا مجانبة الهوى بعدها الا انابة الى المولى اما سمعت قوله عز وجل
والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشرى وايقنوا ان
الصلاة عماد الدين ولا صلاة الا للمتقين ولا تقوى الا بالانابة لما قال منيبين اليه واتقوه
واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين **فهذه** عبادة العارفين على
سنة النبيين فانا لهم مشاهدتهم المذكورة كقوله في وصف ظرهم كانما اعينهم في

عطل عن ذكره بهم عن كنفه من ذكره انه بعدهم وبعدهم وحقيقة ذكرهم نسيانهم لسوء
مذكورهم بمعنى قوله والذي يدل انه نسيهم ما اخرجهم الذكر له الى الفرار اليه كما هربوا
عنه انه يقول لعلهم يذكرون فيفروا الى الله فلما هربوا اليه ادام بعدهم به ووهب لهم
هدايته الى جنبه ونسيهم من رحمته وطواهم في قبضته فلم يرهم الا هم ولم يبق فيهم سواهم

وقد قال تعالى واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر
لكم ربكم من رحمته وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين

ذكر الاوراد وما يرجى منها

من الاخبار ولكن بمواصلة الاوراد المرسومة والاعمال الموقتة المعلومة يستبين
المزيد والنقصان من الم يزد يومه بقوة العزم والشهوة من اهل الغفلة والفترة وفي
الاوراد ايضا فضيلة وهي ان العامل اذا استقل عنه لمرض او سفر كتب له الملك
مثل ثواب ما كان يعمل في الصحة وقد يكون نوم العارف افضل من صلاة الجاهل لان هذا
النائم سالم وهو لله لان اهل العلم اذا استيقظوا وهذا الظالم الغافل يومي
عليه الاوقات ويطرق الاعراض العبادات وهو له الجاهل المغتر اذا كبر وقبر

وقد روينا في خبر نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح **وفي
الحديث** عالم واحد اشد على الشيطان من الف عابد ورويناه
في خبر مقطوع لو وقفت هذه على هذه يعني السماء على الارض ما زاد العالم بعمله
شيء ولو وقفت الدنيا على عابد زاد عبادة ربه ولان العالم قد يكشف في
نومه بالآيات والعبر ويكشف له الملكوت الاعلى والاسفل ويخاطب بالعلوم ويشاهد القدرة من معنى ما يشهده الانبياء في يقظتهم فيكون نوم العارف كيقظة
لان قلبه حياة ويكون يقظة الغافل نوما لان قلبه موات فيعدل نوم العالم يقظة
الجاهل ويزيد يقظة الغافل من نوم العالم كيف وقد

جاء في خبر ابي موسى
ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى احد فقال هذا جبل احد ويعدل هذا ما
وزنه وان من اوفقه من ذكر من التسبيحة منه والتهليل اوزن عند الله عز وجل
منه

وفي حديث ابن مسعود انه قال لعمري ما اكثرت
ان يكون عمل عبد في يوم واحد اكثر من السموات والارض بمنزلة وصف ذلك بانه هو
الغافل عن الله عز وجل الموقن العالم به وقد سئلت عائشة رضي الله عنها
عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فقالت ما كان يخص رمضان
بشيء دون غيره ولا كان يزيد في رمضان على سائر السنة شيئا وقال انس بن مالك
ما كنا نريد ان نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما من الليل الا رأيناه ولا

نريد ان نراه قائما الا رأيناه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام ثم يقوم فيقول قدر
ما نام ثم ينام قدر ما قام ثم يقوم قدر ما نام ولم ينم قدر ما قام ثم يخرج الى الصلاة
وقالت عائشة رضي الله عنها ما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا
كاملا قط الا رمضان ولا قام ليلة الى الصبح حتى ينام وقد نام قالت وكان يصوم حتى
نقول لا يفطر ويفطر ويقوم من الليل وينام

وفي الخبر الاخر كان يصوم حتى
نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان يصبح صائما ثم يفطر ويصبح مفطرا
ثم يصوم

وفي الخبر الاخر كان يدخل من الضحى فيقول هل عندكم من شيء
فان قدم اليه شيء اكل والا قال اني صائم وخرج يوما فقال اني صائم ثم دخل فقلنا
يا رسول الله اهدي لنا حيس فقال اما اني كنت اردت الصوم ولكن قربيه
فكان ورده صلى الله عليه وسلم بحكم ما ورد عليه وبمعنى هذا المعنى يكون نصيب
العارفين من هذا المعنى تكون شهادتهم يكون مشاهدة الموقنين ليسوا مع الله
بارادتهم ولا يقطع على تدبير كما قيل لبعضهم باي شيء عرفت الله عز وجل
فقال بفسخ العزائم وحل العقد ولكن الاوراد لمن العمال والوظائف اخوان الى
العباد فمشاهدة خلوا ومشاهدة يرجعون الى ان تشهد والواحد فيكون الاوراد كلها
وردا واحدا ويكونون مشاهدتهم قال

قال بعض العلماء من السلف
الايمان ثلاثمائة خلق وثلاثة عشر على عدد المرسلين كل مؤمن على خلق
منها هو طريقه الى الله عز وجل ووجهته من الله عز وجل ونصيبه وفي كل طريقة
من المؤمنين طبقة وبعضهم اعلى مقاما من بعض وقال عالم اخر الطرق الى الله
عز وجل بعدد المؤمنين وقال العارف الطرق الى الله عز وجل بعدد الخليقة يعني
ان للمشهير بكل خلق طريقا وقد صارت المكنونات للمكنونات قبلة

ورويناه
في الحديث ان الايمان ثلاثمائة وثلاثون طريقة من لقي الله عز وجل بالشهادة على
طريق منها دخل الجنة

ومن هذا قوله عز وجل قل كل يعمل على شاكلته فربكم
اعلم بمن هو اهدى سبيلا فدل انهم كلهم مهتدون وبعضهم اهدى من بعض بمعنى
انه اقرب الى الله عز وجل وافضل وقد قربا الى القرب في الام وطلبه واخبر عن
المتقين بالمسابقة في طلب القرب فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا
اليه الوسيلة يعني القرب وقال فيما اخبر اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة ايهم اقرب فاقرب الخلق من الله عز وجل اعلاهم عنده رتبة واعلاهم عنده
اعرفهم به واقربهم لديه

وروينا في تفسير قل كل يعمل على شاكلته قال على وجهه
وهذا بينه يعني بدلالة على توحيده الذي يوجه الله عز وجل به ويعرفه منه والاسم
والشاكلة الطريقة والخلق قد شاكله وقد شكل عليه ومنه الحديث على رضي
الله عنه لكل مؤمن نصيب من عمله فهذا النصيب من العمل هو الذي يرجو المؤمن به

البكاء ويبوء به عند موته، وقال بعض العلماء كان علماء عباد الكوفة اربعة احدهم
صاحب ليل ولم يكن صاحب نهار والآخر صاحب نهار ولم يكن صاحب ليل وبعضهم كان صاحب
سر ولم يكن صاحب علانية والآخر صاحب علانية ولم يكن صاحب سر، وقد كان بعضهم
يفضل عبادة النهار على عبادة الليل لما فيها من مجاهدة النفس وكف الجوارح في
النهار لمكان حركة الغافلين وموضع ظهور الجاهلين فاذا سكن العبد عند حركة
الغافلين وصبر واستتر في ظهور الجاهلين كان هو التقي المجاهد والعامل العابد
وقد قيل ان العبادة ليست الصوم والصلاة حسب بل افضل العبادات اداء ال
فرائض واجتناب المحارم وتقوى الله عز وجل عند الشبهات وعند الدرهم وهذا
في اعمال النهار وقد قال الله عز وجل وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار
اي ما كسبت جوارحكم ويعلق الاجترام بالنهار ثم يبعثكم فيه فانه لم يعمل من عمل اجترام
بالنهار ولم يبعثه فيه مخالفة فهو افضل منه وكان الحسن يقول انشطوا اعمال قيام الليل
بالمراوقة على ذلك ومراوقة الاوراد من اخلاق المومنين وطرائق العابدين وهي
مزيد الايمان وعلامة الايقان **وسئلت** عايشة رضي الله عنها عن عمل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وكان اذا عمل عملا اثبته وهذا كان
سبب ما ذكر عنه صلى الله عليه وسلم من صلاته بعد العصر ركعتين انه كان ترك
ركعتين اللذين بعد الظهر شغله الوفد عن ذلك فصلاهما بعد العصر ثم لم يزل
يصليهما بعد العصر كلما دخل منزله روت ذلك عنه عايشة وام سلمة ولم يكن
يصليهما في المسجد لئلا يستن به الناس **وفي الخبر المشهور**
اكلفوا من الاعمال ما تطيقون فان الله عز وجل لا يمل حتى تملوا وفي الحديث
الآخر احب الاعمال الى الله عز وجل ما ديم عليه وان قل وقد رويناه في خبر من عبد
الله عز وجل بعبادة ثم تركها ملالة مقته الله عز وجل وفي خبر عن عايشة رضي
الله عنها وقد اسنده بعض الرواة من لم يزدد كل يوم خيرا زاد فيه علما فلا بورك له
في صباح ذلك اليوم وقد جاء في الخبر كلام فيه زيادة عن الحسن بن علي وتارة عن الحسن البصري ورفعه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من استوى يوماه فهو مغبون ومن
كان يومه شر من امسه فهو محروم ومن لم يكن في مزيد فهو في النقصان وفي لفظ آخر
من لم يتفقد النقصان من نفسه فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له
وفي ان المومن شكور والشاكر على مزيد

الفصل الخامس والعشرون

فيه كتاب تغريب النفس وتهذيبها من اخبار العارفين اعلم ان النقصان يبدو من الغفلة

والغفلة

والغفلة ينشأ من ادبار النفس والنفس مجبولة على الحركة وقد امرت بالسكون وهو
ابتلاؤها ليعتقها الى مولاها ويتبرأ من حولها وقوتها ومثال ذلك قوله تعالى ولا تموتن
الا وانتم مسلمون ليدعوا الله فيقولوا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وكما
قال وكان الانسان عجولا خلق الانسان من عجل ثم قال ساريكم اياتي فلا تستعجلون
وقال اتى امر الله فلا تستعجلوه فاخبر عن وصفها بالعجلة ثم امر بتركها بالصبر فان
نزلت السكينة على القلب وهي من مزيد الايمان سكنت النفس عن الهوى باذن
منشيها وان حجب القلب بالغفلة وهي علامة عن الافتقار والتضرع تحركت
النفس بطبعها فان سكنت عن حركتها فبالمنة والفضل وان تحركت بوصفها فبالابتلاء
والعدل فاول البلاء اختلاجها واول اختلاجها خاطرها ثم تتفرع منه الهمة وبابه السمع
وهو طريق الى الكلام والنظر والقول طريق الى الشهوة والشهوة مفتاح الخطيئة
وقوام من النار رضى بزحزحة عنها الجبار بالتوبة في الدنيا والعفو في العقبى وقد
ذكرت المخالفة على حب العارف انه من النار كما حدثنا عن بعضهم قال لان ابتلى ب
بدخول النار احب الي من ابتلى بمعصية **قيل** ولم قال لان في المعصية خلاف ربي
تعالى وسخطه وفي النار اظهار رضاه وانتقامه لنفسه قال فسخطه اعظم علي و
اعظم من تعذيبه نفسي وكذلك حدثونا في معناه عن بعض المريدين من العمال انه
قال ركعتان اتقبل منهما احب الي من دخول الجنة قيل وكيف قال لان في الركعتين
رضى ربي عز وجل ومحبته وفي الجنة رضاي وشهوتي ورضا ربي عز وجل احب الي من
محبتي وقد قال وهيب بن الورد المكي في لبن يسير ان يشربه فلم يفعل لانه سال
عن اصله فلم يستطبه فقالت له امه اشرب فاني ارجو ان شربته ان يغفر الله
لك فقال ما احب انني شربته وان الله غفر لي قالت ولم قال لا احب ان انال مغفرته
بمعصيته فجملة وصف النفس ميزان الطيش والشهوة والطيش عن الجهل وال
والشهوة عن الحرص ومثلها في النفس فيما لها في الطيش كمثل كرة او جوزة في مكان
املس مصوب سكونها بالمنة فان اشرت اليها ادنى حركة تحركت بوصفها
وهو جبلتها واستقرارها وصورتها ايضا الشمع المشتعل من الحرارة اصله ثم هي تطلب
بجبلتها الضوء وفيه هلاكها فاذا وصلت الى شيء منه لم تقنع بيسيره لتستمد
منه الى الغاية منه وتطلب عين الضوء وجملته وهو نفس المصباح فتحترق ولو قنعت
بقليل الضوء من بعد سلمت فكذلك النفس في طبيعتها الذي يتولد منه الطمع والحرص
والطمع هو الذي كان سبب اخراج آدم من الجنة لانه طمع في الخلود فحرص على
الاكل وكان ذلك عن الاكل والشرب فكانت معصيته سبب عمارة الدنيا فصارت
الطاعة سبب عمارة الآخرة ولذلك قيل حب الدنيا راس كل خطيئة فصار الزهد
اصل كل طاعة فانظر كيف اخرج من الجنة بعد ان جعل اصل بيننا بذنب واحد وانت تزيد

ان تتخلوها ولم تقلها النطف النبهان بذنوب كثيرة **وقيل** ان الجنة طيبة ولا يسكنها
الا الطيب لمن طابوا لما خلوها الم تسمع الى ما تدرينه في قوله عز وجل الذين
تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم **وقال تعالى** وقال لهم خزنتها
سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين لانه قال ومساكن طيبة في جنات عدن والزنوبي
خبائث كما قال وتحرم عليهم الخبائث فلما طابوا لما طابت لهم وقد اجمله بقوله
تعالى الخبيثات للخبيثين وبقوله الطيبات للطيبين وقد مثل بعضهم النفس في
شرهها لمثل ذباب مر على رغيف عليه عسل فوقع فيه يطلب الكلية فعلق جناحاه
وقتله واخر مر بدبرنا من بعضه فنال حاجته بجمع اليه ورد اليه سالما **وقد**
مثل بعض الحكما ابن ادم مثل دودة القز لا تزال تنسج على
نفسه بجهله حتى لا يكون له مخلص فيقتل نفسه ويصير القز لغيره وربما قتلوه
اذا فرغ من نسجه لان القز يلتف عليه فيروم الخروج منه فيشمس وربما عزبه الا بريه
حتى يموت لئلا يقطع القز وليخرج القز صحيحا فهذه صورة المكتسب الجاهل الذي
اهلكه اهله وماله فتنعموا وترتب عليه ما يشقى به فان اطاعوا به كان اجرا لهم وعليه
وحسابهم عليه وان عصوا به كان شريكهم في المعصية لانه كسبهم اياها فلا
يدري ابي الحسم نبين عليه اعظم الذهاب عمره لقبره اوتظنه الى ماله في ميزان
غيره ومما سمعته في علم شره النفس ما اخبرني بعض اخواني عن شيخ الطائفة
قال قدم علينا بعض الفقرا فاشتهى بنا من جرنا لنا حملا مشويا ودعونا عليه
في جماعة من اصحابنا فلما مد يده واخذ لقمة وجعلها في فيه لفظها ثم اعتزل وقال كلوا
انتم فانه قد عرض لي عارض منعني من الاكل فقلنا لا ناكل ان لم تاكل فقال انتم اعلم
او انكم مغترون الا تاكل ثم انصرف قال فبحثنا ان ذلك الحمل وقلنا لو دعونا الشوا فسالناه
عن اصل هذا الحمل فلعل له سببا مكروها فرعوناه ولم نزل نسال عنه حتى اخبرنا انه
كان ميتة وان صاحبه ذبحه الى بيعه حرصا على ثمنه فشواه فوافق انكم اشتريتموه
فقال لي قتلنا للكلاب ثم اتي الشيخ الرجل بعد ذلك فسالناه لاي معنى ترك الاكل
وما بي عارض فقال اخبر لما تشتهي نفسي الى طعام منذ عشر سنين الا في هذه
الليلة وحصل به فلما قربتم الي هذا شممت نفسي اليه ثم هاما عند قبل لحمه
فعلمت ان في ذلك الطعام علة قال رحمه الله كيف اتفق في شره النفس
عن فضة واحدة ثم اشتغلوا في التوفيق والخذلان فعصم الله العالم بالورع والمحـ
والمحاسبة وترك الجاهل مع شره النفس فلم يحص وتركه المراقبة اعمى البصيرة للجهل
ثم عصم الاخرون للتوفيق بحسن الادب وهو قمع شره النفس عن الاكل بعد صاحبهم
ثم خذلهم الطبايع بعد فوقعوا لصدق المستفتي وحسن نيته وحيلان النفس الاربعة
هي اصول ما تفرع من هواها وهي مقتضى ما جبلها عليه من لا اله الا هو والاعـ

وهي

وهي مقتضى فطرة التراب ثم البخل وهو مقتضى جبلة الطيني ثم الشهوة وموجبها
الحما ثم الجهل وهو ما اقتضاه موجب الصلصال وهذه الصفات على معانيها خلق الجبلات
للابتلاء بالاستخراج وعقد بذلك الاعوجاج ذلك تقدير العزيز العليم ثم ان
النفس مبتلاة بالاوصاف الاربعة فتعلقها لما انها معاني صفات الربوبية نحو الكبر
والجبروتية وحب المدح والعز والغنا ومبتلاة بالاخلاق الشيطانية مثل الخداع والحيلة
والحسد والظنة ومبتلاة بطبايع البهايم وهو حب الاكل والشرب والنكاح وهي
مع ذلك كله مطالبة بالاوصاف العبودية مثل الخوف والتواضع والذلة فيعني ما
قلناه **قيل** انها خلقت متحركة وامرت بالسكون وانى لها بذلك ان لم تزل كما ل
المالك وكيف تسكن بالامر ان لم يسكنها محكم بالحق فلا يكون العبد عبدا مخلصا
حتى يكون للمعاني الثلاث مخلصا فاذا تحقق بالاوصاف العبودية كان خالصا
من المعاني التي هي فاذا من صفات الربوبية باخلاص العبودية للوحدانية
عند العلماء الموحدين اشرف من الاخلاص في المعاملة عند العاملين ومن لم يعد الى
مقامات القرب وذلك انه لا يكون عندهم عبدا حتى يكون لما سوى الله عز وجل حرا وكيف
يكون عبدا لربه وهو عبد عبيد لانه ما فاته الكيد فهو لاهو وما اثر عليه فهو ربه وهذا
تنزيه لا لتسمية عند المتاملين وفرج بالربوبية عند الباقين فهو فيه منكوس
يدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم اذ يقول تعس عبد الدينار وتعس عبد الزوجة
وتعس عبد الحلة فهولا عبيد العبيد والذين قال مولاهم ان كل من في السموات والا
والارض الا اتى الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا اما لنفسه من لا امارة بالسوء
المسولة الموافقة للهوى المخالفة للمولى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض
هونا الى اخر وصفهم اولو النفس المرحومة المطمئنة المرضية وهم عباد الرحمة اهل العلم
والحكمة علمهم من لدنه واختارهم لنفسه ولا يكون المريد حتى يبرا من ذي صفات
الربوبية وصفات العبودية وباخلاق الشيطانية اوصاف المومنين وبطبايع البهايم
اوصاف الروحانيين من الاذكار والعلوم فعند ما كان يوما مقبلا والظن فيه هذا
فان يملك نفسه فيملكها وسخر له نفسك عليها فان اردت ان تملك نفسك فلا
تملكها وضيق عليها ولا توسع لها فان ملكتك ملكتها وان لم تضيق عليها
اتسعت عليك فان اردت الطمع فلا تقع في هواها واحبسها عن معتاد بلادها
فان لم تمسكها انطلقت بك وان اردت ان تقوى عليها فاطعها بقطع الاسباب
من هواها وحسم موادها من شهواتها ولا تقف عليه قص عنقها فاول المملكة فان تجاهدها
في كل ساعة وتراقب حسبتها في كل وقت وتقطع عنك كل همة من خواطرها فان كانت
الهمة لغير الله نسابقت الموت وبادرت الفوت في امضائها وان كانت الهمة لغير
الله نسابقت وبادرت في محوها لئلا تثبت وعملت في الا تستقر الا بكيد يستقر له

بها. **وفي تاويل الخبر المروي** الذي يزيد في العمر وهو معنى الدعاء المشهور
من قول الناس جعل الله في عمرك البركة وقد يبورك له في عمره فان البركة في
العمر هو ان تدرك في عمرك القصير بيقظتك ما فات غيرك من عمره الطويل بغفلته فيه
فيرتفع لك في ساعة ما لا يرتفع لغيرك في عشرين سنة والمخصوص من المقربين في مقامات
القرب عند التجلي بصفات الرب المتحقق بتنوع الدرجات وترادف المقامات عند انكدارهم
واعمال قلوبهم اليسيرة في هذه الاوقات فكل نفس من ذلك تسبيح وتهليل وتحميد
وتكبير وتسبيح وتعظيم وتنزيه لمشاهدة قرب ووجد وشوق الى حبيب ودنو الى قريب
افضل من امثال الجبال من اعمال الغافلين الذين هم يتعبون انفسهم ويجهدون ويتساهرون
مثل العارفين فيما ذكرناه من قبلهم بشهادتهم ورعايتهم لاوقاتهم وعدهم في وقتهم
فيهم وحضورهم مثل العامل في ليلة القدر العمل فيها خير وافضل من الف شهر
وقد قال بعض العلماء كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة القدر **وروينا**
عن علي رضي الله عنه انه قال كل يوم لا نعصي الله عز وجل فيه فهو لنا عيد
وكان الحسن اذا تلا قوله عز وجل كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية
قال اخواني هي والله ايامكم هذه ما قطعتموها بالصبر ولا جنيتم وما تضيعوها مجلوة
باعمال من حسنة المعاملة ويطالبه فيصرف الشغل بمعاملة الحصول عليه منها
كما قال يا حسرتا على ما فرطنا فيها يعني في الايام الخالية التي هي محصولهم
ومثواهم فكما قالت النفس الامارة بالسوء يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله
يعني ايام الدنيا التي ضيعت العمر فيها فخلت من الثواب والجزاء وهذا احد
الوجهين في قوله في الايام الخالية والوجه الاخر الخالية الماضية خلت اوقاتها
وخلت احكامها ونحن نسبقها شهواتنا وبقينا عقوباتنا فان فوتنا عن هذه
المحاسبة للحبيب فلا نفوتنه مقام العارفين الورعين ولا نتبين عن حال الا
التائبين وهو ان نجعل لكم وردين في اليوم والليلة لمحاسبة النفس واقفها
مرة بعد صلاة الضحى لما مضى من ليلتها وما سلف من يومها فان رايت نعمة
تشكرت الله وان رايت بلية استغفرت فان وجدت فيها لها اوصاف الموقنين
الذين وصفهم الله عز وجل بها ومدحهم عليها رجوت وطمعت واستبشرت فان
وجدت من قلبك وحالك وصفا من اوصاف المنافقين او خلقا من اخلاق الجاهلين
الذين ذمهم الله عز وجل بها ومقتهم عليها حزنت واشفقت وتبت من ذلك واب
واستغفرت والمرة الثانية ان تحاسب نفسك بعد العشاء وقبل النوم لما مضى
من يومك من طول غفلتك وسهوه معاملتك وما فعلته من اعمالك كيف فعلتها
ولم فعلتها وما كنت من سكونك وحركتك كيف تنقص بالزيادة والنقصان وتعرف
بذلك التكليف ولا خلاص في حركتنا وسكوننا فيما نحن كنا فيه وسكنتنا لاجل الله

عز وجل به فهو خلاص ثوابنا فيه وعلى الله عز وجل عند مرجعنا اليه فالحمد لله والشكر
على نعمتنا التوفيق وحسن العصمة من التهلكة وما سكنتنا فيه ونحن كنا نهوى وع
وعاجل لما يتلذ به فهو المتكلف الذي اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه هو
ولا تقبلوا من امته برا من التكليف وقد استرجينا فيه العقاب عند تنغيص الحساب الا ان
يعفو المولى الكريم فالعمل فيما بينه لا تنقطع ابعد حسن التوبة وجميل الاعتذار وتفقه
ان يكون منه وجملته الى نفسه بتهلله بلعل مشاهدة حاذقين المعنيين من الخوف ما سلف
منه والطمع في قبول ما اسلفنا لبعده من المنام ويلم من عند الغفلة فيخفي لبلبلته
بالقيام فيكون ممن وصف الله عز وجل في قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون
ربهم خوفا وطمعا وقد قال بعض السلف كان احدهم يحاسب نفسه اشد من
محاسبة الشريك لشريكه **وقد قال** بعض العلماء من علامة المقت ان يكون ال
العبد ذاكرا لعيوب غيره ناسيا لعيوب نفسه ماقتا للناس على الظن محبا لنفسه
على اليقين ولا محاسبة النفس ومراقبتها الا قريب من طول الغفلة عن الله عز وجل و
والغافلون في الدنيا هم الخاسرون في العقبى لان العاقبة للمتقين قال الله عز وجل
واولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون وطول الغفلة من العسر
عن طبايع القلب من المعبود والغفلة في الكلام غلاف القلب في الباطن تقول العرب
غفلة وغلفة بمعنى كما تقول جبذ وجذب وخشاب وحجاشر وطبايع القلب عشي
تراكب الذنب بعضه فوق بعض وهو الران الذي تعقبه الكسب فيكون عقوبة
له قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قيل المكاسب الـ
الخبيثة والاكل الحرام وفي التفسير هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب واصل
الرين الميل والغلبة وهو التغطية ايضا يقال ران عليه النعاس اذا غلبه ورانت
الخمر على عقله اي غطته ومن هذا قول عمر رضي الله عنه في سابق الحاج فا
دان معرضا فاصبح قد رين به اي ما به الدين فغلبه واصل تراكم الذنوب من
اعمال المراقبة واهمال المحاسبة وتاخير التوبة والتسويف بها لا استقامة ونرجو
لا تستغفروا والندم واصل ذلك كله هو حب الدنيا وايثارها على امر الله عز وجل وغلبة
الهوى على القلب الم تسمع الى قوله عز وجل ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة
اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وقال في تنزيل الخطاب ونهى النفس عن الهوى يعني
عن ايثار الدنيا لان صريح الكلام وفحواه في وصفهم بالطغيان وايثار الحياة الدنيا
ثم قال طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم فربما تباع الهوى عن طبايع القلب وطبايع
القلب عن عقوبة الذنب وهم ورثة العقاب الصم عن فهم الخطاب اما سمعته يقول لو نشاء
اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون وقد جعل علي رضي الله عنه
الغفلة مقاما من مقامات الكفر فقال في حديثه الطويل وقام اليه سلمان فقال

اجمع قلبه عن الكوى على ما ينبغي وقال على اربع مقامات على النسيان والجهل والغفلة
والعمى واذا كثرت غفلة القلب فالهام الملك للعبد وهو يسمع القلب لان طول
الغفلة تصد عن السمع وعدم سمع الكلام من الملائكة عقوبة الخطايا وتثبيت
الملك للعبد على الخير والطاعة وهي من الله عز وجل اليهم وتفضيل للعبد اما
سمعت قول الله عز وجل اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا
وفي الخبر ان آدم عليه السلام حجب عن سمع كلام الملائكة فاستوحش
لذلك فقال يا رب ما بالي لا اسمع كلام الملائكة فقال خطيئتك يا آدم فاذا المرء
يسمع العبد كلام الملائكة لم يفهم كلام الملك واذا لم يسمع الكلام لم يستجب للمتكلم
الذين يسمعون وقال الحسن ان بين العبد وبين الله عز وجل حدا من الذنوب
فاذا بلغه العبد طبع على قلبه فلم يوفقه للخير ابدا فبادروا ايها المحاذر للحدود
بالتوبة والرجوع قبل ان تبلغ الحد فتلقى غيبها وجهرا وفي حديثنا ابن عمر
الطابع معلق بقائمة العرش فاذا انتهكت المحارم بعث الله عز وجل بالطابع
على القلوب فاحاط بها وهذا هو القفل الذي قال الله عز وجل افلا يتدبرون القرآن ام
على قلوب اقفالها واعلم ان القسوة التي توعد الله عز وجل عليها بالويل
المتولد من طول الغفلة في قوله عز وجل فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وقد
قرنها الله عز وجل بالنفاق واخبر انه يجعل القاء الشيطان فتنة لاهل النفاق واهل
القسوة فالقاء الشيطان يكون بضد الالهام الملك كما ذكرناه اولا فيفتتن بذلك في
قوله عز وجل ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية
قلوبهم ايضا والقسوة ثمرة الغدر والغدر فرع الخيانة والله لا يحب الخائنين
في قوله في الخطاب من قوله فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم اي ابعدناهم وجعلنا قلوبهم
قاسية ثم ادب الذنوب بعد القسوة من الكذب والنسيان وكثرة الاطلاع على
الخيانة منهم والنسيان فاصيبوا بالذنوب بوقع الطبع على القلوب فصموا عن
سمع كلام المحبوب كما قال اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فجلاء هذا الطبع
التقوى وهو مفتاح السمع كما قال اتقوا الله واسمعوا والله تعالى الموفق

الفصل السادس والعشرون

فيه كتاب ذكر مشاهدة اهل المراقبة اعلم ان مشاهدة المراقب هي اول مراقبة المشاهدة
وذلك ان من كان مقامه المراقبة كان حاله المحاسبة ومن كان مقامه المشاهدة كان
وصفه المراقبة فاول شهادة المراقب هو ان يعلم يقينا انه لا يخلو في كل وقت وانفاس
من احد معان ثلاثة ان يكون لله عز وجل عليه فرض والفرض على ضربين احدهما امر

بفعله

بفعله ونفسه او بتركه وهو اجتناب النهي والمعنى ندب حث عليه وهو المسارعة
يجري بفعله الى الله عز وجل والمسارعة بعمل بر يشهد قبل فوته والمعنى الثالث شيء
مباح فيه صلاح وقلبه وليس للمؤمن من وقت رابع فان احدث وقتا رابعا فقد
تعدى حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه وقد احدث في دين الله ومن
احدث في دين الله فقد سلك غير طريق المتقين الم تسمع الى قوله عز وجل وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا فجعل ذكره بين حالين وقتا لحمل
او هو كما انه تردد بين الليل والنهار وقتا للذكر والشكر فالايمان والعلم وهما اثنان يتضمنان
حمل اعمال القلوب والشكر العمل بالاخلاق للايمان واحكام العلوم وهذان يشتملان
على جميع اعمال الجوارح قال الله عز وجل اعملوا آل داود شكرا وقال واتقوا الله
لعلكم تفلحون فلعلكم تشكرون وقال كما ارسلنا فيكم رسولا منكم الى قوله فاذكروني
اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عوتب في طول قيامه حتى تورمت قدماه افلا
اكون عبدا شكورا فقسم الشكر بالعمل كما قسم الله تعالى العمل بالشكر والوقت
الثالث الذي هو المباح لا اخل بهما لانه معين عليهما وبه استقامة العبد فيهما وقد
كان بعض العلماء يقول لتكن في مباحات الطاعات همم وشغل عن معاصي المخالفات
فيشتري العبد المراقب بفضل بغفلته في المباح وقتا لله عز وجل فيه عليه
فرض او ندب فيبادر له حتى يفرغ منه فان لم يجد فانه لا يخلو من ثواب وفضائل
فيشتري فيها الافضل فان لم يكن عمل في ادنى الفضيلتين فليأخذ العبد من نفسه
لنفسه ومن يومه لامسه ومن ساعته ليومه ومن دنياه لآخرته كما امره الله في
قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تنس لان تأخذ نصيبك من الدنيا لا تترك
ان تأخذ نصيبك للآخرة من دنياك وهو ان تحسن كما احسن الله اليك ولا تطلب الفساد
في الدنيا فتكون قد نسيت نصيبك من الآخرة فيفوتك الله من جزيل ثوابه الذي اعده
لاحبابه كما قال نسوا الله فنسيهم اي تركوا فتركهم ومن لهم لذلك نصيبهم منه ترك
لهم ترك حظهم من الآخرة فيشتري العبد العاقل بما اخذ من عمره ووقته فيجعله لآخرته
الذي لا يبقى فيبادر بالآخر من وقته اعلاما فيه مما يحب به الوقت ولا يوجد الافضل
ويفوت دركه بفوت وقته وهو افضل ما يقدر عليه مما ادى علمه اليه فيجعله ثمرة
ثم ان العبد لا يخلو في كل وقت وان قل من احد مقامين مقام نعمة او مقام بلية
فحاله عن مقام النعمة الشكر وحاله عن مقام البلية الصبر ثم ليس بعد احد
مشاهدتين شهود نعمة او شهود منعم من حيث لا يخلو من وجود حالة وحضور
مملوك فعليه الحرمة للموجود وعليه الحضور والمحاسبة دليل المراقبة ويكون له
ايضا في ادنى اوقاته وهو الوقت الثالث الذي هو مباح وهو ادنى احوال المؤمن

يكون له فيه مشاهدة نعمة منعم او شهود نعمة لفعل يرضيه وقته هذا ايضا فارغ من
فضيلة ولا يعود عليه منه شيء من ذكر مولاه او تذكر نعمة نزلت على منعم او فرحه الفرح
فيعقبه لحظ في عقباه انما الفائدة للمتقين فان شهد منعما انقطعه فالسكينة
والوقار للهيبة وهذا مخصوص بخصوص وان شهد نعمة اسعفه قدرا للشكر والاعتبار
وهذا العموم الخصوص قال الله عز وجل في وصف الاولين ومن كل شيء خلقنا زوجين
لعلكم تذكرون ففروا الى الله وقال في المقام الثاني ولا تجعلوا مع الله الها آخر
وقال في مقام الاولين قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه الى قوله
فانى تسحرون وقال في وصف الاخرين قل لمن الارض ومن فيها الى قوله افلا تذكرون وقد
روينا في الاثر من صفات العاقل وحال المراقب وحسن الاوقات ما ينبغي ان يجعله
به حملة ذلك ما في حديث ابي ذر الطويل ولا يكون المؤمن ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاد
ومرمة لمعاش او لذة في غير محرم ولمعاد وعلى العاقل ان يكون له اربع ساعات ساعة
يناجي فيها ربه عز وجل وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر في صنع الله
عز وجل وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فان في هذه الساعة عونا له على تلك
الساعات وفيه ايضا ثلاث مجالات من صفة العاقل ومن علامة العاقل ان يكون
مقبلا على شانه حافظا للسانه عارفا بزمانه وفي بعضها ذكرها هو انه فارغ الوقت
الملام من الاوقات والنوائب والحاجات فلم يقدر والعلاقات تدخله عليه فلا ينبغي له
ذلك وقته فيشغله عن وقته ثم ان العباد في مشاهدة الملك على اربع مقامات لكل
عبد يشهد الملك من مقامه بعين حاله فمنهم من ينظر الى الملك بعين النقص والعبرة
فيبصر اولوا الالباب الذين اقامهم مقام الاعتبار وهذا مقام العلماء الذين هم ورثة
الانبياء ومنهم من ينظر الى الملك واهله بعين المقت والغبطة وهذا مقام اهل الكبر
وهم ابناء الدنيا الذين يسعون على قوتها تحسس فان اعطي العبد النظر الى
الملك بعين العبرة والحكمة ادخله الملك على المالك فاستغنى به عما سواه وان اعطي
الخائف النظر الى الملك بعين الرحمة اعتنى بمقامه وعظمته ثم يتعلق عليه النعمة
وان اعطي الاهواء النظر الى الملك بعين البغضة واخرجه الملك عن الملك فان هو فيه
موقعه من فوت الملك الصغير درجة الملك الكبير وان ابتلي بالنظر الى الملك بعين
الغبطة والحسرة او مقته الملك في الملك فسلك طريق المقت له ومن شهد معنى
خلق من اخلاق الرواد او معنى وصف من الصفات الكائن فيقتضاه ما يوجب الخلق
او الوصف من شهوده بفعل او عذاب وهو مقام لدي التعريف فعبد الى مقام التعرف
وهذه شهادة العارفين من كل ما يشهده من الافعال التي تنزل على معاني الاخلاق
والاوصاف لانه الحق هو اعظم ليستدل عليه فيها ويتعلق العبد منها فاما من شهد
شهوة من شهوات النفس بعين الهوى اخرجته الى الاهواء فتخطفه الشياطين

وهوت به

وهوت به الريح في مكان بعيد وتنكب طريق السلامة الى المولى التي يخرجه الى
الغرب ويبعد عن الحبيب في مقعد صدق عند مليك مقتدر فانه القرب وقع
في النقص والبعد وهم البائسون المغبونون الخائبون المفتونون الذي يكون ابدا يومه
شر من امسه وغده شر من يومه والموت خير له من حياته عن الحبيب فيعده ودعا
ويقال عن السبيل ويصره ووجده وهواه يعقده وظهور نفسه عليه عن
السوابق يعقده لانه انما كان في الادبار وكان الادبار في اقبال وقد قال انه مضى عن
اخ كموت وقت واخر يموت شيء. واخر لان العمر ليس بما بنيا انبني وبونده ومعنه
واخرة لشيء. واخر لانه ينشأ وقتا بعد وقت وانما يفوت جزءا جزءا على حكمة
من الله عز وجل او مهل واستدراج منه وقتا بعد وقت ويوما بعد يوم فيرجع في
تملكها بصعد الدارج في الدرجة درجة درجة كذلك يشغله في وقته عنه ويفرغه
عنه وقتا اخر لغيره ويذكره في وقت سواه وينسيه وقتا اخر اياه فيشغله عنه فيفرغه
كفراغه وذكره كنسيانه على هذا ابدا او فانه تارة يقطعه عنه وتارة يصله بغيره
حتى يفني الايام بالفوت وتنقضي الاوقات الى الموت وفي هذا يسبل عليه الستر
ليغتر ويسبغ عليه النعم كيلا يعلم ويدلي له الغوائل لئلا يفطن ويبسط له الامل
لئلا اخر من سوء العمل ويبعد عنه الاجل ليقطع عنه الوجل ويبين له الرجاء ويطوي
عنه الخوف حتى يبغتهم فجأة من حيث امنهم ويأخذهم بغتة في غمرتهم كما قال ومكروا
مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون ومن معنى ما ذكرناه قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا
به فتحنا عليهم ابواب كل شيء. اي لما تركوا ما وعظوا به وخوفوا اسبغنا عليهم النعم
وانسيناهم الشكر فزادهم ذنوبا ونسيناهم الاستغفار ثم قال حتى اذا فرحوا
بما اوتوا اي سكنوا الى نعمه واطمأنوا ولم يردوا النعم بالعمل ولم يستعدوا فيه
اخذناهم بغتة اي فجأة في حين امنهم وقيل بغتة بعد اربعين سنة فاذا هم مبلسون
متحيرون فاقنطون ايسون من كل خير واعلم ان العبد اذا كان بعد ساعة شرا منه قبلها
وبعد يوم شرا منه قبله ثم لم يستعتب ولم يتدارك كانت اوقاته كلها وايامه كيوم
واحد في الشر ووقت سرمد في السوء فكان لحق فان عمره كله في وقت واحد منه لان على
هذا الوصف يكون موت العمر لانه اخبه وقتا بعد وقت وينشأه شيئا بعد شيء. ولم يف
العبد بل فاتته وقتا بعد وقت لانه في اخر الحساب ومجلة كيوم واحد اضاعه فكان
كما قال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا ولكن كان حاله
الغفلة عن الوعد والوعيد فلما كشف الغطاء حار بوه ونهبته واحترق لمعاينة
ما كان عنه غافلا وحسرة على ما فيه ولذلك لقوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد قيل محدود الى اعمالك السيئة او نعته وقيل
حديد اي لسان الميزان تتوقع النقص والرجحان وكان كما قال وانذرهم يوم الحسرة اذ

فضيّ الأمر وهم في غفلة قبل إتيان الموت وهم مشغولون بأمور الدنيا وقيل كانوا ممن
تشتغل قلوبهم في شأن النساء ويوصف من قبله وغير ذلكم لا ما نهي بعينه إلا ما في الهوى
حتى جاء أمر الله في قدوم الموت ولم يقدموا له شيئا تقدموا عليه فندمتم لكن وضيعه
بالإفلاس وأخرهم عند ذلك بأمر في قوله عز وجل حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد
الله عنده فوفاه حسابه وقد كان أبو محمد يقول لا يبلغ العبد حقيقة من هذا
الأمر حتى يكون فيه هذا الأربع أداء الفرائض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب
النهي في الظاهر والباطن والصبر على ذلك إلى الممات **وكان الحسن يقول**
والله ما يعمل المؤمن إلا نفسه دون الموت والله ما المؤمن الذي يعمل الشهر والشهرين
والسنة والسنتين إنما المؤمن المداوم على أمر الله الخائف من مكر الله الذي لا يأمن
شره في لين وحزم في يقين واجتهاد في صبر وعلم في زهد **وكان عمر رضي الله عنه**
إذا تلا قوله تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا يقول قد قالها الناس ثم
رجعوا فمن استقام على أمر الله في السر والعلانية والعسر واليسر ولم يخف في الله
لومة لائم وقال ثم استقاموا والله بطاعته ولم يروغوا روغان الثعالب **وقال بعض**
العلماء من كان طلب الفضائل أهم إليه من أداء الفرائض فهو مخدوع ومن شغل
بغيره عن نفسه فقد مكر به **وقال** سفيان الثوري وغيره إنما حرموا الوصول بتضييع
الأصول فأول شيء للعبد معرفته بنفسه ووقوفه على حده وأحكامه كما له التي أقيم
فيها وانتزاره بالعمل بما افترض عليه بعد اجتنابه ما نهي عنه بعلم يري في جميع
ذلك وورع يحجزه عن الهوى فإذا لم يتحقق به ويشتغل بطلب فضل حتى يفرغ من ذلك ثم الفضل
لا يصح له بعد حوز السلامة كما لا يصلح الربح للتاجر إلا بعد حصول رأس المال
فمن تعذرت عليه السلامة كان من الفضل أبعد وإلى الاغترار أقرب وقد تلتبس الفضائل
بالفرائض لرقة معانيها وخفي علومها فيقدم العبد النفل ويحسب أنه من الواجب
من ذلك أن أبا سعيد رافع بن المعلى كان قائما يصلي فدعاه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم يجبه فظن أن وقوفه بين يدي الله عز وجل بالغيب أفضل له فلما سلم جاء
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعك أن تجيبني حين دعوتك فقال كنت أصلي
فقال ألم تسمع الله عز وجل يقول استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه وهو في الصلاة ليبين باطن العلم وليبين مبلغ
علمه كيف يعمل وكان إجابته رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل له من صلاته لأن
صلاته نافلة فهو مطيع لله عز وجل في الغيب باختياره وإجابته رسول الله صلى
الله صلى الله عليه وسلم أفضل له من صلاته لأن صلاته نافلة فهو مطيع لله عز وجل
في الغيب باختياره وإجابته رسول الله صلى الله عليه وسلم في إجابته بالجارحة فيفضل
استجابته للرسول عليه السلام على صلاته لنفسه كفضل الفرض على النفل وقال

سبحانه

سبحانه من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد
والله تعالى معه في المكان من معا وهو عند الرسول عليه السلام على يقين فعبادته لله
عز وجل أبلغ من مرضاته وأنوبا له في أجزائه وفي هذا الحديث دليل أن الخبر إذا ورد في أمر كان
على جملة عمومه وكليته ما تعلق به حتى يخص السنة والإجماع بعض شأنه ومثله أن
قول الله عز وجل استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم إن ظاهره مقصور على
الاستجابة للرسول صلى الله عليه وسلم بالإيمان والطاعة في أداء الفرض إلا أن الإجابة
في التطوع خاصة في الصلاة وهذا هو الذي حمله أبو سعيد بن المعلى عليه وتأوله
من الآية وأشكل عليه ومثل هذا فعل عمار في التيمم لما نزلت آية الإباحة للتيمم في صلاة
الصبح وهم في سفر فقال عز وجل فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأ
وأيديكم ولم يكن يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم في تخصيص بعض اليد شيئا فتيمما
إلى المناكب واستوعبا جملة اليد لعموم الخطاب حتى أعلمه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
فلم يستوعب بالتيمم إلى المرفقين **وفي خبر** إلى أن ذرعين فاختلاف الروايتين مخصص
بعض اليد فلذلك اختلف العلماء في تبعيض اليد في المسح وكذلك العمل فيما ورد مجملا
أن يستعمل في الجملة حتى تخصه السنة **ومثل** هذا ما روي أن رجلين على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم تواخيا في العبادة فاعتزلا الناس فقال أحدهما
لصاحبه هم اليوم فلنتفرد عن الناس ونلزم الصمت فلم نكلم من يكلمنا فإنه أبلغ في
عبادتنا قال فاعتزلا في خلوة وصمتا فمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهما
فلم يردا عليه السلام فلما سمعناه حين جاوزنا يقول هلك المتنطعون المتنطعون
فاعتذرا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابا من ذلك إلى الله عز وجل **ومثل**
ذلك ما روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يعس ذات ليلة فنظر إلى مصباح
يبصر في خلل باب فاطلع فإذا قوم على شراب لهم فلم يدر كيف يصنع فدخل المسجد
فأخرج عبد الرحمن بن عوف فجاء به إلى الباب فنظر وقال له كيف ترى أن نعمل فقال
أرى والله أنا قد أتينا ما نهانا الله عنه لأنا تجسسنا على عورة قد اطلعنا عليها وقد
ستروها ونهانا وما كان لنا أن نكشف ستر الله عز وجل فقال ما أراك إلا قد صدقت فعد
عنهم فانصرفا وفي لفظ آخر أنه قال أنا قد عصينا الله ورسوله ونهانا الله
عز وجل التجسس ونهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التجسس فقال صدقت فاخرج
بهم فانصرفا وروينا نحو هذا أن عمر رضي الله عنه كان يعس ليلة مع ابن مسعود قال
فاطلع من خلل باب فإذا شيخ بين زق خمر وقينة تغنيه فتسور عليه وقال ما أقبح
شيخا مثلك أن تكون على هذه الحالة فقام إليه الرجل فقال يا أمير المؤمنين أنشدك الله
إن نصفتني حتى أتكلم فقال له قل فقال إن كنت قد عصيت الله عز وجل في واحدة فقد
عصيته أنت في ثلاث قال وما هي قال تجسست وقد نهاك الله عز وجل عن ذلك وتسورت

وقد قال الله عز وجل وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها وقد قلت في غير هذا
وقد قال الله عز وجل لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على
اهلها فقال عمر رضي الله عنه لقد اتيت عظيما في ذلك فقال عبد الله لما خرج عمر وهو يبكي
حتى علا نشيجه وهو يقول ويل لعمر ان لم يغفر الله له فجزا الخاني فجعل هذا عتق
ولده وجاره فبات يقول رد الي امير المومنين وخذ لهما اجلا في الجنة اذا دعي احدكم
الى طعام فان كان مفطرا فليجب وان كان صايما فليقل اني صايم وامر باظهار عمله
وهو يعلم لا فعل افضل ولكن اظهار عمله من حيث لا يوثر في قلب اخيه وجبر الوصل ان
من اجل بره لنفسه مع تاثير ذلك في قلب اخيه لتفضيل المومن ورحمته على الاعمال
الا ان الاعمال موقوفة على العامل وانما يعطى الواحد بدلا لما علا ان المومن افضل
من العمل فجعل له ارفع التاثير والكراهة عن طلب اخيه باظهار عمله فيوجر لهم
من اجل العمل مع جبر اخيه عليه لا ان اخاه اذا دعاه الى طعام صنعه له فلم يجبه
ولم تعتذر اليه عذرا بينا دخله منه ويجد منه شق عليه ان كان صايما فلا غايه
ولمعنى هذا من خفي الاعمال ما يحكى عن بعض السلف كان يكون في جماعة فيقرا
في نفسه من الليل فيطلع على اعمالهم فاذا امر باية فيها سجدة سجد بين الملا
ويكتسبوا بسجوده انه يعرف الفضل فارغا قليل الفقه يقول ان هذا قد اظهر عمله
انما فعل ما يرد عليه فلو ترك السجود ليخفي عمله كان افضل لانه قد اظهر فيما
اخفاه فهذا يدل على جهله بالمعاملة وقد سمعنا بعض العلماء يطعن على هذا
بفعله لمعنى ما ذكرناه من القول وهكذا يكون علم المريد الفصيح بالعلم وليس مع
لا هم كما قد رد هذا المنكر لسجوده جاهل الغايل المنكر لفعله قليل الفقه بما قد نوى لا خلاص
جاهل بكل بفقه العاملين من العارفين والعامل الذي نقل عنه هذا الفعل فقيه فحل
وذلك لانه قد حاز الفضيلتين معا لانه كان فاضلا فيما اخفى لم ابتدا عمله بالخفية
فلما جاء السجود الذي لا يجوز الا ظاهرا لم يصلح ان يترك ما قد بدا الى الله عز وجل من اجل الناس
فكان سجوده لما داوم به ويتقرب الى الله فصار فاضلا في الحال الثانية لانه اظهر لاجل
الله عز وجل كما اخفى لاجله ولانه لو قد فقد الناس ولم يترك عمله لاجلهم ولو كان
الفعل في ترك السجود لاجل العمل كان افضل لمن دخل عليه منزله وهو يصلي ان
يقطع لاجلهم وقد وردت السنة في ذلك ان له اجرين اجر السر واجر العلانية كيف
وقد كانوا يفرون الى ان ترك العمل لاجل الناس فاما العمل لاجلهم فشرك وقد
قيل لا تعمل للريا ولا تترك العمل للحيا والحيا من الخلق شهوة كما ان الحيا من الخالق
ايمان وايضا فلانه الطاع العدو في ترك العمل لاجل الناس اطاعه مرة اخرى في العمل
لاجلهم **ومثل** هذا مثل من كان يصوم ويصلي يوم الجمعة في منزله لا يعلم به
مخلوق فلم يزل كذلك لا يشكر ثم يجده الى صومه خرج الى المسجد فكان يصلي معهما

فيه

فيه ويظهر الناس على عمله فلم يكن ليدع ما نواه من العكوف في المسجد لاجل نظرهم اليه
ولم يكن لظهور عمله ليبالي به على نيته ولم يبال لا عنكلها اذ كان عالما فتمكنا وايضا فان
الامام المتمكن المقتدى به لا ينوي ظهور الناس على اعماله اذ لم يقصد لهم ولم يجب مدحهم
وربما كان له اجر لتنبيه الغافلين عن الذكر وتشويق العاملين الى البر كيف وعند
بعض العلماء ان سجود القران جايز على من سمع اية سجدة او تلاها وكان على
غير وضوء ان يسجد لها انما تيمم ونحو هذه المعاني ما هو حال العبيد واولى به من حال غيره
ما روي ابو نصر التمار ان رجلا جا يوم عيد بشر بن الحارث وقال قد عزمنا على الحج فتامرني
بشي فقال له بشر كم اعددت للنفقة قال الفي درهم قال فاي شي تبتغي بحجك
زهدا او اشتياقا الى البيت او ابتغا مرضات الله عز وجل فقال ابتغا مرضات الله عز
وجل قال فان اصبت رضا الله وانت في منزلك وتنفق الفي درهم وتكون على
يقين من مرضات الله عز وجل اتفعل ذلك قال نعم قال اذهب فاعطها عشرة ا
انفس مدين تقضي دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يغني عياله ومربي يتيم يفرحه
وان قوي قلبك ان تعطيها لواحد فافعل فان ادخالك السرور على قلب
امري مسلم وتغيث لهفان وتكشف ضر محتاج وتعين رجلا ضعيف اليقين افضل
من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فاخرجها كما امرناك والا فقل لنا ما في
قلبك فقال يا ابا نصر سفري اقوى في قلبي فتبسم بشر واقبل عليه وقال له
المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس الى ان تقضي به
وطرا فتسرع اليه فتظاهرت الاعمال الصالحات وقد الى الله على نفسه ان لا يقبل
الا عمل المتقين وفي نحو قول بشر ايضا ان جماعة من الفقرا منهم الصوم والصلاة فقال المسكين
ترك حاله ودخل في حال غيره انما هذا الطعام الطعام للجياع والا نفاق على
المساكين فهذا افضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه
للفقرا وقد يكون اخفى   ومن الفوائد والنفاسة بالفضايل المحنة من الله عز وجل
لعباده وحكمة لديهم فيتركون التاويل للسعة ويتركون الضيق تخفيفا عليهم
ليبعث فيهم العلم ويجري عليهم الحكم ويكون ذلك ابتلا لهم وتبعا وقد يرد في
التسليم والتوفيقا وقد قال الله عز وجل فيما عتب نبيه صلى الله عليه وسلم وعظ
وزجر في قوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يعتبه في عمره كما عتبه حين انزلت عليه سورة عبس لان فيها عتبا شديدا على فعله
لانه لحبيب البشير ومع ذلك فلم يقصر في الخطاب فيكون ابلغ للعتاب بل كشف
ذلك للمومنين ونبه على فعله عبادة المتقين لان معنى قوله عبس وتولى اي انظروا
ايها المومنون واعجبوا الى الذي عبس وتولى ان جاءه الاعمى ولذلك روي ان عمر بن
الخطاب بلغه ان بعض المنافقين يوم قومه وكان لا يقرا بهم الا بسورة عبس فارسل

يقول عنقه ليستنزل بذلك على كره لبغض من الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل قوله
عز وجل عاتبا على رسوله صلى الله عليه وسلم عفا الله عنك لم اذنت لهم ونحو هذا من
نحو ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك وبمعنى قوله عز وجل وتخفي في نفسك ما
الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه حتى قالت عائشة رضي الله
عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من القرآن لكتم هذه الاية ومن
اعجب ما جمعت في هذا المعنى ما حدثونا في الاسرائيليات عن وهب بن منبه اليماني
ان سليمان بن داود عليه السلام لما قبضه الله عز وجل خلف رجالا قولهم يعظمون
بيت المقدس ويعظمونه بحفظ من الروح حتى خلف بعدهم رجل من ولد سليمان فخالف
لهم بغية اباءه ولا سيما بعقبهم وتكبر في الارض وطغى وقال ابني جدي داود وابي
سليمان مسجدا انما انا ابني لا ابني مسجدا مثل ما بنوا وادعو الناس الى ان يعتنوا
كما دعوا ويتبني مسجدا ايضاهي به بيت المقدس وادعى على الله عز وجل انه امره
بذلك ووصف الناس اليه وبذل لهم الاموال وامر بمسجد بيت المقدس وهجره فمن دخل
في دينه رغبة ورهبة قال فلما بعث الله اليه نبيا من بعض اهل القرى فقال
له اركب اتانك هذه وات هؤلاء القوم اخبثي ما يكونون فنادي في مسجدهم هذا
وفي جمعهم باعلى صوتك يا مسجد الضرار ان الله عز وجل حلف باسمه ليوحشنك من
عمارك وليقتلن اهلك فيك وليبترن حتى يجتنبك وليلقى الكلاب فيك ما هم وتاكل
وتاكل لحومهم فيك وناد في المدينة باعلى صوتك مثل ذلك ولا تاكل ولا تشرب ولا
تستظل ولا تنزل عن اتانك هذه حتى ترجع الى قريتك التي خرجت منها فجعل لا يقبل
الناس اليه يضربونه بالخشب ويشجونه بالحجارة وهو على اتانه لا ينزل منها فنال الله
على حلمه اذى كثيرا وضربا عظيما قال ثم كر راجعا في اخر النهار الى قريته التي خرج منها
وقد ادى الرسالة وصبر على الضرب وابتلاه الله عز وجل فلما كان ببعض الطريق سمع
به شيخ اذ كان في بعض القرى استقبله وسلم عليه فقال انه قد ادى رسالة
ربه وانه قد ادى امره وانه قد تعب ولقيت عنتا من هؤلاء القوم وانه جائع عطشان
تسيل الدماء على جسده وثيابه فاغدا الى منزلي وكل واشرب واستتر واغسل
جسدك وثيابك فقال ان الله عز وجل امرني ان لا اكل ولا اشرب ولا استظل
حتى ارجع الى اهلي فقال له النبي فاني من اهلك انا نبي مثلك واخوك في
الدين فكان ارى الله عز وجل غضب لك ان القوم الذي بعثك اليهم لانهم اعداؤك فنهاك
ان تاكل من طعامهم او تستظل عندهم ولا احسب حرم عليك دخول منزلي ولا الاكل
من طعامي لا ينبغي لك في الدنيا والنبوة قال فصرفه وانصرف معه الى منزله فلما
وضع الطعام بين يديه واهوى ليأكل من جوع شديد ويشرب قدر له اوحى الله عز وجل
الى ذلك النبي الذي دعاه الى منزله قال الذي ارايت ستهونه وحبسته على امري بالم الامهل

البلد

البلدان لا تنزل ولا تستظل ولا تاكل حتى ترجع الى قريتك التي خرجت منها ولولا انك
اجتهدت رايك وقلت ليبلغ علمه لحكم العقاب وهو اقل عذرا عنده في منه لانه عهدت
اليه فتاذن هواه وشهوته وتزاعم هربي واخبره النبي بالاوبة فوثب مذعورا حتى اذ ارى
وجعل يرحل اتانه ويعجل ولا يعقل ما هو فيه فركبها طاردا اتاها على وجهه يجوع
وعطشه ودماؤه على ثيابه وجسده لا ينثني فلما هبط من عقبة تخمها عبيطة
عارضه سبع فافترسه وانتصب السبع مقعيا على قارعة الطريق يحرس اتانه
ورحله كلما اقبل انسان وزار عليه لا يترك حتى يطرده فسمع خبر ذلك النبي فاقبل
نحوه فلما نظر اليه لا يمس انصرف عنه وخلا بينه وبينه قال فكفنه وواراه وانصرف
برحله واتانه الى اهله فقال يارب عبدك هذا قد ادى رسالتك وامضى امرك وكان
من اجهد البلاء فجاء له ما اردت فلم يعلم فما قبلته بهذه العقوبة فاوحى الله عز وجل
اليه ليست هذه بعقوبة ولم اعاقبه لسوء انه عاليه ولكن هذه معونة ورحمة
انه كان قد اقترب اجله وكرهت له ان يلقاني على الخطا لعدم الغذاء فمعطيك فخففت
له كلها من كلا في بطنه للغذاء فكان ذلك له عندي شهادة ودرجة فوق نبوته
فقال سبحانك ونجيك احكم الحاكمين وارحم الراحمين فالعالم عند العلماء من علم
حتم الحكمين فيسبق اليه قبل فوته وعلم شر الشرين فيما عرض عنه لئلا يشغله عن
الاحتم منهما او علم ايضا خير الشيئين فيما عرض في الدهر فقدمه واجتنب ما بعد عنه وفي
هذه المعاني لطائف العلوم وغرائب الفهوم وادلة السالكين وعبر وايات
للعالمين فاما خير الشيئين ومعرفة الخير من الشر فهو معروف بادلة العقول وظاهر
العلوم

الفصل السابع والعشرون

فيه كتاب اسرار المريدين قال بعض العلماء الخلق محجوبون بثلاث حب الدرهم و
وطلب الرياسة وطاعة النساء وقال بعض العارفين الذي قطع العباد عن الله
عز وجل ثلاثة اشياء قلة الصدق في الارادة والجهل بالطريق ونطق علماء السوء
بالهوى وقال بعض علمائنا انه لما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والاختلاف
موجودا لم ينكشف الخلق فتحير المريد واعلم ان المريد لا بد له من خصال تجمع الصدق
في الارادة وعلامته اعداد العدة ولا بد له من التسبب الى الطاعة وعلامته لها رد
قرناء السوء ولا بد له من المعرفة بحال نفسه وعلامته لها استكشاف آفات
النفس ولا بد له من مجالسة عالم بالله وعلامته لها ايثاره على ما سواه ولا بد له
من توبة نصوح يجد لها حلاوة الطاعة ويثبت على المداومة وعلامة التوبة قطع

اسباب الهوى والاشر فيما كانت النفس راغبة فيه ولا بد له من طعمة حلال لا يزيد بها
العلم وعلامته تولد الحلال المطالبة عنه وحلول العلم فيه يكون بسبب مباح وابني
فيه حكم الشرع ولا بد له من فتح طالع يوازره على حاله وعلامة الفرق الصالح معاونته
على البر والتقوى ونفيه اياه عن الاثم والعدوان فهذه الخصال السبع قوت الارادة
لا قوام لها الا بها ويستغنى على هذه السبع بالاربع من اساس بنائه وهي قواعد
اركانه وهي الجوع ثم السهر والصمت ثم الخلوة فهذه الاربع تحيي النفس وضعفها
وضرب النفس وتقهرها حتى تضعف صفاتها وعليهن تحسن معاملاتها ولكل واحدة
من الاربع صفة في القلب حسنة فاما الجوع فانه ينقص دم القلب فيبيضه وفي
بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبه رقته ورقته مفتاح كل خير لان في
القسوة مفتاح كل شر واذا نقص دم القلب ضاق مسلك العدو منه لان دم القلب
مكانه فاذا رق القلب ضعف سلطان العدو منه لان في غلظ القلب سلطانه
والفلاسفة يقولون ان النفس كلية الدم وحجتهم في ذلك ان الانسان اذا مات
لم يفقد من جسمه الا دمه مع روحه او العلماء منهم قالوا الدم هو مكان النفس
وهذا هو الصحيح لانه موافق لما في التوراة سمعته ان في التوراة يا موسى لا تاكل
العروق فانها ماوى كل نفس وهذا مصدق للحديث الذي روي ان الشيطان يجري من
ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش **وقد عبر** علماء الكوفة
عن الدم بالنفس فقالوا اذا مات في الماء من الهوام ما ليس له نفس سائلة لم ينجسه
يعنون الخنافس والهوام والعناكب ففي الجوع نقصان الدم ونقصانه ضيق مسلك
العدو وضعف مسكن النفس لسقوطه مكانها وفي خبر عن عيسى عليه السلام يا معشر
الحواريين جوعوا بطونكم وعطشوا اكبادكم واعروا اجسادكم لعل قلوبكم ترى الله
عز وجل يعني بحقيقة الزهد وصفاء القلب فالجوع مفتاح الزهد وباب الآخرة
وفيه ذل النفس واستكانتها وضعفها وانكسارها وفي ذلك حياة القلب وصلاحه
واقل ما في الجوع ايثار الصمت وفي الصمت السلامة وهي غاية العقلاء **وقال**
سهل رحمه الله اجتمع الخير كله في هذه الاربع خصال وبها صار الابدال ابدالا اخماص
البطون والصمت والسهر والاعتزال عن الناس وقال من لم يصبر على الجوع والذل
لم يتحقق بهذا الامر وكان عبد الواحد بن زيد يحلف بالله ما تحول الصديقون الابدال
بالجوع والسهر فانه ينير القلب ويجلوه وفي استنارته معاينة الغيب وفي
جلائه صفاء اليقين فيترقى الاستنارة والجلاء على البياض والرقة فيصير القلب
كانه كوكب دري في مرآة مجلوة فيشهد الغيب بالغيب فيزهد في العاجل لما عاين
من الباقي وتقل رغبته في عاجل حظوظ هواه لما ابصر من وبال العقاب ويرغب
في الطاعات لمشاهدة الآخرة ورفيع الدرجات فيصير الآجل عاجلا ويكون العاجل

غايبا

غائبا ويصير القلب حاضرا والحاضر ابدا فلا يحب الا مولاه فيتبعه ويطلب الآجل ويرغب
فيه فينكشف له عوار الدار وتطلق له بواطن الاسرار ويزول عنه كل الاغترار فهذا احد
صار العبد مؤمنا حقا فوصف حارثة اذ قال انظر ربي انه يقول عزفت نفسي عن الدنيا
وكاني انظر الى عرش ربي تعالى بارزا وكاني انظر الى اهل الجنة يتزاورون والى اهل
النار يتعاوون وكذلك وصف الرسول صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن في قوله القلوب
اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر وكذلك قلب المؤمن والاجرد القلب الزاهد في الدنيا والمجرد
من الهوى ووصف اجرد الزاهد فيه نور اليقين به يبصر الغيب وقال بعض علماء الشام من
سهر اربعين ليلة خالصا كوشف بملكوت السماء وكان يقول اجتمع الخير كله في
اربع ذكر منها سهر الليل **واعلم** ان نوم العلماء عن غلبة المنام بعد طول السهر
في القيام وكذا شغفه لهم وشهوده وتقريبه لهم منه ووروده ومن صفة الابدال ان يكون
اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة ومن سهر في الليل حل الحبيب لمناجاته
فالقلب راسه في الليل في خدمته ودخل الحمصي ذات يوم الى السوق فسمع لغطهم
وكثرة كلامهم فقال اظن ليل هؤلاء ليل سوء ما يقيلون **وفي الخبر** قيلوا
فان الشياطين لا تقيل واستعينوا على قيام الليل بقائلة النهار **وقد قيل**
في قوله عز وجل واستعينوا بالصبر والصلاة قيل بالصوم على قيام الليل وقيل
استعينوا بالجوع وصلاة الليل على مجاهدة النفس وقيل استعينوا بالصوم
والصلاة على اجتناب النهي **واما الصمت** فانه يلقح العقل ويعلم الورع
ويجلب التقوى ويجعل الله عز وجل به للعبد التاويل الصحيح والعلم الرجيح محوجا
ويوفقه فيما يلزم الصمت للقول السديد والعمل الرشيد وقد قال بعض السلف تعلمت
الصمت بحصاة جعلتها في فمي ثلاثين سنة كنت اذا هممت بالكلمة تلجلجت بها لساني
فسكت وقال بعضهم جعلت على نفسي بكل كلمة اتكلم بها فيما لا يعنيني صلاة ركعتين
ركعتين فسهل ذلك علي فجعلت على نفسي بكل كلمة صوم يوم فسهل علي فلم انته
حتى جعلت على نفسي بكل كلمة ان اتصدق بدرهم فصعب ذلك علي فانتهيت وقال
ابن عامر يا رسول الله فيم النجاة فقال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على
خطيئتك وقال صلى الله عليه وسلم في الخبر الجامع المختصر من سره ان يسلم فليلزم الصمت
واوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا بالصلاة والصيام وغير ذلك ثم قال في
آخر وصيته الا ادلك على ما هو املك من ذلك كله هذا واومى بيده الى لسانه وقلت
يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به السنتنا فقال ثكلتك امك يا معاذ وهل
يكب الناس على مناخرهم في جهنم الا حصائد السنتهم انك ما سكتت فانت سالم فاذا
تكلمت فانما هو لك او عليك وقال عبد الله بن سفيان عن ابيه قال قلت يا رسول الله
اوصني بشيء في الاسلام لا اسال عنه احدا بعدك فقال قل ربي الله ثم استقم قلت

فلما انقضى بعد ذلك وفي لعيني . اكرم ما ضم في باطن شيء . علي وقال هذا اوعى الى
لسانه وفي الخبر لا ينقى العبد ربه تعالى حق تقاته حتى يخزن من لسانه **وفي**
الحديث لا يصلح العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم
لسانه وقال ابن مسعود ليس شيء احق بطول سجن من لسان وقال بعض ال
السلف يتبين الورع فيما وجد به في شيء اقل منه في اللسان وقال بعض العلماء
فلا استقام لسان عبد الا عرفت الصلاح في سائر عمله وما اختلف لسانه الا عرفت
الفساد في سائر عمله وقال بعض الحكماء اذا كثر العقل قل الكلام واذا قل العقل
كثر الكلام وقال احمد بن حنبل رحمه الله علماء اهل الكلام زنادقة وقال بعض اهل
الطريق من تكلم فاحسن كثير ولكن الشأن فيمن يحسن ان يسكت وقال ذو النون
المصري اخوف يقلق والحبل يسكت وقال بعض العارفين جزأ العلم على قسمين نصفه
سكوت ونصفه تدري اين تضعه وقال الضحاك بن مزاحم ادركتهم وما يتعلمون الا الصمت
والورع وهم اليوم يتعلمون الكلام وقال الحسن عن انس بن مالك قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اربع لا يصبن الا بعجب الصمت وهو اول العبادة والتواضع وذكر الله
عز وجل وقلة الشيء وقال حماد بن زيد قلت لايوب اليوم اكثر ام فيما مضى فقال
بل ينبغي الكلام اليوم اكثر والعلم فيما مضى كان اكثر وقيل كانوا ينتفعون بكلامه
وقد قيل من لم ينتفع بسكوت المتكلم لم ينتفع بكلامه وقيل لبعض العلماء فلان
اعلم ام فلان فقال فلان اعلم وفلان اكثر كلاما فيعرف بين العلم والكلام وقيل
لبعض علماء خراسان عندكم في هذه البلدة رجل يجلس اليه فقال فلان فذكر لهم
رجلا صموتا متعبدا لا يعرف بكثير علم فقيل له ان فلانا ليس عنده من العلم ما
يجيبنا عن كل ما نسأله عنه من العلم فقال علمنا ولكن عنده من الورع ما لا يتكلم
فيما لا يعلم وكان الاعمش يقول من الكلام كلام جوابه السكوت وقال غيره الصمت جوابه
وفي الخبر الصمت زين للعالم وستر للجاهل وقال بعضهم ليس شيء اشد على ال
الشيطان من عالم حليم ان تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت بحلم يقول الشيطان
انظروا اليه سكوته اشد علي من كلامه وقال بعض السلف تعلم الصمت كما
تتعلم الكلام فان يكن الكلام يهديك فان الصمت يقيك ولك في الصمت خصلتان تربح
به جهل من هو اجهل منك وتعلم به علم من هو اعلم منك وقال بعض العلماء تعلم لا ادري
ولا تتعلم ادري فانك ان قلت لا ادري علموك حتى تدري وان قلت ادري سألوك حتى لا تدري و
وقد قال العلماء اذا اخطأ العالم قول لا ادري اصيبت مقاتله وقال عيسى عليه
السلام الخير كله في ثلاث في الصمت والكلام والنظر فمن لم يكن صمته تفكرا فهو في
سهو ومن لم يكن كلامه ذكرا فهو لغو ومن لم يكن نظره عبرا فهو سهو وقال بعضهم يأتي
على الناس زمان يكون افضل اعمالهم النوم وافضل علومهم الصمت يعني لفساد ال

لاعمال ولا تشتغل العلم ويقول ايضا معظم الله وافضل احوالهم الجوع لانتشار الحرام وغموض
الحلال **وقال بعض** العلماء الصمت نوم العقل والنطق يقظته وكل يقظة تحتاج الى
نوم وما صمت عاقل قط الا اجتمع عقله وحضر لبه وصحب ابن عباس مجاهدا لا تتكلمن فيما لا يعنيك
حتى ترى له موضعا ورب متكلم فيما يعنيه من موضعه في غير موضعه فعنتا وقال بعض العلماء
يستبين ورع الرجل في منطقه وفي الخبر من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه مات قلبه ويقال
اذا قل الكلام كثر الصواب **وعن جماعة** من السلف ان تسعة اعشار ال
السلامة في الصمت ويقال كل كلمة من هزل او مزح او لغو يوقف العبد عليها بخمس
مواقفات توبيخ وتقريع اولها ان يقال له لم قلت كلمة كذا وكذا اكانت فيما يعنيك وال
الثانية هل نفعتك اذ قلتها والثالثة هل ضرتك لو لم تقلها والرابعة الا سكت
بحيث السلامة من عواقبها والخامسة هلا جعلت مكانها قول سبحان الله والحمد لله
فتغتنم ثوابها ويقال ما من كلمة الا وينشر لها ديوان الاول لم والثاني
كيف والثالث لمن فان نجيت فلا والا صار فيه للحساب وقال الحسن لسان المؤمن
وراء قلبه اذا اراد ان يتكلم تفكر فان كان له تكلم وان كان عليه امسك وقلب المنافق
على طرف لسانه اي شيء خطر بقلبه تكلم به ولا يتوقف ولا يتثبت **وفي الخبر**
من آفة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الصمت وفي الكلام تنميق وزيادة وفي الصمت
سلامة وعلم وفي موعظة النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب
الناس وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ولا اخبار في الصمت وفي جميع ما ذكرناه
من المعاني تكثر ولم نقصد جمعها **واما الخلوة** فانها تفرغ القلب من الخلق
وتجمع الهم باب الخالق وتقوي العزيمة على الثبات اي في مخالطة الناس وهي العزم
وتشتت الهم وضعف النية والخلوة تدعو الافكار في عاجل حظوظ النفس لقلة مشاهدتها
فانه بطرا ان العين باب القلب فمنها يرى ارادته وعنها تزجر شهواته ولذاته وقد
قال بعض الاوائل من كثرت لحظاته دامت حسراته والخلوة تجلب افكار الآخرة ومن
لا اهتمام بها لما تستقر به الايقان وتنسي اذا كان العباد وتواصل ذكر المعبود والخلوة
من الاسرار العوالي وذلك انه قد جاء في الحديث سلوا الله العافية فما اعطي عبد بعد
اليقين افضل من العافية ثم قد روي في الخبر العزلة عن الناس عافية فدخل ذلك في
معنى ما ندبنا اليه من السؤال وفيما افضل بعد اليقين على جميع الاحوال ولا يكون المريد
صادقا حتى يجد في الخلوة من اللذة والحلاوة والمزيد ما لا يجد في الجماعة ويجد في السر من
النشاط والقوة ما لا يجد في العلانية ويكون انسه في الوحدة وروحه في الخلوة واحسن
اعماله في السر ومثل الخلوة في الاحوال من المخالطة للناس مثل الخوف في المقامات من
المحبة الخوف يصلح لجميع العابدين والمحبة مزيد لاهلها المخصوصين كذلك الخلوة والا
والانفراد تصلح لجميع المريدين ولا تصلح للناس مزيد لاهله خاصة من الائمة العاملة

العالمين ولان الخلوة تحتاج الى عقل اخر والوحدة ولا بد لها تحتاج الى ايمان قائم وقد
روينا عن سفيان الثوري عن بشر بن الحارث اذا استوحشت من الوحدة واستانست
بالخلوة فلم امن على نفسي الرياء وكان ابو محمد يقول اجتمع الخير كله في هذه الاربع خصال
وبها صار الابدال ابدالا اخماص البطون والصمت واعتزال الخلق وسهر الليل وحدثنا
عن عبد العزيز عن سهل رحمه الله قال من الطينة لو في للناس بدل وتفرد لله عز وجل ما رأينا
ولي الله عز وجل الا متوحدا وقال بعض العارفين لا خير في الوحدة علامة وجود الطمأنينة
في علامة صدق الارادة بعد صحة التوبة وقوة العزم على الاستقامة ابتداء هذه الاربع
التي ذكرناها على اضدادها ووجود القلب عند فقدها وانشراح الصدر بها وحسن الخلق معها
لان ضدها هو ابواب الدنيا ومفاتح الغفلة ولم فان الهوى مزيد له ان في الشبع قسوة
القلب وظلمته وفي ذلك قوة صفات النفس وانتشار حظوظها وفي قوتها وبسطها
ضعف الايمان وخمود انواره وفي ضعف النفس وخمود طبعها قوة الايمان وانتشار
شعاع انوار اليقين وفي ذلك القرب من الغريب ومجالسة الحبيب والشبع مفتاح
الرغبة في الدنيا وقال بعض الصحابة اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم شهواتهم وروي عن
عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه يجوعون
من غير عوز اي مختارين لذلك وقال ابن عمر ما شبعت منذ قتل عمر رضي الله
عنه وقال هذا في زمان الحجاج وفي حديث ابي جحيفة لما
تجشأ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اكفف عنا جشاءك فان اطولكم
شبعا في الدنيا اكثركم جوعا في الاخرة فقال فوالله ما ملأت بطني طعاما منذ يومئذ
الى يومي هذا وارجو ان يعصمني الله فيما بقي ويستحب على هذا ان يكون جوع
العبد اكثر من شبعه وهي علامة الاولياء فمن كان له الاكلة بين جوعتين الى قبلها هما
بجوعه فيتعين اكثر من شبعه ومن كان له بعد جوعه بالغد شبعة فتوسطه
فقد اعتدل شبعه واكله وجوعه ومن اكل في يوم مرتين او اكل من غير جوع
من شبع فشبعه اكثر من جوعه وهذا مكروه وكره من اكل بعد الجوع ورفع يده
قبل الشبع فجوعه اكثر من شبعه وهذا اوسط الاحوال وقال هشام عن الحسن
لقد ادركت اقواما ما كانوا يشبعون ياكل احدهم حتى اذا رد نفسه امسك فيما انا علم
وقيلا على بيته بعيش عمره كله ما طوي له ثوب قط ولا امر اهله بصنعة طعام قط ولا جعل
بينه وبين الارض شيئا قط وقال جعفر بن حيان عن الحسن المومن لا ياكل في كل بطنه
ولا تزال وصيته تحت جنبه وروينا عن الثوري خصلتان يقسيان القلب طول الشبع
وكثرة الكلام وروينا عن مكحول خصال ثلاث يحبها الله عز وجل وثلاث يبغضها الله
عز وجل فاما اللاتي يحبها فقلة الكلام وقلة النوم وقلة الاكل واما التي يبغضها

فكثرة

فكثرة الاكل وكثرة الكلام وكثرة النوم واما النوم فان فيه مرارا ومنه طول الغفلة وبلد العقل
ونقصان الفطنة وسهو القلب وفي هذه الاشياء الموت وفي الموت الحسرة بعد الموت
وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قالت ام سليمان ابن داود لابنه
يا بني لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم يدع العبد فقيرا يوم القيامة وقيل كان
شبان متعبدون في بني اسرائيل فكانوا اذا احضر عشاؤهم قام فيهم عالمهم فقال يا معشر
المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وكان بعض السلف
يقول احسن احوال المومن قلة الاكل والنوم وابغض احوال المنافق كثرة الاكل والنوم وقال بعض
الناس لبعض الفلاسفة من الحكماء صف لي شيئا استعمله حتى اكون انام بالنهار فقال يا ابن اخي
ما اضعف عقلك ان ضعف عمرك نوم والنوم من الموت تريد ان تجعل ثلث عمرك رابعه تموت ثلث
وربعه حياة فقال وكيف قال انت اذا عشت اربعين سنة فالماضي منها عشر سنين افتريد
ان تجعلها عشرين سنة واما كثرة الكلام فان فيه قلة الورع وعدم التقوى وطول
الحساب وكثرة المطالبين وتعلق المظلومين وكثرة الاشهاد من الكرام الكاتبين ودوام
الاعراض من الملك الكريم لان الكلام مفتاح كبائر اللسان فيه الكذب والغيبة والنميمة
والبهتان وفيه شهادة الزور وفيه قذف المحصن والافتراء على الله تعالى والايمان وفيه
القول فيما لا يعني والخوض فيما لا ينبغي وقد جاء في الخبر اكثر
خطايا ابن ادم في لسانه واكثر الناس ذنوبا يوم القيامة اكثرهم خوضا فيما لا يعنيه
وفي اللسان التزين والتصنع للخلق والتحبب والاحالة لمعاني الصدق وفيه المراءاة
والموازنة والتملق لاهل الهوى وفي اجتماع هذا على العبد تشتيت قلبه وفي تشتيته
تفرق همه وفي همه تشوقه من مقام المقربين ووصيتنا ابن عباس لمجاهد لا تمار ريبتي
حليما ولا سفيها فان الحليم يقلاك وان السفيه يوذيك وفي الخبر ان العبد ليتكلم بالكلمة
ما يلقي لها بالا يهوي بها ابعد ما بين السماء والارض وفي لفظ اخر ليتكلم بها فيهوي
بها في جهنم سبعين خريفا وقال لقمان لابنه لان تعيش اخرس بسبيل لعابك على صدرك
خير لك من ان تنطق في نادي القوم بما لا يعنيك وفي الخبر من افتتح بكلمة سوء ثم خاض
الناس في مثلها كان عليه مثل اوزارهم وفي الخبر ما يا نبي بحبس السوء لا رجل السوء و
رحم تعالى عن ابراهيم بن ادهم انه كان اذا عجبه رجل مجلسه ثم لسوء فارقه وروينا
في الحديث من حدث بما سمعته اذناه ورات عيناه فهو من الذين قال الله تعالى
من الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا وروينا عن علي رضي الله عنه
مذيع الفاحشة في الناس كفاعلها وفي الخبر ان بعض فقراء اهل الصفة استشهد في
سبيل الله عز وجل فقالت امه هنيئا لك الجنة هاجرت في سبيل الله وهاجرت الى
رسول الله وقتلت شهيدا طوبى لك الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
يدريك انه في الجنة فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه او يبخل بما لا ينقصه وفي لفظ اخر العلة

وفي

كان يتكلم فيما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وفي الخبر ان بعض الصحابة قال لرجل انه لنوم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتبتم اخاكم سلوه ان يستغفر لكم وفي خبر اخر
انهم قالوا ما اعجز فلانا فقال اكلتموه وفي حديث عائشة رضي الله عنها انها قالت
لامرأة ما اطول ذيلها وفي لفظ اخر قالت لامرأة ما الطول اي القصيرة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اغتبتيها وفي خبر اخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لها قد تكلمت بكلمة لو مزج بها ماء البحر لامتزج فهذا من وصف المبالغة في
السنة؛ **وفي الخبر الجامع** لهذه المعاني في وصف الغيبة ما روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في اخيه ما فيه فقد اغتابه وفي حديث
ابان عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشر من ذلك انه قال الغيبة ما ان
قلت في اخيك لم تذكره به فهذا جملة الفرق بين الشرة وغاية التشديد في الغيبة
اسم لغوي معناه شيء مشتق من غيبة الانسان وفسرها رسول الله صلى الله عليه
وسلم انها ان يقول العبد في اخيه ما فيه وعظمها بقوله فهي اشر من الذي يجتني فان
العبد لا حيلة في غيبته ما يعلمه بغيبة فيه مما لا يقوله بحق او مما يقصد به او لا يكسبه
وقد اغتابه فلو لم يكن في الحديث الا السلامة من الغيبة لكان ذلك غنيمة
موفورة لحبيب وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن ادم عليه لا له
الا ثلاث امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله عز وجل واما مخالطة الناس فانها تضعف
العزم الذي كان قويا في اعمال البر وتحل العقد المبرم الذي استوطنه العبد في
الخلوة لغلبة المنا وتميز على البر والتقوى وكثرة المتعاون على الاثم والعدوان في
وفي مخالطة الناس قوة الطلب والحرص على عاجل الدنيا لما يعاين من اقبال اهلها
عليها وفيه الفتور عن الحرمة والنظر الى اهل الغفلة والملل للطاعة لمجالسة
اهل البطالة ونقصان حلاوة المعاملة وذهاب نور العلم وسرعة خروج الوجل
بالفهم لاستماع كلام اهل الجهالة والنظر الى الموتى من ابناء الدنيا كما روي عن
عيسى عليه السلام لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم قيل ومن الموتى قال المحبون
للدنيا الراغبون فيها وقد كان الحسن يقول في قوله عز وجل وما يستوي الاحياء ولا الاموات
قال الفقراء والاغنياء كان الفقراء احيوا بذكر الله عز وجل والاغنياء ماتوا على الدنيا
واعظم ما في مخالطة الناس ومجالسة اهل البطالة ودوي غفلتهم ضعف اليقين
بروية ما ابتلي به العبد واعماله في هلاكه والتزويج بحجبه وابعاده؛ ضعف
اليقين بما وعد بالغيب وتوعد عليه في الشهادة وهذا اخوف ما خافه رسول الله صلى
الله عليه وسلم على امته **فيما روينا** عنه انه قال اخوف ما اخاف على
امتي ضعف اليقين وعلامة ضعف اليقين هو اصل الرغبة في الدنيا والحرص على التكاثر
منها والتضرع الى ابنائها والطمع فيهم كما قال ابن مسعود ان الرجل ليخرج من بيته

ومعه

ومعه دينه فيرجع الى بيته وما معه من دينه شيء يلقى هذا فيقول انك لذيت وذيت
ويلقى هذا فيقول انت كيت وكيت ولعله لا يحلى منهم بشيء ويرجع الى بيته وقد
اسخط الله عز وجل وقد قال بعض التابعين ان العبد ليعقد في الخلوة على خصال
من الخير فيخرج الى الناس فيحل الذي ما عقد عقدة حتى يرجع وقد انحلت عقده كلها
وقوة اليقين اصل كل عمل صالح لانه في قوة يقينه يسمع عن منقلبه وطول مثواه في
دار اقامته ايثار النقل من العاجلي وتغليبه للباقي وضعف حرصه وقلة طلبه وبعد
طمعه وفراغه من الاشتغال بعاجلته وقبالة وشغله بما قرب اليه من مستقر؛ في
جميع ذلك الاخلاص في اعماله وحقيقة زهد في تصرف احواله وفي منع امله وتحسين
عمله الم تسمع الى وصف من اخبر الله عز وجل عنه بالتكاثر الذي الهاه حتى زار رمسه
ومثواه كيف تهدده حتى يعلم يقينا وتوعده لهذا الذي اخبرته عينا فقال سبحانه الهاكم
التكاثر اي شغلكم الجمع والمكاثرة حتى زرتم المقابر ثم قال كلا لو تعلمون علم
اليقين اي لشغلكم العمل الصالح للاخرة عن اللعب واللهو الذي هو مقتضى الشهوة الذي
هو ضد اليقين فاشتغلتم بالاخرة عن التكاثر من الدنيا كما شغلكم التكاثر باللهو
واللعب لعدم علم اليقين كما قال ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون
بعد ان قال بل هم في شك يلعبون ثم توعدهم على ذلك ثم تهددهم بالسؤال
عن النعيم الذي شغلهم وهو التكاثر من فضول العاجل وقيل الجمع والمنع واعلم
ان الذي قطع العباد عن التوبة واخرج بالتابعين والاستقامة ثلاثة اشياء
الكسب والاتلاف والجمع وهذه الاشياء متعلقة بالخلق وموجودة بوجودهم
ومفقودة بالاعتزال عنهم فمن زهد هذه الثلاث فقد زهد في الخلق ومن رغب في الخلق
فقد رغب في هذه الثلاث وقال الثوري من خالط الناس داراهم ومن داراهم راءاهم
ومن راءاهم وقع فيما وقعوا فهلك كما هلكوا وقد قال بعض هذه الطائفة من
السائحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق وقال
مرة قلت له دلني على عمل اجد به قلبي مع الله تعالى في كل وقت مع الدوام فقال
لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي فقال لا تسمع كلامهم فان كلامهم
قسوة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت انا بين
اظهرهم ولا بد من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت
هذا لعله فقال يا هذا تنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين
وتريد ان تجد قلبك مع الله عز وجل على الدوام هذا ما لا يكون وقد جاء في فضل العزلة ورد
ولا تجالسه وفي فضل الصمت وفي جميع ما ذكرناه من الجوع والسهر ما يكفي حجة وفيما نبهنا
عليه واشرنا اليه بلاغ وغنية لمن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ولم يزل
بالمعاملة والمناجاة ولا قوة الا بالله

الفصل الثامن والعشرون

فيه كتاب وافية المغربين ومقامات الموقنين العبد اذا فرى بغيته علم علم يقيني ان
او فاته شي الشيء ولكن تبعه النتهى وجعل سبب تمابه وحيائه منها وهي مكروه عليه
في البرزخ وموحد وحة اليه يوم القيامة ومعادة عليه في الجنة ان دخلها ليس يجازي
اعمالهم لا يجعلوا زما اعطى من المعاملة ها هنا ولا يعطى ثم لا يجعلوا زما دون هاهنا
لا يسل لا عن او فاته ولا يجل سبب لا يساعانه ولا يجازا لا عليها ان دخلها وفات
عنه لكان لا يعاد هو في صورة غيره لا يعطى جزاء سواء كما لم يعامل هنا معاملة سواء
ولكن الله يبدي ويعيد بمعنى ذلك قوله تعلى كما بداكم تعودون وقال تعلى افنجعل المسلمين
كالمجرمين كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته من يدبره ام نجعل الذين امنوا
وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار اي تدبروا اياته
ما يرون جزاء هولاء لوصف هولاء ام هل يجزون وصف هولاء له اولا **ومثله قوله
تعلى** ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب فنفى امانيهم وليس وانتفت حكمه بلكن
وهي مصرحة في الكلام المعنى لكن من يعمل سوء يجز به وفسره رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال المومن يجزا السيئة في الدنيا من المصايب والجوع والعري والمنافق
تبقى ثم توبخ عليه حتى يوافي يوم القيامة كانه حمار يجازى به في الاخرة **وكان
الحسن يقول** عباد الله اتقوا هذه الاماني فانها اودية النوكى يحلون بها
والله ما اتى عبد الله بامنية خير في دنيا ولا اخرة وقال بعض العلماء كلما
قل العقل كثرت الاماني وكتب بعض السلف الى بعض اخوانه من ابناء الدنيا
بعهد اخبرني عن هذا الذي تكدح فيه وتحرص عليه من امر الدنيا هل بلغت فيه ما
تريد وادركت ما تمنيت فقال لا والله فقال له ارايته هذا الذي انت حريص عليه
لم تنل منه ما تريد فكيف تنال من الاخرة وفرغ قلبك عنها وصرفته عنها فما ارى المرء
تنوب الا في حديد بارد وقال بعض العلماء من ظن انه يدخل الجنة بغير عمل فهو متمني
ومن قال المخلص بعمل فهو متعنى وقال بعضهم الاماني تنقص العقل وفي الخبر ليس
الايمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ومن هذا قول
الله عز وجل هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقال في ضده من يعمل سيئة فلا يجزى الا مثلها
وقال في مضاءه ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ومثله قوله
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم وقال في ضده ام حسب
الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات ثم قال تعلى
ساء ما يحكمون فابطل حسبانهم وادحض حكمهم ثم احكم ما عنده بقوله سواء محياهم ومماتهم
اي هم كما كانوا في الحياة محسنين يعملون الصالحات كانت لهم الحسنى في الممات وكما

كانوا

كانوا في العمل محسنين يعملون الصالحات كانت لهم الحسنى في الممات وكما كانوا في العمل
مسيئين يعملون السيئات كانت لهم السوء والمكروهات وقيل كانت هذه الاية مبكاة
للعابدين لانها محكمة غير منسوخة ولا متشابهة وكذلك جميع ما ذكرناه من نظائرها من المحكم الذي هو ام
الكتاب غير منسوخ ولا متشابه وهذه الاي من عزائم القران ومن احسن ما انزل الينا
من ربنا الذي امر الله سبحانه باتباعه ووصف اهل التقوى واولي الالباب باستماعه
في قوله تعلى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه قيل عزائمه ووعيده وقد قيل
في قوله تعلى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل الرجاء الخاطئ والاماني والظن
الكاذب وقيل عملوا اعمالا ظنوا انها حسنات فوجدوها عند المحاسبة سيئات والصحيح
ما صح بعد الحسنات والحق ما ثقل في الميزان كما قال تعلى والوزن يومئذ الحق قيل العلم
والعمل كما قال تعلى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ثم قال فلنقصن عليهم بعلم
ثم قال تعلى وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وقيل
كانوا يقترفون الذنب ويوخرون التوبة ويسوفون بالمغفرة وكانت هذه الاية
مخزية للخاطئين ومخافة للعارفين ومن اخبر الله سبحانه وتعلى انها عن النار للكافرين
ثم او للمومنين بالاتقاء لها ثم وصف الكافرين فيها وخوف عباده بها فقال تعلى واتقوا
النار التي اعدت للكافرين وقال سبحانه لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل
ذلك يخوف الله به عباده يا عبادي فاتقون ويقال ان العبد يستحق النار باول
معصية عصاها لانه جاء بعد المعرفة ثم هو بعرضة لكل المشيئة وان في كل عبد خصلة
كبيرة يجازى عليه منها وكان عبد الواحد بن زيد يقول ما صح خوف خائف ظن انه لا يدخل
النار وما صدق خوف من ظن انه يدخل النار يحق انه يخرج منها اي ان حقيقة الخوف خشية
دخول النار ثم الخلود فيها **وقد** روينا مثل ذلك عن الحسن وقد ذكر له الرجل الذي يخرج
من النار بعد الف عام فبكا ثم قال يا ليتني كنت ذلك الرجل **وروي** عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قال اني في الجنة فهو في النار ومن قال اني عالم فهو جاهل وروي عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال من اراد ان يعلم كيف منزلته من الله تعلى فلينظر كيف منزلة
الله في قلبه فان الله ينزل العبد منه حيث ما انزله في نفسه

المقام الثاني

من المراقبة ثم يعلم العبد يقينا ان لكل عمل صالح مقاما لعطا معاملة هنا لهم وان
كان بل لكل عمل متمني وجهل فيه عذابا في الاخرة ذكر جاء في البرزخ ومقاما في النار
من قسم منها العمل ها هنا ثم قد اعطي الله لهم الجزاء من النعيم والسبق والظهر والعمال
المحسنين واثابهم لم يعني يجب لان اي دار حكمة منه ثم قدم المعاملات من المعتقين
واخر المتروكات من التوعيد احكاما منه للافعال واستشعارا للعبد باعمال اهل الارض

منه ليجزي كل نفس بما تسعى فثقة منه ورحمة وقدرة منه ومحبة لا يشغل عملا بفعل لانه مليك قهار عزيز
جبار وهم عبيد مقهورون تملك مجبورون والخضوع له لامتثال لانه قدرها وزال الاختلاج والاعتراض
والاعتلال ولا يستوي بالعبيد لانه قدر بان التفقد والتقديم بلا حجة البالغة والعزة
النافذة في كل شيء ليس كمثله شيء في جميع ذلك كله وقد احكم الله تعالى ما ذكرناه من
توحيده نفسه بالمشيئة والافعال وتنزيهه عن الشركاء فيه وضرب الامثال وحجب التسوية
بينه وبين خلقه في الاحكام وجعل ذلك محجوبا النقمة وشركا في ملائكته واحتج به على المشركين
المشركين واضلالهم اتباعهم بعد ضلالهم المبين واضلالهم تسويتهم بينه وبين عباده
في الاحكام في قوله تعالى قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ
نسويكم برب العالمين وما اضلنا الا المجرمون قيل نزلت في القدرية لانهم اضافوا الحول
والقوة في الشر الى الخلق فسووا بينهم وبين الخالق وقد قال الله تعالى والله خلقكم
وما تعملون فاضاف الاعمال الى انه خلقها كخلقه اياهم فهم المجرمون الذين انزلت فيهم
هذه الاية التي ذم فيها القدرية فوصفوا بالتكذيب في قوله تعالى ان المجرمين في ضلال
وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر فهم
المجرمون الذين اضلوا اتباعهم وهم الغاوون الذين كبكبوا في النار مع اشياعهم
وقد احكم الله تفصيل ما ذكرناه انفا في خمس ايات محكمات تنتظم جمل معاني ما
ذكرناه تركنا شرح ذلك وبسطه خشية الاطالة لانا لم نقصد الاخبار في الاستدلال منها
ذلك قوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق يعني فضل الموالي على العبيد فما الذين
فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء افبنعمة الله يجحدون والاية الثانية
قوله تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم
فانتم فيه سواء اي فكذلك انا تعاليت لا شريك لي من عبيدي فلا اجعل لا خلقي وعبيدي فلا
تجعلوا لي ما لم اجعل عليكم انا لم اسو بينكم وبين عبيدكم فلا تشركوا عبيدي في حكمي
والثالثة قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء يعني لا ينفق
ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه فجعلهما على وصفين احدهما تحيل لم يقدر
على الانفاق ثم ذم بالبخل والعجز وهو العجز ومنعه وجعل الاخر جوادا قدرة واعطاء
لا نفاق ثم مدحه بالجود وقال في الاية الرابعة وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم
لا يقدر على شيء وهو الحكمة والعلم ثم قال هل يستوي هو ومن يامر بالعدل
فجعل له عبدين احدهما سفيها جاهلا ابكم عن الحكمة ولم يقدره على علم ولم يعطه
استقامة ثم ذمه بوصفه ومقته لمنعه وجعل الاخر امرا بالعدل عن امره مستقيما
على صراط المستقيم الذي هو عليه وهو قائمه كما قال هذا صراط علي مستقيم
فما يستوي احد من بعد الاية وهل يجوز عبد عن سيده لا يحوله ثم مدحه في اعطائه
اياه ووصفه بوصفه ثم علم سبحانه ان العقل في هذا تشبيها وتمثيلا لخلقه ف

وتجويزا وتطليسا من خالقه على قياس المعقول ان فعل بعبيده مثل هذا ثم مدح احدهما وهو
اعطاء وقدرة وذم الاخر وهو الذي منعه والعجز انه قد علمه بحسمه لرك عز وجل بتمييزه واحكم
النهي عن التمثيل به في الاية الخامسة الفاصلة القاطعة التي نهانا فيها ان نضرب له
شيئا الامثال مثل ما اجرى علينا من الامثال فقال سبحانه وتعالى فلا تضربوا لله الامثال
ان الله يعلم وانتم لا تعلمون فوكد ذلك بتحقيق علمه وغاية جهلنا ثم اخبر بقوله سبحانه
لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فسلم الراسخون في العلم الاحكام لحكم الحاكم فسلموا من
عذابه وامن المؤمنون بجميع الاقدار انها عدل وحكمة من حاكم عادل حكيم فامنوا من عقابه
لانهم امنوا بالمتشابه واعطاهم بفضله من فضله جزيل ثوابه وضلال الذين يتبعون ما تشابه
ابتغاء للشبهات وابتغاء الفتنة فضلوا فوقعوا في الضلال وهلكوا غرقا في المحال وقد روى
الضحاك عن ابن عباس نحو من ما ذكرناه قيل في قوله عز وجل لها سبعة ابواب لكل
باب منهم جزء مقسوم قال ابن عباس طبق اسفل من طبق سبع دركات على قدر اعمالهم
كذلك يقسمون الدركات بقدر ما اجترموا كما قسم اهل الجنة الدرجات بالفضائل
لكل باب منهم جزء مقسوم يعني نصيبا معلوما مفروضا لكل طبقة سكان وقال
بعض العلماء بالله تعالى ما في الجنة قصر ولا بيت ولا خيمة الا عليه اسم صاحبه مكتوب واسم
ذلك العمل الذي هو جزاؤه مكتوب وكذلك جهنم ما فيها غل ولا قيد ولا وثاق ولا عذاب الا
وعليه وصف ذلك العمل الذي هو جزاؤه واسم صاحبه مكتوب وقال ايضا قد اعلم الجنة
قبل ان يطيعوه واعلم النار قبل ان يعصوه وقال بعض العارفين ايضا الخلق اهون من
ان يعصوه عز وجل لم يرد والله اعزني ان يرضيه الا ما احب لكنه غضب على قوم في القدم
فلما اظهرهم استعملهم باعمال اهل الغضب ليحلهم دار الغضب ورضي عن قوم في القدم
فلما اظهرهم استعملهم باعمال اهل الرضا ليحلهم دار الرضا وقال بعض اهل المعرفة
اظهر الخلق في العدم واوجدهم اياهم اقتدارا ثم اظهر لهم اعمالهم وخيرهم الاعمال منه
اختيارا فاختار كل عبد منهم عملا بعينه ثم طوى الاعمال فيهم وطواهم في الغيب
فلما اظهرهم الان في الوجود حجبهم بالعقول واجرى على كل عبد منهم اختياره لنفسه
فبذلك وقعت الحجة عليهم لذا كشف لهم عما حجبه عنهم اليوم وحدثنا عن بعض
اهل هذه الطائفة قال كان قد بقي في نفسي شيء من القدر وكنت استكشفه
من العلماء فلا ينكشف حتى قيض لي بعض الابدال فاستكشفت فيه
اياه فقال وجدوا ما تصنع بالاحتجاج حتى يكشف لنا عن سر الملكوت فتلقى الى ال
الطاعات تنزل صورا من السماء حتى تقع على جوارح قوم فتنفخ الجوارح فيها وتنظر
الى المعاصي صورا مصورة تنزل من السماء فتقع على جوارح قوم فتنفخ فيها قال
فكشف الله عن قلبي القدر واوقع في العلم بمشاهدة القدرة وكنت انا مرة قد
خاطبني بعض اخواننا في شيء من الاستطاعة مع الفعل لا انها قبله ولا بعده فتكلمت

في ذلك لمذهب المشبهة من أهل الكلام قبل أن يكشف في مشاهدة على اليقين وقد رأيت
في النوم كأن قائلا يقول القدر من القدرة والقدرة صفة القادر ويقع القدر على الحركة
ولا تنبغي فينطق الأفعال من الجوارح وقال فتنتج الجوارح بالأفعال ولا تتعين
وكيف تتكلم في شيء لا ينبغي فجعلت على نفسي أني لا أذاكر أحدا منهم بعد ذلك
من هذا الباب وقد حدثونا عن بعض العابدين قال صلينا من السحر ركعتين ثم غفونا
بعدهما فرأينا قصرا عاليا ذا شرفات بيض كأنها الكواكب فاستحسنته فقلت لمن
هذا قيل ثواب هاتين الركعتين ففرحنا فجعلنا نطوف حوله فرأينا شرفة قد كسرت
فوقعت فساءني ذلك وأغمني وقلت لو كانت هذه الشرفة في أعلاه في هذا
الموضع لكان أحسن هذا القصر فإن تلمها فسألته فقال لي غلام هنالك قد كانت هذه
الشرفة في ركعتيك من القصر إلا أنك التفت في صلاتك وحدثونا عن بعض الزهاد
أنه لو كشف مقاعد من الجنة فرأى الحور العين فقلن نحن أزواجه فلما خرجنا تعلقن
في الحور وقلن نشكر لك الله لما أحسنت أعمالك فإنك كلما أحسنتها ازددنا لك
حسنا وازدهت بنا نعيما وحدثونا عن رابعة العدوية رحمها الله قالت سبحت
ذات ليلة تسبيحات من السحر ثم نمت فرأيت شجرة خضرة نضرة لا توصف عظما
وحسنا وإذا عليها ثلاثة أنواع من الثمر لا أعرفه من ثمار الدنيا كثدي الأبكار
ثمرة بيضاء وثمرة حمراء وثمرة صفراء تتلمع كالأقمار والشموس في خلال خضرة الشجر
قال فاستحسنتها فقلت لمن هذه فقيل لي ذلك هذه لك لتسبيحاتك آنفا قالت
فجعلت أطوف حولها فإذا تحتها ثمرة منتثرة على الأرض في لون الذهب فقلت
لو كانت هذه الثمرة مع هذه الثمار على هذه الشجرة لكان أحسن فقال لي انتثرت
من كانت هنالك إلا أنك حين سبحت تذكرت هل اختمر العجين أم لا فانتثرت
هذه الثمرة فهذه عبرة لأولي الأبصار وموعظة لأهل التقوى ولذوي الذكار

ذكر المقام الثالث من المراقبة

روي أن كعب الأحبار قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لو لقيت الله تعالى بعمل
سبعين نبيا لخشيت أن لا تنجو من هول ذلك اليوم وقال بعض السلف لو أن
العبد جر على وجهه من أول الدنيا إلى قيام الساعة في طاعة الله وعبادته
لاحتقره يوم القيامة لما يرى من الزلزال والأهوال **وفي الحديث**
معاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف وأن ألم شعرة من الموت لو وضع
على جميع الخلائق لماتوا وأن بين الخلائق وبين الموت دخول الجنة ما يرى العبد هول
كل هول منها أيسر على ألم الموت ما يرى العبد فلا ينجو العبد من كل هول منها

القصر بفعل هذا ح

الا رحمة فيحتاج العبد إلى ما بين ألف رحمة تنجيه من تلك الأهوال يكون ذلك العدد من الرحمة
مقسوما على ما بين ألف حسنة أعطيها من حسناته في الدنيا التي أحسن بها إليه فيكون
مكان الظهور الرحمة ومحل العطايا أعز احكمة من الحكيم وقسمها من أرحم الراحمين لأن الصالحات
ظروف الجزاء والحسنات كلها أعز الرحمة الواحدة التي سبقت لدنيا الغرة ثم تبسطت في
كم أنت من الأعمال أماكن الثواب فيعطي ذلك ما شاء اليوم وهو العطاء الأول والحسنى توفية
ولطف عنا نيته ويعطي الجزاء منا بفضل رحمته وتمام نعمته ذلك تقدير العزيز العليم كما
قال تعالى هل جزاء الإحسان إلا الإحسان **قيل في الخبر** ما جزاء من أنعمنا عليه
بالتوحيد إلا الجنة وقال بعض العلماء ليس يقول لا إله إلا الله جزاء إلا النظر إلى وجه
الله تعالى والجنة جزاء الأعمال المرء أنه لو حرم التوحيد اليوم حرم الجنة غدا ولو منع الإسلام
اليوم لم يغفر له أبدا كما قال عز وجل إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وقال
إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فهذا ما لا حيلة
فيه ولا سبيل إليه وقد قال هو أهل التقوى وأهل المغفرة قيل هو أهل أن يعطي التقوى
ومن أعطاه التقوى فهو أهل أن يعطيه المغفرة كقوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى وكانوا
أحق بها وأهلها وقال واتقوا الله لعلكم ترحمون وقال إن رحمة الله قريب من المحسنين
وقال سبحانه تماما على الذي أحسن وقال تعالى سنزيد المحسنين إلى قوله ما على
المحسنين من سبيل وقال تعالى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا فمن كانت
أعماله الحسنات فهو من المحسنين ومن كانت أعماله السيئات فهو من المسيئين ماسمه
باشتقاق الحسنة من الحسنى وجزاؤها الحسنى وهي الجنة واشتقاق السيئة من
السوء وجزاؤها السوء وهي النار وقد سبق خلقهما قبل خلق الخلائق وفرغ من نصيب
العباد من الجنة والنار **وسئل** رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإحسان فقال
أن تعبد الله كأنك تراه فهذا أول المراقبة لأنه عن عين المشاهدة تدرك المرقب ثم ترافيب
وقد خص الله تعالى بالطيبات من الأعمال الطيبين من العمال وابتلى بالخبيثات من
الأعمال الخبيثين من العمال وفرغ من ذلك بعلمه وقدره بحكمه وأخفاه بلطفه وقال تعالى
الخبيثات للخبيثين قيل الخبيثات من الأفعال والأقوال للخبيثين من الرجال وقال الطيبات
للطيبين قيل الطيبات من الأعمال والمقال للطيبين من الرجال ثم اختم بخير خاتمة
أوليائه وسوء خاتمة أعدائه فقال تعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون
سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون قيل طابت حياتهم وطابت وفاتهم وطابت
أعمالهم وطاب الموت لهم وقال في وصف الظالمين الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم
قالوا فيم كنتم إلى قوله مأواهم جهنم وساءت مصيرا أظلمت حياتهم وأعمالهم وأظلمت
قبورهم ومثواهم حتى شهودهم ما ذكرناه فيشاهد أنه مراقبته وحسنت معاملته وانصلت
وارداته وكثر من الخير ازدياده ونعمت شواهده لعبد بقيت ودام مزيده فكان ممتن

تزيد الله عز وجل في قوله لمثل هذا فليعمل العاملون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وكان
من وصف إذ يقول يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون أي يسارعون الفوت و
يسابقون الفوت ويسارعون الغافلين ويسابقون البطالين ولعل بطالا من
الشاطحين جاهلا بحكمة الحكيم يتوهم علينا بظنه إذا نقول إنه لا يعطي لا شيئا
بشيء. ولسنا نقول ذلك إنما نقول إنه لا يعطي شيئا بلا شيء. فهو المعطي لا
لأول الشيء. الذي هو الظرف من العبادة والإيمان وهو الذي يعطي الشيء. الذي
هو النعيم والجنان لأنه أجرى ذلك تبعا في مجاري حكمته كما سبق ذلك في علمه
ثم انتشر في معلومه لأنه حكيم عليم

ذكر المقام الرابع من مراقبة

الموقنين ثم يعلم العبد يقينا أنه ينشر له ستونه في الآخرة تنشر وتبسط شهورا ثم
أياما وتعرض أيامه ساعات وتكشف ساعاته أنفاسا ثم يسأل عن كل نفس لمن
ينشر له بكل فعلة فعلها وإن صغرت ثلاثة دواوين الأول لم فعلت وهذا مكان
الابتلاء بالإخلاص وإن سلم له لم ينشر له الديوان الثاني وهو كيف فعلت وهذا
موضع المطالبة بحجة العلم فإن صح له هذا نشر عليه الديوان الثالث وهو لمن فعلت
وهذا مكان المطالبة في الإخلاص فإن اعتل بكيف أو بلم أو بلمن خيف عليه الهلكة
إلا أن يتعطف عليه المنان بجنبه لا يحتسبه فيستغفره ويسمح له ومن قال تعلى وإن
كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين أي حتى نأتي بها وقرئت بالمد آتينا بها
يعني جازينا بها وقال عز وجل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
وقيل هذه أحكم آية في كتاب الله عز وجل وهي مجملة مبهمة عامة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئل عن شيء لم يوح إليه فيه بشيء. يقول لم
ينزل علي فيه إلا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة الآية ولما تعلم صعصعة
جد الفرزدق من أسعد الغزوان الى هذه السورة قال حسبي حسبي فزع فيها الجنين و
والشيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل فقيها وقيل الذرة فيهم بالهبا
الذي يظهر في شعاع الشمس مثل رؤوس الإبر وروي عن ابن عباس أنه قال إذا وضعت
كفك على التراب ثم رفعتها فكل شيء تعلق بها من التراب فهو ذرة وقد قيل أربع ذرات خردلة
وذكر بعض العلماء أن الذرة جزء من ألف جزء من شعيرة فيعني
لا مثقال ما تزن هذا الشيء وما تزن هذا الشيء وما يتقل به هذا الجبل فلذلك أخبر به
الخبير وهو زنة الذر وفي وعنى ما ذكرنا من حسب أنه يدخل الجنة بعمل فهو متعنى
ومن حسب أنه يدخلها بغير عمل فهو متمني فيعني أنه لا ينبغي أن يعمل ما عليه ولا يتمنى

اليه

اليه ثم يتوكل بعد ذلك على الله عز وجل ويرجوا قبوله بكرمه ويخاف رده بعدله وكذلك مدح الله
سبحانه عماله الذين يعملون المتوكلين عليه في أعمالهم فآتاهم أجرهم فقال نعم أجر العاملين الذين
صبروا وعلى ربهم يتوكلون فالعامل يدخل الجنة بفضل الله ورحمته هو ثانيهم جزاء المعاملة الموجبة
اليوم ودوام خلود العامل فيها بحسن جزائه ألم تسمع قوله تعلى ومن يقترف حسنة نزد له
فيها حسنا مع قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة الى قوله فأولئك لهم جزاء الضعف
بما عملوا ومثله ولكل درجات مما عملوا ونحوه أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون
بالحسنة السيئة أي ويدرؤون بالحسنة الحاضرة السيئة الغائبة فلما استعملهم
في الدنيا بعملين بالصبر ودفع السيئة الماضية بالحسنة المستأنفة أعطاهم في
الآخرة أجرين وهذا من الكلام المحذوف المرخم بجزمه ويدرؤون أي ويدفعون أيضا
فلما حذفت أشكل الكلام واشتبهت الواو واو النسق ومعناه السيئة والمعنى
يدفعون السيئة التي تقدمت منهم بالحسنة التي يعملونها بعدها فتكون الحسنة الم
المستقبلة رافعة لعقاب السيئة السالفة منهم ومن أحسن الصبر صبر عن المعصية ومن أحسن
الحسنات التوبة النصوح بعدما سلف من الذنوب والفضوح فكأنهم قد عملوا عملين صبروا
عن الشهوة ودفعوا بالتوبة ما سلف من السيئة فأعطاهم أجرين لما استعملهم بعملين الخير
صبر لأبد ولا توبة لهم إلا منه كما قال تعلى وما صبرك إلا بالله وقال توبة من الله وليس من
العبد إلا أنه فيها من الله ولا كان يقسم في كل شيء كذا واسم أول ومن أحسن الحسنات مراقبة
الرقيب عند خطرات القلوب ومن أفضل القربات محاسبة النفس للحسيب واستحيائها بطاعة
الحبيب وذلك حكمته في تدبير أهل النار ودرجات بعضهم على بعض في الفسق والعصيان وقال
تعلى إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب أي زدناهم عذابا
فوق عذاب الذين كفروا ولم يصدوا عن سبيل الله ونعتهم قوله تعلى إن الذين كفروا و
وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا فلم يغفر لهم بكفرهم ولم يهدهم طريق الجنة
بظلمهم وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة ومثل
ذلك قوله تعلى إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب
الحريق فصار عليهم عذابان عذاب جهنم بما لم يتوبوا وعذاب الحريق بما فتنوا المؤمنين
ومثله قوله تعلى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا
وتزهق أنفسهم وهم كافرون أي يريد أن يعذبهم بها في الحيوة الدنيا ويريد أيضا أن
تزهق أنفسهم على الكفر ليعذبهم في الآخرة وهذا خبر صحيح أن الله يريد الكفر من الكافر
لأن تزهق انتصب بالعطف على الأول والواو فيه للجمع وقد قيل إن في هذه الآية تقديما
وتأخيرا فيكون المعنى ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم
بها في الآخرة فلا دلالة أن يجمع العذابين عليهم في جهنم أحدهما للأموال والآخر للأولاد والثاني
لأنه تعلى أن يخرج أنفسهم على الكفر بمنى الأموال والأولاد منهم كان عليه عذابا واحدا

في جهنم لاجل قوله تعالى لابثين فيها احقابا وهذا مواطن المجرمين الذي جاء ان منهم الكفار يدخلون
النار بعد اغنيائهم بخمسمائة عام لاجل العفو الذي كانوا فيه في الدنيا كما ان الفقراء
من المومنين يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام لاجل غناء اوليائه **وفي الخبر**
ايضا ويدخل المرضى الجنة قبل الاصحاء باربعين خريفا ويدخل المقتول في سبيل الله مقبلا
قبل المقتول في سبيل الله مدبرا باربعين خريفا ويدخل المماليك قبل الموالي باربعين خريفا
ويدخل سليمان الجنة بعد الانبياء باربعين خريفا لمكان ملكه والحصة العظمى والفوز
الاكبر الذي لا درك له وهو تاب برحمان ما اعطي غيره من الملك يدرك الله بعون ادواته
في الدنيا ما هنا ثم ادرك الحياة وقلنا العلاوة ما هنا اذا بعد فرق بين جزايه ثم وهذا هو
التفاوت بين العاملين البطالين وبين السابقين المخلفين وبين المسارعين الى
المتثبطين

ثم خلود العبد لبصال

المغبون في الدنيا في ذاته حرمان من مزيد الفاني العامل ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم
ما من ساعة تاتي على ابن آدم لا يذكر الله تعالى فيها الا كانت عليه حسرة وان دخل
الجنة وفي لفظ آخر وهو اشهر الا كانت عليه ترة يوم القيامة اي نقص الجنة ومواضع حسرة
بالحسرة في الجنة بعد دخولها والطمع في نعيمها هو ما تم ذكر من حرمان مزيد العاملين
فيها ثم دوام الحرمان هو مزيد ابدا وهو كون العبد في نقصان من رتبة غيره ثم هو مخلد
في النقصان سرمدا ومع ذلك فلا يدري به ولا يحظى به كيلا ينغص عليه نعيمه والحسرة
والنقص انما اخلتا من التقصير والزلل مهما فترت الساعة الخالية الا ان النبي صلى الله
عليه وسلم نص على الساعة ولم يترك ما دونها لان اسم الساعة اقل الزمان المستعمل
عند العرب في المواقيت بقوله قول الله سبحانه وتعالى اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون ومعلوم انهم اذا جاء الاجل لا يستاخرون نفسا ولا طرفة وكذلك لا
يستقدمون طرفة ولا نفسا فذكرت الساعة دون ما نقص منها ليلا يخرج الكلام
عن حد استعمالهم وعرفهم وليستدل بها على ما دونها في القلة من النفس والطرفة
كذلك ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم نص على الساعة على ما دونها لان ذلك حكمة
من حكمة مولاه وكلامه على معاني كلمه وقد جعلت الساعة ونهاية الايام التي
قال الله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية فيا حبي والله ايامكم
نشرة وستطلعوا ما تستغلوها بالاعمال الصالحة قبل خلوها منكم وانقضائها عنكم وكان
الحسن يقول يا ابن آدم انما انت مراحل كلما مضى منك يوم وليلة نقطعت مرحلة فاذا انقضت
المراحل بلغت المنزل الى الجنة او الى النار وما الساعات تقطعنا والايام تطوينا كما قال
بعض الحكماء مثل العبد في عمره مثل رجل في سفينة تسير وهو قاعد كذلك العبد يسير قوائم
من الاخرة وهو غافل ويقال ان العبد تعرض عليه ساعاته في اليوم والليلة وهو غافل

من اهل

من اهل خزاينا مصفوفة اربعة وعشرين خزانة بعدد ساعات يوم فيرى في كل خزانة ما فيها ولذة وعطاء وجزاء
لما كان اودع خزاينه من ساعاته في الدنيا من الحسنات فيلتمس كذلك ويفهم به فاذا امرت ذلك
به في الدنيا ساعة لم يذكر الله تعالى فيها رءاها في الاخرة فارغة لا عطاء فيها ولا جزاء عليها
فيسوءه ذلك ويغتم كثيرا فانه اذا لم يرج فيها شيئا يسره جزاؤه من حيث انه يبلغ في
نفسه الرضى والسكون فلو لم يغتم العبد الا على فوت الفضايل والمندوب اليه من الخير الا
لكان من جنس المسابقة والمسارعة حسرات فكيف اذا فاته ادركه في السيئات ومن طغت
منه في الخسارات ولو لم يشتغل العبد في عمره الا بالحلال والمباحات لكان ذلك نقصا شتى
من الدرجات فكيف اذا اشتغل بالمحظورات فسبحان الله ما اعظم الخطر واصعب الامر وافل
المشاهرين لذلك واغفل البطالين وقد قال بعض العلماء حسب ان المسيء قد غفي له
اليس قد فاته ثواب المحسنين **وقد جاء في الخبر** ان اهل الجنة بينما هم في
نعيمهم اذ سطع لهم نور من فوقهم اضاءت منه منازلهم كما تضيء الشمس لاهل الدنيا
فينظرون الى رجال من فوقهم اهل عليين يرونهم كما ترى الكوكب الدري في افق السماء قد
فضلوا عليهم في الانوار والنعيم والجمال كما فضل القمر على ساير الكواكب فينظرون
اليهم يطيرون على نجب تسرح بهم في الهواء يزورون ذا الجلال والاكرام فينادون هؤلاء بل
اخواننا ما انصفتمونا كنا نصلي كما تصلون ونصوم كما تصومون فيما هذا الذي فضلتم
به علينا قال فاذا النداء من قبل الله عز وجل انهم كانوا يجوعون حين تشبعون و
يعطشون حين تروون ويعرون حين تكسون ويبكون حين تضحكون ويقومون حين
تنامون ويخافون حين تامنون فلذلك فضلوا عليكم اليوم فذلك قوله عز وجل فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وقد جاء في الخبر ان اكثر الجنة
البله وعليون لذوي الالباب

ذكر المقام الخامس

من واقية المومنين من المغرورين قال الله سبحانه محذرا للكافة حتى اذا جاء احدهم
الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت ثم اجابه فقال كلا وحقق قوله
تعالى فقال انها كلمة هو قائلها ثم نهى المومنين نهيا صريحا عن مثل هذه الحال والحيرة
فيمنعهم من فعل ذلك فقال يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله
اي لا تشغلكم عن الطاعة لله تعالى ثم قال ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون
اي المغبونون المنقوصون في الاخرة لانهم اثروا المال والولد على الخالق الرازق ثم امر
بالانفاق مما رزق وفرق جاهيات واخبر انما نستخلفنا في ملكه اختبارا للنا فقال
امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فسيعلم العاملون الغافلون

نصبا الكلام فلما فتوا ولم ينتفعوا وعقل العاملون كل الكلام فامنوا وانفقوا وما يعقلها
الا العالمون وقال سبحانه وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب
لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق اي بالمال واكون من الصالحين اي بالاعمال وكان ابن
عباس يقول هذه الاية من اشد شيء على اهل التوحيد لانه لا ينفع التاخير والرجوع
الى الدنيا احدا عند الله حين في الاخرة ومثل هذا قوله سبحانه ان تقول نفس واحد
باحسرتى على ما فرطت في جنب الله الحسرة هي اعظم الندامة وهي اسم يعوض شيء.
لا تدارك فيه وفرطت اي ضيعت وفرطها شيء اي ذهب وفات وجنب الله قبل
ما لا ينبغي من الجزاء منه في الاخرة وقيل ما فات من النصيب في ايام الدنيا الى قوله او تقول
حين ترى العذاب لو ان لي كرة يعني الى الدنيا عودة اخرى فاكون من المحسنين وقوله
ان تقول نفس من الكلام المختصر المعطوف ومعناه من قبل ان تقول او خشية ان تقول
معطوفة على قوله وانيبوا الى ربكم واسلموا له اي اقبلوا اليه وتوبوا او استسلموا
وسلموا قلوبكم ونفوسكم واموالكم في طاعته وعبادته واتبعوا احسن ما انزل اليكم
من ربكم اي اتبعوا العزائم من الامور والفرائض من الاعمال وهي احسن من الرخص
والمباحات مثل الزهد والورع والخوف والايقان فهذه احسن ما انزل اليكم من ربكم ثم
قال تعالى ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله فاطال الكلام
واختصر معطوفه وبعد عاطفه للاختصار استكفا بفهمه وفي القران ما هو اشد
اختصارا وابعد من هذا اضمارا كقوله فما يكذبك بعد بالدين المعنى فما الذي يحملك
على التكذيب اذا الانسان الذي خلقناه في احسن تقويم بعد هذا البيان والبرهان
بالكون بالغايات والكاينات من امور الحجج والحساب والجزاء اليس احكم ذلك ورده
اليه وقال اليس الله باحكم الحاكمين وكذلك قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا المعنى
لا تترك ان تعمل في الدنيا لانها مزرعة فتتزود نصيبك عندنا من الاخرة في الدنيا فانه
لا تترك الا فيها ثم احكمه بقوله واحسن كما احسن الله اليك اي احسن الى نفسك
والى اخوانك الفقراء الذي احسن الله اليك به من المال والغنى فتزكي تتزود نصيبك من
الدنيا في الاخرة ثم اخبر الله سبحانه الكفار ومن زهدهم فقال حتى اذا جاءتهم الساعة
بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها اي بالنار احسنا على ما ضيعنا في الدنيا وما نشا
في الاخرة **وفي الخبر** لا يموت احد الا بحسرة وندامة ان كان مسيئا كيف
لم يحسن وان كان محسنا كيف لم يزدد لما يرى ان الله تعالى جعل اهل السلامة منه
والنجاة طبقتين بعضهم اعلا من بعض وجعل اهل الهلكة طبقة واحدة بعضهم
اسفل من بعض فكان صاحب الشمال يتحسر كيف لم يكن من اصحاب اليمين وصاحب
اليمين يتحسر كيف لم يكن من المقربين والصالح من المقربين يتمنى ان يكون من الشهداء
والشهيد يود انه من الصديقين فهو يوم الحسرة الذي انذر به اهل الغفلة

وكيف لا يحزنهم اليوم اذا كانوا اليوم امواتا ولم تكن لهم حسنة فلا نفي لهم النذارة والا
والتذكرة كما قال وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وقد قال لينذر من
من كان حيا كما قال انما انت منذر من يخشاها انما تنذر من اتبع الذكر وخشي
الرحمن بالغيب وقال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد يعني الى
ما قدمت وقيل حديد الى لسان الميزان بجانب النقصان وقال تعالى وجاءت سكرة
الموت بالحق قيل بالسابقة لهم وعليهم فهو الحق سبقت لهم منا الحسنى حقت
عليهم كلمة ربك وسبقت ماله وقيل انما يوزن من الاعمال خواتيمها والخواتم
هي السوابق وما بينهما زاهق والوزن يومئذ الحق ما سبق من العدل والصرف
وتمت كلمة ربك صدقا لاوليائه وعدلا على اعدائه الا له الخلق والامر

ذكر المقام السادس

من مشاهدة المقربين اليقين ان هي من ثمرة الايمان والصالحات هي مقتضى اليقين
واللعب مقتضى الشك والسمع والبصر وصفان لليقين والعمى والصمم وصفان للشك
فتنتظم هذه المعاني قول الله تعالى قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مومنين فدل ان
الايمان يامر المومنين بالبر والتقوى وقوله تعالى فمن اعمى من ايقن يسمع وابصر فسال
العمل الصالح ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وقوله تعالى في وصف
اللاعبين بل هم في شك يلعبون ثم ذكرهم لعدم اليقين فقال تعالى ما كانوا
يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون لانهم لم يكونوا موقنين فلما جاءهم اليقين
وهو المعاينة ابصروا وسمعوا فقالوا وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين فوصفهم
بشدة السمع والبصر حينئذ لما ايقنوا فقال عز وجل اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا اي
ما اسمعهم وابصرهم اليوم لما جاء وتلي وامام عينا وهذا للمبالغة في الوصف كما تقول
اكرم به واعظم به اي ما اكرمه واعظمه وكذلك اذا انبئته اليوم وانت موقن سمعت
ما لم تسمع وابصرت ما لم تر قبل ذلك ولكن شغلتك الازواج التي خلق والاشكال
والاشباه التي الظم فبالهتك اليها ووقفت معها ولو جردت منها الى الله تعالى لعرفت
الى قبني معرفة واحد عنه في احسن مغرى وفرار من البرار منها اليه لو قبلتها وتناله عنى
التناله اليها لو سمعت وبين لك النذارة لو فهمت وجعل ما خلق من الازواج تذكرة بدلك
عرفت ورادة اليه لو انك للتذكر تنبعها ومشوقة اليه لو انك لذكره احببتها اما
سمعته يقول ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون اي قلتين وشكلين لكي تذكرون
الفرد فتشتاقون اليه منها ثم قال ففروا الى الله اي عنها بالاجر ثم قال ولا تجعلوا مع
الله الها اخر اي لا تاتلهوا معها الها ولا تشركوا بها شيئا لكم اليه ايانها فيه لهم المقربين عن
سمعتم بشهادة ابصار قلوبهم فعندها كان استجابتهم له كما قال انما يستجيب الذين

يسمعون وقال ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ولكن
كيف يستمع من ينادى من مكان بعيد وكيف يسمع من الغافل على قلبه عنه وكيف
يستجيب من لم يسمع وكيف يفهم من لا يفهم **قد قال الرسول** صلى
الله عليه وسلم حبك للشيء يعمي ويصم والهوى يعمي عن الحق والشهوة تصم
عن النصح والصدق وكذلك لو احببته لشخصت اليه ولو شخصت اليه لعميت عن ما سواه
ولو اقبلت عليه لاستمعت اليه ولو سمعت لصممت عن غيره ولو احببته لكان سمعه وبصره
وقلبه ويده ورجله ومن يرده تدعوه فيحبه وتنساه ويطيعه وتنتج له فيتيح له كذلك
جاء الخبر فيزلك يشغلك به عنك وعن غيره له منه وكنت تسمع عنه وتنظر اليه وتشتغل
عنه وتنتج له به لا ينبسط وهواه ولا تشهد الا به فيبادر اوصاف حبيب وخير محبوب
عن تنبيهك محبوبا فاذا ادرك العبد يقين عيني لا يقين ظني سمع ما ذكرناه من سر عشقه
بوت الوقت وفوت ذكره فشغله الغم والحزن على ما فات عن مثل ما سلف من قدم
لما يلزم عليه في مستقبل الاوقات فلم يحضر الى الوقت الاول فيوقت الا تاركا نيته
وندم عليه وكيف يرده في الحال الى ابتسمه ما ندم عليه من سهو لا عمل ما لا يجزى
عاقبته ولا يفتنه في الحال مثل العبد المتيقظ في امر غفلته مثل عبد كان
عليه عمل لا يراه فيحمله في يومه ذلك لانه ساعة لغفلة قلبه او نومه فنسيه
فلم يرفق لعمله ذلك الذي لا يرده الى بعد الفوت فلا تسل عن حرصه واكمال تشمره
وتشهيره وبرازه في بقية نهاره ليدرك به ما فاته من اول النهار فيحبو بوجه انابه
ونفسه ذلك الى الليل من لدنا ضعفا جدا ورجع الى اول النهار ليدرك ما فاته فهذا حال التائبين
المتيقظ من فوته ومن لا يستيقظ له الا بعد الموت لمعاينة نقص الاوقات والايقين
بعدم ادراك ما فاته فيدم وقت الندامة الكبرى وحينئذ حلت الحسرة العظمى وانما
عند العقلاء الموفقين هو لا فلحاسر والتنعيم فيما بقي من العمر اليسير الغضيض لانه
لا اشتغال بل لا اشتغال بما فات في وقت ادركه فيه له في المستقبل هو اضاعة ذلك فيه
لما هو ان يحرص هذا المتيقظ واختيار ما ان يكون له في كل زمن ووقت وفي كل ساعة
نصيبا فيلزم عمل في كل خزانة من ساعات النبي في خزائن اعماله شيئا يتيسر له
يرى خزائنه فارغة عن ايديهم على فراغه منها وهذا طريق اهل الرجال الذين تفنوا
زيادة الاعمال ودعموا الحظ في البقاء لحسن ختمة المولى وهو مقام التائبين المستقيم
لينفروا من تجربتهم الاوقات ما فرطوا فيه عنه من الغفلة في القديم بهذا هو الحزم والانتباه
عند العلماء فان يكن لا من صعيا مشعرا بالمذكورات عنه كان قد يسلم لحسن توفيق الله
تعالى من صعوبته وان كان الا من سهلا فيهما لكما اوجه كانت الاعمال درجات والفضائل
مقامات

ذكر المقام السابع

في مشاهدة

الموفقين اعلم ان ما ذكرناه من تزاول الاوقات خوف من انه الى المستقبل هو نتيجته وكان دون مكان
ولا هو بالانتظار وقت ثالث غير الوقت الذي في الحال هو فيه ولا يتوقع حال سوى الحال
الوقت الذي هو يليه انما هو صوم يوم او قيام ليلة او ذكر في ساعة وجمع همه عن شغلة
قلب او قطع لام في خطوة ويكون ذلك ايضا غض طرفه وصون سمعه وكعايته وجلس قرده
وصمتا عن كلمة دنيئة وترك لقمة مشتبهة ونقصانا من قوت وزيادة في جوع للمقيت وادراكه
رغبته وصبرا عن بدلة دنيئة وعفو نية حقيرة وحل نية دميمة وتجريد توبة واعمال
قلبية في ذكر والخراج سوى شيء ونية واستغفار وتحفظ عن سهو في فصل وتسبيبا الى ما
يقوي العزم ومعاهدة على بر وتقوى وهذا يكون في الوقت ويجري به في الحال ولا يسوف
به ولا يتبلغ منه ولا يتوقع في وقت ثالث ولا يؤخر الى زمان دون وقته ولا يتهيأ به
في مكان دون مكان فهذا هو التدارك للاوقات في وقته الذي انت فيه خشية
فوت الوقت فيحرص على التسويف والتمني او في الانتظار والتراخي فهذه من جنود
ابليس يقطع بها المريدين وهو مقام المعتدين واحوال البطالين الذين وكلوا الى
نفوسهم وتركوا مع هواهم ولم يتداركوا في احوالهم ولم يقوموا العزم نسوا الله فنسيهم
والوقت اذا انقضى فقد ولم يوجد الى يوم القضاء والساعة اذا مرت طويت فلم تنشر
الى يوم النشور وانما يتشوف مثلها ويخلق شبهها فاذا ايقن العبد علم ان عمره كله
ساعته وان ساعته كلها وقته لان وقته حاله وان حاله قلبه فاخر من حاله
لقلبه ما يقربه الى تقلبه بنهاية عمله فيعمل افضل ما يدل عليه فيما تربد موته عليه وما
يحب ان يجيء الموت عليه فيكون ذلك خاتمة عمله الذي يلقى مولاه به ثم اخذ
من وقته لحاله ما يصلح حاله لقلبه ويقوي قلبه ويخلصه به واخر من ساعته
لوقته ما يزيد به حاله عندربه ويأخذ من يومه لساعته فيصلحه فيها ويحتج
اليها واخذ من شهره ليومه فكان شهره يومه وكان يومه ساعته فيشغله وقته عن
ساعته وشغله حاله عن وقته وكان هذا راعيا لوقته محافظا على حاله فقليل ما
على قلبه جامعا لهمه مخصصا لا تعاهده واقبل فيستمع الساعة خشية ان يخرج عنه نعيم
في ادنى وقت لانه في ذكر او شكر على نعمة لمنعم او صبر في محنة عظيمة او رضى
عن نقمة ويكون في جميع ذلك ناظرا الى الرقيب منصتا الى القريب هائجا الى
الحبيب لا يلتفت الا اليه ولا يعكف الا عليه قد جعل العمر يوما واليوم ساعة والساعة
وقتا والوقت حالا والحال نفسا والنفس مراقبة والمراقبة مواجهة بتوجيه
في وجهته فلم يلتفت وصاحب قربه فلم يتنح وكان من الايمان على مزيد ومن اليقين
في تجديد فاخلص من الخيانة والضغينة بقيت حسابا وكشف له عن قلبه الحجاب
وكانت المعرفة مقامه ونصرت عليه ايامه فكان في وقته وقتا واخذ الواجد وقلبه
واجد الموجود وهمه مع المنعم وهذا حال الابدال الذين هم من اهل الامثال وعدوهم في

المومنين قليل ونصيبهم من اليقين وافر جليل وهم المقربون والصديقون ومن علم
ما ذكرناه على يقين فهو من الصالحين ومن ءامن به ولم يشهد فيه لاهله ايمان نصـ
نصيبه فهو من المومنين ومن شهد منه شهادة يكون له منها مطالعات وزيادة
فهو من الشاهدين وجميع ما ذكرناه من مراقبة المومنين وشهادة المقربين
يرجع باحد مقامين من اقيم في احدهما جمع له ذلك لما استقام منه في توبته وعمل بعلم
من كان مقامه التوبة وحاله لا تستقيم منه رجع الى شهادة المحبين ومن كان مقامه
العلم وحاله العمل بعلمه تحقق بنعت الخايفين وهما حالا العارف الدايم الوجل بقرب
القريب الغايب بالشهادة بحضور الشهيد فابقاه وطرقاته صالحات وتم فاتنه
وءاثاره حسنات وابكار واذكار مشاهدات فهو حاضر في نفس يفيد فيتيقن في
تنبيله وحدثنا عن بعض هذه الطايفة انه دخل على بعض المنقطعين
الى الله تعالى من اهل المراقبة فقال له احصينا من نعم الله تعالى علي في نوع
واحد اربعا وعشرين الف نعمة قلنا وكيف ذلك قال حسبت انفاسي في اليوم
فوجدتها اربعة وعشرين الف نفس ويقال ان الطرفات ضعف ذلك لان لكل نفس
طرفتان وسمعت ان الله عز وجل اوحى الى بعض الانبياء كيف تؤدي شكر نعمتي عليك
وفي كل شعرة نعمتان ان لينت اصلها وان طمست راسها وقال بعض العلماء ويروى
ذلك عن علي عليه السلام ليس شيء اعز من الكبريت الاحمر الا ما بقي من عمر
العبد قال ولا يعرف مقدار ما بقي من عمره الا نبي او صديق وقال بعضهم لا يعرف
قدر ما بقي من عمره في العزة الا من عرف ينبوع الكبريت فانه يقال انه عيون
تنبع من الظلمات لا يعرفها الا الابدال والكبريت الاحمر هو كيمياء الذهب
الذي يعمل منه الذهب الخالص وانما الغنى منه اليسير على كيمياء الذهب الا
المستعمل ثبتا على حاله لا استحالة وتغير بعد سنين ولا اعلم ذكر عن النبي صلى الله
عليه وسلم الكبريت الاحمر الا في حديث علي عليه السلام الذي وصف فيه الابدال
فذكر عددهم وفضلهم وقال في اخر وصفهم هم في امتي اعز من الكبريت الاحمر ولا ذكر
الذهب الابريز الا في حديث ان الله يجرب عبده بالبلاء كما يجرب احدكم ذهبه
بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم من يخرج اسود محترقا ومنهم من يخرج بعد ذلك

الفصل التاسع والعشرون

فيه ذكر اهل المقامات من المقربين وتمييز اهل الغفلة المبعدين واذا كان العبد بوصف
ما ذكرناه كان كما قال الله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم
بشهاداتهم قايمون وقال بعض العارفين عمر العبد امانة الله تعالى عنده يسأله عن

مونته فان كان فرط فيه ضيع امانة الله تعالى وترك عهده وان راعى امانته فلا يخرج
ساعته الا في طاعته جعلني امانته ووفى بعهده فله الوفاء من الله على الوفاء كما قال
سبحانه وتعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم والذين هم راعون اي في تضييع العمر وفي
ترك الوفاء وكما قال تعالى افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه اي يشهد وفاء
الله تعالى منه بالايمان فمقام بشهادته لا يقال فليس هذا كمن زين له سوء عمله
واتبع هواه فلان على طاعة مولاه بل هذا في شهادته متبع لشهيده مستقيم على
محبته معبوده وكان كمن وصف في قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكمن مدحه بحقيقة الايمان
في قوله تعالى واذا تليت عليهم ءاياته زادتهم ايمانا اي علا فقه ودلايله وعلى
ربهم يتوكلون اي به يثقون واليه ينظرون وعليه في كل حال يعتمدون وفيه
وله ومن كل شيء يخافون وعنده ومن كل شيء يرجون ثم قال سبحانه اولئك
هم المومنون حقا لهم درجات عند ربهم الاية وليس اهل الحقايق من المتوكلين
الذين مدحهم الحق بالحق واعد لهم الدرجات العلا والكريم من الرزق كمن ذكر بعدهم
فقال وان فريقا من المومنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين ومن قوله ما
يجادل في ءايات الله الا الذين كفروا والجدل هوى ووصفا مستثنيا لمقام اعراضه
لما بقي عليهم من اهوائهم وجعل مقام الصالحين بمعنى من وصف لاية حقيقة ز
زهدهم فقال تعالى ومن ياته مومنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى
فبشر العالين واعلموا انما ذكر الاعلون لانهم علا همهم وكذلك لا نبغي
لان الدنيا عندنا قال الله سبحانه في وصف من اعرض عن ذكري ولم يرد الا الحياة الدنيا
انه امر الحبيب بالاعراض عنه لانه طلب الدنيا عاجلا وسوف ءاجل المغفرة واجل القوة
حمله ووضع يقينه فقال تعالى ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا
وقال فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا وقال في وصف الصادقين
من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال تعالى يا ايها الذين ءامنوا
لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله فشتان بين من وصف بصدق العهد وبين
من ذكر بالخلف وعرض للمقت وقال في وصف طايفة ولقد صدق عليهم ابليس ظنه
فاتبعوه الا فريقا من المومنين فخص اولياءه بترك اتباعه والدخل بعض المومنين
في تصديق ظنه واتباعه ولم يقل هم الصديقون والشهداء والصالحون وحسن
اولئك رفيقا وهم المتوكلون المومنون حقا الذين قال انه ليس له سلطان على
الذين ءامنوا وعلى ربهم يتوكلون وليس من باع ماله ونفسه لمحبة مولاه كمن
لم يسلمه مرة دون نفسه ليلا يخيبه فيخرج صغنه عليه كما قال الطايفة من
المومنين يوتكم اجوركم ولا يسالكم اموالكم ان الى قوله ويخرج اضغانكم

لاجل الاستفصال. ان سالكم سالكم الجملة كلها واحب منكم ان تخرجوا نفوسكم بعدها و
لا ضغان جمع ضغن وهو الحقد بيقال فليستتر في مكان سوال انه لا يكون البخيل الا هذا
لان اول الاشر الجود بمن لم يجد الا بزهده ومن لم يزهد في الدنيا لم يجبه المولى لانه يحب
لما يبغض ومريد لما يحب فلم يعامل مولاه بخلافه ولم يوافقه في مرضاته فيا عجبا
وغيرهم من مشاهدة او صاحبه كما قال تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة **وكما**
قال الرسول صلى الله عليه وسلم المبلغ عن الله ان اردت ان يحبك الله تعالى
فازهد في الدنيا ولا يغرر ان يصف حشو قلوب هذه الطايفة من المومنين الذين وصفهم
المومن ان لو سالهم اموالهم لخرجت عليكم اضغانهم لانهم من البدء اعتزلوا البعيد م
من الاضطرار فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا لان الله تعالى لا يسال
الا من يجيبه اكراما له ومن يعلم انه يسارع اليه بجملة ما ساله لانه كريم جواد لا يكبر
عنده شيء. ان سال سال الكلية وهو المال والنفس الا انه لا يسال الا من خلقه
تخلق من اخلاقه فمتى لم يكبر على العبد سوا شيء. ساله فجاد به كل شيء. ومتى عظم في
قلبه العرض الفاني وهو صغير لم يبذله شيئا فانه لم يبق للعبد من نفسه نفسا ولا من
ماله ملكا كان الجواد عوضا له من ماله وكان الجبار عوضا له من نفسه لان الله سبحانه
لم يزل ابدا في العوض من النفس وذكر الجنة في البدل عن المال ليلا يدخل تحت حكم وهو
الحاكم وكيلا ينقضي الى عوض فيكون مشتغلا وهو البرهان فاحسن نفسه وهو الدليل
وذكر خلقه وهو البيه السبيل هذا هم اوليا به عنه وهذه علامة المحبة الخالصة
التي لا تشوبها اهوا ولا دخل عليها من غيره ابدا ولا يصلح ايضا ان يكشف
وصف هولا المحبين لان حالهم تجل الوصف ومقامهم تجاوز علوم العقل والوقتا لان الله
تعالى قد اخفاهم لذلك بقوله عز وجل وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ويقوله
تحيتهم يوم يلقونه سلام مع قوله ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم الى قوله
فاما ان كان من المقربين فروح وريحان فاخبر لهم بقوله تعالى وهو وليهم بما كانوا
يعملون وبقوله تعالى هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون فيه وصف لاهل الولاية
والحب ومدح لاهل الدرجات والقرب بقوله بصير بما يعملون اي لذلك جعلهم درجات عنده
ولقوله وليهم بما كانوا يعملون يقدا ابصار اعمالهم انتم فلم يجعلكم قبلهم اذ لم تزكوا اعمالكم
كاعمالهم بهذا كما قال فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا
ثم قال في وصف قلوبهم والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حكيما ثم قال في وصل
من القول انهم بمنزلة كلمة سوى بين هولا. وهولا. ان يعلم الله ما في قلوبكم خيرا
يوتكم خيرا ثم قال في ضدا وليهم كلاما فاصلا للوصل فيه الفصل ولو علم الله فيهم خيرا
لاسمعهم ولو اسمعهم بعد ان لا يجعل فيهم خيرا لتولوا وهم معرضون اي ليس له فيهم
شيء ولا لهم منه نصيب لانه لم يجعل عندهم وكان الخير فيوجد فيه خير فكان حسنا

بعض

بعض الخطاب وبلاغا لاولي الالباب تشهد لهم بزلفة انه قال افلم ييايس الذين امنوا ان لو يشا
الله لهدى الناس جميعا فيايس المومنون من هداية هولا. فلم يرجوا منهم مجاهدة فيئسوا
لان الله تعالى لا يهدي من يضل وقيل ييئس لغة بمعنى يعلم اي قد علموا انما اعلمهم ويشهد
لهذا المعنى الحرف الاخر لانه يقرا افلم يتبين الذين امنوا فيتبين لهم بما تبين الحسنى
بسلموا له فاقبلوا عليه واعرضوا عنهم فسلموا منهم ولذلك قال الولي الخبير وكذلك
نولي بعض الظالمين بعضا وقال تشابهت قلوبهم فيتبعون ما تشابه منه وكم بين
من ثبتنا قلبه فرسخ العلم فيه وبين طالب ازاغه بمال اي فتنة التاويل بينفعه وشتان
بين مرتولا بنفسه المصلح له وبين من دولا نفسه وولاه نفسه اي اعرض عنه بهذه مقامات
المبعدين كما قلنا ومقامات المقربين فقد دخلوا تحت حكمين لم يخرجوا منهما الا لاهم لم دخل
تحتنا فضله ولما ناهم لم يخرجوا من عدله وقد اجمل سبحانه وصفهم بقوله ليجزي الذين امنوا
وعملوا الصالحات من فضله وقال في ذكر العموم ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بال
بالقسط فجعل اوليا. في الفضل وعم خلقه في العدل وكم بين قلب لا يشهد الا الله ولا يسمع
الا منه ولا ينال الا اليه والله هو الغالب على همه ولا قرب الى قلبه وبين قلب حشوه
الخلق وهمه الرزق لا ينظر الا اليهم ولا يطمع الا فيهم ولا يشتكي الا لهم الخلق اغلب شيء
عليه والخلق اقرب شيء اليه فبين المبعدين بهم لان العبد صفتهم وطنون النفس
عليه وتحكم سلطانها فيه مكان البعد الذي يوجد البعد فيه ولا ولا من المقربين به
لان القرب صفته وخروجه من نفسه عنه وتسلمه ماله وكان القرب الذي يوجب القرب
عنده فنزلهم من السابقين اي زيدوا المبعد فينهك بنفسه عن ربه وقد قال تعالى فلا
تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين فالبعد عذاب والمبعد في عذاب والقرب
نعيم والمقرب على المزيد الم تسمع قوله سبحانه في تعذيب المحجوب كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم وقال في ترويح المقربين فاما ان كان من المقربين فروح ور
وريحان وجنة نعيم روح بقربه وريحان من حبيبه وجنة نعيم بقربه فنعم ذا وقد قال المتروح
بالقرب المعبر بالحضرة بالحضور

بروحي وريحاني اذا كنت حاضرا ... وان غبت فالدنيا علي محابس
اذا لم اناجيك في خلواتي ولم اعتز ... عليك فمنى لينك تشع في انامس

وقال المكروب بالبعد المغضب بالبعد

شعر

فكيف تضجع من اقضاه والكره ... فليس يبعد طب لا طبا.
من غص داوى بشرب الما. غصته ... فكيف يصنع من قد غص بالما.

وشتان بين عبد منقطع الى ربه بجرمه واخر منقطع بجرمه الخلق بعيد عنهم وكم بين
عبد منقطع عن الناس وبين عبد موصول به الوسواس وشتان بين عبد منقطع
بالشوق الى المولى وبين عبد منقطع بالهوى ومعاني الدنيا وهذه مقامات المقربين

الحسنى واضرابهم ومقامات المعروفين السوابق فاذا كان العبد على وصف من الحقيقة وكان في
مقام من التقوى استحق الثناء من مولاه ليحققه بالوصف ونال القرب من القريب
ليقربه من حظوظ النفس وفي حسن الثناء العظيم الاعظم غاية الطالبين ونهاية
رغبة الراغبين ولا يذكرون ذلك الا لاوليائه المتقين وحزبه المفلحين وعباده الصالحين
بهم اهل القلوب السليمة الطاهرة وذووا الجوارح الخاشعة الزاكية واولوا الا
لالباب الراجحة العاقلة وهم ثلاث طبقات من مقربي اصحاب اليمين اهل العلم بالله
تعالى واهل الحب لله تعالى واهل الخوف من الله تعالى وهولاء خصوص لاوليائه المؤمنين
استخرجهم مجردا واستودعهم العلم مجردا واستشهدهم عليه فشهدوا فيهم
لامانته عليه وشهود ليدله اليه وهم جامعو العباد به اليه وهو جامعهم عنده
لزيد ابدال الانبياء والربانيون من العلماء الائمة المتقين واركان البلاد اولوا القوة
والتمكين الذين كشف الله لهم الكتاب المستبين وهداهم اليه الطريق المستقيم
عليه وهم المنظور الى قلوبهم لعباد والمحصورون بالمزيد والنجب مساء وصباحا
ومن سواهم من عموم المومنين من القراء العباد واهل المجاهدة والاوراد فاعظمهم ا
الولايات دخرهم في الاعمال الصالحات والظن بهم الايات لتسكينا لقلوبهم ... وطمانينة
منهم اليها لئلا يدخل عليهم الشيطان فيهلكوا ولا تغرهم الشهوات فيرجعوا فيشغلوا
بالظاهر عن الظاهر ويحجبوا بالظواهر عن البواطن واغتبطوا بالحجاب وسكنوا الى الاسباب
وعكفوا على المقامات واستتروا بالملكوت والايات فهم مغبوطو الاموات من اهل
الدنيا وهم محرومو الاحياء من اهل العلا الاعلا فان قربهم بعد عند المقربين وكشفهم
حجب عند المشاهدين وعطاوهم رد عند المواجهين لان الله تعالى نظر اليهم لما نظروا
لنفوسهم حكمة ورحمة منه لهم لم يسكنهم في حالهم ورضاهم بمقامهم لكي لا تنقص قلوبهم
ولا تحجب عقولهم والسابقون الاولون هم الوجهة العليا والمتمسكون بالعروة
الوثقى نظروا اليه سبحانه وتعالى به فنظر اليهم منه فهم كما وصفهم ومن الناس
من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله لا يرجعون الاعمال ولا ينظرون الاحوال يحبهم
ويحبونه رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه فهم كما وصفوا في الكتب
السالفة قال الحواريون يا روح الله من اولياء الله الذين لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون فقال هم الذين نطق الكتاب به ونطقوا وبهم علم الكتاب وبه
علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى
ظاهرها وعاينوا اجل الدنيا حين عاين الناس عاجلها فاماتوا منها ما خشوا ا
ان يميتهم وتركوا منها ما علموا ان سيتركهم فصار ذكرهم منها قوتا وفرحهم بها
حزنا ما عارضهم منها رفضوه وما اتاهم منها بغير الحق وضعوه خلقت الدنيا عندهم
فلم يجددوها وخربت بينهم فلم يعمروها وماتت في صدورهم فلم يحيوها فهدموها

فبنوا بها اخرتهم احبوا ذكر الموت واماتوا ذكر الحياة يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون
بنوره ويضيئون به لهم خبر عجيب وعندهم الخبر العجيب وقال الله عز وجل في وصفهم
ومن احسن من الله حكما يتلوا الربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا
عليه شهداء وقال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما
بالقسط ويجمعها معنى غريب لطيف الجمع للشهداء اذ جعل وصفا لهم لما تقدم من ذكرهم
في قوله تعالى الصابرين والصادقين الى قوله والمستغفرين بالاسحار شهد الله اي
هم هولاء انه لا اله الا هو وقال كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم
الكتاب فهذا وصف زايد على كل وصف ويستغرق نعت الواصفين وجميع هذه المقامات
السبعة من المراقبة والمشاهدة حالان عن مقامين من المقامات كلها عليهما و
يستخرج المزيد من الكرامات منهما فاحدهما الخوف عن مقام العلم والحال الثاني
الرجاء عن مقام العمل فمن كان مقامه العلم بالله كان حاله الخوف منه ومن كان مقامه
الرجاء لله تعالى كانت حاله المعاملة لله تعالى الا لم تسمع الى قوله تعالى انما يخشى
الله من عباده العلماء وقوله فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا

الفصل الثلاثون

فيه كتاب ذكر تفصيل خواطر القلب للاهل ومعاملات القلوب وصفة القلب وتمثيله
بالانوار والجواهر **قال الله سبحانه وتعالى** ونفس وما سواها فالهمها فجورها
وتقواها الى الغني فيها ونفسه فيها وقال عز وجل ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما
توسوس به نفسه وقال تبارك وتعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله وقال
تعالى من شر الوسواس الخناس الاية وقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا
انما يدعوا حزبه وقال تعالى استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله وقال عز
وجل الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء وقال سبحانه مخبرا عن العدو لاقعدن
لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم الى اخر الاية **وروينا عن النبي**
صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن ادم في طرق قد وقعد له بطريق الاسلام
فقال اتسلم وتترك دينك ودين ابائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال
اتهاجر وتترك ارضك وسماءك فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له الجهاد هو
جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه فجاهد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك كان حقا على الله تعالى ان يدخله
الجنة وفي اخبار الله تعالى عنه لعنه الله تعالى انه قال ولاضلنهم ولامنينهم ولامرنهم
الى اخر الاية **وروينا** ان عثمان بن ابي العاص قال يا رسول الله حال الشيطان بيني
وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك الشيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه

وقد روينا في الخبر

وانفل عن يسارك ثلاث فال ففعلت ذلك فاذهبه الله تعالى عني
ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه
ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم والحديث المشهور ما منكم من احد الا وله شيطان
قالوا وانت يا رسول الله قال وانا الا ان الله تعالى اعانني عليه فاسلم وقال
ابن مسعود وقد روينا من طريق مسند ان في القلب لمتين لمة من الملك ايعاد بالخير
وتصديق بالحق ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير ورد

وروينا عن الحسن انه قال انما هما همان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم
من عدوه فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله امضاه وما كان من عدوه
جاهده وقال مجاهد في قوله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على
قلب الانسان فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه
وقال عكرمة الوسواس محله في الرجل في فؤاده وعينيه ومحله في المراة في عينيها
اذا اقبلت وفي عجيزتها اذا ادبرت وقال جرير بن عبيدة العدوي شكوت الى
العلاء بن زياد ما اجد في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت
الذي تمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا وتركوه وقد روينا ابو
صالح عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا اخطا
خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر وتاب صقل وان عاد
زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الران الذي ذكر الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون **وروينا** عن جعفر بن برقان قال سمعت ميمون بن مهران
يقول ان العبد اذا اذنب ذنبا نكت في قلبه بذلك نكتة سوداء فان تاب محيت
من قلبه فترى قلب المومن مجليا مثل المراة ما ياتيه الشيطان من ناحية الا يراه
واما العلم العقل فتوسط بين هذه الاربعة يصلح للمزموم فيه فيكون حجة على
العبد لمكان تمييز العقل وتقسيم المعقول لان العبد يدخل في هواه بشهوة
جعلت له واختيار لا يقع عليه من حيث لا يعقل ولا اختيار ويصلح ايضا للمحمود فيه
فيكون شاهد الملك وموئل الخاطر الروح ولا تبدلت العبد في حسن النية وصدق
المقصد وانما كان خاطر العقل تارة مع النفس والعدو وتارة مع الروح والملك حكمة
من الله لصنعته واتقانا للصنعة ليدخل العبد في الخير والشر بوجود معقول
وصحة شهود وتمييز فيكون عاقبة ذلك له من الجزاء والعقاب عليه لانه قد
جعل سبحانه هذا الجسم مكانا لجريان احكامه ومحلا لنفاذ مشيئته في مبانيه
حكمته كذلك جعل العقل مطية للخير والشر يجري معهما في خزانة الجسم اذ كان
مكانا للتكليف وموضعا للتصريف وسببا للتعبد العابر من معاني ذلك على
صورة العبد من لذة النعيم او عذاب اليم فلم يكن العقل غالبا فيكون العبد

عن العقل اجنبيا ولم تزك الشهوة غالبة فتكون النفس مفقودة انفي ذلك تضعيف الحجة لله
تعالى عليه وهذا ليس ها هنا لان العقل شاهد الحجة والشهوة في النفس مكان البلوى و
والنية في القلب طريق المحجة وذلك اصل سبب وجود الامر والنهي **فالعقل** مطبوع
على التمييز مجبول على التخليص والتفضيل والنفس مجبولة على الشهوة مطبوعة على
الاعوجاج والهوى وهذا نصيبهما من عطاياه وهذان نمثا الى مشاهده واعوانه وحظهما من الكتاب
وقسمتهما من وقع الاسباب كما قال في احكام ما ذكرناه تكملة فيما اخبر قال
مما سبق في علمه اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب
وقال كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير والخاطر السادس
هو خاطر اليقين وهو روح الايمان ومزيد العلم به ان اليه ويصدر عن عنه وهذا الخاطر
مخصوص مخصوص لا يجري الا الموقنون وهم الشهداء والصديقون لا يرد الا بحق وان خفي ور
روده ودق ولا يفتح الا بعلم اخفيا لمراد محتاج وان لطفت الادلة وبطن وجه الاستدلال
به ولكن ليس يخفى هذا الخاطر على مقصود به مراد له وهم الذين وصفهم الله تعالى
بالذكرى وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم بالفتيا فقال سبحانه ان في ذلك
لذكرى لمن كان له قلب اي من ثمرات الله حيا قلبه وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما حاك في صدرك فدعه فان الاثم حواز القلوب يعني ما يوثر فيها فيحاك فيهما
وصفا جلا وليهما وقال للرجل الذي سأله عن البر والاثم وهما اصلا اعمال الخير والشر
استفت قلبك وان افتاك المفتون اي ان المفتين يعلمون بطائن التاويل والرخصة عن
علمهم العلانية وانت على علم منهم وطالب بالتحقيق والعزيمة عن علماء السر واهل
الظاهر ايضا يعلمون حكم الله تعالى الظاهر عن علم اللسان الذي هو حجة على اهل العلم ان
الظاهر وقلبهم وفقيه متوثر بالايمان ينطق بحكم الله تعالى الباطن الذي هو حقيقة الايمان
ومنفعة لاهل العلم الباطن ولا يصلح اي رسول الله صلى الله عليه وسلم سائله الرد
الى فقيه فلولا ان علم القلب هو حقيقة الفقه ما رد صاحبه من بينها اهل الظاهر اليه
ولا حكم على المفتين به بعد ما ان علم القلب هو علم العلم اذ جعله الرسول صلى الله عليه
وسلم فاضلا على المفتين بالحكم وصار علم الباطن هو علم العلماء لا يسعه تغليب العلم
والحد الاخر اليه فاطمان اليه القلب وسكنت اليه النفس وان افتوك وان
ابتولم هذا وصف قلبه فكلما ضيع بالذكر وتغشى نفس ساكنة بمزيد السكينة واليقين
كما وصف من قلوب المومنين في صريح الكلام وفي دليل الخطاب فاقام حجة بقوله تعالى الذين
امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب وقوله تعالى هو الذي انزل
السكينة في قلوب المومنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وامام دليل الخطاب الكلام الذي
يستشهد بالتنزيل فقوله تعالى في وصف قلوب اعدائه الذين كانت اعينهم في غطاء عن
ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا وقوله اعنده علم الغيب فهو يرى فقيد ذلك معنا

في

ان عبادا المستجيبين له يسمعون منه كما يسمعون باذانهم فانظروا الى عيبه وقال تعالى
في مثله مثل الفريقين كالاعمى والاصم هذا مثل المتبعين للسبيل المتحيرين عن سواء السبيل
هم الضالين عن سواء الصراط والبصير والسميع هو فريق المهتدين والمتبعين للصراط
المستقيم وقال صلى الله عليه وسلم في محل صفة القلب التقوى ها هنا واشار الى القلب
وقال الله سبحانه وتعالى في ذكر القلوب المقفلة بالذنوب لو نشاء اصبناهم بذنوبهم و
ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون وقال تعالى في الطاعة بالتوبة في مفتاح القفل
فاتقوا بالتقوى واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله **وفي الخبر**
اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له زاجرا من نفسه وواعظا من قلبه **وفي الخبر الاخر**
من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ **وروينا في تفسير قوله**
ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان قال سمعنا من
قلوبنا وقال في ضده لا عرابا وليهم ينادون من مكان بعيد اي بعيد من قلوبهم وقال
تعالى في التوبة وميل القلوب وهما ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وبغيا
وهموا بما لم ينالوا فان يتوبوا يك خيرا لهم وقال في تحقيق العمى للقلب فانها لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور واهل القلوب يتعظون بالمواعظ من
خلق ويزدجرون بالزواجر من نظام وسائر ما خرج ذلك من الخواطر لا يعرفه الموقنون
والقلب خزانة الله تعالى من خزائن الغيب وهذه المعاني جنود الله تعالى وقيمة
حول القلب تجيء منها ما يشاء وتطيع ويبدي منها لمن يريد ويبعد ويمسك
القلب بما يشاء منها ويقبض فيما يشاء عنها وكل قلب اجتمع فيه ثلاثة معاني
لم تفارقه خواطر اليقين ولكن يضعف الخاطر ويخفى لضعف المعاني وقلتها ويقوى
اليقين ويظهر بقوتها لان هذه الثلاثة مكان اليقين احدها الايمان وموضعه من
اليقين مكان مخ النار والثاني العلم ومكانه موضع الزكاة والثالث العقل وهو
مكان الحراقة فاذا اجتمعت هذه الاسباب قدح خاطر اليقين في القلب ومثل القلب في
قوته بقوة مرة وفي ضعفه بجودة عود مثل المصباح في التعريف لما مكان العقل
منه والذبالة موضع العلم به وهو روح المصباح وبه يكون ظهور اليقين والفتيلة
مكان الايمان منه وهي اصله وقوامه الذي به ظهورها وعلى قدر قوة الفتيلة وجودة
جوهرها يقوى اليقين وهو مثل الايمان في قوته بالورع وكماله بالخوف وعلى مقدار
صفاء الزيت ورقته واتساعه تضيء النار التي هي اليقين وهو مثل العلم في هدية
الى هدى وقد الهوى فصار العلم مكان التوحيد فتحقق الموحد في التوحيد على قدر المكان
وقد قال الله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله وقال تعالى فاعلموا انما انزل بعلم الله وان
لا اله الا هو فقدم العلم على التوحيد فصار اوله فكلما اتسع القلب بالعلم بالله وزهد
في الدنيا ازداد ايمانه وعلا لانه يرى في علوه حلوة ما لا يراه غيره ويعلم في اتساعه

ما لا يعلمه

ما لا يعلمه سواه فيكشف للمؤمن به فيكون ذلك مزيد ايمانه وقوته ثم يشهد كلما امر به فيكون
بذلك قوة يقينه وسعة مشاهدته وكلما قوي علم القلب بالله عز وجل وبمعاني صفاته
واحكامه وملكوته قلت المؤمنات بفعل الايمان هذا العبد ثم استعمل ما امر به مزورا فجاوب تمثل
غلب عليه من حب الاسباب وسمع الكلام من خلف ستر الحجب عن السطار عنه الى البر فيضعف
بذلك ايمانه وتخييل مشاهدته ولا يحقق فيسر من علم من صفات الله سبحانه وتعالى وقدرته
وارادته ما بينه الى معنى ثم يشهدها الجاهل من قرب بمن كشف فمن علم منها عشرة معاني
ثم يشهدها فهي يفضل عن حجاب وهما مؤمنان معا لكن بين ايمانهما في القرب والعلو والزيادة لا
والنقصان كما بين العشرة الى مائة الف فيكون الايمان قلب المسلم معناه عشر ايمان
ايمان قلب الموقن والمعتبار هو عشر العشر جزء من مائة الف جزء ويكون ايمان قلب
المؤمن فيما بين ذلك من الزيادة على العشر والنقصان من مائة الف على قدر قسمه ومثل
ذلك فيما يعقله مثال رجل قال لك ان عمر في البلاد وقد حصل لك علم انه عمر غير ان هذا
العلم غير يقين لانه يجوز ان يكون قد اشتبه عليه او يكون قد كان عمر ثم خرج وليس
هو الان عمر وهذا مثل ايمان المسلم هو على علم خبر لاحد من انه قال اني الدار فتسمع
كلامه مزورا فجاوب فقد علمت الان انه عمر في الدار لانك سمعت كلامه واستدللت به
على كونه الا ان هذا العلم ايضا غير تحقيق لان الاصوات تشتبه والاجرام تتقارب
ولو قلت لك بعد ذلك لم يكن عمر في المنزل كان ذلك غيره اشبه صوته فشككت فيه
لاحتملت ذلك ولم يكن عندك يقين عين يدفع به قولي ولا شهادة تحكم بها عليه
وهذا مثل ايمان عموم المؤمنين وهو ايمان خبر كعمري وفيه يقين استدلال ممتزج بظن
لا انه غير مشاهدة تفتقر الى نظر لانه قد يدخل عليهم التمثيل والتشبيه فلا يرد عليه
بشبهة دون يقين ثم انك تدخل الان الدار قبل له هو عمر حيا او تبصر ان سمعت كلامه ف
فتشهد في الشك لا جاب فتحققه وتيقنه فهذا هو اليقين المعاينة وهذه مشاهدة الموقن
وعندها انتفاء كل شك وتحقيق خبر العلم وهذا مثل ايمان الموقنين الذين قد اندرج
فيه ايمان عموم المؤمنين من علم الخبر المحتمل ومن سمع الكلام المشتبه مزورا فجاوب
واسم الايمان واقع على جميعهم ولكن الاول علم انه عمر في الدار فقيل له بصدق والثاني
علم بما سمع ما شك ولم يشهد فيقطع والثالث هو الذي عاين فقطع **وقد**
شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالخبر وقال صلى الله عليه وسلم
ليس الخبر كالمعاينة وليس الخبر كالمعاين ومثل هذا ايضا ان ترى الشيء بالنهار
فتقع فيه مع عينك وتعرفه ومكانه ثم لا تقطعه ثم انك تختلج اليه ليلا فلست تعرفه
مكانه راي عين والخبر تتصوره بما فيه استدلال عليه وتحسن ظن انه موجود على حاله
او بمعهود انه لا يتحول وكذلك الادلة هي الغايات وسكونها مع المشاهدات
ويمثل انه ما رؤية الشيء بنور القمر فانه يشبه ويلوح المشكلات ورؤيته في ضياء الشمس

وانما تكشف الامور على ما يسر به فهذا مثل نور اليقين الى نور الايمان ومثل رابع في تفاوت
المومنين في حقيقة الكمال ودخولهم في الاسم والمعنى مثل صلاة رباعية اقيمت فجاء رجل
فادرك تكبيرة الاحرام ثم جاء آخر فادرك الركوع ثم جاء آخر فادرك الركعة الثانية
ثم جاء آخر فادرك الركعة الثالثة ثم جاء رابع فادرك الركعة الاخيرة فكلهم قد
صلى وقد ادرك الصلاة في جماعة ونال فضلها لقوله صلى الله عليه وسلم من ادرك من
الصلاة ركعة فقد ادرك الصلاة في جماعة وفاز بفضلها ولكن ليس من ادرك الركعة الاولى
في كمال الصلاة وادراك حقيقتها كمن ادرك الثالثة والرابعة ولا يكون ايضا من ادرك
التكبيرة للاحرام في الفضل كمن لم يدرك شيئا من القيام ومما قد ركان فعلى هذا كذلك المومنون
في كمال الايمان وحقائقه لا يستوون وان استووا في الاسم والمعنى وكذلك تفاوتهم في
الآخرة فقد جاء في الخبر انه يقال اخرجوا من النار من في قلبه مثقال من ايمان ونصف مثقال
وربع مثقال وشعيرة وذرة من ايمان فقد حصلوا فتفاوتهم في الايمان ما بين الذرة الى
المثقال وكلهم قد دخل النار لانهم على مقامات فيها وفيه دليل ان من كان في قلبه وزن
دينار من ايمان لم يمنعه ذلك من دخول النار لعظيم ما اقترفه من الاوزار وان كان من في
قلبه وزن ذرة من ايمان لم يحق عليه الخلود في دار الهوان لتعلقه بسهم من الايمان وان
من زاد ايمانه على زنة دينار لم يكن للنار عليه سلطان فكان من الابرار وان من نقص
ايمانه عن ذرة لم يخرج من النار وان كان مسلما واسمه في الظاهر في المومنين لانه في
علم الله تعالى من المنافقين الفجار **وقد قال الله تعالى** في وصفهم وان
الفجار لفي جحيم ثم قال وما هم عنها بغائبين ثم صاحب المثقال والذرة في الجنة
على تفاوت مقامات ودرجات وكان الزائد ايمانه على مثقال في اعلى عليين ارتفاع
الكوكب الدري في افق السماء وكلهم قد اجتمع في الجنة على تفاوت مقامات وتفاضل
درجات **وروينا عن رسول الله** صلى الله عليه وسلم ليس
شيء خير من الف مثله الا الانسان فلعمري ان قلب المومن خير من الف قلب
مسلم لان ايمانه فوق ايمان الف مومن وعلمه بالله تعالى اضعاف علم الف
مسلم ويقال ان واحدا من الابدال الثلاثمائة فيه ذلك الثلاثمائة مومن وكان ابو محمد
يقول يعطي الله تعالى بعض المومنين من الايمان بوزن جبل احد ويعطي بعضهم
مثقال ذرة وقد قال تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مومنين فالعلو هاهنا بالعلو في
الايمان فصار علو كل قلب على قدر ايمانه وكذلك رفع العلماء على المومنين درجات
في قوله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فقد فسرها ابن
عباس فقال الذين اوتوا العلم درجات فوق المومنين الذين لم يوتوا العلم بسبعمائة
درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض **وفي الخبر** اكثر اهل الجنة
البله وعليون لذوي الالباب وعن النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد

كفضل القمر على سائر الكواكب وروينا في لفظ ابلغ من هذا كفضلي على امتي والموقنون من المومنين
اعلا ايمانا والعالمون من الموقنين ارفع مقامات على قدر بياض الماء يستبين من الغدير
حسنه وصفاؤه من المومنين وهذا مثل العقل في محنته من الاعتلال وصفائه من كدر الاهوال
ويجمع ثم لهذا كله العقل وهو القلب فعلى قدر رقة القلب ولطف جوهره وصفائه من كدر الهوى وحسن
طهارته عن الاذى تكون تلك العلوم فيه ولا تزال جواهر الزجاجة في الصفاء محتاجة الى
صفاء الماء كما ان صفاء الماء محتاج الى صفاء الجوهر ومعيارهما سكون القلب والعقل ودوام
وقود النور محتاج الى قوة الفتيلة ومدد الزيت بموضعهما في القوة والمدد يكون العلم
بالله تعالى واليقين ذلك تقدير العزيز العليم وكل قلب اجتمع فيه ثلاثة معان لم تفارقه
خواطر الهوى والجهل والطمع وحب الدنيا ثم يضعف خاطر الهوى ويقوى على قدر ضعف هذه
الثلاثة وقوتها ويظهر الهوى في القلب ويخفى على قدر تمكن هذه الثلاثة من النفس
وخفائها على مثل ما ذكرناه من تمكن خواطر اليقين وضعفها لوجود مكانها وهو العلم والايمان
والعقل في القلب فيظهر سلطان ذلك اجمع فاي جنبة كانت المشيئة معه غلب ورب
وروينا عن عيسى عليه السلام ان لله عز وجل في ارضه آنية وهي القلوب فاحبها
اليه ارقها واصفاها ثم فسره فقال اصلبها في الدين واصفاها في اليقين وارقها على
الاخوان فمثل القلوب مثل الاواني في تفاوت جواهرها فارقها واصفاها اعلاها يصلح للملح والمزج
والطيب والنعيم وادناها يصلح للادناس وما بين ذلك يصلح لما بينهما وكذلك ايضا مثل
الموازين الطيار للطيب والمعيار يصلح لوزن الذهب بالذهب والقبان الجافي يصلح
للفحم والانعام وما بينهما يصلح لما بين ذلك فيوزن لكل ميزان ما يصلح له من كل شيء فمن وزن
كما يجعل في كل اناء ما يليق به من كل شيء فمن دل او وصف كذلك الحكم والحكمة في الملكوت
الباطن كالحكمة والحكم في الملك الظاهر فيعتبر بالظاهر الباطن وفي تفسير قوله عز وجل
مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة فسره ابي بن كعب فقال مثل نور المومن
وكذلك كان يقرؤه قال فقلب المومن هو المشكاة فيها مصباح فكلامه نور وعمله نور ود
وينقلب في نور ثم قال في قوله تعالى كظلمات في بحر لجي قال قلب المنافق فكلامه ظلمة
وعمله ظلمة ويتقلب في ظلمة وكان زيد بن اسلم يقول في قوله تعالى في لوح محفوظ قال قلب
المومن وقال ابو محمد سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي **وروينا**
في حديث ابن عمر قال قيل يا رسول الله اين الله في الارض
قال في قلوب عباده المومنين وفي الخبر المأثور عن الله سبحانه وتعالى لم تسعني
سمائي ولا ارضي ووسعني قلب عبدي المومن وفي بعضها اللين الوادع وفي بعضها السهل
الرقيق التقي والوادع يعني الساكن المطمئن **وفي الخبر** ما البشر العبد
ببسمة احسن من خشوع في سكينة وبشر ببسمة المتقين وصفة الله تعالى للعارفين
وفي الحديث قيل يا رسول الله من خير الناس فقال كل مومن مخموم القلب

ثم بشّر صلى الله عليه وسلم فقال هو التقي لا غش فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد وقال
بعض العارفين في معنى قوله تعالى إلا من أتى الله بقلب سليم ليس فيه غير الله وفي قول
أهل التفسير سليم من الشرك والنفاق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك في
أمتي أخفى من دبيب النمل وهذا لا يعرفه المؤمنون إلا الصديقون وقال أكثر منافقي
أمتي قراؤها لا يعرفه العابدون إلا العارفون ومن خواطر النفس ما يرد فيشتبه لا يكاد
لا يلحقه إلا الطالع لخفائه وغموض شواهده فليس يعلم إلا باطن العلم وغامض الفهم
والغوص على لطائف معاني التنزيل وباطن الاستنباط من فهم التنزيل وتعليم
التأويل كما قال الحبيب الخليل رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس اللهم
فقهه في الدين وعلمه التأويل وكما قال علي بن أبي طالب عليه السلام ما عندنا
شيء أسرّه النبي صلى الله عليه وسلم سوى كتاب الله تعالى إلا أن يؤتي
الله عبداً فهماً في كتابه وكما جاء في تفسير قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء قال الفهم
في كتاب الله تعالى وقال الله أصدق القائلين ففهمناها سليمان فخص بفهم منه وفقه
قلبه به زاده يعرف الحكم والعلم الذي شركه فيه أبوه أباه فزاده على فتيا أبيه وكذلك
روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل علي عليه السلام في الحديث الطويل
الذي يقول فيه واليقين على أربع شعب على تبصرة الفطنة وتأويل الحكمة وموعظة
العبرة وسنة الأولين فمن تبصر الفطنة تأول الحكمة ومن تأول الحكمة عرف العبرة ومن
عرف العبرة فكأنما كان في الأولين إلا أن أهل اليقين المرادين العارفين بأحكام الله تعالى
الباطنة يعلمون تفصيل خواطر اليقين وتقتضاها من حيث أشهدوا واطلعوا من الغيب وحيث
عرفوا موجبها من الوصف بنور الله تعالى الكاشف وقربه الحاضر وسلطانه الناظر كما جاء
في الخبر اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى أي باليقين وفي لفظ آخر
اتقوا فراسة العالم فكأنه يقيس له ومنه قوله تعالى وجعله لآيات للمتوسمين وقوله
قد بينا الآيات لقوم يوقنون أي بنور اليقين وكان أبو الدرداء يقول المؤمن ينظر
إلى الغيب من وراء ستر رقيق والله إنه للحق يقذفه الله تعالى في قلوبهم ويجريه
على ألسنتهم وقال بعض السلف ظن المؤمن كهانة أي كأنه يخبر من تعالى وتحقق
ونوعه وقال بعض العلماء يد الله على أفواه الحكماء لا ينطقون إلا بما هيأ الله لهم من
الحق وقال أيضاً إن شئتما لقلتما إن الله يطلع الخاشعين على سره وكتب عمر بن الخطاب
رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فإنهم تتجلى لهم أمور
صادقة وقال الله تعالى ومن أصدق من الله قيلا يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله
يجعل لكم فرقاناً قيل نوراً يفرقون به بين الشبهات وقيل يعرفون به المشكلات ومن
هذا قوله سبحانه ومن يتق الله يجعل له مخرجاً قيل له مخرجاً من كل أمر ضاق على الناس
ويرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علماً بغير تعلم ويفطنه بغير تجربة أي بالشاهد الصحيح

والعلم الصريح ومثل قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا قيل الذين يعملون
بما يعلمون قال أبو لنهدينهم إلى ما لا يعلمون حتى يكونوا علماء حكماء وقال بعض
السلف نزلت هذه الآية في المتعبدين المنقطعين إلى الله سبحانه وتعالى المتوحشين
من الناس فيسوق الله تعالى إليهم من يعلمهم أو يلهمهم التوفيق والعصمة وفي
الخبر من عمل بما يعلم أورثه تعالى علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب
الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار يعني
يورثه علم ما لم يعلم أي من علوم المعارف التي هي مواريث أعمال القلوب أي معرفة مثل
الفرق بين الاختيار والاختبار والابتلاء والاختبار والمثوبة والعقوبة ومعرفة النفس
من المزيد والقبض والبسط والحل والعقد والجمع والتفرقة إلى غير ذلك من علوم العارفين
بعد حسن التفقه في معرفة النفس والمزيد والانقاص مثل هذه الأقسام والقرب ومجة المراجعين
وصفات القلوب وقال بعض التابعين من عمل بعض ما يعلم علمه الله تعالى ما
يجهل ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما
يعمل حتى يستوجب النار وقد قال حذيفة أنتم اليوم في زمان من ترك عشر ما يعلم هلك
وسيأتي بعدكم زمان من عمل بعشر ما يعلم نجا وقال بعضهم كلما ازداد العبد عبادة واجتهاداً
ازداد القلب قوة ونشاطاً وكلما قل العبد ومنع ازداد القلب ضعفاً ووهناً وليس يجاهد
علم اليقين بقدح من معدن العقل لأن علوم العقل مخلوقات ولا يكاد بتنتجه الفكر ولا يخرجه
التدبير فيما انتقصه لا يكاد واستخرجته الفطن من الخواطر والعلوم فيه أنه علوم العقل وهي
كشوف للمؤمن ومحمودات لأهل الدين فأما خواطر اليقين فإنه يطلع من علم اليقين بنبأ ما
به العبد منادات وسعته فيما جاء أنه لأنه مخصوص به مراد ومقصود به محبوب مقرب به
مطلوب لا يجري لا عارف أو خائف أو محب ومن سواهم لا فيجا له محجوب وبعبادة أنه مطلوب
وإلى مقامه ناظر وفي طريقه بمعقوله سائر فأما العارفون المراجعون بعين اليقين
المكاشفون بعلم الصديقين فإنهم مسيرون ومحمولون وسائر عن فوق سيرهم ومن ثم فضلنا
لأذكارهم كما جاء في الخبر سيروا سبق المفردون قيل المفردون ومن يا رسول الله قال الذين
ويردون له تعالى بما أرادهم الله تعالى كما قال هذا بطال كغيب بما حضر الله فيه
ومن المفردين قال المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر أوزارهم فوردوا القيامة
خفافاً فلما وردهم الله تعالى لمن سوالهم له أجمع ولا لما سموا سبحانه وتعالى فيذكرهم
فما نستقلي عليهم ذكرناهم فلما صلح قلوبهم نوره فما رجع ذكرهم في ذكره فكان هو الذاكر لهم وكانوا
هم المكان للجار في قدرته عز وجل فلا يوزن مقدار هذا الذكر ولا يكتب كيفيته هذا الذي
فلو وضعت السموات والأرض في كفة رجح ذلك تعالى لهم بما دهم الذين قال لهم منزل مني
وأخيفته بوجهي يعلم أحد أي شيء أريد أن أعطيه لكان أقل من السموات والأرض في موازينهم
لا استقللته لهم أول ما أعطيهم أن أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر

عنهم وهذا هو كلامهم وأول عطاياهم وطلب هذا لا يعرف ونصيبهم لا يكيف وما
ومطلوبهم كنه قدره لا يوصف عطاؤهم غير مخلوق ومشاهدتهم وصف التحقيق بعين
اليقين أي حق اليقين فأول نصيبهم من مطلوبهم علم اليقين وهو صفاء المعرفة بالله
تعالى وآخر علم الإيمان أول علم عين اليقين وهو مشاهدة وصف معروف وهذه
وجهة التوحيد ولا آخر لأول عين علم اليقين ولا انقطاع لآخر نصيبهم من مشاهدتهم ف
لطائف التوحيد توحيد الله تعالى في كل شيء . وتوحيده بكل شيء . ومشاهدة الجلال
قبل كل شيء . ولا نهاية لعلم التوحيد ولا غاية لمزيد عطاء الموحدين ولكنهم مقامات
يقفون تحتها وغايات يصدرون عنها فيجعل أمامهم لمزيدهم ويزدادون في وسعها
ويبرون بعلوم يطلبون بها ما يكاد تعجز يديها وراءها أبدا للأبد فلا آخر ولا أمد ولا يقل
العبد إلى مشاهدة علم التوحيد إلا بعلم المعرفة وهو نور اليقين ولا يعطى نور اليقين
حتى يخف الجوارح بأعمال الصالحات كما يخف الزق باللبن حتى تخلص الزبدة وهي
علم اليقين وتحصيل هذه الزبدة غاية الطالبين لا يغيب الصبر بعين لأن وراء هذا
صفوها وخالصها ثم تذاب هذه الزبدة حتى يخلص سمنها وهو صفوها وثفلها يفنى وهذا
مثل لعين اليقين بعد علمه وبعد مشاهدة الوجه بميزان الغيب وهي نور لجنس
لا يقدر قدره وحسنه فيه جمع العبد من خواطر اليقين إلى مشاهدة الصفات
بعونه وفي علوم الخواص يتجوهن نوع شعاع الذات وهذا مقام الإحسان وإياه
الله بلغ المحسنين بعد مجاهدتهم النفوس فيه وبيعها مع الأموال منه بأحسن
إليهم بأشتر إيتاء منهم وكان معهم كما قال ليجزيهم ويصيبهم بما كانوا محسنين
لأن المحسن معهم كما كانوا الأعلين إلا الأعلا معهم وقد قال وأنتم الأعلون والله معكم
وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه
وينقل العبد من أعمال الجوارح وهي المجاهدة التي طرح عليه ثقلها فحملها بحملها
بما حمل ويحصل له ما استخرج إلى علم اليقين وهو الروح والإخلاص هذا هو هداية
سبيلها وأول هذا كله أن يدخل العبد بعد التوبة النصوح في أحوال المريدين وأعمال
المجاهدين للنفس والعدو ثم ينتقل إلى خواطر اليقين فهذا ميراث المجاهدين كما قال
والذين جاهدوا فينا يعني بنفوسهم وأموالهم وجاهدوا عدوهم الذي يعدهم الفقر
ويأمرهم بالفحشاء فصابروه فغلبوه فباعوا النفوس والأموال فاعتقوا من رق
الهوى وتحرروا من الحساب ولأهدوا الشرف فيهم سبلنا أي لنطرفهم إلى مكاشفات
العلوم ولنسمعنهم غرائب الفهوم ولنوصلنهم إلى أقرب الطرق إلينا لحسن مجاهدتهم
فينا ثم ختم الأمر بقوله تعالى وإن الله لمع المحسنين هذا مقام مشاهدة الصفات
بمكان الجهاد فيهم معهم ولا بالتوفيق فيه صبروا في التأديب وكان المحسن معهم
إلى اليوم فيه أحسنوا إلى نفوسهم غدا وروينا عن الحسن البصري عن رسول

الذي

الله صلى الله عليه وسلم العلم علمان فعلم باطن في القلب فذلكم هو النافع وكذلك قيل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره
للإسلام ما هذا الشرح فقال هذا التوسعة إن النور إذا قذف به في القلب انفسح له
الصدر وانشرح **وقال بعض العارفين** في قلب إذا أعجبته الله تعالى
يعني أنه لا يفلح فيه إلا طاعة ولا يبقى فيه إلا حق وقد صار رسل له البنية بالحل أعضا
فقد عصى المرسل يعني الختم الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل وبقوله صلى الله عليه
وسلم المؤمن ينظر بنور الله فمن نطق بنور الله كان على بصيرة من الله تعالى وكان عمله
بنور طاعته لله تعالى وقال بعض العارفين منذ عشرين سنة ما سكن قلبي إلى نفسي
ساعة وما سمعته قد عين وسئل بعض العلماء عن علم الباطن أي شيء هو فقال
سر من سر الله تعالى يقذفه في قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا
وقد روينا فيه خبرا مستترا حسنا أن نثبته وقد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال علمني من غرائب العلم فقال ما عرفت الرب فأخبر أن غرائب العلوم في المعرفة
وقد أوصى صلى الله عليه وسلم بإظهار العلوم التي فيه غرائب الفهوم فقال أعربوا
القرآن والتمسوا غرائبه يعني تدبروا معانيه واستنبطوا مواطنه إنه بكلامه عرفوا
أو ليأذن وقد قيل تكلموا تعرفوا المعنى عرف معاني الكلام ووجوه الخطاب عرف به معاني
الصفات وغرائب علوم الأسماء الذات وقال ابن مسعود من أراد علم الأولين والآخرين
القرآن وقال بعض أهل المعرفة في فهم هذه الآية إن الله يأمر بالعدل
والإحسان قال العدل تدبر القرآن وفهمه والإحسان مشاهدة الفهم وفي ذلك قيل
قول علي عليه السلام في صفة العدل شاهد لقوله هذا في حديثه الذي وصف فيه
شعب الإيمان فقال الإيمان على أربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد
ثم قال والعدل على أربع شعب غائص الفهم وزهرة العلم وروضة الحلم وشرائع
الحكم فمن فهم فسر جمل العلم ومن علم عرف شرائع الحكم ومن حلم بعمله أو عاش في الناس
حميدا وقال بعض الكاشفين كنت في المكة يسألني أن أملي عليه شيئا من كرمي
الخفي عن مشاهدتي من التوحيد فقال ما تكتب له عملا ونحن نحب أن نضع له عملا نتقرب
به إلى الله تعالى فقلت اليسر تكتبان العرائض فقال بلى قال فلك بكلمات له وهو تعالى
بعض العارفين فقال سألت بعض الأبدال عن مسألة من مشاهدة اليقين فالتفت
إلى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت إلى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم
أطرق إلى صدره فقال ما تقول رحمك الله ثم أجاب بأغرب جواب سمعته فيه وأعلاه
فقلت رأيتك التفت عن شمالك وعن يمينك ثم أقبلت على صدرك لماذا فقال سألتني
عن مسألة لم يكن عندي فيها علم عتيد فالتفت إلى صاحب الشمال فسألته عنها فظننت
أن عنده منها علما فقال لا أدري فسألت صاحب اليمين وهو أعلم منه فقال لا أدري

فنظرت الى قلبي فسألته فحدثني بما اجنه وانما هو على اعلم منهما وقد كان ابو يزيد و
غيره يقولون ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظه صار جاهلا
انما العالم الذي يأخذ علمه عن ربه اي وقت شاء بلا تحفظ ولا درس فهذا العالم الذي
لا ينسى علمه وهو ذاكر ابدا لا يحتاج الى كتاب وهو العالم الرباني وهذا الذي وصف قلوب
الابدال من الموقنين ليسوا اقويين مع جهل المذاهب فاليقين تجاذبني **وقد**
روينا في الخبر ان من امتي محدثين ومكلمين وان عمر منهم وقرأ ابن عباس
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين وهذا الحال
طريق التطلع من الصحابة وحيلة الثناء بعضهم اذا سألوا وتعبوا والهموا الصواب ه
لغيرهم من حسن التوفيق وسلوكهم حقيقة محجة الطريق بخالص اليقين اذا ورد
في قلب مرقد اضطرته مشاهدته الى القيام به وان خفي على غيره وحكم عليه
بيانه وبرهانه بحجة دليله وان التبس على سواه وقد قال الله تعالى في تخصيص
الموقنين قد بينا الآيات لقوم يوقنون هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون
هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وقال في وصف الكلام بل هو آيات بينات في
صدور الذين اوتوا العلم وقال وفصلنا الآيات لقوم يعلمون وقال ولنبينه لقوم يعلمون
فحقيقة العلم انما هو بين التقوى واليقين وهذا هو علم المعرفة المخصوص به المقربون
وسبب لهم الايمان وقصص بالبيان والدلالات بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه
شهداء. فهذه الخواطر تنبه في القلب عن هذه الاواسط التي هي خزائن الله تعالى
من خزائن الارض ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون والفقه
صفة القلب لا اللسان العرب يقول فقهت بمعنى فهمت وابن عباس يفسر قوله عز
وجل لهم قلوب لا يفقهون بها فجعل الفقه للقلب مخالط اليقين والروح والملك من
خزائن السموات وخالط العقل والنفس والعدو من خزائن الارض كما قيل النفس ترابية
خلقت من الارض فهي تميل الى التراب من خزائن السموات والروح روحانية
خلق من الملكوت فهي منزلة الى العلو والقلب خزانة من خزائن الملكوت ومثله
كالمرآة يقدم هذه الخواطر عن واسطة من خزائن الغيب فيرى في القلب فينال
لا يرد النار فمنها ما يقع في سمع القلب فيكون فهما ومنها ما يقع في بصر القلب
فيكون نظرا وهو الشاهد ومنها ما يقع في بصر القلب فيكون نظرا وهو المشاهدة
ومنها ما يقع في اللسان فيكون كلاما وهو الذوق ومنها ما يقع في شغاف القلب
فيكون علما وهو العلم وهو العقل المكتسب ثم العقل الغريزي وهذا اقلها
لشيئا وابيتها عنا. وما وقع في باطن القلب وهو محل القلب لا غير شغله
ووصل الى سويداه فهو المباشرة كان وجدا وهذا هو الحال عن مقام مشاهدة
ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم اسألك ايمانا يباشر قلبي وقال بعض العارفين

اذا كان

اذا كان الايمان في ظاهر القلب كان العبد محبا للآخرة والدنيا وكان مرة مع الله تعالى ومرة
مع نفسه فاذا دخل الايمان باطن القلب ابغض العبد الدنيا وهجر هواه **وقد قال**
عالمنا ابو محمد سهل رحمه الله للقلب تجويفان احدهما باطن وفيه السمع والبصر
وكان يسمي هذا قلب القلب والتجويف الآخر ظاهر القلب وفيه العقل ومثال العقل في
القلب مثل النكتة في العين هو صفاء الموضع مخصوص فيه تمييز لذلك الصفاء الذي في سواد
العين فاذا كانت هذه الخواطر عن واسطة الملك وهي الملمة والروح كانت تقوى
وهدى ورشدا وكانت من خزائن الجنة ومفتاح الرحمة فقد حسنت في قلب العبد نورا وطيبا
ادركه الحفظة ومن املاك اليمين فاثبتوها حسنات وان كانت الخواطر عن واسطة العد
والشهوات وهم العدو والنفس كانت فجورا وضلالا وهي من خزائن النقم ومفاتيح الا
غراض قد حسنت في القلب ظلمة وتنشر ادركه الحفظة من املاك الشمال فكتبوها
سيئات وكل ذلك للعام والغرا عن خالق النفس ومسويها وجبار القلوب في قلبه حكمة
فيه وعدل لمن يشاء ومنه فتنة وفضل لمن احب كما قال وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا في بيان ابتلائه
صدقا لاوليائه ما وعدهم من ثوابه وفي الاظلال عدلا على اعدائه ما اعد لهم من عقابه
ثم قال لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فهذه حقيقة التقادير لانه وهو ملك جبار عزيز
قهار نفاع عن مباشرة الاشياء اذا كانت تتعلق المشيئة وتطوع هذه فيتبعه قدرته
ارادته ويظهر حكمته افعل له اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون قدرته وكان بظاهر
حكمته والرب سبحانه قادر على كل شيء فبيده ملكوت كل شيء حكيم في كل شيء.
والعبد ضعيف عاجز جاهل ساه لا يقدر على شيء فقد ابتلي بالاسباب ووقع عليه
الحجاب وجعل مكانا للاحكام بالعقاب والثواب بالاسباب واسباب البلاء والعبد موضع
الابتلاء والله سبحانه وتعالى هو المبتلي المدبر المبدئ المعيد وننشئكم فيما لا تعلمون و
وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا والنفس يبتغي العبد لا ما اشبهها فلذلك تفاوت العباد
في المشاهدة ولا يستقيمن له الا ما ابقى له ولا يريده فعند ذلك اختلفوا في الدلائل فاذا اراد
الله عز وجل اظهار شيء من خزائن الغيب جدد النفس بلطيف القدرة فتحركت فاذا
تقدم من جوهر ما خرج كلمة سكنت في القلب همة سوء فيتلقى العدو الى القلب وهو
راصد للقلوب لديه مبسوطة والنفوس لديه منشورة ما فيها مما كان من عمله
المبتلى به الموصوف فيه فاذا رأى همة قد قدحت في النفس فاثبتت الكلمة في القلب
وكانت مقوية لسلطانه والهمة تقع على احد ثلاثة معان لا يحصى عددها الا الله همة
كل عبد على قدر نصيبه احدها هوى وهو عاجل حظ النفس ومنيته وهذا عن الجهل الغريزي
او دعوى حركة او سكون وهو اجتهاد العقل ومحنة القلب فأي هذه الثلاثة قدح في القلب
فهو وسوسة تلبيس وحضور عدو فمنسوب اليهما محكوم عليه بالذم لانه يصدر
عن احد ثلاثة اصول جهل او غفلة او طلب فضول الدنيا وهي محبة الدنيا ومصافات الى الدنيا

وعملها ولا يفظ مجاهرة النفس والعدو عن امضايها وصبر الجوارح عن السعي فيها
ان كان من فضول الدنيا المباحات فان كان من ضرورة الثلاثة وردت بالحاجات ويعرض عليه كف
الجوارح عن السعي فيها فان امرح قلبه في ذكرها او بسم خطواته في طلبها كان مجاهدا يفني
قلبه وبين اليقين وان كان ورد من المباحات وفضل لا دفعها من قلبه كيلا يكون قلبه وطنا
للغفلات واطلق الابتلاء من الله تعالى بالتقلب والاشتغال منه في التضريع ولذلك خلق
النفس والروح والموت والحياة وجعل ما على الارض زينة لها ليبلوهم ايهم احسن عملا في الزهد
فيها وينظر كيف تعملون فاذا اراد الله تعالى سلامة هذا العبد بعد ان اشرف على الهلاك
والبعد بتسليط العدو عليه وتسويل النفس له تلقى القلب عند الابتلاء فيرى الا
النفس بنور الايمان الى الله تعالى واستسلم والتجأ اليه واحسن التوكل عليه عند الابتلاء
واضطر مخلصا له فيما توكل عليه وكان حسبه عند ما فوض اليه فوفاه مكر عدوه م
وحبيبه اذا اضطر اليه واتقاه فجعل له مخرجا ونجاه فيلقي الله تعالى قوة الى القلب تكسر
النفس وتنفي الهمة وتخنس العدو ويسقط مكائده وتذهب بخنوسه سورة سلطانه
فيصفو القلب من التنائي بنور السراج المنير ويجلس من التجلي بقوة الغفار العزيز
فيخاف العبد مقام ربه لصفاء القلب عن ذلك الران تعالى فيبعد عن الخطيئة وهرب
ليستغفر منها ويتوب ويظهر عليه شعار تقواه وان اراد الله بعبد سلطة وكان
خذلهم بوقوع الشر تلقى القلب بعد الهمة بهوى النفس الى العقل الى النفس فتولت
وصوغتها فسكن العقل والايمان الى تسويل النفس وطوعتها فانشرح الصدر بالهوى
سكون العقل وانتشر الهوى في القلب لانشراح الصدر وتوسعته فيقوى سلطان العدو
ولا يسطاع مكائده فاقبل يتزين فيه وغروره واماتيه ووعده ويوحي بزلالها زخرف القول
غرورا فيضعف سلطان الايمان لقوة سلطان العدو وخبا نور اليقين لاظلام ظلمة
الهوى فقويت صفات النفس لضعف القلب واستغلب ثيران الشهوة فخبا نور الايمان
وغلب الهوى لقوة الشهوة فاحرقت الشهوة العلم والبيان فارتفع الحياء واستتر
الايمان بالشهوة فظهرت المعصية لغلبة الهوى وارتفاع التقوى وهذان المعنيان
من ظهور الخير والشر والطاعة والمعصية هي الاسباب توجدان في طرفة عين فتصير
اجزاء العبد جزءا واحدا وفيه صلاته تقوم بالمراد منه ووصل الواحد الكامل في السرعة
فتقلبها القدرة عن المشيئة اذ قال له كن فيكون وان اراد الله تعالى اظهار خير
والهام تقوى من خزائن الملكوت حرك الروح بخفي اللطف فتح كتابا وقدم من
جوهرها نور ساطع في القلب همة عالية وهمة الخير تزيد باحد ثلاثة معان في
لا تخفى فروعها لان كل عبد همته في الخير فيبلغ عمله ومنتهى مقامه واحد الاصول
فسارعه الى ام بعوض اوندب افضل يكون في عمل من اعمال العبد او علم يكون فضيلة لمن
ظهر عليه عن مكاشفة غيب من ملك او ملكوت والمعنى الثالث تحمل قيام من

تقوى

تقوى فيما يعنيه مما يعود صلاحه عليه واستراحة للنفس فيما ابيح له يكون تبعة لغيره
او زيادات من الاوكار لغلبة العادة في الجار ويكون همه الكريه وتخفيفا لثقله فيري مراقبة
للعبد واختبارا من المعبود وحكمة من الحكيم وفي كلها رضا فاما فرضا فضل للعبد وبعضها
افضل من بعض فهذه الاصول الستة من الخير والشر هي الفرق بين لمة الملك وبين لمة العدو وبين
الهام التقوى والهام الفجور الذي في النية والوسوسة ومنها الاختبار والاختيار ومن تقدم
من هذه المعاني مكاشفات ويزيد للعبد ينظر الى الله تعالى فيها ويجد الله تعالى في الوجد
عندها او يكون نعم يقدم الله تعالى معرفة اليه فيها ويفتح له بابا من نشر الشوق فمن ثم
ثم يتفاوت العباد في مشاهدة الخفا على حسب علومهم في اليقين وعلى قدر قربهم ومكانهم
من التمكين لان اصول معاني الخير انما اسطحها الهام الملك والقا في الروح وفوائد الا
الانوار في كتب الايمان وفروعها الاخرة والعلم مما امر به او ندب اليه والمباح واصول معاني
الشر اضدادها واسطحها النفس والعدو واسبابها الشهوة والهوى يظهر عن غشى
الجهل ويرفعني الحجاب ويصير الى عقاب فاذا اراد الله تعالى اظهار خير من خزانة
الروح حركها فسطعت نورا في القلب فاذا نظر الملك الى القلب فيرى ما احدث الله
تعالى فيه فيطلع مكانه فيتمكن على مثال فعل العدو في خزانة الشر وهي النفس
والملك مجبول على الهداية مطبوع على حب الطاعة كما ان العبد مجبول على الغواية
مطبوع على حب المعصية فيلقي الملك الالهام وهو حضور على القلب بقدح خواطره
في نية عزيمة له ويحسنه له ويحثه عليه وهذا هو الهام التقوى والرشد ويبشر
الملك الى اليقين كما ان العدو الى النفس فيستنير اليقين كما الملك فيرد اليه يعني العقل ويدعو
الى شهادة اليقين ويصير العقل الان باذن الله تعالى مع الملك مشاهدا الله تعالى كما كان
مع النفس اول مرة مطمئنا اليها فينشرح الصدر لطمانينة العقل فيظهر دلالة العلم
لانشراح الصدر فيقوى سلطان اليقين لصفاء الايمان ويندرج ظلمة الهوى في نور
اليقين وتنطفي شعلة الشهوة لظهور نور الايمان ويزيد الايمان بزينة الحياء فتضعف
صفات النفس لسقوط الشهوة ويقوى القلب لضعف النفس ويزيد الايمان بقوة اليقين
وظهور دلالة العلم فيغلب الهداية لمزيد الايمان ولبسه الحياء فتظهر الطاعة لغلبة
الحق والله غالب على امره

ذكر نوع اخر من البيان

وقد تختلف اللمتان من الملك والعدو ويتفاوت الالهام والوسوسة في المعاني
من الخير والشر فربما تقدمت لمة العدو بالامر بالشر وتعقبها بعدها لمة الملك نصيحة
للعبد وتثبيتا على الخير وعناية من الرب ذكرا فيهما عز ذلك ويعلي العبد ان يعصي

الخاطر الاول ويطيع الثاني وقد يتقدم الهاتف الملكي بالامر بالخير ثم يتقدم بعده خاطر
العدو ويأمر بالنهي عنه والتثبط والتاخير لأنه يأمر بالتاخير محنة من الله تعالى للعبد ليتبين
كيف يعمل وحسرات العدو ويطلبه ان يطيع الخاطر الاول ويعصي الخاطر الثاني ثم تترى
الخواطر من الهاتف الملكي بالخير ومن وسوسة العدو بالشر وقد يتعاوضان ذلك فتضعف خاطر
الخير لقوة الرغبة في الدنيا ومن قوة خاطر الشر لقوة الشهوة والهوى وفي الخير والنهي
منهما والتعجيل والتاخير بهما التفاوت في الاحكام والارادة من الحاكم ومن قبل تقلب القلوب
وغرائب الاحكام بالمشيئة لأنه له في خزائنة الخير خزائنة الشر اذا شاء ولله في خزائن
الشر خزائنة الخير ان احب لمن يحب لئلا يسكن الى سواه ولا يزول العبد مفتقرا منه
ابدا بانه نشهد العارفين ذلك لانهم لم يقطعوا بخير ولم يزل بد ابدا لانه لا جلاء في الملكوت
تقليب خزائني الشر من خزائنة الخير الا عليه ابدا ولم يستتر من شر عليه ابدا لانه قد
يرجوا تقليب خزائني الخير من خزائني الشر فيكون بين الخوف والرجاء لا يرجح احدهما
لا بد من دقائق العلوم ولطائف الفهوم وغوامض العقل وصفات الانوار من تقليب الرحيم
الجبار فما كان العبد مجبر بعد خطرة الشر خطرة خير يبقى عنها ويبقى منظور اليه
مقرر اليه وهذا احد الوجوه الغامضة في التقلب والانزعاج المؤدية للعقل وقد تتراءى في
خواطر الشر من النفس والهوى ولا يتعقبه خاطر خير من الملك وهذا علامة البعد
ونهاية قسوة القلب وقد يتتابع خواطر الخير والبر من الروح والملك ويعلى في العبد
من خواطر الهوى والنفس وهذا علامة القرب وهو حال المقربين وقد ترد خواطر
العدو ووسوسته بالخير والشر ابتلاء من الله تعالى لعبده وحيلة من العدو ومكرا
من النفس يريد العدو بذلك الشر او يخرجه الى اخر الى الامر او يقطعه بذلك من واجب
او يشغله به عن الافضل عن ربه في الحال فيكون ظاهره برا وباطنه اثما ويكون اوله
خيرا او اخره شرا ويغيبه العدو من ذلك باطنه واخره وشهوة النفس في ذلك ...
ومنها ما يلتبس ظاهره بالخير زينة ونحوها وله بالبر تحسينا وهذا من احد ما
يبتلى به العاملون ولا يعرف بواطنه وسرائره الا العالمون كما قال تعالى عاملة
ناصبة تصلى نارا حامية واما خاطر الملك فلا يرد الا بخير صريح وبر محض على كل
حال انه ورد لان الخداع والحيلة ليس من وصف الملائكة ولكن تنقطع خواطر الملك
عن القلب اذا استمرت قسوته ودامت وحشته من المتعبد بين فتحالي بين القلب
وبين نوازع العدو اللعين وتخلي العدو وهوى النفس فيستحوذ ويفتتن بذلك العبد
نعوذ بالله من ايعاده ووعده وخيره وانشائه ولا يزال العبد مع الهمام الملكي في مقام
الايمان فاذا رفع الى مقام اليقين تولاه الله تعالى بواسطة انوار الروح ومكان الروح
ومكان العقل الحق حتى يرد عليه من الله تعالى وحيا اسرار ما لا يطلع عليه الملك ولا يكون
له حتى يعفي خواطر النفس بالهوى ولا يبقى منها باقية وتطوى النفس فيدرج

في الروح فلا تظهر منها داعية ثم يتبرأ الله تعالى بنور اليقين فيسمع له نور
اليقين من خزائنة الغيب بمكاشفة الخبر ثم يشهد العبد شهادة الحق بالحق
ومعاينة الغيب بعين كونه ووجد كينونة المخبر وما لا يصلح بمعرفته لكشفه
لا لاهله ولمن يسال عنه وهذا يكون في مقام التوحيد مخصة المقربين

ذكر نبا اخر من تفصيل المعاني

وكل عمل وان قل لا بد فيه من خالصة معانيه قد استأثر الله تعالى بنورها ولها التوفيق
وهو لا تعلم الى تجمع بينها وبين الشيء ثم القوة وهي اسماء لمعان اخركة الحق هي
اول الفعل ثم الحسن وهو تمام الفعل الذي به يتم وقد رده الله عز وجل الى اصول النبي
يظهر عنها كل عمل اليه فقال سبحانه وما توفيقي الا بالله وقال ما شاء
الله لا قوة الا بالله ان تحرى قال عز وجل واصبر وما صبرك الا بالله وقد اجمل الله عز وجل
ذكر تقليب الكون بمشيئته في قوله تعالى يقلب الله الليل والنهار والمعنى بالاحيثية انهما
ظرفان للاشياء وفصل عنهما ايضا كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار والمعنى مكركم في الليل
والنهار فيهما فعبر بهما عن مكرهم لانهما مكان لمكرهم وكذلك قوله تعالى وله ما سكن في
الليل والنهار فيهما وجهان احدهما الى ما اقام من الساكني والثاني ما سكن من السكون
والمانع من السكون يكون الحركة لانه هو الاصل حتى تحل وهو الاول في المعنى والعدم والنفي يليه
حادث حادث قبلها والان الله تعالى واجابه ويجوز ايضا ذكر السكون ليستدل به على
الحركة لانه ضدها كما قال سرابيل تقيكم الحر وهي ايضا تقي البرد فذكر احد الوصفين
ليستدل به على الاخر وقال سبحانه وتعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم

وكان قسم رسول الله

صلى الله عليه وسلم لا ومقلب القلوب لما شهد من عظيم القدرة ولطيف الصنع في
التقليب ولما راى من سرعة تقلب القدرة بالالهام في المتقلبات لما لم يشهد سواه فجعله
قسما لتعظيم القدرة المخلوق به وخوفا من سوابق العلم بالتقليب وكان يقول صلى الله
عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا اتخاف يا رسول الله قال وما
يؤمنني والقلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وفي لفظ
حديث اخر ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه وقد روي عنه
صلى الله عليه وسلم مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وفي خبر اخر مثل
القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليا وفي الخبر المشهور مثل القلب كمثل ريشة بارض

بلانه يلغيها الى يلاحظهما لبطئ ما القلب مكان للتقليب لما جبه من خفي انى الغيب كما الليل
والنهار ومكان الاحكام بالتنويع من اختلاف الازمان في الاوقات والايمان يتقلب
القلوب وبان المقلب يحول بين القلب وبين صاحبه واجب وقد قيد الله عز وجل بالايمان
دا لبعضنا والامر بهما **في قوله تعالى** واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه
وانه اليه تحشرون وعبر ابن عباس فقال يحول بين المومن وبين الكفر ويحول بين
الكافر وبين الايمان وقيل يحول بين العبد وبين الاستجابة لله تعالى والرسول وقيل
يحول بين المومن وبين سوء الخاتمة وبين الكافر وبين حسنى الخاتمة ويقال يحول المومن بين
وبين ان يلغيه في كبيرة يهلك فيها وبين المنافق وبين ان يوفقه للطاعة ينجو بها
ويحول بين الموحد وبين الخاتمة بالتوحيد وهذه مخاوف للمومنين بتحقيق الوعيد وكذلك
السكون بالاسم عند الموحدين في الفترة بالتقليب لكمال بغيته في رجع علاجه وقليله
الفترة على نسبة الغافر ولتيسر في الفترة ثبتها لانسابته لا بغرفة محتاج الى زمان
ولا مكان بل الظهر من الملك وتبين المعينون لمكان وزمان من اجل الحكمة والصنع والا يقال
وما خفي من الملكوت تقلب سائر القلوب بلطف الفترة دون السلطان ونصيب كل
عبد من مشاهدة الفترة بقدر نصيبه من التوحيد ونصيبه من التوحيد حسب نصيبه
من اليقين ونصيبه من اليقين على قدر قربه من القريب وقربه على حسب قرب الله تعالى من
قلبه وقرب الله تعالى منه بقدر علمه بالله عز وجل واتساعه في العلم بالله عز وجل على
قدر كلامه من مزيد الايمان ومزيد ايمانه على قدر احسان الله تعالى اليه واحسانه اليه
على قدر عنايته به واختياره له وعلم الله من وراء ذلك وهذا اخر القدر المحجوب المختزن
ونصيب كل عبد من الجهل على قدر نصيبه من العقل ونصيبه من الغفلة على حسب حبه
للدنيا وحبه للدنيا على قدر قوة الهوى وقوته في الهوى على قدر سلطان النفس وتمكن
صفاتها عليه وقوة صفات النفس على قدر ضعف اليقين وضعف يقينه عن كشافة
الحجاب بعد البعد بينه وبين الله عز وجل والحجاب والبعد من اكبر الكبر وقسوة القلب
والقسوة تورث الانهماك في المعاصي والادمان المعاصي عن الاعراض والمقت والمقت
والاعراض من فلتة عناية المولى بعبده وسوء حظه له من وراء ذلك لما سبق القدر الذي به
عن الخلق قد استتر فهذه الاوصاف المذمومة العبد منقلب بها على تضاد تلك الصفات
المحمودة التي هي من المنعم فضلا وكل وجهة هو موليها ومكان الهوى من القلب على
قدر تزين الحال الحول وتسليطه عليه فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن
ذا الذي ينصركم من بعده وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير
فلا راد لفضله فيا ايها الانسان صاحب هو المضل لمن يريد **وقد قال تعالى** فان
الله لا يهدي من يضل اي فان الله من كماله ان اخرا لا يهدي من اضله ومن كان اضله في

سابق

سابق علمه ويكيف يهديه لان كذلك قال على الحرف الاخر فان الله لا يهدي من يضل فلانه الكاف
المعطي هو المانع فمن يعطي ولو كان الحبيب كله في قلب عبد ما قدر ان يوصل الى قلبه
من قلبه ذرة ولا استطاع ان يتبع نفسه بنفسه خردلة لان قلبه وان كان حيا رحمته
وهو خردلة انته وله فيه ما لا يعلم هو فهو لا يطلع على ما فيه كما قال فجبل من جبله وتخالف
اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا وكيف به ان يملك ما فيه وهو يقلب بالتجنب وقد
قال صلى الله عليه وسلم سبحان مقلب القلوب **وقد خاطب الله
تعالى** سيد البشر لان تجري ويقال قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء
الله فقال يعزة لهم قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن يجيرني من الله احد ولن
اجد من دونه ملتحدا واذا كان الملك عن ذا حجابا وكان لكل شيء بيده لم يوصل الى ما عنده
بقوة ولا حيلة فليسر الطريق اليه الا الصدق والاخلاص والذل والافتقار ومن حجب
العقل المكبر عن الشك الى المنبر في المعتبر بالظهر له من صورته بعينه دله على الاول
المصور وعن القادر الحركة ما عليه عن نفسه الى حركته وسكونه النفسي في حجبه له عن الحي ما
الغيب الا على الحركة والسكون بنفسه لوقوف نظره على نفسه اذ كان مشهوده اوعمي
عن النظر الى الشاهد الحي المسكن لبعد مقامه لانه غيب من وراء الحركة والغيب لا يشهد
الا بغيب وهو اليقين لما لا تدركه الشهادة لا يشهده وهي العين فمن عمي يسوء
لم ير من الملك شيئا فلعدم اليقين لما لا تدركه الشهادة لا يشهده وهي العين فمن عمي
يسوء لم ير من الملك شيئا ولعدم اليقين عمي عن المشاهدة ولا يقاع الحجبة والحجاب الاول
بالمعقول الشهادة ولو كان من اولي الابصار لاعتبر الحركة الغيبية بالمتحرك المشاهد
بحكمة ان الحركة غيب في الجسم لكن عنها المتحرك لما ظهر سبحانه المتحرك واخفى الحركة فيه والظهر
الصنعة واخفى الصنيع فيه بدليل للتفصيل وحكمة كذلك الصانع ذو الصنعة الاول والحاكم
الاعلى ذو الحكم لا غالب عجيب عن الحركة التي احتجب بها هو من وراء ايلاطايف الفترة
يشهد المعقول ما اشهد كما اظهر له وحجبه لانه معقول عليه محدود له وعمي عما غيب
عنه لفقد اليقين منه ويشهد الاعمال الحركة والسكون للشاهد محجبة دلالة على الشهيد
ويشهد الموحد شهادة التوحيد برهانا كشف له من الملكوت بنور اليقين بالمرده
وقد قال بعض العارفين من نظر في توحيده الى عمله لم ينجه توحيده
من النار ومن كان توحيده في الدنيا معلقا بعلة لم يجد توحيده معه الى القيم اعتب
ان هذا الايمان الذي يقال اخرجوا من النار من كان في قلبه وزن مثقال من ايمان فيه
زاد على هذا المقدار فهو متصل باليقين وهو مزيد بالروح ونوره الروح لا تطيقه
ولا تنطفي فهو المزحزح عن النار وقد قال بعض علمائنا من ظن انه يصل الى الله تعالى
بغير الله تعالى قطع به ومن استعان على عبادة الله عز وجل بنفسه وكل الى نفسه
ثم ان الخلق المحجوبون بعد هذا الحجاب بثلاثة حجب بعضها اكشف من بعض احدها او

أو أسباب وأسباب معترضة وشهوات جاذبة وعادات راجعة صادرة بالأسباب توقفهم
عليها والشهوات تجذبهم إليها والعادات تدعوهم بهما فإن منزلة الحجب لهم في القلب
وبعضها أشد عليه من بعض فهو مكان للعدو أوسع من مكان يتمكن سلطانه على
قدر سعة مكانه وقربه النفس من العدو وسولت فيما قبله فملكت النفس
العبد كان محمولها أسيرها وكانت بالهوى أسيرة فاستهوته الشياطين حيرانا بالغوايات
والضلال واستحوذ عليه بمطالبه المتشابكة في الأولاد والأموال فيشغله بذلك عن
الله سبحانه وأنساه ذكر الله عز وجل وهذا هو الأسف إن الذي ذمه الله تعالى في قوله
ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وهو يورث النزغ والهم والخاطر بعد الهمة وهو
خطور العدو على القلب بالوسوسة يزين الهمة ويملي للعبد ويمنيه ويبسط له في
أمله ويلبسه التسويف حتى يهون عليه المعصية ويغره بعد العقوبة حتى يجترئ على
الخطيئة وهذا هو الوعد بالغرور ويعده الطلاح والنيل كما قال يعدهم ويمنيهم التوبة
ويمنيهم بالمغفرة وما يعدهم الشيطان إلا غرورا وهذا كله تصريف لكيد العدو بالعبد
وابتلاء العبد له بالهوى عن مقام البعد ولكشف العلم الله تعالى بإظهار الحكم وإنفاذ
المشيئة وهو ابتلاء بالأسباب وصار العدو سببا كقوله تعالى ولقد صدق عليهم إبليس
ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين ثم أحكم ذلك بسابق علمه فقال وما كان له عليهم من
سلطان يعني بحوله وقوته إلا في مشيئته إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في
شك أي لنرى وقيل لنعلم المؤمنين ذلك فيستثنيهم ويعلم من علم ذلك الأعمال التي
ظهرت منه فيوقع عليه بذلك الحجة ويبقى له كغيره كما قال ليعلم الله الذين صدقوا
ويعلم الكاذبين فعلى هذه المعاني يجوز كل ما في كتاب الله عز وجل من قوله لنعلم و
حتى نعلم إذ كان علمه قد سبق المعلومات وإذا كانت لا سبيل عن علمه يعلمه على
حالاتها فجعل تسليط العدو وسلطانه كشفا وإظهارا لما أخفاه من سابق علمه
كما جعل أعمال العبد الظاهرة كشفا وإظهارا لإرادته الباطنة وروينا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم سبق العلم وجف القلم وقضي القضاء بالسعادة
من الله تعالى لأهل الطاعة وبالشقاء من الله تعالى لأهل معصيته

ذكر تقسيم الخواطر وتفصيل أسمائها

فأنسبه حمل الخواطر ما وقع في القلب من عمل الخير وهو إلهام وما وقع من عمل الشر وهو
وسواس وما وقع في القلب من المخاوف فهو إحساس وما كان من تقدير الخير وتأمله
فهو نية وما كان من تدبير الأمور المباحات وترجيح الطمع فيها فهو أمل وأمنية وما
كان من تذكر الآخرة والوعد والوعيد فهو تذكر وتفكر وما كان من معاينة الغيب

يعني

يعني اليقين فهو مشاهدة وما كان من تحرك النفس بمطالبتها وتشوقها إلى أحوالها فهو هم
وما كان من خواطر العادات ونوازع الشهوات فهو تمني ويسمى جميع ذلك خواطر لأنه
خطور همة نفس أو حضور عدو أو خاطر أو خلق فلذلك تميز بأن تنسب الخواطر المتشبهة عن
مراتب الغيب القائمة في القلب على تسميته معانيه ومقره حدوث الشيء أول ثلاثة
منها مقدمة مطالب بها أول ثم ذلك الهمة وهو ما يبدو من وسوسة النفس بالشيء. ب
يجري العبد بالحسم كالبرقة فإن صرفها بالذكر انمحقت وإن تمكنها بالغفلة كانت خطرة
وهو خطور العدو بالتزيين وإن نفى الخاطر ذهب وإن وقع عنه قوي فصار وسوسة
وهذه محادثة النفس للعدو وإصغاؤها إليه فإن نفى العبد هذه الوسوسة بذكر
الله تعالى خنس العدو وضعفت النفس وهذه الثلاث مقدمة برحمة الله تعالى عن مؤاخذة
العبد وإن أخرج العبد النفس في محادثة العدو وطاولت النفس العدو بالأفعال والمحادثة
قويت الوسوسة فصارت نية فإن أبدل العبد هذه النية بنية خير أو شفع منها
وتاب وإلا قويت فصارت عقدا فإن حل هذا العقد بالتوبة وهو الإصرار وإلا قوي فصار عزما
وهو القصد وهذه الثلاثة من أعمال القلوب مأخوذ بها العبد ومسئول عنها فإن تداركه
الله تعالى بعد العزم وإلا تمكن العزم فصار طلبا وسعيا وظهر العمل على الجوارح فسمي
خزانة الغيب والملكوت فصار من أعمال الجسم في خزانة الملك والشهادة فترك المعاصي
توجد من أعمال البر ولا ثم ما كان منها من البر مكتوبة ونية وما كان محسوبا للعبد
في باب النيات مكتوبا له في ديوان الإرادات له به حسنات وما كان منها من الشر نية
وعقدا وعزما فعلى العبد به مؤاخذة من باب أعمال القلوب في نيات السوء وعقود
المعاصي وليس لشيء محادثة للعدو ومؤاخ له إلا النفس جمع الله بينهما في الوسوسة
بقوله الوسواس الخناس **وقوله** تعالى ونعلم ما توسوس به نفسه وكل شيء. ح
خلق الله تعالى فله ضد وضد النفس الشيطان وضد الروح ثم إن أعمال الجوا
الجوارح من الطاعة أو المعصية أعظم من الأجر والوزن فعلا إلا ما يبنى
أن يعمله بظاهر الجسم من شهوة النوع أو وجود شيء أو كبر أو اعتقاد بدعة ب

باب آخر من البيان والتفصيل

فأما ما كان من لائح يلوح في القلب من معصية ثم ينقلب فلا يلبث فهذا نزغ من قبل العدو
وما كان في القلب من هوى ثابتا أو حال من محبة دائم لا ينفك فهو من قبل النفس لأنها
بطبعها ومطالبة منها ليس بعادة لها وما ورد على العبد من همة بخطيئة ووجد
العبد فيه كراهة منها فلم يرد من قبل العدو والكراهة من قبل الإيمان وما وجد العبد وجدا
بهوى أو معصية ثم ورد عليه المنع من ذلك فالوجد من النفس والوارد بالمنع من الملك

وما وجد العبد من ذكر في عاقبة الدنيا او ندم في الحال وذلك الى محمود جزاء من قبل الفضل
وما وجد من خوف او حياء او ورع او زهد او من نقصان الاخرة جزاء عن الايمان وما تشهد
القلب من تعظيم وهيبة او اجلال او قرب جزاء من اليقين وهو من بر الايمان واليه يرجع
الامر كله فاعبده وتوكل عليه كما قال صاحب الامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ
بك منك وانما هذا تفصيل الحدود واظهار المكان والاحكام العلم كما قال الله تعالى وكل
شيء فصلناه تفصيلا وقال قد فصلنا الآية لقوم يعلمون وليس في التوحيد تفصيل
ولا في المشاهدة تفرقة ولا في الانتقال غيبان ولا في القدرة تغيب ولكن لابد من علم التفصيل
لانه عن التوحيد وهو التفرقة وبلسان الشرع من عين الجمع لاظهار الحرف والاستتار
السبيل وتطريق الشمائل التي زين بها العاملين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي
عن بينة والله غالب على امره **وقد فصل العلماء** اعمال العباد وفرق
بين الامر والارادة فقال ان اعمال العباد لا تخلو من ثلاثة انواع فرض وفضل ومعصية
قال فنقول ان الفرض بامر الله تعالى ومحبة الله ومشيئة الله تجمع هذه المعاني
الثلاثة في الفرائض قال ونقول ان النفل لا بامر الله لانه لم يوجبه ولا يعاقب على تركه
ولكن بمحبة الله ومشيئة الله اي لانه شرعه وندب اليه قال ونقول ان المعصية
لا بامر الله لانه لم يشرعها على السنة الرسل ولا بمحبة الله لانه قد كرهها ولم يامر بها
ولم يندب ولكن بمشيئة الله اذ لا يخرج شيء من ارادته كما لم يخرج شيء من علمه و
والارادة والمشيئة اسمان لمعنى واحد فقد تدخل كل شيء فيها كما دخل كل شيء في العلم
بالله سبحانه عالم بما اراده قد سبق به علمه كذلك هو مريد لما علمه الخلق ارادته
سابق علمه وكشف على الغيب فظهور ارادته الشهادة فهو عالم الغيب والشهادة
فالغيب علمه والشهادة معلومه فكيف تخالف المعلوم العلم وهو اجراه والارادة
تعيين العلم في معلومات الخلق وهذا اخر التوحيد ثم خرجت النوافل عن الامر وخرجت
المعاصي عن المحبة في تفصيل الاحكام وتبيين الحلال والحرام ولم تخرج عن الامر عن مشيئته
وقد قال الله جل ثناؤه وكل صغير وكبير مستطر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس فقد جعلهن الطبيعتين هما سبب المنع والعطاء
وقد فرق علماؤنا بين الامر والارادة في قول الطبيعة **فحدثني** بعض اهل الحسنا انه سئل
عن قول الله عز وجل للملائكة وابليس بالسجود لآدم اراده منه ذلك ام لا فقال اراد له ولم يرد
منه فعصيه ارادته له تشريعا واظهارا او عليه ايجابا ولم يرد منه وقوعا ولا كونا انه لو
اراد كونه لكان ولو اراده فعلا لوقع لقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فلما
لم يكن علمت انه لم يرده فقد كان الامر معنى ارادته بالتكليف والتعبد وارادته بان
لا يسجد ولم يقدر ان يمتنع من ان لا يسجد كما لم يقدر ان يمتنع من ان يوحي وكذلك القول
في نهيه آدم صلى الله عليه وسلم عن اكل الشجرة انه اراد الاكل منه ولم يرد له اي ارادة

ووقوعا او كونها فقد وجد فكان كقوله انما امرنا ان نقول له كن فيكون فلما كان علمت انه
اراده ولم يرده تشريعا لانه لم يامر به ولا شرعه له فقد كان الامر ان حقيقة الارادة ان يكون ال
العبد مكلفا مامورا او ارادة الاكل لانه قد كان وكذلك القول في كل ما امر به واراده انه
اراد الامر والنهي لهم ليكونوا مكلفين متعبدين ولم يرد ممن لم يكن منه الانتهاء والانتهاء لانه
قال انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فاخبر انه اذا اراد شيئا كونه كما
انه اذا كون شيئا فقد اراده بدلالة كونه فلما لم يكن الامر من العاصين علمنا انه لم يرده
اذ لو اراده كان ولما كان النهي عن المامور به علمنا انه اراد كونه اذ لو لم يرده لم يكن فصار
كون الشيء دليلا على ارادته وقد وقعت الارادة بالامر والنهي فكان الكل مامورين منهيين
ولم يقع الفعل من الكل لانه لم يرده وقوعا اذ لو اراده كان وهذا اصل الابتلاء والارادة ظهور
البلاء بامر الله سبحانه بالشيء ويريد كون ضده وقد اراد الامر به حسب وينهى عن الشيء
ويريد كونه وقد اراد النهي عنه فقط وقد كان عالمنا ابو الحسن يتكلم في علم الامر والحكم
وفي علم الابتلاء والقدر بمعان لا ينبغي ان تقال اليوم ولا يحتمل عنهما احد ان يظهر الامر
بالقول ويظهر النهي بالفعل ويظهر الاحكام الوقوع البلاء ويقيم الجوارح بالحكم على
ارادته للابتلاء وقد يروي الحسن البصري رحمه الله قبله وهو امامنا في هذا العلم يشير
التعذيب على جريان العلم ومحل العقد لا ولما بلغه ان عمرو بن عبيد وهو امام المعتزلة اليوم
واليه نسبوا لما اعتزل الحسن البصري بعد ان صحبه ولم يحتمل له بحثه بلغه انه يقول ان
الله لا يرضى بالشيء ثم يعذب عليه فقال له ويلك ان الله عز وجل لا يعذب على جريان
حكمه وانما يعذب على محل العقد او تقسيم لك ان ما حكمه الله تعالى متبوع ابدا ولم يجعل
فيه اثرا ولا عيبا لم يعذب عليه لانه لم يجعل للعبد مدخلا فيه بشهوة ولا فعل ان ما قضاه
على العبد مما المدخل فيه بقصده وشهوته عذبه عليه وهذا من شؤم النفس وذكر
الخلق انما ادخل في شيء انقلب عليها شره والامة مجمعة على قولهم ما شاء الله كان وما
لم يشا لم يكن واجمعت على قول لا حول ولا قوة الا بالله فهذا عام في كل شيء ليس في بعض
الاشياء دون بعض والحول في اللغة هو الحركة العرب تقول للشخص يبدو من بعيد
يلحظ انه انسان او شجرة او شجرة انظر اليه فان كان يحول فهو انسان اي يتحرك والقوة هو
الثبات بعد الحركة وهو اول الصبر حتى يظهر العمل بقوة الله تعالى **وقد روينا**
في تفسير ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله
ولا قوة على طاعة الله الا بعون الله وهذا التفصيل في هذه المعاني من الاحكام وهو ظاهر
العلم ومن عرض القدر ومجرى التنزيل والشرع والحكم للملك الجبار يحكم في خلقه على ما شاء كما اخلفهم
كما شاء ويردهم الى ما شاء الله كما بيناه ومنهم فيما نشاء فالحكم لله العلي الكبير الواحد
القهار يقضي في عباده كيف يشاء ويحكم عليهم ما يشاء وله الحجة البالغة والعزة القاهرة والقدرة
والقدرة النافذة والمشيئة السابقة يوصف الربوبية ويحكم الحكيم فيه وعليهم الاستسلام

والانقياد والاجتماع طوعا وكرها بوصف العبودية وعجز المملكة ان كان فيه ان يقول لكم
هو دينكم ان تعبدوه فانهم عبيد له ومرجعهم الى الله فقصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين
لله الامر من قبل ومن بعد

الفصل الحادي والثلاثون

فيه كتاب العلم وتفضيله واوصاف العلماء والفرق بين العالم الظاهر والباطن وبين
علماء الدنيا وعلماء الاخرة وفضل اهل المعرفة على علماء الظاهر

ذكر معنى قوله صلى الله عليه وسلم

طلب العلم فريضة على كل مسلم **وفي الحديث الآخر**
اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة قال عالمنا ابو محمد سهل رحمه الله اراد بذلك
علم الحال يعني علم حال العبد من مقامه الذي اقيم فيه فان يعلم حكم حاله الذي بينه
وبين الله عز وجل في دنيا وآخرة خاصة فيقوم باحكام الله تعالى عليه من ذلك وقال
بعض العارفين معناه طلب علم معرفة الوقت وقيام العبد بحكم ساعته وما يقتضي
منه في كل ساعة من نهار، **قال بعض علماء الشام** انما عني به طلب علم الا
خلاص ومعرفة آفات النفوس ووساوسها ومعرفة مكايد العدو وخدعه ومكره
وغروره وما يصلح الاعمال ويفسدها فريضة لانه من حيث كان الاخلاص في الاعمال ف
ريضة ومن حيث امر بعداوة ابليس لزم علمه لانه ويذهب الى هذا القول عبد الرحيم
بن يحيى الارموي ومن تابعه **وقال بعض البصريين** معناه طلب علم القلوب
ومعرفة الخواطر وتفصيلها فريضة لانها رسل الله تعالى الى العبد ووسوسة العدو والن
فس فيستجيب لله تعالى فيتفقد ما قصد اليه ويجعل ابتلاء من الله تعالى للعبد
واختبار فيقتضيه مجاهدة نفسه في نفيها وان اول البنية التي هي اول كل عمل
وعنها تظهر الافعال وعلى قدرها تضاعف الاعمال فيحتاج ان يعرف بين لمة الملك
وبين لمة العدو وبين خاطر الروح ووسوسة النفس وبين علم اليقين وقوادح العقل
ليميز بذلك الاحكام وهذا عنده فريضة وهو مذهب مالك بن دينار وفرقد السبخي
وعبد الواحد بن زيد واتباعهم من النساك **وقد كان استاذهم الحسن البصري**
يتكلم في ذلك وعنه حملوا علوم القلوب وقال عباد اهل الشام معناه طلب علم الحلال
فريضة اذ فرائض الله تعالى بعد ما اجمع المسلمون على تفسيقه اكل الحرام ومن جاء في خبر
اخر كانه فسر ان طلب الحلال فريضة بعد الفريضة وقال في هذا القول ابراهيم

ابن ادهم

بن ادهم ويوسف بن اسباط ووهيب بن الورد وشعيب بن حرب وقال بعض مشايخ الطائفة
من اهل المعرفة معناه طلب علم الباطن فريضة على اهله قال وهذا مخصوص لاهل القلوب ممن
اشتغل به واهتم منه دون غيرهم من عوام المسلمين ولانه قد جاء في لفظ الحديث الآخر تعلموا
اليقين بمعناه اطلبوا علم اليقين وعلم اليقين لا يوجد الا عند الموقنين وهو من اعمال الـ
موقنين المخصوصين في قلوب العارفين وهو العلم النافع الذي هو حال العبد عند الله تعالى
ومقامه من الله تعالى كما اشهد له الحق الاخر في قوله صلى الله عليه وسلم وعلم بالحق في القلب
فهو العلم النافع بهذا التقسيم ما اجمل في غيره وقال جندب كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيعلمنا الايمان ثم يعلمنا القرآن فازددنا به ايمانا وسياتي قوم يتعلمون
القرآن قبل الايمان يعني يعلمنا علم الايمان وهذا مذهب تسماه اهل النبوة **وقال بعض**
السلف انه معناه طلب علم ما لا يسع جهله من علم التوحيد واصول الامر والنهي والفرق
بين الحلال والحرام اذ لا غاية لسائر العلوم يعني له وكلما يقع عليه اسم علم من حيث هي
معلومات ثم قد اجمعوا ان ليس بتعليم ما زاد على ما ذكرنا فرضا وانما فيه فضل او ندب وقال
بعض فقهاء الكوفة معناه طلب علم البيع والشراء والنكاح والطلاق والامة اذا اراد الدخول
فيه افترض عليه مع دخوله فيه لك الطلب علمه لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يتجر في
سوقنا هذا الا من تفقه والا اكل الربا شاء ام ابا وكما قيل تفقه ثم اتجر وقال الى هذا
سفيان الثوري وابو حنيفة واصحابهما وقال بعض المتقدمين من علماء خراسان هو ان
يكون الرجل في منزله فيريد ان يعمل شيئا من امر الدين او يختلج على قلبه مسالة الله سبحانه
فيها حكم وتعبد وعلى العبد فيه له اعتقاد او عمل فلا يسعه ان يسكت على ذلك ولا يجوز
ان يعمل فيه برايه ولا يحكم بهواه فعليه ان يلتمس تعلمه ويخرج فيسال عن اعلم اهل بلده فيـ
ـسئله عن ذلك عند النازلة فهذا فريضة وحكي هذا القول عن ابن المبارك وبعض اصحاب
الحديث وقال اخرون يعني طلب علم التوحيد فرضا وانما اختلفوا في كيفية الطلب وما
هية الاصابة فمنهم من قال من طريق الاستدلال والاعتبار ومنهم من قال من طريق البحث
والنظر ومنهم من قال من طريق التوفيق والاثر وقالت طائفة من هؤلاء انما اراد الطلب
علم الشبهات والمشكلات اذا سمعها العبد وابتلى بها وقد كان يسعه ترك الطلب
اذا كان غافلا عنها على اصل التسليم ومعتقد جملة المسلمين لا يقع في وهمه ولا يحيك في صدره
شيء من الشبهات فيسعه ترك البحث فاذا وقع في سمعه شيء من ذلك وقر في قلبه ولم
يكن عنده تفصيل ذلك وقصده ويعرف به حقيقته من باطله لم يحل له ان يسكت عليه لئلا
يعتقد باطلا او ينفي حقا فافترض عليه طلب علم ذلك من العلماء به فيستكشفه
حتى يكون على اليقين من امره فيعتقد من ذلك الحق وينفي الباطل ولا يقعد عن الطلب فيـ
ـكون مقيما على شبهة فيتبع الهوى او يكون شاكا في الدين فيعدل عن طريق المؤمنين
او يعتقد بدعة فيخرج بذلك عن السنة ومذهب الجماعة وهو لا يعلم وبهذا المعنى كان

أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول في دعائه اللهم أرنا الحق حقا فنتبعه وأرنا الباطل
باطلا فنجتنبه ولا تجعله متشابها علينا فنتبع الهوى وهذا مذهب أبي ثور وإبراهيم
بن خالد الكلبي وداود بن علي والحسين الكرابيسي والحارث بن أسد المحاسبي ومن
تابعهم من المتكلمين فهذه أقوال العلماء في معنى هذا الخبر حكيناها لئلا نعزي علماء بتبديل
لمذاهبهم على معنى مذهب كل طائفة واختصرنا الكل القول بالألفاظ لنا والمعنى لهم
وهذا كله حسن ومحتمل وهؤلاء كلهم وإن اختلفوا في تقسيم الحديث بالألفاظ فإنهم متفقون
متقاربون في المعنى لأن أهل الظاهر منهم قالوا إنهم حملوه على ما يعلمون وأهل الباطن تأولوه
على علمهم ولعمري إن الظاهر والباطن علمان لا يستغني أحدهما عن صاحبه بمنزلة
الإسلام والإيمان مرتبط كل واحد منهما بالآخر كالجسم والقلب لا ينفك أحدهما عن
صاحبه وهؤلاء المختلفون في الأقوال مجمعون أنه صلى الله عليه وسلم لم يرد بذلك طلب
علم الأقضية والفتاوى ولا علم الاختلاف والمذاهب ولا كتب الأحاديث لأن لا تفتيش
رضه وإن كان الله تعالى لا يخلي من ذلك من يقيمه في حفظه والذب عنه لأنه حفيظه. ومعنى
هذا الخبر والله أعلم أن قوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة يعني علم هذه
الفرائض الخمس التي بني الإسلام عليها من حيث لم تفترض على المسلمين غير هذه
ثم إن العمل لا يصح إلا بعلمه فأول العلم به فصار علم العمل فرضا من حيث افترض العمل
فلما لم يكن على المسلمين فرض من الأعمال إلا هذه الخمس صار طلب علم هذه الخمس فرضا
لأنه فرض الفرض وعلم التوحيد داخل فيها لأنه في أوله شهادة أن لا إله إلا الله فدخل
فيها إثبات صفاته المتصلة بذاته ونفي صفات سواه المنفصلة عن إيلائه كله داخل
في علم شهادة أن لا إله إلا الله وعلم الإخلاص داخل في صحة الإسلام إذ لا يكون مسلما
إلا بإخلاص العمل لقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم إخلاص
العمل لله فبهذا تبين أنه في الإسلام ولا خلاف في هذا أنه لم يرد صلى الله عليه وسلم كل ما
جاز أن يكون معلوما بالإجماع لأمته أنه لم يفرض بذلك علم الطب والنجوم ولا علم النحو
والشعر والمغازي وهذه تسمى علوما لأنها تكون معلومة وأربابها علماء بها
لأن الشرع لم يرد به ثم لم يختصا بالأمة جميعه أيضا أنه لم يرد بذلك علم الفتيا
والقضاء ولا علم افتراق المذاهب واختلاف الآراء وهذه تسمى علوما عند أهلها ولذا
بعضها فرض على الكفاية ولذا سقطته عن الأعيان والخبر جاء بلفظ العموم بذكر
الكلية ومعنى الاسم فقال طلب العلم فريضة ثم قال على كل مسلم بعد قوله صلى الله
عليه وسلم اطلبوا العلم فكان هذا على الأعيان وكأنه على ما وقع عليه اسم العلم
ومعناه المعهود المعروف بإدخال التعريف عليه والاسم فيه الألف واللام البدلة
بطلب هذه الوجوه صح أن قوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم
أي طلب علم ما بني الإسلام عليه فافترض على المسلمين علمه فريضة بدليل قوله صلى

الله عليه وسلم للأعرابي حين سأله أخبرني ماذا افترض الله تعالى علي وفي لفظ آخر
أخبرنا بما للرجل رحمك الله تعالى البيان به وأخبره بالشهادتين والصلاة الخمس وال
والزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت فقال هل علي غيرها فقال لا إلا أن تتطوع
فقال والله لا أزيد عليها شيئا ولا أنقص منها شيئا فقال أفلح ودخل الجنة إن صدق
فكان علم هذه الخمسة المفترضة فريضة من حيث كان معلومه فريضة إذ لا عمل إلا بعلم
وقد قال عز وجل إلا من شهد بالحق وهم يعلمون وقال في مثله حتى تعلموا ما تقولون وقال
هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وقال بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم
بغير علم فمن يهدي من أضل الله وقال تعالى ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن
يغنوا عنك من الله شيئا وقال سبحانه فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو
وقال فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون فهذه الآي افترض الله تعالى فيها طلب
العلم وذلك الخبر الذي جاء في أبنية الإسلام الخمسة افترض رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيه هذه الأعمال ثم قال طلب العلم فريضة ثم ذكره بقوله صلى الله عليه وسلم
على كل مسلم فكان تفسيرا لمجمله وتفصيلا أن علم هذه الخمس التي هي أبنية الإسلام
فرض لأجل فرضها وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق وسأله عن رجل والناس
مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة فقال بما قالوا بالشعر والأنساب
وأيام العرب فقال هذا علم لا يضر جهله ولا ينفع علمه. وفي لفظ آخر علم لا ينفع وجهل لا يضر وقد قيل
في الخبر إن من العلم جهلا وإن من القول عيا وفي الخبر قليل من التوفيق خير من
كثير العلم وفي خبر غريب لكل شيء يحتاج إلى العلم والعلم يحتاج إلى التوفيق والخبر
المشهور أعوذ بك من علم لا ينفع فسمى علمه إذ كان معلوما وإن كان علما عند أصحابه
ثم رفع المنفعة عنهم واستعاذ منه وقد روينا في خبر. آخر إن الشيطان ما سبقكم
بالعلم قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال في العلم قائلا وللعمل مسوفا
حتى يموت وما عمل حتى يموت وفي هذا الخبر دليل أن أحد معانيه أنه أريد به طلب فضول
العلم الذي لا ينفع في الآخرة ولا من سنة في طلبه من الله والثاني أن العلم المفضل المندوب
إليه المأمور الذي يقتضي العمل لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يأمر بعمل بغير علم
ولا يكره طلب العلم للعمل به ألا تسمع إلى قوله صلى الله عليه وسلم في الخبر الآخر وفضل
من علم أحب إلي من فضل من عمل وخير دينكم الورع

ذِكرُ فَضلِ عِلمِ المَعرِفَةِ وَاليَقِين

على سائر العلوم وكشف طريق علماء السلف الصالح من علماء الدنيا والآخرة فبعض رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الوصف من صحابته كلهم علماء بالله تعالى فهماء عن الله تعالى أهل

اهل رضوان من الله تعالى ولم ينصب نفسه الى الفتيا ولا جملة عنده الاحكام والفضايل
الا بضعة عشر رجلا وكان ابن عمر اذا سيل عن الفتيا قال اذهب الى الامير الذي تقلد
امور الناس فضعها في عنقه وروي نحو ذلك عن انس وعن جماعة من الصحابة والتابعين
لهم باحسان وكان ابن مسعود يقول ان الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه
لمجنون وكان ابن عمر يسيل عن عشر مسايل فيجيب عن مسألة ويسكت عن تسعة وكان
ابن عباس على ضده لذلك كان يسيل عن عشرة فيجيب في تسعة ويسكت عن واحدة وكان
من الفقهاء من يقول لا ادري اكثر من ان يقول ادري منهم سفيان الثوري ومالك بن
انس واحمد بن حنبل والفضيل بن عياض وبشر بن الحارث وكانوا في مجالسهم يجيبون عن
بعض ويسكتون عن بعض ولم يكونوا يجيبون في كل ما يسئلون عنه وروينا عن عبد
الرحمن ابن ابي ليلى قال ادركت في هذا المسجد مائة وعشرين من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما منهم من احد يسيل عن حديث او فتيا الا ود ان اخاه كفاه ذلك
وفي لفظ اخر كانت المسئلة تعرض على احدهم فيردها الى الاخر ويردها الاخر الى الاخر
حتى ترجع الى الذي سيل عنها اولا وروي عن ابي مسعود وابن عمر وغيرهم من التابعين
وقد روينا مسندا لا يفتي الناس الا ثلاثة امير او مامور او متكلف
بتدوصلة لما ان الامير هو الذي يتكلم في علم الفتيا والاحكام كذلك كان الامرا يسئلون
ويفتون والمامور الذي ياذن له الامير فيقيمه مقامه ويستعين به لشغله
بالرعية والمتكلف هو القاص الذي يتكلم في القصص السالفة ويقص اخبار من
مضى لان ذلك لا يحتاج اليه في الحال ولم يندب المتكلم اليه من العلوم وقد يدخله
الزيادة والنقصان والاختلاف ولذلك كره القصص وطردوا القصاص من المتكلفين
وقد جاء في لفظ الحديث الاخر بتاويل معناه لا يتكلم
على الناس الا ثلاثة امير او مامور او مراءي فكان قوله امير هو المفتي في الاقضية
والاحكام كما ذكرنا لا نعلم معنى مامور هو العالم بالله عز وجل الزاهد في الدنيا
يتكلم في علم الايمان واليقين وفي علم القران والحث على صالح الاعمال المترتبة
من الله تعالى لانه من الله تعالى لدي ذلك لقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقد كان ابو هريرة وغيره يقول لولا ايتان
في كتاب الله ما حدثتكم بحديث ابدا ثم يتلو اخرى الاية التي قبلها ويقول قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اتى الله تعالى عالما علما الا اخذ عليه من الميثاق
ما اخذ على النبيين ان يبينه ولا يكتمه واما المراءي فهو المتكلم في علوم الدنيا
الناطق عن الهوى يستميل بذلك قلوب الناس ويجتذب بكلامه المزيد من الدنيا و
الرفعة بها **وقال بعض العلما** كان الصحابة والتابعون باحسان
يتدافعون اربعة اشيا الامانة والوديعة والوصية والفتيا وقال بعضهم كان اسرعهم

الى الفتيا اقلهم علما واشدهم دفعا لها وتوقيا عنها اورعهم وقال بعض السلف كان
شغل الصحابة والتابعين باحسان في خمسة اشيا قراءة القران وعمارة المساجد
وذكر الله تعالى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كل كلام ابن ادم عليه لا له الا ثلاث امر بمعروف او نهي عن المنكر او ذكر الله تعالى
وهو اصدق القايلين لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين
الناس وروي بعض اصحاب الحديث بعض فقهاء الكوفة من اهل الراي يعرفونه في المنام
قال فقلت له ما فعلت فيما كنت عليه من الفتيا والراي فكره وجهه واعرض عنه وقال
ما وجدناه شيئا وما حمدنا عاقبته وحدثونا عن علي بن نصر بن علي الجهضمي عن ابيه قال
رايت الخليل بن احمد في النوم بعد موته فقلت ما احد اعقل من الخليل لاسالنه فقلت ارايت
ما كنا فيه فانه لم ار شيئا ما رايته انفع من قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر وحدثونا عن بعض الاشياخ قال رايت بعض العلما في المنام فقلت له ما
فعلت تلك العلوم التي كنا نتجادل فيها ونتناظر عليها فقال بسط يده ونفخ فيها وقال
طاحت كلها هباء منثورا ما انتفعنا الا بركعتين خلصتا في جوف الليل وحدثت عن ابي محمد
السجستاني قال كان بعض اصحابنا كثير الطلب للحديث حسن المعرفة به فلما رايته في النوم
قلت ما فعل الله بك فسكت فاعرضت عليه فسكت فقلت غفر الله لك فقال لا قلت
لم قال الذنوب كثيرة والمناقشة دقيقة ولكن قد وعدت بخير وانا ارجو خيرا فقلت اي
الاعمال وجدت فيما هناك افضل قال الصلاة في جوف الليل وقراءة القران قلت فايما
افضل ما كنت تقرا او تقري فقال ما كنت اقري قلت فكيف وجدت قولنا فلان ثقة وفلان
ضعيف فقال ان اخلصت فيه النية لم يكن لك ولا عليك **وحدثت** عن بعض
الشيوخ قال حدثني احمد بن عمر الخلقاني قال رايت في منامي كاني في طريق امضي الحج
صاحبني رجل ما قيل عليه وهو يقول وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله
فقلت لذي نعصيه فقال لم ولذلك الذي خلقهما لتعرفنا باني اسمي رحمه الله فلا عرضنا عن
الرجل واقبلت عن السمي فقلت هذا استاذنا ومودبنا الذي كان يوديبنا في الدنيا
ثم قلت للرجل ابا الحسن انك قد صرت الى الله تعالى فاخبرنا باي عمل تقبله الله تعالى فاخبر
بيري ثم قال تعالى بجنبات انا وهو الى بنية مثل الكعبة فوقفنا الى جانبها انه انتهى
علينا من البنية شيخ فلما دخل الموضع فاوحى سمي اليه اوسلنا نحوه وكان مهيبا
نصحا وانا ايضا فصبر لحمد ذلك الشيخ الذي كان فوق البنية يراه فاخذ في مشيه
اليه فلم اقدر ان اتبين من الانوار كانت في ذلك المكان ثم قال قد سمعت كلامه مع
الشيخ كل خلق في القران محمود تدعله وكل خلق في القران مذموم تنتهي عنه وحسبه
هذا وقد حدثونا عن سهل التستري قال كان شاب يطلب علم الظاهر ويواظب عليه ثم ترك
ذلك لمه وانقطع واشتغل بالعبادة فسالته عنه فاذا هو قد اعتزل الناس وتفرغ لنفسه

بتعب فقلت له قد كنت حريصا على طلب علم الظاهر فما بالك انقطعت فقال يا ابن اخي رايت في
النوم قائلا يقول لي من ضيع العلم ضيعه الله فقلت اني احفظه فقال ان حفظ العلم
العمل به فتركت الطلب واقبلت على التخلي بيده للعمل **وقد كان ابن مسعود**
يقول ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم الخشية وقال غيره من الحكماء انما العلم
نور يقذفه الله تعالى في القلب وكان الحسن البصري يقول اعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن
يجزيكم الله تعالى عليه حتى تعملوا ان السفهاء همتهم الرواية وان العلماء
همتهم الرعاية وروينا عنه ايضا ان الله لا يعبأ بكل قول ولا رواية انما يعبأ بمن يريد بهم و
دراية وقال ابو حصين ان احدهم ليفتي في مسئلة لو وردت على عمر بن الخطاب رضي
الله عنه لجمع لها اهل بدر وقال غيره ليسال احدهم عن شيء فيسرع في الفتيا ولو سئل اهل
بدر عنها لاعضلتهم وقال عبد الرحمن بن يحيى الاسود وغيره من العلماء ان علم الاحكام
والفتيا في كان الولاة والامراء يقومون به وترجع العامة اليهم فيه ثم ضعف الامراء ومن بعدهم
الولاة عن ذلك لميلهم الى الدنيا وشغلهم بالحروب عنها فصاروا يستعينون على ذلك
بعلماء الظاهر وبالمفتيين في الجوامع وكان الامير اذا جلس للمظالم دعا من يجيبه
وسماه المفتيان يرجع اليهما في الفضل والاحكام وبذلك الشرط كتب له فكان من
الناس من يتعلم علم الفتوى والفضل ليستعين بهم الولاة على الاحكام والفصل حتى
كثر المفتون رغبة في الدنيا وطلب الرياسة ثم اغلق الامر بعد ذلك حتى لم تكن
الولاة لا تستعين بالعلماء ومما يدل على ذلك حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه
حين كتب الى ابن مسعود الم اخبر انك تفتي الناس ولست بامير ولا مامور
وفي حديث ابي عامر الهوزني قال حججت مع معاوية فلما قدمنا مكة اخبر عن رجل يقضي
ويفتي الناس مولى لبني مخزوم فارسل اليه فقال امرت بهذا قال لا قال فما حملك عليه
قال افتي ونسيم علما عندي فقال معاوية لو تقدمت اليك قبل يومي هذا لقطعت
منك طابقا ثم نهاه ولو لم يكونوا يقولون ذلك في علم القلوب ولا علم الايمان واليقين بل
ان كتب عمر الى امراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين لله عز وجل فانهم تنجلى
لهم امور صادقة وقد كان عمر يجلس الى المريد يستمع اليهم **وفي الخبر**
اذا رايتم الرجل قد اوتي صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة **وقال**
بعض اصحاب الحديث رايت سفيان الثوري حزينا فسالته
فقال وهو يبكي صرنا متجرا لابناء الدنيا قلت وكيف قال يلزمنا احدهم حتى اذا
عرف وحمل عنا جعل عاملا او جابيا او قهرمانا وكان الحسن يقول تعلموا هذا العلم
فنوموا لا تصيبوا لهم منه في الاخرة يحفظ الله تعالى لهم العلم على الامة ليلا يضيع
وقال المامون لولا ثلاث خربت الدنيا لولا الشهوة لانقطع النسل ولولا حب الجمع
لبطلت المعايش ولولا حب الرياسة لذهب العلم بهذا الكلام وصف علماء الدنيا

واهل

واهل علم لا لسنة فانما علماء الاخرة واهل المعرفة واليقين فانهم كانوا يهربون من الامراء
ومن اتباعهم واشباعهم من اهل الدنيا وكانوا يبغضون علماء الدنيا ويطعنون عليهم و
ينكرون مجالستهم **وقال ابن ابي ليلى** ادركت في هذا المسجد مائة وعشرين
من الصحابة ما يسأل احدهم عن حديث ولا يستفتى في فتيا الا ود ان صاحبه قد كفاه
ذلك وقال مرة ادركنا كلا الصحابة يسال احدهم عن الفتيا والحديث فيرده الى الاخر
ويحيل الاخر على صاحبه وكانوا بعد ذلك لا يعرفون الفتيا ما بينهم ولم يكونوا اذا سيل احدهم
عن مسئلة من علم القرآن او علم اليقين والايمان يحيل على صاحبه ولا يمسكون عن
الجواب وقد قال الله سبحانه فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فهم اهل الذكر لله
تعالى واهل التوحيد والعقل عن الله تعالى ولم يكونوا يتلقون هذا العلم دراسة
من الكتب ولا يتلقاه بعضهم عن بعض ولكن انما كانوا اهل عمل وحسن معاملات
وكان احدهم اذا انقطع الى الله تعالى واشتغل به واستعمله المولى بخدمته باعمال ال
القلوب وكانوا عندي في الخلوة بين يديه لا يذكرون سواه ولا يشتغلون بغيره فاذا اظهر وا
للناس فيسالونهم الهمهم الله تعالى رشدهم ووفقهم لسديد قولهم واتاهم الحكمة فيما اثل
لاعمالهم الباطنة من قلوبهم الصافية وعقولهم الزاكية ومعاملتهم العالية فاسهم بحسن
توفيقه انه اتاهم حقيقة العلم واطلعهم على مكنون السر حين اثروه بالحرمة
وانقطعوا اليه بحسن المعاملة وكانوا يجيبون عما عنه يسالون بحسن ارشاد الله تعالى
لهم وجميل اثره عندهم فيتكلموا بعلم القدرة واظهروا اوصاف الحكمة ونطقوا بعلوم الايمان
وكشفوا بواطن القرآن وهذا هو العلم النافع الذي بين العبد وبين الله تعالى وهو
الذي يلقاه به ويسال عنه ويثيبه عليه وهو ميزان جميع الاعمال على قدر علم
العبد به ترجح اعماله وتضاعف حسناته وبه يكون عند الله تعالى من المقربين لانه
به من الموقنين فهم اهل الحقائق الذين وصفهم علي عليه السلام وفضلهم على الخلائق
وقال في وصفهم القلوب اوعية وخيرها اوعاها والناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على
سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم
يلجئوا الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزكو على العمل
والمال ينقصه النفقة محبة العلم دين يدان به يكسبه الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة
بعد موته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان المال
وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر ثم تنفس الصعدا وقال هاه ان ها هنا علما جما لو
وجدت له حملة بلى اجد لقنا غير مامون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله
تعالى على اوليائه ويستظهر بحججه على خلقه او منقادا لاهل الحق ينزرع الشك في
قلبه باول عارض من شبهة لا بصيرة له وليس من رعاة الدين في شيء لا ذا ولا ذاك او
منهوما باللذة سلس القياد في طلب الشهوات او مغرى بجمع المال والادخار منقادا لهواه

أقرب شبهًا بهما الأنعام السائمة اللهم كذا يموت العلم إذا مات حاملوه بل لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مكشوف وإما خائف مقهور لئلا تبطل حجج الله تعالى وبيناته وكم وأين أولئك الأقلون عددًا الأعظمون قدرًا أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعها نظراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المتجبرون وأنسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك أولياء الله من خلقه وأمناؤه في أرضه والدعاة إلى دينه ثم بكى وقال واشوقاه إلى رؤيتهم فهذه كلها أوصاف علماء الآخرة ومنه نعوت علم الباطن وعلم القلوب لا علم الألسنة وكذلك وصفهم معاذ بن جبل رضي الله عنه في وصف العلم بالله تعالى فيما رويناه من حديث رجاء بن حيوة عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ قال تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلم صدقة وبذله لأهله قربة وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على السراء والضراء والمعين عند الأخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم أئمة في الخير قادة وهداة يقتدى بهم أدلة في الخير تقتفى آثارهم وترمق أعمالهم ويقتدى بفعالهم وينتهى إلى رأيهم وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم حتى كل رطب ويابس لهم مستغفرون حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلم وقوة الأبدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله تعالى وبه يعبد وبه يوحد وبه يتورع وبه توصل الأرحام العلم إمام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء فهذه أوصاف علماء الآخرة ونعت العلم الباطن

وقد كان من أفضل الأمراء بعد الخلفاء الأربعة عمر بن عبد العزيز حدثونا عن زكريا بن أبي يحيى الطائي قال حدثني عمي زحر بن حصين أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الحسن رحمهما الله أما بعد فأشر علي بقوم أستعين بهم على أمر الله تعالى فكتب إليه أما أهل الدين فلن يريدوك وأما أهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالأشراف فإنهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة وكان الحسن يتكلم في بعض علماء البصرة ويذمهم وكان أبو حازم وربيعة المدنيان يذمان علماء بني مروان وقد كان الثوري وابن المبارك وأيوب وابن عون يتكلمون في بعض علماء الدنيا من أهل الكوفة وقد كان الفضيل وإبراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط يتكلمون في بعض علماء الدنيا من أهل مكة والشام كرهنا تسمية المتكلم فيهم لأن السكوت أقرب إلى السلامة وكان بشر يقول حدثنا باب من أبواب

الدنيا وإذا سمعت الرجل يقول حدثنا فإنما يقول أوسعوا لي وقد كان سفيان الثوري إمامه من قبله يقول لأهل علم الظاهر طلب هذا ليس من زاد الآخرة وقال ابن وهب ذكر لطالب العلم عند مالك فقال إن طلب العلم لحسن وإن نشره لحسن إذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي ومن حين تمسي إلى حين تصبح فلا تؤثرن عليه شيئًا وقال أبو سليمان الداراني إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر في طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا وأما علم الإيمان والتوحيد وعلم المعرفة واليقين فهو مع كل مؤمن موقن حسن الإسلام وهو مقامه من الله وحاله بين يدي الله ونصيبه منه في درجات الجنة به يكون من المقربين عنده والعلم بالله تعالى والإيمان به مقترنان لا يفترقان فإن العلم بالله ميزان الإيمان به يستبين المزيد من النقصان لأن العلم ظاهر الإيمان يكشفه ويبطنه والإيمان باطن العلم يثبته ويشغله فالإيمان مدد العلم ونوره والعلم قوة الإيمان ولسانه وضعف الإيمان وقوته ومزيده ونقصه بحسب العلم بالله ونقصه وقوته في وضعه وفي وصية لقمان الحكيم لابنه يا بني كما لا يصلح الزرع إلا بالماء والتراب كذلك لا يصلح الإيمان إلا بالعلم والعمل ومثل المشاهدة من المعرفة في اليقين مثل الإيمان كمثل النشا من الدقيق لمن السويق من الحنطة والحنطة تجمع ذلك كله كذلك الإيمان أصل ذلك والمشاهدة أعلاه وعينه كالحنطة أصل هذه المعاني والنشا أعلاه وعينه فهذه المقامات موجودة في أنوار الإيمان يحملها علم اليقين ثم إن المعرفة على مقامين معرفة سمع ومعرفة عيان فمعرفة السمع في الإسلام وهو أنهم سمعوا به فقبلوه وهذا هو التصديق من الإيمان ومعرفة العيان في المشاهدة وهو عين اليقين والمشاهدة أيضًا على مقامين مشاهدة الاستدلال ومشاهدة الدليل فالمشاهدة للاستدلال قبل المعرفة وهذه معرفة الخبر وهو في السمع لسان القول والواجد بها واجد بعلم عنها علم اليقين من قوله تعالى بنبإ يقين إني وجدت فهذا العلم قبل الوجد وهو علم السمع وقد يكون بسبب التعليم **ومنه قوله صلى الله عليه وسلم** تعلموا اليقين بمجالسة الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين لأنهم علماؤه وأما مشاهدة الدليل فهي بعد المعرفة التي هي العيان وهو اليقين لسانه الوجد والواجد بها واجد قرب وبعد هذا الوجد علم من يقين وهذا يتولاه الله تعالى عن بره بقدرته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فوجدت بردها فعلمت فهذا التعليم بعد الوجد من عين اليقين باليقين وهذا من أعمال القلوب وهؤلاء هم علماء الآخرة وأهل الملكوت وأرباب القلوب وهم المقربون من أصحاب اليمين وعلم الظاهر من علم الملك وهو من أعمال اللسان والعلماء به موصوفون بالدنيا وصالحوهم أصحاب اليمين وجاء رجل إلى معاذ بن جبل فقال أخبرني عن رجلين أحدهما مجتهد في العبادة كثير العمل قليل الذنوب إلا أنه ضعيف اليقين يعتريه الشك في أموره فقال معاذ ليحبطن شكه أعماله قال فأخبرني عن رجل قليل العمل إلا أنه

نزع اليقين وهو في ثم لا كثير الذنوب فسكت معاذ وقال اجلوا الله لمن اجهل منه ثم قال
الاعمال بي ليحيطن بيقين هذا ذنوبه كلما قال فال بأخذ معاذ بيده وقام فليعلمن قال
ما رايت الذي هو افقه من هذا وقد روينا معناه مسندا قيل يا رسول
الله رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال ما
من آدمي الا وله ذنوب ولكن من كانت غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب
لانه كلما اذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة و
روينا في حديث ابي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم الـ
اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام
النهار وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر
يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقد يكون يعمل العمل الضعيف اذا كان صاحب
يقينه فيلا افضل من عمل القوي الضعيف في يقينه ومن ضعف يقينه يغلبه الخوف ان
من الامن وقد كان يحيى بن معاذ يقول ان للتوحيد نورا وللشرك نارا وان نور التوحيد
احرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين وكثير اليقين على ثلاث
مقامات يقين معاينة وهذا لا يختلج فيه هم فالعالم به خبير وهو للصديقين والشهداء
ويقين تصديق واستسلام وهذا في الخبر والعالم به مخبر مسلم وهذا يقين
المؤمنين وهم الابرار منهم الصالحون ومنهم مزدادون كقوله تعالى جل وما زادهم
الا ايمانا وتسليما ومن يضعف هوى بقدم الاسباب ونقصان المعتاد ويفرقون
بوجوه شاهد ومنازل العادة ويحبون تيقظهم اليهم والاسباب ويكاشفون بها
ويجعل من بيدهم وانسهم بالخلق ويكون من هواه نقصهم ووحشتهم بفقدهم ويكون
من هواه الاختلاف ويتلونون بالخلاف لتلون الاشياء ونقيض هذا عليهم

المقام الثالث

من اليقين هو يقين لمن يقوى بدلائل العلم والخبر واقوال العلماء ونحو هذا المزيد
من الله تعالى والنصيب منه ويضعف بفقد الادلة وصمت القائلين وهذا يقين لاهل
الاستدلال وعلوم هذا في المعقول وهو يقين المتكلمين من عموم المسلمين اهل الراي
وعلوم العقل والقياس والنظر وكل مؤمن بالله تعالى مقرو على علم التوحيد والمعرفة
ولكن علمه ومعرفته على قدر يقينه ويقينه على نحو صفاء ايمانه وقوته والايمان على
مقتضى معاملته ورعايته فاعلى العلوم علم المشاهدة عن عين اليقين وهذا
مخصوص للمقربين في مقامات قربهم ومجالات مجالستهم ومراوي انسهم والطيف تخللهم
وادنى العلوم علم التسليم والقبول بعدم الانكار ومقدار الشكوك وهذا من علوم
المؤمنين وهو من علم الايمان ومزيد التصديق وهذا لاصحاب اليمين وبين هاذين قسم

مقامات

مقامات لطبقات من اعلى طبقات المقربين الى ادنى المقامات ومن ادنى طبقات اصحاب
اليمين الى اعلاها وادنى الاعلين

ذكر بيان تفضيل علوم الصمت

وروينا في الخبر العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة ولم يفي الورعين في العلم
قائمة ولا ادري وعن الشعبي انه قال لا ادري نصف العلم يعني انه من الورع وكان
الثوري يقول انما العلم الرخصة من ثقة واما التشديد فيحسنه كل احد يعني ان
الورع والتوقف في الامور هو صفة المؤمنين وان لم يكونوا علماء لان الورع هو الحبس
عن الاقدام والهجوم على الشبهات والوقوف عند المشكلات بسكون او سكوت واليقين
هو الاقدام على الاشياء ببصيرة وتمكين والقطع فيها على علم وهذه صفة العلماء
الموثوق بعلمهم لا يحسنه سواهم واعلم ان مثل الجهل والعلم في تفاوت الناس فيهما مثل
الجنون والعقل والمجانين طبقات كما العقلاء طبقات وكذلك الجهال طبقات كما العلماء
بخصوص الجهال يشبهون عموم العلماء فهم يشتبهون على العامة حتى يحسبوهم علماء وهم
يكشفون عند العلماء بالله تعالى وكذلك العارفون يشبهون على عموم العلماء وهم
ظاهرون للموقنين كما قال علي عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية وقدمه امامه يوم
الجمل وجعل يقول له اقدم ومحمد يتأخر وهو يولي فقال يابن الرحم فالتفت اليه محمد ابنه
فقال مثل والله الفتنة العمياء المظلمة فوكزه علي برمحه وقال تقدم لا ام لك اتكون
فتنة ابو لك قائدها وسائقها والمرء اذا قال لا ادري فقد عمل بعلمه وقام مقام الذي له مثل
الثواب لمن اذا من هذا مقام مجاهد وعمل بعلمه فالخير ولذلك كان قول لا ادري نصف العلم
لان حسن من سكت لاجل الله تورعا كحسن من نطق بالعلم لاجله ثم علم وقال علي
ابن الحسين ومحمد بن عجلان اذا اخطأ العالم قول لا ادري اصيبت مقاتله وقاله مالك و
الشافعي بعدهما والى اعلم ان مثل العلم والجهل في تفاوت الناس فيهما مثل الجنون و
العقل المجانين طبقات كالعقلاء طبقات وكذلك الجهال طبقات كالعلماء فخصوص
الجهال يشبهون عموم العلماء فهم يشتبهون على العامة حتى يحسبوهم علماء وهم
مكشوفون عند العلماء بالله وكذلك يشتبهون على عموم العلماء وهم ظاهرون للموقنين
الى ومقال بعض العلماء العلم علمان علم الاداء وعلم المتقين فاما علم الاداء فهو علم
الفضائل واما علم المتقين فهو علم اليقين والمعرفة وقد قال الله سبحانه في وصف علم
المؤمنين وذكر علم الايمان يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فجعل
المؤمنين علماء فدل ان العلم والايمان لا يفترقان والوهم هنا عند اهل اللغة للمدح لا
لجمع العرب اذا امرهم بالاوصاف اذ دخلت الواو والمبالغة بقالوا ان العالم والعامل

والأديب ومثل هذا قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم والمومنون والمقيمين الصلاة
والموتون الزكاة كأن نعتنا بالمومنون منهم الراسخون في العلم ومنهم المقيمون والمومنون
أيضا وكلهم وصف الراسخين في العلم ولذلك انتصب قوله والمقيمين الصلاة لأنه مدح وهو
والعرب تنتصب وترفع بالمدح والمعنى قوله تعالى والراسخون في العلم يقولون آمنا
به بوصف العلماء بالإيمان كما وصف المومنين بالعلم وكذلك قوله تعالى وقال الذين
أوتوا العلم والإيمان **ومن حديث أنس** عن النبي صلى الله عليه وسلم
أمتي خمس طبقات كل طبقة أربعون عاما فطبقتي وطبقة أصحابي أهل العلم والإيمان
والذين يلونهم إلى الثمانين أهل البر والتقوى والذين يلونهم إلى مائة وعشرين
أهل التواصل والتراحم فقدم العلم بالإيمان وقدمهما على سائر الطبقات وقد قرن الله
سبحانه الإيمان بالقرآن وهو علم كما قرن القرآن بالإيمان فقال تعالى كتب في قلوبهم الإيمان
وأيدهم بروح منه قيل القرآن وتكون الهاء عائدة إلى الله تعالى في أكثر الوجوه كما قال
ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا فأهل الإيمان هم أهل القرآن
وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته **وقال المهدي** لسفيان بن الحسين لما دخل عليه
وكان أحد العلماء أعلم أننا يسكتنا ما أعاد عليه يسكتنا وقيل لا نحب أمير المومنين
بقال فيسألني عن مسئلة لا أجوابه إن قلت لست بعالم وقد قرأت كتاب الله تعالى
كنت كأنك قلت أنه عالم كنت جاهلا **وروى أبو جعفر الرازي** عن الربيع
بن أنس في قوله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء قال من لم يخش الله تعالى
فليس بعالم ألا ترى أن داوود صلى الله عليه وسلم قال ذلك بأنك جعلت العلم خشيتك
والحكمة والإيمان بك فما علم من لم يخشك وما حكمة من لم يومن بك وقد سمى عبد الله بن
رواحة العلم إيمانا فكان يقول لأصحابه اقعدوا بنا نومن ساعة فيتذاكرون علم الإيمان
وقد جعل الله تعالى للمومنين سمعا وبصرا وقلبا وهذه طرائق العلم التي يوجد العلم
منها ويوجد به وهي أصول العلم والنعم التي أنعم الله على الخلق بها وطالبهم بالشكر
عليها فقال سبحانه والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم
السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون فأثبت العلم بعد النفي له وقال تعالى
في وصف من لم يكن مومنا ونفى الحقيقة بالعلم بها وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة
فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله
فمن لا يومن بآيات الله ما أغنى عنه سمعه وبصره وقلبه فكانت طرق العلوم إليه وقال
عز وجل في معنى ذلك أيضا ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل
أولئك كان عنه مسئولا فلولا أن العلم يقع بالسمع والبصر والقلب ما نهى عما لا يعلم
هذه الأشياء وفي المعنى قوما لا تعلم هذه الأشياء وتبعه إثبات العلم بها بحيث
مومن ... والسمع وبصر وقلب وكل في سمع وبصر وقلب فهو عالم بفضل الله ورحمته وما

بفضل الله تعالى به هذه الأمة على سائر الأمم وخصها به ثلاثة أشياء تبعية الأشياء
فيهم فإنه خلفا عن سلف متصلا إلى نبينا صلى الله عليه وسلم والأمم من خلا من علمائها
والأمم كانوا يستنسخون الصحف كلما اختلقوا صحيفة جرت فكان نملة العلم فيهم
والثانية جعل كتاب الله المنزل عن ظهر قلوبهم وأن الأمم كانوا يقرون كتبهم نظرا ولم يجمعوا
جميع كتاب أنزله الله تعالى في عنه كتابا هذا الأمة ألهمه الله تعالى عزيرا حفظ
التوراة بعد أن كان بخت نصر أحرق جميعها عشر أجزاب بيت المقدس فلذلك
قال أسبط من اليهود إنه ابن الله تعالى عن ذلك لما اختص به وأفرده من جمع جميع
التوراة والثالثة أن كل مومن من هذه الأمة يستغني عن علم الإيمان ويسمع قوله ويوخذ
من رأيه مع حداثة سنه ولم يكونوا فيما مضى يستمعون العلم إلا من الأحبار
والقسيسين والرهبان لا غيرهم من الناس وزاد ها رابعة على أمة موسى صلى الله
عليه وسلم ثبات الإيمان في قلوبهم لا يعترضه الشك ولا يختلجه الشرك مع تقلب
القلوب في المعاصي وكانت أمة موسى تتقلب قلوبهم في الشك والشرك كما تتقلب
جوارحهم في المعاصي فلذلك قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة بعد أن رأوا الآيات
آيات العظيمة من انفلاق البحر وسلوكهم فيه طريقا وإنجائهم من الغرق وإهلاك
فرعون وروينا في بعض الأخبار أن في بعض الكتب المنزلة يا بني إسرائيل لا تقولوا
العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الأرض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر
يأتي به العلم مجعول في قلوبكم تأدبوا بين يدي بآداب الروحانيين وتخلقوا
بأخلاق الصديقين أظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم وفي الإنجيل مكتوب
لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما قد علمتم وفي أخبارنا من عمل بما يعلم ورثه
الله علم ما لم يعلم وقيل من عمل ببعض ما يعلم ورثه الله علم ما يجهل وقد روينا عن حذيفة
بن اليمان إنكم اليوم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك وسيأتي بعدكم زمان من
عمل منهم بعشر ما يعلم نجا هذا لقلة العاملين وكثرة البطالين وفي كتاب أبي الجمل
المختلف واتقوا الله ويعلمكم الله واتقوا الله واسمعوا واعلم أن من عمل بعلم أو نطق به
فأصاب الحقيقة عند الله تعالى فله أجران أجر التوفيق وأجر العمل وهذا مقام العارفين
ومن نطق بجهل أو عمل به وأخطأ الحقيقة فعليه وزران وهذا مقام الجهال ومن قال
أو عمل بعلم وأخطأ الحقيقة فله أجر لأجل العلم وهذا مقام علماء الظاهر ومن قال بجهل
أو عمل بجهل وأصاب الحقيقة فعليه وزر لتركه طلب العلم وهذا مقام جهلة العابدين
ومثل العالم مثل الحاكم وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم الحكام ثلاثة أقسام وقال
صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة وقاض
قضى بالجور وهو يعلم أو قضى بالجور وهو لا يعلم فهما في النار ومن أحسن ما سمعت
في قوله تعالى يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم قيل العلم وريشا

قيل اليقين ولباسه التقوى أي الحياء ورويناه عن وهب بن منبه اليماني في معناه الإيمان
عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وقد أسند حمزة الخراساني عن
الثوري وبعد أبي عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال مسعر بن سعد بن
إبراهيم وسأله سائل أي أهل المدينة أفقه فقال أتقاهم لله عز وجل وقال بعض
العلماء لو قيل لي من أي الناس أعلم لقلت أورعهم ولو قال لي قائل أي أهل هذه المدينة
لقلت تعرفون أفضلهم قالوا نعم قلنا هو خيرهم وقال الآخر لو قيل لي من أحمق الناس
لأخذت بيد القاضي وقلت هذا قال الله واسمعوا واتقوا الله وقولوا قولا سديدا لا
وقد جعل الله عز وجل مفتاح القول السديد والعلم الرشيد والسمع المكين التقوى و
هي وصية الله تعالى من قبلنا وإيانا إذ يقول سبحانه وتعالى ولقد وصينا الذين
أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ومنه الآية فطلب العز إن مرادي علينا
ثمرا أزرا على الخشيان **وروينا** عن علي عليه السلام كيف يكون من أهل العلم
من يطلب الكلام ليخبر به ولا يطلبه ليعمل به وقد قال الضحاك بن مزاحم أدركتهم وما يتعلم
بعضهم من بعض إلا الورع وهم اليوم يتعلمون الكلام **وفي الحديث** ما
قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون
وفي الحديث فأما الذين في قلوبهم زيغ الآية هم أهل الجدل الذين عنى الله تعالى ف
فاحذروهم وعن بعض السلف يكون في آخر الزمان علماء يغلق عنهم باب العمل ويفتح
عليهم باب الجدل وفي بعض الأخبار إنكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون
الجدل وعن ابن مسعود أنتم اليوم في زمان خيركم فيه المسارع وسيأتي بعدكم زمان
يكون خيركم فيه المتثبت يعني لأن البيان الحق في القرآن والتثبيت الأول وبعد
ذلك في زمان تكثر فيه الشبهات ولا تلتبس وتحول المحرمات مداخل الشبه في الاسم
فاستحل لا على العبد الذي يعرف طريق السلف فيجتنب المحرم كله وروينا عن بعض
العلماء إذا أراد الله بعبد خيرا فتح له باب العمل وأغلق عليه باب الجدل وإذا أراد الله بعبد
سوءا أغلق عنه باب العمل وفتح عليه باب الجدل وفي الخبر المشهور عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أبغض الخلق إلى الله عز وجل الألد الخصم وقد روينا في الخبر
الحياء والعي شعبتان من الإيمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق وفي بعضها
فيسمى العي عي اللسان لا عي القلب والعمل لأنه ما أوتي قوم المنطق إلا منعوا
العمل وفي الحديث إن الله تعالى يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل الكلام
كما تتخلل البقرة الخلا بلسانها الجلد الحشيش إلى الحب وكان أحمد بن حنبل يقول
العلم الظاهر ما جاء من فوق يعني الإسلام من علم تعلمه وقال أيضا علماء أهل
الكلام زنادقة وقال قبله أبو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق

باب آخر في فضل علم الظاهر على الباطن

مما يدل أن العلم الذي فضله العلماء وأعظموا ذكره ووصفوا العالم ومرجوه به وجاءت بفضله
الأخبار والآثار وفضل في الأخبار أهله إنما هو العلم بالله تعالى الدال على الله تعالى الراد
إليه الشاهد بالتوحيد من علم الإيمان واليقين وعلم المعرفة والمعاملة دون سائر
علوم الفتيا والأحكام أنهم يقولون من عمل بعلمه ويذكرون العمل بالعلم ويصفون حملته
بالخشية والخشوع فهذا إنما هو علم القلوب لا علم اللسان الذي يكون به العمل وتفاضل
عند المعاملات هذا لأن الإيمان مثل أعمال القلوب التي هي مقامات اليقين وصفات
المتقين ومثل أعمال الجوارح من الصالحات التي هي من جملة الإيمان والدين إنما أراد أهل العلم
والحرفة والتوكل والخوف وأعمال الشوق والمحبة وليس يعنون أن يكون الإنسان
إنما علم علم الأحكام والقضايا يعمل بها والتزم الدخول في أحكامها ليعامل فيها مثل أن
يطلب القضاء فيقضي بين الناس أو لأن كان عاملا به ويقتني المال ويدخل في البيع والشراء
إذ لأن عاملا بالزكاة والمبايعات أو يتزوج النساء ويطلق لأنه عالم بالنكاح والطلاق
ليكون في هذه الأشياء عاملا بعلمه هذا ما قاله أحد بل قد روي في كراهة ذلك وذمه ما
يكثر ذكره وأهل هذه العلوم موصوفين بالرغبة في الدنيا والحرص على جمعها ولا يسمون
إلا أن يعملون لهم فيبطل أنهم هم المعنيون بالعلم الموصوفون بالخشوع والزهد ومثل
ذلك أيضا تفضيل الجمهور من السلف العلم على العمل وقولهم ركعة من عالم أفضل
من ألف ركعة من عابد

وحديث أبي سعيد الخدري

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي والخبر الآخر
المشهور كفضل القمر على سائر الكواكب وقول ابن عباس وسعيد وقد روينا مسندا
عالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد وكذلك قيل في موته أحب إليه من موت ألف عابد
إنما يعنون بذلك العلم بالله سبحانه وتعالى أفضل من العلم لأن العلم بالله تعالى وصف
من الإيمان ومعنى من اليقين الذي لم ينزل من السماء أعز منه فهو لا يعادله شيء ولا يصح
عمل ولا يتقبل إلا به ولأنه فضيلة الأعمال كلها على وزنه يتقلب الأعمال فيكون حسنا بعضه
حسن أفضل من بعض ويثقل في الميزان إن ثقل وموقن ذكر ويرفع به العاملون درجات عليين
بعضها أعلى من بعض وقد قال تعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ثم قال
فلنقصن عليهم بعلم وقال والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فلما كان العابد منتسبا
إلى الربوبية أقرب كان أفضل والعلم وصف للعالم العامل وحكم العبودية لأنهم يعنون
أن أهل العلم بالفتيا والأحكام والقضايا التي هي أماكن الخلق عائدة عليهم أفضل
من معاملات الله تعالى بالقلوب من مقامات التوكل والرضا والمحبة التي هي معاينة

اليقين الذي هو مقام المقربين هذا مالا يغفله عالم وقد روينا عن عبد الرحمان بن غنم عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم واهل الجهاد اما اهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به الرسل لا جرم حيث جعل العلماء الاعلى الله تعالى كالجهاد وكذلك جاء في الخبر ومن يشفع الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء وفي الخبر الاخر للانبياء على العلماء فضل درجة وللعلماء على الشهداء فضل درجتين وقال ابن عباس في معنى قوله عز وجل يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات قال للعلماء درجات فوق الذين آمنوا بسبع مائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمس مائة عام وقال ابن مسعود لما مات عمر رضي الله عنه اني لاحسب انه ذهب بتسعة اعشار العلم فقيل له تقول هذا وفينا اجلة الصحابة فقال لست اعني العلم الذي تريدون انما اعني العلم بالله تعالى فجعل العلم بالمعلومات عشر العلم وفضل عشر العلم بالله عز وجل بتسعة اعشاره وليس يريد علم الظاهر على فضل الاعمال لان زيدا كان اظهر في الاعمال الظاهرة لانه صحبه البيان ولانه المعهود من المسلمين فاعلا مقاماته الاخلاص وان فاتهم وجود بيان كسباب الشهوات والاخلاص هو اول حال العالم بالله تعالى فالعلم بالباطن ولا نهاية لمقاماتهم الى اعلا مقامات العارفين ودرجة الصديقين

باب في الفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة

وذم علماء السوء الاكلين بعلومهم الدنيا فمن فرقنا العلماء بين العلم بالله تعالى وبين العلم بامر الله تعالى وفرقوا بين علماء الدنيا وعلماء الاخرة وقال سفيان العلماء ثلاثة عالم بالله وبامر الله فذلك العالم الكامل وعالم بالله غير عالم بامر الله فذلك التقي الخائف وعالم بامر الله غير عالم بالله فذلك العالم الفاجر وقيل ايضا عالم بالله تعالى وهو العامل بعلمه وعالم بامر الله تعالى وهو الخائف الراجي وسئل سفيان عن العلم ما هو فقال هو الورع قيل واي شيء هو الورع فقال طلب العلم الذي يعرف به الورع وهو عند قوم طول الصمت وقلة الكلام وما هو كذلك انما المتكلم العالم عندنا افضل من الصامت وروينا عن لقمان في وصيته للعلم ثلاث علامات العلم بالله وبما يحب الله تعالى وبما يكره فجعل حقيقة العلم دليل وجود هذه الثلاث وهذا يدلك على الفرق بين علماء الدنيا وعلماء الاخرة انه كل عالم بعلم التجارة من لا يعرف لم يثن عليه الا علمه ولا عرف انه عالم لان العلماء بالله عز وجل انما يعرفون بسيماهم الخشوع والسكينة والتواضع والذلة فهذه صبغة الله تعالى ولا بد وليستبق العلماء به ومن احسن من الله صبغة كما قيل اما البسه الله تعالى

عبد

عبدا لبسة احسن من خشوع في سكينة هي لبسة الانبياء وسيما العلماء المتكلمين في علم عمل الصانع اذ كل صانع لو لقي من لا يعرفه لم يعرف صنعته دون سيما الصانع وكم يفرق بينه وبين الصانع الا الصانع فانه يعرف بصنعته لانها ظاهرة عليه اظهارة له لبسة وصبغة لا تنماس بعاملته وتكون سيماء كما قيل اما البسه الله تعالى عبدا لبسة احسن من خشوع في سكينة هي لبسة الانبياء وسيما الصديقين والعلماء فاعلم الناس بالطريق ما يحب الله تعالى ويخشى ما يكره اهل القلوب العالمة عن الله تعالى وهم العارفون به وقد كان سهل رحمه الله تعالى يقول العلماء ثلاثة عالم بالله تعالى وعالم لله تعالى هو العالم بعلم الاخلاص والاحوال والمعاملات والعالم بحكم الله تعالى هو العالم بتفصيل الحلال والحرام فبين ذلك لهم على معاني قوله ومعرفة مذهبه ومن قال مرة في كلام السمك من عالم بالله لا يعلم امر الله وهم المفتون في الحلال والحرام وعالم بالله وهم الصديقون يعني قوله فايام الله اي بنعمته الباطنة ويعرفون باسمه الغامضة ثم قال ان الناس كلهم موتى الا العلماء والعلماء نيام الا الخائفون والخائفون منقطعون الا المحبون والمحبون احياء شهداء وهم المؤثرون لله تعالى على كل حال وقد كان يقول طلاب العلم ثلاثة واحد يطلبه للعمل به واخر يطلبه ليعرف الاختلاف فيتورع ويأخذ الاحتياط واخر يطلبه ليعرف التاويل فيتناول الحرام فيجعله حلالا فهذا يكون هلاك الخلق على يديه وقد حدثت عن ابي يوسف انه كان اذا صار راس الحول وهب ماله لامراته واستوهبها ماله ليسقط عنهما الزكاة فذكر ذلك لابي حنيفة فقال ذاك من فقهه فانما يطلب العلم لمعرفة الورع والاحتياط للدين فهذا هو العلم النافع فاخذ الطالب لمثل هذا وتاويل الهوى كان الجهل خيرا منه وصار هذا العلم هو الضار الذي استعاذ الرسول صلى الله عليه وسلم منه وروينا عن عمر وغيره كم من عالم فاجر وعابد جاهل فاتقوا الفجار من العلماء والجهال من المتعبدين عن عمر ايضا وقد روينا مسندا اتقوا كل منافق عليم اللسان يقول ما تعرفون ويعمل بما تنكرون وروينا عنه ايضا تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم وروينا عن علي وابن عباس رضي الله عنهما وعن كعب الاحبار يكون في اخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ولا ينتهون ويؤثرون الدنيا على الاخرة وياكلون الدنيا بالسنتهم يقربون الاغنياء ويباعدون الفقراء يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال يغضب احدهم على جليسه اذا جلس غيره ذلك حظهم من العلم وفي حديث علي رضي الله عنه علماء هم شر الخليقة منهم بدت الفتنة وفيهم تعود وفي لفظ حديث ابن عباس اولئك الجبارون اعداء الرحمن وروينا عن علي عليه السلام ما قطع ظهري

في الاسلام الا رجلان عالم فاجر ومتعبد جاهل فاسلم العالم الفاجر يزهد الناس في علمه لما يرون
من فجوره والمتعبد الجاهل يرغب الناس في عبادته لما يرون من نسكه وقال صالح بن حسان
البصري ادركنا المشيخة وهم يتعوذون بالله تعالى من الفاجر العالم بالسنة وقال الفضيل
بن عياض انما هما عالمان عالم دنيا وعالم اخرة فعلماء الدنيا علمهم منشور وعلماء الاخرة
علمهم مستور فاطلب عالم الاخرة واحذر عالم الدنيا لا يصدنك بسكره ثم قرأ ان كثيرا من
الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله قال الاحبار
العلماء والرهبان الزهاد وقال سهل بن عبد الله طلاب العلم ثلاثة فواحد يطلب
علم الورع مخافة دخول الشبهة عليه فيدع الحلال خوف الحرام فهذا امره قريب وواحد
يطلب علم الاختلاف والاقاويل فيدع ما عليه ويدخل فيما اباح الله تعالى بالسعة
وبالرخصة وواحد يسال عن شيء فيقال هذا لا يجوز فيقول كيف اصنع حتى يجوز في
فيستفز العلماء فيجيء ومنه في الاختلاف في السعة فهذا يكون هلاك الخلق على يديه وقد
اهلك نفسه وهو من علماء السوء **واعلم** ان محب للدنيا ناطق بعلم فانه اكل الحلال
بالباطل وكل من اكل اموال الناس بالباطل فانه يصد عن سبيل الله لا محالة وان لم
يظهر ذلك لكم في مقاله ولكنكم تعرفونه في لحن مقاله بل فان ابن الصدق [illegible] غير
وبلطايف المنع من طرقات الاخرة لان حب الدنيا وغلبة الهوى يحملان عليه بذلك [illegible]
[illegible] قال بعض العلماء ان الله عز وجل يحب العالم المتواضع ويبغض الجبار
من العلماء ومن تواضع لله تعالى ورثه الله عز وجل الحكمة وفي الخبر عن ابن مسعود
ان الله تعالى ليبغض الحبر السمين وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لما الح على
الصيف حبر من احبار اليهود فقال صلى الله عليه وسلم نشدتك الله تعالى الم تجد فيما
انزل الله تعالى على موسى ان الله تعالى يبغض الحبر السمين وكان ابن الصيف سمينا فغضب
عند ما فقال ما انزل الله تعالى على بشر من شيء فعيره بذلك [illegible] قل
من انزل الكتاب الذي جاء به موسى فقال له اصحابه ويحك ما هذا فلت فجحدت كتاب موسى
فقال انه احفظني فقلت ذلك وقيل ما اتى الله تعالى عبدا علما الا اتاه معه حلما وتواضعا
وحسن خلق ورفقا فذلك العلم النافع وقد روينا معناه في الاثر من اتاه الله
عز وجل زهدا وتواضعا وحسن خلق فهو امام المتقين وكان الحسن يقول الحلم وزير
العلم والرفق ابوه والتواضع سرباله وفي اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى
اوحى اليه يا داود لا تسال عني عالما اسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي
اولئك قطاع طريق عبادي المريدين يا داود ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا اثر شهوته
على محبتي ان احرمه لذيذ مناجاتي يا داود اذا رايت لي طالبا فكن له خادما يا داود
من رد الي هاربا كتبته عندي جهبذا ومن كتبته جهبذا لم اعذبه ابدا وروينا عن عيسى
عليه السلام مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء

ولا تترك الماء يخلص الى الزرع كذلك علماء الدنيا قعدوا على طريق الاخرة فلا هم نفذوا ولا تركوا
العباد يسلكون الى الله عز وجل وقال ومثل علماء السوء كمثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها
نتن وكمثل القبور المشيدة ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى وقال بشر بن الحارث من طلب
الرياسة من العلماء فتقرب الى الله تعالى ببغضه فانه مقيت في السماء والارض وكان الاوزاعي
يروي عن بلال بن سعد انه كان يقول ينظر احدكم الى الشرطي والعون فيستعيذ بالله من
حاله ويمقته وينظر الى عالم الدنيا قد تصنع للخلق وتشوف للطمع والرياسة فلا يمقته
هذا العالم احق بالمقت من هذا الشرطي وقد كان ابو محمد سهل يقول لا تقطعوا امرا من
الدين والدنيا الا بمشورة العلماء تحمدوا العاقبة عند الله تعالى فقيل يا ابا محمد من
العلماء قال الذين يوثرون الاخرة على الدنيا ويوثرون الله تعالى على نفوسهم وقد قال
عمر في وصيته وتشاور في امورك الذين يخشون الله عز وجل وروينا في الاسرائيليات ان
حكيما من الحكماء صنف ثلاث ماية [illegible] مصحفا في الحكمة حتى وصف بالحكيم فاوحى
الله تعالى الى نبيهم قل لفلان قد ملات الارض نفاقا ولم تردني بشيء من ذلك واني لا اقبل
من نفاقك شيئا قال فاسقط في يديه وحزن وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الاسواق
واكل مع بني اسرائيل وتواضع في نفسه فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له الان وافقت رضاي
وقال بعض العلماء كان اهل العلم على ضربين عالم عامة وعالم خاصة فاما عالم العامة
فهو المفتي في الحلال والحرام وهؤلاء اصحاب الاساطين واما عالم الخاصة فهو العالم بعلم
التوحيد والمعرفة وهؤلاء اهل الزوايا وهم المتفردون وقد كانوا يقولون مثل احمد بن
حنبل مثل دجلة كل احد يغترف منها ومثل بشر بن الحارث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها
الا واحد بعد واحد وقال حماد بن زيد قيل لايوب العلم اليوم اكثر او فيما مضى فقال
العلم فيما مضى كان اكثر والكلام اليوم اكثر ففرق بين العلم والكلام وقد كانوا يقولون
فلان عالم وفلان متكلم وفلان اكثر كلاما وفلان اكثر علما وكان ابو سليمان يقول المعرفة
الى السكوت اقرب منها الى الكلام وقال بعض العارفين هذا العلم على ثلاثة فثلث
[illegible] ونصفه [illegible] ابن نصفه وزاد اخر ونصفه وجد ونصفه خلق يعني [illegible] واعتنى راس
وسئل سفيان عن العالم من هو فقال من يضع العلم في مواضعه ويوفي كل شيء حقه
وقال بعض الحكماء اذا كثر العلم قل الكلام وقد كان ابراهيم الخواص يقول الصوفي كلما ازداد
علما نقص طيشه وقال بعض شيوخنا قلت للجنيد يا ابا القاسم يكون لسان بلا قلب
قال كثير قلت فيكون قلب بلا لسان فقال نعم قد يكون ولكن لسان بلا قلب نقمة وقلب
بلا لسان نعمة [illegible] فقال [illegible] يعني العسل وقد روينا حديثا حسنا
مقطوعا عن سفيان عن مالك بن مغول قال قيل يا رسول الله اي العمل افضل قال
اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله تعالى قيل يا رسول الله فاي الاصحاب
خير قال صاحب ان ذكرت اعانك وان نسيت ذكرك قيل فاي الاصحاب شر قال صاحب ان [illegible]

سكت لم يزكه وان ذكرت بعنده قيل ما بي الناس اعلم قال اشدهم لله تعالى خشية قالوا
فاخبرنا باجهل الناس قال الذين اذا ارادوا خوفي الله تعالى قالوا فما بي الناس شر قال رسول الله
قال اللهم اغفر قالوا اخبرنا يا رسول الله قال العلماء اذا فسدوا وقد وصف علي عليه
السلام علماء الربانية الناطقين عن الرأي الهوى بوصف غريب وروينا عن خالد بن طليق عن
ابيه عن جده وعن عمران بن حصين قال خطبنا علي عليه السلام ورضي الله عنه فقال
في خطبة رهيبة وانا زعيم لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظما على الهدى سنخ اصل وان اجهل
الناس من لا يعرف قدره وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره وان ابغض الخلق الى الله عز
وجل رجل قمش علما اغار في اغباش الفتنة عمي في غيب الهدنة سماه اشباه الناس ونظائره
عالما ولم يغن في العلم يوما سالما تكثر واستكثر فما قل منه وكفى خير مما كثر حتى اذا ارتوى من
اجن واكثر من غير طائل جلس للناس مفتيا لتخليص ما التبس على غيره وان نزلت به
احدى المبهمات هيأ حشوا لرأي من رأيه فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت
لا يدري اخطأ ام اصاب ركاب جهالات خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض
على العلم بضرس قاطع فيغنم يبكي منه الدماء وتصرخ منه المواريث ويستحل بقضائه
الفروج الحرام لا ملي والله باصدار ما ورد عليه ولا هو اهل لما فوض به اولئك الذين
حلت عليهم النياحة والبكاء ايام حياتهم الدنيا

ووصف علي عليه السلام

علماء الآخرة في حديث كميل بن زياد الذي يقول فيه الناس ثلاثة
عالم رباني يعني عالما بالربوبية منسوبا الى الرب كما سماهم الله تعالى في
قوله كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب الآية فيسمى العالم بكتابه ربانيا
كالدارس لدهماء من جمع العلم والعمل ولذلك يقال العالم الرباني هو الذي يعلم
ويعمل ويعلم الناس الخير مثال من لم يذكر عظيما في ملكوت السماء وقال تعالى
يعلمونهم لولا ينهاهم الربانيون والاحبار فقدم الربانيين على الاحبار وهم علماء
الكتب وكذلك روينا عن مجاهد قال الربانيون فوق الاحبار درجة وقال غيره واراد
والاحبار فوقها اي ربانيون يعني ان علماء القلوب ارفع من علماء السنة والعلماء ب
والكتب افضل من العباد درجة وقد فضل الله تعالى الذي اتبعا سببه في النصرة له والصبر معه
في قوله تعالى وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير ثم وصفهم بالشجاعة والقوة في
دينه والصبر لحكمه في قوله الآية وربيون جمع ربي وربانيون جمع ربي وقيل ربي ربيون
وجمع رباني ربانيون

وكذلك جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

يبعث يوم القيامة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء لان العالم امام امته بعلمه مثل اجور امته

والشهيد

والشهيد بعمله لنفسه وفي خبر آخر خير العلماء يوزن مداد الشهداء باعلا حال الشهيد دمه
وانه في وصف العالم خبر يستوي بينهما وزاد العالم على الشهيد باعلا مقامه وكان علي
عليه السلام يقول العالم افضل من الصائم القائم والمجاهد في سبيل الله واذا مات العالم
ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها شيء ما طرد الليل والنهار لان موت العالم نجم طمس وموت
قبيلة ايسر من موت عالم ثم قال علي عليه السلام في حديث كميل ومتعلم على سبيل
النجاة يعني مريد الطالب للعلم متعلما من العلماء بالله تعالى على طريق معاملة واخلاص
وطلب السلامة وان ينجو من الجهل في الدنيا ومن العذاب في الآخرة ثم قال وهمج رعاع اتباع
لهج الفراش الذي يتهافت في النار بجهله واحزنه هيجه رعاع خفيف طياش لا عقل
له يستفزه الطمع ويستخفه الغضب ويزهيه العجب ويستطره الكبر ثم بكى علي عليه
السلام وقال هكذا يموت العلم بموت حامليه ثم تنفس عند وصف الربانيين فقال
واشوقاه الى رؤيتهم وذكر الحديث بطوله في الباب الذي قبل هذا فهؤلاء الذين يكونون
اليهم يشتاقهم الذين اشتاق رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم قبله فقال واشوقاه
الى اخواني وددت اني قد رأيت اخواني ثم قال قوم يجيئون بعدكم ثم وصفهم فانما كانوا
اخوانه لان قلوبهم على قلوب الانبياء واخلاقهم بخلائق صفات الابدال ومنهم ابدال حسن
لانه جاء في وصفهم ما يجل عن الوصف على ثلاث طبقات صديقون وشهداء وصالحون م
وان منهم من قلبه على قلب ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ومنهم من قلبه على قلب موسى
الكليم وعيسى الروح ومحمد الحبيب ومنهم من قلبه على قلب جبريل وميكائيل واسرافيل
ولا خوة ترفع بين الا بيني بالمجانسة وقرب السنة في الافعال ولا خلاف كما قال عز وجل
المتزايلين الذين تآخوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا لما كانوا على افعالهم في القلوب من
اسرار الكفر واعتقادات الشك جعلهم اخوانا وكذلك قال ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين
لما اتبعوا امثالهم في الخلقة ولا بينهم ابوة ولا امومة لان الشياطين من ولد ابليس والمبذرين
من اولاد آدم ولكن تشاكلت قلوبهم في المواجيد ولا خلاف ولا بعد الا ما بينهم للتشابه
ممن كان من علماء الآخرة فبفعله يستضيء من انوار قلبه وفهمه يعبر عن استنباط علمه وما
وشاهدته واطلاعه على معاني يقينه وقوته وطريقه وسلوكه في منهاج سنته وسبيله
فهو من اخوانه وهم من اخوان النبيين الذين اشتاق الى رؤيتهم الرسول صلى الله
عليه وسلم وهم الغرباء يعني المثل الذي قال بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا
فطوبى للغرباء قيل ومن الغرباء قال الذين يصلحون اذا فسد الناس وفي لفظ آخر
يصلحون ما افسد الناس من سنتي والذين يحيونها ما اماتت الناس من سنتي يعني
انهم يظهرون طريقته التي زهد الناس وجهلوها وفي خبر آخر هم المتمسكون
بسنتي بما انتم عليه اليوم وفي حديث آخر الغرباء ناس قليلون صالحون بين ناس كثير
من يبغضهم اكثر ممن يحبهم فهؤلاء الغرباء هم الذين انعم الله عليهم برافقة النبيين

في أعلى عليين فقال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين إلى قوله رفيقا وقد كان
الثوري يقول إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلط وقال أيضا
إذا رأيت الرجل محببا إلى إخوانه محمودا في جيرانه فاعلم أنه مراء وقد وصف الله
تعالى علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال
في علماء الدنيا وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس إلى
قوله ثمنا قليلا وقال في نعت علماء الآخرة وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما
أنزل إليكم إلى قوله أجرهم عند ربهم وقد روينا عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم علماء هذه الأمة رجلان رجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم
يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء
ودواب الأرض والكرام الكاتبون يقدم على الله تعالى يوم القيامة سيدا شريفا
حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علما في الدنيا فضن به عن عباد الله وأخذ
عليه طمعا واشترى به ثمنا فذلك يأتي يوم القيامة ملجما بلجام من نار ينادي على رؤوس
الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله علما في الدنيا فضن به عن عباد الله تعالى وأخذ
عليه طمعا واشترى به ثمنا يعذب حتى يفرغ من حساب الناس ومن أغلظ ما سمعت
في أكل الدنيا بالعلم ما حدثونا عن عكرمة بن واقد عن عثمان بن أبي سليمان
قال كان رجل يخدم موسى صلى الله عليه وسلم فجعل يقول حدثني موسى صفي
الله عليه وسلم حدثني موسى نجي الله حدثني موسى كليم الله حتى أثرى
وكثر ماله وفقده موسى صلى الله عليه وسلم فجعل يسأل عنه فلا يحس له أثرا
حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل أسود فقال له موسى أتعرف
فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى يا رب أسألك أن ترده إلى حاله حتى أسأله
بم أصابه هذا فأوحى الله تعالى إليه لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه
ما أجبتك فيه ولكن أخبرك لم صنعت به هذا لأنه كان يطلب الدنيا بالدين وروينا عن
الحسن أنه انصرف يوما من مجلسه فاستأذن عليه رجل من خراسان فوضع بين يديه
كيسا فيه خمسة آلاف درهم وأخرج من حقيبته رزمة فيها عشرة أثواب من رفيع
بز خراسان فقال الحسن ما هذا فقال يا أبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال له
عافاك الله ضم إليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك إنه من جلس مثل مجلسي
هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له وفي خبر
إن العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق إلى المغرب وما يزن عند الله جناح
بعوضة وعلماء الدنيا طالبون لها بالعلم لا يكلون بها بالكد بل المتخذوا لا صرفا
ولا عدلا من أتباع الأنبياء المكرمون المحبون لهم المتمسكون بالعلم والسنة عليهم
هم معروفون في كل زمان بأوصافهم وحسن خلقهم وسيماهم وقد روينا في [illegible]

علماء

علماء السوء حديثا نشير إليه نعوذ بالله من أهله ونسأله أن لا يبلونا بمقام مثله
وقد روينا من حديث مسندا من طريق وروينا موقوفا على معاذ بن جبل وأنا أحرى موقوفا
أحب إلي حدثونا عن منذر بن علي عن أبي نعيم الشيباني عن محمد بن زياد عن معاذ بن
جبل يقول فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقفته أنا على معاذ قال
من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع وفي الكلام تنميق وزيادة
ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفي الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب
أن يوجد عند غيره فذلك في الدرك الأول من النار ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة
السلطان فإن رد عليه شيء من علمه أو تهوون بشيء من حقه غضب فذلك في
الدرك الثاني من النار ومن العلماء من يجعل حديثه وغرائب علمه لأهل الشرف واليسار
ولا يرى أهل الحاجة له أهلا فذلك في الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب
نفسه للفتيا فيفتي بالخطأ والله يبغض المتكلفين فذلك في الدرك الرابع من
النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك في الدرك
الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلا وذكرا في الناس فذلك في الدرك
السادس من النار ومن الناس من يستفزه الزهو والعجب فإن وعظ عنف وإن وعظ
أنف فذلك في الدرك السابع من النار عليكم بالصمت فيه تغلب الشيطان وإياكم أن
تضحكوا من غير عجب أو تمشي من غير أرب وقد روينا حديثا يدل على أوصاف
علماء الآخرة وفيه أصول ما يدعون الخلق إليه من مقامات الإيمان وأسباب اليقين
ولا يفارقان وروينا عن شقيق بن إبراهيم البلخي عن عباد بن كثير عن أبي الزبير
عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوقفته أنا على جابر بن عبد الله
قال لا تجلسوا عند كل عالم إلا عالم يدعوكم من خمس إلى خمس من الشك إلى اليقين ومن
الرياء إلى الإخلاص ومن الرغبة إلى الزهد ومن الكبر إلى التواضع ومن العداوة إلى
النصيحة ومما يدل أن علم اليقين والتقوى وعلم المعرفة والهدى هو العلم المذكور
المقصود عند السلف أن الصحابة والتابعين كانوا يستفتون من يقربهم ويجاوبون
عن علمه ويخبرون عن رفعه وفضيلته في آخر الزمان والمتابعون بذلك علم القلوب والمشاهدات
الذي هو مزيد الإيمان وثمرة الهدى فإنما يعرفه المتقون ويقل الخاشعون ويعدم الزاهدون
هذه العلوم لا تنافيها موجودة عند مهم أربابها والناطقين بها وهي أحوالهم
وطرائقهم السالكون بها والقائمون بها فلا جرم عند الصحابة والتابعين بعد
لهم كانوا يبكون على فقده ونزر وصف الله تعالى العلماء بالزهد في الدنيا والاشتغال
بها وعمل الصالحات للإيمان بها كما وصف أبناء الدنيا بالرغبة فيها والاستعظام
لها قال تعالى في معنى ذلك فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة
الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم

وبلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا الآية فقال ولا يلقاها إلا الصابرون أي لا يلقى معرفة
الحكمة إلا الصابرون عن زينة الدنيا التي خرج فيها قارون

وروينا من حديث جندب بن عبد الله البجلي

كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غلمانا حزاورة فيعلمنا الإيمان قبل القرآن
ثم يعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا وعن ابن مسعود قال أنزل القرآن ليعمل به
فاتخذتم دراسته عملا وسيأتي قوم يثقفونه تثقيف القنا ليسوا بخياركم
وفي لفظ آخر يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه وروينا عن ابن عمر
وغيره لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا يؤتى الإيمان من قبل القرآن وتنزل
السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها وما ينبغي أن يوقف عنده فيها
كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن ولقد رأينا رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل
الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره وما ينبغي أن يقف
عنده ينثره نثر الدقل وفي الخبر الآخر بمعناه كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم أوتينا الإيمان قبل القرآن وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الإيمان
يقيمون حروفه ويضيعون حدوده ويقولون قرأنا فمن أقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا
فذلك حظهم منه وفي لفظ آخر أولئك شرار هذه الأمة فأهل العلم المأثور الذي نقله
خلف عن سلف والخبر المرسوم في الكتب المستودع في الصحف الذي سمعه من يتبع من
فهم هذا علم الأحكام والفتيا وعلم الإسلام والقضايا لم يفقد السمع ومفتاحه الأ
الاستماع وخزانته العقل وهو مدون في الكتب ومجموع في الورق يتلقاه الصغير
عن الكبير بإسناد السنة وهو باق ببقاء الإسلام وموجود بوجود المسلمين لأنه حجة
الله تعالى على عباده ومحجة العموم من خليقته تنقله الظهار فلم يكن يحمله بطنه
ونقله يحمله فقال ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون كما قال الرسول
صلى الله عليه وسلم يعني وعلم ظاهر على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه
وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم
فأخبر صلى الله عليه وسلم بالعلم الظاهر المستودع لظهور الكتب الذي هو
ظاهر الدين وفي حبله وعزمه ووجود الشرع كما قضى الله تعالى ببقية الإسلام
على كثير من المشركين وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله من سمع مقالتي
فبلغها كما سمعها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه وفي هذا
إخبار أن حامل الفقه قد يكون غير فقيه القلب إذا لم يعمل بعلمه وأنه قد يحمل الحديث
من هو أفقه منه إذ عمل به كما قال في الخبر الآخر رب مبلغ أوعى من سامع مع جمعه بالعمل

به إذا وعاه فيتحلى به ويتعنى فيه وإن لم يكن سمعه منه صلى الله عليه وسلم وقال الله
سبحانه وتعيها أذن واعية يعني أذن القلب الحافظة ما سمعت من الزيادة كما وصف
كما قال تعالى إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد يعني أصغى
بسمعه إلى سامعه ويشهد بقلبه ما سمعه من شاهده وقد جاء في تفسير وتعيها أذن
واعية قال أذن عقلت عن أمر الله تعالى أمره ونهيه ووعته وعملت به كما وصف سبحانه
وتعالى المؤمنين الذين استثنى من جنسهم بقوله في تمام وصفهم والحافظون لحدود الله
وقد روينا عن علي عليه السلام اطلبوا العلم تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله
وقال أيضا إذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب وقال بعض
السلف من ضحك ضحكة مج مجة من العلم وقال الخليل بن أحمد ليس العلم ما حواه القمطر إنما
العلم ما وراء الصدر وإنه اجتمع للعالم ثلاث كملت النعمة على المتعلم الصبر والتواضع
وحسن الخلق وإذا اجتمع للمتعلم ثلاث كملت النعمة على العالم العقل والأدب وحسن الفهم

ذكر وصف العلم وطريقه

السلف وذم ما أحدث المتأخرون من القصص والكلام إنه لا بد للعالم بالله تعالى من
خمس هن علامات علماء الآخرة الخشية والخشوع قال الله تعالى إنما يخشى الله من
عباده العلماء وقال خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا الآية فلا بد له
من التواضع وحسن الخلق وقال الله سبحانه واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين
وقل إني أنا النذير المبين وقال فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا الآية وقال تعالى
في الصبر وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير الآية فجمع عز وجل فيه هذه الخصال جميع
من العلماء العالم بالله تعالى واعلم أنه إنما يستبين العالم عند المشكلات في الدين
ويحتاج إلى العارف عند شبهات تحير الصدور كما روينا أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لابن مسعود أي الناس أعلم قال الله ورسوله أعلم قال أعلمهم بالحق إذا
اختلف الناس وإن كان في عمله تقصير وإن كان يزحف على استه بل لقد كان ابن مسعود
يقول لا تزالون بخير ما إذا حاك في صدر أحدكم شيء وجد من يخبره ويشفيه منه وايم
الله أوشك أن لا تجدوا ذلك وروينا في حديث عمران بن حصين أن الله تعالى يحب
البصر النافذ عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات ويحب السخاء
ولو على تمرات ويحب الشجاعة ولو على قتل حية فقد حصلنا في زمان تنازع فيه قبل ما خاف به
ابن مسعود لأن مشكلة لو وردت في معاني التوحيد وشبهة لو اختلجت في صدر مؤمن
من معاني صفات الموحد أو دقت كشفها على أحد ليشهد القلب الموقن وينشرح له
الصدر المشروح بالهدى لكان ذلك عزيزا في وقتنا ولكنت في استكشاف ذلك لمن يبرع

خمسة نفر مبتدع ضال يخبر برأيه عن هواه، ومن يرى حجة أو متكلم يتبع المتشابه بقصور علمه
عن مشاهدة الموقنين بقياس معقوله على ظاهر الدين وهذا اشتبه عليه فتكشف
شبهة بشبهة أو صوفي متأله غالي ذائبه محال ورد به الكتاب والسنة لا يبالي بهما
ويخالف بقوله الأئمة لا يفارقهما مثبتا بالظن والوسواس والتمويه بالقياس ومن
يجوزوا الكون والمكان ويصف العلم والأحكام ويذهب الأسماء والرسوم وهؤلاء تابعون
في مقالة النبيه لم يقفوا على المحجة فقد غرقوا في لجج التوحيد لم يجعلوا الجنة للمتقين
ولا حجة وهذا ساقط القول إذ ليس معه حجة ولا هو على سنن محجة أو متقرئ عالم عند
نفسه موسوم بالفقه عند أصحابه يقول لهذا من أحكام الآخرة وعلم الغيب لا نتكلم
فيه لأنا لم نكلفه وهو في أئمة متأخرين تكلفوا فيما لا يكلف ويجادل فيما لم ينطق
به السلف ويتعلم ويعلم ما علمه تكلف ولا يعلم المسكين أنه كلف علم الإيمان
وحقيقة التوحيد ومعرفة إخلاص المعاملة وعلم ما يقدح في الإخلاص ويخرج من
حملته قبل ما هو فيه وأنه متكلف لبعض ما يبتغيه لأن الإيمان وصحة التوحيد
وإخلاص العبودية للربوبية وخلاص الأعمال من الهوى للدنيا وبه وما
تعلق بذلك من أعمال القلوب هو من الفرض في الدين ونعت أوصاف الموقنين والمتقين
لا تفتنوا ولا تنفروا لقول الله عز وجل ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا
إليهم لعلهم يحذرون ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين فإني
متعلم معكم ولقول الصحابة تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانا فهذا
من زيادة الإيمان بالإيقان وهو من زيادة المؤمنين بالإيمان كما قال فزادتهم إيمانا ومن يرد
الله الذين اهتدوا هدى ولا يسع أن يحسن الأدب في المعاملة لمعرفته ويقينه هو
من صفات الموقنين وذا هو حال العبد في مقامه بينه وبين ربه وهو نصيبه
من ربه وحظه من دنياه وآخرته فهو مفقود بشهادة التوحيد الخالص المفترضة
بالإيمان من حقائق السنن وشعب اليقين وهو مقرون بالعبادة وهو فرض عليها
ولا إخلاص في المعاملة وإن علم ما سوى هذا مما فيه شرائع قلبه وحببا إليه حتى
بطول العلوم وغرائب الفهوم مما هو محجوب عن هذا واشتغال عنه لأنه نوازل
الناس وحوائجهم ما إن هذا الغافل بقلة معرفته بحقيقة العلم النافع ما زين له
طلبه وحبب إليه وقصر أن حوائج الناس وأحوالهم على حاجته وعاله وعمل في
نصيبهم منه في عاجل دنياه من نوازل طوارقهم وقبائحهم ولم يعمل في نصيبه الآجل
من ربه الأعلى الآجل آخرته الذي هي حظه وإنما مرجعه إليها ومثواه المؤبد فيه
بأن التقرب منهم على العزيمة من الورع وقلة التشاغل بهم حظه من الله تعالى الأجل
وقدم الذين غرتهم على فراغ قلبه لما قدم لغيره من تقواه بل شغل بحرمته مرة وطلب
رضاه واشتغل بصلاح ألسنتهم عن صلاح قلبه وظاهر أحوالهم عن باطن حاله وكان

سبب

سبب ما يليق به حب الرياسة وطلب الجاه عند الناس والمنزلة لموجب السياسة والرغبة
في عاجل الدنيا وعزها بقلة الهمة وضعف النية في أجل الآخرة وذخرها فلا يفنى أيامه
أيامهم وأذهب عمره في شهواتهم لتسميه الجاهلون بالعلم عالما وليكون في قلوب الـ
البطالين عندهم فاضلا فورد القيامة مفلسا عند ما يرى من أقصية المقربين فيلتمس
أنه ربح الرضى العاملون وفاز بالقرب العالمون ولكن أبعد له وكتب نصيبا غيره وقد
جعل الله تعالى لكل عمل عاملا ولكل علم عالما أوليختبرهم نصيبهم من الكتاب كل ميسر
لما خلق له هذا فصل الخطاب وأيضا فإن الأمة لم تختلف أن علم التوحيد فريضة سبيلا إذا
وقعت الشبهات وادخلت فيه المشكلات وإنما اختلفوا في مسألتين أي شيء هو
التوحيد وفي كيفية طلبه والتوصل إليه فمنهم من قال بالبحث والطلب ومنهم من يقول
بالاستدلال والنظر ومنهم من قال بالسمع والأثر وقال بعضهم بالتوقف والتسليم وقال
بعض الناس يرد لهذا العجز والتقصير عن بلوغ دركه والأجل الخامس من العلماء هو
صاحب حديث وأثر وناقل رواية وأخبار يقول لما إذا سأله اعتقد التسليم وأمر
الحديث كما جاء فلا تفتش وهذا يتأول المجتنين في السند لأمته وهو أحسنهم طريقة
وأشبههم طريقة بسلف العامة خليقة ليس عنده شهادة بيقين ولا معرفة تحقيق
ما رواه ولا هو مشاهد لأصحاب المعنى ما نقله إنما هو للعلم راويه وللخبر ولا ناقله
عن غيب مخبر ولا فقه في نقله فهو على بينة من ربه وليس يتلوه شاهد منه وقد
كان الزهري يقول حدثني فلان من أوعية العلم ولا يقول كان عالما وكان مالك بن
أنس يقول أدركت سبعين شيخا من التابعين منهم عباد ومنهم مستجاب الدعاء ومنهم
من يستسقى به ما حملت عنهم علما قط قيل ولم ذاك قال لم يكونوا من أهل هذا الشأن
وفي رواية لم يكونوا يدرون ما يحدثون به ولم يكن لهم فقه فيما يسألون عنه
قال مالك وقدم علينا ابن شهاب الزهري وهو حديث السن فيزدحم حتى لا يصل إليه كان
عالما بما تحدث به هذا المعنى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رب حامل فقه
غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه وقال بعض السلف ما كانوا يعدون
علم من لا يعرف اختلاف العلماء علما وقال آخر من لم يعرف اختلاف العلم لم يحل له أن
يفتي ولم يسم عالما وقال قتادة وسعيد بن جبير أيضا أعلم الناس أعلمهم
باختلاف الكلم لم يحل له أن يفتي ولم يسم عالما وقال الناس وقيل لأحمد بن حنبل
إذا كتب الرجل مائة ألف حديث له أن يفتي قال لا قيل فمائتي ألف قال لا قيل فثلاثمائة
ألف قال أرجو وفي التوراة مكتوب الطبيب الحاذق للعلة الباطنة بعلمه وكتب
سلمان من المدائن إلى أبي الدرداء وكان من إخوان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينهما فيمن آخى بلغني أنك تعد طبيبا تداوي المرضى فإن كنت طبيبا
فتكلم فإن كلامك شفاء وإن كنت متطببا فالله الله لا تقتل مسلما فكان أبو

الرداء. فتوقف بعرفة لما انه سئل عن شيء. وسأله انسان عن شيء فأجابه ثم خال
رده، فقال له اصبر علي فأعاده فقال فتطيب والله فرجع في جوابه ولعمري انه قد
جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من تطبب ولم يعلم منه طب فقتل فهو ضامن
وقد كان ابن عباس يقول سلوا جابر بن زيد فلو نزل اهل البصرة على فتياه لوسعهم
وكان ما اصحى الناس بفتيا وكان ابن عمر اذا سئل عن شيء يقول سلوا سعيد بن
المسيب فإنه قد جالس ونسينا وقال بعض التابعين قدم علينا رجل من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتينا الحسن فقلنا الا تذهب الى هذا فنسأله
عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجيء معنا فقال نعم فاذهبوا فجاء
فجعلنا نسأله عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يحدثنا حتى حـ
حدثنا عشرين حديثا قال والحسن ساكت يستمع اليه ثم جثا الحسن على ركب
ركبتيه فقال يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الحم لنا بتفسير ما رويت
عن رسول الله نتفقه فيه فسكت الصحابي فقال ما عندي الا ما سمعت قال
فابتدأ الحسن يفسر ما رواه فقال الحديث الاول حدثتنا به كان تفسيره
كيت وكيت والحديث الثاني تفسيره كذا وكذا حتى سرد عليه الاحاديث كلها
كما حدثنا بها واخبرنا بتفسيرها قال فلا ندري مم نعجب من حسن حفظه وأدائه
للحديث او من علمه وتفسيره قال فأخذ الصحابي كفا من حصى وحصبنا به ثم قال
تسألوني عن العلم وهذا الحبر بين اظهركم موجود. اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
يرون الامور في الدنيا وعلم اللسان اي هم دونهم في الفقر والمنزلة وهو في
علم التوحيد والمعرفة والايمان فوقهم درجات ولا يرجعون اليهم في الشبهات ولا
يردون اليهم في علم اليقين والمعرفة فهذا لهذا قيل انما العلم نور يقذفه الله تعالى
في قلوب اوليائه فقد يكون ذلك تفضيلا للنظراء بعضهم على بعض وقد يكون تخصيصا
للشباب على الشيوخ وللمتأخر بعد السلف من التابعين وربما كان تكرمة للخاملين
المتواضعين ليغتبط عليهم ويعرفون شأنهم ليعظموا ويرفعوا كما قال الله سبحانه
ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة والنور اذا جعل في الصدر
انشرح القلب بالعلم ونطق باليقين ونطق باللسان بحقيقة البيان وهو الحكمة
التي يؤتيها الله تعالى في قلوب اوليائه كما جاء في تفسير قوله عز وجل وآتيناه
الحكمة وفصل الخطاب قيل الاصابة في القول فكأنه يوقعه لحقيقته عنده وقال تعالى
يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا قيل الفهم والفطنة
وقد قال صلى الله عليه وسلم في وصف القرابة حين تلا قوله سبحانه فمن يرد الله
ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقيل يا رسول الله ما هذا الشرح فقال ان النور
اذا قذف به في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال التجافي

عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فذكر سببه الزهد
في الدنيا والاقبال على خدمة المولى بحسن التوفيق والاصابة في العلم مواهب من الله
سبحانه واثره يختص به من يشاء. كما سئل ابو موسى الاشعري وهو امير الكوفة عن رجل
قتل في سبيل الله مقبلا غير مدبر اين هو قال في الجنة فقال ابن مسعود للسائل اعد
عليه الامر فلعله لم يفهم قال السائل فقلنا اعد الامر ما تقول في رجل قتل في
سبيل الله تعالى فقتل مقبلا غير مدبر اين هو فقال ابو موسى في الجنة فقال ابن مسعود اعد
على الامير فلعله لم يفهم فأعاده عليه ثلاثا كل ذلك يقول ابو موسى في الجنة
قال ما عندي غير هذا ما تقول انت فقال ابن مسعود لكني لا اقول هكذا ان قال
قوله قال اقول ان قتل في سبيل الله فأصاب الحق فهو في الجنة فقال ابو موسى لا تسألوني
عن شيء ما دام هذا الحبر بين اظهركم والقول في تسليم اخبار الصفات والسكون عن
تفسيرها كما قال اصحاب الحديث لا ان معرفة معاني الاسماء والصفات وشهودها يقع
الحق والوسواس فيها ومن اجل التشبيه والتمثيل بل والطمأنينة الى اليقين بالمعرفة
لمشاهدتها هو مقام الموقنين وانما صفات الله تعالى تتجلى بها وبها تظهر من غير حد بلا
حد ولا عدد يظهر بحقيقة صفة كيف شاء غير موقوف على صفة ولا محكوم عليه بصورة
في الظهور غيره بل هو كيف ظهر وبأي وصف تجلى مع نفي الكيفية والتمثيلية ينفي الجنس
والجوهر به هو مقام المقربين من الشهداء وهم الصديقون وخصوص الموقنين فمن
عدل به عن وجهه هوى ولم يواجهه شهادة تمم عدل الى التسليم والتصديق يوقفه عنده
فكان معافى واستراحة وليس بعدها هوى. ومقام يحرم ولا وصف يزكي ولا يستتم له
بعقله ونفسه براءة به دخل عليه التشبيه او خرج الى النفي والابطال ومن الدليل على
فضل هذا العلم على سائر العلوم ما جاء في الاخبار المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعن الصحابة والتابعين في فضل مجالس الذكر وفضل الذاكرين انما يعنون به علم الايمان
والمعرفة وعلوم المعاملات والتفقه في بصائر القلوب والنظر بعين اليقين الى مساوي
العيوب وليس كما يرون في ذلك مجالس القصص ولا يعنون بذلك القصاص فانهم كانوا يرون
القصص بدعة ويقولون لم يقص في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زمن ابي بكر
ولا عمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة فلما وقعت الفتنة ظهر القصاص فلما دخل علي
عليه السلام البصرة جعل يخرج القصاص من المسجد ويقول لا يقص في مسجدنا حتى انتهى
الى الحسن وهو يتكلم في هذا العلم فاستمع اليه ثم انصرف ولم يخرجه وجاء ابن عمر الى مجلسه
فوجد قاصا فوجه الى صاحب الشرطة ان اخرجه من المسجد فأخرجه فلو كان القصص من
مجالس الذكر والقصاص علماء لما اخرجهم ابن عمر من المسجد هذا مع ورعه وزهده وقد روينا
عن ابن عون عن ابي السائح قال قلت للحسن اما ما ترى في مجتمع الرجال والنساء يرفعون
اصواتهم بالدعاء ويدعون لربهم فقال الحسن رفع الصوت بالدعاء بدعة ومد الايدي بالدعاء

بدعة ومثل الأبرار بالرعاع بدعة وروى أبو الأشهب عن الحسن القصص بدعة وقيل لابن سيرين لو قصصت على إخوانك فقال قد قيل لا يتكلم على الناس إلا أحد ثلاثة أمير أو مأمور أو أحمق فلست بأمير ولا مأمور وأكره أن أكون الثالث وروينا عن عون بن موسى عن معاوية بن قرة قال سألت الحسن البصري قلت أعود مريضا أحب إليك أو أجلس إلى قاص فقال عد مريضك قلت أشيع جنازة أحب إليك أو أجلس إلى قاص فقال شيع جنازتك قلت استعان بي رجل في حاجة أعينه أو أجلس إلى قاص قال اذهب إلى حاجتك حتى جعله جميعا من مجالس البدع وقد كانت مجالس الذكر عندهم غير مجالس القصاص ولو كان القصص هو الذكر لما وسع الحسن أن ينهى عنه ولا يؤثر عليه كثيرا من الأعمال لأنه كان يدعو إلى الله تعالى بالتوحيد ويتكلم في علم المعرفة واليقين والذاكرين لله تعالى وحضور مجالس الذكر من مزيد الإيمان وقد رفع الله تعالى مقام الذاكرين بعد مقامات المؤمنين في قوله إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات فجعل الذاكرين والذاكرات أعلى المقامات وقد روينا في حديث إن حضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن قال وهل ينفع قراءة القرآن إلا بالعلم وقال بعض السلف حضور مجلس ذكر يكفر عشرة مجالس من مجالس الباطل وأما عطاء فإنه قال مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وحدثونا عن معاذ بن علم قال رأيت يونس بن عبيد وأنا في حلقة المعتزلة فقال تعال ويحك فقال إن كنت لا بد فاعلا فعليك بحلقة القصاص وكان الحسن رحمه الله أحد المذكورين وكانت مجالسه مجالس الذكر يخلو فيها مع إخوانه وأتباعه من النساك والعباد في بيته مثل مالك بن دينار وثابت البناني وأيوب السختياني ومحمد بن واسع وفرقد السبخي وعبد الواحد بن زيد فيقول هاتوا انشروا النور فيتكلم عليهم في هذا العلم من علم اليقين والقدرة وفي خواطر القلوب وفساد الأعمال ووساوس النفوس وربما قنع بعض أصحاب الحديث رأسه فاختفى من ورائهم ليسمع فلما رآه الحسن قال له يا لكع وأنت ما تصنع هاهنا إنما خلونا مع إخواننا نتذاكر والحسن رحمه الله هو إمامنا في هذا العلم الذي نتكلم فيه أثره نقفو وسبيله نتبع ومن مشكاته نستضيء أخذناه إذنا عن الله تعالى إماما عن إمام إلى أن ينتهي ذلك إليه وكان من خيار التابعين بإحسان قيل ما زال يعبج الحكمة أربعين سنة حتى نطق بها ولقي سبعين بدريا وروى عن ثلاثمائة من الصحابة ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه سنة عشرين من الهجرة وولد بالمدينة وكانت أمه مولاة لأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ويقال إن الحكمة التي جعله الله حين بكى بدر ثديها عليه وكان كلامه يشبه بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى عثمان وعليا رضي الله عنهما وهو يافع في وقته من العشرة ثم رأى من أصحاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم من عهد عثمان ومن سنة نيف وعشرين من التاريخ إلى سنة نيف وتسعين ومن آخر من مات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبصرة أنس بن مالك وبالمدينة سهل بن سعد الساعدي وبمكة أبو الطفيل وباليمن أبيض بن حمال المازني وبالكوفة عبد الله بن أبي أوفى وبالشام أبو قرصافة وبخراسان بريدة الأسلمي ودخلت سنة مائة من التاريخ ولم يبق على وجه الأرض عين طرفت رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع أطراف الأرض ثم توفي الحسن رحمه الله في سنة عشر ومائة وكان أبو قتادة العدوي يقول عليكم بهذا الشيخ فوالله ما رأينا أحدا لم يصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وكانوا يقولون كان يشبه هديه إبراهيم الخليل عليه السلام في حلمه ووقاره وسكينته وكان على شمايله ونذرت امرأة بالبصرة نذرا إن فعل الله لها ما تحب أن تنسج ثوبا من غزلها وصبغه وتكسوه خير أهل البصرة فرأت فدام نذرها ووفت بما نذرت ثم سألت عن خير أهل البصرة فقالوا الحسن وكان الحسن أول من أنهج سبيل هذا العلم وفتق الألسنة به ونطق بمعانيه وأظهر أنواره وكشف قناعه وكان يتكلم فيه بكلام لم يسمعوه من أحد من إخوانه فقيل له يا أبا سعيد إنك تتكلم في هذا العلم بكلام لم يسمعوه من أحد غيرك فمن أين أخذت هذا فقال من حذيفة بن اليمان وقيل لحذيفة نراك تتكلم في هذا العلم بكلام لا نسمعه من أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أين أخذته فقال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقني وقال مرة فعلمت أن من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي لفظ حديث آخر كان الناس يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا ويسألونه عن فضائل الأعمال وكنت أقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني أسأل عن آفات الأعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة قد خص بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق ودقائق العلم ودقائق الفهم وخفايا اليقين من بين أصحابه فكان عمر وعثمان وأكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن الفتن العامة والفتن الخاصة ويرجعون إليه في هذا العلم الذي خص به ويسألونه عن المنافقين وهل بقي منهم ممن ذكر الله تعالى وأخبر عنهم أحد وكان يخبر بأعدادهم ولا يذكر أسماءهم وكان عمر رضي الله عنه يستكشفه عن نفسه هل يعلم فيه شيئا من النفاق فيبرئه منه ثم يسأله عن علامات النفاق وآية المنافق فيخبره من ذلك بما يصلح لمن أخذ له فيه ويستعفي عما لا يجوز أن يخبر به فيعذره في ذلك وكان عمر إذا دعي إلى جنازة ليصلي عليها فإن حضرها حذيفة صلى عليها وإن لم يحضرها حذيفة لم يصل عليها وكان حذيفة يسمى صاحب السر المكتوم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يسألونه عن علم يقول أحدهم تسألوني عن هذا وصاحب السر فيكم يعني حذيفة وروينا

عن انس بن مالك انه لما حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل مجالس الذكر لان اقعد
مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة الى طلوع الشمس احب الي من عتق اربع رقاب قال
فالتفت الى يزيد الرقاشي وزياد النميري فقال لم يكن مجالس الذكر مثل مجالسكم
هذه يقص احدكم ويخطب على اصحابه ويسرد الحديث سردا انما كنا نقعد فنذكر الايمان
ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين ونعدد نعم الله علينا

وقد كان عبد الله بن رواحة يقول لاصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالوا نؤمن ساعة فيجلسون اليه فيذكرهم العلم
بالله واليوم الآخر وكان يخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قيامه فيجمع اليه
الناس ويذكرهم الله تعالى وايامه ويفقههم فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فربما خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم مجتمعون عنده فيسكتون فيقعد اليهم
ويامرهم ان ياخذوا فيما كانوا فيه ويقول بهذا امرنا والى هذا دعوت وروي نحو هذا عن معاذ
بن جبل وقد كان يتكلم في هذا العلم وقد روينا هذا المعنى في حديث جندب كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيعلمنا الايمان قبل ان نتعلم القرآن فسمى علم الايمان ايمانا
وهذا في اللسان والعرف تسمية الشيء بوصفه وتسميته باصله كما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مثله تعلموا اليقين اي علم اليقين وكما قال سبحانه وتعالى وابيضت عيناه
من الحزن اي من البكاء فسماه باصله لان الحزن اصل البكاء وقد روينا عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه خرج ذات يوم فرأى مجلسين احدهما يدعون الله تعالى ويرغبون
اليه والآخر يفقهون في الدين ويعلمون الناس فوقف بينهما ثم قال اما هؤلاء فيسألون
الله تعالى فان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما هؤلاء فيعلمون الناس ويفقهون في
الدين وانما بعثت معلما ثم عدل الى الذين يفقهون الناس في الدين ويذكرون الله
تعالى فجلس معهم وحكي عن بعض السلف قال دخلت المسجد ذات يوم فاذا حلقتين
احداهما يقصون ويدعون والاخرى يتكلمون في العلم وفقه الاعمال قال فملت الى حلقة
الدعاء فجلست اليهم فحملتني عيني فهتف بي هاتف او قال في نومي جلست
الى هؤلاء وتركت مجلس العلم لو جلست اليهم لوجدت جبريل صلى الله عليه وسلم عندهم
الا تسمع الى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم افضل الذكر لا اله الا الله فحقيقة
الذكر هو العلم بالله تعالى قال الله تعالى في تفصيله فاعلموا انه لا اله الا الله وقال
في مثله فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو ثم ان العلم من الذكر علم المشاهدة
والمشاهدة صفة عين اليقين فاذا كشف غطاء اليقين شهدت معاني الصفات
بانوارها من نور اليقين الذي هو كما قال الايمان وحقيقته فيشاهد تحت كنف الموصوف

بمشاهدة

بمشاهدة المذكور بنور وصفه المراد بقوله تعالى كانت اعينهم في غطاء عن ذكري يعني كانت
عينه في كشف من ذكري فشهد المذكور فعندها ذكر ثم وجد حقيقة العلم بعد نسيان الخلق
الخلق لقوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت يعني الذكر بنسيان سواه كما حقيقة الايمان الكفر
بكل اله سواه كقوله عز وجل فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله **وقال بعض**
اهل الحديث جاءني رجل من اخواني من اهل المعرفة فقال لي قد وجدت من قلبي غفلة وما
ما يرى ان تحملني الى مجلس من مجالس الذكر فقلت نعم فسمى له من ذكر انه يتكلم في علوم العا
قال فجئنا اليه واجتمع الخلق واخذ في شيء من القصص وذكر الجنة والنار فنظرت الى
صاحبي فقال ليس من عقبت ان هذا يذكر الله تعالى ويذكر ايامه فقلت نعم هكذا هو
عندنا فقال ما اسمع الا ذكر الخلق فاين ذكر الله تعالى قال ثم وقف ساعة ينتظر منه
ما يريد من علم المعرفة ومما سمعه من شيوخه الصوفية فلما لم يسمع الا القصص والحـ
كايات لما انقضت اليه وقال قم بنا فانه لا يستطيع الجلوس لانه لا نيل فيه في
ذلك فقلت له اما انا فاستحيي ان اتخطى الناس فاصنع انت ما ترى فقام يتخطى
الناس حتى خرج **وقد روينا** الزهري عن سالم عن ابن عمر انه خرج من المسجد
وقال ما اخرجني الا القاص ولولاه ما خرجت وقال ضمرة قلت لسفيان الثوري
نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على
ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى الامير القصاص ان يقصوا فقال وفق للصواب
عن ابي معمر عن خلف بن حوشب قال رأيت سيارا ابا الحكم يستاك على باب المسجد وقاص
يقص في المسجد فجاءه رجل فقال يا ابا الحكم ان الناس ينظرون فقال اني في خير
مما هم فيه اني في سنة وهم في بدعة

وقد فعل الاعمش ابلغ من ذلك

ثم دخل البصرة وكان فيها غريبا فدخل الى قاص في الجامع وهو يقول حدثنا الاعمش عن
ابي اسحاق وحدثونا الاعمش عن ابي وائل قال فتوسط الاعمش الحلقة ورفع يديه
وجعل ينتف شعر ابطه فقال له القاص يا شيخ الا تستحي نحن في علم وانت
تفعل هذا فقال الاعمش الذي انا فيه افضل من الذي انت فيه قال كيف قال لاني
في سنة وانت في كذب انا الاعمش وما حدثتك مما تقول شيئا قال فلما سمع الناس
ذكر الاعمش انفضوا عن القاص واجتمعوا حوله وقالوا حدثنا يا ابا محمد واخبرنا عن
محمد بن هارون ان اسحاق حدثه قال صلينا مع احمد بن حنبل صلاة العيد فاذا قاص
يقص يلعن المبتدعة ويذكر السنة فلما قضينا الصلاة مررنا ببعض الطريق فذكر
ابو عبد الله القاص ما اعظمهم للعامة وان كان عامتهم يكذبون به وانا احسبت عن

عن محمد بن جعفر ان ابا الحسن حدثه انه سمع احمد بن حنبل رضي الله عنه يقول اكذب الـ
الناس القصاص والسؤال

وحدثونا عن احمد بن حنبل

ايضا انه قال ما احوج الناس الى قاص صدوق لانهم يذكرون الميزان وعذاب القبر قلت
له كنت انت تحضر مجالسهم قال لا وروينا عن حبيب ابن ابي ثابت عن زياد النخعي قال
اتينا انس بن مالك وهو جالس في زاوية فقال قص فقلت نحب والناس يقولون بدعة
فقال ليس بشيء. من ذكر الله تعالى بدعة قال فقصصت فجعلت اكثر فقصصت دعا رجاء
ان يومن قال فجعلت اقص وهو يومن وقد كانوا يجعلون الرجل قصاصا وحدثنا يوسف
عن عطية عن محمد بن عبد الرحمن الحراني قال جعفر الخصيبي عامر بن عبد الله العنبري فقال
اذ صبوا ابنا الى ابي عبد الله فاتاه الخصيبي فاذا عامر في بيت مظلم واضع راسه وليس في
البيت احد فقال له الخصيبي يا ابا عبد الله لم تدعنا نأتيك فقال اني كنت اجلس
هذه المجالس فاسمع تخليطا وتغليطا واني كنت اسمع مشيختنا فيما يروونا عن نبينا
صلى الله عليه وسلم انه كان يقول ان اصفى الناس ايمانا يوم القيامة اكثرهم فكرة
في الدنيا واكثر الناس ضحكا في الجنة اكثرهم بكاء في الدنيا واشد الناس فرحا في الاخرة
اطولهم حزنا في الدنيا فوجدت البيت اخلى لقلبي واقدر لي من نفسي على ما اريد منها
قال الخصيبي اما انه لم يعن مجالسنا هذه وانما عنى مجالس القصاص في الطرق الذين
يخلطون ويغلطون ويقدمون ويؤخرون

وقد قسم بعض العلما

المتكلمين على الناس ثلاثة اقسام فوضعهم بمواضعهم فقال المتكلمون ثلاثة اصحاب
الكراسي وهم القصاص واصحاب الاساطين وهم المفتون واصحاب الزوايا وهم اهل
المعرفة فمجالس اهل العلم بالله تعالى واهل التوحيد والمعرفة وهي مجالس الذكر
وهي التي جاءت فيها الاثار وفي الخبر اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها قيل
وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفي الحديث ان لله تعالى ملائكة سياحين في
الهوا فضلا عن كتاب الخلق اذا راوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا ان هلموا الى بغيتكم
فياتونهم حتى يجلسوا اليهم يحفون بهم ويستمعون منهم الا فاذكروا الله تعالى
وذكروا انفسكم وقال وهب بن منبه المجالس مجلس ينتفع فيه العلم احب الي من
قدر صلاة نفل لعل رجلا يسمع الكلمة فينتفع بها السنة او ما بقي من عمره وسئل احمد
رحمه الله عن مجالس الذكر فعظمها ورغب فيها وقال اي شيء احسن من ان يجتمع الناس
يذكرون الله تعالى ويعددون نعمته عليهم كما قال الانصار وروينا عن علي رضي الله
عنه ما يسرني ان الله تعالى اماتني طفلا وادخلني الدرجات العلا من الجنة قيل
ولم قال لا حتى احبابي حتى عرفته وقال ما الدنيا حد يقال اخرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا
اطيب شيء فيها قيل وما هو قال المعرفة

وانشد

وانشد

ان عمران ذي الجلال لعز — وضياء وبهجة وسرور
وعلى العارفين ايضا بهاء — وعليهم من المحبة نور
فهنيئا لمن عرفك الاهي — هو والله دهره مسرور

وقال يحيى بن معاذ الرازي في الدنيا جنة من دخلها لم يشتق الى شيء ولم يستوحش
قيل وما هي قيل معرفة الله تعالى وقال بعضهم لن يخطيه من العارف احدى ثلاث
نزل عليه هيبة او حلاوة او انس وقال ابو محمد سهل رحمه الله خرج العلماء و
الزهاد والعباد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم يفتح الا قلوب الصديقين والشهدا
ثم تلى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو يعني مقفلة عن مفاتح المعرفة ونتيجة ذلك
عيون التوحيد فمجالس الذكر هذه فيما كانت لاهل المعرفة واصحاب الحال ملكات القلوب
في علم الباطن وهم علماء الاخرة واهل الفقه في الدين وقد قال الله تعالى اصدق القائلين
فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
لعلهم يحذرون فجعل الفقه الذي هو من صفة القلب والخوف الذي هو موجب الفقه وعلم
العقل داخل في علم الظاهر والعلم بالله تعالى داخل في اليقين كما روي في الخبر اليقين
الايمان كله وقال الله تعالى وما يعقلها الا العالمون فجعل العقل وصفا من العلم وقد
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلم اليقين كما امر بتعلم العلم فكان هذا الحديث
مخصوصا من تمامه يكون قوله تعلموا اليقين المخصوص من اليقين مقام فوق العلم ويكون
قوله طلب العلم فريضة للعموم وفي قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين اي مجالسة
الموقنين لان اليقين لا يحصر بذاته وانما يوجد عند الموقنين بقدر وجدهم ولم يقل تعلموا
علم المعقول ولا علم القياس وكان علماء الظاهر قديما يسمون المفتون ومن ذلك قوله
صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وان افتاك المفتون فرده الى فقه القلب ومرده عن
فتيا المفتين فلولا ان القلب بفقه لم يجز ان يرده صلى الله عليه وسلم عن علم وفقه ولولا
ان علم الباطن حاكم على العلم الظاهر وما وجد عن علوم اهل الظاهر وهم علماء الالسنة
الى علم الباطن وهو علم اهل القلوب ولا يجوز ان يرده صلى الله عليه وسلم الى علم وفقه
ولا من فقه الى فقه دونه وقد جاء هذا الحديث بلفظ موكد في التكرار والمبالغة
فقال استفت قلبك وان افتوك وافتوك وهذا مخصوص لمن كان له قلب والقى السمع وهو
فيه شاهد وعري من شهواته ومقصوده من هواه وعادته لان الفقه ليس من وصف
اللسان الم تسمع قوله سبحانه لهم قلوب لا يفقهون بها فمن كان له قلب سميع لسميع
شهيد بشهيد فقه به الخطاب واستخرج بما سمع وانما ذلك تعالى في قوله ليتفقهوا
في الدين وصفين لهذا عن الفقه احدهما النذارة وهو مقام في الدعوة الى الله تعالى
ولا يكون المنذر الا مخلصا ولا يكون الخوف الا عالما بالخلائق عاملا والثاني الحذر وهو حال

من المعرفة بالله وهو الخشية له والفقه والفهم اسمان بمعنى واهل العرب تقول
فهمت بمعنى فقهت وقد فضل الله تعالى الفهم عنه على العلم والحكمة ورفع الاحكام
على الفضل والاحكام فقال سبحانه ففهمناها سليمان فافرده بالفهم عنه وهو الحدث
ففضله به على حكم ابيه في القضية وجعلهما اشتركا في العلم وقد فضل الحسن بن علي
عليهما السلام علما الدراية ان الله عز وجل الدالين على الله تعالى وسماهم انه
العلماء وحققهم بالعلم في كلام روي لنا عنه منظوما وقد روينا عن علي عليه السلام

ما الفخر الا لاهل العلم انهم ... على الهدى لمن استهدى ادلاء
ووزن كل امرئ ما كان يحسنه ... والجاهلون لاهل العلم اعداء

فمن كان عالما بالعلم معلومه الله سبحانه فمن افضل منه واي قيمة تعرف له ان كل علم قيمته
معلومه ووزن كل عالم علمه وقد قال عبد الواحد بن زيد وهو امام الزاهدين كلاما
في هذا المعنى تفرد به العلماء بالله تعالى ووقع لطريقهم بوصف اهل الطريق وانشد لنا
عنه في اخبار

الطرق شتى وطرق الحق مفردة ... والسالكون طريق الحق افراد
لا يعرفون ولا يدرون مقصدهم ... فهم على مهل يمشون قصاد
والناس في غفلة عما اريد بهم ... فجلهم عن سبيل الحق رقاد

وروينا عن ابن مسعود انه قال لما مات عمر رضي الله عنه اني لاحسب هذا
الحي قد ذهب بتسعة اعشار العلم فقيل له تقول هذا واصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم متوافرون فقال اني لست اعني العلم الذي يذهبون اليه
انما اعني العلم بالله عز وجل وكان ابن مسعود ايضا يقول المتقون سادة
والعلماء قادة ومجالستهم زيادة يعني ان المتقين سادة الناس لما قال الله تعالى
ان اكرمكم عند الله اتقاكم والعلماء قادة المتقين اي ائمتهم يقتدون بهم لانه
قال واجعلنا للمتقين اماما فبعض العلماء على المتقين وجعلهم ائمة لهم وصار المتقون
اتباعهم واخبر بالمزيد في مجالستهم اي مجالستهم زيادة على مجالسة المتقين غير
العلماء لان كل عالم متق وليس كل متق عالما فكما روي عنه بعض العلماء كثير
الحاج من العلماء قليل والصالحون كثير والصادقون من الصالحين قليل **وسئل**
ابن المبارك من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة
قال من ياكل بدينه وقال مرة في رواية الذين يتلبسون ويتطيلسون
ويتعرضون للشهادة ويطلبون وقال بعض الصحابة للحسن رحمه الله في شيء سئل
عنه فاجاب فيه يا ابا سعيد ان الفقهاء يخالفونك فقال ثكلتك امك وهل رايت
فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة والبصير بدينه المداوم
على عبادة ربه الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم

قوله هذا في ثلاث روايات عنه مختلفات في صفات العالم بالله تعالى ومن العارفون
وحدثنا عن عبد الله بن احمد بن حنبل قال قلت لابي بلغني انهم كانوا يختلفون الى
معروف كان عنده حديث فقال يا بني كان عنده راس الامر تقوى الله وقيل لاحمد رحمه
الله في بشر ذكر هو لا بنية ولا صحبوا فقال ما هو الا الصدق الذي كان فيهم قيل
له وما الصدق قال هو الاخلاص قيل وما الاخلاص قال الزهد قيل فما الزهد فما هو فالحرف
ثم قال سلوا الزهاد سلوا بشر بن الحارث وقد حدثنا عن بشر رحمه الله منصور
بن عمار حكاية لطيفة كان منصور بن عمار من الواعظين المذكورين ولم يكن العلماء في
وقته مثل بشر واحمد وابي ثور يعرفونه عالما كان عندهم من القصاص وكانت العامة
تسميه عالما حدثنا عن فتح بن علي الحمصي انه كان مزح ذات يوم مزاحا مع اصحابه
فقيل له تقول هذا وانت من العلماء فقال ما رايت احدا من العلماء الا وهو يمزح فقيل
له قد رايت بشر بن الحارث فهل سمعته يمزح قال نعم كنت جالسا معه ذات يوم في بعض
الدروب فجاء منصور بن عمار فسلم وقال يا ابا نصر اني قد امرت بجميع العلماء والصالحين
منزلي ان اختبرهم بموعظة بشر فقال ثني عنان اليم جمل شوقها فيل تنبه عليه افتحت فبهذا
كان محل القصاص عند العلماء فيما سلف حتى ذهب اهل العلم وجعلت مجالس الذكر والعلوم
واليقين والمعاملات لا من عرف تسمية المتقدمين ولم يعرفوا النشأة التي كانوا
يفرقون بين مجالس الذكر وبين القصص ويميزون بين علماء المتكلمين وبين علم اللسان
وفقه القلب وبين علم اليقين وعلم العقل لان الفرق بين العالم والقاص ان العالم
يسكت حتى يسال واذا سئل اجاب فيما يعلم مما اجرى الله تعالى له وكشف وينطق فيما
اجراه الله تعالى عنده وعرف فان كان الصمت افضل الى السكوت لفقه بالامر فان لم
ير اهله تركه حتى يضعه في اهله واهله من عرفه وكان له نصيب من وجده ومشاهدته
وقد قال الله سبحانه فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ففي هذا معنيان احدهما
ان اهل الذكر هم العلماء بالله تعالى لقوله ان كنتم لا تعلمون فلا يجوز ان يقول سلوا
من لا يعلم وهم جاهلون بمثله وانما احدهما والمعنى الثاني يدل على ان العلماء يسكتون
حتى يسالوا وجب عليهم ان يجيبوا القول لمن لا يعلم سلوا ودل على ان مجالس الذكر هي
مجالس العلماء التي قد جاءت الاخبار بفضلها وفي تدبر ان اهل الذكر هؤلاء المسؤولون
المسؤولون هم الخبر وصل اليهم القول لعلمهم يتذكرون بعلمهم وطالب العلم يتذكروا لجهلهم
وعدم علمهم يتذكروا ويعلموا بعد هذا وان يسالوا

وكذلك روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

في الخبر الذي مر وينادي من طريق اهل البيت العلم خزائن مفتاحه السؤال فسلوا فانه

فانه يوجر فيه اربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم وكان ابن مسعود يقول
ان من يفتي الناس في كل يوم وما يستفتونه لمجنون وقال لا غنى من الكلام كلام جوابه
السكوت وقال نحو ذلك النوري المصري رحمه الله حسن سؤال الصادقين مفتاح قلوب العا
العارفين فاما الفاضل فهو الذي يشتري فيه فيقص من الاخبار ويتزكى القصص ولا يدر ولا يلم
سيبي فلاظا اي يتتبع قصة من سلف ومنه قوله تعالى وقالت لاخته قصيه اي تتبعي
ام موسى تتبعي قصته واخبر بغير خبر وقال مالك بن انس من اذالة العلم ان
ينطق به قبل ان يسال عنه وقال مرة من اذالة العلم ان يجيب عن كل ما يسال عنه
اي من اهانته ووضعه فيقال اسال هذا او ذاك هذا اي ارفع وضع ويقال اذا تكلم
في العلم قبل ان يسال عنه ذهب نوره وقال ابراهيم بن ادهم وغيره ليس شيء
اشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بحلم يقول الشيطان انظروا الى
هذا سكوته اشد علي من كلامه وكذلك يقول الصمت زين العالم وستر الجاهل وعن
القاسم بن محمد قال من الحرام المرء ان يسكت على ما عنده حتى يسال عنه وكذلك
هو لغيره لانه اذا تكلم بعد السؤال بقدر حاجته وربما كان فرضا وليس الحاجة ولا القيام
في العرض من الشهوات ولقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر فاوجب ان يجيبوا من حيث
امرهم ان يسئلوا وقال صلى الله عليه وسلم من يسال عن علم فكتمه الجم بلجام
من نار فتوعد عليه بالعقاب وقد يكون الابتداء بالشيء من خفاء الشهوات و
والشهوات خبي من الرياء ووصف رجل لمالك بن انس فقال لا باس به لولا انه يتكلم
بالشيء قبل ان يسال عنه وفي رواية لانه يتكلم بكلام سنة في يوم وقد قيل في معنى
ما انخفى ان الكلام من الشهوات قال هو الذي يشتري به قبل ان يسال عنه ووصف
بعضهم الابدال فقال في وصفهم اكلهم فاقة وكلامهم ضرورة فكانهم لا يتكلمون حتى
يسئلوا عن شيء فيجيبوا ومن لم يتكلم حتى يسئل فليس بعد لا عبادة فتكلما فيما
لا يعنيه لان الجواب بعد سؤال كالفرض بمنزلة رد السلام وكما قال ابن عباس اني
لارى رد الجواب فيه كرد السلام وقد قال ابو موسى وابن مسعود وروينا عن
ابن عباس ايضا من علم علما فليقل به ومن لا فليسكت ولا يكن من المتكلفين ومرق
من الدين وقد كانوا يخافون من دخول التكلف عليهم في كل شيء ويعد بعضهم
الابتداء بالكلام من غير حاجة تدعوا اليه او قبل سؤال عنه او من غير ان يرى له
موضعا او يجد له اهلا يعدونه من التكلف وفي وصية ابن عباس لمجاهد لا تكلم فيما
لا يعنيك فانه افضل ولا امن عليك الخطا ولا تكلم فيما يعنيك حتى ترى له موضعا
فرب متكلم فيما يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت وروينا في حديث لا خطر في الذي
قالت له امه عند موته هنيئا لك الجنة هاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقتلت في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك انه في الجنة

فلعله

فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه ومن الخرق علما من غير ان يسال عنه ونشره
في غير اهله فلا ذكروا انه لما سئل عنه وكان عليه مطالبة فيه لانه قد تكلف الخطارة فان
كان سئل عنه ثم تكلم فيه لم يخف عليه فيه مطالبة فيمن ذكره لانه خرج جوابا على سؤ
سؤاله ومن هذا كان السلف المتكلمون في هذا العلم يسكتون حتى يسئلوا عنه وكان
ابو محمد يقول العالم يقعد فيسكت ويرجع الى مولاه فيفتقر اليه في حسن توفيقه و
ويساله ان يلهمه الصواب فاذا سئل عن شيء تكلم بما فتح له مولاه فيجعل العالم في حال
سكونه ونطقه اي يصير محتاجا الى التوكل فينتظر الوكيل في شيء يجيء به وقال بعض
العلماء انما العالم الذي اذا سئل عن المسالة كانما يقلع ضرسه وقال رقبة بن مصقلة
وغيره ليس العالم الذي يجمع الناس فيفتي عليهم انما العالم اذا سئل عن المسالة
من العلم كانما يستقلها الحجر ومن ذلك روينا انه قال الاعمش وكان محمد بن سوقة يسئل عن
الحديث فيعرض عنه ولا يجيبه فاذا ألح عليه قال الاعمش الى رقبة فقال له هو انما احمق فقلت له ان كان
يدع ما يزينه لسوء خلقه فقال ابن سوقة فيه وجعل انما اجعله حبسا لذا الرواة واصبر على
مرارته لما ارجو ان ينفعه وقد روينا عن علي وعبد الله انه مر برجل يتكلم على الناس
فقال هذا يقول اعرفوني ومن ينبي بعض علماء خراسان عن شيخه عن ابي حفص النيسا
بوري الكبير وكان هذا مما ينكره الجنيد ها هنا انه قال انما العالم الذي يسال عن
مسالة في الدين فيغتم حتى لو جرح لم يخرج منه الدم من الفزع مخافة ان يسال في الاخرة ثم
يسال عنه في الدنيا ويغتم انه لا يتخلص من السؤال الا انه يرى انه قد افترض عليه الجواب
لفقد العلماء ومن ها هنا كان ابن عمر يسكت عن تسع مسائل ويجيب عن واحدة ويقول تريد
تريدون ان تجعلونا جسرا تعبرون علينا في جهنم تقولون افتانا ابن عمر بهذا وكان
ابراهيم التيمي اذا سئل عن مسالة يبكي ويقول لم تجد من تسال غيري واحتجت الي
قال واحتشمت بابراهيم النخعي ان يستند الى سارية داري وكان اذا سئل عن
شيء بكى وقال قد احتاج الناس الي وقد كان سفيان بن عيينة يتردد في زمانه
بعلوم انه يرد بها في وقته وكان معه كتاب فيه المثل لنفسه ويقول خلت الديار فسدت
غير مسود ومن الشقاء تفردي بالسؤدد

واما ابو العالية الرياحي

فكان يتكلم على اثنين وثلاثة فاذا صاروا اربعة قام وكذلك كان ابراهيم التوري وابن ادهم يتكلمون على النفر فاذا
كثر الناس انصرفوا **وكان ابو محمد سهل** رحمه الله يجلس اليه خمسة او ستة الى
العشرة وقال بعض الشيوخ كان الجنيد رحمه الله يتكلم على بضعة عشر قال وما تم
اهل مجلسه عشرين وقد حدثنا عن ابي الحسن بن سالم شيخنا رحمة الله عليه انه قال فوقعا
اجتمعوا في مسجد فارسلوا اليه بعضهم ان اخوانك قد حضروا واجتمعوا لك والاستماع منك

فلما رأينا أن نخرج اليهم فعلنا وكان المسجد على باب بيته ولم يكن يدخل عليه في منزله
فقال للرسول تعرف أن تخرج اليهم من هم فقال فلان وفلان وسماهم فقال ليس هؤلاء من
أصحابي هؤلاء أصحاب المجلس ولم يخرج كأنه ر. أنهم عموم فلا يصلحون لتخصيص علمه فلم يذهب
وقته بوقتهم وكذلك العالم وقته في خلوته أعز عليه فان وافق خصوص إخوانه آثرهم على
خلوته وكان ذلك مزيدا لهم وان لم يوافق لم يؤثر على خلوته ووقته غيره فيكون مخاطرا
للبطالين وقد كان أبو الحسن رحمه الله يخرج الى أحق أنه مريد أو أهلا لمكان علمه
فيجلس اليهم ويذاكرهم وربما أدخلهم اليه نهارا أو ليلا ولهم في أن المذاكرة تكون في
الخلاء والمحادثة مع الاخوان والمجلس للعلم يكون للأصحاب والجواب عن المسائل تصيب
العموم وكان عند أهل هذا العلم أن علمهم مخصوص لا يصلح الا للخصوص والخصوص قليل فلم يكونوا
ينطقون به الا عند أهله ويرون أن ذلك من حقه وانه واجب عليهم كما وصفهم علي عليه السلام
وقوله حتى يودعوا أمثالهم ويزرعوه في قلوب أشكالهم وكذلك جاء ت. لا كما روي عن نبينا صلى الله
عليه وسلم وعن عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها
أهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق الذي يضع الدواء في موضع الداء وفي لفظ
آخر من وضع الحكمة في غير أهلها جهل ومن منعها أهلها ظلم وان للحكمة حقا وان لها أهلا
فاعط كل ذي حق حقه وفي حديث عيسى عليه السلام لا تعلقوا الجوهر في أعناق
الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها شر من الخنازير وكان بعض هذه الطائفة
يقول قصب هذا العلم تسكوت ونصبه نذر به إلى خطفه وقال بعض العارفين متى
كلم الناس بمبلغ علمه ولم يعتبر عقلهم ولم يخاطبهم بقدر حدهم فقد بخسهم حقهم ولم
يقم بحق الله تعالى فيهم وكان يحيى بن معاذ يقول اعرف لكل واحد من ثم واسقه
بكأسه ونحن نقول في معناه كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان علمه حتى تسلم
منه وينتفع بك والا وقع الانكار للتفاوت في المعيار وحكى بعض أشياخنا من
هذه الطائفة عن أبي عمران وهو المزين الكبير قال سمعته يقول لأبي بكر الكتاني وكان
بهذا العلم يزوره لتحصيل الفقراء فجعل أبو عمران يعاتبه وينهاه عن بذله وكثرة كلامه
ابتداء أن قال أنا منذ عشرين سنة أسأل الله أن ينسيني هذا العلم ولم أقل رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فسمعته يقول ان لكل شيء عند الله تعالى حرمة
ومن أعظم الاشياء حرمة الحكمة فمن وضعها في غير أهلها طالبه الله بحقها ومن طالبه
الله بحقها ومن طالبه خصمه وكان بعض السلف يقول اذا استشار رجل الى سارية واجب
أن يستر مجلسه لا يكاد يغير ذلك ولا دوام المكان من الاربعة والعشرة وبضعة عشر
وقد كان يجتمع في مجالس القصاص والمذكرين والواعظين مئون من عند الحسن الى وقتنا
هذا فهذا أيضا من الفرق بينهما ان العلم مخصوص لقليل وان القصص عام لكثير وقال
بعض علمائنا كان في البصرة مائة وعشرون يتكلمون في الذكر والوعظ ولم يكن منهم

يتكلم

يتكلم في علم المعرفة واليقين والمعاملات والأحوال الا ستة منهم أبو محمد سهل والصبحي
وعبد الرحيم وقد قيل من لم ينتفع بسكوت العالم لم ينتفع بكلامه أي بصفته أي بنبأه
بصمته وخشوعه وورعه وتقشفه في نفسه في ذلك انتباه فيتعظ ويقتدي بحاله على
أنهم كانوا يقولون علم الظاهر من علم الملك وعلم الباطن من علم الملكوت يعنون أن ذلك
من علم الدنيا لأنه يحتاج اليه في أمر الدنيا وهذا من علوم الآخرة لأنه من زادها وهذا
حرفها لأنه لأن اللسان ظاهر يترجم عن الملك وهو خزانة العلم الظاهر والقلب خزانة
الملكوت وهو باب علم الباطن فعن هذا فضل علم الباطن على الظاهر كفضل الملكوت على الملك
وهو الملك الباطن الخفي وكفضل القلب على اللسان وهو الظاهر الجلي وكان بشر بن الحارث يقول
حدثنا وأخبرنا باب من أبواب الدنيا وقال أمر الحديث ليس من زاد الآخرة وحدثنا
بعض أشياخنا عن بعض شيوخه قال قيل له تضعه عند ما بقي لحاله وقوته لحنب
لم يحدث منها بشيء الا ما سمع منه فاه زاي البرجه وكان رحمه الله يقول اذا اشتهيت أن
أحدث ولو ذهب عني شهوة الحديث لحدثتكم ثم قال أنا أجاهد نفسي منذ أربعين سنة
وقال اذا سمعت الرجل يقول حدثنا وأخبرنا فانما يقول أوسعوا لي وقال هو وغيره اذا
اشتهيت أن تحدث فلا تحدث واذا لم تشتهيه أن تحدث فحدث وقد كان الثوري قبله
يقول فتنة الحديث أشد من فتنة المال والأهل والولد وكانت رابعة العدوية تقول
نعم الرجل سفيان لولا أنه يحب الحديث وقالت لولا أنه يحب الدنيا يعني اجتماع الناس
حوله للحديث وقال أبو سليمان الداراني من تزوج أو كتب الحديث أو طلب معاشا فقد ركن
الى الدنيا وقال بعض هذه الطائفة كل من أوتي العلم علم العلم بالله فقد استتر لحمه
والذي أورد بالعلم بالله تعالى فقد تذلل ثم تلى قوله تعالى لولا أن تداركه نعمة من
ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم أي تنزه بعلم المعرفة لطرح بقفر الهواء أي جنب
الدين وهو علم اليقين والعراء البعد وهو علم المعقول بقر الى جنب اليقين وقال
أيضا في بهم قوله تعالى ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم أي ثبتناك بالمعرفة لقد
كدت تسكن الى علوم العقل وكان أبو محمد سهل رحمه الله تعالى يقول في قوله تعالى
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قال لسانا ينطق عنك لا ينطق عن نفسي وهو
وصف للعلم بالله والعلم بالايمان وعلم اليقين على العلم بالأحكام والتفضيل كفضل
المشاهدة على الخبر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الخبر
كالمعاينة وفي لفظ آخر ليس الخبر كالمعاينة وقد روى عياض بن عثمان عن
النبي صلى الله عليه وسلم في تقسيم المسالك الثلاثة علم اليقين كدرك بالعين
وفي هذا الخبر أن منهم أناسا قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون
خفية سرا من خوف عذاب ربهم أبدانهم في الأرض وقلوبهم في السماء أرواحهم في الدنيا
وعقولهم في الآخرة يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة بالحب هو

الاخبار والاستنباط هو الاستخبار وفيه قوله تعالى يستنبطونه منهم وقوله يستنبطونه اي
يستخرجونه بعلم الحق من بين الظن والشك المتشابهين فيقع الظن ويزول
الشك كما قال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فاثبت الرؤية للقلب فاليقين من رؤية القلب
هو اليقين وهو القلب هو الموقن وقال النبي صلى الله عليه وسلم كفى باليقين
غنى. وفي علم اليقين غنية عن جميع العلوم لانه حقيقة العلم وخلاصته ولان في
جميع العلوم غنى ولان العقل بالشك والحاجة الى اليقين في علم التوحيد
وعلم الايمان اشد من الفقر بالحاجة الى علوم الفتيا وعن هذا كذلك طلب الفقراء
باليقين اعظم لاستغنائهم بسائر العلوم وفي هذا العلم مثل من فاتحة الكتاب
الى سائر القرآن كما روينا في الخبر فاتحة الكتاب تجزي من القرآن وليس القرآن
كله يجزي من فاتحة الكتاب وكذلك مثل العلم بالله تعالى الى العلوم كما سواه وفي
العلم بالله سبحانه عوض من كل العلوم وليس في سائر العلوم عوض من العلم
بالله تعالى من حيث كان في الله تعالى عوض مما سواه وكل علم موقوف على معلومه
وعلم اليقين معلومه الله تعالى بفضله كفضل الله تعالى على ما سواه ومن قال
بعض الحكماء في معنى ما تم لك من عرف الله تعالى مجده اجلالا وهيبة الله تعالى مجدا ثم
عرف فالعلماء بالله تعالى هم ورثة الانبياء فهم ورثوا عنهم الدلالة على الله تعالى
والدعوة اليه والاقتداء بهم في اعمال القلوب وقد قال الله تعالى ومن احسن قولا ممن
دعا الى الله وعمل صالحا فقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة وكذلك قال بالدعوة ونعتهم
معه انفراد البراءة في البصيرة فقال قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا
ومن اتبعني ويحشرون يوم القيامة مع الانبياء كما قال تعالى فاولئك مع الذين
انعم الله عليهم من النبيين وكما قال تعالى وجيء بالنبيين والشهداء ثم وسم
فقال بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء وقد روينا معناه عن معاذ
بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقرب الناس من درجة النبوة
اهل العلم واهل الجهاد اما اهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الانبياء واما
اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به الرسل وعلماء الزهد عشرون صنفا
الورثة والشهداء وقد قال بعض السلف العلماء يحشرون في زمرة الانبياء والقضاة
يحشرون في زمرة السلاطين

وكان اسماعيل ابن اسحاق

القاضي من علماء اهل الدنيا ومن سادة القضاة وعقلائهم وكان مواخيا
لابي الحسن بن ابي الورد وكان هذا من اهل المعرفة فلما ولي اسماعيل القضاء هجره
ابن ابي الورد ثم انه اضطر الى انه ادخل عليه في شهادة فضرب ابن ابي الورد
يده على كتف اسماعيل القاضي وقال يا اسماعيل علم اجلسك هذا المجلس لقد كان

الجهل

الجهل خيرا منه فوضع اسماعيل رداءه على وجهه وجعل يبكي حتى بله وعلماء الظاهر
هم زينة الارض والملك وعلماء الباطن زينة السماء وزينة الملكوت وعلماء الظاهر اهل
الحكم واللسان وعلماء الباطن ارباب القلوب والعيان وقال بعض العلماء لما خلق الله تعالى
اللسان قال هذا معقد خير في ان صرفني بحقيقته ولما خلق الله تعالى القلب قال هذا
موضع كنز ان صفا صافيته وقال بعض الخلف الجاهل يخوف بالعلم والعالم يخوف
بالجنة والعارف يخوف بالحق وقال بعض العارفين علم الظاهر حكم وعلم الباطن حاكم
والحكم موقوف على الحي الحاكم يحكم فيه وقد كان علماء الظاهر اذا اشكل عليهم العلم
في المسئلة للاختلاف ولاجلاته سالوا اهل العلم بالله تعالى لانهم اقرب الى التوفيق
عندهم وابعد من الهوى والعصبية منهم الشافعي كان اذا اشتبهت عليه المسئلة
لاختلاف اقوال العلماء فيها وذلك في المسائل عليها رجع الى علماء اهل المعرفة
يسالهم فقال وكان يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يقعد الصبي بين يدي
المكتب ويسئله كيف يفعل في كذا وكيف يصنع في كذا فيقال له ان هذا ومثلك من علماء

وقد كان الشافعي رحمه الله

اعتل علة شديدة
وكان يقول اللهم ان كان هذا رضا لك فزدني منه فكتب اليه المعافى من مصر اما هو بها
يا ابا عبد الله لست انت ولا انا من رجال البلاء فنسال الله الرضى ولا تختار ان نسال الرجل
والعافية فرجع الشافعي عن قوله هذا وقال استغفر الله واتوب اليه وكان بعد
هذا يقول اللهم اجعل خيرتي فيما احب وقد كان احمد بن حنبل ويحيى بن معين يختلفان
الى معروف الكرخي ولم يكن يحسن من العلم والسنن ما يحسنان وكان يسالانه
لانه ومن روينا في خبر قيل يا رسول الله كيف نصنع اذا جاء امر لم نجده في كتاب
الله تعالى ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلوا الصالحين واجعلوه
شورى بينهم ولا تقضوا فيه براي واحد منهم وفي حديث معاذ قال فان جاء ما ليس في
كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقض بما قضى الصالحون
فقال الحمد لله الذي وفق رسول رسوله وفي بعضها اجتهد رايي وحدثونا عن الجنيد
قال كنت اذا قمت من عند السري السقطي قال لي اذا قمت من مجلسي فلمن
تجالس فقلت المحاسبي فقال نعم خذ من علمه وادبه ودع عنك تشقيقه الكلام ورده على
المتكلمين قال فلما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك
صوفيا صاحب حديث يعني انه اذا ابتدأت بعلم الحديث والاثر ومعرفة الاصول
والسنن ثم تزهدت وتعبدت تقدمت في علم الصوفية وكنت صوفيا عارفا واذا
ابتدأت بالتعبد والتفوه والحال شغلت عن العلم والسنن فخرجت اما شطاحا او
غالطا لجهلك بالاصول والسنن فاحسن احوالك ان ترجع الى العلم الظاهر وكتب

الحديث لأنه هو الأصل الذي يرجع عليه العبادة والعلم يفتقر ويثبت في الفرع قبل الأصل
وقد قيل إنما حرموا الفروع بتضييع الأصول وهو كتب الحديث والأخبار والسنن في أوائل
انتشار حدثت الى الأصل بعد اختلاط عن وثبتت التفرقة ونزلنا متأخر حيث العارفين
وما تكلم في الايمان واليقين **وقال سفيان الثوري** رحمه الله كان الناس
اذا طلبوا العلم عملوا فاذا عملوا اخلصوا ام هربوا وقال ان العالم انما اهرب من الناس
بالطلب وانما الطلب للناس في آخره **وقال ابو محمد** سهل العلم يهتف بالعمل
فان اجابه والا ارتحل وقال العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء الا الاخلاص
وقال الناس موتى الا العلماء والعلماء سكارى الا العاملين والعاملون مغرورون
الا المخلصين والمخلصون على وجل حتى يختم لهم وكان الثوري يقول في السر من تكلمه
صفته ولا تجالس من يكلمه لسانك وكان الحسن قبله يقول اجلس الى من تكلمك صفاته
ولا تجلس الى من تكلمك مقاله وقد كانت طائفة يصحبون من اهل المعرفة للتأدب
بهم والنظر الى هديهم واخلاقهم وان لم يكونوا علماء لان التأدب يكون بالافعال والتعلم
يكون بالمقال وقد قال بعض الحكماء عظة واحد الف بفعل انفع فيهم من وعظ الف لواحد
بقول ولم يكن العالم عند العلماء من كان عالما بعلم غيره ولا حافظا للفقه سواء هذا
انما كان يسمى رواية وراعيا وحاملا وناقلا وقد كان ابو حازم الزاهري يقول كان
علماؤنا وعاء للعلم وهم فيه بالا وكان من اوعية العلم ولا يقول وكان عالما وكذلك
جاء الخبر رب حامل فقه غير فقيه كانوا يقولون حمال الرواية يعنون انه كان راويا
وهو حمول في الاسم للحمال الغزير في الوصف لما يقال علامة ونسابة والمثل كان ان
العالم عندهم الفقيه يعلمه لا بعلم غيره وكان الفقيه فيهم هو الفقيه بفقه علمه
وقلبه لا بحفظه سواء لما جاء في الاثر اي الناس اغنى قال العالم الغني بعلمه
ان احتيج اليه نفع وان استغنى عن الناس بعلمه لان كل عالم بعلم غيره فانما هو ناقل
بمجموعه مجموعه هم العلماء وكل فاضل بوصف سواء بموصوفه هم الفضلاء فانه انما كلهم
وانما يسكن فلم يرجع الى علم لنفسه يختص به فصار في الحقيقة موصوفا بالجهل
واصعب لو ابي اهل الفضل موسوما بعلم السمع والنقل فمثل العالم بعلم غيره كمثل الواصف
لا هو الصالحين العارف بمقامات الصديقين ولا حال له ولا مقام فليس يعود عليه
من وصفه الا الحجة بالعلم والكلام وشهود العلماء بالله تعالى في الحجة بالاعمال والمقام
فمثله كما قال الله سبحانه ولكم الويل مما تصفون وكقوله كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا
اظلم عليهم قاموا فلا يرجع الى بصيرته في طريقه بما يشبه من ظلمات الشبه عليه مما اختلف
العلماء فيه ولا يتحقق بوجد منه بعد فقد عن حال السبب بوجده وانما هو متواجد
بوجد غيره يفيد هو الواجد وشاهد على شهادة سواه فالشواهد الشاهد وكان الحسن
يقول ان الله لا يعبأ بصاحب رواية وانما يعبأ بذي فهم ودراية وقال ايضا من لم يكن

له عقل يسوسه لم ينفعه كثرة رواية الحديث وقد انشدنا لبعض الحكماء في فضل

العلم علمان مطبوع ومسموع ... ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع
كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع

وكان الجنيد كثيرا ما ينشد

علم التصوف علم ليس يعرفه ... الا اخو فطنة بالحق معروف
وليس يعرفه من ليس يشهده ... وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

لان الكتب والمجموعات محدثة والقول بمقالات الناس والفتيا بمذهب الواحد من الناس
واتخاذ قوله والحكاية له في كل شيء والتفقه على مذهبه محدث لم يكن الناس قديما على
ذلك في القرن الاول والثاني وهذه المصنفات من الكتب حادثة بعد سنة عشرين
ومائة من تاريخ الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة عليهم والتابعين يقال ان اول
كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد
وعطاء واصحاب ابن عباس بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه
سننا بل سنة منثورة مبوبة ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك ابن انس في الفقه
ثم جامع سفيان الثوري الكبير في الفقه والاحاديث ثم جمع ابن عيينة كتاب
الجامع في السنن والابواب وكتابا في التفسير في احرف من علم القرآن فهذه من اول
ما صنف ووضع من الكتب بعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين وبعد
سنة ثلاثين ومائة من التاريخ وكان العلماء من طبقات الصحابة الاربعة ومن بعد موت
الطبقة الاولى من خيار التابعين هم الذين انقرضوا قبل وضع الكتب وكانوا يكرهون
كتب الحديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل بها عن القرآن وعن التذكر والتفكر
وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولئلا يشتغل عن الله تعالى برسم وكره زيد وابو بكر
الصديق رضي الله عنه وعامة الصحابة تصحيف القرآن في مصحف وقالوا كيف نفعل
شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخشوا اشتغال الناس بالمصحف
واتكالهم على المصاحف فقالوا نترك القرآن يتلقاه الناس بعضهم من بعض تلقينا
فالتلقين والاقراء ليكون هو شغلهم وذكرهم ومهمتهم حتى اشار اليه عمر رضي الله عنه
وبقية الصحابة ان يجمع القرآن في المصاحف لانه احفظ له ولئلا يرجع الناس الى المصحف
كما لا يؤمن من ان لا يشتغلوا بالسماع الربيع عنه فشرح الله صدر ابي بكر لذلك رضي
الله عنه لذلك فجمع القرآن من الصحف المتفرقة في المصحف الواحد وكذلك كانوا يتلقون العلم
بعضهم من بعض ويحفظونه حفظا هذا طهارة القلوب من الريب ... الرتبة
وقوة الايمان وصفاء اليقين وعلو الهمة وحسن النية وقوة العزيمة ثم ظهرت بعد سنة

ما بينهما وبعد ذلك نقضى ثلاثة قرون في القرن الرابع المذموم صنعات الكلام وكتب
المتكلمين بالرأي والمعقول والقياس وذهب علم اليقين وغابة معرفته الموقنين
من علم التقوى والهدى وانتشروا بيقين فخلف من بعدهم خلف فلم تزل في الخلوف الى هذا
الوقت ثم اختلف الامر بعد ذلك في زماننا هذا فصار المتكلمون يدعون علماء والقصاص
يسمون عارفين والرواة والنقلة يقال علماء من غير فقه في دين ولا بصيرة في يقين
روينا عن ابي عبلة قال كنا نجلس الى عطاء الخراساني بعد الصبح فيتكلم علينا فاحتبس
ذات غداة فتكلم رجل من المؤذنين فجاء سريد جمل ما كان يتكلم به عطاء فانكر صوته
رجل من جلوة فقال من هذا المتكلم فقال انا فلان فقال اسكت فانا نكره ان نسمع
العلم الا من اهله وكذلك كانوا يقولون ايها اهل العلم بالله تعالى ان تسمعوا هذا العلم
الا من اهله الزاهدون في الدنيا ولم يروا ان يسمعوه من ابناء الدنيا وزعموا انه لا يليق
بهم

واعلم ان العبد

اذا كان متعبدا لله تعالى بالمعرفة وعلم اليقين لم يسعه تقليد احد من العلماء وكذلك كان
المتقدمون اذا اقبلوا هذا النظام فالعوام حملوا عنه العلم لمزيد اليقين والاسلام وقال
ابن عباس ليس احد الا يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان يتعلم
من زيد بن ثابت الفقه وقرا على ابي بن كعب ثم خالف زيدا في العلم وابيا في القراءة وقال
بعض الفقهاء من السلف ما جاء لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الراس
والعين وما جاءنا عن الصحابة فمنا خذ ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن
رجال فقالوا ونقول ولاجل ذلك كان العلماء يكرهون التقليد ويقولون لا ينبغي للرجل
ان يفتي حتى يعرف اختلاف العلماء في فتياه مستمعا على علمه لا على ما يقوى ولا يقوى فلعلهم
يستحبون ان يفتي العالم بمذهب غيره لم يجز ان يعرف الاختلاف ولكن الذاع في مذهب
صاحبه كخيالات ومن قبل العبد يسال غدا فيقال هل عملت فيما علمت ولا يقال له فيما
علم غيرك وقد قال الله سبحانه وقال الذين اوتوا العلم والايمان فعرف بينهما فيدل
بذلك ان منا من اوتي ايمانا ويقينا او اوتي علما كما ان منا من اوتي علما ثم عملا او اوتي ايمانا
وهذا احد الوجوه في معنى قوله تعالى كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه اي قواهم
بالعلم والايمان فعلم الايمان هو روحه ونكون اطلاعا على الايمان هذا لان العالم
الذي هو من اهل الاستنباط والاستدلال من الكتاب والسنة لانه ذو تمييز وبصيرة
ومن اهل التدبر والعبرة فاما الجاهل والعامي الغافل فلا بد ان يقلد العلماء والعالم عموم
ايضا ان يقلد عالم خصوص والعالم بعلم الظاهر ان يقلد من يوقنه ممن جمل على علم بالحق
من اهل القلوب في علمهم الذي يختصون به الى المتقين لانهم يأخذون من المتقين

فيلقونها

فيلقونها ثم يجدون في قلوبهم حسيكة وحزازة فيلقون بهم فتيا القلب لقوله صلى الله عليه وسلم
استفت قلبك بعد قوله وان افتاك المفتون مع قوله الاثم حواز القلوب الى قوله ما حاك في
صدرك فدعه وان وان افتوك ثم درس معرفة هذا ايضا فجعل فصار كل من نطق بكلام وضعه
غرب على الشاهدين لا يعرف حقه من باطله سمي عالما وكل كلام مستحسن زخرف ونفقه
لا اصل له سمي علما فجهل العامة بالعلم اي شيء هو ولغلبة معرفة الشاهد بوصف من سلف
من العلماء فيه كانوا فصار كثير انس فتكلمي الزمان فتنة لمفتون وصار كثير من كلام الراي
والمعقول الذي حقيقته جهل لانه علم عند الجاهل لبتة فلا يفرقون بين المتكلمين والعلماء
ولا يميزون بين العلم والكلام وقد قلنا ان خصوص الجهال يشبهون العلماء يشتبهون على
من لبس فيهم في الحال فاعلم الناس في زماننا هذا اعرفهم بتمييز المتقدمين واعلمهم بطرائق
السلف الصالح ثم اعلمهم بالعلم اي شيء هو وبالعالم من هو من المتعلم والمتعالم وهذا كالفرض
على طالبي العلم ان يعرفوه لانه لما قال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة وجب عليهم
ان يعرفوا اي شيء هو العلم حتى يطلبوه اذ لا يصح طلب ما لا يعرف ثم وجب عليهم من بعد
هذا ان يعرفوا العالم من هو ليطلبوا عنده العلم اذ العلم عرض لا يقوم الا بجسم فلا يوجد
الا عند اهله **وقيل لعلي عليه السلام** انه خالفنا فلان في كذا فقال حين قال
انبعثنا لهذا الدين وكما قيل لسعيد ابن المسيب تقرا ما نسخ من اية او ننسها فقال
ان القرآن لم ينزل على ابن المسيب ولا على ابيه ثم قرا او ننسها فاعلم الناس في هذا الوقت
واقربهم من التوفيق والرشد اتبعهم لمن سلف واشبههم سمتا بالصالحين الخلف كحبيب وقد
روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل من اعلم الناس فقال اعرفهم بالحق
اذا اشتبهت الامور وقال بعض السلف اعلم الناس اعرفهم باختلاف الناس وكان الحسن
البصري يقول محدثان احدثا في الاسلام رجل ذو راي سوء زعم ان الجنة لمن راى مثل رايه
ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى ولها يطلب فارفضوهما الى النار اعرفوا ان
انكارهم فيهم فاعلموا ان رجلا اصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعوا الى دنياه وصاحب
هوى يدعو الى هواه فقد عصمه الله تعالى منهما يحيى الى السلف الصالح يسال عن فعالهم
ويقتص اثارهم ليعرض اجرا عظيما فكذلك فكونوا لهم روينا عن ابن مسعود وقد جاء
مسندا انما هما اثنتان الكلام والهدي فاحسن الكلام كلام الله واحسن الهدي
هدي محمد صلى الله عليه وسلم الا واياكم ومحدثات الامور فان يطولن عليكم الامد
فتقسوا قلوبكم الا ان كل ما هو ات قريب الا ان البعيد ما ليس بات وفي خطبة
النبي صلى الله عليه وسلم التي رويناها عن ابان عن انس طوبى لمن شغله عيبه
عن عيوب الناس وانفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط اهل الفقه والحكمة
طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره
طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة

ولم يعد كما الى بدعته وقد قال بعض الادباء بالحلم منظوما في وصف زماننا هذا كانه مشاهده

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل امر منكر
وبقيت في خلف يزكي بعضهم * بعضا ليدفع معور عن معور
ابني ان من الرجال بهيمة * في صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله * واذا اصيب بدينه لم يشعر
فسل الفقيه تكن فقيها مثله * من يسع في امر بفقه يظفر

وقد كان ابن مسعود يقول حسن الهدي في اخر الزمان خير من كثير من العمل وقال في وصف زمانه بالفقه وفي وصف زماننا بالشبه انتم في زمان خيركم فيه المسارع في الامور وسياتي بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات وقال حذيفة اعجب من هذا ان معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم معروف زمان قد اتى وانكم لن تزالوا بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف وكان يقول ايضا ياتي على الناس زمان يكون العالم بينهم بمنزلة الحمار الميت لا يلتفتون اليه يستخف المومن فيهم كما يستخف المنافق فيكم اليوم المومن فيه اذل من الامة وفي حديث علي عليه السلام ياتي على الناس زمان لا ينجو فيه من الحق تسعة اعشارهم لا ينجو منه الا كل مؤمن نومة يعني خاملا لا يعرف اولئك مصابيح العلم والهدى وليسوا بالمذاييع البذر يعني المتكلمين كثير المتظاهرين بالكلام افتخارا وفي الخبر ياتي على الناس زمان من عرف فيه الحق نجا قيل فاين العمل قال لا عمل يومئذ الا ينجو فيه الا من هرب بدينه من شاهق الى شاهق وفي حديث ابي ذر ياتي على الناس زمان من عمل منهم بعشر ما امر به نجا وفي بعضها بعشر ما يعلم وقال بعض الحكماء ياتي زمان يكون افضل العلم فيه الصمت وافضل العمل النوم يعني لكثرة الناطقين بالشبهات وصار الصمت للجاهل علما ولكثرة العاملين للشهوات وصار النوم عبادة لابطال العمل ومعنى ان الصمت والنوم ادنى احوال العالم وهما اعلى احوال الجاهل وقد كان يونس بن عبيد يقول اصبح اليوم من يعرف السنة غريبا واغرب منه من يعرفها يعني طريقة السلف يقول لمن عرف من عرفها لم يبق من مضى فهو غريب ايضا لانه قد عرف غريبا وقال حذيفة المرعشي كتب الي يوسف بن اسباط اما بعد فانه الطاعة ومن يعرفها وكان ايضا ابو الدرداء يقول انكم لن تزالوا بخير ما احببتم خياركم وقيل فيكم الحق يعرف ولم يكن اذا كان العالم فيكم كالشاة النطيح وقد كان للمتعففين علوم يجتمعون عليها ويتبعوا وضوحا بينهم قد درست في زماننا وكان للصالحين معاني وطرائق يسلكونها ويتمسكون بها قد خفيت في وقتنا وكان في علم اليقين

والمعرفة

والمعرفة مقامات واحوال يتنزل بها العلماء ويطلبون ارباب الفهم فدعاهم الى ما عندهم لقلة الطالبين لها ولعدم الراغبين فيها وفقد العلماء بها ولزم طلاب الشا الكبير في طرقها متسعا علم طلب الحلال وعلم الورع في المكاسب والمعاملات وعلم الاخلاص وعلم افات النفوس ومساعي الاعمال وعلم فرقان العلم والعمل والفرق بين تعلق القلب وتعلق النفس وبين اطمئنان النفس بشهواتها واطمئنانها لذلك والفرق بين سكون القلب بالله تعالى وسكون النفس بالاسباب والفرق بين خواطر الروح والنفس وبين خواطر الايمان واليقين والعقل وعلم حقائق الاحوال واحوال طرائق العمال وتفاوت مشاهدات العارفين وتلوينات المشاهدة على المريدين وعلم اليقين والتمسك والتحقيق بصفات العبودية والتخلق باخلاق الربوبية وتفاوت مقامات العلماء الى غير ذلك مما ذكرناه من علم التوحيد ومعرفة معاني الصفات وعلوم المكاشفة بتجلي الذات واظهار الافعال الدالة على معاني الاوصاف الباطنة وظهور المعاني الدالة على النسخ والاغراض والتقريب والابعاد والنقص والمزيد والمثوبة والعقوبة والاختبار والاختيار وقد ذكرنا من جميع هذه المعاني فصولا ورسمنا جملا واصولا ننبه على مرعاها وندل على اشكالها لمن وفق لتدبرها وارد تفكرها وجعل له نصيبا منها وقال بعض علماء باهل الورع للمتقدمين سبعين علما كانوا يتعاطونها ويتفاوضون فيها في هذا العلم لم يبق منها اليوم علم واحد يعرف فقال اخر في زماننا علوم كثيرة من الاباطيل والدعاوي والغرور وقد ظهرت وسميت علوما لم تكن فيما مضى تعرف هذا كلام ابي يزيد رحمه الله تعالى فقال يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وقد كان الجنيد قبله يقول علمنا هذا الذي نتكلم فيه قد طوي بساطه منذ عشرين سنة وانما نتكلم اليوم في حواشيه وكان ايضا يقول قد كنت اجالس قوما يتذاكرون في علوم لا افهمها ولا ادري ما هي وما تلقيت ذلك قط كنت اتقبله واحفظه من غير ان افهمها وكان ايضا يقول كنت اقعد مع اخوان يتحدثون في علوم كثيرة ما نعرف في وقتنا هذا وسالني عنها احد وهذا باب قد اغلق وردم

وما صنف شيخنا ابو سعيد بن الاعرابي في كتاب طبقات النساك ووصف اول من تكلم في هذا العلم وظهر ثم من بعده من البصريين والشاميين واهل خراسان الى ان كان اخرهم البغداديين وقال واخر من تكلم في هذا العلم صاحبنا الجنيد القواريري وكانت له فيه بصيرة ومنه حقيقة وحسن عبارة وما بقي بعده الا من يجل السنة عليه وقال في مواضع اخر ما بقي بعد الجنيد الا من يستحيا من ذكره وقد كان امامنا ابو محمد سهل رحمه الله يقول بعد سنة ثلاثمائة لا يحل لاحد ان يتكلم بعلمنا هذا لانه يحدث قوم يتصنعون للخلق ويتزينون بالكلام ليكون مواهيم لباسهم ومعبودهم بطونهم وملتقيهم كلامهم وقد كان حذيفة يقول انما تسبيل الى العمى اشد مثال ان يعرض عليك الخير والشر

فلا تدري أيهما تأخذ فيبقى لكثرة الشبهات كما كان سهل يقول بعد سنة ثلاثمائة
لا يكاد يصح لأحد توبة لأنه قد فسد خبز ملح وملح لا يبصرون عن الخبز يعني أن أول توبة
أكل الحلال وقد رويناه في الخبر فيأتي على الناس زمان يطلبون فيه دينهم ولا يجدونه
فيجيء الرجل على دينه ويمسي على دين بعض أولئك على عقبيه بقيت بسلب عقول أكثر
أهل ذلك الزمان وأول ما يرفع منهم الخشوع ثم الأمانة ثم الورع ويبقى أول ما يرجع مستن

الناس لا عقد

باب في ذكر ما أحدث الناس من القول والفعل فيما بينهم مما لم يكن عليه السلف

كان الناس قديما إنما التقوا يقول أحدهم لصاحبه ما خبرك وما حالك يعنون بذلك ما
خبر نفسك في مجاهدتها وصبرها وما حالك قلبك من مزيد الإيمان وعلم اليقين وكذلك يريدون
أيضا ما خبرك في المعاملة لمولاك وما حالك في أمور الدين هل ازددت أم انتقصت
فيخبر الآخر عن أحوال قلوبهم ويصفون أعمال علومهم ويذكرون ما وجب الله تعالى لهم من
حسن المعاملة وما يتبين لهم من غرائب العلوم فكان هذا من تعريف نعم الله تعالى
عليهم ومن جميل شكرهم ويكون مزيدا لهم في المعرفة والمعاملة وقد كان بعضهم يقول
لكم علوما ومواجيد لا يعرفها بعضنا من بعض وما نخبر به أحدا إلا أهل الله
الذين يقرون فجهل هذا اليوم من حالهم إلا نسيا لو أعز الخبر والحال الذي يرون أصول
الدنيا وأسباب الهوى ثم شغلوا الخلق وأحدثوا الحيل الذي عمر الزلل ويشغل أب
أهكلامه وبينهم ويقطيه ونشأ ما فيه صحت هواه وكما قال الإنسان أي به الخوض قبل
كبر ضجه يحدثه العجائب ويغفل ما جهله بالعذيج ويغفل عنه ومنه قولهم فلان كيف
أصبحت كيف أمسيت هذا محدث إنما كانوا إذا التقوا قالوا السلام عليك ورحمة الله
وفي الخبر من بدأكم بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه وإنما حدث هذا زمان
الطاعون الذي يدعى طاعون عمواس بالشام من الموتان الذريع كان الرجل يلقى
أخاه غدوة فيقول كيف أصبحت من الطاعون ويلقاه عشية فيقول كيف أمسيت
فقد كان أحدهم إذا أصبح لم يمس وإذا أمسى لم يصبح فبقي هذا اليوم ونسي
سببه وكان من عرف حدوثه من المتقدمين يكرهه حدثونا عن أحمد بن أبي الحواري
قال قال رجل لأبي بكر بن عياش كيف أصبحت وكيف أمسيت فلم يكلمه وقال دعونا
من هذه البدعة قال وقلنا لبعض السلف كيف أصبحت فأعرض عنه وقال هلا
كيف أصبحت قل السلام ويروى أبو معشر عن الحسن أنهم كانوا يقولون السلام
عليكم سلمت والله القلوب اليوم كيف أصبحت أصلحك الله كيف أنت عافاك فإن أحدثت
أخذت بعدهم كانت بدعة لا حب ولا كرامة فلان نشأ وإن غضبوا علينا ومن ذلك ابتداء

الرجل

الرجل في عنوان الكتاب باسم المكتوب إليه وإنما السنة أن يبتدئ بنفسه فيكتب
من فلان إلى فلان قال ابن سيرين عن ابن عيينة فكتبت إلى أبي فلان بنزلتنا باسمه فكتب
إلي يا بني إذا كتبت إلي فلا تبدأ باسمي في الكتاب فإن بدأت باسمي ثم باسمك
لا قرأت لك كتابا ولا رددت إليك جوابا

وكتب العلاء بن الحضرمي

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدأ بنفسه فكتب من العلاء بن الحضرمي إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويقال أول من أحدثه زياد فجعلها بعد العلماء عليه وعروة
من أحداث بني أمية وقد نقضت السنة هذا في كتب الخلفاء ولا رواة إلى اليوم على نحو
ما مضى فيهم يقدمون أسماءهم في كتبهم ومن المحدثات قول الرجل الداخل منزل أخيه
بالسلام أو يا جارية فيه مخالفة للسنة لأمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وقال
أهل التفسير لا تستأنسوا التنحنح والحركة حتى يؤذن بدخله أزواده وأنس ثلاثة
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاء أحدكم منزل أخيه فليسلم ثلاثا فإن
أذن له فليدخل وإلا فليرجع وكان السلف يقف أحدهم في باب أخيه ثم يسلم ثلاثا فيقف بعد
كل تسليمة هنيهة فإن أذن له دخل وقد لا يجيب صاحب المنزل أن يدخل عليه في ذلك
الوقت بسبب له أو عذر فيقول عليكم السلام ورحمة الله ارجع عافاك الله
فإن كان على شغل فيرجع غير كاره لرجوعه ولا موجد لذلك عليه في نفسه وقد يكون قوله ارجع
أحب إليه لأنه أفضل له رجا للإجابة والتزكية به لقول الله تعالى فإن قيل لكم ارجعوا
فارجعوا هو أزكى لكم وربما رجع في اليوم مرتين أو ثلاثا فيرده صاحبه وهو
يعود لأن ذلك لم يؤثر في قلبه شيئا وهو لو فعل ببعض الناس من أهل عصرنا هذا لكرهه
ولعله أن لا يعود يرمه ذلك فأما العلماء فقد كان من الناس من لا يستأذن عليهم لكنهم
لا يرونه بل كانوا يقعدون على أبوابهم أو في مساجدهم ينتظرون خروجهم لوقت
الصلوات إجلالا للعلم وهيبة للعلماء حدثونا عن أبي عبيد قال ما دققنا على عالم بابه
قط كنت أجيء إليه فأقعد على بابه أنتظر خروجه من قبل نفسه أتأول قول
الله عز وجل ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم وقد روينا مثل هذا عن
ابن عباس في موضعه من العلم والشرف أن كان يأتي به ويتوسد على باب منزل الرجل
من الأنصار فيسفي عليه الرياح فيقول ما يجلسك ها هنا يا ابن عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيقول أنتظر خروج صاحب المنزل فيخرج الرجل فيقول يا ابن عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أرسلت إلي لجئتك فيقول لا أنا كنت أحق أن
آتيك فأسأله عن حديث بلغه أنه يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يكن هو سمعه منه ومن ذلك استفصال أحدهم في المسألة عن حال الرجل وخبره وقد

وفي ذلك أن زوج سلمان الفارسي رضي الله عنه لما دخل على أهله خرج إلى الناس
فلقيه رجل فقال له كيف وجدت أهلك يا عبد الله فقال يرحمك الله تعالى فقال كيف حالك و
كيف وجدت البارحة وفي لفظ آخر كيف وجدت أهلك فغضب سلمان وقال إنما يسأل أحدكم
عن ما يعنيه من المسألة ويسكت عما وارت البيوت يكفي أحدكم أن يسأل عن ظاهر الأمر وأنشأ
سليمان بن مهران الأعمش أن رجلا قال له في منزله كيف أصبحت يا أبا محمد قال بخير قال كيف
حالك قال في عافية قال كيف بت البارحة فصاح يا جارية أخرجي يا أمة الفراش واعتدي
ما نزلت ذلك فقال افرشي واضطجعي حتى اضطجع إلى جنبها لعله يرى فإن أخالك تحب
أن تعلم كيف بت البارحة وكان يقول يلقى أحدكم أخاه فيسأله عن كل شيء. حتى
الدجاجة في البيت ولو يسأله درهما ما أعطاه. وكان من مضى من السلف إذا لقي
أخاه لا يزيد على قوله كيف أنتم أو حياكم الله بالسلام ولو يسأله شيئا ما لامه
فاصحبه ومن ذلك قول الرجل لأخيه إذا لقيه إذا أصبح الحمد لله أين تريد ومن أين
جئت فقد كره هذا وليس من السنة ولا أدب وهو داخل في التجسس والتحسس
لأن التجسس في الآثار والتحسس في الأخبار وهذا سواء غير أن ذلك تجمعهما ومن لا يحب
أن يعلم صاحبه من أين يذهب ولا من أين جاء. وقد كره ذلك مجاهد وعطاء. قال إذا لقيت
أخاك في الطريق فلا تسأله من أين جئت ولا أين تذهب فلعله أن يصدقك فتكره
ذلك أو لعله أن يكذبك فتكون قد حملته على الكذب وقد كانوا يكرهون بيع المصاحف
وشراءها وكان بعضهم يبيعها لأنه لا يشتريها وقد ابتدع القصاص علوما لم تكن
تعرف فيما سلف منها علم الكلام والجدال وعلوم النقل … والنحو لا يستدل على سنن
الرسول صلى الله عليه وسلم فأدلة الأثر والمعقول ومنها أيضا علم العقل والرأي و
القياس على ظواهر القرآن وعلى الأخبار ومنها الإظهار بالإشارات والمواجيد من
غير علومها ولا بيان تفصيلها وفي ذلك تحيير للسامعين وإضلال للعاملين وإنما كان
العلماء بهذا العلم يظهرون علوم المواجيد ويخفون الإشارة بالوجد فيه يظهرون للناس
ما ينفع ويخفون ما يضر لأن المواجيد أحوال قلوبهم فكتمها أفضل وعلومها أنصبة للمريدين
والعاملين فأظهروها لأولي البغية لهم فأظهروا وأخفوا وجدهم لأنه لا سلم لهم فيسلموا من
التصنع والدعوى وأعطوا السامعين نصيبهم ومنعوهم ما ليس لهم فعدلوا في
الموضعين ووصلوا في الحالين جميعا بجميل هذا لأن فالظاهر ضر فكان إلى الضرر أقرب
ومن السلف منهم … لم يحسن التفضيل ولم يرزق العبادة فإنه يحسن الصمت
فهو واسع لأن من لم يتكلم بعلم على سنة فسكوته أقرب له إلى الله عز وجل وشاهد
في ذلك كما قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله
نفسا إلا ما آتاها وما هذه اختبار علوم المعرفة فمعاني الغيبة ليميزوا على
العقلاء بكبر أنهم فلا يجعلوا مجالسهم وليجيبوا الناس من لا يسلم على قدر معناه …

واحوالهم

وأحوالهم وهذا من أكبر أبواب التزين وأظهر على مريدي الآخرة والطعة فمن حيث الدين ر
ومنها الكلام في التوحيد بمجاوزة علم الشرع وأن الحقيقة تخالف العلم والحقيقة هي
علم واحد وهي أحد طرفات الشيء مجملة وعلم الشيء بعينه عينها بكيف بيانها وهي
الشيء أو جهته وإنما هي عن باطنه وصيغته وعلم للظاهر سواء خاصة والسعة فمن تكلم في
العلم الباطن على غير قواعد العلم الظاهر وأصوله فذلك الخلاف في الشيء بعينه وليحقه
بين الكتاب والسنة وقد قال بعض العارفين … إلى هؤلاء الشطحيين فما نظرت
لأجد أهلا مغرورا أو خلا شيئا محسوسا أو مستهلكا فلا شيء. ومنها الكلام في التزين
بالوسواس والخطرات من غير رد مواجيدها إلى الكتاب والسنة والواجب معرفة
تفصيلها ونفي ما لم يشهد له الكتاب والسنة فتخرج في المواجيد ضلال وغرور وفي
المشاهدات بالظنون ومع دعواهم المحبة بأذكار … لا وصاف النبي … تجاوزهم السنة
وعن غير شهادة موصوفة وادعائهم المعرفة من غير تعرف معروف. ومما أحدثوا التسجيع
في الدعاء والتغريب فيه ومما لم يرد به الكتاب ولا نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم
ولا عن الصحابة بل كانوا يعيبون على الاعتداء في الدعاء ويجتنبون مجاوزة ما أخبر الله
تعالى به عنا وليأتيه من الأدعية الجامعة المختصرة المعروفة المعقولة. وورد فيه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول
اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من
قول وعمل وفي الخبر سيأتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور وسمع عبد الله بن مغفل ابنه
يدعو بدعاء تعمق فيه فقال يا بني إياك والحدث وإياك والاعتداء في الدعاء وفي قوله
عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين قيل في الدعاء فالاعتداء في الدعاء
يكون بما لم يذكر الله تعالى في كتابه من الأدعية أو ليأتيه الصالحين من الدعاء فالمفتعة والمحدثة
والتزيينة والمعنى ذلك من الدعاء المعروف والقول المشهور إلى التنطع والتعمق
والتغريب والتدقيق ويقال إن العلماء والأبدال لا يزيد أحدهم في الدعاء على سبع
كلمات ووجدت تصديق ذلك في الكتاب أن الله سبحانه ما أخبر عن عباده من الدعاء
في مكان واحد أكثر من سبع دعوات وهي التي في آخر سورة البقرة ولا أخبر عنهم
بالدعوتين والثلاث والأربع إلى الخمس في مواضع من الكتاب متفرقة ومن بعض السلف
يقال يدعو بسجع في دعائه ويتعمق فقال له ويلك أعلى الله تتبالغ أشهد لقد رأيت
حبيبا العجمي يدعو وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم
القيامة اللهم وفقنا للخير قال والناس يدعون من كل ناحية وكان يعرف إجابة
دعائه وبركته وكان أبو يزيد البسطامي يقول سله بلسان الحاجة لا بلسان
الحكمة وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بالفصاحة والانطلاق ومما
أحدثوا أخذ القرآن بالألحان وتنازعوا لا بتنغيم الآية أو تلحين إلى حلوق لا يبلغ مكان

واحدثت لنا الاختلاس والنهبة من غير خشوع للقرآن ولا هيبة وقراءة القرآن انما
يحتاج الى خشوع وحزن وسكون ومن ذلك اخذ الغرية على الاتقين ولينته فلم يقرأه
الواحد لسهو القلب لما قيل لابراهيم الحربي ان فلانا ياخذ على اثنين فقال هذا يحتاج
اتفاق ان ياخذ على واحد ومن البدع التلحين في القراءة حتى لا تفهم التلاوة ولا
وحتى يجاوزوا اعراب الكلمة فيرد المقصور ويقصر الممدود والاعلام المدغم والاظهار المدغم
لتستوي ذلك التلاحين ولا يبالي باعوجاج الكلمة واحالتها عن حقيقتها فهذا
بدعة ومكروه الاستماع وقال قبيصة مرالحرث حدثنا عبد الله بن داود الحربي امر
بالرجل يقرأ فجلس اليه فقال يقولون نطرب قلت نعم قال هذا قراهم بدعتهم ومن
ذلك التلحين في الاذان وصوت البغبي والاعتداء فيه اعتداء قال رجل من المؤذنين
لابن عمر اني لاحبك في الله تعالى فقال له لكنني ابغضك في الله قال ولم يا ابا عبد
الرحمن قال لانك تتغنى في اذانك وتاخذ عليه اجرا وكان ابو بكر الابهري يقول اخرجت
من بغداد وما بقي في المقابر فما ابتدعوا في كل شيء حتى في قراءة القرآن وفي
الاذان يعني في الاذان والتلحين وقدم علينا دفعة في سنة ثلاثين ومن جملة ما
احدث الخلف مجاوزة سنن السلف انهم تشددوا في اشياء كان السلف
يتساهلون فيها وتساهلوا في اشياء كان السلف يتشددون فيها فمثال الاول مثل
الوسواس تشددوا في التعاقب من الذنوب وتساهلوا في الاذكار والسنن فتمذهب
الجماعة حتى يا رتوهم فيما تشددوا فيه الخلف فما كان السلف يتساهلونه كتب
الاحاديث من انواع ظن كمثل وتتبع الغرائب من طرقها ونحو من العلل فيها وقد قال
ابن عون ادركنا ثلاثة يشددون في المعاني ابراهيم والشعبي والحسن وعن جماعة
من علماء السلف والصحابة السعة التي وسعت في معاني الاحاديث وان لم توجد
الالفاظ ومن ذلك تحرير الحروف ونحو معنى الواحد في جميع اخبياره حتى كانه فرض عليه
ومن ذلك التدقيق في القياس والتفقه والتنقيب في علوم العربية والتعمق فقال
ابراهيم بن ادهم اعربنا في الكلام فلم نلحن ولحنا في الاعمال فلم نعرب فليتنا لحنا في
الكلام واعربنا في الاعمال وذم ذلك العربية عند القاسم بن مخيمرة فقال اولها كبر
وآخرها بغي وقال بعض السلف النحو يذهب بالخشوع من القلب وقال بعضهم من
اراد ان يزدري بالناس كلهم فليتعلم النحو ومثاله في الطهارة بالماء وتنظيف
الثياب وكثرة غسلها من عرق الجنب ولبس الجلابة ومن اوراك ما يوكل لحمه ومن
وغسل بسبيم الزم ونحو ذلك وكان السلف يتشددون في كل هذا ومما تساهلوا مما كان
الغدر ما يتشددون فيه امر المكاسب وزمام التخريج فيها والخوض فيما لا يعنيه والخوض
في الباطل والغيبة والنميمة والاستماع اليهما والعثر على البلاغات وتسوية الكلام
لاجلها وكفروا تشتد ذلك في الغيبة والنميمة وكل بلاغة تزيد وتنقص ان كان تنقل

زادهن فيه وان كان خيرا نقصت منه وتساهلوا في النكي الى الزور واللهو ومجالس السفه
البطالين وفي المشي في الهوى والتعصب وشدة الحرص على الدنيا وهذا كله كان
السلف يتشددون فيه ومما احدثوا دخول النساء الحمام من غير ضرورة ودخول
الرجل بغير مئزر وهو يتسرف سئل ابراهيم بن اسحاق الحربي رحمه الله عن يتنقب
النبيذ ولم يسكر ايصلى خلفه ام لا فقال نعم قيل فمن دخل الحمام بغير مئزر فقال لا يصلى
خلفه هذا لان شرب النبيذ اذا لم يسكر مختلف فيه وان دخول الحمام بغير المئزر محرم
بالاجماع وكان بعض العلماء يقول يحتاج داخل الحمام الى مئزر لعورته ومئزر لوجهه ومئزر
لعورته والا لم يسلم في دخوله وكان ابن عمر يقول الحمام من النعيم الذي احدثوه
ومن المنكر في الحمام قولبي الغير بسورة الرجل المسلم في الصلاة بالنورة ومن كان
من هدي العلماء في قعودهم ان يجتمع احدهم في جلسته فينصب ركبتيه ومنهم من
يقعد على قدميه ويرفع ويقعد على ركبتيه كذلك كان شمايل كل من تكلم في هذا العلم
خاصة من عهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن زمن الحسن البصري وهو
اول من اظهر هذا العلم وقيل لا يسمى به الى وقت ابي القاسم الجنيد قيل ان تظهر اب
الكراسي وكذلك روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقعد القرفصاء
محتبيا بيديه وفي رواية اخرى انه كان يقعد على قدميه ويجعل مرفقيه على
ركبتيه واول من قعد على كرسي من اهل هذا العلم يحيى بن معاذ الرازي وتبعه
ابو حمزة ببغداد فعاب الاشياخ عليهما ذلك ولم يكن ذلك من سيرة العارفين
الذين يتكلمون في علم المعرفة واليقين انما كان مجلس المتكبرين ومن التواضع
الاجتماع في الجلسة

ذكر تفصيل العلوم معروفها وقديمها ومحدثها ومنكرها

اعلم ان العلوم تسعة اربعة منها سنة معروفة من الصحابة والتابعين وخمسة
محدثة لم تكن تعرف فيما سلف فاما الاربعة المعروفة فعلم الايمان وعلم القرآن وعلم
السنن والآثار وعلم الفتاوى والاحكام واما الخمسة المحدثة فالنحو والعروض
وعلم المقاييس والجدل في الفقه وعلم المعقول بالنظر وعلم علل الحديث وذكر بعض
الطرقات فيه وتعليل الضعفاء وتضعيف النقلة للآثار فهذا العلم من المحدث
الا انه علم لاهله يستعمله اهل النقل منهم قال بعض العلماء نعم الرجل فلان لولا انه يتفقه
وقال بعض هذه الطائفة مثل اصحاب الحكايات في اهل المعرفة مثل القصاص في الفقهاء
وقال اخر مثل القصاص في العلماء مثل اهل السوق في اهل القرى فاما اكل الدنيا بالدين

واخذها على الصلاح ويبيع العلم بالدنيا والتصنع والتزين للعلوم لمن يبيح ما احدث
وهو الخصم لمن يدل على فساد، عندنا من عرف كلام العلم ونشهد هو لا في زماننا هذا
الجاهلون بالعلم علماء. وجعلهم الناقصون عن العقل ضلالا لقلة معرفتهم بطريق
المتقدمين وعدم بصيرتهم بحقيقة علم الدين **واعلم** ان الكلام ينقسم سبعة
اقسام العلم منه قسم واحد وهو ما وافق السنة لقولهم هم بلغة قطعة من لا يعرفه ولا يعرف بين
العلم والجهل والعرف يقولون لكل سد فطنة لا فطنة ولكل قلبية خالفة بالسنة ابدا و
وسيقة وخطا ولحن وزخرف وسوسة هذه اسماؤها عند العلماء. فيصلون ذلك فضلا
وفضل الله تعالى لهم من بيانه واستعطفهم من كتابه وجعلهم شهداء على دينه وعباده
فالقسم السابع من الكلام هو ما عدا هذه الستة ولم يقع عليه اسم منها مذموم
فهو علم وهو نحو القرآن والسنة وما دل عليه واستنبط منهما او وجد فيه
اسمه ومعناه من قول وفعل والتاويل اذا لم يخرج من الاجماع من اهل العلم والاستنباط
اذا كان مستودعا في الكتاب يشهد له الجامع ولا ينافيه الناص فهو علم وقد كان ابن
مسعود يقول انتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسياتي زمان يكون العلم
فيه تابع للهوى وقد جمع الله تعالى بين رونق العقل وسمعة الدنيا بتسميتها زخرفا
فقال تعالى يعني رونق وسمعة الدنيا بتسميته الزخرف فقال تعالى ولبيوتهم ابوابا
وسررا عليها يتكئون وزخرفا وكما قال زخرف القول غرورا فزخرف الجاهل بالا
يا يستحسنان زخرف القول من الحق، من علماء الدنيا كمتعة الجاهل من ابناء الدنيا
بزخرف الذهب ثم اصل عند حقيقة الاخر والزخرف ماء علا الذهب فيشتبه به
فيحسبه الجاهل والصبي عين الذهب كذلك الزخرف من القول ما يروى ويشبه على
العلم فيحسبه المستمع من الجهال علما فلذلك جمع بينهما في التسمية زخرفا وقد
قيل ان الزخرف هو الذهب فعلى هذا شبه الغرور بالذهب الذي يذهب بغلاوه.
ونقل حقيقته عند الربانيين واهل الحقيقة ان احدثنا انه يشبه الانبياء والصديقين
بل دون ذلك الحجر والدرر وكان احمد بن حنبل رضي الله عنه يقول انما العلم ما قبلوا
على الغرائب واهل الفقه منهم الله المستعان وقال ابن انس لم يكن الناس فيما
مضى يسالون عن هذه الامور كما يسال الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام
ولا حلال في اكثر الامور ادركتهم يقولون مكروه مستحب وقد كان مالك كثير التوقف
في الاجوبة اذا سئل ويكثر ان يقول لا ادري سل غيري وقال رجل لعبد الرحمن بن
مهدي الا ترى الى قول فلان في العلم حلال وحرام وقطعه الامر يعلمه يعني رجلا
من اهل الرأي والى قول مالك اذا سئل احسب احسب فقال عبد الرحمن وتجد قول
مالك احسب احسب اولى من قول فلان اشهد اشهد وكان هشام بن عروة يقول
لا تسألوهم اليوم عما احدثوا فانهم قد اعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة

فانهم

لا يعرفونها وتكون التشبيه المذكورة الى ما احدث الناس من الرأي والهوى يقول لقد
كان القعود في هذا المسجد احب الي مما يرابه فصار فيه هؤلاء. الراي يعني بعض
اي المجلس فيه ولان اقعد على من بلة احب الي من ان اجلس فيه وكان يقول ما
حدثوكم عن السنة ولا تكاد تجده وما حدثوكم بما احدثوا من رايهم فالقه عليه
وقد قال مرة فبال عليه **وقد كان السلف** يستحبون العمى والبكم عن علوم
المعقول ومن جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايمان وقرنه بالحياء فقال
الحياء والعي شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق وقال ان ابغض
الخلق الى الله البليغ الذي يتخلل الكلام بلسانه كما تتخلل البقرة الخلا بلسانها
يعني الحشيش الى اخر وقال في حديث آخر والعي عي اللسان لا عي القلب وقال
ان الله عز وجل كره لكم البيان فصار الفقه انما هو فقد الغيب عن الرب وصار فقد
اللسان في البيان انما هو عي القلب عن الشهادة ولا يقال وعي اللسان و
وطول الصمت الذي كان يستحبه السلف هو اليوم عيب ومن المتكلمين لا يعرف الكلام
البدع وعلم المنافقين الذي ذمه العلماء القدماء هو اليوم سنة واهل النطق به هم
العلماء اليوم وقد صار المعروف منكرا والمنكر معروفا وصارت السنة بدعة والبدع
سنة وكذلك جاءت به الاخبار في وصف علماء آخر الزمان وفي الخبر المشهور ان
الله تعالى يبغض البذخ المتشدقين فمن غلب عليه هذا الوصف كان منسوبا
فليبق على الرأي والمعقول عن القلب عن مشاهدة اليقين وعلم الايمان كان الى
النجار اقرب وامن حقيقة الايمان ابعد وقد كان ابو سليمان الداراني يقول لا ينبغي
لمن الهم شيئا من الخير ان يعمله حتى يسمع به في الاثر فيحمد الله تعالى اذا وافق ما في
نفسه وقال بعض العارفين ما يقبلنا خاطرا من قلبي حتى يشهد لي شاهدا عدل
من كتاب وسنة وكان امامنا ابو محمد سهل رحمه الله يقول لا يبلغ العبد حقيقة
الايمان حتى يكون فيه هذه الاربع اداء الفرائض بالسنة واكل الحلال بالورع و
واجتناب النهي من الظاهر والباطن والصبر على ذلك الى الممات وقد كانوا يعيبون
على من تكلم بعد طلوع الفجر الى طلوع الشمس بغير ذكر الله تعالى وكانوا يخرجون المس
المتحدثين من المساجد لانه يعني فيه لا يصلح الا ذكر الله عز وجل وكان السلف
يستعظمون تسمية الحديث في الدين وتلقين البدع في الاسلام لعظم الايمان و
والسنة في قلوبهم ولمعرفتهم بحقيقة المعروف قال عبد الله بن مغفل لابنه وقد
سمعه يقرأ خلف الامام بسم الله الرحمن الرحيم اياك والحدث وقال سعد بن ابي
وقاص لابنه عمر وقد سمعه يسجع في كلامه هذا الذي يبغضه النبي لا قضيت لك حاجة
ابدا وكان قد جاء يساله حاجة له وقال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
اذن بني ادم تشقوا من الاطلاقة في لسانه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعبد

الله بن رواحة من سجع مع ان بين ثلاث كلمات فقال ابو الدرداء والسجع يا ابن رواحة وكان
السجع ما زاد على كلمتين وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي اودى
في دية الجنين كيف ادي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل فمثل هذا يطل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اسجع كسجع الاعراب وروينا ان مروان لما احدث
المنبر في صلاة العيد عند المصلى قام اليه ابو سعيد الخدري فقال يا مروان ما هذه
البدعة فقال انها ليست ببدعة هي خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فاردت ان يبلغهم
الصوت فقال ابو سعيد والله لا تاتون بخير مما اعلم ابدا والله لا صليت وراءك اليوم
فانصرف ولم يصل معه صلاة العيد فالخطبة على منبر في صلاة العيد وخطبة الاستسقاء
بدعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فيهما متوكئا على قوس او عصى وروينا
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اخر صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فاعتق رقبة وفعله
عمر بن عبد العزيز ايضا فاعتق استغفارا بعمر وهو حدث لامة وروينا عن ابن عمر انه اخر
صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين وفي الخبر لا تزال امتي على سنة من
دينها ما لم يوخروا صلاة المغرب الى اشتباك النجوم تشبها باليهود ولم يوخروا
الصبح الى انقراض النجوم تشبها بالنصرانية وقال الثوري ويوسف بن اسباط لا
تعلم دينك ممن لا دين له وقال وكيع لا ازال احب الا من ان اسال مبتدعا عن
شيء وكان احمد بن حنبل قد اكثر عن عبيد الله بن موسى العبسي ثم بلغه
عنه انه ابتدع بدعة قيل انه كان يقدم عليا على عثمان وقيل بل ذكر معاوية بسوء فانصرف
احمد وخرق جميع ما حمل عنه ولم يحدث عنه شيئا وقيل انه قيل لابي عبد الله او وكيع التشبه
بالسلف ام عبيد الله فقال وكيع وان ولو زنة وحدثونا عن ابراهيم الحربي قال كتبت
عن علي بن المديني رحمه الله تعالى على ان لا احدث عنه بحرف وقيل ولم يدان يا اسحاق
منزلة لانه خلط مبتدع وكان رحمه الله تعالى يقول صحبت الفقهاء واصحاب الحديث
واهل العربية واللغة خمسين سنة ما سمعت هذه المسايل التي احدثت في هذا
الوقت من احد منهم فلي في الاسم والمسمى وذلك وقال الحربي على من كان من اهل
الكلام والجدال ان يحضر مجلسي او يسالني عن شيء فانه لا علم لي بالكلام ولا احسنه
ولا اقول بالمقالة ولو عرفت احدا منهم ما كلمته ولا اجبته عن شيء وحدثنا زيد بن اخرم
عن وهب بن جرير قال سمعت شعبة يقول اتينا الحكم العكلي فقلت ما معنى قول
النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتبع احدكم جنازة فلا يجلس حتى توضع قال ان اتيتنا
ان جيتنا ولم يجد له شيئا ان يقوم فقلنا قبلنا ما تجيب قال في رايتنا فتركته وروى
محمد بن غيلان عن وهب ايضا عن شعبة قال اتينا المنهال بن عمرو نسأله عن حديث
فسمعنا من منزله صوت طنبور فرجعنا ولم نساله ثم ندمنا بعد ذلك فقلنا هلا سالناه
فعسى كان لا يعلم به وذكر احمد بن حنبل ابا ثور صاحب الشافعي لما سيل عن معنى قول

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق ادم على صورته ان الهاء عايدة على ادم
فغضب وقال ويله واي صورة كانت لادم فخلقه عليها ويله يقول ان الله تعالى خلق
على مثال فكيف يصنع في الخبر المفسر ان الله تعالى خلق ادم على صورة الرحمان فبلغ
ابا ثور ذلك فجاء واعتذر اليه وحلف انه ما قاله عن اعتقاد وانه هو راي رآه وقال
القول ما قلته وهو اعتقادي وهو مذهبي وهجر ايضا الحارث المحاسبي في رده
على المتكلمين المبتدعة وكان من اهل السنة وقال في انه عليهم يذكر حكيت قولهم واثبات
فانك تحملهم على النظر والراي فيما قلته فيكون سببا لهم الحق بالباطل وهجر ايضا يحيى
بن معين في كلمة تكلم بها وهو قوله لو اعطاني الشيطان شيئا لاخذته وقيل لعبد الرحمان
بن مهدي ان فلانا قد رد على المبتدعة فقال ان كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله
عليه وسلم قال الولاية لا يعقول فقال يتبين ما صنع رد بدعة ببدعة وقال مالك بن
انس ليس من السنة ان تجادل على السنة ولكن تخبر بها فان قبل منك والا فاسكت
ومما احدثوا البيع والشراء على الطريق وكان الورعون لا يشترون شيئا ممن قعد
ببيعه على الطريق وكذلك اخراج الرواشن من البيوت وتقديم العضائد بين
يدي الحوانيت على الطريق مكروه ومما كره اهل الورع البيع والشراء من الصبيان
لانهم لا يملكون وكلامهم غير مقبول وحدثنا عن ابي بكر المروذي ان شيخا كان يجالس
احمد بن حنبل ذا هيبة فكان احمد يقبل عليه ويكرمه فبلغه انه طين حايطه من
خارج قال فاعرض عنه في المجلس فاستنكر الشيخ ذلك فقال يا ابا عبد الله هل
بلغك عني حدث احدثته قال نعم طينت حايطك من خارج قال ولا يجوز قال لا لانك
اخذت من طريق المسلمين انملة قال وكيف اصنع قال اما ان تكشط ما طينته واما
ان تهدم الحايط وتوخره الى ورا مقدار اصبع ثم تطينه من خارج قال فهدم الشيخ الحايط
واخره اصبعا ثم طينه من خارج قال فاقبل عليه ابو عبد الله كما كان ومما كرهه الشافعي
طرح السترة والرابية على الحد في الطرقات فيتاذى المسلمون بذلك وكان شريح
وغيره اذا اتاهم يستفتونهم في درهم ونحوه ومثله اخراج الميازيب وصبها على الطرقات
وكان احمد بن حنبل واهل الورع يجعلون ميازيبهم الى داخل بيوتهم وقال ابراهيم النخعي
احدهم يكذب ويتزين ولا يستفتي يقول لا شيء الا شيء ليس بشيء يعنون من الناس
للشيء اليسير الذي لا يوصف بكثير شيء فاستعظم هذا وذاك كرا ما تخفى
وروينا عن عمر رضي الله عنه انه قال لعمرو انه كتبت اربعين حيا العجمي وعن ابي ان اغبطه
به قال وكيع قال من الناس ابا الصعري مبتدع فالمرونه وقيل للعبادة توحيد
انه بصير فقال لا علم من كنتها افتي عيسى بن لوكان في وقتنا احد اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم كنتنا نكن البهم وحدثونا عن الفضل بن مهران قال قلنا ليحيى بن معين اخي
يقعد الى القصاص فقال انهه قلنا لا يقبل قال عظه قلنا لا يقبل قال نعم اهجره قال

فانتبه احمد بن حنبل رضي الله عنه فذكرت له فحوله فقال له يقرا في المصحف ويذكر الله في
نفسه ويطلب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا فان لم يفعل قال بلى ان شاء
الله فان هذا الاجتماع محدث قلنا فان لم يقبل اهجره فتبسم وسكت وسال رجل لبيثم حتى
انحى عن مسألة من علوم القلوب فتوقف ثم اجابه ثم سأله مسألة اخرى من علم المعاملة
فسكت ونظر اليه ثم قال من تجالس من الناس فقال المنصور بن عمار وابن السماك فقال
لا ينبغي ان تسأل عن علم القلوب ثم تجالس القصاص قال واعرض عنه حتى قلنا له يا ابا
فوالله لا باس به انه من اهل السنة وممن كانوا يكرهون الصلاة في المقصورة وروينا
اول بدعة احدثت في المساجد وتكون في القبلة بالزخرف وتحلية المصاحف وهذا
من البدع وفي الخبر اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم وقد
كانوا يكرهون كثرة المساجد في المحلة الواحدة روي ان انس بن مالك لما دخل البصرة
جعل كلما خطا خطوة يبني راى مسجدا فقال ما هذه البدعة لما كثرت المساجد قال
المصلون اشهد لقد كانت القبيلة باسرها ليس فيها الا مسجد واحد وكان اهل
العبد يلين بينها وبين المسجد الواحد في الحي من الاحياء واختلف في اي يصلي اذا اتفق
مسجدان في محلته فمنهم من قال في اقدمهما واليه ذهب انس بن مالك وغيره من
الصحابة وقال وكانوا يجاوزون المسجد المحدثة الى المساجد العتق وكان الحسن
يقول يصلي في اقربها اليه ويقال اول ما احدث من البدع اربع الموائد والمناخل
والاشنان والشبع وكانوا يكرهون ان يكون ابنية البيت غير الخرب ولا يتوضى
اهل الورع في ابنية الجص قال الجنيد قال لي سري السقطي اجهد ان لا تستعمل من ابنية
بيتك الا جنسك يعني من الطين ويقال لا حساب عليه ومما كره السلف
تشييد البناء بالجص والاجر ويقال اول من طبخ الطين هامان امره به فرعون ويقال
هو بناء الجبابرة وكرهوا النقوش والتزويق في السقوف والابواب وكانوا يقصون
من النخل الى ذلك الاعراب لاحنف بن قيس غنية بجذع وقرطو واسقف بيته
وصبروه فلما نظر اليه خرج من منزله وحلف ان لا يدخله حتى يقلعوا ذلك
ويغيروه كما كان وقال يحيى بن يمان كنت امشي مع الثوري في طريق فمر
بباب منقوش من ورق فنظرت اليه فجذبني سفيان حتى جزت فقلت له لما
ذلك قال انما نهى عن النظر اليه لقال المتكلف لم ينظر اليه ولو كان كل من يمر لا ينظر اليه
بنوه فكانه خشي ان يكون نظره اليه معاونة له على بنائه ولما احدث الناس ما
كانوا يكرهونه الثياب الرقاق مثل القصب والدبيقي برمو كانوا يقولون الثياب
الرقاق لباس الفساق وروي ثوبه رث دبيبه ويقال اول النسيج الزيج وقال
ابن مسعود لا يسبه الرجل حتى يشبه الغلب وخطب بشر بن مروان وعليه ثوب
رقيق مجعل دافع من خز فجعل يقول انظروا الى اميركم يعظ الناس وعليه ثياب

الفساق

الفساق ولما جاء عبد الله بن عامر بن ربيعة في بردتين الى الجمعة ودخل عن الزهري
واخذ يتكلم فيه فجعل ابوه ربيع يضرب فيه بكعبه ثم اعرض عنه ولم يكلمه فغضب ابن عامر وكان
ذهب اشكو فجعل يذهب الى ابن عمر يشكوه فقال انت فعلت فيعبسه ذلك اذا خرج في هذه
الثياب وتسأله عن الزهد

وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد وصف نسلا يكون في اخر الزمان فقال كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤوسهن امثال
اسنمة البخت يعني المعاجر ولا يدخلن الجنة ولا يجدن رائحة الجنة في الثياب الرقاق للنساء اكره
واغلظ وكان ابن عباس يفسر التبرج انه لبس الرقاق من الثياب وقال في قوله تعالى ولا
تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قال كانت المراة تلبس ثيابا فيتبينه لحما وكذا لا يواري
لها عورة فما لا يجوز فيه الصلاة لانه يصف او يشف يكره لبسه والما كانت ثياب
السلف السنبلاني والقطواني وعصب اليمن ومعافري مصر والقباطي مثل كسوة الكعبة
والثياب السحولية اليمانية والكرابيس والخوصية وهي غلاظ كلها كثيفة الثمن خمسة
دراهم الى ثلاثين درهما فما بين ذلك ثم احدثوا الثياب الرقاق من كتان مصر وقطن خراسان
وكان طول بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة اذرع ونصف وثمنه الى الاربعة
والخمسة وكانت اثمان ثيابهم الخميص من الخمسة الى العشرة فيما بينهما من الثمن
ولكن قد جاء في الخبر لا تقوم الساعة حتى يصير المعروف منكرا والمنكر معروفا وكان
ابن عباس يقول لا يأتي على الناس عام الا اماتوا فيه سنة واحيوا فيه بدعة
حتى تموت السنن وتحيى البدع فلما كان قبل منكر انه لا يعرف فلما اخفي الحق لم يعرف
وقع عليه اسم منكر وكذلك قيل معروف لانه مشهور مالوف فلما ابتلي الباطل
وكثر الجهل حتى الف وعرف وقع عليه اسم معروف وكذلك قيل بكثرة الجور حتى يولد
فيه من لا يعرف العدل وكان الشعبي يقول يأتي على الناس زمان يصلون على
الحجاج وهذا قد اتى منذ زمان لان الحجاج ابتدع اشياء انكرها الناس عليه في زمانه
هي اليوم سنن معروفة واعمال مستحسنة يحسن حمدها الناس ويغبطون من احدثها
ويحسبون انه مأجور عليها مشكور له سعيه فيها لانهم لا يعرفون انه احدثها
فيهم وان لم يعرفوا بالصلاة عليه قوما فان استعملهم لما احدث واستحسانهم لما
ابتدع من اجل منهم عليه والترحم صلاة ايضا فانه ابتدع اشياء من الحكم ومد اكمه حتى
ابواب الحجاج لظهر بعده ولاة احدثوا احداثا من الجور وابتدعوا بدعا من الفسوق
وطرقوا سنن بعدهم فاوجب ذلك الصلاة على الحجاج الى جنب ما ظهر وابدع مما
احدث هؤلاء اعمال ما قبلها التي تعلق بها ... المسلف بالنغم والزهادة والمثل

كان الناس يحجون على الرواحل والزوامل مضحين للشمس ويصبحون في سبيل
الله ويتشعثون ويغبرون ويقل أكلهم ونومهم ويكثر رهقهم لا بل وتقل المشقة
والملل عليهم فيكونون مع ذلك أثوب لهم وأزكى لحجهم وأدنى إلى سلامة أبدانهم وأوفق
لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم فأخرجهم من جميع ذلك لما أدخلهم فيه من بدعته
فصاروا يحجون في بيوت ظليلة مع الحمل على الإبل ما لا يطيقون فيكون سبب تلفها
وبعد كونه بسببه وابتدع أيضا هذه الأخماس والعواشر ورؤوس الآي وجعل
السور وختمه وصيره ما أدخل في المصحف ما ليس فيه من الزخرف وكان السلف يقولون
جردوا القرآن كما أنزله الله تعالى ولا تخلطوا به غيره فأنكر العلماء ذلك عليه.
حتى قال أبو رزين يأتي على الناس زمان ينشؤون فيه ثم يحسبون أن ما
أحدث الحجاج في المصاحف هكذا أنزله الله تعالى يزعم يزلهم ومتى نقل الاختلاف
أن بعضهم كان لا يقرأ في مصحف منقوط بحيث لأن بعضا كان لا يرى القراءة في مصحف
منقوط كما نقل أن بعضهم كان يرى نشر المصحف ونحوه فيعيده إليه وكذلك الحمل من
تنقيطه أننا فيه لما جاز أن نقرأ فيما نقطه غيره وقد كانوا يكرهون أخذ الأجر
على تنقيط القرآن أي لأجل أنه مبتدع قال أبو بكر الهذلي سألت الحسن عن
تنقيط المصاحف بالأجر قال وما تنقيطها قلنا يعربون الكلم بالعربية قال أما
إعراب القرآن فلا بأس به وقال خالد الحذاء دخلنا على ابن سيرين فرأيته يقرأ
في مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقال يونس بن حبيب وجدنا منقوطا بالنحو
في بيت الحجاج فجنبت منه وكان أول من نقط رأيته يا بنيت الشعبي فقال أقرأ عليه
ولا تنقطه إلا بيده ومنها أنه جمع القراء ثلاثين رجلا وكانوا يعدون حروف المصحف
ويعدون كلمه نثرا وأوداهم عمر وعثمان وعلي يصنعون هذا بالقرآن أن يعدوا
كلمه وحروفه من كل سورة ولا جعل ونسبهم ضربا وهذا الذي لم تفعله الصحابة ووصفوا
به قراء آخر الزمان أنهم يحفظون حروفه ويضيعون حدوده وكان الحجاج أحسن
القراء وأبعضهم كان يختم في كل ثلاث وكان أتبع الناس لحدوده ومنها أنه ابتدع
إخراج الحصباء أول من المساجد وفرشها بالبواري كما روي أن قتادة سجد
فدخل في عينه قصبة وكان ضريرا فقال لعن الله الحجاج ابتدع هذه البواري
يؤذي بها المصلين وقد كانوا يستحبون السجود على الأرض والتراب تواضعا لله
تعالى وتخشعا وذلك إلى غير ذلك من بدعه التي لم يقصر تعديدها عليه ولا جعلها
فهي اليوم سنن معروفة وشرائع مألوفة مع ما أحدث غيره مما يكثر عدده حتى
كله عشر من عرف المكروه من تشبيه المتفقه فيه وتسهيل السبل وقد قال
ابن مسعود يظهر المنكر والبدع حتى إذا غير منها شيء قيل غيرت السنة وقال في
آخر حديثه كيف بكم في تحول الزمان الذي يروغ برأسه روغان الثعالب وقد كان

انس

أنس بن مالك في سنة ثمانين وأبلاه الحجاج يقول ما أعرف اليوم شيئا كان على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقد غير إلا شهادة أن لا إله إلا الله قيل ما الصلاة
يا أبا حمزة قال أوليس قد أحدثتم في الصلاة ما علمتم يعني تأخيرهم صلوات المكتوبة فيها
ويعني السلام على الأمراء أيضا هو من إذا الإقامة يجعلوا الحال السنة وكان يقول للقراء
إذا دخلوا عليه مثل تزيير الرقاشي وزيادة النميري ويرفد السبي ما أشبهكم
بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فيفرحون ثم يقول نعم رؤوسكم ومخالفكم فهذا ما قال
المجنون

أما الخيام فإنها كخيامهم — وأرى نساء الحي غير نسائها

وعن جماعة من الصحابة لو نشر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ودار ذكر ما عرفوا
شيئا مما أنتم عليه إلا الصلاة في جماعة وفي لفظ آخر إلا أنكم تصلون جميعا وقد كان الحسن
يقول صحبت أقواما لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو رأوا أخياركم لقالوا ما لهؤلاء من خلاق
وقال أبو حازم وأدركت القراء وهم القراء حقا لو كان حامل القرآن في ملإ رجل
لعرف بسيماه تواضعه وحسن سمته وخشوعه بحروف القرآن واقشعر جلده وما لهؤلاء
فوالله ما هم القراء ولكنهم الجراء. وكذلك وصف بعض السلف قال كنا نشهد الجنازة فلا
نعرف صاحب المصيبة ولا نفرق بين نعزي منهم لحزن القوم قال وكان أحدهم ينقضي
بعد شهود الجنازة ثلاثا لا ينتفع به وكان فضيل يجزي خمرا زمانه ويقال لا دوم
وصحبة هؤلاء القراء إنما أنا الغنيم في شيء كغيره وقال الثوري ما شيء أحب
إلي من صحبة فتى ولا شيء أبغض إلي من صحبة قارئ وكان بشر يقول من لم يحسن
يتقبل لم يحسن يبغض وكان الهيثم بن الحسن يقول الآن أصحب فتى أحب إلي من أن أصحب
قاريا فأما أهل وصحبة القراء فإنهم يرمون غير مرموم وأن تركت الصلاة معهم في جماعة
تشاهروا عليك لأجل ذلك لأنهم يجاوزون الحد في شيء ويستجيرون الأدب إلى كل شيء.
لقلة الجهل عليهم وقلة مجالستهم للعلماء ومعاداتهم للعلم وأنهم موصوفون بذلك فلا تبغ إلى بال
والتضع للعلماء فيتكلمون بغير علم ويتعصبون بالبغضة والهجر في الشيء. والشيخ الذي
مثله قد يغتر وهم غير موصوفين بمحاسن الأخلاق ولا موسومين بالبشاشة وانطلاق
الوجه بل فيهم كزازة وتقبض على الناس وكزازة وخنق على الأغنياء حتى كأنهم يأكلون
أرزاقهم وكأنهم يعملون العبادة لهم ومنهم كثرة وقد قال لأهل الطائفة والبشر حتى
قال بعضهم التيه في أهله يقرأ تواضع والتواضع إذا يقرأ أتكبر وقال أخي السعلة إذا
يقرأ الكم الأمر بالمعروف واعترض على غيره أنه في كل شيء. يعني الأمر بالمعروف
ليعرف به فلذلك ذمهم العلماء. وربعضهم الأدباء أن العلم يهذب ويوسع ويذكر معه
الأخلاق الحسنة والآداب والمروءات المواسعة والعلم يضع الأشياء في مواضعها
من الناس والمجالس ولا يهم المعاذير ويستخرج لهم المعاذير ومن صفة العالم الانبساط

في بسط خلق. **وقد قال الشافعي** رحمه الله الانقباض عن الناس مكسبة
للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط وفي الخبر انكم لا تسعون الناس باموالكم فليسعهم منكم وجه طلق وخلق حسن وفي لفظ آخر وبشر وبشاشة وهذا كله
من الفوائد معروف لا يعرفونه وقد جعل الله لكل شيء قدرا انما تعرف حد الشيء بعد
احسن ومن اخلاق السلف مما فات من بعد الخلف انهم كانوا يعرفون من التملق ان
يتكلم الرجل فيهن بكلمة او يتكلم من تكلم فيه لا انهم كانوا اذا كلموا احدا وسلموا عليه
سلمت له قلوبهم ولم يتكلموا فيه واذا تكلموا في احد كبر عنده او لظهور فيسقط لم يكلموه
وكانوا اذا مدحوا احدا يقول لم يذموه بفعل واذا رموا احدا بفعل لم يمدحوه بقول
لان في ذلك لسانين واختلاف وجهين اختلاف سر وعلانية وكانوا يقولون معنى
سلام عليكم انما تقتضيه اي سلمت مني ان اغتابك واذمك وكان اختلاف هذا
عندهم من ابواب التملق وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الناس
ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وفي حديث آخر من كان ذا لسانين
في الدنيا جعل له يوم القيامة لسانان من نار وكان بعضهم يقول فانا لم عمن في الصدق
فيك لا تسلفه جالسها وقلت في غيبته ما يحب ان يسمع وقال آخر ما انا لم عند رجل
لا تذكرن في غيبته مثاله وكل ما احب ان يقال في قلته له وقال بعض السلف قليل
التواضع يجزي من كثير العمل فهذه كانت صفات المسلمين الذي يسلم الناس على ايديهم
وعلى قلوبهم كان احدهم اذا اخرج عنه غيره بسوء وقف فينبغي في ذلك ان يقصد بسوء
وقف فان كان فيه فتل عرف له السوء فقطع الجبال عن الكلام في اخيه فسكت وان لم
يكن فيه ذلك حمد الله تعالى ورحم اخاه فيشغله الشكر لمولاه عن عداوة فهذه كانت
سيرة السلف ويقال في بعض كتب الله تعالى عجبا لمن قيل فيه الخير وليس فيه
كيف يفرح ولمن قيل فيه الشر وهو فيه كيف يغضب واعجب من ذلك من احب نفسه
على اليقين وابغض الناس على الظن ومن ابغضه السلف مما كانوا يتشددون فيه
حب المدح وطلب الحمد حتى قال بعضهم من احب المدح وكره الذم فهو منافق وقال غير رجل
من سبعة فوقه قال انا فلان لو كنت كذلك لم تفعل وكتب محمد بن كعب فما نتنسب فقال
القرظي فقيل له قل الانصاري فقال اكره ان امن على الله تعالى بما لم افعل وقال
الثوري اذا كنت اذا قيل لك بئس الرجل تغضب وانت بئس الرجل وقال آخر
لا يزال فيك خير ما لم تر ان فيك خيرا وسئل بعض العلماء ما علامة المنافق فقال
الذي اذا مدح بما ليس فيه ارتاح لذلك قلبه وكان سفيان يقول اذا رأيت الرجل
يحب ان يحبه الناس كلهم ويكره ان يذكره احد بسوء فاعلم انه منافق فهذا من اخلاق من
وصف الله تعالى المنافقين بقوله سيقولون اخرى يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم
فينبغي لمن امن في اهل السنة ان يتجانب اهل البدع فهذا مما يدل على القوم الذين

فهم

فهم العلماء مواضع الليل في النهار وعلم يقرر واجلة بما تأول الحديث الذي جاء انه ما من
المؤمن زيادة الايمان في قلبه على غيره انا وبلغه وتجلد على غير محله فلما قال زيادة الايمان ولم يقل
زيادة المؤمن مرتبوا الايمان زيادة نية وزيادة تزيد الخوف والا تشعر في به من المكتسبة ولا تستر اج
وفيه طريق للعارفين بان يعلموا ان الايمان العلي الى المؤمن لا على فيعرج بذلك لم
ويضيفه الى سبيره الذي به نوره فيرد الصنعة الى صانعها ويشهد في العلم فاما هو
فيكون له محل للصانع ووصل للعالم ولا ينظر الى نفسه ولا يعجب بوصفه وهو
طريقة من رسم واتخطع نسلكها لا من رحم ربه

باب من تفضيل علم الايمان واليقين فضل هذا العلم

على سائر العلوم والتحذير من الزلل فيه وبيان ما ذكرناه اعلم ان كل علم من العلوم قد
يتأتى حفظه ونشره لمنافق او مبتدع او مشرك اذا رغب فيه وحرص على طلبه لانه نتيجة
الذهن وثمرة العقل الا علم الايمان واليقين فانه لا يتأتى لظهور مشاهدته والكلام في
حقائقه الا لمؤمن موقن من قبل ان ذلك من بر الايمان وحقيقة العلم والاثبات والا يقين
مجحد ابدا آيات الله تعالى وعمي عن معاينة قدرته وعظمته وآيات الله تعالى لا تكون
للفاسقين وعمي لا يبصر الظالمين وعظمته وقدرته لا تكون شهادة للزائغين ولا وجدا
للمبطلين اذ في ذلك توحيد لآيات الله تعالى وحجته وانقطاع لغرائبه وقدرته للزائغين
لرحمون الشك في اليقين الذي هو حجة المخلصين والذين هم بقية الله تعالى من عباده
واستبدال الباطل بالحق الذي هو وصف اهل الصدق الذين لهم الدلالة عليه من اهل
ودادة فهذا من الدليل على فضل علم المعرفة على غيره وقال الله تعالى اولم يكن
لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل وقال سبحانه بل هو آيات بينات في صدور
الذين اوتوا العلم وقال تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين قد بينا الآيات لقوم
يوقنون ولنبينه لقوم يعلمون فهؤلاء العلماء بالله الناطقين عن الله جعل لهم
الحجة منه ومكاشفة عنه ولا يكون ذلك لمن ليس من اهل الله ولا حقيقة له لانهم آيات الله
تعالى وبيناته وشهوده وبصائره وشهوده بصائر لا تشبعوا طريقه وملكوا بيانه
انه يقول ثم ان علينا بيانه ثم قال خلق الانسان علمه البيان وكان يقر قوله وكان
حقا علينا نصر المؤمنين مع قوله تعالى وكانوا احق بها واهلها منهم وابلاغهم هم
به وتحققوا بما حققهم منه وشهدوا له بما شهدهم عنه وكانوا للمتقين اعلاما وللمهتدين
اعلاما وقال بعض اهل المعرفة من لم يكن له مشاهدة من هذا العلم لم يعرف من شر لذا وتملق للانه علامة علم اليقين ومزيد من علم اليقين وجد فيه دقائق الشهادة وقال
بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى

التجيبيا منه التصديق به وتسليمه لاهله وقال اخر من كان فيه خصلتان لم ينتفع
بشيء من هذا العلم بدعة او كبر وقالت طائفة من اهله من كان محبا للدنيا او مصرا
على هوى لم يتحقق به وكان ابو محمد سهل يقول اقل عقوبة من ذكر هذا العلم لا يرزق
منه شيء ابدا واتفقوا انه علم الصديقين وان من كان له منه نصيب فهو من
المقربين يوفق درجة اصحاب اليمين واعلم ان علم التوحيد ومعرفة الصفات مباين
لسائر العلوم فالاختلاف في علم الكلام رحمة والاختلاف في علم التوحيد ضلال وبدعة
والخطأ في علم الكلام مغفور وربما كانت حسنة اذا اجتهد والخطأ في علم التوحيد
وفي شهادة اليقين كفر من قبل ان العباد لم يكلفوا حقيقة العلم عند الله تعالى
في طلب علم الكلام وعليهم موافقة الحقيقة واجب التوحيد ومن ابتدع شيئا
ردت عليه بدعته وكان مسئولا عنه ولم تكن حجة الله تعالى على عباده ولا عنه اثار
تابعا في بلاده بل كان موصوفا بالدنيا وفيها من الراغبين ولم يكن دليلا على الله
تعالى ولا من دعاة الدين ولا اماما للمتقين كما جاء في الخبر العلماء امناء الرسل ما لم
يدخلوا في الدنيا فاذا دخلوا في الدنيا فاحذروهم على دينكم والخبر المشهور من
احدث في ديننا ما ليس منه فهو رد وقد روينا في خبر من غش امتي فعليه
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قيل يا رسول الله وما غش امتك قال ان يبتدع
بدعة يحمل الناس عليها وقيل له من اشر الناس فتنة فقال زلة العالم اذا زل زل بزلته
عالم وقد روينا معناه عن نبينا صلى الله عليه وسلم مما اخاف على امتي زلة العالم
وجدال المنافق في القرآن وكان بعض السلف يقول مثل العالم اذا زل مثل الـ
السفينة اذا غرقت يغرق معها خلق كثير ومثل كسوف الشمس يصيب الناس
غم فيبقى الصلوات اي اذا عثر العالم وابتدع عم فيها وكان ابن عباس يقول ويل
للعالم من الاتباع وويل للاتباع من العالم يزل العالم زلة فيتبعه عليها فئام
من الناس وتبلغ الآفاق ولا اعلم احدا اعظم جرما ممن ابتدع في دين الله تعالى فنطق
في كتاب الله سبحانه وفي علم المعرفة بما لم يأذن به الله ثم لم يقبل بشيء من سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو حجة الله تعالى على جميع خلقه
وطريقا وليا به من عباده فاضل بذلك عباد الله فان مثل من ابتدع في الدين واتخذ
وليجة دون الكتاب والسنة وغير طريق المومنين اعجب من يظلم في اموال الدنيا
فارتكب فيها شهوات لان هذا المثل من اجترم المظالم بين الناس في الاموال والدماء
الى جنب من ظلم نفسه بكسب الذنوب فيما بينه وبين الله تعالى ان مظالم العباد اعظم
وهو الديوان الذي لا يترك لذلك التهويل في الدين اعظم لانها مظالم الآخرة وقطع طريق
المومنين ومحو شرعة الرسل ومثله مثل من اذنب وجحد ذنبه واحتج لنفسه الى من
اذنب واعترف بذنبه واعتذر من نفسه فهذا الى العفو اقرب وللرحمة ارجى كذلك

من

من اعتل بالتقصير والتفريط في العمل ولم ينتصح لنفسه لانه اظهر حقيقة العلم ونصح لله
ورسوله ببيان كتابه وذكر سنته اقرب الى حسن الخاتمة واولى بالنزاهة في العاقبة
ممن ابتدع في دين الله وابتدع في الامة ما خالف به الكتاب والسنة هذا ابدا له مثل
قلب مقلة وبدل شيء بقيمة بيتا مؤلفا النفاق في قلبه حتى يختم له به ومثل من ابتدع في الملة
مخالفا للسنة لظهور الابتداع الى من اسلفا الذنوب الى نفسه مثل من عصى الملك في قلب
دولته ونازعه عليه في ملكه فاما الزاني جنبا من عصى الله وقضى حقه من الرغبة
وقد قالت الحكماء ثلاثة لا يحتملهن من الملوك ان ينازع احد في قلب دولته او من رعيته او يعمل فيما
يوجب الملك وايضر حرمته من حرمه وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لله
تعالى ملكا ينادي في كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي عليه السلام الهوى شريك العمى وقال الله
تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ثم
قال او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله فسوى بين الكذب
في الربوبية على الله تعالى وبين المتشبه المضاهي للربوبية وكذلك من اعظم المنكر
بعد هذا انكار الحق واهله ورده عليهم فالتكذيب فقد سوى الله تعالى بين التكذيب
بالحق وبين ابتداء الكذب على الخالق في قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
او كذب بالحق لما جاءه وقال في مثله فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه
كذلك ايضا في ضده سوى بين الصادق في الصدق والمصدق به فقال والذي جاء بالصدق
وصدق به اولئك هم المتقون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العالم والمتعلم
شريكان في العلم وقال عيسى صلى الله عليه وسلم يعني المستمع شريك القائل ولكن
الله تعالى قد جعل هذه الطائفة من العلماء فالله تعالى ترحم على جميع الطوائف من
الشطاحين والمبتدعين اهل الجهالة في الدين والحيرة عن سبيل المومنين فلا رحمهم الله
تعالى من علم اليقين ولا اشهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في العلم والتعريف
في قوله يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال
المبطلين وتاويل الجاهلين فالغالون هم الشطاحون لانهم قد جاوزوا العلم وجاوزوا
الرسم واسقطوا الحكم والمبتدعون المبطلون هم لانهم قد جاءوا بالباطل ليدحضوا
الحق واتوا بالدعوى وابتدعوا بالراي والهوى والجاهلون هم المنكرون لغرائب
العلم المعترضون فيما عجزوا من كلام العلماء وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله تعالى فاذا نطقوا به لم ينكره
الا اهل الاغترار بالله تعالى فلا تحقروا عالما اتاه الله تعالى علما فان الله تعالى
لم يحقره اذ اتاه وكل من تناول السنن بالراي والمعقول ونطق بما لم يسبق اليه الـ
السلف من القول او المعتقد فهو متكلف مسقط فاما العلماء بالله تعالى فيردون علوم

المعقول بعلم اليقين وعلم الراي بعلم السنة ويبدعون اهل الاثار ويرمون بقلة الافهام
بما يعقلون من اخبارهم ويسخرون من حديثهم مما لو جعل للنخلة لم تنس اليه ولم يجزوا
الرواية الى كشف معنيه مما اشتبه الله واستتره عنهم ويترك به قلوبهم ونطقهم الرواة
فيهم يتلطفون عن الله سبحانه فيما يخبرون عنه ذلك فضل الله يوتيه من يشاء. وجعلنا
منهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون وقد قال بعض العلماء ما
تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفا. وما سكت عنه السلف فالكلام فيه
تكلف وقال اخر الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى
وقال علي عليه السلام عليكم بالنمط الاوسط الذي يرجع اليه الغالي وب
بي نقع عند الغالي ومما احدث الناس ايضا الرد على المبتدعة بعلم الراي والمعقول
وقد كان هذا مما سلف بدعة وكان المتكلمون به مبتدعة مفرطا ولي زماننا
من العلماء وجعل الجهال اصحاب المنطق علما ولم يكن من سيرة القدماء الرد على
المبتدعين الا بالسنة والاثار لا بعلم الكلام والقياس والنحو والجدال فقيل لعبد
الرحمن بن مهدي ان فلانا صنف كتابا يرد فيه على المبتدعة فقال باي شيء بالكتاب
والسنة قال لا ولكن بعلم العقول والنحو فقال اخطأ السنة ورد بدعة ببدعة
وكان من سنة السلف ان لا يستمع الى مبتدع لانه فتنة ولا يرد عليه بالجدال والنحو
لانه بدعة ولكن يخبر بالسنة ويحتج بالاثار فان قبل فهو اخوه وحبيبه وعليه م
مولاته وان ردها ابغض ببدعته وخبث عداوته وهذا لم يبق لا يسلكه في
وقتنا هذا الا من عرف فضله وطريقة السلف فيه حديث عن ابليس لعنه الله
انه بث جنوده في وقت الصحابة فرجعوا اليه محسورين فقال ما شانكم قالوا
ما راينا مثل هولاء القوم ما نصيب منهم شيئا قد اتعبونا فيقول انكم لا تقدروا
عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سياتي بعدهم قوم تنالون منهم
حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فيهم فرجعوا منكسين فقال
ما شانكم قالوا ما راينا اعجب من هولاء القوم نصيب منهم الشيء بعد الشيء
من الذنوب فاذا كان من اخر النهار اخذوا في الاستغفار فيبدل سيئاتهم
حسنات فقال انكم لن تنالوا من هولاء شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم سنة
نبيهم صلى الله عليه وسلم ولكن سياتي بعدهم قوم تقر اعينكم بهم تلعبون بهم
لعبا وتقودونهم بازمة اهوائهم كيف شئتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون
فيبدل سيئاتهم حسنات قال فجاء قوم بعد القرون الاول فبث فيهم الاهواء وزين
لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون
الى الله تعالى منها قال فسلطنا عليهم الاعداء وقادتهم اين شاءوا وقد قال ابن
عباس رضي الله عنه ان الصلاة لها حلاوة في قلوب اهلها وقال الله تعالى الخ

اتخذوا

اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وقال تعالى
افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه فالعلم رحمك الله هو الذي كان عليه اهل
السلف الصالح المقتدى باثارهم والخلف التابعين المقتدي بهديهم وهم الصحابة
اهل السكينة واكابر التابعين لهم باحسان من اهل الزهد والتقى والعالم هو
الذي يدعو الناس الى مثل حاله حتى يكونوا مثله فاذا نظروا اليه زهدوا في الدنيا زهد
ببعض لمكانه وذو النون المصري رحمه الله يقول جالس من يكلمك علمه لا من يكلمك لسانه
وقد قال الحسن فضل علم الناس بفعاله ولا تفضحهم بقوله وكان ابو محمد سهل يقول العلم
يتبعه بالعمل فان اجابه والا انحل وقد روينا عن نبينا صلى الله عليه وسلم معنى ذلك
كله انه قيل له اي جلسائنا خير فقال من ذكركم الله تعالى رؤيته وزاد في علمكم
منطقه وذكركم بالاخرة عمله فاما الذي يطلب لدنياهم حتى يكون مثلهم فانه اراد
اغتباطوا الجاهلين فهذا ليس منهم لانه يدعوا الى نفسه لا الى مولاه ولانه طامع فيهم
وهم زاهدون فيه فاما العلماء الذين هم ورثة الانبياء الورعون في دين الله تعالى الزاهدون
في فضول الدنيا الناطقون بعلم اليقين والقدرة لا بعلم الراي والهوى والصامتون
عن الشبهات والارا المختلف فيها الى يوم القيامة عند العلماء الشهداء على الله
تعالى يدرون ما يقول ولا يقولون فقط اهل ذلك روى عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله
عليه وسلم صلح اول هذه الامة بالزهد واليقين ويهلك اخرها بالبخل والامل وقال
يوسف بن اسباط كتب الي حذيفة المرعشي فالظن بمن بقي لا تجد احدا يذكر
الله تعالى معه الا كان اثما وكانت مذاكرته معصية وذلك انه لا يجد اهله قلت ليوسف
يا ابا محمد ونعرفهم قال ولا تجدون علينا ويقال ان الابدال انقطعوا في اطراف الارض
واستتروا عن اعين الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى علماء هذا الوقت ولا يصبرون
على استماع كلامهم لانهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند انفسهم وعند الجاهلين
علماء فغرضوا من اهل الجهل واهل الجهل بالجهل على الوصف الذي قال سهل من اعظم
المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام اهل الغفلة ايسم عندهم لانهم
لا يعرفون ذلك حتى كانوا في اطراف الامصار الارض لان العامة لا يرضون في الدين
ولا يعرفون المومنين ولا يدعون انهم علماء لانهم يتعلمون وبالجهالة يعترفون فهم الى
الجنة اقرب ومن المغنا ابعد وكان ابو محمد ايضا يقول قسوة القلب بالجهل بالعلم اشد من
القسوة بالمعاصي لان بالعلم نارا دوعري والعاصي بالجهل معترف بالعلم ويقرب
ايضا العلم وايه يصلح الاعمال وايجد بيل بفساد الاعمال بالنار والجهل ويفسد الاعمال
بعد صلاحها فهو يزيل الحسنات فيجعلها سيئات فكيف يبني ما يصلح الفساد وما يفسد
الصالحات وقد قال الله تعالى ان الله لا يصلح عمل المفسدين وقال ان الله لا يضيع اجر
المصلحين فهذا من احد الدليل على فضل العالم المتقي على العابد المجتهد واعلم ان العبد

اخذا بابن الناس في كل شيء، متى احوالهم انه قد عرف جميعهم ولم يبالغ احدا منهم ولم يلقهم
في اكثر احوالهم واعتزل عن الاكثر منهم وبان بارقهم في بعض الاحوال وافقهم في بعض
حاله فذلك الاخيم وفارق اهل السنة

باب تفضيل الاخبار وبيان طرايق

الاثار وذكر الرخصة والسعة النقل والرواية جميع ما ذكرناه في هذا الكتاب من
الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم او عن الصحابة وعن التابعين رحمهم الله حفظا ود
وسعناه على المعنى الا نسيم اللفظ وجوده في ابرنيا دفرة تناوله منا من اخيار فيها طول
فانا نقلنا ها من مواضعها وما يعسر علينا فلم ننقله ولم نشتغل همتنا به مما كان فيه من صواب
وبيان وتنبيه فمن الله بحسن توفيقه وقوة تدبيره وما كان من خطا وعجلة وهو في
يمنا فالسهو والغفلة ومن عمل الشيطان بالعجلة والنسيان كذلك روينا عن ابن
مسعود في قضيته التي قضاها برايه وقولنا في ابن نبع وروينا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم البيان والتثبت من الله سبحانه والعجلة والنسيان من الشيطان يعني
براسلته وتكلما التوفيق ولم اعتمد العبارة الاخبار في اكثر ولم ازل عن سياق المعنى
في كله اذ يسم نحن بن العبارة عند نقله واجبنا اذ الينا بالمعنى بعد ان يكون عالما بتصريف
الكلام ومخارجه ووجوه المعاني مجتنبا لما يكون به تحريفا بين اللفظين وقد رخص في سوق
الحديث على المعنى دون سياقه على اللفظ جماعة من الصحابة منهم علي وابن عباس وانس
بن مالك وابو الدرداء وواثلة بن الاسقع وابو هريرة ثم جماعة من التابعين يكثر عددهم
منهم امام الايمة الحسن البصري ثم الشعبي وعمرو بن دينار وابراهيم النخعي ومجاهد وعكرمة
نقل ذلك عنهم وفي كتب سيرهم بالعبارة مختلفة الالفاظ وقال ابن سيرين كنت
اسمع الحديث من العشرة المعنى واحد والالفاظ مختلفة ولذلك اختلفت الفاظ
الصحابة في رواية الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنهم من يرويه تاما
ومنهم من ياتي بالمعنى ومنهم من يورده مختصرا وبعضهم يغاير بين اللفظين
ويراه واسعا اذا لم يخالف المعنى وكلهم لا يتعمد الكذب وجميعهم يقصد الصدق ومعنى
ما سمع ولا يحل البغية وكذلك وسعهم وكانوا يقولون انما الكذب على من تعمده وقد روينا
عن عمران بن مسلم قال قال رجل للحسن يا ابا سعيد انك تحدث الحديث انت احسن له سياقا
سياقا واجود تحبيرا وافصح لسانا منا اذا حدثتنا به فقال اذا اصبت المعنى فلا باس
بذلك وقد قال النضر بن شميل كان هشيم لحانا فكسوت لكم حديثه كسوة حسنة يعني
بالاعراب وكان النخعي يقول ويحيى فانهم يلحنون في جميع ما رويناه او كما قيل ونحوه ومشهور وكذا
كذلك قال ابن مسعود في حديثه وكان سليمان التيمي يقول في كلها نحو ذلك او نحوه وقد
كان سفيان يقول اذا رايت الرجل يتشدد في الفاظ الحديث في المجلس فاعلم انه يقول

اعجوبة

اعجوبة قال وجعل رجل يسال يحيى بن سعيد القطان عن حرف في الحديث على لفظه
فقال له يحيى يا هذا ليس في الدنيا اجل من كتاب الله تعالى قد رخص القراءة فيه على
سبعة احرف فلا تشدد وفي بعض ما رويناه واسعا ومقاطيع ومنها ما في مسند ومقال
وربما كان المقطوع والمرسل احسن من بعض المسند اذا رواه الايمة وجاز لنا رسمه لكون المعاني
احدها انه لنسئل على يقيني من بطلها والثاني ان معناه حجة بذلك وهو دون واتساله واتل
قد سمعنا بان اخطانا الحقيقة عند الله تعالى فذلك ساقط لكن قال الاسباط وقال
شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين في قولهم ان ابنك سرق اخطاوا الحقيقة
عند الله تعالى الا انهم كانوا معذورين لوجود الدليل وهو شهادتهم للصلاح مستخرج من رحل
اخيهم والثالث ان الاخبار الضعاف غير مخالفة الكتاب والسنة فيما عندنا وهما بل فيهما
يدل على نحوها والرابع انا نعبرون بحسن الظن منهيون عن كثير من الظن مامورون بظن
السوء والخامس انه لا ينوصل الى حقيقة ذلك الا من طريق المعاينة ولا سبيل اليها
فالظن متناه الى التعليم والتصريف بحسن الظن بالنقلة مع ما تسكن اليه قلوبنا
ونميل اليه ان لم يستقل رفعا ونرى انه حق لما جاء في الخبر وايضا فانه يتحقق ان يعتقد في سلفنا
المومنين انهم خير منا ثم نحن لا نكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا على
التابعين فكيف نظن بهم يكذبون وهم يوقفنا على انه قد جاءت احاديث مقالي بالاسانيد
صحاح وكذلك يصح ان نرد احاديث صحاح بسند ضعيف لاحتمال ان يكون قد روي من وجه
صحيح انه لم يجب بحالة العلم ولان بعض من يضعف به رواة اهل الحديث وتعلل به احاديثهم
لا يكون تعليلا ولا جرحا عند الفقهاء ولا عند العلماء بالله تعالى مثل ان يكون الراوي
مجهولا لا يثار الخمول وقد ندب اليه او لغفلة لا يتباع انه لم يفسح لهم لا ترفعه او نيرع
بلفظ او حديث حفظه وحفظ بدون غيره من الثقات او يكون غير سابق للحديث
على لفظه او يكون صحيفا بدرسه او حفظه او على عليه لبالس او سمع منه كلام لا يخرجه
عند الفقهاء مخلله به بعض الغرام في الرواية وان بعض من يضعفه اصحاب الحديث هو من علماء
الاخرة ومن اهل المعرفة بالله تعالى وله الحديث حجة عليه لان هو حجة عليهم انه ليس
هو عند احمد بدون العلماء ومن اصحاب الحديث من ضعفه احد راي غير رايه وقد تكلم بعض الجبابرة
بالاقدام والجراة فجاوز الحد في الجرح وتعدى في الكلام ويكون المتكلم فيه افضل منه وعند
العلماء بالله تعالى اعلا درجة فيعود الجرح على الجارح وانما بعض من يضعفه اهل الحديث
يقويه بعضهم وبعضهم من يجرحه ويزنه واخر يعدله ويرجحه اخر فصار مختلفا فيه او لم
يرد حديثه بقوله واحد دون من يوفقه او مثله وقال بعض العلماء الحديث وان كان ضعيفا
بقدر وسمع فيه بحسن الظن لما جوز فيه قول نشاهر واهر ايي للضرورة كشبهة الغايبة
ونحوها وروينا معناه عن احمد بن حنبل والحديث انه لم يناف فيه كتابا او سنة وان لم
يشهدا له ولم يخرجا وبليه عن الاجماع الا منه فانه يوجب القبول والعمل لقوله صلى الله عليه

عليه وسلم كبعض ومن قبل والحديث الضعيف عنده جائز من الرأي والقياس وهذا مذهب أبي عبد
الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه والحديث إذا تداوله عوان أو رواه القرون الثلاثة
أو دار في العصر الواحد ولم ينكره علماؤه أو كان مشهوراً لا ينكره الطبقة من المسلمين
احتمل ووقع به حجة وإن كان في سنده قول إلا ما خالف الكتاب والسنة المجمع عليها أو إجماع
الأمة أو كان كذب ناقله يشبه دون الصادقين من الأئمة وذلك دخل على الزهري في حديثه
فقال ما سمعت بهذا فقال كل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته قال لا قال
فنصفه قال لا قال فاجعل هذا في النصف الذي لم تسمعه وقال وكيع
بن الجراح ما ينبغي لأحد أن يقول هذا الحديث باطل لأن الحديث أكثر من ذلك وقال أبو داود
قال أبو زرعة الرازي قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألف عين تطرف
كل واحد قد روى عنه ولو حديثاً ولو كلمة ولو رؤية مجردة رسول الله صلى الله عليه وسلم
أكثر من ذلك وقال أحمد بن حنبل رحمه الله كان يزيد بن هارون يكتب عن الرجل وهو يعلم ولكن
لا تحمل وعلم بالحديث وقال إسحاق بن راهويه قيل لأحمد هذه العوالي التي فيها المناكير
ترى أن تكتبها الخبر منها فقال المنكر أبداً منكر قيل له فالضعفاء قال قد يحتاج إليهم في
وقت كأنه لم ير بالكتاب عنهم بأساً وقال أبو بكر المروزي عنه الحديث عن الضعفاء
قد يحتاج إليه ومما يدل على مذهبه في التوسعة أنه أخرج حديثه كله في المسند
المأثور عنه الذي رويناه عن أبيه أخبرنا عن عبد الله ابنه عنه ولم الصحيح منه
وفيه أحاديث كثيرة يعلم المتقدمون أنها ضعيفة وهو أعلم بضعفها منهم ثم أخرجها في
مسنده لأنه أراد تخريج المسند ولم يقصد تصحيح السند فأسند ما رواه كما سمعها
ومن كان قطع أو جرح الناس في سنة ثمان وعشرين وتوفي سنة إحدى وأربعين
فلم يسمع أحد منه في هذه المدة إلا أبي حتى أو أحدا ببعض شغله عنه حدا أحمد بن
منيع وهو ثوبان عنه قال كان عبد الرحمن يترك الحديث لم يخرج إلينا بعرفونا يعرفون
هو صحيح ومن وجدته قال وأما وكيع فلم يكن ينتقد ولكن كان يقول إنما نسيل عنه لأجل
أحد لعله وحدثونا عن أبي عبد الرحمن بن مهدي قال كان خارج في قد خطأ على أهل أحاديث
ثم جمع علينا بعد ذلك وقرأناه عليه فقلنا فتركنا خلطنا عليها فقال نعم ثم نعكرت بلا ثم
أي إن صححها أسقطنا عن الله تعالى بأن جاء تابعي يزيد في الله تعالى وقال لو أسـ
أسقطنا عن النبي صلى الله عليه وسلم سمعنا كلامه لم يكن حجة هذا كان مذهب الورعين من السلف
ومن كان بعضهم يقول كنا نتزلف مجالسة شعبة لأنه كان يدخلنا في الغيبة وإنما كان
بعضهم يقول كنا نتزلف مجالسة شعبة كلامه في التضعيف وقال بعضهم في تضعيف الرواة
إن تفاصيل بيته يعني إرادة الله تعالى والدين يدل لم يكن لهم ولا عليهم بهذه الفضول
التي ذكرناها حتى أصول في معرفة الحديث وهو علم لا أهله وطريق هم سدا الكرام ثم حدث
قوم لم يكن لهم علم يختصون به ولا حال من علم يوصفون به ولا شغل من عبادة تقطعهم

فجعلوا النفوس علماً تشتغل به وشغلوا أن يستمع إليهم وصنفوا الكتب وأخذوا
يتكلمون في نقلة الآثار بالتعليل ويتتبع العثار ولم يقوا أهل البدع إلى رد السنن
والآثار بالمعقول لما يرون من طعنهم فيها واغتبطوا بالقياس والنظر لما وجدوا أمتي
زهدهم في السنن والخبر سيما في زماننا هذا والأحاديث في الترغيب في الآخرة والترهيب
في الدنيا والترهيب لوعيد الله تعالى في فضائل الأعمال وتفضيل الصحابة المتقبلة
محتملة على كل حال مقاطيعها ومراسيلها لا ترد ولا تزاد وكذلك في أقوال الفقهاء
ووجه زهدهم وعظاتهم يسلم ويتقبل بالتصريف ولا يتلقى لأجل معقول لأن العلم
قد دل على ذلك من الأصول قد وردت به وقد روينا أن من بلغه فضيلة عن رسول الله عليه
وسلم فعمل بها أعطاه الله ثواب ذلك وإن لم يكن ما قيل والخبر الأول رويناه حقاً
بأن أقول وإن لم أكن قلته ومن روى بما طالبني لا أقول بالباطل كل ما رسمناه من
هذا الكتاب بقول الله أعلم وأحكم وعلمه المتقدم عنده حقائق العلوم وإليه ترجع
الأمور وما نشاء كان وهو المستعان ولا قوة إلا بالله

الفصل الثاني والثلاثون

فيه شرح مقامات اليقين وأحوال الموقنين أصول مقامات اليقين التي ترقى إليها
فروع أحوال المتقين تسعة أولها التوبة والصبر والشكر والرجاء والخوف والزهد والله
والتوكل والرضا والمحبة فهذه محبة الخصوص وهي محبة المحبوب

ذكر فرض التوبة

وشرح مقاماته ووصف التوابين قال الله الكريم المتعال في البيان الأول بخطاب
العموم وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون معناه ارجعوا إليه من هوى
نفوسكم ومن وقوفكم مع شهواتكم عسى أن تظفروا ببغيتكم في المعاد وكي تبقوا
ببقاء الله تعالى الباقي في نعيم لا زوال له ولا نفاد ولكي تفوزوا وتسعدوا بدخول
الجنة وتنجوا من النار فهذا هو الفلاح وقال في البيان الثاني من مخاطبة الخصوص
يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم
ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار نصوحاً من النصح جاء على وزن فعول للمبالغة
في النصح ومن قرأ نُصوحاً بضم النون فيكون مصدر نصحت له نصحاً ونصوحاً
بمعنى خالصة لله تعالى وقيل اشتقاقه من النصاح وهو الخيط أي مجردة لا يتعلق
بها شيء وهو الاستقامة على الطاعة من غير روغان إلى معصية كما تروغ الثعالب
وأن لا يحدث نفسه بعود إلى ذنب متى قدر عليه وأن يترك الذنب لأجل الله تعالى خالصاً

لصوبته تعالى لما أذنبه لأجل هواه فجعل عليه بغلبته وشهوته فمتى لقي الله تعالى بقلب
سليم من الهوى وعمل خالص مستقيم على السنة بفرحته له بحسن الخاتمة فيجيئه اجر ركنه
الحسنى السابقة وهذا هو التوبة النصوح وهذا العبد هو التواب المتطهر الحبيب وهو
إخبار عن من سبقت له من الله الحسنى من تداركه نعمة من ربه رحمه بها في تدارك السوابق مع
وصف لمن قصده بخطابه إذ يقول سبحانه في كتابه إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب
له وسئل الحسن رحمه الله عن التوبة النصوح فقال ندم بالقلب واستغفار
باللسان وترك بالجوارح وإضمار أن لا يعود إليه وقال أبو محمد وليس من لا شيء أوجب
على هذا الخلق من التوبة ولا عقوبة أشد عليهم من فقد علم التوبة وقد جهل الناس علم
التوبة ومن قال من قولنا إن التوبة ليست بفرض فهو كافر ومن رضي بقوله فهو
كافر وقال التائب الذي يتوب من غفلته في الطاعات في كل طرفة ونفس وقد جهل
الناس على التوبة وقال من يعوذ بالمعصية وثنى بابتداع الظن ونسيان الذكر وقال
في الحديث الطويل ومن عصى نسي الذكر واتبع الظن وطلب المغفرة بلا توبة ولا استكانة
وعرفت التوبة الذي لا بد للتائب منه ولا يكون التائب محققا صادقا إلا به الإقرار بالذنب
والاعتراف بالظلم ووقف النفس عن الهوى وحل الإصرار الذي كان عقده على أعمال الشيطان
والطاعة للعقلية بعد ما يغفر تحليته لأن الطعمة أساس الصالحات ثم الندم على ما فات
من الجنايات وحقيقة الندم إن كان حقا أنه لا حق حقيقته أن لا يقر وذا إلى عمل ما
وقع الندم عليه ثم اعتقاده الاستقامة على الطاعة ومجانبة النهي وحقيقة الاستقامة
أن لا يقابل ما يستقبل من عمره بمثل ما وقع الاعوجاج به وأن لا يجمع حالا يمر به
وأن يتبع طريق من أناب إلى الله تعالى ثم الاشتغال بإصلاح ما أفسد في أيام بطالته
ليكون من المصلحين الذين تابوا وأصلحوا ما أفسدوا فإن الله لا يصلح عمل المفسدين
كما لا يضيع أجر المصلحين ثم الاستبدال بالصالحات من الحسنات ليكون ممن تبدل
سيئاته حسنات المتحققة بالتوبة وحسن الانابة لأن التبديل يكون في الدنيا
تبدل بأعمال السوء أعمالا حسنة بدليل قوله تعالى إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بأنفسهم وبأنه أعظم ما بهم من شيء حسنة بدل سيئة ثم حسنة ثم الندم
وهو الحزن وحقيقة الندم والحزن على الفوت لأن لا يفوتها ولا ينسيه في وقت ذكره
ولا يجمع ولا ينتفي في حين أشغل الذي يعين نفسه وقت أن يبدأه تمكن يعمل في برد
ما فات مما مضى من غفلته إذ لا يرد الفوت ولا ينال التنعيم بالتنعيم ليكون
كما وصف الله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فقبل مع
الاعتراف والندم وقال أبو سليمان الداراني لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره إلا على
فوت ما مضى منه في غير الطاعة لكان خليقا أن يحزنه ذلك إلى الممات وكيف من

يستقبل

يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله وقال أبو محمد التائب لا يعلو بشيء ويكون قلبه
معلقا بالعفو حتى يبادر النفس ولا يعبس له إلا الضرورة للقوام ويقيم على ما مضى
والحزن في الآخرة ومبادرته النفس فيما يجب ولا يتم ذلك له إلا باستعمال العلم في كل شيء
ثم المتابعة بأعمال الصالحات ليكون ممن قال الله عز وجل ويدرؤون بالحسنة السيئة
أولئك لهم عقبى الدار يدفعون ما سلف من السيئات بما يعملون من الحسنات وكذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي ذر وإذا عملت سيئة فاعمل بعدها حسنة
تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية وفي وصية معاذ أتبع السيئة الحسنة
وليدخل في الصالحين كما قال الله سبحانه والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين
ثم المسارعة إلى الخير الذي قدر عليه ليدرك ما فات مما ضيع ويلحق ليكون من الصالحين
وفي هذا المقام يصلح لو داوم فيحفظه ويتولاه كما قال الله تعالى وهو يتولى الصالحين فجملة
ما على العبد في التوبة وما تعلق بها عشر خصال أولاها رضى عليه أن يرضي الله تعالى
والثانية أن يتخلى معصيته أن لا يصر عليها والخصلة والثالثة التوبة إلى الله تعالى
منها والرابعة الندم على ما فرط منه والخامسة عقد الاستقامة على الطاعة إلى
الموت والسادسة خوف العقوبة والسابعة رجاء المغفرة والثامنة الاعتراف
بالظلم والتاسعة اعتقاده أن الله تعالى قدر ذلك عليه عدلا منه والعاشرة المتابعة
بالأعمال الصالحة ليعمل في الكفارات كقوله صلى الله عليه وسلم أتبع السيئة الحسنة
تمحها وفي جميع هذه الخصال آثار رويناها عن الصحابة والتابعين يكثر ذكرها ويقال
أن ملك الموت عليه السلام إذا ظهر للعبد أعلمه أنه قد بقي من عمره ساعة وأنك لا
تستأخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الأسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا من
أولها إلى آخرها لخرج منها على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى ليستعتب فيها
أو يستدرك فيها فلا يجد إلى ذلك سبيلا وهذا تأويل قوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون
قيل التوبة وقيل الزيادة في العمر وقيل حسن الخاتمة حيل بينهم وبين ذلك كما فعل بأشياعهم
من قبل أي نظرائهم وأهل طريقتهم قال فأول ساعة تمضي على العبد هي بمنزلة هذه
الساعة فيجعلها الدنيا كلها أنه أعرفت فيجعله ذلك ولذلك قيل ليتسر لما بقي من عمر العبد
قيمة إذ عرفه وجه التقدير من الله تعالى بالتصريف والحكمة وقيل في معنى قوله تعالى من
قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب قال الوقت الغريب
أن يقول العبد عند كشف الغطاء يا ملك الموت أخرني يوما أعتب فيه ربي وأتوب
فيه صالحا لتذهب فيقول فنيت الأيام فلا يوم فيقول أخرني ساعة فيقول فنيت
الساعات فلا ساعة قال فيبلغ الروح الحلقوم فيغرغر بنفسه عند الغرغرة فيغلق
باب التوبة ويحجب عنه وتنقطع الأعمال وتذهب الأوقات وتتصاعد الأنفاس
تشهد فيها المعاينة عند كشف الغطاء فيحضرون فإذا كان في آخر نفس زهقت

نفسه فيذكره ما سبق له من السعادة فيخرج روحه على التوحيد فيزل له حسن
الخاتمة او يذكره ما سبق له من الشقاوة فيخرج روحه على الشك فهذا الذي قال
الله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال
اني تبت الآن فهذا سوء الخاتمة وقيل هذا هو المنافق **ويقال** المؤمن على
المعاصي المصر عليها وقد قال سبحانه انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة
ثم يتوبون من قريب قيل قبل الموت وقيل قبل ظهور آيات الآخرة وقيل الغرغرة ان يغرغر
النفس في الحلقوم لانه تعالى قد حكم ان توبته بعد ظهور اعلام الآخرة لا ينفع **ومنه**
قوله عز وجل يوم ياتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت
من قبل يعني من قبل معاينة الآيات او كسبت في ايمانها خيرا **قيل** التوبة هي
كسب الخيرات واصول الخيرات وقيل الاعمال الصالحة هي من الايمان وعلامة الايمان
ومن قيل ثم يتوبون من قريب اي عن قريب عهد بالخطيئة لا يتمادى فيها ولا يتباعد
عن التوبة من قريب اي يعقب الذنب عملا صالحا ولا يردفه ذنبا آخر وان يخرج من
السيئة الى حسنة ولا يدخل في سيئة اخرى **وقد قيل** اول من يسأل الرجعة
من هذه الامة من لم يكن ادى زكاة ماله او لم يكن حج بيت ربه تعالى فيزل له تأويل
قوله عز وجل فاصدق واكن من الصالحين وكان ابن عباس يقول هذه الآية من اشد
شيء على اهل التوحيد هذا لقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم و
لا اولادكم عن ذكر الله **وقد قيل** لا يسأل عبد الرجعة عند الموت وله عند الله تعالى
مثقال ذرة من خير [illegible] من كان له في الآخرة مثقال ذرة من خير لو ان له
الدنيا بما فيها لم يحب ان يعود اليها وقال بعض العارفين ان الله تعالى الى عبده
سرين يسرهما اليه يوحيه له بالالهام يلهمه احدهما اذا ولد وخرج من بطن امه
يقول له عبدي قد اخرجتك الى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك وائتمنتك عليه
فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر كيف تلقاني كما اخرجتك وسر عند خروج روحه يقول
عبدي ماذا صنعت في امانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد والرعاية فالقاك
بالوفاء والجزاء او اضعتها فالقاك بالمطالبة والعقاب فهذا داخل في قوله سبحانه والذين
هم لاماناتهم وعهدهم راعون وفي قوله تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم فعمر العبد امانة
عنده ان حفظه فقد ادى الامانة وان ضيعه فقد خان ان الله لا يحب الخائنين **وفي**
خبر ابن عباس من ضيع وايت الله تعالى خرج من امانة الله تعالى
وعبد التوبة النصوح تكفير السيئات ودخول الجنات وكان بعضهم يقول من
علمني متى يغفر الله تعالى لي قيل ومتى ذلك قال اذا تاب الله علي **وقال آخر**
انا من ان احرم التوبة اخوف مني ان احرم المغفرة وقال تعالى عز من قائل من الله
حرمتها فيما بعليكم وعفى عنكم وقال تعالى في مثله وهو الذي يقبل التوبة عن

عباده

عباده ويعفو عن السيئات **وقال** بعض العلماء لا يصح التوبة لعبد حتى ينسى شهواته
ويكون تذكار الحزن لا يفارق قلبه لما اسلف من الذنب لا يخلو منه وقال بعض علماء الشام لا يكون
المريد تائبا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال معصية عشرين سنة وقال بعض الشيوخ
من علامة صدق التائب في توبته ان يستبدل حلاوة الهوى حلاوة الطاعة ويفرح
وكون الدنيا الحزن عليها والسرور بمجتنبها لاذاتها وقال بعض العلماء في معناه لا يكون
تائبا حتى تدخل مرارة الحلاوة النفس مكان حلاوة موافقتها

وحدثنا في الاسرائيليات

ان الله سبحانه قال لبعض انبيائه وقد سأله قبول توبة عبد ان اجتهد سنين في العبادة
ولم ير قبول توبته فقال الله وعزتي لو شفع فيه اهل السماوات والارض ما قبلت توبته
وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه ومن بقيت حلاوة المعصية في قلبه او
نكت الهم اذا ذكرها فعكره خيف عليه العود فيها الا بشره مجاهدة وكراهة
ونفي خاطرها عن سره اذا ذكرها الا بالخوف ولا اشتياق معها وقال ابو محمد سهل اول ما
يؤمر به المبتدئ المريد التوبة وهي تحويل الحركات المذمومة الى حركات محمودة ويلزم
نفسه الخلوة والصمت ولا يصح له التوبة الا باكل الحلال ولا يقدر على الحلال حتى يؤدي
حق الله تعالى في الخلق وحق الله تعالى في نفسه ولا يصح له هذا حتى يتبرأ من حركة وسكون
الا بالله تعالى وحتى لا يأمن الاستدراج بالاعمال الصالحات وحقيقة التوبة ان يدع
ماله حتى لا يدخل فيه لعلة ولا يكون تسويف ابدا الا بدلا من نفسه الحال في الوقت وهو تعود
عن سهل في الشعطيات انه قال من شروط التوبة ينبغي للتائب المنيب ان يهجر مجالسة
اهل المعاصي ثم يتفقد النية لان يعصي الله تعالى فيحل بقلبه لا امر لا بد منه ثم
الاعتزام على ان لا يعود في معصية ابدا ويلقي على التائب موعظة ويدع كلما يسخط الحق
جرى ولا يضيع الهوى ويتبع رضى وينبغي لاهل التوبة ان يحاسبوا نفوسهم في
كل طرفة ويدعوا كل شهوة ويتركوا الفضول وهي ستة اشياء ترك فضول الكلام وترك
فضول النظر وترك فضول الطعام والشراب واللباس قال ولا يقوى على ترك الشهوات
الا من ترك الشهوات ويسهل [illegible] ثم كيف يصنع التائب يقال هو من عمره بين
يومين يوم مضى ويوم يأتي فيصلحهما بثلاث اما ما مضى فبالندم والاستغفار واما ما
يأتي فبترك التخليط واهله ولزوم المريدين وصحبة الزاهدين [illegible] لثلاثة لزوم
نصيحة الغذاء والرزق على العلم ومن علامة صدق التوبة رقة القلب وغزارة
الدمعة وفي الخبر جالسوا التوابين فانهم ارق شيء افئدة ومن التحقيق في التوبة
ان يستعظم توبته فانه يقال ان الذنب كلما استعظمه العبد صغر عند الله تعالى
ويقال ان استصغار الذنب كبيرة [illegible] في الخبر المؤمن يرى ذنبه كالجبل يوقعه فوقه يخاف

قف على علامات صدق
التوبة

ان يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على انفه فاطاره وقد روينا في خبر مرسل النبي
احدكم ان يحتقر عند الله ذنبه في نفسه وقال بعضهم الذنب الذي لا يغفر قول العبد
ليت كل شيء عملته مثل هذا ولهذا قال بلال بن سعد لا تنظر الى صغر الخطيئة ولكن
انظر من عصيت وقد روينا عن الله تعالى انه اوحى الى بعض اوليائه لا تنظر الى قلة الهدية
وانظر الى عظمة مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة ولكن انظر الى كبرياء من واجهته
بها فاما عظمت الذنوب عند تعظيم المواجهة بها وكبرت في القلوب لمشاهدة حرمة
الكبرياء ومخالفة الجبار انه لم يصغر ذنب عند احد وكذا تتمة الصغائر عند الخائفين
كبائر وهو احد الوجهين في قوله عز وجل ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير لـه
ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب فمن الحرمات تعظم في قلبه
لا ينتهكها ومن هذا قول الصحابة للتابعين انكم لتعملون اعمالا هي ادق في
اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات
ليس يعنون ان الكبائر التي كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم صارت
بعده صغائر ولكن كانوا يستعظمون الصغائر لعظمة الله تعالى في قلوبهم لعظيم نور
الايمان ولم يكن ذلك في قلوب من بعدهم واوحى الله تعالى الى بعض اوليائه كم من ذنب
رايته منك هذا سكت فيه دونه اهلكت امة من الامم وروينا عن اسماعيل عن انس عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اهلك الله تعالى امة من الامم كانوا يعيبون بذكورهم
واما نسيان الذنوب فقد اختلف قول العارفين في ذلك فقال بعضهم حقيقة
التوبة ان تنصب ذنبك بين عينيك وقال اخر حقيقة التوبة ان تنسى ذنبك وهـ
ذان طريقان للطائفتين وحالان لاهل مقامين فاما ذكر الذنوب فطريق المريدين
وحال الخائفين تستخرج منهم تذكيرها الحزن الدائم والخوف اللازم واما نسيان
الذنوب فشغلا منها بالاذكار وما يستقبله من مزيد الاعمال وطريق العارفين
وحال المحبين ووجهة هذا شهادة التوحيد وهي مقام في التعرف ووجهة لا
ولا يلي مشاهدة التوقيف والتعريف وهي مقام في التعريف معه اي المعلمين
انهم عبد قابل لشهادة وجهته وعمل بحكم حالته ومقام شهادة التعريف وان كان ثنا
هذا اوسع واكثر لا انه في احوال اليمين في عموم المقربين وشهادة التواجيد اضيق
واهل واهلها اعلا وافضل وهي في المقربين وخصوص العارفين وقد يعترض المريد بقصد
المريد بقصد اذ ورد عليه السلام في تركه وتوجه على خطيئته فان لا تجيء
لا يقاس عليهم لجلالة حدود من دونهم وقد يغلطون في احوال المريدين ويسلكون
بهم سبيل المتقين وذلك لاجل الامة ليكون لهم تقويلا للاولياء واعلم انه لا يومن على
ضعيف اليقين قوي النفس عند تذكر الذنوب ان يغلب الهوى بشهوة او يميل
النفس مع الجلادة فيكون ذلك سبب فتنته فيبدو من حيث صلح لمدا الابوس على

معناه

معناه خطيئته بالنظر الى سببها حركة النفس اليها وان كان لا فضل لا يغلاف معها
فلم يكن لا يغلاف معصيته لاجل مجاهدة النفس فلم يصبر عنها لا انه لما عزوره فيه
خلق فيه لا اجتماع وقطع لاسباب حبيبه اسم وما كان اسم للمريد بهذا افضل وفي نسيان
الذنوب الذي لما يستقبل ولا تكلف على ما يفوت من الوقت خوف جوف باين وقد
كان بعض العارفين يقول للمريد ان يكون وصل وصف الجنة او يذكر ما فيها من النعيم
والملابس والازواج وقال اسقف للمريد ان يذكرون وصل وسموا في اسمه وغيرهم وهمه
متعلقة بالله تعالى لا يسواه قال لان المريد حديث عهد بتوبة عن معتاد لطول
لا ستغلامة والعصمة فاذا ايذكر نعيم الجنة لما من عليه لصعب قلبه ان يتشهى
مثله في بقيا حرفي الدنيا من الملابس والطيبات والنساء لان هذا عاجل وذاك اجل
فيطلب نفسه مثله ما تذكرت من نعيم الاخرة معجلا في الدنيا فاما اذا كان همه الله تعالى
كان ابعد له من زينة الدنيا وشهوا ابعد ولم يختره الهوى ويحيل خاطره من العاجل الى ان
يغوى بقيته وتشتغل بطاعته وتزيد عظمته والمعنى لغلبته وقد اختلف مذهب العلماء
ايضا في عبد ذكره دنيا وعمل في لا شغل منه ونفسه تنازعه اليه وهو يجاهدها وفي
اخر تذكر الدنيا والتشرع لا صلاح بها تكن نفسه تطالبه اليه ولا تنازعه الى الذنب
ولم يكن على قلبه منه ثقل ولا مجاهدة اي هذين افضل فقال بعض العلماء اهل الشام
الذي تنازعه نفسه الى الذنب وهو يجاهدها افضل لان عليه منازعة وفضل مجاهدة
ومال الى هذا القول احمد بن ابي الحواري واصحاب ابي سليمان الداراني وقال علماء البصرة الذي
سكنت نفسه عن المنازعة بشاهد من شواهد اليقين والطمانينة فلم يبق فيه
فضل لعود ولا طلب لعمله افضل ومال الى هذا ذاهب من تميم والعسقي وهو من كبار علماء
البصريين وقال الوسطى لكان هذا اقرب الى السلامة ولم يومن على نفسه الرجوع وهذا
كما قال وقد اختلف العلماء ايضا في رجلين احدهما تشيفا من بذل ماله في سبيل الله
تعالى فشابت نفسه عليه وثقل عليها ذلك فجاهدها واخرج ماله وسبيل الاخر بذل ماله
فبذله مع السؤال طوعا من غير منازعة نفسه ولا ثقل عليها ولا مجاهدة منه لها ايهما
افضل فقال قوم المجاهد لنفسه افضل لانه اجتمع له الاعمال والمجاهدة فحصل له عملان وذهب
الى هذا القول ابن عطاء واصحابه وقال الاخرون الذي سمحت نفسه بالبذل طوعا
من غير اعراض ولا اكراه افضل قال لان مقام هذا في سخاوة النفس والتحقيق بان هذا افضل
من جميع الاعمال لا ول من لا اكراه والمجاهدة ومن بذل ماله على ذلك لان الاول وان
غلبت نفسه في هذا الذي لا يامن غلبتها له في ثانية او ثالثة الذي ليس البخل من
مقامها لانها كانت محمولة عليه والى هذا ذهب الجنيد وهو عندي كما قال الكعبي لنا
وسيل ابو محمد سهل عن الرجل يتوب من الشيء ويتركه ثم يخطر ذلك الشيء بقلبه او يراه
او يسمع به فيجد حلاوته فقال الحلاوة طبع البشر ولا بد من الطبع وليس له حيلة

الا ان يرجع قلبه الى ربه بالشكوى ويبكي بقلبه ويلوم نفسه الا ذكاره لا بعد فقده
ويدعوا الله تعالى الى ان ينسيه ذكر لذة ويشغله بنعيم من ذكره وطاعته قالوا وان
صوغا عن الا ذكار رفع عنه اذا تاب عليه ان لا يسلم ويجعل الحلاوة في قلبه ولكن مع
وجدان الحلاوة يلزم قلبه الا ذكار والحزن فانه لا ينفعه وهذا عندي هكذا لان التوبة
لا تتم مع بقاء الشهوة ويكون العبد مرادا بالمجاهدة وهذا اهل المريدين ومحو الشهوة
من القلب وصف العارفين بدوام التوجه وربما تعلق بالذنب ذنوب كثيرة هي اعظم
منه مثل الاصرار عليه والغفلة عنه وتسويف التوبة بعده ووجد حلاوة الطبع
لمثله او وجد الحزن والاسف على فوته والسرور بعمله او بحمد غيره عليه ان كان ذنبا
يقع اثنين او انفاق مال الله عز وجل فيه وهو كفر النعمة به وقد قيل من انفق درهما
في حرام فقد اسرف ومنه ان يستصغر الذنب ويحتقره فيكون اعظم من اجتراحه
او يتهاون بستر الله عليه ويستخف بحلم الله تعالى عنه فيكون ذلك نوع اغترار ولا
من او يجهل نعمة الله تعالى عليه في ستره ولا يظهر شكره كما قال في الدعاء المأثور الذي
يبرم الله تعالى به

يا من أظهر الجميل وستر على القبيح

فلا من لم يتنبه للستر ويقال لكل عاص عجبا كيف اجترأ ماذا وقع عنده يرى انه يستره
ومنه لذة المجاهرة بالذنب والصول بدوام النظام وهذا من الطغيان وفي الخبر
كل الناس معافا الا المجاهرين ويعنيه اهم ذنبا على ذنب قد ستره الله تعالى عليه
فيه يكشف ستر الله تعالى ويتحدث بذنبه وربما يستن العاصي في الذنب سنة
اتبع عليها فينبغي تسبيلا ان تبت عليه ما دام يعمل به وقد قيل طوبى لمن اذا مات
ماتت ذنوبه معه ولم يؤاخذ بها بعده وطوبى لمن لم يعرف ذنبه غيره وقال بعضهم لا تذنب
فان كان لا بد فلا تحمل غيرك على الذنب فتكتسب ذنبين وقد جعل الله تعالى هذا المعنى
وصفا من اوصاف المنافقين في قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف فمن حمل اخاه على ذنب منه فقد امر بالمنكر
ونهى عن المعروف وقال بعض السلف ما انتهك المؤمن من اخيه حرمة اعظم من
ان يساعده على معصية ثم يهونها عليه وقد يعيش العبد اربعين سنة ثم يموت
فيبقى في ذنوبه بعد موته الف سنة فيعاقب عليها في قبره اذا كان قد سنها سنة واتبع
عليها الى ان يندرس او يموت كل من يعمل بها ثم تسقط عنه ويستريح منها ويقال
اعظم الذنوب من ظلم من لا يدفعه ولم ير من المنفعة بين مثل ان يتكلم فيجني فسلبا من
اهل الحق والمنة المتقين وهذه المعاني كلها تدخل على الذنب الواحد وهي اعظم منه
ومن ذلك قوله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم قيل سنتهم التي يعمل بها بعدهم وفي

الخبر

الخبر من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه مثل وزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم
شيئا وقد كان ابن عباس يقول ويل للعالم من الاتباع من زلته فيرجع عنها ويحملها
الناس فيذهبون بها في الآفاق وقال بعضهم مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق
الخلق معها وفي الخبر الاسرائيلي ان عالما كان يضل الناس بالبدع ثم ادركته توبة
فرجع الى الله تعالى وعمل في الاصلاح دهرا فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان ذنبك
لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن اضللت من عبادي ف
ادخلتهم النار ومنها استحلال المعصية واحلالها للغير فليس من جنس الابواب في بنيه
المراد له خروج عن الملة وتبديل للشرع بغير وهو الكفر بالله تعالى كما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم من … اي من استحل محارمه وقد سمى الله سبحانه وتعالى
عمله السوء جهالة بقوله انه من عمل منكم سوءا بجهالة وقال بل انتم قوم مسرفون
وقال ان العرش يهتز ويغضب الرب تعالى لثلاثة اعمال لقتل النفس بغير نفس و
واتيان الذكر الذكر وركوب الانثى الانثى وفي الخبر لو اغتسل العاصي بالبحار لم
يطهره الا التوبة ولو لم يكن في شؤم المعصية من الشؤم الا حرمان الطاعة وفقد
حلاوة الخدمة ومعنى المولى لكان هذا من اعظم العقوبات كما قال وهب بن الورد
وقد سئل هل يجد العاصي حلاوة الطاعة فقال لا ولا من هم بمعصية وبهذا سمى الله
تعالى يحيى سيدا لانه لم يهم بمعصية قط وعلامة السيد ان يقدر ان لا يهم
بالمعاصي وفي خبر من لبس ثوب شهرة وفي بعضها من تكبر الى عطفيه فاختال اعرض الله
تعالى عنه وان كان عنده حبيبا وفي الخلال البعد وجوه البعد والوحشة والانقطاع
من المعاملة وروينا في خبر ان آدم صلى الله عليه وسلم لما اكل من الشجرة تطايرت
الحلل من جسده وبدت عورته فلم يستحي التاج والاكليل من وجهه ان يرتفعا عنه
فجاءه جبريل عليه السلام فاخذ التاج عن راسه وحل الاكليل من جبينه ونودي
من فوق العرش اهبطا من جواري فانه لا يجاورني من عصاني فالتفت آدم الى حواء
باكيا وقال هذا اول شؤم المعصية اخرجتنا من جوار الحبيب وروينا ان سليمان
نبي الله صلى الله عليه وسلم لما عوقب في اجل التمثال الذي عبد في داره اربعين
يوما وقيل ان المرأة سألته ان يحكم لابيها فقال نعم ولم يفعل وقيل مال اهب بقلبه
ان يكون الحكم لابيها على خصمه لمكانها منه فسلب ملكه اربعين يوما فهرب تائها
على وجهه وكان يستطعم بكفيه ولا يطعم واذا قال اطعموني فاني سليمان بن داود شج
راسه ولقد بلغني انه استطعم من بيت امرأة فطردته وانه في وجهه وفي رواية قال
فلم يطعمه احد فخرجت اليه عجوز فضربته بعصا على راسه الى ان اخرج له الخاتم من بطن
الحوت فلبسه بعد انقضاء الاربعين وهي ايام العقوبة قال فجاءت الطير فعكفت
عليه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله فلما رآه الصبيان وكبروا

بين يديه واعتذروا انما كانوا هدوه وشجوه فقال لا الومكم فيما صنعتم ولا احركم
لان فيما تصنعون جزاء من السماء ولا بد منه ولقد بلغني انه كان في مسيره ور
والريح تحمله في جنوده اذ التفت الى لمّة نظرة وكان عليه قميص جديد فكأنه اعجبه
فوقعت الريح به الارض فقال لها لم فعلت ذلك. اولم يقال لك انما نطيعك اذا اطعت
الله تعالى وقد قال بعض العلماء في معنى هذا من خاف الله خاف منه كل شيء ومن خاف غير
الله تعالى اخافه الله تعالى من كل شيء. ويكون ايضا من اطاع الله تعالى سخر له كل شيء.
ومن عصاه سخر لكل شيء. او سلط عليه كل شيء. فلو لم يكن في الاصرار على المعصية
من الشؤم الا ان كل ما يصيب العبد يكون له عقوبة ان كان سعة عوقب بذلك
ولم يعرف به الا استدراج وان كان ضيقا كان عقوبة له **وفي الخبر** ان
العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وقد قيل الرزق من الاخرة من قلة التوفيق
للاعمال الصالحة وكان ابن مسعود يقول اني لاحسب ان العبد ينسى العلم بذنب
يصيبه ولو لم يكن من بركة التوبة والاستغفار على الطاعة الا ان كل ما يصيب العبد
فهو خير له ان كان سعة فهو رفق من الله تعالى به ولطف منه له وان كان ضيقا فهو
اختيار من الله تعالى وخيرة من الله للعبد ويوجر عليه ذلك له ولتزيده الا في سبيله
وقد اصابه وهو مقيم على طاعته ولو لم يكن من شؤم الناس وحب النفس تحذ لطبهم
الا ان المعصية معهم اكثر وهي بهم اعظم لتعلق المظالم في الدنيا وشأن
الدين وكل من قلنا معه زيد قلنا معهم خطايا وقال بعض السلف ليبيت
اللعنة سواد في الوجه ونقص في المال المال اللعنة ان لا يخرج من ذنب الا وقع
في مثله او شر منه وقيل ان اللعنة هي الطرد والعبد اذا طرد من الطاعات
لم يستنز له وبعد عن القربات فلم يوفق بها بعد لعن وقد قيل في معنى الخبر الذي
روينا ايضا ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه قيل ان يحرم الحلال ولا يوفق له
يتوسع في المعصية وقيل يحرم مجالسة العلماء ولا يشرح قلبه لمحبته اهل الخير
وقيل تعظيمه الصالحون واهل العلم بالله تعالى فيعرضوا عنه ويحرم العلم الذي لا صلاح
للعمل الا به لاجل اقباله على الجهل ولا تنكشف له الشبهات لاقباله على الشهوات
بل تلتبس عليه الامور فيقتحم فيها بغير عصمة من الله تعالى ولا يوفق للصواب
والا بصار وقد كان الفضيل يقول ما ابليت من معصية الا في الزمان وجفاء الاخوان من نوع
ورثتها ذلك وقال بعضهم اني لا اعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حماري وقال اخر
اعرف العقوبة حتى في فار بيتي ويقال نسيان القرآن يجعل حظه من اشد
العقوبات والمنع من تلاوته وضيق الصدر بقراءته والاشتغال عنه بغيره عقوبة
لا اخرى وقال بعض صوفية اهل الشام نظرت الى غلام نصراني حسن الوجه فوقفت
انظر اليه فمر بي ابن الجلاء الدمشقي فاخذ بيدي فاستحييت منه فقلت يا ابا عبد الله

سبحان الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت
للنار فغمز يدي وقال لتجدن عقوبتها بعد حين قال فعوقبت بها بعد ثلاثين سنة
وحدثني بعض الاشياخ عن منصور الفقيه قال رايت ابا عبد الله السكري في
النوم فقلت ما فعل الله تعالى بك فقال اوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي قلت
ولم ذاك قال نظرت الى غلام مقبلا ومدبرا والعقوبة موضوعة على الشدة والمشقة
فعقوبة كل عبد من حيث تنتشر عليه فاهل الدنيا يعاقبون بحرمان زيادة الدنيا
من تعذر الاكتساب وتلف الاموال واهل الاخرة يعاقبون بحرمان الرزق في الاخرة
من قلة التوفيق للاعمال الصالحة وبعده من فتوح العلوم الصالحة فمن ذلك تقدم العزل
العظيم وكان ابو سليمان الداراني يقول الاحتلام عقوبة وقال لا يفوتني احد الصلاة
في جماعة الا بذنب يحدثه وقد ترتقي العقوبات على قدر ارتفاع الدرجات وقد جاء في
الخبر ما انكرتم من زمانكم فيما غيرتم من اعمالكم وفي الخبر يقول الله تعالى ان ادنى ما
اصنع بالعبد اذا آثر شهوته على طاعتي ان احرمه لذيذ مناجاتي فهذه عقوبة اهل
المعاملات ولو كشف تغير القلب بعد المعصية على وجه العاصي لاسود وجهه ولكن
الله تعالى يستر بحلمه وستره فيعطي ذلك في القلب من قساوته وبعده ومجانبته لصاحبه
وقسوته عن الذكر وعن طلب البر والمسارعة من الخير ان ذلك من اكبر العقوبات
ويقال ان العبد اذا اعطى الظلم فله كلمة تبور على العقل منها دخان يستر
الايمان فهو مكان حزن العبد الذي نسوه معصيته ويكون ذلك الدخان حجابا
له عن العلم والبيان كما تحجب السحابة الشمس فلا تري وتصيبه لا يجري في نفسه للخلق
فاذا اناب العبد واصلح انكشف الحجاب ومن هذا قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما
كانوا يكسبون وقيل هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب فلا يعرف معروفا ولا
ينكر منكرا اخبرنا بعض العلماء قال العبد اذا استكمل سواده فحينئذ يرد على النفاق من
املس فيه والطمأن به ويثبت الا ان يتولى الله تعالى اليه فيعطف بفضله عليه وقد كان
الحسن يقول ان بين العبد وبين الله تعالى حدا من المعاصي معلوما اذا بلغه العبد طبع
على قلبه فلم يوفقه بعدها للخير وفي حديث ابن عمر الطابع معلق بقائمة العرش فاذا
انتهكت الحرمات واستحلت المحارم ارسل الله تعالى الطابع فطبع على القلوب لا تعي
وفي حديث مجاهد القلب مثل الكف المفتوحة كلما اذنب ذنبا انقبضت اصبع حتى
ينقبض الاصابع كلها فيشتمل على القلب فذلك هو القفل ويقال ذنبا ذنبا ينبت
بنبتها على القلب فاذا كثرت النبات الزفوف نام النبات حول القلب مثل الكم للثمرة
فانطبق على القلب فذلك هو الغلاف ويقال الكنان والاخرة الاكنة التي ذكر الله تعالى ان
القلب لا يسمع معها ولا يفقه وقد حدثني بعض هذه الطائفة عن ابن عم وبني علوان في
في قصة تطول قال فيها فكنت فلما اصلي ذات ليلة فخرج قلبي هوى صاولته بعد كثير

حتى تولد منه شهوة الأجل فقال فوقعنا الى الأرض واسود جسدي كله واستمر ذلك في
البيت فلم أخرج ثلاثة أيام وكنت أعالج غسله في الحمام بالصابون والألوان
الغاسلة فلم يذهب ذلك السواد فلما انتشر انكشف عني بعد ثلاثة ورجعت الى لوني
البياض قال فلقيت أبا القاسم الجنيد وكان وجه إلي باستخبر في هذه الرؤية فلما
التقيته قال لي ما استحييت من الله تعالى كنت قائما بين يديه فسارقت نفسك شهوة حتى
استولت عليك بوقد ولا خرجت من بين يدي الله تعالى لولا أني دعوت الله لك وتبت إليه
عنك للقيت الله تعالى بذلك اللون قال فعجبت كيف علم ذلك وهو ببغداد وأنا بالرقة
ولم يطلع عليه الا الله تعالى فذكرت الحكاية لبعض الأولياء فقال هذا كان رفقا من
الله تعالى به وخير له إذ لم يسود قلبه وظهر السواد على جسده ولم يكن في قلبه
لأهلكه ثم قال ما من ذنب يرتكبه العبد أو عليه إلا اسود القلب منه مثل سواد
الجسم الذي ثم لا يجلوه الا التوبة ولكن ليس كل عبد يصنع له ما صنع لأبي عمرو أن
ولا يجد من يلطف له مثل أبي القاسم الجنيد ولكل ذنب عقوبة إلا أن يعفو الله
تعالى والعقوبة ليست على قدر الذنب ولا من حيث يعلم العبد لكنها على نفع
المشيئة وعن سابق علم الربوبية ربما كانت في قلبه وهي أوائل القلوب وربما
كانت في الجسد وقد يكون في الأموال والأهل ويكون في سقوط الجاه والمنزلة
من عيون المؤمنين وقد يكون مؤجلة في الآخرة وهذا أعظم العقوبات وهي لأهل
الكبائر الموبقات الذين ماتوا عن غير توبة ولأهل الإصرار والعزة والاستكبار
لأجل أنها كانت في الدنيا كانت يسيرة على قدر الدنيا فإذا أخرت كانت عظيمة
على قدر الآخرة وفي الخبر إنما أراد الله تعالى بعبد خيرا عجل الله له عقوبة ذنبه وإذا
أراد الله بعبد شرا أخره حتى يوافي به يوم القيامة واعلم أن الغم على ما يفوت من
الدنيا والهم بالحرص عليها من العقوبات والفرح والسرور بما فات من الدنيا مع ما
لا يبالي ما خرج منه ثم ببعض العقوبات وقد يكون عقوبة الذنب ذنبا مثله وأعظم
منه كما يكون ثواب الطاعة مثلها وأفضل منها وقد يكون دوام العوافي واتساع
المعيشة من عقوبات الذنوب إذا كانت سببا الى المعاصي وفي أحد الوجوه من معنى
قوله تعالى وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون قال الغنى والعافية وقد صار الفقر
والمرض رحمة من الله تعالى إذا كانا سببا للعصمة ومنعا أسباب المعاصي إذ كانا
سببين لهما ومن فيه البلاء واعلم أن الحلم لا يرفع العقوبة ولكن يؤخرها ومن
شأن الحليم أن لا يعجل بالعقوبة وقد يعاقب بعد حين وفي قوله تعالى فلما
نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء يعني من الرخاء والرغد حتى إذا فرحوا بما
أوتوا أخذناهم بغتة قيل بعد عشرين سنة وفي الخبر من الذنوب ذنوب لا يكفرها
إلا الهم بطلب المعيشة وفي لفظ آخر لا يكفرها إلا الهموم بالهموم والأحزان

بالمباحات من حاجات الدنيا للعبد كفارات وهو على ما يفوت من قربات الآخرة للمؤمنين
درجات فهو على حب الدنيا والجمع منها والحرص عقوبات **وقال** بعض السلف يعجبني
بذنبه قيل لا يستعفي منه حب الدنيا وقال آخر لو لم يكن للعبد من الذنوب إلا أنه
يغتم لمصائب الدنيا وما يفوته منها وما لا يغتم بما يفوته نصيبه من الآخرة و
[illegible] في حديث عائشة رضي الله عنها إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن
له من الأعمال ما يكفرها أدخل الله تعالى عليه الغموم والهموم فيكون كفارة لذنوبه
ويقال إن الهم الذي يعرض للقلب في وقت لا يعرف العبد سببه هو كفارات الهم
بالخطايا ويقول هو حزن العقل عند تذكر الوقوف والمحاسبة لأجل جنايات الجسم
فيلزم العقل ذلك الهم فيظهر على العبد منه كآبة لا يعرف سبب غمه وفي أخبار يعقوب
صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى أوحى إليه لولا ما سبق لك في علمي من عقابه في بلائه
لجعلت نصيبه عند الجبل الباحثين لكثرة ترداد البكاء وطول سؤالك وزادهم في إجابته
ولكن عقوبته بأن جعلت نصيبه في قلبك أي أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وقد
سبق لك عندي منزلة لم تكن تنالها بشيء من عملك إلا بجزعك على يوسف فأردت أن
أبلغك تلك المنزلة وكذلك روينا أن جبريل عليه السلام لما دخل على يوسف
عليه السلام في السجن قال له كيف تركت الشيخ الكئيب قال قد حزن عليه حزن
مائة ثكلى قال فما له عند الله قال أجر مائة شهيد وفي خبر روينا عن السلف
ما من عبد يعصي الله إلا استأذنت مكانه من الأرض أن تخسف به واستأذن سقفه
من السماء أن يسقط عليه كسفا فيقول الله تعالى للأرض والسماء كفا عن
عبدي وأمهلاه فإنكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه لعله يتوب إلي فأغفر له لعله
يستبدل صالحا فأبدله له حسنات فذلك معنى قوله تعالى إن الله يمسك السماوات
والأرض أن تزولا أي من معاصي العباد ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه
كان حليما أي عن معاصيهم غفورا لمسيئهم وقيل في بعض التفاسير ذلك أن الله تعالى
إذا نظر الى معاصي العباد غضب وتزعزعت الأرض وتقطعت السماء فتنزل ملائكة
السماء فيمسك أطراف الأرض وتصعد ملائكة الأرض فيمسك أطراف السماوات وما
يزالون يقرؤون قل هو الله أحد حتى يسكن غضبه فذلك قوله عز وجل إن الله يمسك
السماوات والأرض أن تزولا وقال بعض السلف إذا ضرب الناقوس في الأرض قام عرش
بدعوى الجاهلية اشتد غضب الرب تعالى فإذا نظر الى صبيان المكاتب ومؤذني عمار
المساجد وسمع أصوات الموحدين وقيل نظر الى المتحابين في الله والمتزاورين فيه حلم
وغفر فذلك قوله إنه كان حليما غفورا فإذا اتبع العبد الذنب بالذنب ولم يجعل بين
الذنبين توبة خيف عليه الهلكة لأن هذا حال المصر والإصرار قد يشهد عن موته ثم ترك
رجوعه إليه ودوام مقامه مع النفس على هواه وهذا مقام المعتدين في البعث ما جعل

ما يحمله العبد قطع شهوات النفس اعلى ما يكون عند الهوى اذ النفس لشهوة نال
داخ فينظر كما بين كبروا ثقلا اولى تسمم فان لم يقطع ذلك لم يكن له نشاط فان شغل
فلا يستلذ نفع من مرير الطاعة ووجد حلاوة العبادة ولا اخر نفسه بالصبر والمجاهدة
وهذا طريق الصالحين من المريدين وقد قيل في قوله تعلى استعينوا بالله واصبروا
اي استعينوا به على الطاعة واصبروا على المجاهدة في المعصية وقال صلى الله عليه
السلام اعمال البر كلها الى جنب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كتفلة الى جنب
البحر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى جنب الجهاد في سبيل الله كتفلة في جنب
بحر والجهاد في سبيل الله الى مجاهدة النفس عن هواها في اجتناب النهي كتفلة
الى جنب بحر لجي وهذا على معنى الخبر الوارد رجعتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر
مجاهدة النفس وكان سهل رحمه الله يقول الصبر تصديق الصدق وافضل منازل
الطاعة عن معصية ثم الصبر على الطاعة وقد روي في الاثر ان بليلة ان رجلا
تزوج امراة من بلده وارسل عبده ليحملها اليه فراودته نفسه فطاوعته فجاهد هد
واستعصم قال فنبأه الله تعلى وكان نبيا في بني اسراييل وروي في بعض قصص
موسى عليه السلام انه قال للخضر عليه السلام باي شيء اطلعك الله على
علم الغيب قال بتركي المعاصي لاجل الله تعلى فاجرا من الله تعلى فجعله غاية
العطا لا قدر على العمل لكن اذا اعمل له عبده شيئا لاجله اعطاه اجره بغير حساب
ثم ان لا ينبغي للتائب عادة من ذنب فينتقض عليه توبته فان العادة جند من جنود
الله تعلى لولاها لكان الناس كلهم تائبين ولولا الغفلة لكان التائبون مستقيمين
ثم ان يعمل في قطع معتاده ان كان ثم ليصبر على مجاهدة نفسه في هوى
ان يحل به فهذه الخصال من افضل اعمال المريدين وازكاها ومعها يلين النفس الى
المطمئنة وشرها ونفورها وبها تخرج من وصف الامارة بالسوء الى وصف الى
المطمئنة الى اخلاق الايمان وهذا احد المعاني في الخبر المروي افضل الاعمال ما
اكرهت عليه النفوس لان النفس تكره خلاف الهوى والهوى هو ضد الحق والله تعلى
يحب الحق وصار اختيار النفس على خلاف الهوى وعلى وفاق الحق لانه محبة الحق من
افضل الاعمال لما قال الله تعلى والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه الاية فاستثنى
من اهل الخسر الذين تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وهذا اول اليقين حريب عن بعض
اهل الاخبار انه كان يمشي في الوحل وكان يجمع ثيابه عن ساقيه ويمشي في
جوانب الطريق الى ان زلقت رجله في الوحل فاخذ على رجليه في وسط الوحل وجعل يمشي
في المحجة قال فبكى وقيل له ما يبكيك فقال هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب
ويجانبها حتى يقع في ذنب فيعيد وثم يعبر هما فيخوض في الذنوب خوضا وعلى العبد
ان يتوب من الغفلة التي هي كل ثقة فانه اعجب هذا لم تنقطع ابدا توبته ومن جعل

الله تعلى اهل الغفلة في الدنيا هم اهل الخسران في العقبى فقال عز وجل اولئك هم
الغافلون لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون ولكن غفلة دون غفلة وخسران دون
خسران فلا تستحقرون الغفلة فانها اول المعاصي وهي عند المومنين اصل
الكبائر وقد جعل علي عليه السلام الغفلة احد مقامات الكفر وقرنها بالعمى
والشك واخل صاحبها عن البشر ووصفه بالخسر وقال في الحديث الذي يروى
من طريق اهل البيت فقام عمار بن ياسر فقال يا امير المومنين اخبرنا عن الكفر
على ما بني فقال على اربع دعايم على الجفا والعمى والغفلة والشك فمن جفا
احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ومن عمي نسي الذكر ومن غفل حاد عن
الرشد وغرته الاماني فاخذته الحسرة والندامة وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب
وقال بعض العلماء من صرف في زمن شهوة وجاهد نفسه لله تعلى سبع مرات
لا يبتلى بها وقال اخر من تاب من ذنب واستقام سبع سنين لم يعد اليه
ابدا وقال بعض العلماء كفارة الذنب المعتاد ان تعزم عليه عند ما انبعثت
ثم لا يقع فيه فيكون كفارته لفعل وهذا حال الاقوياء من التائبين ولهم
طريق الضعفاء من المريدين فاحوال الضعفاء الهرب والبعد من حلول نفسه
بمعصيته في عزمها ان تحملها نفسه عند وجودها فليعمل المريد في قطع وسواس
النفس بالخطايا ولا وقع فيها لان الخواطر تقوى فتكون وسوسة فاذا كثرت
الوسوسة شرها فنظر للفكر وبالتزيين والتسويل فاذا اشتغل على التائب يكنه
خاطر السوء من قلبه فلا اصغا اليه فانه يرديه في هلكته وكل سبب يؤول الى ذنب
ويؤدي اليه وهو ذنب وان كان مباحا فقطعه طاعة وهذا من دقائق الاعمال وكان
يقال من اتى عليه اربعون وهو العمر وكان مقيما على ذنب لم يكد يتوب منه الا القليل
من المتداركين وقد روي في الخبر ان المومن مفتن تواب وان للمومن ذنبا قد اعتاده
الفينة بعد الفينة يعني الحين بعد الحين وفي الحديث كل بني آدم خطاء وخير الخطائين
المستغفرون وفي خبر اخر المومن واهي راقع فخيرهم من مات على رقعة اي
واهي بالذنوب راقع بالتوبة والاستغفار وقد وصف الله تعلى المومنين بترك
فلا يعقد الذنوب ورجاء السيئات بالحسنة في قوله عز وجل ويدرءون بالحسنة
السيئة وقد جعل هذا من نعوت العاملين الذين صبروا فقال عز وجل اولئك يوتون
اجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة فجعل لهم صبرين عن الذنب وعلى التوبة
فلذلك هم به اجرين وقد اشترط الله تعلى على التائبين من المذنبين شرطين وشرطه
على التائبين المنافقين اربعة شروط لانهم اختلوا بالخلوة الاعمال فاشترط خروجهم
بالكلية في الاخلاص وضاعف عليهم الشرط بشرط الشروط خروجهم في المقت واعتبر عليهم
بوصفه مع فعله عند شرط ان فقال سبحانه الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا وقوله تابوا

رجعوا الى الحق من اهوائهم واصلحوا يعني ما افسدوا بتعديهم وبينوا فيها وجهان
احدهما بينوا ما كانوا كتموا من الحق ورجعوا الى حقيقة العلم وهذا المعنى عصى بكتم العلم
ولبس الحق بالباطل وقيل بينوا توبتهم حتى تبين ذلك منهم فتخلص من احكام التوبة
عليهم وقال في المنافقين الاخر ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا
الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله لانهم كانوا يفتخرون
بالناس وبالاموال وكانوا يراءون بالاعمال فلذلك اشترط عليهم الاعتصام بالله
تعالى والاخلاص له تعالى فينبغي ان تكون توبة كل عبد على قدر ما جنى فقليل فقليل
وكثير فكثير ويكون التائب على ضد ما كان فيه ليكون كما قال الله تعالى انا
لا نضيع اجر المصلحين ولا يكون العبد تائبا حتى يكون مصلحا ولا يكون مصلحا حتى
يعمل الصالحات ثم يدخل في الصالحين وقد قال الله تعالى وهو يتولى الصالحين وهذا
وصف للتواب وهو المتحقق بالتوبة والحبيب لله تعالى كما قال يحب التوابين الذين تولى
الراجعين الى الله من اهوائهم المنقطعين اليه من المكاره كما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم التائب حبيب الله وقال حتى يكون كما قال الله تعالى التائبون العابدون
الحامدون السائحون الاية كلها ثم قال الحبيب لا يدخل في شيء لا يحبه الحبيب
وقال لا تتم التوبة حتى يتوب من الحسنات وقد قال غيره من العارفين العامة
يتوبون من سيئاتهم والصوفية يتوبون من حسناتهم يعني من نقصهم في
احوالهم العظيمة وما يشهدون من حق الله الملك العزيز المتعالي جلاله ومن نظرهم اليه
او نظرهم الى نفوسهم فيها وهي منها اليهم واصلة وكان ابو محمد رحمه الله يقول ان
التوبة من افضل الاعمال لان الاعمال لا تصح الا بها ولا تصح التوبة الا بترك كثير من
الحلال مخافة ان يخرجهم الى غيره والاستغفار فوق التوابين ومقام الخطائين قال
الله صدق القائلين استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وقال تعالى افلا يتوبون الى
الله ويستغفرونه فبدأ بالتوبة لانها الاستغفار وعقب الاستغفار بالتوبة والاس
والاستغفار مع الذنب سؤال الستر من الله لعبده في حال ذنبه ستره عليه و
حلمه وحلم عنه ويقال ما من ذنب ستره الله تعالى على عبده في الدنيا الا غفر له في
الاخرة ان الله تعالى اكرم من ان يكشفه بعد ان ستره وما من ذنب كشفه الله
في الدنيا الا جعل ذلك عقوبته في الاخرة فالله اكرم ان يثني على عبده وروي عن
علي وابن عباس رضي الله عنهما نحوه لكن قد استدللنا من ظاهر ذلك والاستغفار بعد
التوبة وهو سؤال العبد مولاه العفو عن المؤاخذة ومغفرة الله تعالى لعبده بعد
التوبة تكفير السيئات وتجاوز عنها بالعفو الكريم وهو تبديل السيئات حسنات
كما جاء في الخبر ان تفسير قول العبد يا كريم العفو قال هو ان عفى عن السيئات بحسنة
ثم بدلها حسنات تكرما وقد امركم الله بذلك بقوله استقيموا اليه واستغفروه بعد

قوله

قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا
ولا تحزنوا اي وحدوا الله تعالى ثم استقاموا على التوبة حين فلم يشركوا وقيل استقا
موا على السنة فلم يحدثوا ويقال استقاموا على التوبة فلم يرجعوا الا تخافوا
عقاب الذنوب فقد كفرها عنكم بالتوحيد ولا تحزنوا على ما فاتكم من الاعمال فقد تداركها
الله تعالى لكم بالتوبة وبلغكم منازل المحسنين بالاستقامة ثم قال عز وجل وابشروا
بالجنة التي كنتم توعدون في السابق نحن اولياؤكم اي نليكم ونقرب منكم في الحيوة
الدنيا وفي الاخرة بالتثبيت لكم على الايمان ولكم فيها ما تشتهي انفسكم اي اجسامكم
من النعيم المقيم ولكم فيها ما تدعون اي ما تتمنون بقلوبكم من النظر الى المكلم الرحيم

وفي الخبر التائب من الذنب

كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله عز وجل
وقد كان بعضهم يقول استغفر الله من قولي استغفر الله باللسان عن غير توبة
ويزم بالقلب وقد قيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين وكانت رابعة العدوية
تقول استغفارنا هذا يحتاج الى استغفار وكم من توبة تحتاج الى توبة في تصحيحها واخ
واخلاصها له في الجنة ورجى له الاستقامة قبل الوفاة قال الله تعالى خلطوا عملا صالحا
واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان يعطف عليهم ويتغمد اليهم وقيل خلطوا عملا
صالحا هو الاعتراف بالذنوب بالتوبة المستقبلة واخر سيئا ما سلف من الغفلة والجهالة
وكان ابن عباس يقول غفور لمن تاب رحيم حين رخص في التوبة فلم يرد الله تعالى المخلطين
الى ما رد اليه المنافقين وهو التوبة وكذلك رد اليها المشركين اذ لا طريق للكل الا منها
ولا وصول الى الجنة والرضى الا بها وقال في شأن الكافرين فان تابوا واقاموا الصلاة
واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم كما قال في وصف المنافقين وآخرون مرجون لامر الله اما
يعذبهم اي مع الاصرار واما يتوب عليهم اي بالاستغفار واحكم ذلك ووصله بما يشبه له وقال
واني لغفار لمن تاب وآمن اي من الشرك وآمن بالتوحيد وعمل صالحا ادى الفرائض واجتنب
المحارم ثم اهتدى كان على السنة وقيل استقام على التوبة فهذه صفات المؤمنين وقد قرن
الله تعالى الاستغفار للعباد بقوله الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم ورفع العذاب عنهم
بوجوده وفضله ونعمته وقال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون وقد كان بعض السلف يقول كان لنا امانان ذهب احدهما
وبقي الاخر فان ذهب الاخر هلكنا يعني الذي ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم والذي
بقي الاستغفار وسئل سهل عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال اول الاستغفار
الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة فالاستجابة اعمال الجوارح والانابة اعمال القلوب
والتوبة اقباله على مولاه وتركه الخلق ثم يستغفر من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة

وتزد الشكر بمعرفة لا يفقد له ويكون عنده مأواهم النقل الى الانواع ثم الثبات ثم البيان
ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجات ثم المطالعات ثم المكاشفات ثم مجالسة الانس وهو الخلة ولا
يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضى زاده والتقوى
مزاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله تعالى اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه مقام
حملة العرش وكان يقول لا بد للعبد من مولاه على كل حال واحسن حاله ان يرجع
اليه في كل شيء اذا عصاه يقول يا رب استر علي فاذا فرغ من المعصية قال يا رب تب
علي فاذا تاب قال يا رب ارزقني العصمة واذا عمل قال يا رب تقبل مني ومن احسن
ما يتعقب الذنب من الاعمال لعقد التوبة وحل الاصرار ويرجى به كفارة الخطيئة ثمانية
اعمال اربعة من اعمال الجوارح واربعة من اعمال القلوب واعمال الجوارح ان يصلي العبد
ركعتين ثم استغفر سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم
يتصدق بصدقة ويصوم يوما واعمال القلوب هي اعتقاد التوبة منه وحب الاقلاع
عنه وخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له ثم يحتسب على الله بحسن ظنه وصدق
بغيته كفارة ذنبه فهذه الاعمال فقد وردت بها الاخبار انها مكفرة للزلل والعثار وقد
يستحب في بعضها يتوضأ فيسبغ الوضوء ويدخل المسجد فيصلي ركعتين وفي
بعض الاخبار فيصلي اربع ركعات ويقال اذا اذنب العبد امر صاحب اليمين صاحب
الشمال وهو امير عليه ان يرفع القلم عنه ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبها
عليه وان لم يستغفر كتبها ويقال صلاة الليل تكفر ذنوب النهار وصدقة السر
تكفر ذنوب الليل وفي بعض الاخبار اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تكفرها السر
بالسر والعلانية بالعلانية **وفي اخبار** متفرقة جمعناها ما من يوم
طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها الا ملكان يتجاوبان باربعة اصوات يقول احدهما
يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الاخر يا ليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول
الاخر ويا ليتهم اذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا وفي بعضها تجالسوا فتذاكروا ما
عملوا فيقول الاخر ويا ليتهم اذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا فاول ما يجب لله تعالى
على عبده ان لا يعصيه بنعمه فيكون معصيته كفرا بالنعمة وجوارح العبد وماله
من نعم الله تعالى عليه لان قوام الانسان بجوارحه وثبات جوارحه بالحركة ومنافع الحركة
بالعافية فاذا عصاه بالنعمة فقد بدلها كفرا كما قال بدلوا نعمة الله كفرا قيل استعملوا
بها على معصية ثم توعد على التبديل بالعقاب الشديد فقال عز وجل ومن يبدل نعمة
الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب فقد يكون العقاب على التبديل
النعمة بالمعصية معجلا في الدنيا ويكون مؤجلا في الاخرة وقد يكون العقاب في
اسباب الدنيا وقد يكون في حرمان اسباب الاخرة لانها ماله ومثواه وقد يكون
فيهما معا وقد يكون نفس المعصية بالنعمة عقوبة والجهل بالنعمة وتضييع الشكر

عليها

عليها واستصغارها والسكون اليها والنظر والتفاخر والتكاثر بها كل هذه
اسباب عقوبات ثم يتعين على العبد اذا عصى الرجوع الى مولاه وهو التوبة عقب
وقوعه مع نفسه وهو موافقة الهوى بالخطيئة فتاخيره للتوبة واصراره على الذنب
ذنبان عظيمان الى الخطيئة فاذا تاب من ذنبه واحكم التوبة فقد عقد الاستقامة
على الطاعة ودوام الافتقار الى الله تعالى في العصمة ثم يتوب ابدا من الصغائر التي هي
الهم والتمني ومن الخوف والطمع ومن الخوف في الخلق وهي ذنوب الخصوص الى الطمانينة
والتعبد والسكون الى شيء والاهتمام بشيء وهذه ذنوب المقربين حتى لا ينبغي على
العبد فيه بعلم مخالفته ومتى يشهد له العلم بالوجد فيقضي حينئذ ذنوبه من ملاحظة علم
الله تعالى فيه لا امتثالا لامر عنه من علم غيبه بكل ما ينفعه به ومن معنى النفس العبودية بية
وكون الخلقة عن تسلطه الربوبية بوصفها ولكنها فيكون هذا الخوف متوسطا
لدوام فرغ من علم نفسه الى ما لا يجب ذكره ولا يعرف لشيء من ذنوب المقربين
التي في طاعات المحبة البيتي لعقد مشاهدة اهل الجمع فيه ومقاماته عند
الفهوم فيكون حال هذا المقرب الاشتغال من البعد في كل طرفة ونفس الى وقت
اللقاء والخوف من الاعراض والحجب في كل همة وحركة في هذه الدار الى دار البقاء وقد
روينا في خبر غريب ان الله تعالى اوحى الى يعقوب عليه السلام اتدري لم
فرقت بينك وبين يوسف قال لا قال لقولك لاخوته اخاف ان ياكله الذئب لم
خفتني عليه الذئب ولم ترجني له ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي
له فهذا على معنى قول يوسف السلام اذكرني عند ربك فقال الله تعالى فانساه
الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين فهذا مما يعتب على الخصوص في خفي
سكونهم ولهم ذنوبهم الى ما سوى الله تعالى والمهاجرون بعض التابعين المريد
ولم يجدوا حلاوة التوبة لنيل ونعيم مجال رعايته وتقلبهم بين حسن الظن والقيام
بمشاهدة المراقبة وذلك يكون من قلة احكام امر التوبة ولو فعلوا لحكم التوبة
من ذنب الكواهر واحكموا احوال ثواب من الصلاح فيعني في التوبة لم يعدموا من الله
تعالى المزيد لانهم محسنون وهم في مجاهدة قال الله تعالى سنزيد المحسنين فانما
رايتهم مستقيما على التوبة عاملا بالصالحات ولم تجد على مزيد من ميراث
لوجود حلاوة او حسن حليفة او ورع او زهد او خاصية معرفة فاذا رجع الى باب
المراقبة او موقف الرعاية فيتفقدهما واحكم حالهما فقبلهما اتيت وقد قال بعض
العلماء من تاب من تسعة وتسعين ذنبا ولم يتب من ذنب واحد لم يكن عندنا
من التائبين فلا تغفلن عن التفقد وجدد التوبة ادبار الصلوات فانما
دخل الخسران على العمال من حيث لا يعلمون من ترك التفقد ومحاسبة النفس
لمكان مسامحتها لما يعلمون واعلم ان حقيقة توبة كل نفس عشرة اعمال لا يكون العبد

توابا يحبه الله تعالى ولا تكون توبته نصوحا التي شرطها الله تعالى وسم تلك النبوة
الا ان يحكم العبد عشر توبات من كل ذنب اولها ترك العودة الى فعل الذنب ثم يتوب
من القول به ثم يتوب من الاجتماع مع سبب الذنب ثم التوبة من السعي في فعله
ثم التوبة من النظر اليه ثم التوبة من الاستماع الى القائلين به ثم التوبة
من الهمة به ثم التوبة من التقصير في حق التوبة ثم التوبة من ان لا يكون اراد وجه
الله تعالى خالصا بجميع ما تركه لاجله ثم التوبة من النظر الى التوبة والسكون
اليها والادلال بها وهذا في مطالعة التوحيد وعلو الاشراف بالمزيد ثم يشهد
بعد ذلك كله تقصيره عن القيام بحق الربوبية لعظيم ما يشهد من عظيم جلاله
وعظمته فيكون ما يكون من توبته بعد ذلك من تقصيره عن القيام بحقيقة شهادته
ويكون استغفاره لما ضعف قلبه ونقص همه عن معاينة شهادته لعلو مقامه
ودوام مزيده اعلامه ولا نهاية لتوبة العارف ولا غاية وصفه لما هو عليه
عاليا ولا وصف يحتمل ذلك دقيق بدايته ولا يكمل عن التوبة فيه حد وقته ولكل
مقام توبة ولكل حال من مقام توبة ولكل شهادة ومكاشفة توبة فهذا حال
التائب المنيب الذي هو من الله تعالى قريب وعنده حبيب وهذا مقام معنى تواب
اي مختبر بالاستبدال مبتلى به تواب الى الله تعالى فيما يبتليه مولاه اي ينظر بقلبه
اليه او اليها او يتنكب بهمه عليه او يقبلها او يلتجئ اليه بوجودها او اليها
او يطلب ايابه قريبا منها او ايابها فعليه من كل شاهد سواه ذنب وعليه في
كل سكون الى سواه عتب لما له في كل شهادة علم ومن كل اظهار في الكون حكمة
فتوبته لا تحصى وتوباته الى الله تعالى لا تقضى وهذه حقيقة التوبة النصوح
وصاحبها مسلم وجهه لله تعالى محسن من نفسه مستقيم دينه عند الله مستقيم
ومقامه وحاله من الله تعالى سليم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى يحب كل مفتن تواب ثم ان الذنوب على سبعة ضروب بعضها اعظم من بعض
لكل ضرب منها واهل في كل رتبة من المذنبين طبقة فمنها معاص يفعلها العبد من
معاني صفات الربوبية مثل الكبر والفخر والجبرية وحب الحمد والمدح ووصف العز
والغنا فهذه مهلكات وفيها من العموم طبقات ومعاص تكون من معاني اخلاق
الشياطين مثل الحسد والبغي والحيلة والخداع والامر بالفساد فهذه من نعته
وفيها من اهل الدنيا طبقات ومعاص تكون من ضد السنة وهو من اخل العمل
بالبدعة والاحداث المبتدعة وهذه كبائر فمنها ما يذهب الايمان وتثبت النفاق
وسنها من كبائر البدع وهي تنقل عن الملة وهي القدرية والمرجئة والى
والرافضة والاباضية والجهمية والشاطحون من الغالطين وهم الذين يقولون لا اخلاق
ولا رسم يسقطون الاحكام ويتعدون الحدود بالاستحلال والمجاوزة للعلم وهم زنادقة

هذه

هذه الامة ومعاص متعلقة بالخلق من الظلم بين المظالم في الدين والمجادلة بهم عن ظلم بين
المؤمنين وهو ما اضل به عن الهدى وازاغ به عن السنن وحرفه من الكتاب وتناوله من
السنة ثم الخطر في لهو دعا اليه فقبل منه واتبع عليه وقد قال بعض العلماء
لا توبة لهذه المعاصي كما قال بعضهم في القاتل لا توبة له للاخبار في ثبوت الوعيد
ومن القول عليه والضرب الخامس من المعاصي ما تعلق بمظالم العباد في امر الدنيا
مثل ضرب الابشار وكشف الاعراض واخذ الاموال والكذب والبهتان فهذه موبقات ولا بد
فيها من القصاص للموافقة بين يدي الحاكم العادل والقطع منه بفصل الا ان يقع
استحلال او يستوهبها الله عز وجل من اربابها في المال الاخرة ويعوض المظلومين
عليها من حسناته بجوده ومزحا في الخبر المروي ثلاثة دواوين ديوان يغفر وديوان
لا يغفر والشرك بالله تعالى واما الذي لا يترك فمظالم العباد اي لا يترك
المطالبة به والضرب السادس من الذنوب ما كان بين العبد وبين مولاه من نفسه
فتعلق بالشهوات والخرج في العبادات وهذه اخفها والى العفو اقربها وهذه على
ضربين كبائر وصغائر فالكبائر ما نص عليه بالوعيد وما وجب فيه الحدود والصغائر
دون ذلك الى تكفيرها والتوبة والنصوح تاتي على جميع ذلك للعموم في قوله
تعالى فتاب عليكم وعفا عنكم وباخباره عن حكمه اذ يقول ثم تاب عليهم ليتوبوا
وبظاهر قوله ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا ومثله قوله تعالى
ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا الى قوله ان ربك من بعدها لغفور رحيم
فكذا قراه اهل الشام بنصب الفا والتاولات البعيدة من التوبة اذا كانت بعد انه
الذنب والارحمة على النار ونحن لا نرى ابدية الوعيد على اهل الكبائر بل نجعلهم
في مشيئة الله تعالى ونجوزهم عفو الله تعالى كما جاء في الخبر في تفسير قوله تعالى
فجزاؤه جهنم اي ان جزاه كذا روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وعده
الله تعالى على عمل ثوابا وهو منجز له لا محالة ومن وعده على عمل عقابا فهو فيه
بالخيار ان شاء عفا عنه وكما قال ابن عباس يغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب
من يشاء على الذنب الصغير وقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء فلم يجد المغفرة ذنبا غير الشرك وترك المسلمين في سائر الذنوب
الى مشيئته وقد يحتج محتج بالخبر المأثور في ترك قبول توبة المبتدع ان الله احتجز
التوبة من كل صاحب بدعة فهذا مخصوص لمن لم يتب ممن حكم عليه بدوام
الشقاء لانه لم يقل ان الله احتجز قبول التوبة ممن مات انه اخبر عن حكم
الله تعالى فيمن لم يتب بل ان الله يحب التوبة فهكذا يقول ايضا ان القاتل اذا
كان قد سبق له سوء الخاتمة بانه يموت على غير توحيد وكذلك المبتدع اذا جعل
نسمه في اصحاب النار ثم كان القتل والبدعة علامة ذلك وسببه انهما جعلا

فهو عاجز عن التوبة وانما يجنح عنهما وكذلك القول فيمن حقت عليه كلمة العذاب بسوء
الخاتمة فلو انه تاب سبعين توبة لم ينفصل من النار كما قال الرسول صلى الله
عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس انه من
اهلها ولا يبقى بينه وبينها الا شبر ثم يدركه الشقاء وفي لفظ اخر ثم يسبق
عليه الكتاب بعمل اهل النار فيدخلها وقد دخلت التبديلات في صالح اعماله حتى
الحسنات ثم احبطها عنه في جملة عمله بسبق الكتاب بالشقاء له واما من لم يسبق
له سوء الخاتمة ووهبت له التوبة النصوح لم يدركه الشقاء لان توبته لم
تحجب عنها وان الله سبحانه يعفو عنه بما وهب له من التوبة كقوله تعالى
في المنافقين اما يعذبهم واما يتوب عليهم وليست البرعة بوقف التعلق ولا لكل
المنافقين تاب عليه ولا لجميعهم انه اختص له به ولعموم قوله تعالى فتاب عليهم
وعفا عنهم الى قوله عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم مع قوله
ثم تاب عليهم ليتوبوا فهذا عام فيمن تاب والخبر مخصوص فيمن لم يتب

ثم ان الناس في التوبة على اربعة اقسام

في كل قسم طائفة لكل طائفة مقام منهم تائب من الذنب مستقيم على الانابة الى الموت
لا يحدث نفسه بالعود الى معصية ايام حياته مستبدل العمل سيئاته صالح حسنة فهذا
هو السابق بالخيرات وهذه هي التوبة النصوح ونفسه هذه هي المطمئنة
المرضية والخبر المروي في مثل هذا سيروا سبق المفردون المستهترون بذكر الله
تعالى وضع الذكر اوزارهم فوردوا القيامة خفافا والذي يليه في هذا القرب عبد
عمل التوبة ونيته الاستقامة لا يسعى في معصية ولا يهتم بها وقد تدخل
عليه الذنوب من غير قصد منه لها ويبتلى بالهم واللمم فهذا من صفات الـ
المومنين يرجى له الاستقامة لانه في طريقها وهو ممن قال الله سبحانه يجتنبون
كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة ومن احد وصف المتقين
الذين قال فيهم والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله الاية
ونفسه هذه هي اللوامة التي اقسم الله تعالى بها وهو المقتصد وهذه الـ
الذنوب تدخل على النفوس في عادتها فيما تمد وغرائز جبلتها واول انشائها من
نبات الارض وتركيب الاطوار في الارحام خلقا من بعد خلق ومن اختلاط الامشاج
بعضها ببعض ولذلك عقبه تعالى بقوله هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم
اجنة في بطون امهاتكم فلذلك نهى عن تزكية النفس المستثمرة من الارض والمركبة
في الارحام بالامشاج المعوجاج فقال فلا تزكوا انفسكم هو اعلم اي مهر ادصهلا

عن تدبر انشائها ولذلك وصف منتهى خلقته بالابتلاء في قوله تعالى امشاج نبتليه
فجعلناه سميعا بصيرا وشرح هذا يطول ويخرج الى علم تركيبات النفوس ومجبول
فطرها وقد ذكرنا اصوله في بعض الابواب من هذا الكتاب وفي مثل هذا العبد جاء
الخبر الذي جاء المومن مفتن تواب والمومن كالسنبلة تفيء احيانا وتميل احيانا فاذا
رأى هذا العبد على نفسه وقفته عاجلا فعل منه عقبها وترك التلذذ بها وسكونه اليها
حين انطوى عليها يكون من كفارات ذنوبه لانه من نوع الخطاب في قوله تعالى فلا
تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى والعبد الثالث وهو الذي يقرب من هذا الثاني في
الحال عبد يذنب ثم يتوب ثم يعود الى الذنب ثم يحزن الله بفضله ويسعى فيه
وابتداره الى الطاعة الا انه يشوب بالتوبة ويحدث نفسه بالاستقامة ويحب
منازل التوابين ويرتاح قلبه الى مقامات الصديقين ولم يأن حينه ولا حل مقامه
لان الهوى يحركه والعادة تجذبه والغفلة تغمره الا انه يقرب خلال الذنوب ويعادي
ليفقد المغفرة بتوبته فهذا قرن من وقتنا الى وقتنا ومثله يرجى له الاستقامة
لمحاسن عمله وتكفير مساوي سيئه وقد جاء عليه الانقلاب خيرا ومنه خطابه
ونفسه هذه هي المسولة وهو ممن خلط عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب
عليه فيستقيم فيلحق بالسابقين فهذا يرجى له النجاة حين ان يغلب عليه وضيق
المتنفس فيخشى عليه ما سبق من القول ويخاف ان يبتلي الله موته بغتة فيختم له لكل
كسبه ويعقب له كل وقت فيتدارك بسابقة فيلحقه بمنازل المقربين لانه قد سلط
بقيم ويتبعه الاخر والعبد الرابع اسوء العبيد حالا واعظمهم على نفسه بلاء واقلهم
من الله تعالى وبالا عبد يذنب ثم يتبع الذنب مثله او اعظم منه ويقيم على الاصرار ويحدث
نفسه به متى قدر عليه ولا يتوب توبة ولا يعقد استغفاره ولا يرجو وعد الحسنى ولا
يخاف وعيد التنكيل امثلة فهذا هو حقيقة الاصرار ومقام من العتو والاستكبار

وفي مثل هذا جاء الخبر

هلك المصرون قدما الى النار ونفسه هذه هي الامارة ووجهه ابدا من الخير بادرة وقد
يخاف عليه سوء الخاتمة لانه في مقاومة وسائط دخلها ولا يبعد عنه سوء القضاء
ودرك الشقاء ومثل هذا قيل من سوف الله بالتوبة اكثر به وان اللعنة خروج من ذنب
الى اعظم منه وهذه الطائفة في عموم المسلمين وهم في مشيئة الله تعالى من العلماء صنفين
لما قال مرجون لامر الله اي متى مرجون لحكمه اما يعذبهم بالاصرار واما يتوب عليهم بما سبق
من حسني الاختيار نعوذ بالله من عذابه ونسأله نعيما من ثوابه

مقام الصبر ووصف الصابرين

وهو الثالث من مقامات اليقين ثم جعل الله تعالى الصابرين من الأئمة المتقين وتمم
كلمته الحسنى عليهم في الدين فقال سبحانه وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا
لما صبروا وقال وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وقال المسيح عليه السلام
إنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون وقال بعض الصحابة ما أخذ جعل الله
تعالى من الشغل والدخل في التقوى والصبر وقال ابن مسعود الصبر نصف الإيمان وقد
جعل علي عليه السلام ركنا من أركان الإيمان وقرنه بالجهاد والعدل واليقين فقال
بني الإسلام على أربع دعائم على اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال علي عليه
السلام أيضا الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد لا جسد لمن لا رأس له ولا
إيمان لمن لا صبر له ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبر في العلو والفضل إلى
مقام اليقين وقرنه به وكذلك قال الله تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا
وكانوا بآياتنا يوقنون وأخبر صلى الله عليه وسلم أن من أوتي نصيبه منهما لم
يبال ما فاته وأخبر أن بالصبر كمال العمل والأجر فقال في حديث يرويه شهر بن
حوشب الأشعري عن أبي أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي حظه منهما لم يبال ما فاته
من قيام الليل وصيام النهار ولأن تصبروا على مثل ما أنتم عليه أحب إلي من أن
يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني أخاف أن يفتح عليكم الدنيا
بعدي فينكر بعضكم بعضا وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر
بكمال ثوابه ثم قرأ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم
بأحسن ما كانوا يعملون

وفي حديث ابن المنكدر

عن جابر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال الصبر والسماحة
وقد قال الله أصدق القائلين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وقال إنما
يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فضاعف أجر الصابرين على كل عمل لأن كل
أجر الصبر موفى كل جزاء فجعله بلا نهاية ولا حد وبين ذلك أنه أفضل المقامات
وجمع للصابرين فلكلا من ما لم يجمع لأهل العبادات الصلوات والرحمة والهدى
فقرأ البشارة في الآخرة والعقبى وكان عمر رضي الله عنه يقول نعم العدلان و
ونعمت العلاوة للصابرين يعني بالعدلين الصلاة والرحمة وبالعلاوة الهدى
والعلاوة ما يحمل به فوق الحملين على البعير فيكون كعدل ثالث وقد أخبر الله
تعالى أنه مع الصابرين ومن كان الله معه فقد غلب كما أن من كان معه علا فقال واصبروا
إن الله مع الصابرين كما قال وأنتم الأعلون والله معكم واستنطق الصبر بالمرادات

بجنر

بجنر ولنعمة تثبيته في قوله تعالى بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا
يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة وكان سهل يقول الصبر تصديق الصدق و
وأفضل منازل الطاعات الصبر عن المعصية ثم الصبر على الطاعة وقال في معنى قوله
عز وجل استعينوا بالله واصبروا أي استعينوا بالله تعالى على أمر الله تعالى وأ
واصبروا على أدب الله تعالى وقال المرحوم رحمه الله تعالى أجر كل من صبر البلاء والشدة
بمنزلة تثني عليهم وكان يقول الصالحون في المؤمنين قليل والصادقون في الصالحين
قليل والصابرون في الصادقين قليل فجعل الصبر خاصية الصدق وجعل الصابرين خصوص
الصادقين وكذلك الله تعالى أصدق القائلين قد رفع الصابرين على الصادقين فيما
في ترتيب المقامات فجعل الصبر مقاما في الصدق إن كانت لا وصاف المستوفية
نعتها وأجزاء للمسلمين وكانت الواو للمدح وإن كانت مقامات والواو للترتيب
فقد جعل سبحانه الصابرين فوق الصادقين والقانتين أعني في قوله عز وجل إن
المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين الآية

وفي حديث عطاء

عن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأنصار فقال أمؤمنون أنتم
فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله فقال وما علامة إيمانكم فقالوا نشكر في الرخاء
ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة والصبر ينقسم على عملين أحدهما
لا صلاح للدين إلا به والثاني هو أصل فساد الدين ثم ينبوع الصبر فيكون صابرا
على الزهد فيه صلاح الدين فيكمل به إيمانه ويكون صابرا على الرغبة فيه فساد الدين
فيحصن به يقينه ورويناه معنى هذا عن علي أنه لما دخل البصرة واستقرأ
لدى الأمر دخل جامعها فجعل يخرج القصاص ويقول القصص بدعة فانتهى إلى حلقة
شاب يتكلم على جماعة فاستمع إليه فأعجبه كلامه فقال يا فتى أسألك عن شيئين
فإن خرجت منهما تركتك تتكلم على الناس وإلا أخرجتك كما أخرجت أصحابك فقال سل
يا أمير المؤمنين فقال أخبرني ما صلاح الدين وما فساده فقال صلاحه الورع و
وفساده الطمع قال صدقت مثلك يصلح أن يتكلم على الناس فقال إن هذا
الشاب هو أول من تكلم في هذا العلم وهو أول الحسن بن أبي الحسن مولى الأنصار البصري
وكانوا يعرفون من هو يقول الإيمان والتصديق والمعرفة والصبر وأحد وقال أبو
الدرداء ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر واعلم أن الورع أول الزهد وهو
باب من أبواب الآخرة والطمع أول الرغبة وهو باب عظيم من أبواب الدنيا واستشعار
الطمع من حب الدنيا وحب الدنيا أصل كل خطيئة ويقال أول معصية عصي الله تعالى
به الطمع وهو أن آدم عليه السلام طمع في الخلود والملك فأكل من الشجرة التي نهي عنها وأ
وإبليس طمع في خروج آدم عليه السلام من الجنة فوسوس إليه فأبغض في اسم المعصية
إلى الله تعالى بالطمع ثم أصلح ذلك المطموع فيه في الحلم فتنزوره آدم عليه السلام بخير وسابقته

من الله تعالى وصلاح إبليس بما سبق عليه من الشقوة والطمع هو تصديق الظن
ولذلك وصف الله تعالى به عدوه في قوله تعالى ولقد صدق عليهم إبليس ظنه والظن
ضد اليقين ولا يغني من الحق شيئا وقال في وصف المشركين إن نظن إلا ظنا وما نحن
بمستيقنين فمن صبر عن الطمع في الخلق أخرجه الصبر إلى الورع ومن صبر على الورع
في الدنيا أدخله الصبر في الزهد ومن طمع في تصديق الظن الكاذب أدخله الطمع
في حب الدنيا ومن استشعر حب الدنيا أخرجه جهلها من حقيقة الدين وقد قال
بعض العلماء ما كنت أعد إيمان من لم يوطن نفسه على الأذى ويصبر عليه إيمانا وقد جعل
الله تعالى ذلك بالمؤمنين اختبارا وأخبر أن ذلك ليس فيه عذاب وإنما هو فتنة
لمن أراد فتنته وبلاه من الناس فصارت له فتنة عليهم وابتلاء لهم وصار رحمة
للموحد وخيرا في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في
الله جعل فتنة الناس كعذاب الله يعني الناس به كعذاب الله تعالى له أي في
التيسير له عذابا في الظاهر رحمة باطنة وهو كقوله تعالى وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه
رزقه فيقول ربي أهانن كلا أي لم أهنه بالفقر كما لم أكرم من أكرمته بالإكرام والتنعيم
وعلى معنى هذا خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر على الأذى به فقال تعالى
واصبر على ما يقولون وأخبره أنه عبر بذلك أهل وده فسلاه به وفضله عليه وقد روينا
في الخبر يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله تعالى جزاء الشاكرين ويؤتى بأصبر
أهل الأرض فيقال له أترضى أن نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب
فيقول الله تبارك وتعالى كلا أنعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لأضعفن
لك الأجر عليه فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين وكتب ابن أبي نجيح يعزي بعض
الخلفاء فقال في كتابه إن أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه من عظم حق
الله تعالى عنده فيما أبقى واعلم أن الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك
هو المأجور فيه واعلم أن أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما
يعافون فيه وفي الخبر ما من عبد إلا يعطى أجره بحساب وأجر الصابرين فإنهم
بأنهم يجازون مجازفة بغير ميزان ولا حد وجاء في الأثر إن أبواب الجنة مصاريع
يتقلبها زحاما كثيرا إلا باب الصبر فإنه مصراع واحد لا يدخل منه إلا الصابرون
أهل البلاء في الدنيا واحد بعد واحد وقد قال الله تعالى في جزاء المخلصين أولئك لهم
رزق معلوم وقال في جزاء الصابرين إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب قيل في
التفسير يغرف لهم غرفا والمعنى في ذلك أن الصبر أشق شيء على النفس وأكره وأمر
على الطبع وأصعبه فيه الحلم والكظم وعنه الذل والحلم ومنه التواضع والكرم
وفي الأدب وحسن الخلق وبه يكون كف الأذى عن الخلق واحتمال الأذى من الخلق وهذه
من عزائم الأمور التي تضيق منها أكثر الصدور ويبدأ ركوب النفوس وحملها على الشدة

والبؤس وقد جاء أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس ولأجل ذلك اشترط الله تعالى على
المتقين والصادقين الصبر في البأساء والضراء وحقق بالصبر صدقهم وتقواهم والعمل به و
وصفهم والأعمال بهم فقال والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا
وأولئك هم المتقون فمعنى الصبر حبس النفس عن السعي في هواها وحبسها أيضا على
مجاهدتها لمرضات مولاها فبقدر ما توجب المجاهدة على قدر ما يبتلى به العبد لأن المجاهدة
على قدر البلاء والحبس على محو الشرور وحبسها على الدوام على الطاعة وصبرها عن
شهوة الطمع الذي يطفئ نور الأدب فيمن يرجو الله تعالى وصبرها على حسن الأدب
في المعاملة لم يرجع الصبر إلى المعاني شيء من الصبر عن تفاوت الأهواء والصبر
على الثبات بحرمة المولى فمن ذلك ما يوجب المجاهدة من الهم عنه وتطهير القلب
منه من خطرات الهوى ونزغات الأعداء وتزيين الدنيا ومن الأعمال ما يوجب الصبر للجوارح
عنها وحبس النفس عن المشي فيها ومن الصبر حبس النفس على الحق وعكوفها عليه
بمعاملة اللسان والقلب والجسم ولذلك وصف الله تعالى المؤمنين الذين يعملون
الصالحات واشترط لصلاح أعمالهم الصبر وأخبر أن الناس كلهم في خسران إلا من كان
من أهل الحق والصبر وعظم الصبر بالوصية فجاء بالتواصي به ومن الصبر حبس النفس
على عبادة الخالق سبحانه وصبرها على الطاعة وعلى منع الرازق ومن الصبر كف
الأذى عن الخلق وهو مقام العادلين داخل في قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان
الأذى عن الخلق وهو مقام المحسنين يدخل في قوله والإحسان ومن الصبر على الإنفاق
وإعطاء أهل الحقوق حقوقهم ذا القربى وهذا مقام المتقين قوله وإيتاء ذي القربى
ومنه الصبر عن الفحشاء وهو الذي العالم في العلم والإيمان والصبر عن المنكر وهو مقام أهل
العلماء والصبر عن البغي وهو التطاول والعلو بمجاوزة الحد بالكبر والإسراع في
أمور الدنيا فهذه الآية كلها جامعة لمعاني الصبر وهي قطب القرآن تلك منها
وهو الأول الصبر على العدل والإحسان والإعطاء وثلاث منها الصبر على الفحشاء
والمنكر والبغي

وكان ابن مسعود يقول

هذه الآية أجمع آية في كتاب الله عز وجل أمر ونهي وقال الله عز وجل نعم أجر العاملين
الذين صبروا فجمع لهم أجرهم حتى وصفهم بالصبر وما لا يرزقهم ووصفهم حتى مدحهم
بالصبر والصبر يحتاج إليه قبل العمل ومعه وبعده فيحتاج في أول العمل أن يصبر على تصحيح
النية وعزم العقود والوفاء حتى يصح الأعمال لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنما
الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وقال سبحانه وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين وحقيقة النية الإخلاص لأن الله تعالى قدم الصبر على العمل فقال إلا الذين
صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير والصبر الثاني في العمل حتى يتمه

ويجمل لقوله عز وجل نعم اجر العاملين الذين صبروا والصبر بعد العمل هو الصبر على كتمه
وترك التظاهر به والتكلم اليه ليخلصه من السمعة والعجب فيحبط ثوابه لما اخلصه من
الرياء لقوله تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم وقال في مثله
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقال بعض السلف لا يتم المعروف الا بثلاث تعجيله
وتصغيره وكتمه ومن الصبر حبس النفس عن المكافات على الاذاء توكلا على المولى تعالى
ومنه قوله عز وجل ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وهذا
صبر الخصوص وقد قال بعض اهل المعرفة لا يثبت للعبد مقام في التوكل حتى يوذى
ويصبر على الاذى وقد ذكر الله عز وجل ذلك في قوله ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى
الله فليتوكل المتوكلون وفي قوله تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله وفي قوله تعالى
فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون وهذا هو اول الرضى والمقام الثالث من الرضى
هو الصبر على الاحكام وهو صبر اهل البلاء الامثل فالامثل فالانبياء لقوله صلى الله
عليه وسلم نحن معاشر الانبياء اشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل ولقوله سبحانه
في المجمل ولربك فاصبر غير صبره من الاذى المعنى فقال واصبر لحكم ربك فانك باعيننا
ومن الصبر حبس النفس على التقوى وفي التقوى اسم جامع لكل خير فالصبر معنى
داخل في كل بر فاذا اجتمعا للعبد فهو من المحسنين وما على المحسنين من سبيل
ومنه قوله عز وجل انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال عز و
جل لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن
الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور اي تصبروا
على الاذى وعن المكافات وتتقوا عند الابتلاء والمكاره ولا تجزعوا فانه
افضل لكم قال الله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم
لهو خير للصابرين ولقوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل
ثم قال تبارك وتعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فالاول اعني المكافات
والانتصار بالحق من العدل والعدل احسن والثاني وهو الصبر والعفو من الاحسان
والفضل وهو احسن فهذا مجاز قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب فاستماع القول هو العدل واتباع الاحسن
هو العفو وفيه المدح بالهداية والعقل وهذا مقام المحسنين فيأتيهم الذين لا
يظلمون بالظلم ان ينتصروا والوصف لاهل هذا المقام في الاخبات وهو الخشوع
والطمانينة الى الخبر من الله عز وجل في الاخرة امرح وقد قال الله تعالى وان الساعة
لاتية فاصفح الصفح الجميل والتقوى والصبر معنيان احدهما متعلق بالاخر لا يتم
كل واحد الا بصاحبه لكن كان التقوى مقامه كان الصبر حاله فصار الصبر افضل
الاحوال من حيث كان التقوى اعلى المقامات اذ الاية فيه هو الاكرم عند الله تعالى

والاكرم على الله عز وجل هو الافضل وقد شرف الله تعالى الصبر بان اضافه اليه بعد الامر به
فقال واصبر وما صبرك الا بالله وقد قال الله تعالى ولربك فاصبر وان كان كل شيء
به ولكل عمل صالح له ولا يصف الله تعالى عبدا ولا يثني عليه حتى يبتليه فان صبر
وخرج من البلاء تسليما مدحه ووصفه والا بين له كذبه وادعاه وقيل لسفيان الثوري
رحمه الله ما افضل الاعمال قال الصبر عند الابتلاء وقال بعض العلماء واي شيء افضل
من الصبر وقد ذكره الله تعالى في كتابه في نيف وتسعين موضعا ولا نعلم شيئا ذكره
الله تعالى هذا العدد الا الصبر فلا يطمع طامع في مدح الله تعالى له وحسن ثنائه
عليه قبل ان يبتليه فيصبر له ولا يطمعن احد في حقيقة الايمان وحسن اليقين
قبل ان يمدحه الله تعالى ويثني عليه ولو اظهر الله تعالى على جوارحه سائر الاعمال
ثم يمدحه بوصف ولم يثن عليه بخير لم يومن عليه سوء الخاتمة وذلك ان من اخلاق الله
تعالى انه اذا احب عبدا ورضي عمله مدحه ووصفه لمن ابتلاه بكراهة ومشقة او
بهوى وشهوة فصبر لذلك او صبر ذلك فان الله تعالى يمدحه ويثني عليه بكرمه و
وجوده فيدخل هذا العبد في اسماء الموصوفين ويصير من احد المخصوصين فعند هذا
يثبت قدمه من الزلل ويختم له بما سبق من صالح العمل ومن الصبر صبر على العوافي
ان لا يجعلها في محال المعاصي والصبر على الغنى ان لا ينزله في هوى والصبر على النعمة ان لا
يستعين بها على معصية بمجاهدة الموقن الى الصبر في هذه المعاني ومن الابتلاء بالصبر
عليها لمجاهدته وصالبته فالصبر على المكاره والفقر على الشدائد والضر ويقال ان
والفقر يصبر عليهما المومن والعافية لا يصبر فيها الا صديق وقد كان سهل يقول
الصبر على العافية اشد من الصبر على البلاء وكذلك قالت الصحابة لما فتحت الدنيا
فنالوا من العيش واتسعوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء
فلم نصبر وقد جمعوا الاختبار بالسراء وهو ما يسر على الاختبار بالضراء وهو ما يضر وقد
قال الله تعالى الذين ينفقون في السراء والضراء فمدحهم بوصف واحد في الحالين
المختلفين لحسن يقينهم وسخاوة نفوسهم وحقيقة زهدهم ومن هذا المعنى قول
الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله لان
فيهما ما يسر فيشغل عن الذكر ثم قال ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم
لان في الازواج والاولاد ما يفرح به فيورث فيهما الهوى ونحل العبد بوجود فيهما
المولى فصار اعدوين العقبى لما يتول اليه من شانهما **وقد بينه**
الخبر الذي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لما نظر الى ابنه الحسن
يعثر في قميصه فنزل على المنبر واحتضنه ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم
فتنة اني لما رايت ابني هذا لم املك نفسي ان اخذته وفي هذا عبرة لاولي الابصار
وروي عنه في هذا الخبر ايضا الولد ثمرة مبخلة مجبنة مظاهر الحزن والبخل

والبخل والجبن اي يحملان على حب الاولاد والاموال على ذلك فمن صبر على الشر او هو العوائد
والمعتبر والاولاد وعينه ذلك واحتز الاشياء من حقها ووضعها في حقها فهو من الظاهرين
الشاكرين لايرى عليه اهل البلاد العجز الا بحقيقة والشكر ومرجع الشد تعالى
بين ماسر وضر وجعلهما من وصف المتقين ومدحهم بالاحسان معهما فقال اعدت
للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله
يحب المحسنين ومن الصبر كتمان المصائب والاوجاع وترك الاستراحة الى الشكوى بها
بذلك هو الصبر الجميل قيل هو الذي لا شكوى فيه ولا اظهار وروينا عن ابن عباس
الصبر في القرآن على ثلاثة اوجه صبر على اداء فرائض الله وصبر على محارم الله
تعالى وصبر في المصيبة عند الصدمة الاولى فمن صبر على اداء فرائض الله تعالى فله
ستماية درجة ومن صبر في المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعماية درجة
وهذا يحتاج الى التفسير لم يفضل ابن عباس الصبر على المصيبة لانه افضل من
الصبر عن المحارم وعلى الفرائض بل لان الصبر على ذلك من احوال المسلمين والصبر
على المصيبة من مقامات الموقنين والمقام افضل المقام في الموقنين على مقام الاسلام
ومن ذلك ما روي من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اسالك من اليقين ما تهون
به علي مصائب الدنيا فاحسن الناس صبرا عند المصائب اكثرهم يقينا واكثر الناس
جزعا وسخطا في المصائب اقلهم يقينا ومثل هذا الخبر الذي روينا عن سلمة بن وردان
عن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بني
له في اعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له في وسط الجنة ومن ترك الكذب
بني له في ربض الجنة وقد علمنا ان الكذب وترك المراء مبطلا فرض واجب فينبغي
ان يكونا افضل ولكن المعنى فيه ان الكذب والمراء بالباطل يتركه المسلمون والمتقون
والمراء والعبد محق صادق لم يجاري زهدا في التظاهر ورغبة في الصمت والسلامة
فلا يصبر على هذا الا الموقنون ومن خصوص المومنين لمقامه من اليقين وان هذا
وابطال الفضول والصمت على الكلام والشهوة به افضل وهو من اليقين فصار هذا
الموقن بمقامه افضل من عموم المومنين الذين تركوا الكذب والمراءات وان كان نفل
افرض واوجب فهذا بيان ذلك ومعناه ومن الصبر اخفاء اعمال البر ومنع النفس
الفكاهة والتمتع بذكرها واخفاء المعروف والصدقات فان كتمه من الادب مع
السلامة في الافات وفي الساعة في الاختبار لكن اخفاؤه افضل وازكى واحب
الى الله عز وجل وقيل هي من كنوز البر اعني هذه الثلاث اخفاء الاوجاع و
والمصائب والصدقة اي من ذخائر النفيسة عند الله ومن الصبر صون الفقر واع
واخفاؤه والصبر على بلاء الله عز وجل في طوارق العاهات وهذا حال الزاهدين
الراضين وافضل الصبر الصبر على الله تعالى بالمحاسبة والاقبال اليه وعكوف

الهم

الهم عليه وقوة الرجاء به وهذا خصوص للمقربين لوجدانه او وجدانه او تسليما وتفويضا
اليه وهو الشكور تحتاج فيه الى الذكر وشهودها من الانعام ومن حسن تدبير الا
لاستسلام وشهود المسالة له والحكمة فيها والفضل بالابتلاء بها وهو داخل في
قوله تعالى ولربك فاصبر وفي قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال سهل في
تاويل قول علي عليه السلام ان الله يحب كل عبد نومة قال هو الساكن يحتاج بان
الاحكام يعني ممن غير له حنة ولا اعتراض وقال عمر بن عبد العزيز وغيره من الائمة اصبحت
ومالي سرور الا في مواقع القدر وروي ايضا الا انتظار القدرة ويقال من علامة اليقين
تسليم القضاء بحسن الصبر والرضا وهو مقام العارفين فاما تشنيه الصبر في
المصيبة عند الصدمة الاولى في قول النبي صلى الله عليه وسلم انما الصبر عند الصدمة
الاولى فلانه قال ان كل شيء يبدو صغيرا ثم يكبر الا المصيبة فانها تبدو كبيرة ثم تصغر
فاشترط لعظم الثواب لها عند اول كبرها قبل صغرها وهي صدمة القلب اول ما يفجئه
النبي فينظر الى فعل الله تعالى فيستحيي فيحسن الصبر لها فاعلمه باعيننا وهذا
مقام المتوكلين على الله والصبر ايضا عن الاظهار الى اهل الدنيا وعن الاخبار بتشنيع العلة
والابتلاءات داخل في حسن الادب من المعاملات وهو من معنى الحياء من الله تعالى وهذا
لم يق المحبين لله تعالى وهو حقيقة الزهد ومن **فضائل الصبر** حبس النفس
عن حب المدح والحمد والرياسة وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى حرمتنا مقطوعا الصبر في ثلاث الصبر عن تزكية النفس والصبر عن شكوى المصيبة
والصبر على الرضا بقضاء الله تعالى على خيره وشره ومن الصبر صبر على العيال في
الكسب لهم والانفاق عليهم والاحتمال للاذى منهم فان في العيال طرقا الى الله
سبحانه لاهل الاهتمام بهم والاعلام الرضي عن الله سبحانه والتوكل عليه فيهم
والاضطراب الانفاق وحسن التيسر عليهم واعلم ان اكثر معاصي العباد في شيئين
قلة الصبر عما يحبون او قلة الصبر على ما يكرهون وقد قرن الله تعالى الذي اختبر بالخير
والمحبة بالشر في قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا
شيئا وهو شر لكم وهذا الصبر وهو اوله وفرضه ثم اول الاخلاص والصبر ايضا حيلة
من لا حيلة له لانه الكان لا يبرح حالم يكن الا الصبر عليه ولان الشيء اذا كان لا ينبغي
الا قليلا وانت محتاج اليه لم يكن الا الصبر عليه والا انقطع ذلك القليل واصل قلة الصبر
ضعف اليقين بحسن جزاء من صبر لله لانه لو قوي يقينه كان الاجل من الوعد عاجلا
اذا كان الواعد صادقا فحسن صبره لقوة الثقة بالعطاء ولا يصبر العبد الا باحد معنيين
مشاهدة العوض وهو ادناهما وهذا حال المومنين ومقام اصحاب اليمين او النظر الى
المعوض وهو حال الموقنين ومقام المقربين فمن شهد العوض عني بالصبر وتصبر ومن
نظر الى المعوض حملته النظر ونرجع بعض العارفين الصبر على ثلاثة مقامات وانه في

والثانية أهل مقامات كثيرة يقال أن نهاية الشكوى قال هذه رتبة التائبين
الرضى بالمقدور وهذه رتبة الزاهدين

والثالثة المحبة لما يصنع به

مولاه وهذه رتبة الصادقين وقد نوّع الفقهاء من السلف الصبر على ثلاثة
أنواع ورويناه عن الحسن وغيره الصبر على ثلاثة معاني صبر عن المعصية وهو أفضله
وصبر على الطاعة وصبر في المصائب وهذا أعلى في جمل ما قلناه من معاني الصبر
ومجامع ذلك أن الصبر فرض وفضل يعرف ذلك الجميع منه الأحكام مثل كان أمرا لا بد فالصبر
عليه أو عنه فرض وما كان حتما وقد ندب إلى الصبر عليه أو عنه فضل والتصبر غير الصبر
وهو مجاهدة النفس وحملها على الصبر وترغيبها فيه وهو التحمل للصبر والتصنع
للصبور بمنزلة التزهد وهو أن يعمل في أسباب الزهد ليحصل الزهد والزهد والصبر هو
التحقق بالوصف وذلك هو المقام ولا يخرج العبد من الصبر كراهة النفس ولا وجود
المرارة والألم بل يكون مع ذلك صابرا لأن هذا وصف البشر لا بد منه فيه ولكن
يكون حاله الكظم عن الشكوى ويعفي السخط بحكم المولى لأن عدم ذلك وفقده
هو الرضى وحقيقته التوكل وهذان من أعلى مقامات اليقين وفيهما أتباع
اليقين لا يخرج عن حد الصبر والزيغ يخرج عن حد الصبر ضده وهو الجزع ومجاوزة
الحد من العلم والإظهار السخط وكثرة الشكوى وظهور الذم والسوء **ومن**
رياضة النفس على التصبر وهو مقام المتصبرين ما قال بعض العلماء
أن النفس الأمارة إذا اجتمعت بها إلى وصول الشهوات أو بادر عنها إلى مطالبة
تتقدم العادات لم يمنعها حاجتها من كل شيء فيشغلها منع الحلية ووجود
العاقبة مما لا بد منه عن طلب وصول الشهوات فإذا رضيها بالمنع ومنعتها محبوبها
فالصبر على الحلال انقادت لك بالتصبر عن وصول الشهوات فتكون تاركة
لشهوة بعوض عاجل من مباح وتكون صابرة عن وصول شهوة لما منعتها من منال
الغاية وتاركة للهوى فمجاهدة ترك الحاجة من الغذاء وهو من أكبر أبواب الرباطات
للنفوس الطامحات وفيه فضل للأقوياء من المتصبرين الذين لم يستخف لهم نفوسهم
فالصبر والصلاة ولم يقدر فالجوع والظماء أما الضعفاء من أهل الطبقة الـ
الثالثة لأمثالهم ولبين أهل الصوم والصلاة ولا من هؤلاء فإنهم لا يصبرون ...
على تصبر النفس عن الحاجة كما لا تصبر نفوسهم عن الشهوة فرياضة هؤلاء
لنفوسهم عن أن يطعموها من كل حرام ومنعها من الحلال من كل شهوة مهلكة وصيد
من شهوة متصلة لتنسكن نفوسهم فإن ذلك فيها على المحرمات ويقطع شهوتها
عما وراء ذلك من المونبات فبهذا تطمئن نفوسهم الضعفاء وقد اختلفا الناس في

الصبر والشكر أيهما أفضل ولبس يمكن الترجيح بين مقامين لأن في كل مقام طبقة فتبارك
المحققون من أهل المعرفة يقولون أنه لا يجتمع عبدان في مقام بالسواء لا بد من أن يكون
أحدهما أعلى بعلم أو عمل أو وجد أو مشاهدة الوجود وإن كان الصوب والقصر واحدا وقد
قال الله سبحانه ولكل درجة هو موليها وقال الله تعالى قل كل يعمل على شاكلته وقد يكون
أعلم بمن هو أهدى سبيلا فبل انظروا كيف فضلنا بعضهم على بعض وظاهر الكتاب في السنة يدل أن
على تفضيل الصبر لقوله تعالى يوفون أجرهم مرتين بما صبروا وأما الشاكر يوفى أجره مرة
فأشبه مقام الصبر مقام الخوف وأشبه مقام الشكر مقام الرجاء وقد قال الله تعالى
ولمن خاف مقام ربه جنتان وقد اتفق أهل المعرفة على تفضيل الخوف على الرجاء حيث
اتفقوا على العلم والصبر حال من مقامة الخوف لأن حال الصابر في البعض من مقامه
والشكر حال من مقامه الرجاء لأن حال الشاكر من مقامه ومن السنة قوله صلى
الله عليه وسلم في الخبر الذي ذكرناه فيما من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن
أعطي حظه منهما لم يبال ما فاته وفي الحديث بعزن الصبر باليقين الذي لا شيء
أعز منه ولا أجل وارتفاع الأعمال وعلو العلوم به ومن مناجات أيوب صلى الله عليه
وسلم إن الله سبحانه أوحى إليه يا أيوب أي البيت على نفسه لا تثبت للصابر حين
ثوابا توبيخ ولا تنظروا إلى حد الصبر الصوا وعهم نقص المبين أن دار لهم دار السلام

بيان آخر من تفضيل الصبر

الصبر حال البلاء والشكر حال النعمة والبلاء أفضل لأنه على النفس أشق مع قول
قول الله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وفي حديث أبي كبير عن النبي
صلى الله عليه وسلم إذا أحب الله قوما ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن حرج فله الحرج
والشاكر يوفى أجره بحساب لأنه إنما تحقيق للوصف وتعنى بما عرفاه ومن رفع علي عليه
السلام الصبر على أربع مقامات اليقين وجعلها عليه الزهد فيه ببعضها وجعله
فيه فوقها فقال في حديثه الطويل الذي وصف رفعه فيه شعب الإيمان على أربع دعائم
على الشوق والشفقة والزهد والترقب لمن اشتاق من الناس رجع عن المحرمات ومن
اشتاق إلى الجنة سلى عن الشهوات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات
ومن ارتقب الموت سارع في الخير أن يجعل هذه المقامات أركان الصبر لا أنها تتفرع عنه
ويحتاج إليه في جميعها وجعل الزهد من أركانه وجعل الزهد الذي هو أول المقامات
وأوسطها وقد جعل الله عز وجل الصبر حلة التقوى ورفع للمتقين في ذلك أعلى
درجات فقال أنه من يتق ويصبر وقال إن أكرمكم عند الله أتقاكم فذلك ما اتقى
برق أن يقال أكرمكم المتقون لأن أكرم وأبقى ... على تعاونهم كان أبقى
كان أكرم عند الله تعالى ومن كان أصبر على ما يوجب التقوى كان أبقى وأعلم

ان الصبر سبب دخول الجنة وسبب النجاة من النار لانه جاء في الخبر حفت الجنة
بالمكاره وحفت النار بالشهوات فيحتاج المومن الى الصبر على المكاره ليدخل الجنة
ويحتاج الى الصبر عن الشهوات لينجو من النار وفي التفضيل التفصيل وعلى ثلاثة
اوجه احدها ان المقامات اعلى من الاحوال وقد يكون الصبر والشكر حالين وقد
يكونان مقامين فمن كان مقامه الصبر وكان حاله الشكر عليه فهو افضل لانه صاحب
مقام ومن كان مقامه الشكر وكان حاله الصبر عليه فحاله دون مقامه فقد صار الصبر
زيد الشاكر في مقامه والوجه الثالث من التفضيل المقربون اعلى من اصحاب اليمين
فالصابرون من المقربين افضل من الشاكرين من اصحاب اليمين والشاكرون من المقربين
افضل من الصابرين من اصحاب اليمين فلذلك قيل ان كان الشاكر والصابر من المقربين فلانهما
افضل قيل قد قلنا انهما لا يتفقان في مقام من كل وجه لانه اذا توجه تفضيل الطايع(?)
اللطيف بمثل ما ذكرناه من الوجوه فلطيفة الصنعة مع تشابه الصفات والمستوات(?)
الادوات فافضلهما احبهما الى الله لانه احبهما الى الله تعالى واقربهما منه واحسنهما
يقينا لان اليقين اعز ما انزل الله عز وجل

وجه آخر في مجاز التفضيل

نقول ان الصبر عن حظ النفس وعن التنعم والرفه افضل ان كان عبد احاله التنعم
فالصبر عن التنعم والغنى مقام في المعرفة وهو افضل لان فيه الزهد المجمع على
تفضيله ونقول ان الشكر على الفقر والبلاء والمصائب افضل ان كان عبد احاله
الفقر والبلاء فالشكر عليه مقام في المعرفة وهو حينئذ افضل لان فيه الرضى
المجمع على فضله **نوع آخر** من الاستدلال على فضل الصابر وتفضيل الصبر
جملة الصابر الفقير افضل من الفقير الشاكر لان الصبر حال الصابر الفقير والشكر
حال الغني فمن فضل الشكر على الصبر في المعنى فكانه قد فضل الغني على الفقير وليس
هذا مذهب احد من القدماء المتقدمين ولا طريقة علماء الزهد الذين عرفوا النفوس بذلك
ولم يدعوا الخلق الى تعريضهم من ذلك لان من فضل الغني على الفقير فقد فضل الرغبة على
الزهد والعز على الذل والكبر على التواضع والتوسع على القناعة وفي هذا
تفضيل الاغنياء ولا غنيا على الزهد والفقر او يخرج ذلك الى تفضيل ابناء الدنيا
على ابناء الآخرة والذي فضلنا الصبر على الشكر في الجملة والمعنى لان الصبر حال
مقامة البلاء واهل البلاء هم الامثل فالامثل بالانبياء ولان الصبر افضل من احوال
النفوس والهوى واقرب الى الرضا والعوض واشرف في مكاره النفوس وانفع لطلب
علمها واشد فيها بينته لها بالطبع فان اسكنت معه وجد عندها كان اصح لموضعها(?)

واعجب

واعجب في طمأنينتهما فمرحهما بالسكون والطمأنينة وكانتا راضيتين وافضل من الندام
فالصبر وبالفرقية فالمصابرة وقد ذكرهما بالمرابطة في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اصبروا
وصابروا ورابطوا فقيل في احد الوجوه رابطوا عليهما بقدرة ثلاثة ادام في مكان واحد
فمعنى الصبر فهذا يدل على تعظيم الصبر ومحبته له فمن وجد منه ذلك كان اشد لذلك كان
اشد تعظيما لشعائر الله تعالى ومن عظم شعائر الله فهو اتقى لله ومن كان اتقى
فهو اكرم على الله تعالى كما قال ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب
ثم قال ان اكرمكم عند الله اتقاكم والصبر ايضا مقام اولي العزم من الرسل الذين
امر الرسول صلى الله عليه وسلم بالقدوة بهم وبالاقتداء بهداهم فقال الله
تعالى فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وايضا فان العزايم في الحكمة اعلى من الرخص
وروينا عن سفيان الثوري عن حبيب بن ابي ثابت قال سئل مسلم البطين ايما
افضل الصبر ام الشكر فقال الصبر والشكر والعافية احب الينا وقد قيل في معنى قوله
تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه قيل شر ابير(?) وعزائمه لان الاباحة
حلال الرخص حسن وان هو فيه احسن وقد جعل الله تعالى الصبر من العزائم في قوله وان
تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وقد ندب الله تعالى عباده في الشكر والادب لنعمه(?)
لنفسه الصبر فينبغي ان يكون المدح للادب اعلى من المستدرج للعبد وقال الشعبي(?)
ولوا الريح وقال على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله
تعالى ولم يشر في الصبر من خلقه احدا فقال ولربك فاصبر وانظر لحكم ربك واعلم ان الشكر
داخل في الصبر والصبر جامع للشكر لان من صبر ان يعصي الله تعالى فقد شكره
ومن صبر نفسه على طاعة الله تعالى فقد شكر نعمته

وقد سئل الجنيد رحمه الله

عن غنيين شاكر وفقير صابر ايهما افضل فقال ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح
الفقير بالعدم وانما المدح في تبين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط الغني يصحبه
فيما عليه اشياء تلائم صفته وتمتعها وتلذذها والفقير تصحبه فيما عليه اشياء
تلائم صفته وينقبض عنها وتزعجها فاذا كان الاثنان قائمين لله عز وجل بشروط ما عليهما
كان الذي آلم صفته وازعجها اتم حالا ممن متع صفته ونعمها هذا نقل كلام الجنيد
وكان ابو العباس بن عطاء قد خالفه في ذلك فقال ان الجنيد دعا عليه فلحق ما اصابه
من البلاء من قتل ولده وذهاب ماله وزوال عقله اربع عشرة سنة وكان يقول
دعوة الجنيد اصابتني ورجع عن قوله في تفضيل الغني على الفقر فصار يفضل الفقر
ويشير به واما المسألة التي سئل عنها بعض العلماء القدماء عن عبدين ابتلي احدهما
فصبر وانعم على الآخر فشكر فقال كلاهما سواء قال لان الله تعالى اثنى على عبدين

عبد بن احد مما صار واياه نشا لي بشا، واحد وبعا في وصف ايوب صلى الله عليه وسلم
نعم العبد انه اواب وقال في وصف سليمان نعم العبد انه اواب وفي قول هذا رحمه الله
عجلة حسنة عن لطايف لا يهتدى لها الا من تحقق بحقيقة تدبر الكلام الذي عشر فلا يبقى
ثنا الله تعالى على ايوب في البعض على ثنايه على سليمان عليه السلام ثلاثة عشر
معنى اول ذلك قوله تعالى في اول مدحه واذكر عبدنا كلمة مباهاة باهل الله بايوب
عبد رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم وتشريف وفضله بقوله تعالى واذكر يا محمد
ونبيها تنبيه له على علو رتبته وحث على تعرف رتبته وفيه باداة بذكره واقتداء
به كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل قيل منهم اهل الشر ابتلوا بالبلا منهم ايوب
عليه السلام وفي كل له واسلات لجعلهم سيدهم ايوب وليس فيها رواية بذكره
فيها سليمان ويقال هم ابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وعيسى ولم يذكر فيها
سليمان فرضوا بالمعاريف وتمسكوا بالمنازل اغلوا في الغرور بالجحيم وكذا هو اسبعه
نبينا وقيل هم ابراهيم واسحاق ويعقوب عليه السلام وهم اباء الانبيا واباؤهم
كقوله تعالى واذكر في الكتاب ابراهيم وكقوله واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب
اولي الايدي والابصار يعني اصحاب القوة والتمكين واهل البصائر واليقين ثم رجع
ايوب صلى الله عليه وسلم الى مقامهم فيه اليهم وجعله سلوة له صلى الله عليه وسلم
ثم ذكر ايات وذكر به ثم قال عبدنا فاضافه اليه اضافة تخصيص وتقريب ولم يدخل بينه
وبينه لام الملك فيقول عبدا لنا فالحقه بنفسه ابيه من اهل البلا في قوله تعالى واذكر
عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب وهم اهل الابتلا الذين بلاهم غير الانبيا وجعل
من ذريتهم من طعنا فاصاب ايوب اليهم في حسن الثنا وفي لفظ التزكية بقي الثنا
ثم قال تعالى اذ نادى ربه فاخبره بنفسه لنفسه وانفرد له في الخطاب بوصفه وقال
مسني الضر وانت ارحم الراحمين فوصفه بواحدية التملق له ولطيف المناجاة
ولطف له بوصفه الحنيف استراح اليه بد قبلا، بشكى اليه بلاه واستغاث
به فاشبهه ومقامه مقام موسى صلى الله عليه وسلم ويونس عليه السلام في
قولهم سبحانك تبنا اليك وفي قول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
وهذا الخطاب المشاهرة وذلك المواجهة ثم وصفه بالاستجابة له واهله لكشف الذي عنده
وجعل كلامه سببا لتشريفه وقربته ومكان المحاربي حكمته ومقتدا للعنه اجل نعم
ثم قال تعالى ووهبنا له اهله فزاد على سليمان صلى الله عليه وسلم في الوصف انه
كان بين من وهب له اهله وبين من وهب له اهله بفضل في المدح لانه قال في وصف سليمان
ووهبنا لداود سليمان فاشبه فضل ايوب في ذلك على سليمان كفضل موسى على هارون
صلوات الله عليهم لانه قال في مدح موسى صلى الله عليه وسلم وتفضيله على هارون
عليه السلام ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا وكذلك قال في مدح داود ووهبنا

لداود

لداود سليمان فوهب لموسى اخاه كما وهب لداود ابنه فاشبه مقام ايوب في المباهات
والتزكية به مقام داود وجلالته قال ابن الخطيب في وصف داود لنبيه صلى الله عليه وسلم فاصبر على
ما يقولون واذكر عبدنا داود وكذلك قال في نعت ايوب واذكر عبدنا ايوب بعد تشبيه
ايوب بداود وموسى في المعنى ورجعه اليهما في المقام وهما عندنا افضل من سليمان فاشبه
ان يكون حال ايوب اعلا من حال سليمان وعلم الله تعالى المتقدم ولكن هكذا الذي في قلوبنا
والله اعلم ثم قال بعد ذلك رحمة منا بتزكيته لنفسه ووجده عند عبده تشريفا له وتعظيما
ثم قال وذكرى لاولي الالباب فجعله اماما للعقلا وقدوة لاهل الصبر والبلا وتذكرة
وسلوة من الكروب للاصفيا ثم قال عز وجل انا وجدناه فزكى نفسه سبحانه ذكر ايات
ثابتة للعبد ووصل اسمه باسمه فجعل له دون الابيا لان النون والالف في وجدناه اسمه
تعالى والها اسم عبده ايوب ثم قال صابرا فوصفه بالصبر بالخبر فكانه في القوة وخلقه
فخلقه ثم قال بعد ذلك اذ اصابه نعم العبد انه اواب فهذا اول وصف سليمان صلى
الله عليه وسلم وهذا منتهى شرحه في الثنا وزاد ايوب بما تقدم من المدح والوصف
الذي لا يقوم له شي من قوله تعالى واذكر عبدنا ايوب الى قوله نعم العبد انه اواب
عظيم من البر قال عند اهل العلم والبيان وجعل اول وصف سليمان عليه السلام
بانه وهبه لابيه داود صلى الله عليه وسلم وزينه بها حسنة من حسنات داود
واتم قوله تعالى نعم العبد انه اواب على اول وصفه واوسطه وهو اخر وصف ايوب عليه
السلام اوعلى جميعهم الانبيا وقد روينا في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اخر الانبيا دخول الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه وان اخر اصحابي دخول الجنة عبد
الرحمن بن عوف لمكان غناه وهذا ان كان حالهما الشكر كل عبد بقدره من البر والعطاء
اخر من يدخل سليمان بن داود الجنة بعد الانبيا باربعين خريفا وفي خبر عبد الرحمن
انه يدخل الجنة بعد اصحابه زحفا وقد جاء في الاثار ان اول من يدخل
الجنة اهل البلا وانهم ايوب وان ابواب الجنة كلها مصاريعها الا باب الصبر فانه مصراع
واحد واول من يدخله اهل البلا امامهم ايوب عليه السلام وهو امام اهل البلا فقد زاد
ايوب على سليمان بعموم ومنزلة لانه سيد اهل البلا ذكره وعبر له في الهمتين واعلا
اهل الصبر والضر ولا تبلغه ولم نقصر بما ذكرناه التفضيل بين الانبيا لانا قد نهينا عن
ذلك فيما روينا عن نبينا عليه السلام لا تفضلوا بين الانبيا ولكن الله تعالى قد
اخبرنا ان بعضهم فضل على بعض في قوله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
وانما اظهرنا فضل الثنا المستودع في الكتاب واستنبطنا باللحن الوصف المكرر في
الخطاب في قصة ايوب على قصة سليمان عليهما السلام بما ظهر لنا من فهم الخطاب وتدبر
معاني الكلام وعلم الله تعالى المتقدم وهو عز وجل اعلم واحكم وقد ندبنا الى الاستنباط
في قول الرسول صلى الله عليه وسلم اقرؤوا القرآن والتمسوا غرايبه بتدبر لطايفه

لا ابدان وان يجد لذلك عن الامل والنجح والبلاء وتقوية لقلوبهم وتعريفا لسوابغ نعم الله تعالى
والاخطار اليوالي النعم وتنبيها على لطايف الكلام وتزهيدا في الدنيا والتبصر وترغيبا
في الاخرة والصبر وتفضيلا لطريق اهل البلاء الذين هم الامثل فالامثل بالانبياء مجلا.
وذلك لتفضيل المبتلى الصابر على بلائه رضا بمجاري مولاه وتسليما لما قضاه به على المنعم عليه
الشاكر على نعمائه اذ النعم ملايمة للطبع موافقة للنفس لا يحتاج معها الى مجاهدتها
ولا حملها على المشقة فيها بل رضى فيها والبلاء منافر للطبع منافرة منه النفس
يحتاج الى جرعه لنه ومشقة فيه وما الى هذه النفس بعدم جزع وابطاء ولا سبيل
اليه الا بسكينة من الله تعالى وبصبر عليه بقوة به عز وجل وعناية منه وايضا
فقد جاء في خبر اخر وكم ينبسه اعرفكم بما ابتلاه به مشاهد ومن البلاء ما هو فيه منه فاعظم
ما ابتلا انه به مجتنبا لها وابتلا وهل بعدا وثنا من افضل من صبر على مجاهدة عدوه
على انه مع ذلك لم يعرله منازع الصفات الربوبية ومن استشرف لما حق الابتلا
بعدا وتزدحوا وامتلت بحبته وانه في ذلك الاتن لمحبة الله تعالى وتصبر على عدوانه بدوام
مجاهدته لمرضاة الله بهذا اعز العدل وافضل الفضل ولا قوة الا بالله وهذا صبر في
دلا بالله تعالى واخر مقام الصبر

شرح مقام الشكر واوصاف الشاكرين

قال الله جل جلاله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم فقرن الشكر بالايمان ورفع
بوجودهما العذاب والهوان وقال سبحانه تعالى وسنجزي الشاكرين وورد فيما عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال الطاعم الشاكر بمنزلة الصايم الصابر وقال ابن مسعود
الشكر نصف الايمان وقد امر الله تعالى بالشكر وقرنه الى الذكر في قوله تعالى فاذكروني
اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقد عظم الله تعالى شان الذكر بقوله ولذكر الله
اكبر فصار الشكر اكبر لاقترانه به ورضى الشكر مجازاة من عباده لعظيم كرمه لان
قوله تعالى فاذكروني اذكركم واشكروا لي خرج في لفظ الجزاء ان التحقيق لامر وتعظيم
الشكر لان العلة للشكر هو الجزاء والكاف المتقدمة للتمثيل بقوله اذكروني فتتصل بقوله
كما ارسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني واشكروا لي والمعنى كمثل ما ارسلنا اليكم فيكم
رسولا منكم فاشكروا لي والعرب تكتفي من مثل بالكاف كما اكتفت من سوف بالسين
في قوله تعالى سنعذبهم وسنستدرجهم وهذا تفضيل للشكر عظيم لا يعلمه الا العلماء
بالله تعالى وقد روينا في اخبار ايوب عليه السلام ان الله سبحانه اوحى اليه
اني رضيت بالشكر مكافاة من اوليايي في كلام طويل وفي احد الوجوه من قوله عز وجل
لاقعدن لهم صراطك المستقيم والطريق الشكر ولولا ان الشكر طريق قريب يوصل الى الله

تعالى لما اغول العدو على قطعه ولولا ان الشاكر حبيب رب العالمين ما نقض ابليس اللعين
في قوله ولا تجد اكثرهم شاكرين وكذلك قال وقليل من عبادي الشكور كما قال ولقد صدق
عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المومنين وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع
الشكر ولم يستثن فيه واستثنى في خمسة اشياء في الاغناء والاجابة والرزق
والمغفرة والتوبة وقال فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال فيكشف ما
تدعون اليه ان شاء وقال يرزق من يشاء ويغفر لمن يشاء وقال ويتوب الله
من بعد ذلك على من يشاء وقطع بالمزيد عند الشكر من غير استثناء وقال تعالى لئن
شكرتم لازيدنكم فالشاكر على مزيد والشكر في مقام المزيد وهو الزيد يكون بشكره
على القليل من العطا ويكون منه الشكر والثنا على الشيء الواحد من النعم وهذا خلق
من اخلاق الربوبية لانه سمى باسم من اسمايه والمزيد هو ان المنعم يجعله ما يشاء
فاول المزيد حسن اليقين ومشاهدة الصفات واول المزيد شهود النعمة انها من المنعم
فيها من غير حول ولا قوة الا به عز وجل واوسع المزيد دوام الحال ومتابعة الخدمة والانس
والاستعمال وقد يكون المزيد احوالا وقد يكون علوما وقد يكون في الاخرة وتثبيتها
عند فراق الدنيا وقد جعل الله تعالى الشكر مفتاح كلام اهل الجنة وختام تمنيهم
في قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب
العالمين فلولا انه احب الاعمال اليه ما بقاه عليهم لديه وروينا في مناجاة
ايوب عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه اذا ما خلوتهما في صفة الصابرين
دار مم دار السلام وان الله تعالى الهمهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استه
استزيدهم وبالنظر الى ازيدهم ومن اغاية الفضل فان الشكر معرفة النعم انها
المولى وحده لا شريك له فيها ولا ظهير له عليها اذ قد نفى ذلك عن نفسه لانه هو
الاول في كل شيء لا شيء معه ولا ظهير له في شيء اذ قد جعل الضرا والسرا منه
واليه جاريين على عباده وقال تعالى وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير
الشريك المخالف والظهير المعين ثم قال وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر
فاليه تجأرون وقال وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير
فهو على كل شيء قدير وقال في حمل النعم بعد اضافتها اليه وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه وقال الله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فلا يبدا
مع صحتها ولا اسطع مع ثبوتها الا هي حكمة المنعم والحكام وطرق العطا واثار
المعطي لا توثر في الحكم شيئا والجعل اليها حكما ولا جعلا يعني الا الحكم ولا يجعل الانسان
محكومات مكيف الحكم ومجعولات وكيف الجعل لا حاكم الا الله وحده ولا شريك في حكمه احدا
وهذا الحرف في مقر اهل الشقام ابلغ وادق لانه يخرج على الامر لانهم فراد بالتلافي
الكافر ولا يسند في حكمه احدا بالاسباب احكام حق واسباب حكمة بمشاهدة المنعم

في النعمة وظهور المعطي عند العطاء حتى ترى النعمة منه وقال العلماء عنه هو شكر القلب لأن الشكر عند الشاذلي رضي الله عنه معرفة القلب ووصفه لا وصف اللسان وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وأن أفضل الشكر والحمد ما لا يرجى في الآخرة عوضا من الثناء لا الأموال في الدنيا وقال في حديث ثوبان وعمر بن الخطاب حين نزل في الكنوز ما نزل سأله عمر رضي الله عنه أي المال نتخذ فقال ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا أو وقلبا شاكرا ورويناه في أخبار موسى وداود عليهما السلام يا رب كيف أشكرك لا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ آخر وشكري لك نعمة أخرى منك توجب علي الشكر لك أبدا وأوحى الله تعالى إليه إذا عرفت هذا فقد شكرتني **وفي خبر** **آخر** إذا عرفت أن النعم مني فقد رضيت منك بذلك شكرا وشكر اللسان حسن الثناء على الله عز وجل وكثرة الحمد والمدح له وإظهار أنعامه وإكرامه ونشرها بالأيدي وإحسانه وأن لا يشكو المالك إلى المملوك ولا المعبود الجليل إلى العبد الذليل **وفي الخبر** أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل كيف أصبحت فقال بخير فأعاد النبي عليه السلام عليه السؤال ثانية كيف أنت فقال بخير فأعاد عليه الثالثة كيف أنت فقال بخير أحمد الله وأشكره فقال هذا الذي أردت منك يعني إظهار الشكر والثناء وإنما كان السلف يتساءلون عن أحوالهم لأجل التفقد ليستخرجوا بذلك حمد الله تعالى وشكره فيكون شكرا في ذلك لأنهم سبب ذكره لله تعالى ممن علمت أنه يشكو مولاه ويذكره عند فقدانه إذا سألته عن حاله فلا تسأله فتكون أنت سبب شكواه وشر يكثر في جهله وما أقبح بالعبد أن يشكو المولى الذي ليس كمثله شيء والذي بيده ملكوت كل شيء إلى عبد مملوك لا يقدر على شيء وقبله كل شيء ومن الشكر أن تشكر الله تعالى على اليسير لأن القليل من الحبيب كثير ولأن الله تعالى حكيم يعطي بحكمة وقدرته والذي عرف وجه الحكمة في المنع مع القدرة على العطاء أعلم أنه منعه ليعطيه فصار المنع عطاء وكان اليسير منه كثيرا ويعلم أن الذل والضعف عنده المنع عز وشرف وهو أفضل وأنفس عند العلماء من التعزز بالعبيد والشرف بهم وأن الطمع والتذلل إليهم والإياس والاستشراف إلى عبد مملوك مثلك ذل لك وحسبك الذل للغير بحسن الذل للحبيب وقبح الذل للأذلاء لكن قبح الذل للعدو **وقد قال** الله عز وجل إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وقال في معنى أن الذين من دون الله عباد أمثالكم والعبادة هي الخدمة والطاعة بذل وللحسن فالعبد العاقل أن يطلب منه وفاقته إلى غير مولاه الذي يليه نزيه ويتولاه لأنه عليم خبير بحاله يسمعه ويراه فهو أعلم بما يصلحه منه وقد قال في معناه ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض فعلى المؤمن أن يشكر في الغنى

والمنع

والمنع كما يشكر في العطاء اليسير ثم يستشهد الشاكر بقلبه شهادة يقين يعلم أن وصفه وصف العبودية وحكمه أحكام العبد محكوم عليه بأحكام الربوبية وأنه لا يستحق على الله تعالى شيئا وأن الله تعالى يستحق عليه كل شيء فالعبد خلقه وصنعته وإلى ما صنعه وما لكه فإذا شهد العبد هذه المشاهدة رأى الله تعالى كل شيء فرضي منه بأدنى شيء ولم ير على الله تعالى شيئا فلم يقنع لله منه بشيء ولم يطالب مولاه بشيء فبكثرة الذكر وحسن الثناء وجميل النشر للنعماء وتعديد النعم والآلاء هو شكر اللسان لأن معنى الشكر في اللغة هو الكشف والإظهار يقال شكر وشكر بمعنى إذا كشف عن ثغره وأظهره فيكون إظهار الشكر وكشفه باللسان مما ذكرناه كما جاء في الخبر ليس من الأذكار ذكر يضاعف ما يضاعف الحمد **وفي حديث** من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا إله إلا الله فله عشرون ومن قال الحمد لله كتبت له ثلاثون حسنة وليس أن الحمد أعلى من التوحيد ولكن لفضل مقام الشكر ولأن الله تعالى افتتح به كلامه في كتابه وفي الخبر الحمد رداء الرحمان **وفي الحديث** أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله ويكون أيضا ظهور الشكر وغلبته في القلب شكر القلب ويكون شكر الله تعالى لعبده كشفه له ما ستر عنه وإظهاره له ما حجبه عنه من العلوم والقدر وهو المزيد فيزيده ذلك حسن معرفة به وعلو مشاهدة فتنبه وكله يرجع إلى معنى الكشف والإظهار وأما شكر الجوارح للمنعم المفضل فهو أن لا يعصيه بنعمة من نعمه وأن يستعين بنعمته على طاعته ولا يستعين بها على معصيته فيكون قد كفرها كما قال سبحانه بدلوا نعمة الله كفرا قيل استعانوا بنعمه على معاصيه فالخلق لا يقدرون على تبديل نعمة الله تعالى ولكن معناه بدلوا شكر نعمة الله كفرا وهذا من المضمر معناه لظهور دليله عليه لأنه أمرهم بالطاعة في النعم فجاءوا بمعصيته فيها فكان ذلك تبديلهم لما أمر ومثله قوله وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون والمعنى شكر رزقكم تجعلونه تكذيبكم برسل الله تعالى وهذا من المحذوف أيضا وهي في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم مفسرة **وروينا** عنه أنه قرأ وتجعلون شكركم أنكم تكذبون بمعناه ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب أي يعاقب من كفر بالنعمة وضيع شكرها بمعصيته فيها يعاقبه في الدنيا وكذلك قوله تعالى ولئن كفرتم إن عذابي لشديد قيل أن كفر النعمة وقد يكون العذاب في الدنيا تبديل النعمة عقوبات وتبعيض الشهوات وقد يكون العذاب موجلا كقوله تعالى إن عذابها كان غراما قال طالبهم على النعم بالشكر فلم يكن عندهم فأعاضهم ثمن النعم بحبسهم في جهنم وقد قال الله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ثم قال وذروا ظاهر الإثم وباطنه فيه تنبيه لرؤية الآية الزمر وصل لهم القول ليتذكروا أن يذروا ظاهر الإثم شكرا لظاهر النعم ويذروا باطن الإثم شكرا لباطن النعم وظاهر النعم

عوائق الاحتشام ووجود الكفايات من الاموال والطاعات لان اعمال الجوارح من معاصي
خصوص النفس وباطن النعم معاملات القلوب وصلاحها في العقود وبالحق لان اعمال
القلوب السيئة مثل الاصرار وسوء الظن ونيات السوء وقال مطرف بن عبد الله لان
اعافى فاشكر احب الي من ان ابتلى فاصبر لان مقام العوافي اقرب الى السلامة
فلذلك اختار حال الشكر على الصبر لان الصبر حال اهل البلاء الم تسمع الى قول النبي
صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السلام لا تسأل الله تعالى البلاء فسله العافية
حيث سمعه يقول في دعائه اللهم اني اسألك الصبر وقد روينا عن الحسن البصري
الخبر الذي لا شر فيه العافية مع الشكر والصبر عند المصيبة فكم من منعم عليه
غير شاكر وكم من مبتلى غير صابر وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفيه هذا في قوله وعافيتك احب الي من الشكر لان الاعمال الصالحة فيها العمل بشكر
تعالى وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الشكر للمنعم فقال تعالى اعملوا آل
داود شكرا اي بالشكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عوتب في اجتهاده و
قيامه حتى تورمت قدماه افلا اكون عبدا شكورا فاعلم ان المجاهدة وحسن المعاملة
المعاملة شكر المستعمل وجزاء المنعم وقد قال بعض العلماء شكر القلب المعرفة
بان المنعم من المنعم لا غيره وشكر العمل كلما وهب الله تعالى له عملا اخر ثبت له عمله
ثوابا شكرا فيه للعمل الاول فعلى هذا يتصل الشكر بدوام المعاملة واول الشكر عند
العارفين ان لا يعصيه بنعمة من نعمه فيجعلها في طاعة الهوى فاقل الشكر ان
يتقوى بطعمه بكل نعمة فيجعلها في سبيل المولى وهذا شكر جملة العبد وحقيقة
الشكر التقوى وهو اسم يستوعب جمل العبادة اذ امر الله تعالى جميع عباده في قوله
تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ثم عبّر
عن حقيقة شكره فقال فاتقوا واعلم ان التقوى هو الشكر فقال سبحانه فاتقوا الله
لعلكم تشكرون وفي الشكر مقامات عن مشاهدتين اعلاهما مقام الشكر وهو الذي
يشكر على المكاره والبلاء والشدائد واللأواء ولا يكون كذلك حتى يشهد كل نعمة
نزيه الشكر لصدق يقينه وحقيقة زهده وهذا مقام في الرضى وحال من المحبة
وبهذا الوصف ذكر الله نبيه نوحا عليه السلام في قوله انه كان عبدا شكورا اي
في التفسير انه كان يشكر الله تعالى على كل حال من قبض او بسط او نفع او ضر

وروينا في الخبر ينادى يوم القيامة ليقم الحامدون فيقوم زمرة
فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحامدون قال الذين يشكرون الله على
حال وفي لفظ آخر على السراء والضراء وقال بعض العلماء في قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه
ظاهرة وباطنة قال ظاهرة العوافي والغنى وباطنة البلاء والفقر وهذه نعم الآخرة

كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لا عيش الا عيش الآخرة

والمقام الثاني

من الشكر ان ينظر العبد الى من هو دونه ممن فضل عليه في امور الدنيا وفي احوال
الدين فيعظم نعمة الله تعالى عليه فليحمد ربه مما ابتلى الآخر به وتعظم نعمة
الدنيا عليه كما اغناه الله تعالى وكفاه فيما احوج الآخر اليه والجأه فيشكر على
ذلك ثم ينظر الى من هو فوقه في الدين ممن فضل عليه بعلم الايمان وحسن يقين
فيمقت نفسه ويزري عليها وينافس في مثل ما رأى من احوال من هو فوقه ويرغب
فيها فاذا كان كذلك كان من الشاكرين وقد دخل تحت اسم المحبوبين وقد روينا
معنى ذلك في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من نظر في الدنيا
الى من هو دونه ونظر في الدين الى من هو فوقه كتبه الله شاكرا صابرا ومن نظر في
الدنيا الى من هو فوقه ونظر في الدين الى من هو دونه لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا
وقد شرحنا هذا في مقام الرضا فاغنى هنا عن اعادته ههنا وكل وصف يكون العبد شاكرا به
ويكون الشكر مقاما له فيه فان كفر النعمة يلزمه دخول لان الكفر ضد الشكر
ومن كفران النعم ان لا من جملة اضاعة الشكر عليها ومعرفتها شكر العارفين
ولقد استتار الله عز وجل بغفرانه وعزته عن الابصار ولو ظهر للعباد لكانت
معاصيهم كبيرة لانهم لم يكونوا ينقصون من المعاصي المكتوبة عليهم مثقال بعوضة
ولانه تعالى لما ان يظهر بوصف للمتقين معدوم المعاصي وورى فكان سر الغيوب
لانهم كانوا يتغيرون بالمواجهة للانهماك في المشاهدة وايضا لما كان لهم في الايمان
به من عظيم الدرجات ما لهم فيه لانهم حينئذ يؤمنون بالشهادة وهم اليوم
يؤمنون بالغيب فوقعت لهم الدرجات بحسن اليقين ولذلك مدحهم الله تعالى و
وصفهم به والنعمة الثانية اخفاء القدر والآيات عن عموم الخلق لانها من سر الغيب
وصلاح العبيد واستدامة الدنيا والخير ولو ظهرت لانهم لكانوا اختلطوا بايام الصغار
الكبار مع معاينة الآيات ولما فرحت لهم اعمالهم الحسنات لفضل عظمتهم لان
للايمان بالغيب والنعمة الثالثة تغييب الآجال عنهم اذ لو علموا حال الآجال لتواب
يزدادون ولا ينقصون من اعمالهم الخير والشر فكان ذلك مع علمهم بالآجال
اشد مطالبة لهم ولو وقع المحنة عليهم فاخفاه لذلك عنهم ومعرفة لهم من حيث لا يعلمون
ولصلاحهم وذلك انهم من حيث لا يحتسبون ثم يعرفه لهم من لطائف النعم يشهد بعضهم
لهم بعضهم من بعض وسترهم عن العلماء والصالحين ولولا ذلك لما نظروا اليهم بعين
حجب الصالحين والاولياء عنهم ولو اظهر عليهم آيات يعرفون بها حتى يكونوا اهلا
على يقين من ولاية الله عز وجل وقربهم منه لبطل ثواب المحسنين اليهم وحرم قبول اه

احسانهم عليهم وتحبط عنا اعمال المسلمين اليهم ومعي محبة ذلك ورسته وما عمل العاملون
لهم في الحكيم والثناء على الرجل وحسن الظن بالغيب وراء حجاب اليقين وتكلم خرت
عقوبات المؤذين لهم عن العاجلة لما ستر عليهم من عظيم شأنهم عند الله تعالى وجليل قدرهم
وفي ستر هذا نعم عظيمة على الصالحين في نفوسهم من سلامة دينهم وقلة فتنتهم وفيه
ونعم جليلة ورحمة واسعة على المنتهكين لحرمتهم المصغين لشغلهم الله تعالى متى
اجلهم اذ كانوا اسباء والنهم من وراء حجاب فهذا هو لطف خفي من لطف المنعم ال
اللطيف الوهاب

كما جاء في الخبر

يقول الله عز وجل من اذى لي وليا من اوليائي فقد بارزني بالمحاربة ثم اخذ الذي
لو لبي لا اكل نعرفه الى غيره فيكون مثله لا ممثل من اذى نبيا وهو لا يعلم فيتبوا تسم
قبل ان يخبر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الله سبحانه قبله فلا يكون وزره
وزر من انتهك حرمة نبي قد كان اعلمه انه نبي الله لعظم حرمة النبوة ورد وجها عن جعفر
الصادق وغيره من السلف في معنى هذا النعم التي اوجبت الشكر في اخفاء جما قال ان الله
تعالى خبا ثلاثا في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيئا لعل رضاه فيه وغضبه
في معاصيه فلا تحقروا منها شيئا لعل غضبه فيه وخبا ولايته في عباده المؤمنين
فلا تحقروا منهم احدا لعله ولي الله عز وجل والنعم التي فيه يتفاوت احدهما على من
الاخر او لهما تشكر الى اجبر وهو حسن المعاملة لما املوه ورجوه من فوائد النعم فعملوا
رجاء التدمها فكان حالهم المسارعة والمسابقة الى الاعمال الصالحة شكرا لما تكرمهم
به وعضهم دون سائر خلقه واعلاهما شكر الخائفين وهو خوف سوء الخاتمة وب
والا تنبعاق من درجة الشغف الحب السابقة فكان خوفهم دليلا على اغتباطهم بوجهه
الايمان كان اغتباطهم بذل على عظيم قدر الاسلام في قلوبهم وتيسير ما كانه عندهم من
بعظيم النعمة به عليهم بمعرفتهم بذلك هو تمكن منهم فصار الخوف والاشفاق طريقا
لهم في الشكر للخالق وقد جعل الله سبحانه ذلك نعمة وكل نعمة تقتضي شكرا في قوله
تعالى قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما فقال بعض اهل التفسير انعم
الله عليهما بالخوف وهذا احد وجهي الكلام ولو لم يشكر العبد مولاه الا انه تعالى
على هذه الاوصاف والاخلاق التي هي صفاته واخلاقه من نهاية الكرم والجود الزيدة لا
غاية له دون غاية التفضل والحلم الزيد لا نهاية له فلما كان تعالى بهذه الاخلاق المرجوة
والصفات الحسنى وجب ان يشكره العبد لاجله سبحانه لا لاجل نعمه ولا فعاله وهذا
شكر المحبين اذ لو كان تعالى على غير هذه الصفات والاخلاق التي عرفها العارفون فلا اجر
لهم منه اي شيء كان يصنع العبد ولي حيلة كانت لهم يكونون ولذا لحمد كله ولكن الشكر
كله كما هو مستحقه واهله يجري لنفسه لا ينبغي ذلك الا له سبحانه كما ينبغي لكرم وجهه

وعن

وعن جلاله انه كان لم يزل على ما هو عليه الان ولا يزال ابدا على ما كان من الاوصاف
الكاملات والنعوت الكاملات والاسماء الحسنى والامثال العليى ومعرفة هذا هو شكر
العارفين ومشاهدته هو مقام المقربين يشكرهما والا الله تعالى لاجل الله تعالى وعلا هاولا
التجبير والتقديس واهل الاجلال والتعظيم للاجل العظيم ورسوا لهم تجلي الصفات
والتعجيب من مشاهدة معاني الذات ووصف هذا لا يوصف ويشهد بالمعقول لا بعقل وهذا
داخل من مشاهدة قوله ليس كمثله شيء والكلام انه يقول ليس كمثله شيء وعن هذه المشاهدة
اغتبط موسى صلى الله عليه وسلم بالربوبية وانسر بالتقريب وانبسط بالتمكين
فقال في ما ليس لكم فقال الله تعالى وما هو قال في فتنتك وليس لك مثل نفسك فقال عز
وجل صدقت يعني في انك على هذه الاوصاف التي في غاية الكمال ولا تبرع لها
للراغبين وليس لك كالصفات اذ ليس كمثلك شيء وانه لا اله الا انت ومن عادات النعم
الشكر على هذه المعاني ما زوي عنه وصرفه من فضول الدنيا فانه اقل للشغل والاهتمام
وايسر للحساب ثم ان ابتلى به غيره من الدنيا مما يشغله به عنه وقطعه دونه فعلى
صرف الدنيا عنه وابتلاء غيره بها نعمتان عليه وكذلك اذا رايت مبتلى في نفسه
بصفات المنافقين او مبتلى بنفسه باخلاق المتكبرين او متهتكا فيما عليه من افعال
الفاسقين عن جميع ذلك فهما من الله تعالى عليك اذ لم يجعلك كذلك لانه قد كنت
انت كذلك لولا فضل الله ورحمته فتحسب كلما وجد الى غيره من الشر او صرف عنك من الخير
نعما عليك بمثل ما وجد من الخير اليك ونصرف من الشر عنك لان النفوس تنفس واحرى في الامر
بالشر والمعصية والقدرة واحرى [illegible] من الشر عنك بذلك من فضل نعمة الله
تعالى عليك [illegible] بذلك التشكر امنة لله تعالى واكثر عقوبات الخلق من قلة الشكر
على النعم واصل قلة الشكر الجهل بالنعمة وسبب الجهل بالنعمة قصور العلم بالله تعالى
وطول الغفلة على المنعم وترك التفكر في نعمه والتذكر لايه ومننه وقد امر بذلك تعالى
في قوله واذكروا الاء الله لعلكم تفلحون فيل نعمه وقال في المعيشة واذكروا نعمة الله
عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ويعلنا قوله ولتكملوا العدة ولتكبروا
الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون يعني على نعمة الهداية توفيق الطاعة فاذا
جهل العبد النعمة لم يعرفها واذا لم يعرفها لم يشكر عليها واذا لم يشكر انقطع مزيده
ومن انقطع عنه المزيد فهو في نقصان ما ادعى وايضا فان من لم يشكر النعم فجهلها فهلا من
يومن عليه كفرها فان كفرها اه ركبه العذاب الشديد للوعيد لانه ذكره نعمة القرآن ثم
ان جعلنا من خير امة اخرجت للناس وقبل ذلك هي اول نعمة فعلنا ها ان جعلنا موحدين
دون سائر المعروفات ثم جعلنا حيوانا دون سائر الموات ثم جعلنا بشرا دون سائر
الحيوان ثم ان جعلنا ذكورا دون الاناث ثم تصورنا في احسن تقويم ثم عرانا في القلوب من
ان يخرج من السنة ومن الجبل الى [illegible] والى النفوس الاخلاق ثم صحة الاجسام ثم كتب انه

ثم في حسن الكفاية للحاجات من ضروب ما الهم من الازواج للشهوات واصول نعم الله
الماء فيه اربعة اوجه النطفة التي الثمرة من خزانة الارحام وجميع البهائم والدواب ثم
الحرث الذي اخرج من خزائن الارض جميع الثمرات ثم الماء الذي لكم منه شراب وفيه شجر النار
التي فيها ضياء او صلاح الاطعمة ومتاع لاهل البوادي بذكره وهذه النعمة في النبوي
في هاتين الآخر من سورة الواقعة واضافها الى نفسه ولم يجعل فيها شيئا لاحد معه ثم ختم
الصنعة لنا بما بين الارض والسماء بين اصلات النعم وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فليعلم
كثرة النعم وحسنها كثرة الشكر عليها وعظم وكان ابو محمد سهل يقول حق معرفة النعم و
معرفة عظيم علم الله وسنة الصابرين وقد قال الله احسن الواصفين وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم فنعت النعمة بوصفه الذين هو بهما اهل
المغفرة والرحمة ثم قال في ابراهيم مثله ان الانسان لظلوم كفار وكذا عظم النعمة واسع
واوسع في الكرم والمنة على وصفين الانسان هو بهما اهل الظلم والكفر وهو سبحانه
اهل التقوى واهل المغفرة والعبد اهل لما وصفه به مولاه الذي لا يجوز عليه بغير
ما به تولاه فبنعمته عصاه الجاهلون ومن نعمته ستره وحلمه عنهم ومن النعم اظهار
الجميل وستر القبيح فلا يدري اي النعمتين اعظم وقد يروم الله تعالى فيهما في الدعاء
المذكور يا من اظهر الجميل وستر على القبيح ومن النعم الصحة والفراغ فيهما اول الرتبة
واصول اعمال الآخرة وفيهما يكون المعاملات كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم
نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وكان الفضيل يقول عليكم بمداومة
الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم وقال بعض السلف النعم و
وحشية فقيدوها بالشكر وقد روي في الخبر ما عظمت نعمة الله تعالى على عبد
الا كثرت حوائج الناس اليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال وقد قال سبحانه
ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم قيل لا يغير ما انعم عليهم حتى
يغيروا ما بتضييع الشكر فيما فيهم بالغير والوجه الآخر لا يغير ما بهم من عقوبته
حتى يغيروا معاصيهم بالتوبة فذكر بذلك السبب الاول من حكمه ثم ذكر السبب
الثاني من حكمته وهو سبب الاسباب بمشيئته وحكمته ويقال ان تحت كل شعرة في
جسم العبد نعمة وبكل عرق في جسده نعمتان في تسكينه وتحريكه وفي كل عظم
اربع نعم وبكل مفصل سبع نعم وفي جسم الانسان كذا مائة وستون مفصلا
وكذلك العظام وفي كل طرفة نعمتان وفي كل نفس نعمتان وفي كل دقيقة ثلاثة عليه
من عمره نعم لا تحصى والدقيقة جزء من اثني عشر جزءا من تسعين والتسعين جزءا
من اثني عشر جزءا من ساعة والانفاس اربعة وعشرون الف نفس في اليوم
والليلة وروينا في اخبار موسى صلى الله عليه وسلم يا رب كيف اشكرك وفي
كل شعرة من جسمي نعمتان ان لينتها اصلها وان تحتها اشبعها وروينا في الا

من لم يعرف نعم الله تعالى عليه الا في مطعمه ومشربه فقد قل عمله وحضر عذابه هذا مع
سوابغ النعم الظاهرة والكمالات والعوافيات ويقال ان في باطن الجسم من النعم سبعة
اضعاف النعم التي في ظاهره وان في القلب من النعم اضعاف ما في الجسم كله من النعم
وان نعم الايمان بالله تعالى والعلم واليقين اضعاف نعم الاجسام والقلوب فهذه
كلها نعم عقيبة على نعم مترادفة لا يحيط بها الا من النعم بها ولا يعلمها الا من خلق مضا
وهو اللطيف الخبير سوى نعم المطعم والمشرب والملبس والمنكح من دخول ذلك وخروجه
وكثرة تكرره وتدبيره بان ادخل هنيئا واخرج اذى ويبقي في الجسم قوة وبان طيب
مدخله وسهل مخرجه وقلل منفعته وما اخاف من صورته وغير من طعمه لئلا يضروا ولئلا
والاعتبار والتذكرة وتلك ايضا نعم ويقال ان الرغيف لا يستدير حتى يعمل فيه
ثلاثمائة وستون صنعة من السماء والارض وما بينهما من الاجسام والاعراض والاملاك
والرياح والليل والنهار وصنائعهما والبهائم ومعادن الارض ولعل ميكائيل الذي يكيل
الماء من البحر الذي يعمر به على السحاب ثم السحاب التي تحمله وتسكبه ثم الرياح التي تحمل
السحاب والرعد والبرق الملكان اللذان يسوقان السحاب واخر ذلك الخباز فانك اذا
استدار رغيفك طلبه سبعة الف صانع كل صانع اصل من اصول الصنائع فهذه
كلها نعم في حضور رغيف فكيف بما زاد عليه مما وراءه فعلى العبد في كل نعمة شكر
ان طولب بشكر نعمة واحدة على حقيقتها هلك الا ان تتغمده رحمة من ربه فيعفو لتمام
النعمة وروينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم اني
اسألك تمام النعمة فقال هل تدري ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة وقيل لبعض
الحكماء ما النعيم قال الغنى فاني رأيت الفقير لا عيش له قيل زدنا قال الامن فاني رأيت
الخائف لا عيش له قيل زدنا قال الشباب فاني رأيت الهرم لا عيش له قيل زدنا قال
لا اجد مزيدا وبعض ما ذكره هو احد الوجوه في قوله تعالى اذهبتم طيباتكم في حياتكم
الدنيا قيل الشباب وقيل الفراغ وقيل الامن والصحة وفي قوله تعالى وعصيتم من
بعد ما اراكم ما تحبون قيل العوافي والغنى ونحوها وفي قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه
ظاهرة وباطنة قيل الظاهرة العوافي والباطنة البلاء وفي لذنب كسب نعيم
الآخرة ومن بيان لقوله تعالى ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين
ودخل في الخبر من اصبح معافى في بدنه امنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت
له الدنيا بحذافيرها انشدنا في معناه لبعض اهل القناعة

اذا القوت تأتى لك مع الصحة والامن ... واصبحت اخا حزن فلا فارقك الحزن

انشدونا الآخر في مثله ونحوه

كن وباقة خبز وكوز ماء وامن ... الزمن كل عيش تجود به سحب وسحق

وحدثونا ان عابدا عبد الله تعالى سبعين عاما فارسل الله اليه ملكا يبشره يقول

بدخول الجنة برحمة الله تعالى فيحبس في نفسه بل يعلم ما اطلع الله تعالى على ذلك له
منه واوحى الى عرق ساكن من عروقه ان تخلج عليه فقال فاضطرب لذلك وقلق وانقطع
عبادته وذهب اجماله تشغلا منه بنفسه ثم اوحى الله تعالى الى العرق ان اسكن
فسكن ورجع الى عبادته فاوحى الله تعالى اليه افرغت عبادتك لعرق واحد فسكن
من عروقك فاعتبر ورويناه معنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصف الآخر
ان رجلا عبد الله سبحانه سبعين عاما فيأمر الله تعالى به الجنة برحمته فيقول بل
بعملي فيقول الله عز وجل ادخلوا عبدي الجنة برحمتي فقال بل بعملي في الجنة سبعين
عاما فيأمر الله تعالى به ان يخرج ويقال له قد استوفيت ثواب عملك قال فيسقط
في يديه ويندم ويقطع القوى شيئا كان في نفسه فيقيمه ويبين ربه تبارك وتعالى ما لم ا
ارحل وحسن الخلق فيقول يا رب ان كنت في الجنة برحمتك لا بعملي فيقول الله تعالى
ادخلوا عبدي الجنة برحمتي وحدثنا عن رجل شكا الى بعض اهل البادية فقره والهم
لزلة نعمه فيقال له أيسرك انك اعمى ولك عشرة آلاف فقال لا قال فيسرك انك
اخرس ولك عشرة آلاف قال لا قال فيسرك انك اقطع اليدين والرجلين ولك عشرة
آلاف قال لا قال فيسرك انك مجنون ولك عشرة آلاف قال لا قال اما تستحي
ان تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين الفا وهذا كما قال لا ان في الانسان
نبيهة الا تشبه من الجوارح وزيادة من الملك لا نملك بذات جوارحه لو قطعت
وحدثني بعض الشيوخ في معناه ان بعض الغزاة المغربي اشتد به الفقر حتى اخذته
وضاق به ذرعا فقال فرأى في المنام كان قائلا يقول له تود انك نسيت سورة الانعام
وان لك الف دينار فقال لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا قال فمعك
ما قيمته الف وانت تشكو الفقر فاصبح وقد سري عنه وتكذا هذه في الجنة تغنوا بالقرآن
اذا استغنوا ومن لم يستغن فليس من الله ولا عليه الله تعالى وان القرآن هو
الغنى الذي لا فقر معه ولا غنى بعده ومن اتاه الله القرآن فظن ان احدا اغنى منه فقد
استهزأ بآيات الله عز وجل وفي لفظ آخر فقد استخف بما انزل الله وفي الحديث المشهور
ليس منا من لم يتغن بالقرآن وفي الخبر المجمل فاليقين غنى والقرآن هو حق
اليقين وروينا عن بعض السلف يقول الله عز وجل ان عبدا اغنيته عن ثلاث لقد
اتممت عليه نعمتي عن سلطان يأتيه وطبيب يداويه وعما في يد اخيه وروينا
في مناجاة ايوب صلى الله عليه وسلم عز وجل اوحى اليه فما من عبد في من
الآدميين الا ومعه ملكان فاذا شكرني على نعمائي قال الملكان اللهم زده نعما
على نعم فانك اهل الشكر والحمد وكن من الشاكرين زدنا وزده فشكرا وادامهم من
النعم وكفى بالشاكرين فضلا ايوب علوا النسبة عنه في وعن ملائكته فانه اذا اشكي
شكرهم وملائكته يدعون لهم والبقاع تحنهم واذا كان نبكي عليهم فكفى في بلاء ايوب

شاكيا

شاكيا او لا بي تكاليا ولا انذرني حتى اذكره ولا تشكر في حتى انفك عما لك انا او من اوليائه
بصلاح الاعمال واشكرهم على ما وفقتهم واقتضيتهم الشكر ورضيتهم به مكافاة ورضيت ماله
بالقليل على الكثير وتقبلت القليل وجازيت عليه بالجزيل ونشر العبير عن في من لم يشكر
الا في وقت حاجته ولم يتنوع عن بربي الا وقت عقوبته وذكر الكلام وقد جعل الله تعالى
بالشاكرين بوصف في الاصل الحسنى والمتقين والعالمين وهذه الاوصاف الثلاثة من
اعلى مقامات الموقنين فقال سبحانه وقليل من عبادي الشكور كما قال الا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ولما قال في وصف المتقين ثلة من الاولين و
وقليل من الآخرين وقال ما يعلمهم الا قليل وفي حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم سلوا الله العافية فما اعطي عبد افضل من العافية
الا اليقين فبعض العافية الا اليقين فبفضل العافية على كل عطاء وربع اليقين بفضل
العافية لان بالعافية تتم نعم الدنيا واليقين معه وجود نعيم الآخرة فاليقين
بفضل على العافية كفضل الدوام على الانتقال والعافية بسلامة الابدان من العلل
والاسقام واليقين سلامة الاديان من الزيغ والاهواء فما ترى نعمتان تستوعبان
عظيم الشكر من العبد لما استوعب القلب والجسم جسيم النعيم من الملك وزاد في
المعاني في قوله عز وجل يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم قيل
سالم من الشك والشرك والسالم الصحيح المعافى ويوجد عافية اليقين في القلوب
عدم الشك والنفاق وهي امراض القلوب لما قال الله تعالى في قلوبهم مرض قيل
شك ونفاق وعافية القلب ايضا من الكبائر كما قال الله تعالى فيطمع الذي في قلبه
مرض يعني الزنا ويقال ما من مصيبة الا ولله تعالى فيها خمس نعم اولها انها لم تكن
في الدين ويقال لكل مصيبة في غير الدين وهي لم يكن له من الله بد **والثانية**
انها لم تكن اكبر منها **والثالثة** انها كانت مكتوبة عليه لا محالة فقد نفذت
واستراح منها والرابعة انها عجلت في الدنيا ولم توجل في الآخرة فتعظم على مقدار
عذاب الآخرة والخامسة ان ثوابها خير منها فان المصيبة اذا كانت في امر الدنيا
فهي طريق الى الآخرة وحدثت ان العباس لما توفي فعزى عبد الله بالتعزية فدخل
الناس افواجا يعزونه فكان فيمن دخل اعرابي فانشد يقول

اصبر نكن بك صابرين فانما ... صبر الرعية بعد صبر الراس
خير من العباس اجرك بعده ... والله خير منك للعباس

فقال ابن عباس ما عزاني احد فقه بمثل الاعرابي واستحسن ذلك وعنه في قول الله
تعالى ان الانسان لظلوم كفار فقيل الظلوم بالشكوى كفار بالنعم وقيل في قوله ان الانسان
لربه لكنود قيل هو الذي يشكو المصيبات وينسى النعم ولو علم ان مع مصيبته عشر
نعم مجد اجلا وزيادة فلم يشكو ويرى ان تشكى انه لا يعلم المصائب لا تخلوا من ثلاثة اقسام

كلها نعم من الله تبارك وتعالى اما ان تكون رحمة وهذا للمقربين والمحسنين او يكون
كفارة وهذا مخصوص اصحاب اليمين والابرار او يكون عقوبة وهذا للكافة من المسلمين
فتعجيل العقوبة في الدنيا رحمة ونعمة ومعرفة هذه النعم للشاكرين ومن افضل
النعم عند العلماء نعمة الايمان ثم دوامه لان دوام التثبيت نعمة ثانية لانه محكم فان
عند مشيئة ثانية لان الابرار تمامه منه تبارك وتعالى يحكم لا اضطرار لا يوجب دوام الا
المتطول وكان التثبيت يظهر فاعله ثم فيلا اشتمل لما لم يكن لان بحكم سبحانه حكما
ثانيا نعمة ثانية بالثبات والدوام انه لو لم يدم دوام السموات والارض ما
دامتا ولو لم يدم دوام اثبات الجبال ما ثبتت كذلك لو لم يدم دوام الايمان وثباته
في القلوب بعد الكتب لطفي بالكتب ثم المحي ورجع القلب الى الكفر والعياذ بالله
ولكنه انعم نعمة اخصى بدوامه وثبوته فثبت في القلب ومنه قوله تعالى يمحوا الله
ما يشاء ويثبت اي يمحوا ما لا يشاء ثبوته ويثبت ما يجب ثبوته ولا يستطيع
العبد شكر نعمة الايمان ومعرفة برؤية التفضل به وقديم الاحسان من غير قديم من
العبد ولا استحقاق بل بفضل الله تعالى وبرحمته وهذا احد الوجوه في قول الله تبارك
وتعالى كلا لما يقض ما امره اي لا يقضي العبد بر اشكر الجلال والله من نعمة
الاسلام التي هي اصول النعم في الدنيا والاخرة وهي سبب النجاة من النار ومفتاح
دخول الجنة ولا اول للمعبر بيها ولا منتهى لها الى الله تعالى ثم دوام له
وثباته مع الطرف ولا تعاسر بجرد منه نعم متراجعة ومن هذا قوله عز وجل كتب في قلوبهم
الايمان وايدهم بروح منه اي قواهم بروح يثبته ويقويه وهو معنى قوله يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ومن هذا قول الرسول
صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب اي عن الايمان ومقلبها في الشك والشرك ثبت
قلبي على طاعتك ومعرفة هذه النعمة اللطيفة العظيمة تستخرج من القلب خوف
سوء الخاتمة لمشاهدة سرعة تقليب القلب بالمشيئة وذلك ... بشكر صالح
وهذا داخل في معنى قوله احبوا الله لما اسدى اليكم من نعمه ولم يعبر وكم ...
اعطانا افضل ما عرفنا به من نعمة الايمان له والمعرفة به وعرفنا لنا منه ثم دوام
ذلك ومدده تزوده وتثبيتنا عليه في تقويها الاحوال التي هي اصل الاعمال التي هي
مكان السؤال فلو قلب قلوبنا عن التوحيد كما يقلب جوارحنا في الذنوب كيف كان
يكون حالنا ولو قلب قلوبنا في الشك والضلال كما يقلب فينا نشاء في الاعمال اي شيء
كنا نصنع وعلى اي شيء كنا نقول ولنا في شيء كنا نطمع ونرجوا وهذا من كبائر
النعم ومعرفته هو من شكر نعمة الايمان والجهل بهذا غفلة عن نعمة الايمان توجب
العقوبة واوعد الايمان انه عن كسب معقول واستطاعة قوة وحول هو كفر
نعمة الايمان واخاف على من توهم ذلك ان يسلب الايمان لانه بدل شكر نعمة الله

تبارك

تبارك وتعالى بفضله كفرا وقد جعل الله تعالى الخيرات من كسب الايمان وليسر لنا فيما
يكسبنا الخيرات وكان الله تعالى من علينا ان هدانا للايمان وجعله سببا يكسب لنا
باحسانه الاحسان كما قال او كسبت في ايمانها خيرا قبل التوبة وقبل الصالحات لانها كسب
الايمان ومن النعم بعد الايمان توفيقه للحسنى وتيسيره لليسرى وتحسين الخلق واحة
واخلاق الكرم والجمال ثم تزيينه الايمان وتحبيبه اليه وتكريه الفسوق والعصيان
فضلا منه ونعمة الى ما لا يحصى من نعمه فشكر ذلك لا يقام به الا ما وهب ايضا وانعم به
من المعرفة بذلك والمعونة عليه والخبرة من شكر النعم هو من الشكر والمعرفة بالتقصير
عن الشكر شكرا والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظيم الحلم وكشف الستر
شكر والاعتراف بما اعطي من حسن الثناء وجميل الستر انه من النعم عن غير استحقاق من
العبد بل تفضل انه نعمه هو من الشكر وحسن التواضع بالنعم والتذلل فيها شكر وشكر
الخلق بالرفعة بهم وحسن الثناء عليهم لانهم طرق العطا واسباب المعطي تختلف
باختلاف المولى هو من الشكر وقلت الاعتراض وحسن الادب بين يدي المنعم شكرا وتلقي
النعم بحسن القبول وتكبير صغيرها وتعظيم حقيرها وتعظيم حقيرها من الشكر لانه
طاقة ... بالصفة صغار الاشيا واستقلال وجود المنافع بما حجبه الحكمة لله
واستصغار النعمة وكان ذلك كفرا بالنعم وتعدية في النعم وذكرها شكر وحسن احوال
الضر وكتمان البلا شكر وتعريف الناس مواضع نعم الله تعالى عنده ليبلا حمده بشر
الحال شكر مقام يحلة من المومنين وترجيح بين جماعة لا يصح من قبل تفاوت في اليقين
والمشاهدات لان بعض الصابرين افضل من بعض الشاكرين لفضل معرفته وحسن
صبره وخصوص الشاكرين افضل من عموم الصابرين لحسن يقينه وعلو شهادته ولكن بعض
ذلك من لم يف الاحوال والمقامات انا نقول والله اعلم ان الصبر عن النعيم افضل
لان فيه الزهد والخوف وهما اعلا المقامات وان الشكر على المكاره افضل لان فيه البلا
والرضى وان الصبر على الشدايد والضرا افضل من الشكر على النعم والسرا من قبل انه شكر
على التعسر وان الصبر مع حال الغنا والمقدرة ان يعصي بذلك افضل من الشكر على النعم
من قبل ان الصبر عن المعاصي بالنعم افضل من الطاعة فيها لمن جاهد نفسه فيها فاذا اتى
شكر على ما يصبر عليه وقد صار البلا عنده نعمة وهذا افضل لانها مشاهدة المقربين
واذا صبر عما يشكر عليه من النعم كان لا افضل لانها حال الزاهدين وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم نحن معاشر الانبياء اشد الناس بلاء الامثل فالامثل يعني الاقرب منهم فعلا
فالاقرب في جمع اهل البلا لانه ووصف نفسه وجعلهم الامثل منه بمكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم امثل كان هو الافضل فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شاكرا على شدة
بلائه كذلك الشاكر من الصابرين يكون افضل الشكر على البلا اذ هو الامثل والاقرب الى
وصف الانبياء عليهم السلام وكل مقام من مقامات المتقين يحتاج الى صبر والى شكر واحد

واحدهما لا يتم الا بالآخر لان الصبر يحتاج الى شكر عليه ليكمل والشكر يحتاج الى صبر عليه
ليستوجب المزيد وقد قرن الله تعالى بينهما ووصف المؤمنين بهما فقال ان في ذلك لآيات
لكل صبار شكور فذكر الشكر بلفظ المبالغة في الوصف على وزن فعول كما ذكر الصبر
على لفظ فعال وهو وصف للمبالغة في الوصف على وزن الايمان نصفين كما جاء في الخبر
الصبر نصف الايمان والشكر نصف الايمان واليقين الايمان كله لانه اصلهما وهما فرعان
عنه يوجدان لان الشاكر ايقن بالنعمة انها من المنعم وايقن بالجزاء وعده من
المزيد فيشكر كما ايقن الصابر بحسن البلاء لانه هو المبتلي وايقن بثواب الصابر حين
وحسن ثواب المبتلي بصبر فهما حالا المؤمن اذ لا يخلو في اوقاته من احد امرين بلية
ونعمة اذ في كل نفس له ابتلاء فحاله في البلية الصبر وحاله في النعمة الشكر والله
يحب الصابرين والله يحب الشاكرين ولا حول ولا قوة الا بالله

شرح مقام الرجا

قال الله سبحانه وتعالى الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وقال تعالى وكان بالمؤمنين
رحيما وقال يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله
يغفر الذنوب جميعا وروينا في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ولا يبالي انه هو
الغفور الرحيم وفي الخبر المشهور يقبض قبضة فيقال هولاء في الجنة ولا ابالي المعنى
والله اعلم ان رحمتي وسعت كل شيء وليس يضرني هولاء عملهم فلا ابالي بدخولهم
فيها ويكون هولاء في الجنة ولا ابالي باعمالهم السيئة كلها وقال سبحانه في وصف
المتقين والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا
لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله وقال في وصف المحسنين يعني المتوكلين
الا اللمم ان ربك واسع المغفرة وقال مخبرا عن الملائكة الحاملين حول عرشه والملائكة
يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض واخبر ان النار اعدها
لاعدائه وانه خوف بها اولياءه فقال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل
ذلك يخوف الله به عباده ومثله قوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين وقوله
تعالى فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وقال تعالى
في عفوه عن الظالمين وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ويقال ان النبي
صلى الله عليه وسلم لم يزل يسال في امته حتى قيل له اما ترضى وقد انزلنا عليك
هذه الآية ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفي تفسير قوله عز وجل ولسوف
يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى محمد صلى الله عليه وسلم واحد من امته في النار وكان
ابو جعفر محمد بن علي يقول انتم اهل العراق تقولون ارجى آية في كتاب الله
عز وجل قوله يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية

ونحن اهل البيت نقول ارجى آية في كتاب الله عز وجل قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك
فترضى وعده ربه تبارك وتعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وعده ربه تبارك وتعالى
ان يرضيه في امته وروينا في حديث ابي بردة عن ابيه عن ابي موسى امتي امة مرحومة
لا عذاب عليها في الآخرة جعل عقابها في الدنيا الزلازل والفتن فاذا كان يوم القيامة
دفع الى كل رجل من امتي رجل من اهل الكتاب فقيل هذا فداؤك من النار وروينا
في لفظة اخرى يأتي كل رجل من هذه الامة بيهودي او نصراني فيقول هذا
فداؤك من النار فيلقى فيها وفي الخبر الحمى من فيح جهنم وهو حظ المؤمن من النار
وروينا في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ان الله
تعالى اوحى الى نبيه صلى الله عليه وسلم اني اريد ان اجعل حساب امتك اليك فقال لا
يا رب انت خير لهم مني فقال اذا لا اخزيك فيهم وقال سفيان الثوري ما احب ان يجعل
حسابي الى ابوي لاني اعلم ان الله تبارك وتعالى ارحم بي منهما وروينا
في خبر سلمة بن وردان عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال
ربه في ذنوب امته وقال يا رب اجعل حسابهم الي لئلا يطلع على مساويهم غيري
فاوحى الله تعالى اليه هم امتك وهم عبادي وانا ارحم بهم منك لا اجعل حسابهم الى
غيري لئلا ينظر في مساويهم انت ولا غيرك وروينا عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال حياتي خير لكم وموتي خير لكم اما حياتي فاسن لكم السنن واشرع لكم
الشرائع واما موتي فان اعمالكم تعرض علي كل ليلة اثنين وخميس فما رايت فيها
شيئا استغفرت الله تعالى لكم وروينا في الخبر اذا تاب العبد من ذنوبه انسى
الله تعالى ملائكته وبقاع الارض معاصيه وبدلها حسنات حتى يرد القيامة وليس
شيء يشهد عليه وكذلك يقال ان المؤمن اذا عصى ستره الله عز وجل عن ابصار الملائكة
كيلا يروه فيشهدوا عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم يا كريم العفو فقال
له جبريل عليه السلام تدري ما تفسير يا كريم العفو هو ان عفا عن السيئات برحمته
ثم بدلها حسنات بكرمه وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم اني اسالك
تمام النعمة فقال تدري ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة وقد اخبرنا الله تعالى
انه قد اتم نعمته علينا برضاه الاسلام لنا وهذا دليل على دخول الجنة فقال تعالى
واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فقد استحققنا بذلك مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنحن نرجو المغفرة لذنوبنا بفضله وقال ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك وفي خبر علي عليه السلام من
اذنب ذنبا فستره الله عليه في الدنيا فالله اكرم ان يكشف ستره في الآخرة
ومن اذنب ذنبا فعوقب عليه في الدنيا فالله تعالى اعدل من ان يثني عقوبته على
عبده في الآخرة وفي لفظ آخر لا يعاقب عبد في الدنيا فيستر عليه الا غفر له في الآخرة

وعن بعض السلف كان يقال الصحف فإنه بعصي نحت كتب الإيمان والكتب من
الإنسان حسنه ما بين يديه ومن دونه قال الحسن البصري كتبه شيء عن دونه ومن رجع
عنه كتبه قبيح ويقال إن من وجد الزينة بذنب فهي كما أنه لا يقبض به في الآخرة
وفي الخبر إذا أذنب العبد فلا تستعجل يقول الله عز وجل لملائكته انظروا إلى عبدي
أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب أشهدكم أني قد غفرت له وحدثنا عن
نحو أصحاب قال كتبت إليه أسود بن سالم فخطه أن العبد إذا كان مسرفا على نفسه ثم
يرفع يديه يدعو يقول يا رب يا رب فإنه يقول يا رب فحجبت الملائكة صوته فإذا قال الثانية يا رب
فحجبت الملائكة صوته فإذا قال الثالثة يا رب فحجبت الملائكة صوته فإذا قال الرابعة
يا رب يقول الله عز وجل حتى متى تحجبوا صوت عبدي عني قد علم عبدي أنه ليس له رب
يغفر الذنوب غيري أشهدكم أني قد غفرت له وفي لفظ آخر فحجبت الملائكة صوته قال
يقول الله تعالى أنا أجيب فيقول قد غفرت له وفي حديث لو أذنب العبد حتى
يبلغ ذنوبه عنان السماء غفرت له ما استغفرني ورجاني وفي خبر آخر لو لقيني
عبدي بقراب الأرض ذنوبا للقيته بقرابها مغفرة ما لم يشرك بي شيئا وفي الحديث
أن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتبه
عليه وإلا كتبها سيئة وفي لفظ آخر فإذا كتبت عليه وعمل حسنة قال الصاحب
الشمال وهو أمين عليه ألق هذه السيئة حتى ألقي من حسناته واحدة من تضعيف
العشر وارفع تسع حسنات فيلقي عنه هذه السيئة ويقال إن الله عز
وجل جعل في قلب صاحب اليمين من الرحمة للعبد أضعاف ما جعل في قلب صاحب
الشمال مع أنه أرأف عليه فإذا عمل العبد حسنة فرح بها ملك اليمين ويقال فرح
بها الملائكة وكتبها للعبد بعشرة وروينا في حديث ابن أنس بن مالك الطويل
إذا أذنب العبد فلا تكتبها عليه قال الأعرابي فإن تاب قال محي من صحيفته
قال فإن عاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتبها عليه قال الأعرابي
فإن تاب قال محي من صحيفته قال إلى متى يا رسول الله قال إلى أن يستغفر ويتوب
إلى الله عز وجل إن الله تعالى لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار وإذا هم
العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل أن يعملها فإن عملها كتبت عشر حسنات
ثم يضاعف الله عز وجل إلى سبعمائة ضعف وإذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فإن
عملها كتبت خطيئة واحدة وإذا تم حسن عفو الله عز وجل وجاء رجل إلى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لا أصوم إلا
الشهر لا أزيد عليه ولا أصلي إلا الخمس لا أزيد عليها وليس لله في مالي صدقة
ولا حج ولا تطوع أين أنا إذا مت فقال النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة فقال
يا رسول الله أنا أقول الكون فيها معك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال نعم معي إن حفظت قلبك من اثنين الغل والحسد ولسانك من اثنين الغيبة والكذب
وعينيك من اثنتين من النظر إلى ما حرم الله عز وجل وأن تزدري بهما مسلما دخلت معي الجنة
على راحتي هاتين وروينا في حديث أنس الطويل أن الأعرابي قال يا رسول الله
من يلي حساب الخلق فقال الله تبارك وتعالى قال هو بنفسه قال نعم فتبسم الأعرابي
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم ضحكت يا أعرابي فقال إن الكريم إذا قدر عفا وإذا
حاسب تجاوز وسامح فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الأعرابي ولا كريم أكرم من الله
هو أكرم الأكرمين ثم قال فقه الأعرابي وفيه أيضا أن الله تعالى شرف الكعبة وعظمها
ولو أن عبدا هدمها حجرا حجرا ثم أحرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من أولياء الله تبارك
وتعالى قال الأعرابي ومن أولياء الله قال المؤمنون كلهم أولياء الله أما سمعت
الله عز وجل يقول الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور وفي
الخبر المشهور المؤمن أفضل من الكعبة والمؤمن طيب طاهر والمؤمن أكرم على الله من
الملائكة وفي الخبر المشهور عن عبد الله بن عمر وأبي هريرة وكعب الحبر أنه نظر إلى
الكعبة فقال ما أشرفك وأعظمك وللمؤمن أعظم حرمة عند الله منك وقد أمر الله تعالى
أنبياءه فتواضعوا لأوليائه أجلالهم من شرف التنبيه وفي الحديث عن الله عز
وجل من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وأنا الثائر لأوليائي في الدنيا والآخرة وفي
أخبار يعقوب عليه السلام أن الله عز وجل أوحى إليه تدري لم فرقت بينك وبين
يوسف هذه المدة قال لا قال لقولك لإخوته أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون
لم خفت الذئب عليه ولم ترجني له ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظي
له وفي رواية عن الله عز وجل أنه أوحى إليه ومن سبق علمي فيه لذلك جعلتك
جعلتك نفسي عنكم لأرحم الراحمين برجوتني ولولا ذلك لكنت أجعل نفسي عندك
أبخل الباخلين فأجل هو اسم لقوة الطمع في الشيء يعني لذلك الخوف اسم لقوة الحذر
من الشيء لذلك أقام الله عز وجل الطمع مقام الرجاء في التسمية وأقام الحذر مقام
الخوف فقال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه رتبة
وهو وصف من أوصاف المؤمنين وخلق من أخلاق الإيمان لا يصح الإيمان إلا به ولا يكمل الإيمان
إلا بالخوف والرجاء فمن لم يرج لا يخاف الطاعة ولا يطيع لا يخاف كذلك لا يوقن من
لم يرج وأمن به ويخافه وهو أيضا مقام من حسن الظن بالله تعالى وجميل التأميل
له عند موته ولذلك أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته فقال لا يموتن
أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى لأنه قال عز وجل أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي
ما شاء وكان ابن مسعود يحلف بالله ما أحسن عبد ظنه بالله عز وجل إلا أعطاه
ذلك لأن الخير كله بيده فإذا أعطي حسن الظن به فقد أعطاه ما يظنه لأن
الذي حسن ظنه به هو الذي أراد أن يحققه له وروينا عن يوسف بن أسباط قال

قال سمعت سفيان الثوري يقول في قول الله عز وجل وأحسنوا إن الله يحب المحسنين
في أحسنوا بالله الظن وكذلك دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرجل وهو في
سياق الموت فقال كيف تجدك فقال أجدني أخاف الله لذنوبي وأرجو رحمة ربي
فقال ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا وأمنه مما يخاف ولذلك
قال علي عليه السلام للرجل الذي أطار الخوف عقله حتى أخرجه إلى القنوط فقال
له يا هذا إياسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك فصدق رضي الله عنه لأن الإياس
من روح الله تعالى الذي يستروح إليه المكروب من الذنوب والقنوط من رحمة الله
التي رجوها المتقلب في العيوب أعظم من ذنوبه وهو أشد من جميع عيوبه لأنه قطع
لشهوته على صفات الله تعالى المرجوة وحكم على كرم الله تعالى بصفته المذمومة وكان
ظالما من أكبر الكبائر وإن كانت ذنوبه كبائر وهكذا جاء في التفسير ولا تلقوا بأيديكم
إلى التهلكة قال هو العبد يذنب الكبائر ثم يلقي بيده ولا يتوب يقول قد هلكت
لا ينفعني عمل فنهوا عن ذلك لأن الرجاء مقام جليل وحال شريف نبيل لا يصلح إلا للأكرمين
من أهل العلم والحياء وهو حال يجول عليهم بعد مقام الخوف يحزن به من مفارقة الذنب
ولم يعرف الخوف لم يعرف الرجاء بل الرجاء ومن لم يتقدم في مقامات الخوف لم يرتفع إلى
مقامات أهل الرجاء على محنة وصبر ورجاء كل عبد من حيث خوفه ومكاشفته عن
أخلاق وجوده من معنى ما كوشف به من صفات مخوفة فإن كان أقيم مقام المخوفات
من المخلوقات مثل العيوب ومثل الذنوب والأسباب رجع من حيث تلك المقامات
إلى مقامات الرجاء بتحقيق الوعد وعفو الذنب وتشويق الجنان وما فيها من
الأوصاف الحسان وهذه حالات أصحاب اليمين وإن كان أقيم مقام مخاوف الصفات
عن مشاهدة معاني الذات مثل سلب العلم وسوء الخاتمة وخفي المكر وبالحق الأ(؟)
الاستدراج ودرك شقاء الغرة وحكم الكبر والجبر رجع من حيث هذه المقامات التي
مقام المحبة والرضى برجاء من معاني الأخلاق والأسماء الكريمة والإحسان والفضل والعطف
واللطف والامتنان وليس يصلح أن نخبر بكل ما نعلم من تفاصيل(؟) أهل الرجاء في مقامات
الرجاء من قبل أنه لا يصلح لعموم المؤمنين وهو يفسد من لم يرزق(؟) فيبسط العساكر(؟) فليس يصلح
إلا للخصوص ولا يجوز به ولا يستحبه له ولا يستخرج إلا من المحبين والمحبة لا يعرفها القلب
من المداهنة وأكثر النفوس لا تصلح إلا على الخوف كعبيد السوء لا يستقيمون إلا بالسوط
والعصا ويراجعون بالتسبيب صلتنا(؟) ومن علامة محنة الرجاء في العبد كون الخوف باطنا
في رجائه لأنه لما تحقق برجاء شيء خاف فوت ما عظم المرجو في قلبه وشدة الاغتباط
به وهو لا ينفك من حال رجائه من خوف فوت الرجاء والرجاء قرين(؟) الخائفين ولذلك
سميت العرب الرجاء خوفا لأنهما وصفان لا ينفك أحدهما عن الآخر ومن مذهبهم أن الشيء
إذا كان لازما لشيء أو وصفا له أو سببا منه أن يسميه باسمه فقالوا ما لكم لا ترجون

كذا وهم يرجون ما لا يخافون وعلى مثله اللغة جاءت قول الله تعالى ما لكم لا ترجون لله
وقارا اجتمعوا على تفسير ما لكم لا تخافون لله عظمة وهو أيضا أحد وجهي تفسير قوله
فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا أي يخاف من لقائه ومثل الخوف من الرجاء مثل
اليوم من الليلة لما لم ينفك أحدهما عن الآخر جاز أن يعبر بأحدهما عن المدة فيقال ثلاثة
أيام ويقال ثلاث ليال ومنه قول الله تعالى مخبرا عن قصة زكريا آيتك ألا تكلم الناس
ثلاث ليال سويا ثم قال تعالى ثلاثة أيام إلا رمزا فلما لم يكن اليوم ينفك عن ليلته
والليلة لا تنفك عن يومها أخبر عن أحدهما بالآخر إلا أن أحدهما متصل بصاحبه وصار
كشيء واحد كذلك وإن الليل والنهار أحدهما لبسة الآخر منه ومنه لا يفترق الآخر(؟)
أحدهما بحكمة الله تعالى وقدرته لتتفاوت أحكامه فيهما وأفنن(؟) في الغالب فيهما فإذا
ظهر النهار اندرج الليل فيه بقدرة الله تعالى وإذا ظهر الليل استتر النهار فيه بحكمة
الله تعالى وهو حقيقة آية الله أحدهما في الآخر وتحقيق تكوير لأحدهما على صاحبه
وكذلك حقيقة الرجاء والخوف في معاني الملكوت إذا ظهر الخوف كان العبد خائفا
وظهرت عليه أحكام الخوف عن مشاهدة التجلي بوصف مخوف فسمي العبد خائفا
لغلبته عليه وبطن الرجاء في خوفه وإذا ظهر الرجاء كان العبد راجيا وظهرت منه أحكام
الرجاء عن مشاهدة تجلي الربوبية بوصف مرجو موصوف العبد به لأنه هو الغالب عليه
وبطن الخوف في رجائه لأنهما وصفان للإيمان كالجناحين للطائر والمؤمن بين الخوف والرجاء
كالطائر بين جناحيه وكلسان الميزان بين كفتيه ومنه قول مطرف لو وزن خوف المؤمن
ورجاؤه لاعتدلا لأن مثلا في معرفة حقيقة الرجاء وصدق الطمع في الرجوى(؟) فلم(؟) في اعتدال
الخوف والرجاء مقامات أعلاها مقام المقربين وهو ما جاء عليهم من مقام مشاهدة العبد
المخوفة والأخلاق المرجوة والثانية مقام أصحاب اليمين وهو ما خرجوا من بدائع الأحكام و
تعلوه(؟) ثم أسلم من ذلك أنه لم على الخوف بفضله عن خوفه اختبارا للإخبار فيما
أعلمهم ذلك لم يرجوا تمام النعمة من حيث ابتدأها ومن تمام مطامع الشيخ(؟) في المعنى ثم
ابتدأ بواحد للإيمان وقالوا إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين
أي من حيث جعلنا أول المؤمنين من هذا الكلام نرجو أن يغفر لنا فإن جعلنا مؤمنين
به فيرجو منه وقد ذم الله عبدا أوجده نعمة ثم سلبها فأيس من عودها عليه فقال
تعالى ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤوس كفور ثم استثنى
عباده الصابرين عليه الصالحين له فقال إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات وروي
أن لقمان قال لابنه خف الله تعالى خوفا لا تأمن فيه مكره وارجه رجاء أشد من
خوفك قال وكيف أستطيع ذلك وإنما لي قلب واحد فقال أما علمت أن المؤمن كذي
قلبين قلب يخاف به وقلب يرجو به الآخرة(؟) المعنى أن الخوف والرجاء وصفا الإيمان لا يخلو
منهما قلب مؤمن فصار فيه كذي قلبين ثم إن الخلق خلقوا على أربع طبقات في كل

طبقة طائفة فمنهم من يعيش مؤمنا ويموت مؤمنا فهي هاهنا رجاؤهم لانفسهم وغيرهم
من المؤمنين اذ قد اعطاهم فرجوا ان يتم عليهم نعمته وان لا يسلبهم بعض ما به
براهم ومن الناس من يعيش مؤمنا ويموت كافرا فهذا موقع خوفهم عليهم وعلى غيرهم
لمكان علمهم بمجمل الحكم ولغيب حكم الله عز وجل بعلمه السابق منهم ومن الكل سره
منهم ومن الناس من يعيش كافرا ويموت مؤمنا ومنهم من يعيش كافرا ويموت كافرا فهذا
ان الحكمان اوجبا جاءهم في التلاقي للمنتهى اذا راوه فلم يقطعوا بظاهره ايضا خوف
من الرجا جوما كذلك اذ يموتوا على تلك الحال الذي وان كان ثم له هو حقيقته عند
الله تبارك وتعالى بعين المؤمن لمفهوم احكام الاربعة وزن خوفه ورجاه معا فاعتدل حاله بعدلها
لاعتدال ما يعاينه به وحكم على الخلق بالظاهر ووكل الى علام الغيوب والسرائر وكم يرد على
عبيد بخلافه من الشيء بل يرجو له ما عرف من عند الله من الخير ولم يشهد لنفسه ولا لغيره بظاهر
الخير بل يخاف ان يكون فيما استتر عند الله باطن شيء الا ان حال التمام ان يخاف الحميد على نفسه
ويرجو لغيره لان ذلك هو وصف المؤمنين من قبل انهم تحققوا وتخصصوا لانفسهم ومحصوا
الظن بالناس ويرجون لهم المحاسن بسلامة الصدور وتسليم ما غاب الى من اليه مصير امورهم
ثم هم في ذلك يحسنون الظن بعفو ربهم لعجزهم لصفاته ويعرفون العلاوة عليها ولا يخافون
لهما لباطن الاشفاق منهم عليها وتخوف التزكية منهم لهم من قلب علمهم هاذا من المحبسات
وقد يحيى به حتى يحسن الظن بنفسه ويسيء الظن بغيره فيكون كما يقال الناس راغبا
لنفسه عاذرا لنفسه محتجا لها ذاما للناس ذاما لهم فهو من اخلاق المنافقين ثم ان
للراجي حالا من مقامه وللحال علامة من رجائه فمن علامات الرجا عن مشاهدة المرجو دوام
معاملة وحسن التقرب اليه وكثرة التحبب بالنوافل بحسن ظنه به وجميل امله منه وانه
يتقبل صالح ما عمل به تفضلا منه من حيث كرمه لا من حيث الواجب عليه ولا الاستحقاق منا وانه
يكفر سيء ما عمله احسانا منه ورحمة من حيث لطفه بنا وعطفه علينا لا خلافه الصفة
والطاعة خفية لا من جهة اللزوم له بل من حيث حسن الظن به كما قال بعضهم من اذنب
ذنبا فعلم ان الله قد اطلع عليه ورجا ان يغفر الله له ذنبه فان الله عز وجل يقول
قوما فقال تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم وقال في مثله وظننتم ظن السوء وكنتم قوما
بورا في تأويل خطابه ان من ظن ظنا حسنا كان من اهل النجاة وقد جاء في
الاثر من اذنب ذنبا فخاف منه ذلك غفر له ذنبه وان لم يستغفر وقام رجاء كما في المقامات
اليقين منه من حضر وفضل محض العبد في ضرائه حبه مولاه وخالقه ومعبوده ورازقه
من حيث كرمه وفضله لا من حيث نظره الى صلاته بنفسه ولومه وقد كان سهل يقول من
سال الله تعالى شيئا فنظر الى نفسه والى اعماله فانه لا يرى الاجابة حتى يكون ناظرا
الى الله تعالى وحده والى لطفه وكرمه ويكون موقنا بالاجابة ولاجل ان من سال الله تعالى
وراغبا اليه في كل شيء ورجاه ناظرا الى نفسه وعمله فانه غني فلينظر في الرجا كله لله

تعلى

تعلى لتنزله في النظر اليه فانه لم يكن خالصا لم يكن موقنا ولا يقبل الله تعالى عملا ولا دعاء
الا من موقن مخلص فاذا انتظر التوحيد ونظر الى الوحدانية فقد اخلص وايقن فقد جاء
في الخبر اذا ادعوتم فكونوا موقنين بالاجابة فان الله عز وجل لا يقبل الا من موقن
وقد لا يبقي من قلبه لان من استعمل الله عز وجل بالدعاء له فقد فتح له بابا
من العبادة وفي الخبر الدعاء مخ العبادة ولا يقبل الله تعالى من الدعاء الا الخالص
يعني المنحول وهو الخالص فاما ما يعطيه من دعا به اذ يكون له الحسنة فيه بضاعة
له الى عشر الى سبعمائة ضعف واعلاه ان يدخر له عشرة في الاخرة ما هو خير له من جميع
الدنيا وما فيها مما لم يخطر على قلبه ويكون له الحسنى ثم من الله عز وجل له واحد
واجتنبا زادا وسطا ثم له ان يصرف عنه من البلا الذي هو لو كان علمه لكان ضرعه
لهم عليه واحب اليه مما سال فيه وقد روينا ذلك عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما من داع دعا موقنا بالاجابة في غير معصية ولا قطيعة رحم الا اعطاه
الله تعالى احدى ثلاث اما ان يجيب دعوته فيما سال او يصرف عنه من سوء مثله او
يدخر له في الاخرة ما هو خير له وفي اخبار موسى صلى الله عليه وسلم يا رب ايما خلقك انت
عليه اشد سخطا فقال من لم يرض بقضائي ومن يستخيرني في الامر فاذا قضيت له كره ذلك
وفي الخبر الاخر انه قال يا رب اي الاشياء احب اليك وايها ابغض فقال احب الاشياء الي
الرضا بقضائي وابغضها الي ان تطلب نفسك ورويناه عن نبينا صلى الله عليه وسلم
انه قال للرجل الذي قال اوصني فقال لا تتهم الله في شيء قضاه عليك وفي الخبر الاخر
انه نظر الى السماء فضحك فسئل عن ذلك فقال عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن في كل قضائه
له خيرا ان قضى له بالسراء رضي وكان خيرا له وان قضى عليه بالضراء رضي وكان خيرا
له ومن حسن الظن بالله تعالى لطف التملق له وهو من قوة الطمع فيه وفي الخبر حسن
الظن بالله تعالى من حسن عبادة الله كما روينا في تفسير قوله عز وجل فتلقى ادم
من ربه كلمات ان الكلمات قوله يا رب هذا الذنب الذي اصبته كان من قبل نفسي او
شيء سبق في علمك قبل ان تخلقني فقال بل شيء سبق في علمي كتبته
عليك قال يا رب فكما قضيته علي فاغفره لي فهي الكلمات التي تلقاها الله ابانا
وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل للعبد يوم القيامة
ما منعك اذا رايت المنكر ان تنكره فان لقى الله عز وجل العبد حجته قال يا رب رجوتك
وخفت الناس قال فقد غفرته لك وفي الخبر المشهور ان رجلا كان يداين الناس فيسمح
عليهم ويتجاوز عن المعسر فلقي الله عز وجل ولم يعمل خيرا قط فقال الله عز وجل نحن
احق بذلك منه قال فغفر له برجائه وحسن ظنه ان يتجاوز عنه اذ اجتمع في فضائل الرجاء فالمقربون
منهم رجوا النصيب الاعلى من القرب والمجالسة والتخلي بمعاني الصفات كما عرفوه
وهذا لمن علمهم به واصحاب اليمين من الراجين اخذ النصيب الادون من قربه والفضل الاجزل

من عطاياه بفضله وجوده ومن الرجا انشراح الصدر بأعمال البر وسرعة السبق والمبادرة
بما خوف فوته ورجا قبوله لها ثواب ومداومة السير ومجاهدة النفس رجا اتيان الموعود
وتقربا الى الرحيم الودود ومنه قول اصدق القائلين ان الذين آمنوا والذين هاجروا
وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم
المهاجرة والمجاهدة فقال المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد نفسه في الله عز
وجل ومن الرجا كثرة التلاوة لكلام الله تعالى واقام الصلاة التي هي خدمة المعبود
وبذل المال سرا وعلانية وقليلا وكثيرا وان لا يستقل عنده لما تجارة الرابحة لما وصف
سبحانه المحققين من الراجين ان يقول ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة
وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ومن الرجا القنوت في ساعات
الليل وهو طول القيام للتهجد والدعا عند تجافي الجنوب عن المضاجع لما وقر في القلوب من
المخاوف ولذلك وصف الراجين بهذا في قوله تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما
يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فسمى اهل
الرجا والحذر المتهجدين آناء الليل علما وحصل من دليل الكلام ان من لم يخف ولم يرج فليس بعالم
لتفرقة المثل ان بينهما وهذا المحذوف خبر التبيل بامره وصفته اخر في الكلام دليل
عليه والرجا هو اول مقام من اليقين عند المتقين وهو طاهر اوصاف الصديقين ولا تكمل
في قلب عبد ولا تتحقق به صاحبه حتى تجتمع فيه هذه الاوصاف الايمان بالله والهجرة
اليه والمجاهدة فيه وتلاوة القرآن واقام الصلاة والانفاق في سبيل الله عز وجل
ثم السجود آناء الليل والقيام والحذر معه لتكمله فيه جمل صفات الراجين وهو اول احوال
الموقنين ثم تتزايد الاعمال في ذلك ظاهرا وباطنا بالجوارح والقلوب عن زيادة انوار
العلوم وهكذا اشتغلت الغيوب بالاوصاف المرجوة بفضل الخطاب ان الخوف والرجا
طريقان الى مقامين فالخوف طريق العلماء الى مقام العلم والرجا طريق العمال الى مقام
العمل وقد وصف الله تعالى الراجين مع الاعمال الصالحة لقوة رجائهم بالخوف تكملة لصدق
الرجا وتتمة لعظيم الفضيلة به فقال تعالى يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة وقال تعالى مخبرا
عنهم في حال وفاتهم واعمال برهم انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله علينا وقال يوفون بالنذر
ويخافون يوما من قبل ان الخوف ونبه بالرجا على تحقيق بالرجا لخارعة الخوف ان يقطع به
دون ما رجاه وقال اهل العربية في معنى قوله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون
ايام الله اي الذين لا يخافون عقوبات الله فاذا كان هذا اوى بالمغفرة لمن لا يرجو فكيف
يكون عفوه وفضله على من يرجوه وبعضهم يقول في معنى قوله تعالى وترجون من الله ما لا
يرجون اي تخافون منه ما لا يخافون فلولا انهما عند العلماء كشي واحد ما فسر احدهما
بالآخر ومن الرجا الانس بالله عز وجل في الخلوات ومن لا انس به لا انس بالعلما والتقرب
من الاولياء وارتفاع الوحشة بمجالسة اهل الخير وسعة الصدر والروح عندهم

ومن الرجا سهولة ثقل المعاونة على البر والتقوى لوجود حلاوة الاعمال والمسارعة اليه
والحث لاهله عليها والحزن على فوتها والفرح بدركها ومن ذلك الخبر المشهور من سرته
حسنته وساءته سيئته فهو مومن وفي الخبر الآخر خيار امتي الذين اذا احسنوا استبشروا
واذا اساؤوا استغفروا ولان المومن على يقين من امره وبصيرة من دينه والخوف والرجا
وصف المومن فالله تعالى يقول اذا عمل حسنة ايقن بثوابها لصدق الوعد وكرم الموعد
واذا عمل سيئة ايقن بالكراهة لها وخاف المقت عليها لخوف الوعيد وعظمة المتوعد
من قبل ان دخوله في الطاعة دخول في محبة الله تعالى ومرضاته لما دل العلم عليه فهذا رضا
الله تعالى في الدنيا فكيف لا يسر برضاه ومن قبل ان دخوله في المعصية دخول في غضب
الله تعالى ومكارهه بما دل العلم عليه فذلك الذي يسوءه لان مقت الله تعالى اليوم من
معاصيه وسخطه وعدا تعذيبه ومن هذا قوله تعالى ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم
انفسكم قال لما نظروا الى نفوسهم تتشوه خلقهم في النار مقتوها فنودوا لمقت
الله في الدنيا على معاصيه اكبر من مقتكم اليوم في العذاب كذلك رضاه اليوم بطاعته
كما رضاهم غدا بالنعيم في جنته وهذا وصف عبد مراد مكاشف بعلم اليقين ومن هذا
الحديث ذكر الخبر اذ قال للنبي صلى الله عليه وسلم حين سأله عن علامة الله
عز وجل فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف اصبحت فقال اصبحت احب الخير واهله
واذا قدرت على شي منه سارعت اليه وايقنت بثوابه واذا فاتني شي منه
حزنت عليه وحننت اليه فقال هذه علامة الله عز وجل فيمن يريد ولو اراده
بالاخرى لهياك لها ثم لا يبالي في اي اوديتها هلكت ومن الرجا التلذذ بدوام
حسن الاقبال والتنعم بمناجاة ذي الجلال وحسن الاصغا الى محادثة الغريب
والتلطف في التملق للحبيب وحسن الظن به في العفو الجميل ومنال الفضل الجزيل
وقال بعض العارفين للتوحيد نور وللشرك نار ونور التوحيد احرق لسيئات
الموحد من نار الشرك لحسنات المشرك ولما احتضر سليمان التيمي قال لابنه يا بني
حدثني بالرخص واذكر لي الرجا حتى القى الله عز وجل على حسن الظن به وكذلك
لما حضر الثوري الوفاة جعل العلما حوله يرجونه وحدثنا عن احمد بن حنبل ايضا
انه قال لابنه عند الموت اذكر لي الاخبار التي فيها الرجا وحسن الظن وكذلك
الرجا وحسن الظن من فواضل المقامات على طلبة العلما في آخر الوقت عند فراق
الدنيا ولقاء المولى لتكون الخاتمة به وهم يسألون الله تعالى حسن الخاتمة طول
الحياة وكذلك قيل ان الخوف افضل ما دام العبد حيا فاذا احتضر الموت فالرجا افضل
وقد كان يحيى بن معاذ يقول في مناجاته الهي اذا كان توحيد ساعة يمحو ذنوب
خمسين سنة فتوحيد خمسين سنة ماذا يصنع بالذنوب وقد قال بعضهم لا يصح الخوف
الا لاهل الرجا وقال مرة العلماء مقطوعون الا الخائفين والخائفون مقطوعون

لا راجيني وكان يجعل الرجاء مقاما في المحبة وهو عند العلماء أول مقامات المحبة ثم يعملوا في
الحب على قدر ازدياده في الرجاء وحسن الظن وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم
أحاديث في الرجاء لا ينبغي ذكرها لعموم الناس ولكن يذكر من ذلك ما فهم خلق الله تعالى
جهنم في فضل رحمته سوطا يسوق به عباده إلى الجنة وجهنم آخر يقول الله عز وجل
إنما خلقت الخلق ليربحوا علي ولم أخلقهم لأربح عليهم وفي حديث عطاء بن يسار عن
أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم ما خلق الله تعالى شيئا إلا جعل
ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه والخبر المشهور أن الله تعالى كتب به على نفسه
قبل أن يخلق الخلق أن رحمتي تغلب غضبي والأخبار المشهورة عن معاذ بن جبل وأنس
بن مالك من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه قول لا إله إلا الله لم
تمسه النار ومن لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار ولا يدخل النار من
في قلبه وزن ذرة من الإيمان وفي خبر آخر لو يعلم الكافر سعة رحمة الله تعالى ما
أيس من جنته أحد وقد قال الله سبحانه في حسن عفوه عن أكبر الكبائر بعد ظهور
الآيات ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وقال في لطيف الخطاب
لأوليائه يعرفهم نفاذ أحكامه فيهم وجريان مشيئته عليهم فإن زللتم من بعد ما جاءتكم
البينات فعفونا عن ذلك وقال في لطيف الخطاب لأوليائه يعرفهم نفاذ أحكامه
فيهم وجريان مشيئته عليهم فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله
عزيز حكيم عزيز لا يوصل إليه إلا به حكيم حكم بمشيئته على عباده ثم يغفر الذنوب
جميعا ولا يبالي كما أجرى عليهم من فضله على العالمين فقالت الكلام من قبل بظهرهم
مع تفضيله لهم إذ قالوا لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فقال أغير الله أبغيكم
إلها وهو فضلكم على العالمين وهذا المعنى عارض علي عليه السلام رأس الجالوت
لما قال له لم تلبثوا بعد نبيكم إلا ثلاثين سنة حتى ضرب بعضكم وجه بعض بالسيف
فقال له علي عليه السلام وأنتم لم تجف أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم لموسى
عليه السلام اجعل لنا إلها كما لهم آلهة وروينا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يغمهم ويفزعهم وقال في حديث آخر
بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا ولما خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو
تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم إلى الصعدات تلدمون صدوركم و
تجأرون إلى ربكم فهبط جبريل صلى الله عليه وسلم فقال إن ربك عز وجل يقول
لم تقنط عبادي فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم فرجاهم وشوقهم ولما تلى
صلى الله عليه وسلم هذه الآية إن زلزلة الساعة شيء عظيم فقال أتدرون
أي يوم هذا يوم يقال لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقال
كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحدا إلى الجنة قال

بإبليس

بإبليس القوم وجعلوا يبكون يومهم وتعطلوا عن الاشتغال والعمل فخرج عليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لكم لا تعملون وتصنعون فقال ومن يشتغل
بعمل بعد ما حدثتنا بهذا فقال كم أنتم في الأمم أين تاويل وتارس وتبت ومنسك و
يأجوج ومأجوج أمم لا يحصيها إلا الله عز وجل إنما أنتم في سائر الأمم كالشعرة ال
بيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة في ذراع الدابة وفي الخبر المشهور لو لم ت
ذنبوا لخلق الله تعالى خلقا يذنبون ليغفر لهم وفي لفظ آخر لذهب بكم وجاء بخلق
يذنبون فيغفر لهم إنه هو الغفور الرحيم إذا وصفه المغفرة والرحمة ولا بد أن يخلق
مقتضى وصفه حتى يجري وصفه عليه هذا كما يقول في علم المعرفة أن له سبحانه من
كل اسم وصفا ومن كل وصف فعلا وفي هذا سر المعرفة ومنه معرفة الخصوص وحكي
لنا معنى عن إبراهيم بن أدهم قال خلا لي الطواف ذات ليلة وكانت ليلة مظلمة
فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت يا رب اعصمني حتى لا أعصيك أبدا
فهتف بي هاتف من البيت يا إبراهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي المؤمنين
يطلبون ذلك فإذا عصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر وكان الحسن يقول لو لم يذنب المؤمن
لكان يطير طيرا ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب وفي الخبر مثله لو لم تذنبوا لخشيت
عليكم ما هو أشد من الذنوب قيل ما هو قال العجب ولعمري إن العجب من صفات النفس المتكبرة
وهو يحبط الأعمال وهو من كبائر أعمال القلوب والذنوب من أخلاق النفس الشهوانية
ولأن يبتلى العبد الشهواني ببعض شهوات من شهوات النفس خير له من أن
يبتلى بصفة من صفات النفس مثل الكبر والعجب والبغي والحسد وحب المدح وطلب
الذكر لأن هذه منها معاني صفات الربوبية ومثل أخلاق الأبالسة وجبلة كبر إ
بليس وشهوات النفس من وصف الخلقة فيها عصى آدم ربه فاجتباه بعدها وهدى

وقد قال بشر بن الحارث

سكون النفس
إلى المدح أضر عليها من المعاصي ورأى يوسف بن الحسين مخنثا فأعرض عنه ثم
أن دار عليه فالتفت إليه المخنث فقال وأنت أيضا يكفيك ما بك فتوجع من قوله
فقال وأي شيء تعلم في قال لأن عندك أنك خير مني فأعجب يوسف بقوله وتاب
واستغفر وكان بعض الراجين من العارفين إذا تلا هذه الآية آية الدين التي
في سورة البقرة فيستبشر لها ويستبشر بها ويعظم رجاؤه عندها فقيل له في ذلك إنه
ليس فيها رجاء ولا ما يوجب الاستبشار فقال بلى فيها رجاء عظيم فقيل وكيف
ذلك فقال إن الدنيا كلها قليل ورزق الإنسان فيها قليل من قليل وهذا الدين
من رزقه فعلية من قليل ثم إن الله سبحانه احتاط في ذلك ورفق التطويل في أن
وكده بشيء بالشهود والكتاب رأوا فيه الطول آية في كتابه ولو ملا تسنى ذلك لم

أنال به فكيف يكون بعد له في الآخرة الغني لا عوض لي من نفسي فيه وكذلك كان بعض
الأحبة يقول في قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قال رجوا مني
أن لا يؤاخذ بالجود والكرم والإحسان فعاملهم بما لم يحتسبوه في الربانية

وقد كان الجنيد يقول إن بدت عين من الكرم ألحقت المسيئين
بالمحسنين وعلى ذلك جاء الخبر ليغفرن الله عز وجل يوم القيامة مغفرة ما خطرت
قط على قلب أحد حتى إن إبليس ليتطاول لها رجاء أن تصيبه وفي الخبر إن لله تسعا
وتسعين رحمة ادخرها في الآخرة رحمة واحدة فهي يتراحم الخلائق بها حتى الوالدة على ولدها
وتعطف البهيمة على ولدها فإذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلى تلك التسع والتسعين
ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والأرض قال ولا يهلك على الله
تعالى إلا هالك وقد قال بعض العلماء إن الله عز وجل إنما عظم لعبد في موقف القيامة
ذنبا غفره لما الذنب لكامن عمله وقال النبي صلى الله عليه وسلم اعملوا وابشروا
واعلموا أن أحدا لن ينجيه عمله وفي الخبر الآخر ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ولا
ينجيه من النار قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة
وفضل وروي عنه صلى الله عليه وسلم أن اخبارات شفاعتي لأهل الكبائر من
أمتي إن ونيل للمنضعفين المتقين بل هي للمخلطين المتلوثين فعلم المؤمن بكرم
الله تعالى وخفي لطفه ولطيف منه لا يقعدهم عن تأميله ولا يقطعهم عن
رغائبه ولا عن حسن ظنهم به ولا يغلق عليهم الخوف فيخرجهم إلى الإياس من رحمته
لأجل علمهم بخبر نيته وكبر يديه من قبل أن الموصوف هو المحبوب بمحبته تربيتهم وزجرهم
وهيبة تربيتهم وتحببهم بخوفهم في لذاته وتعيمهم بالحب في بدايته فهم في مقام الخوف
والمحبة معتدلون وبقوة العلم بهما متمكنون وفي مشاهدة المخوف والمحبوب مست
مستغنيون وهذا مقام وصف العارفين من الموقنين وهم أهل الكمال لإيمان وصفوة
خصوص ذوي الألباب إذ قد عرفوا أن الله سبحانه كامل في صفاته يعتقدون ت
نقصان في وصف دون وصف وأن الرحمة كسعة العلم كما العلم كسعة القدرة فهما
شهدوا من وصفه بما يسمعوا من كلامه أنه كان عليما قديرا كذلك قال وسعت كل
شيء رحمة وعلما وكذلك فهموا من قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فمن خلقت جهنم
وعذابها من توسعة الرحمة من حيث لكن شيئا وقوله عز وجل فسأكتبها للذين
يتقون معناه خصوص الرحمة وصفوها لكنها إنه لا نهاية للرحمة لأنها صفة الراحم
الله جل لأجله ولأنه لم يخرج من رحمته شيء كما لم يخرج من حكمته وقدرته شيء لأن جهنم
والنار الكبرى وغيرهما ليس كنه عذابه ولا الحلية تعذيبه بمن لحق ثم كما به فلم يعرفوه ولأنه
إنما أظهر من عذابه مقدار طاقة الخلق كما أنه أظهر من ملكه ونعمه مقدار مصالح الخلق ولا ت

يصلح للخلق ولا يطيقون أكثر مما أظهر من النعيم والعذاب بل لا ينبغي لهم أن
يعرفوا أنهم ما أبدوا أن نهاية تعذيبه وتعميمه من نهاية ملكه الذي هو قائم به
ومثله عن غاية قدرته وسلطانه ولا نهاية لذلك ولا يطيق الخلق كله ذلك وذلك
أيضا عن نقص صفاته وأسمائه المتشابهات ولا سبيل إلى كشف ذلك من الغيوب فسبحان
من لا نهاية لقدرته ولا حد لعظمته ولا أمد لسلطانه وكذلك شهدوا ما سمعوا من قوله
تعالى إنه كان حليما غفورا وكان الله عليما حكيما فعلموا أن المغفرة كسعة الحلم كما الحلم
كسعة العلم فلما رأوا عظيم حلمه رجوا عظيم مغفرته ولما شهدوا واكتشف سترة أملوا جميل
عفوه وكذلك يقال إن حملة العرش صفوفا يتجاوبون بأصوات رخيمة سبحانك على
حلمك بعد علمك سبحانك على عفوك بعد قدرتك سبحانك على سترك تعرف له فيليه أجنى
من العارفين يوم من الشمع للكلام نحو على فظم عن سمو علوهم بعلائق الصفات ونحل
صاحب مقام يشهد من مقامه ويسمع من حيث شهادته وباعلا المم بشهادة الصديقين
ثم الشهداء ثم الصالحون ثم خصوص المؤمنين فيه تبارك وتعالى استكملوا عليه ومنه
فقهوا إليه منهم درجات عند الله والله بصير بما يعملون وكان سهل رحمه الله يقول ب
المحسن يعيش في سعة الرحمة والمسيء يعيش في سعة الحلم وصفاته تعالى كاملات
لمن شهدن ترجيح بعضها على بعض دخل عليه النقص من مشاهدته لقصور علمه عن تمام
علم من يوقد الشهداء ولأجل مقامه المراد به ودون طريق الحرب قتن من الأقوياء فعلامة ت
ذلك على العبد مقامه في القرب والبعد تعالى وصف المشهود عن النقصان و
والحد ومثل الرجا من الخوف مثل الرخصة في الدين من العزائم وقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم إن الله عز وجل يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه وفي
لفظ أبلغ من هذا وإن الله تعالى يحب أن يقبل رخصه كما يحب أن يؤتى معصيته
وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق
ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله عز وجل وخير الدين أيسره وقال هلك المتعمقون
هلك المتنطعون وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة
وقال أحب أن يعلم أهل الكتابين أن في ديننا سماحة وقال الله عز وجل ومن أحسن
من الله قيلا ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم واستجاب للمؤمنين
في قولهم ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا فقال قد فعلت ويقال
تعالو وكبيي أسباب قوة الرجاء في أولي الألباب كيف وقد جاء ما يغلب حكم الرجاء
غير الخبر أخبار روي عن الله سبحانه أنا إلى الرحمة والعفو أقرب مني إلى العقوبة
وفي الخبر إن الله عز وجل أوحى إلى داود وغيره من الأنبياء أحببني وأحبب من يحبني
إلى خلقي فقال يا رب هذا أحببتك وأحب من يحبك فكيف أحببك إلى خلقك فقال اذكرني
بالحسن الجميل واذكر آلائي وإحساني وذكرهم ذلك فإنهم لا يعرفون مني إلا الجميل

ورويناني أخبار

داود عليه السلام أيضا أن الله سبحانه نظر إ
ليه منتبذا وحدانيا فقال ما لك يا داود وحدانيا قال عاديت الخلق فيك قال أوما علمت
أن محبتي أن تعطف على عبادي وتأخذ عليهم بالفضل هنالك اكتبك من أوليائي و
أحبائي ولا تشتكي إلى عبدي ذنبه خيفة ولا تنسوه فإذا أتيتنا فقد أبطلته، إذ ذا أحبه
عني تلك ذلك حبيبي محمد لعنه وخالف أهل الدنيا محمد لعبده وذلك فيعلمه

وقد روينا عن نبينا صلى الله عليه وسلم

معنى ذلك حدثنا ... عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأخبرنكم عن
أقوام ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء بمنازلهم من الله عز وجل على منابر
من نور يعرفون عليها قالوا من هم قال الذين يحببون عباد الله إلى الله ويحببون الله
تعالى إلى عباده ويمشون في الأرض نصحا فقلنا هذا يحببوا الله تعالى إلى عباده فكيف يحببون
عباد الله عز وجل قال يأمرونهم بما يحب الله وينهونهم عما حرم الله عز وجل فإذا أ
طاعوهم أحبهم الله عز وجل وروينا عن علي عليه السلام في كلام له ألا إن العالم
الرباني لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم مكر الله تعالى وروي أن أبان بن
أبي عياش رئي في النوم بعد موته وكان يكثر أن يحدث الناس بالرخص وأبواب الرجاء
فقال أوقفني ربي عز وجل بين يديه فقال ما حملك على أن حدثت عني ما حدثتنا
به من الرجاء فقال فقلت يا رب أردت أن أحببك إلى خلقك قال قد غفرت لك وحدثنا
أن مالك بن دينار لقي أبانا فقال إلى كم تحدث الناس بالرخص فقال يا أبا يحيى
إني لأرجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرق له كساءك هذا من الفرح وفي
حديث ربعي بن حراش عن أخيه وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت
قال لما مات أخي سجي بثوبه وألقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واس
توى قاعدا فقال إني لقيت ربي عز وجل فحياني بروح وريحان ورب غير غضبان
وإني رأيت الأمر أيسر مما تظنون ولا تغتروا وإن محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظرني
وأصحابه حتى أرجع إليهم قال ثم طرح نفسه فكأنما كانت حصاة وقعت في طست
فحملناه ودفناه وروي يحيى بن أكثم في النوم فقيل ما فعل الله بك فقال أوقفني
بين يديه وقال يا شيخ السوء فعلت وفعلت قال فأخذني من الرعب والفزع ما
لا يعلمه إلا الله ثم قلت يا رب ما هكذا حدثت عنك فقال وما حدثت عني فقلت حدثني
عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس عن نبيك صلى الله عليه وسلم عنك أنك قلت
تباركت وتعاليت أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وقد كنت أظن بك أن
لا تعذبني فقال عز وجل صدق نبيي وصدق أنس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق

عبد الرزاق وصدقت قال فألبست خلعة والبستنا ومشى بين يدي الولدان إلى الجنة فقلت
فقلت يا لها من فرحة. وفي الخبر أن رجلا من بني إسرائيل كان يقنط الناس
ويشدد عليهم فيقول الله تعالى له يوم القيامة اليوم أؤيسك من رحمتي كما كنت تقنط
عبادي منها وفي الخبر أن رجلين تآخيا في الله عز وجل من بني إسرائيل فكان أحدهما
عابدا وكان الآخر مسرفا على نفسه وكان هذا العابد يعظه ويزجره فيقول له دعني
وربي أبعثت علي رقيبا حتى رآه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال لا يغفر الله لك فيقول
الله تعالى له يوم القيامة أتستطيع أن تحظر رحمتي على عبادي اذهب فقد غفرت
لك ثم قال للعابد وأنت فقد أوجبت لك النار قال فوالذي نفسي بيده لقد تكلم
بكلمة أهلكت دنياه وآخرته وروينا في معناه أن لصا كان يقطع الطريق في بني
إسرائيل أربعين سنة فمر عليه عيسى صلى الله عليه وسلم وخلفه عابد من
عباد بني إسرائيل من الحواريين فقال اللص في نفسه هذا نبي الله يمر وإلى جنبه
حواريه لو نزلت فكنت معهما ثالثا فنزل فجعل يريد أن يدنو من الحواري ويزدري
نفسه تعظيما للحواري ويقول في نفسه مثلي لا يمشي إلى جنب هذا العابد قال و
أحس به الحواري فقال في نفسه هذا يمشي إلى جنبي فضم نفسه وتقدم إلى
عيسى عليه السلام فمشى إلى جانبه فبقي اللص خلفه قال فأوحى الله سبحانه
إلى عيسى عليه السلام قل لهما يستأنفا العمل فقد أحبطت ما سلف من أعمالهما
أما الحواري فقد أحبطت حسناته لعجبه بنفسه وأما الآخر فقد أحبطت سيئاته
بما أزرى على نفسه فأخبرهما بذلك وضم اللص إليه في سياحته وجعله من حوارييه
وروينا عن مسروق بن الأجدع أن نبيا من الأنبياء كان ساجدا فوطئ بعض العتاة
على عنقه حتى ألزق الحصا قال فرفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه مغضبا
فقال اذهب فلن يغفر الله لك فأوحى الله تعالى إليه تتألى علي في عبادي
فإني قد غفرت له وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقنت على
المشركين ويلعنهم في صلاته فنزلت ليقطع طرفا من الذين كفروا إلى قوله ليس لك من
الأمر شيء فترك الدعاء عليهم قال وهدى الله تعالى عامتهم للإسلام وفي الأخبار
فيما يوجب الرجاء وحسن الظن أكثر من أن تجمع ولن نحصر جمعها وإنما للتنبيه قليل من
كثير ونهاية القول ذوي التبصر وقد قال سبحانه يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم
فنبه العبد مع غرته على كرمه وذلك مع جملة حسن تسوية إياه فتعرفه به ليرد له على
نعمه وروينا عن الضحاك أن العبد ليدنو من ربه تبارك وتعالى عند العرض فيقول له عبدي
أتحصي عملك فيقول لا فيقول أحصيه منه ونه ما بقيت الحافظة لك ولا شيئا
فيذكر الله تعالى جميع ذنوبه في الدنيا ساعة فساعة فيقول أتعرف عبدي فيقر بها ويندم
وذكر أنه فيقول نعم سيدي فيقول الله عز وجل أنا الذي سترتها عليك في الدنيا

فلم أجعل للذنوب رائحة تزجر منها ولم أجعل في وجوهكم شينا وإنا أعجب لك اليوم على
ما كان فيكم بالأمانة في وتنصر بغداء المرسلين ورويناه عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي عليه
السلام قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصفح الصفح
الجميل قال يا جبريل وما الصفح الجميل قال يا محمد إذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل فالله تعالى أكرم من أن يعاتب من عفا عنه
قال فبكى جبريل وبكى النبي صلى الله عليهما وسلم فبعث الله عز وجل إليهما ميكائيل
وقال ربكما يقرئكما السلام ويقول لكما كيف أعاتب من عفوت عنه هذا ما لا يشبه
كرمي ومن الرجاء شدة الشوق إلى ما سوف الله الكريم وحسن الظن التلبس في كل
ذنب بقرب الله الرحيم وأما الرجاء الذي يتوهمه جهلة الناس من الأدلة على المعاصي
والأثر بها في الخطايا وتوهم رجاء المغفرة وينتظر الكرامة فليس هذا رجاء عند العلماء
لأن الرجاء مقام من اليقين وليس هذا وصف الموقنين لكن هذا اسمه اغترار بالله عز وجل
وغفلة عن الله تعالى وجهل بأحكام الله تعالى قوم لم يجنوا مثل هذا وأصروا على حب الدنيا
والرضى بها وتمنوا المغفرة على ذلك فخلفوا والخلف الردي من الناس وتوعدهم بمشاركة
الباس في قوله عز وجل فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى
ويقولون سيغفر لنا والأخبار في حقيقة الرجاء بيد المغتر بأغتر إنما الذي يرجو
المستمر حينئذ بالسنن والنعم حسنا رأوهم في التوابين الصادقين وقرة عين
للمحبين المخلصين وسرور لأهل الكرم والحياء والروح وارتياح لذوي العصمة والوجل
يسمع بذكرهم ويستبشر عنده حبا وملما وتروح به كروبهم وترتاح إليه عقولهم فيستخرج
منه الرجاء بحيث لا هله وصاروا أجرين به كما قال عمر رضي الله عنه رحم الله صهيبا
لو لم يخف الله تعالى لم يعصه أي تبرك المعاصي للرجاء لا للخوف فصار الرجاء بعده وهو
لا يعلم الراجون حقا وهذه علامتهم ولمثل هذا وما ذكرنا لا سباب الغني توجب الرجاء
وتولد حسن الظن في قلوب أهل الصفا المعصومين من الهوى الموقنين بحسن خدمة
المولى ومن الرجاء تحسين الأخلاق مع الخلق وجميل الصبر عليهم وحسن الصفح عنهم والطيب
المدارات لهم تقربا إلى الله عز وجل بذلك وتخلقا بأخلاقه رجاء ثوابه ووصفا في تنجيز
وعده واتباعا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الرجاء ذكر آلاء المراد به وب
الشهوات المطيعة وتحبيب ذلك على الله عز وجل بتيسير الزلفى العالية فقد روينا
عن جبير عن أنس قال فقال عن شر الكفار سبحانه عز وجل يسأل النعاجين بل عليه
السلام فإذا انتهى النعاجر له ساجدا ثم يقول يا رب لم خلقت هذه لا في شيء لا في
طريق لا في شجر قال فيرم عليه عز وجل لمن أراد هوائي على هوائه ومن الرجاء أفعال
الطاعات وحسن المواقفات يتقرب بها ويسمى مولاه الكريم عظيم الرغائب وجميل المواهب
لما وهب له من حسن الظن به كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنا أسألك الله

عز وجل فأعطوا الجنة وسلوه الفردوس فإنه أعلى جنان الله عز وجل لا ينقطع نعيمها ولا
حديثه آخر ما كثروا وسلوا الدرجات العلى فإنما تسألون جواد الكريم وفي الخبر أن
رجلين كانا من العابدين فتساويا في العبادة فإذا أدخلا الجنة رفع أحدهما في
الدرجات العلا على صاحبه فيقول الآخر يا رب ما كان هذا في الدنيا بأكثر عبادة لك
مني ورفعته علي في عليين فيقول الله عز وجل إنه كان يسألني في الدنيا الدرجات
العلا وكنت أنت تسألني النجاة من النار وأعطيت كل عبد سؤاله وروينا في
الأخبار المشهورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا يخرج من النار فيوقف
بين يدي الله عز وجل فيقول له كيف وجدت مكانك فيقول يا رب شر مكان فيقول ردوه
إلى مكانه قال فيمشي ويلتفت إلى ورائه فيقول الله عز وجل إلى أي شيء تلتفت
فيقول يا رب لقد رجوت أن لا تعيدني فيها بعد إذ أخرجتني منها فيقول الله تعالى
اذهبوا به إلى الجنة فقد صار الرجاء طريقه إلى الجنة كما كان الخوف طريق صاحبه إلى النار
كما روينا أن الآخر يسحب إلى النار فلما قال ردوه قيل له في ذلك فقال لقد كنت
من وبال معصيته في الدنيا أخاف من عذابه في الآخرة فقيل اذهبوا به إلى الجنة وقال سبحانه
في وصف قوم أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته
ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا فالوسيلة إلى القرب والوسيلة الرجاء كما
طريق الخوف منه النار وهذا أحد الوجهين في الآية لأنه لم يجعله وصفا للأصنام ولا لما
قربت بالنار تزعمون وإنما ظلمة تصرفها وكذلك قرب المؤمنين أهل طلب القرب منه في قوله
عز وجل اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة فهذه جمل أحكام الرجاء وطرق الراجين
فمن تحقق بجميعها فقد استحق درجات أهل الرجاء وهو عند الله من المقربين ومن كان
فيه وصف من هذه الأوصاف فله مقام من الرجاء واعلم أن مقامات اليقين لا تزيد بعضها ولكن
يندرج بعضها في بعض فمن غلب عليه حال منها عن وجود مثل هذه وصف بما غلب عليه
واستحق ما سوى ذلك من مقامات فيه ومن عمل بشأن مقام منها وقام بحكم الله تعالى فيه
فعل الخ سواء وكان المقام الأول له علما والثاني الذي أقيم فيه له وجدا لكن الوجد لا اسم
له دعت عن العلم لأنه قد جاوزه فصار علانية والرجاء هو جند من جنود الله عز وجل
يستخرج به لأن بعض القلوب تلين وتستخرج عن مشاهدة الكرم والإحسان ويقبل
ويطمئن بمعاملة النعم والإحسان ما لا يوجد لها منها عن التخويف والترهيب بل قد يقطعه
ذلك ويوحشه إذ قد جعل الرجاء يقينا يوجد فيه قوتها ومثل الرجاء في الأحوال مثل الرواج
والغنى في الإنسان من الناس من يقبل قلبه ويجتمع همه عند ملما يوجد نشاطه ويحسن
معاملته فيها كما روينا عن الله سبحانه وتعالى أن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته
لأفسده ذلك ومن عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو استغنيته لأفسده ذلك إني أعلم بعبادي
بعلمي إني بهم عليم خبير وكذلك من عباده من لا يصلحه إلا الرجاء ولا يستقيم قلبه إلا عليه

ولا يحسن معاملته إلا بوجود حسن الظن به فحرام بعد اليقين وفاقده منه ومنه علمه به
وعنده تجد قلبه معه إلا أنه وإن كان طريقًا يخرج إلى الله عز وجل فإن الخوف أقرب منه وما
قرب فهو أعلى كما قال العلماء والعوام طريقان إلى الله عز وجل إلا أن الخوف أبعد وفي عندي
أقرب منهما وأعلى والله غالب على أمره

شَرحُ مَقَامِ الخَوفِ وَوَصفِ الخَائِفِينَ

وهو الخامس من مقامات اليقين قال الله عز وجل وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها
إلا العالمون فرفع العلم على العقل وجعل مقامًا فيه وقال سبحانه إنما يخشى الله من
عباده العلماء فجعل الخشية مقامًا للعلم حقيقة بها والخشية حال من مقامات الخوف
والخوف اسم لحقيقة التقوى والتقوى معنى جامع للعبادة وهي وصية الله للأولين
والآخرين يتبين ذلك هاهنا في المعنيين في قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين
من قبلكم لعلكم تتقون وقوله سبحانه ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم
أن اتقوا الله ومن الآية فطلب القرآن مدار عليها والتقوى سبب إضافة السنة
إليه تشريفًا له ومعنى وصله به وإكرام عباده عليه تعظيمًا له وقال في هدي المتقين
لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال إن أكرمكم عند الله أتقاكم
وفي الخبر إذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع
أقصاهم كما يسمع أدناهم فيقول يا أيها الناس إني قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى
يومكم هذا فأنصتوا إلي اليوم فإنما هي أعمالكم ترد عليكم أيها الناس إني جعلت
نسبًا وجعلتم نسبًا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت إن أكرمكم عند الله أتقاكم
وأبيتم إلا فلان بن فلان أغنى من فلان فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي أين المتقون
قال فينصب للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم إلى منازلهم فيدخلوا الجنة بغير حساب
والخوف حال من مقامات العلم وقد جمع الله تعالى للخائفين ما فرقه على المؤمنين وهو
الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهذه جمل مقامات أهل الجنان فقال تعالى هدى
ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال إنما يخشى الله من عباده العلماء وقال رضي الله
عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وفي خبر موسى صلى الله عليه وسلم وأما
الخائفون فإن لهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه فأفردهم بغير مشاركة بالرفيق الأعلى
كما حققهم اليوم بشهادة التصديق وهذا مقام من النبوة لأنهم مع الأنبياء في
الرتبة من قبل أنهم ورثة الأنبياء لأنهم العلماء قال تعالى فأولئك مع الذين أنعم الله
عليهم من النبيين ثم قال في اجتماع منازلهم وحسن أولئك رفيقا فما يكون رفيقًا بمعنى
رفقاء عبر عن جماعتهم بالواحد لأنهم كأنهم واحد وقد يكون رفيقًا مقامًا في الجنة من

علم اليقين يقول الرسول صلى الله عليه وسلم عند موته وقد خير بين البقاء في الدنيا
وبين القدوم على الله فقال أسأل الرفيق الأعلى ثم جاء في خبر موسى صلى الله عليه وسلم
فأولئك لهم الرفيق الأعلى فدل أنهم مع الأنبياء بتسمية النبي صلى الله عليه وسلم لتلك ورد
وشرف مقامهم فوق كل مقام لطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فالخوف اسم جامع
لحقيقة الإيمان وهو علم لوجود الإيمان وهو سبب اجتناب كل نهي ومفتاح كل أمر وليس
يحرق شهوات النفوس ويزيل آثارها إلا مقام الخوف وقال أبو محمد سهل كمال الإيمان
بالعقل وكمال العلم بالخوف وقال مرة العلم كسب الإيمان والخوف كسب المعرفة وقال البعض
البعيد المرئي لا يسقى المحب كأس المحبة إلا من بعد أن ينضج الخوف قلبه وقال خوف النار
عند خوف الفراق كقطرة من بحر لجي وكل مؤمن بالله تعالى خائف منه ولكن خوفهم
على قدر قربه فخوف الإسلام اعتقاد القدرة والحب لله تعالى وتسليم القدرة والشهوة
له والتصديق بما أخبر به من عذابه ولما توعد به من عقابه وقال الفضيل بن عياض إذا
قيل لك تخاف الله فاسكت فإنك إن قلت لا كفرت وإن قلت نعم فليس وصفك وصف
من يخاف وتشكى واعجبني في بعض الحكماء فقال لا نزى هو اعلم وأنه لم يكن يقول
يقال وكيف ينتفع بالموعظة من لم يكن في قلبه من الله تعالى مخافة وقد قال سبحانه في
تصديق ذلك سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى فيجنبها التذكرة الشقي بجهل
من عدم الخوف شقيه لوجود التذكرة بخوف عموم المؤمنين بظاهر القلب عن ظاهر العلم
بالعقل وخوف خصوص الموقنين عن مشاهدة ما أريد من الصفات المخوفة وقد جاء في
في الخوف الحق إذا دخل العبد في قبره لم يبق شيء كان يخافه دون الله عز وجل إلا مثل له
يروعه إلى يوم القيامة فأما خوف اليقين الموصوف الذي هو نعت الموقنين فهي
المؤمنين المحاسبة للنفس في كل وقت والمراقبة للرقيب في كل حين والورع عن الإقدام
على الشبهات من كل شيء من المعلوم بغير تعين لها ومن الأعمال بغير فقه فيها وفي خبر
موسى عليه السلام وأما الورعون فإنه لا يبقى أحد إلا ناقشته الحساب وفتشته
عما في يديه إلا الورعين فإني أستحييهم وأجلهم أن أوقفهم للحساب والورع حال من الخوف ثم
كف الجوارح عن الشبهات ودخول الحلال من كل شيء بخشوع قلب ووجود إخبات وقال
علي عليه السلام ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع
عن المحرمات ثم يبقى اللسان وحزن الكلام أن لا يدخل فيه بين الله عز وجل ولا في العلم ما
لم يتم علمه الله تعالى في كتابه ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته ولم ينطق
به الأئمة من السلف في سيرهم مما لم يكن أصله موجودًا في الكتاب والسنة وتسميته والحكمة
في العلم فيجتنب ذلك كله ولا يقفو ما ليس له به علم خوفًا من المسائلة عنه ولا يدخل
فيه لرفيق هوى يدخل عليه ولا العظيم حاله تدليل ... وأن ينصح نفسه لله تعالى ثم لأهل
أولى الخلق ثم ينصح الخلق في الله فيشير بالنصح في أمر الدين والإسلام ثم يعقبه في

لأسباب الدنيا لأن أمور الدين والآخرة أملى والعيش في الدنيا أعظم والنزوع للمنقلب إذ **ورُوِّينا**
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غش أمتي فعليه لعنة الله قلنا وما غش
أمتك قال أن يبتدع لهم بدعة يتبع عليها فإذا أوقفهم فقد غشهم ومنه الخوف العظيم
بالله عز وجل والحياء من الله وهو أعلى مقامات أهل اليقين ليستحيي أحكام ذلك لمن
يستحيي مما جهله العبد أن يجمع رأسه وما حواه من السمع والبصر واللسان ويحفظ
بطنه وما وعاه وهو القلب والفرج واليد والرجل وهذا خوف العموم وهو أول الحياء وأما
خوف الخصوص فهو أن لا يجمع ما لا يأكل ولا يسكن ما لا يسكن ولا يكون فيما عنه ينتقل ولا
يغفل ولا يؤثر عما إليه ينقل وهذا هو الزهد وهو حياء أهل من بعد الحياء من في الحجاب
اليقين **وقد** روينا معنى ما ذكرناه في حديثين أحدهما علم والآخر خاص ولكل من المؤمن
يستعمل قلبه في رعايته ويجعل الخوف مشعرا داخله لم يحجب في خاتمته ولم يكن إلا أهل
للمتقين عند علو معرفته وأعلى الخوف أن يكون قلبه معلقا بخوف الخاتمة لا يسكن
إلى علم ولا عمل ولا يقطع على النجاة بشيء من المعلوم وإن علت ولا بسبب من الأعمال
وإن علت ولا بسبب من الأعمال وإن حلت لعلمه بتحقيق الخواتيم وبقدر قبل المقادير الذي برزت من
الأعمال [illegible] وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة
خمسين سنة حتى يقال إنه من أهل الجنة وفي خبر حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر
ثم يسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار ولا ينال في هذا المقدار من الوقت شيء
من عمل الجسم بالجوارح إنما هو من أعمال القلوب بمشاهدة العقول وهو شرك التوحيد الذي
لم يكن فيه تحقق به وشك في اليقين الذي لم يكن في الحياة مشاهدة له ظهر له بيانه ذلك
عند كشف الغطاء فغلب عليه وصفه وبرز به حاله كما يكشف له أعماله السيئة ف
يستحلها قلبه أو ينطق بها لسانه أو يجازيها وحده فتكون هي خاتمته الشقي
فخرج عليها روحه وذلك هو سابق نعته النبي سبقت من الكتاب كما قال تعالى أولئك ينالهم
نصيبهم من الكتاب تكون عند مطالعة الروح الجسد وإنما لموفوهم نصيبهم غير منقوص
وهذا في الخبر حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا مقدار فواق ناقة فيختم له بعمل أهل النار
وهذا يكون عند بلوغ الروح التراقي ويكون التنفس من خروجها من جميع الجسد واجتماعها
في القلب إلى الحلقوم وهذا هو نفس وفواق ناقة هو ما بين الحلبتين وقيل هو شرك
من عرفها بين شيئين وهذا من تقليبات القلوب عن حقيقة وجهة التوحيد إلى وجهة
الضلال والشك عند ما يبدو له من زوال عقل الرشيد وذهاب علم المعقول فيبدو
له من الله ما لم يكن يحتسب والثمرة ما يقع من سوء الخاتمة ثلاث طوائف من الناس
أهل البدع والزيغ في الدين لأن الجاهلين ينقلب بالمعقول فإذا أوقفهم الملك نظر لهم من
من قدرة الله تعالى أذهب عقله عند معاينة فيذهب إيمانه ولا يثبت شهادته كما
تحرق الفتيلة بنسف المصباح والطائفة الثانية أهل الكبر ولا تكاد إلى أن

الاعمال خواتيمها صح

الله

الله عز وجل وكرامته ولا ليلة في حيوة الدنيا لأنهم لم يكن لهم يقين يحمل الغرة ويبدو إلى الإيمان
بحقهم وثم الشك ويغرق عليهم لفقد اليقين والطبقة الثالثة ثلاثة أصناف منهم قوم
منعلو وتوبتي سوء الخاتمة وجميعهم هم من ينبذ الطالبين في سوء الخاتمة لأن سوء
الخاتمة على مقامات أيضا كمقامات اليقين والشك في عمر الحيوة منهم المدعي المصر
المتظاهر الكريم لم يزل إلى ذبيحه وعمله فلا ترى العاشق المعلق والمصر المحرمين يتصل
بهم المعاصي إلى آخر العمر ويذوق تغليبهم حيث لا كشف الغطاء إذا رأوا الآيات
تابوا إلى الله عز وجل بقلوبهم وقد انقطعت أعمال الجوارح وليس بيدي منهم فلا
يقبل توبتهم ولا يقال أعذرتهم ولأن حجم عنهم بهم في أهل هذا الآية وليست التوبة
للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن وهم مقصودون
بقوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون ومعنيون بقوله عز وجل فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا
بالله وهي مخصوصة الآية للكافرين ومعناها ومقامها متصل لأهل الكبائر ومن في الأضرار
من الفاسقين الزائغين من حيث اشتملوا في سوء الخاتمة ثم تنقلوا في مقامات منها
تكشف لهم شهوات معاصيهم ويعاد عليهم بذكرها فتخلو قلوبهم من الزهد والخوف حتى
يختم لهم بمشاهدتها فهذه الأسباب تجلب الخوف وتقطع قلوب ذوي الألباب

وقد كان أبو محمد يقول المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصي والعارف
يخاف أن يبتلى بالكفر وكذلك قال أبو يزيد فلبيه إذا توجهت إلى المسجد كأن في وسطي
زنارا أخاف أن يذهب بي إلى البيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد فيقطع عني إن كان ربي
في كل يوم خمس مرات هذا العلم بسرعة تقلب القلوب في قدرة الغيوب وروينا معنى
ذلك عن عيسى عليه السلام أنه قال يا معشر الحواريين أنتم تخافون المعاصي ونحن معشر
الأنبياء نخاف الكفر وقد روينا في أخبار الأنبياء أن نبيا شكى إلى الله تعالى الجوع
الجوع والقمل والعري سنين وكان لباسه الصوف فأوحى الله عز وجل إليه عبدي
أما رضيت أن عصمت قلبك أن تكفر بي حتى تسألني الدنيا فأخذ التراب فوضعه على رأسه
وقال بلى قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر فلم يزل له نعمته عليه بنبوته وعرضه
للكفر وجوزه قوله عليه بعد النبوة فما عرف النبي صلى الله عليه وسلم يزل له رضي
به واستعصم وكان عبد الواحد بن زيد إمام الزاهدين يقول ما صدق خائف ظلمه وما لحق
أنه يدخل النار إلا كان أن لا يخرج منها أبدا وقد قال الحسن البصري إمام العلماء فيهم
يخرج من النار رجل بعد ألف عام وبالدنيا لبيتني لذا الرجل هذا الشمرة خوفه من الخلود في
الأبدية قال بعد أن أخرج منها يوم لا أبالي والعدو يدخل على العارفين من طريق الأ
الكلام في التوحيد والتشبيه في البغض والوسوسة في صفات الذات ويدخل على المريدين
من طريق الآفات بالزلة فكان خوف العارفين أعظم من قبل أن العدو يدخل على كل عبد من

من معنى محنة فيشككه في اليقين كما يزين له الشهوات فأرواح الصديقين معلقة ب
بالسابقة فإذا سبق لهم من الكلمة هنا شاهدتهم ومن ثم فرقهم لا يدرون أسبق لهم
قدم صدق عند ربهم فيغتنم لهم فيقعد صدق فيكونوا ممن قال الله عز وجل إن الذين سبقت
لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ويخافون أن يكونوا ممن حقت عليهم الكلمة ف
فيكونوا ممن قال الرسول صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه هؤلاء في النار ولا أبالي
بلا شفعهم شفاعة شافع ولا ينقذهم منها التذكرة أي كما قال من هم الحق الذين حقت عليه
كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار وكقوله تعالى ولكن حق القول مني لأملأن جهنم
فيري لأبي ومعناه التخويف ولمن لا يبصر وقال علماؤنا في قوله تعالى وإياي فاتقون
عموم أي فيما نبينه عنه قوله وإياي فارهبون أي في السابقة وهذا خصوص وقد خرج في
بعض العارفين خوف المؤمنين على مقامين فقال قلوب الأبرار معلقة بالخاتمة
يقولون ليت شعري ماذا يختم لنا به وقلوب المقربين معلقة بالسابقة يقولون
ترى ماذا سبق لنا منه ومن ذلك أن المقامات عن مشاهدين أحدهما أعلى وأنعز من الأخرى
كما ذكر أحدهما الذم والحمد فهذا كما قيل ذنوب المقربين حسنات الأبرار فيما يعيبه
الأبرار فهو عندهم فضائل قد زهد فيه المقربون فهو عندهم محجوب ومن حقت عليه كلمة
العذاب وسبق له من مولاه ولا الختم بسوء الخاتمة لم ينفعه شيء وهو يعمل في نظر النب
لا أجر له ولا عاقبة من قبل أن سوء الخاتمة قد يكون في وسط العمر ولا ينتفع بعده آخر
يوافق مع صحبته يكون سببها الخاتمة إنما هي سبق العمل سواء فالخاتمة
خفيفة ملخصة والوقتات وإن تقدم إليه بعد فهو داء فأعماله بعد ذلك إلا النقطة
لا جلاء وانتهت لأعماله فلما هي في الابتداء مجلي في دار البعد فبهذا الحد قال الحكيم

من غص داوى بشرب الماء غصته ... فكيف يصنع من قد غص بالماء
بل كيف يصنع من أرضاه مالكه ... فليس ينفعه طب الأطباء

وقد روينا في الخبر أن الله لا يقبل من مبتدع عملا لأنه رد على الله
سنته ورد الله تعالى عليه عمله كلما ازداد اجتهادا ازداد من الله بعدا وعن هذه
المشاهدة كان خوف الحسن البصري رحمه الله لعلمه أنه لا يبالي في ما فعل بوصف الجبرية
مخافة أن يقع في زلة الجبار لا أن يجعله نكالا لأهل طبقته وموعظة لأصحابه فقال
إنه ما جاوز أربعين سنة وكنا إذا رأيناه قد عرا كأنه أسير قدم ليضرب عنقه وإذا
تكلم كأنه يعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدته وإذا سكت كأن النار بين عينيه
وعوتب في شدة حزنه فقال ما يؤمنني أن يكون قد اطلع علي في بعض ما يكره
فمقتني فقال اذهب فلا غفرت لك فأنا أعمل في غير معمل فنحن أحق جهدا من الحسن
رحمه الله ولكن ليس الخوف يكون لكثرة الذنوب ولو كان كذلك لكنا أكثر خوفا منه
إنما يكون لصفاء القلب منها وشدة التعظيم لله تعالى وقد يتم العلا بزيادة العرفة

بالجنة وكان من العباد ما أغلق عليه بابه سبعا ولم يذق طعاما وجعل يبكي
ويقول أنا في غصة طويلة حتى دخل عليه الحسن فجعل يعذله في شدة خوفه وكثرة
بكائه وقال يا أخي من أهل الجنة إن شاء الله أفأنت تقتل نفسك فما لحقه رجل يعذله في
الحسن في الخوف وقد كان من فوقهم من علية الصحابة يتمنون أنهم لم يخلقوا بشرا إذ
وقد كان بشر وأبى الجنة في فتنة أي غير خصم من ذلك قول أبي بكر الصديق رضي
الله عنه ليتني خضرة تأكلني البهائم وأني لم أخلق بشرا وقول عمر رضي الله عنه وددت
أني أكون كبشا فذبحني أهلي لضيفهم وقول طلحة كذلك وددت أني لم أخلق وأبو ذر رحمه
الله يقول وددت أني شجرة تعضد وعثمان رضي الله عنه يقول وددت أني إذا مت
لم أبعث وعائشة رضي الله عنها تقول وددت أني كنت حيضة ونسيا منسيا
وابن مسعود رضي الله عنه يقول ليتني أكون رمادا وفي رواية ليتني كنت بعرة
ليتني لم أكن شيئا في طبقة تكثر عددهم ونحن في ارتكاب الكبائر نحزن ونعتد سنلحق
بالدرجات العلى والقرب من سدرة المنتهى ونسينا أن أبانا آدم صلى الله عليه
وسلم أخرج من الجنة بعد أن دخلها بذنب واحد ونحن لم نزل بعد ما نذنب في جهد بعد
بلادة وقد روينا في خبر أن رجلا من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنيئا لك عصفور
من عصافير الجنة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت في سبيل الله
عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا ينفعه
ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر بمثل هذه القصة أنه دخل على بعض أصحابه وهو عليل
يسمع أمه تقول هنيئا لك الجنة فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتألية على الله
عز وجل فقال الرجل هي أمي يا رسول الله فقال ما يدريك لعل فلانا كان يتكلم
بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وروينا مثل هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى
على طفل منفوس وفي رواية أنه سمع يقول في دعائه اللهم قه عذاب القبر وعذاب
النار وفي رواية ثانية أنه سمع قائلة تقول هنيئا لك عصفور من عصافير
الجنة فغضب وقال وما يدريك أنه كذلك والله إني رسول الله وما أدري ما يصنع
بي إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا لا يزاد فيهم
ولا ينقص منهم وقد قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة عثمان بن مظعون
وكان من المهاجرين الأولين ومن الشهداء لما مات قالت له ذلك أم سلمة وكانت أم
سلمة تقول والله لا أزكي أحدا ولا أبدا الزكي ولذلك قال بتاركة الشفعة فإذا خذ يزكي
من فضائل علي وما قيل فيه من هذه المعاني أحزنت قلوب الخائفين ولعلهم في البعد في
لا بعد الزكي بشيب الحبيب القريب في قوله صلى الله عليه وسلم شيبتني هود
وأخواتها سورة الواقعة وإذا الشمس كورت وعم يتساءلون لأن في سورة هود
ألا بعدا لثمود ألا بعدا لعاد ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وفي سورة الواقعة ليس

لو فعلنا كاذبة اي وقعت السابقة بمن سبقت له الباقية وحقت الحاقة لمن حقت عليه ابعا فة ما خفضة رافعة خفضت قوما في الاخرة كانوا مرتفعين في الدنيا حتى لظهرت المخفا بي وكشف عواقب المخلا بين اي اسفل سافلين واما سورة التكوير ففيها احوال المصير وهي صفة القيامة لمن تغى وفيها تجلى معاني الغضب لمن علا . اخر تأول واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت هذا مثل الخطاب اي عند تسعير النيران واقتراب الجنان حينئذ تتبين النفس ما احضرت هذا مثل الخطاب اي عند تسعير النيران واقتراب الجنان حينئذ تتبين النفس ما احضرت من شيء يصلح له الجحيم او شيء يصلح للنعيم ويعلم ان ذلك اي من اي اهل الدارين يكون وفي اي المنزلتين يحل وكم من قلوب قد تقطعت حسرات على الابعاد من الجنان بعد ان قد اشرفت وكم من نفوس تقطعت زفرات عن يقينها بملابسة النيران انها نصيبها وكم من ابصار ذليلة خاشعة لمشاهدة الاهوال وكم من عقول طائشة بمعاينة الزلزال

وحدثت عن ابي محمد سهل رحمه الله قال رايت كاني ادخلت الجنة فلقيت بها ثلاثمائة نبي فسالتهم ما اخوف ما كنتم تخافون في الدنيا فقالوا سوء الخاتمة والخاتمة هي من مكر الله تعالى الذي لا يوصف ولا يعطى له ولا عليه يوقف ولا مناسبة المكر لان مشيئته واحكامه لا غاية لها ومن ذلك الخبر المشهور ان النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل بكيا خوفا من الله عز وجل فاوحى اليهما لم تبكيان وقد امنتكما فقالا ومن يامن مكرك فلولا انهما علما ان مكره لا مناسبة له لان حكمه لا غاية له لم يقولا ومن يامن مكرك مع قوله قد امنتكما ولكان قد انتهى مكره بقوله ولكانا قد وقفا على اخر مكره ولكن خافا من بقية المكر الذي هو غيب عنهما وعلما انهما لا يقفان على كنه غيب الله عز وجل اذ هو علام الغيوب ولا نهاية لعلامه في علم ولا غاية للغيوب في وصف فلم يحكم عليهما القول لعنايته بهما وفضل نظره لهما على ان يرضى معرفة الصفات اذ المكر من الوصف واظهار القول لا يقضي على باطن الوصف لانهما خافا ان يكون قوله عز وجل قد امنتكما مكرا في مكر لانه ابطن بالقول على وصف مخصوص من حكمة فلا استثناء يعلمه فخشيا بذلك حالهما وينبغي كيف يعلمان تغير امنه لهما بسبب اذ لا يبلغ وصفه من قبل ان اسمه بلا تبدل يقتضي وصف لتحقيق اسمه ولا تبدل سنته التي خلت في عباده كما اخبر خليله لما ادراه المنجنيق في الهوى فقال حسبي الله فعارضه جبريل في مقال الاهلية فقال لا وقابله بقوله حسبي الله وصدق القول بالعمل فقال الله تعالى وابراهيم الذي وفى اي بقوله حسبي الله جل وعز لما دخل تحت الاحكام وكان بل فيما اخشى به على الافلاك صرفه سبحانه ولا يجوز ان يوصف بضد الصدق وان يبدل الكلم من قبله بل منه لان كلامه قديم لا يبدل ان يبدل منه بدعا شاء بما شاء وهو الصادق في

الكلام بين العلام اي الحكيم الحاكم في الحالين لانه حاكم عليه ولا حاكم يلزمه فيه لانه قد جاوز العلوم والعقول التي هي اماكن للحدود من الاوهام والتمييز وجاز الرسوم والمعقول التي هي اوانسه الاحكام والاقدار وفي مشاهدة ما ذكرناه علوم يقين من علوم التوحيد ومقام رفيع من احوال الموحد ويمثل هذا المعنى وصف صفيه موسى صلى الله عليه وسلم في قوله فاوجس في نفسه خيفة موسى بعد قوله لا تخافا انني معكما فلم يامن موسى ان يكون قد اسر عنده في غيبه واستثنى في نفسه سبحانه ما لم يظهره لحد في العقول لمعرفة موسى عليه السلام بخفي المكر وباطن الوصف ولعلمه انه لم يعطه اذ هو محكوم عليه فهو مجاز خوفا فلما بينا حتى اقمنا اثبتنا بينا لحكمنا اني لا تخف انك انت الاعلى فاطمان اذ الغالب فلم يسكن الى الاظهار ولا العقل بسعة علمه انه هو علام الغيوب التي لا نهاية لها ولان القول احكام والحاكم لا يحكم عليه الاحكام كما لا تعود عليه الاحكام وانما تنفصل الاحكام من الحاكم العلم ثم تعود على المحكومات ابدا ولانه صفات قدرته لا تدان صد ما اللازم الخلق الذي يجب الحكم ولا يدخل تحت معيار العقل والعلم تعالى عن ذلك علوا كبيرا اعتبر من عرفه باجلاله وعظمه عن معارضه من جهله

ومن هذا قول عيسى عليه السلام

ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك لما قال له انت قلت للناس ومثل هذا قوله يوم القيامة ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت فجعلهم في مشيئته وحكمته ولا يصلح ان يكشف خفيه فقد ما وصلنا في كتابنا ولا ينبغي ان يرسم ما رمزناه من الخطاب خشية الانكار وكراهة تفاوت علم اهل المعقول والمعيار لا ان يسال عنه من انبيه وارتيابه من ذوي القوة والابصار بينها فقلت من قلب الى قلب فيجتنبه يتلوه شاهد منه ويكشف علام الغيوب في سرائر القلوب يوحي الكلام ويقذف به نور الهدى لا علام والله المرجو ما امسك من اوليائه المحبوطة بشيء من علمه الا بما شاء يتولاه وهو القيام العليم اذا فتح القلب علمه واذا نور باليقين الهمه ومتى خوف العارفين علمهم فان الله تعالى يخوف عباده لمن يشاء من عباده بمن يشاء من عباده لا علينا يجعلهم تكرار الكلام بين ويخوف العموم من خلقه بالتشكيك ببعض الخصوص من عباده حكمة له وعلما منه فعندنا ما يعني في علمهم ان الله جل قد اخرج طائفة من الصالحين نكالا خوف بهم المومنين ونكل به طائفة من الشاهدين اخوف بهم الصالحين واخرج جماعة من الصديقين خوف بهم الشهداء والله اعلم بالمراد ذلكه ومن رويناه في بعض تفسير قوله تعالى . اتيناه . اياتنا فانسلخ منها فقال بعض اهل التفسير في اخبار بلعم بن باعوراء انه اوتي النبوة والمشهور انه اوتي الاسم الاكبر فكان له نسبت ملائكة

وقد اخرج جماعة من الملائكة وعلى بهم الغيبين وخوف بهم الملائكة المقربين بطرائق
اهل كل مقام عن مقامهم ومواقعهم وموعظة لمن فوقهم وتخويف وتهديد لا محالهم وهذا لاهل
في وصف من اوصافه وهو من المبدلات في الطريق من العلوم والاعمال لم يستبين عنده لحد،
احد من اهل المقامات في مقام ولا نقل احد من اهل المقامات في مقام ولا نقل احد من
اهل الاحوال الى حال ولا امن مكر الله عز وجل عالم به في كل حال كيف وقد سمعوه
يقول عز وجل ان عذاب ربهم غير مأمون فاجهل الناس من امن غير مأمون واعلمهم
من خاف في الامر حتى يخرج من دار الخوف الى مقام الامن وهذا خوف لا يقوم له شيء
ولا يب للابرار فيه مقام ولا يحمل لولا ان الله تعالى عز له بالرجاء لا فرج الى القنوط
ولولا انه روحهم بروح الانس بحسن الظن لا دخلهم الياس ولكن اذا كان هذا المعول
وهذا المروح كيف لا يعتدل الخوف والرجاء ولم لا يمتزج الكرب بالروح والرضا حكمة بالعدل
وحكم نافذ لعلم سابق وقد رجا حقيقته ما شاء الله لا قوة الا بالله

وفي شهود ما ذكرناه

علم من مشاهدة توحيد لمن اشهده، فان قيل ما تعبير علم هذا الخوف يعني من النظر
الى اعمالهم ورفع السكون الى علومهم وصرف الافتقار في كل حال ودوام الانقطاع
بكل همهم والازراء على النفس في كل وصف وحد مقامات تقوم فيكون هذا الخوف سبب
نجاتهم من هلاكه، الوقار بين الامر جعل الله تعالى الخوف امتحانا لا غريا للمعلجات وسببا
للرأفة والرحمة لمن المصيبة ايد، وهو احد الوجهين في قوله افأمن الذين مكروا السيئات
ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم العذاب ثم قال او يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤوف
رحيم وليس يصلح ايضا ان يكشف كنه المخاوف من الخاتمة والسابقة لان ذلك يكون عن
حقيقة الذات ما ظهرت بدائع الافعال وغرائب الاحوال واعادات الاحكام على من اظهر
بها وجعل لها من حقت عليه الكلمات وجعل تصيبه من معاني هذه الاسماء من
الصفات فيؤدي ذلك منا الى كشف باطن الاوصاف وهو من سر القدر وقد نهى عن
افشائه في غير خبر ولولا يطلع الاولياء عليه لما قبلوا ولا تعيشوا وكان غير مأمور
بدولا ماذون فيه لانه الحجب فلا يوم بدو لانه لم يأت فلم يؤذن فيه فان اقدام الله
عز وجل غير اقدام هذه المشاهدة اعني بالمعاينة عن الخبر والنص بالمجاهدة عن
هو العلم التام الذي يكون العلماء معلمه وهو الامن اللازم الذي يكون الجاهل مورده و
والكتاب الذي الا من نور والمزيد الذي لا ينقطع انه هو من روحه كما قال
كتب وايدوكم كتب وايد وكل كتب بغير مخلوق فغير مجعول وقد يضيع كل ايد بغير
روحه لمقطوع وما كتبه الصانع يصنعه في قلب حبيبه لمثبتة غير **وقد**
روينا عن زيد بن اسلم في قوله تعالى في لوح محفوظ قال قلب المؤمن وكان ابو

محمد يقول الصدر هو الكرسي والقلب هو العرش والله سبحانه عليه ومن يتق الله يجعل
له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ولا يجعل العلماء ايضا
كشف علامات حلية عند المكاشفين بما وراء له عند العارفين حقيقة السوابق بهم
عليهما ولكنها من سر المعبود في العباد وخبايا خزائن الغيوب لم يطلع عليها الا
الامراء وقد سئل ذلك وعطاء سبعة رحمة وحلم وكتيب سنة وفضله وسيجزيهم له
الخير يوم تبلى السرائر عند غيبه وعلمهم سيطونه بما له من قوة من عمل ولا تناصر
من علم لا قوة له فيستوي بها والناصر هو الخاذل بما اسوء حال من لا يثق بنفسه وليست
له من مولاه محبة ولا محبه لنفسه كما قال لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون
وقد قال انزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما لمن حكمته
عفوه ومن رحمته سنة، وقال يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون
فهذه العلوم التي ذكرناها توجب حقائق المخاوف وهي من سر الملك وخبايا الملكوت
على ان للعبد عند الموت علامات ليس تخفى على العارف بسوء الخاتمة بها المشاهدة
بها والاحياء علامات عند المكاشفين على الاطلاع يعرفون بها سوء الخاتمة منهم
وهذا علم مخصوص به من اقيم مقامات المكاشفات عند مشاهدة حقيقة من ذات وهو
من علام الغيوب بعد من اطلعه عليه من اهل القلوب لان المكشوف ينبوع انواع من
المعاني فمنه كشف معاني الاخبار ومنه كشف بواطن الاشياء المستورة بظواهر من
الاحكام فهذا من سر الملكوت ومن معاني كشوف الجبروت **وقد جاء في الخبر**
القدر من سر الله تعالى فلا يفشوه فهذا خطاب لمن كوشف به وجاء في الخبر الآخر به وهذا
نهي عن السؤال عنه وهو داخل في قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم اي لا تتبع نفسك
علم ما لم تكلف ولا تشتغل بما لم تجعل من علمه ولم يوكل اليك ولكن الحكمة لم يبعث علمه
سبيلا والذي يبعث علمه الاحكام والاسباب لا تعاطي ذات وجعل المخاطبة المؤمنين خاطب
انبياء في هذا المعنى في قوله عز وجل لنوح صلى الله عليه وسلم حين قال ان ابني من
اهلي وان وعدك الحق لانه قد كان وعده نجاة اهله فقال سبحانه انه ليس من اهلك انه
عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم اي لا علم لك به وستعلمه في ما لم اجعله من علمك
ولم الكله اليك عمل غير صالح فعندها استغفر ربه واسترحمه وان العبد عند موته في آخر
ساعة من عمره يكشف له عند كشف الغطاء من يوم اوجه تيقن من هذا الحزن اللهم من دون
الله او اشرك بهما مع الله وكلما قد يبين وعند زوال وفقد العقل مع احدهما او زين له بعض
او تقلب قلبه في شيء منها عند الاحتضار نسيه ختم له بها فخرجت روحه على الشك او في
الشرك وهذا هو سوء الخاتمة وهو نصيب العبد من الكتاب في السابقة عند خلوها لا رواح
معروفة لها في الاشباح في الابدان والازمان قبل الخطاب للاكوان والاحوال ولا يشهدنها الارواح
تشابه عزورا وهم فيعنا وحملها وقد وردت لهما زودها مسوء القلوب في التخطيط قبل خلقها

الاجسام لنا وقيل يحجب بكشف الحجاب عند ظهور تمام الوجود وقيل اذا قمنا بشواهد العقل
لكن نشاهد الدار لبقية بدن وتعني القيومية وبدن ويوصف الجلال مع جمعنا [illegible] فهنا مما
بلطف [illegible] عند العراق بل كانت نشرت في التلاق واعتبرنا في الاخرة بل كانت نطفنا
في الدار وخرجت الروح على ما نشرت وهذا كان حين الشهادة فقد التبع الحركة الارواح
في الاجسام عند الخاتمة ومن ذلك جاء في الاثر يوقف ملك الارواح المنطوقة في بدن فيقول
يا رب اذكر او انثى اسوي ام معوج ما رزقه ما عمله ما اثره فاطلعه ثم يخلق الله على
بدن ما شاء فاذا صوره قال يا رب اشقي ام سعيد بالشهادة او بالشقاوة ولذلك خرجت
الروح فاذا خلتنا بدءا قالوا من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب
اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم
وتصلية جحيم كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة كما بدأنا
اول خلق نعيده ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الا الذين حقت عليهم كلمة ربك ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا
من الجن والانس ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين [illegible] ونظائر هذا وردت في السوابق
والخواتم [illegible] العيوب [illegible] الهموم [illegible] المطلع [illegible]
[illegible] على [illegible] العرش [illegible] وقال بعض العارفين لو علمت احدا على التوحيد
خمسين سنة ثم حالت بيني وبينه اسطوانة [illegible] لم اقطع له بالتوحيد لاني لا ادري
ما ظهر له من التقلب **وقال ابو محمد** رحمه الله يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة
عند كل حركة وكل خطرة [illegible] يخافون البعد من الله تعالى [illegible] الذين مدحهم الله تعالى وقلوبهم
وجلة وقال لا يبلغ خوفه حتى يخاف من الحسنات كما يخاف من السيئات وقال ايضا على
الخوف ان يخاف سابق علم الله تعالى فيه ويحذر ان يكون منه حدث خلاف السنة يجره
الى البدعة وقال خوف التعظيم ميراث خوف السابقة وكان بعض العارفين يقول لو كانت
الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على
الشهادة قيل ولم قال لاني لا ادري ما يعرض لي من المشاهدة فيما بين باب الحجرة
وباب الدار لتغير التوحيد **وروينا عن زهير بن نعيم** البابي قال ما
[illegible] همي ذنوبي انما اخاف ما هو اعظم علي من الذنوب ان اسلب التوحيد وامرت
على غيره وروينا عن ابن المبارك عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة قال كان رجل يعتزل
الناس [illegible] ابو الدرداء فقال انشدك الله فلجلد على ان
[illegible] اني اخشى ان اسلب [illegible] فقال اترى في الحي مائة
يخافون ما اخاف فلم يزل يبرئه حتى بلغ عشرة قال محمد [illegible] رجلا من اهل الشام
يقال له شرحبيل [illegible] هو من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان

ابو الدرداء يحلف بالله تعالى ما احد امن على ايمانه ان يسلبه عند الموت الا
سلبه وقد كان بعض علمائنا يقول من اعطي التوحيد اعطيه بكماله ومن منعه منعه
بكماله اذ كان التوحيد في نفسه لا يتبعض ولما احتضر سفيان الثوري جعل
يبكي ويجزع فقيل له يا ابا عبد الله عليك بالرجاء ان عفو الله اعظم من ذنوبك
فقال وعلى ذنوبي ابكي لو علمت اني اموت على التوحيد لم ابال ان القى الله تعالى
بامثال الجبال من الخطايا **وقد كان بعض العلماء** يقول لو اني ايقنت
اني اختم لي بالشهادة كان احب الي مما طلعت عليه الشمس في حياتي اجعله
في سبيل الله عز وجل وقال بعض هؤلاء الطائفة في معنى قول الله عز وجل خلق
الموت والحياة ليبلوكم قال تقليب القلوب في حال الحياة نحو [illegible] وفي حال
الموت بالخاتمة عن التوحيد فمن خرجت روحه على التوحيد فقد جاز البلاء كله ان
الحيلة فهو المؤمن [illegible] البلاء الحسن كما قال وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا
وقد حكى بعض اخواني عن بعض الصالحين وكان خائفا انه اوصى بعض اخوانه فقال اني
حضرتني الوفاة فاقعد عند راسي فاذا رايتني قد مت على التوحيد فخذ
[illegible] جميع ما املكه فاشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان اهل البلد وقل هذا عرس
المتخلص وان رايتني مت على غير التوحيد فاعلم الناس اني مت على غير التوحيد حتى لا
يغتروا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من احب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد الوفاة
[illegible] المسلمين [illegible] ومن ابن اعلم انه قد مت على التوحيد [illegible] له علامة
[illegible] بعض الاموات [illegible] عند راسه [illegible] اليه [illegible]
[illegible] الخاتمة [illegible] على التوحيد فقد [illegible] روحه
[illegible] اخواني من العلماء [illegible] العبد
[illegible] عند ذكر عليه عند فراق الحياة [illegible] فيه
عنده [illegible] فان استغل ذلك بقلبه [illegible] ووقف معه فانه
وقف معه حسب عليه عملا له وان قل فكان ذلك الاخلاص [illegible]
ذلك ومشاهدته عليه فان عرض عليه [illegible] احبه ووقف معه بحسب عمله وكان
ذلك حسن خاتمة [illegible] من العلوم وجميع خوف الخائفين من علم الله عز
وجل [illegible] اعمالهم تحقيقا [illegible] وهذا الخوف هو
ثواب العلم [illegible] وصبروا على العلم كشف لهم
خوف علم الله عز وجل فيهم نعمة من الله تعالى عليهم وكان ذلك [illegible] كما قال عز
وجل قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما [illegible] اصحاب
اليمين دون هؤلاء خوف الجنايات [illegible] خوف الوعيد وسوء العقاب وخوف
التقصير عن [illegible] وخوف مجاوزة الحد وخوف سلب المزيد وخوف حجاب اليقظة بالغفلة

وخوف حدوث الفترة بعد الشدة وخوف وهن العزم بعد القوة وخوف نكث العهد ونقض
التوبة وخوف الوقوع في الابتلاء بالسبب الذي جرت به العادة وخوف الاعوجاج عن
الاستقامة وخوف عود العادة بالشهوة وخوف الحور بعد الكور وهو الرجوع عن المحجة
الى طريق الهوى وحزن الدنيا وخوف اطلاع الله تعالى عليهم عند ما سلف منهم توجههم
ونكث البيعة على تتبع اعمالهم فيعرض عنهم ويحجبهم هذه كلها مخاوف ولهم مقامات اهل
المعارف وبعضها اعلى من بعض وبعضهم اشد خوفا من بعض ويقال ان العرش جوهرة
تتلألأ نورا الكون فلا يكون العبد على حال من الاحوال الا انطبع مثاله في العرش على
الصورة التي يكون عليها فاذا كان يوم القيامة ووقف للمحاسبة كشف له صورته
في العرش فرأى نفسه على هيئته التي كان في الدنيا فرأى فعله بمشاهدة نفسه فيلحقه
من الحياء والخوف ما يجل عن الوصف ويقال ان الله سبحانه اذا اعطى عبدا معرفة ثم لم
يعمل له بها لم يسلبه اياها بل يقرها عليه ليحاسبه على مقدارها ولكن يرفع منه
البركة ويقطع عنه المزيد وقد يزيد الله عبدا ويجري نعمة استعمله بها صالحا بعد ان كان
مبتلى بسوء فيجعل ذلك بعمله وينسى ما قدمت يداه ولم يخف ان يعيده فيما قد كان
جنى فيه قوله تعالى ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني
انه لفرح فخور **ومن المخاوف** خوف النفاق وقد كان السلف الصالح من الصحابة
وخيار التابعين يخافونه وكان حذيفة يقول ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا واني لاسمعها من احدكم في اليوم
عشر مرات وكان يقول يأتي على القلب ساعة يمتلئ بالايمان حتى لا يكون للنفاق
فيه مغرز ابرة ويأتي عليه ساعة يمتلئ بالنفاق حتى لا يكون للايمان فيه مغرز ابرة
وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون انكم لتعملون اعمالا هي ادق في
اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر
وفي لفظ آخر من الموبقات وقد كان الحسن رحمه الله يقول لو اني اعلم اني
بريء من النفاق لكان احب الي مما طلعت عليه الشمس وقيل لا يبرأ من النفاق
الا ثلاث طبقات من المؤمنين الصديقون والشهداء والصالحون وهؤلاء الذين
وصفهم الله بكمال النعمة عليهم والحقهم بمقامات انبيائه لكمال الايمان وحقيقة
اليقين فيهم وقيل من امن النفاق فهو منافق وكان بعضهم يقول علامة المنافق
ان يحب من الناس ما يأتي مثله وان يحب على شيء من الجور وان يبغض على شيء
من الحق وقيل من النفاق من اذا مدح بما ليس فيه اعجبه ذلك وعلامات النفاق
اكثر من ان تحصى فقيل فيها سبعون علامة **والحديث** عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في اربع هي اصول تتشعب منها الفروع فقال اربع من كن فيه فهو
منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مسلم وان كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة

من نفاق

١٧٢

نفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفي
لفظ آخر واذا عاهد غدر وقال رجل لابن عمر انا ندخل على سادتنا وكبرائنا فنصدقهم
بما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وروينا عنه من طريق اخر انه سمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال له
ارأيت لو كان الحجاج حاضرا اكنت تتكلم بما تكلمت به فقال لا فقال كنا نعد هذا نفاقا على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واشد من ذلك ما روي ان نفرا قعدوا على باب
حذيفة ينتظرونه فكانوا يتكلمون في شيء من شأنه فلما خرج عليهم سكتوا حياء
منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم واعظم من هذا ما كان الحسن رحمه الله ينسب اليه كان يقول ان
من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج فقد
يأتي النفاق وحقيقة الشرك عن نقصان التوحيد وضعف اليقين اوجب المخاوف
على المؤمنين خشية مقت الله عز وجل وخوف حبوط الاعمال من حيث لا يعلم وقد كان ابن
مسعود يقول ان الرجل ليخرج من منزله ومعه دينه فيرجع الى منزله وليس معه من
دينه شيء يلقى الرجل فيقول انك لذيت وذيت ويلقى الاخر فيقول انك ذيت وذيت
ولعله لا يحلى منهم بشيء وقد اسخط الله تعالى عليه يعني به التزكية لما لا يعلم
والمدح بما لا يستحق واللوم والاختلاف قلبه ولسانه يعني هذا فقد مقت من الله سبحانه
وبعض مخاوف الخائفين خوف سلب الايمان الذي هو عنده في خزانة المؤمن يطعن كيف
شاء ويأخذ متى شاء لا يدري اهنيئة ولعله له فيه عليه الكرامة او دقيقة
وعارية او دعه عنده اياه واعاره فيأخذه اذا شاء لعزله وحكمته وقد افقدنا عنه
حقيقة ذلك واستأثر بعلم تنبيه **وقال** بعض العارفين انما فجع بالقوم عند الوقوف
مع الخاتمة فقال ذا اخر واخطر اسمه قال ابو الدرداء وخلف ما احذر من ان يسلب
ايمانه لا يسلبه اي ابن الوقت الذي قال حذيفة انه يأتي على القلب ساعة
فيمتلئ نفاقا حتى لا يكون فيه مغرز ابرة ان صادف الموت ذلك الوقت وكان هو
اخر وقت اليس تخرج روحه على النفاق وكذلك تقلبات القلوب في معانيه الشهوات
وتلونات الشهوات ان وافق ذلك وقت الوفاة كانت خاتمته عند فناء قوته والمثل
سميت الخاتمة لانها اخر عمله واخر ساعة من العمر وخاتمة الشيء اخره ومن
ذلك قوله عز وجل وخاتم النبيين اي اخرهم ليس بعده نبي وكذلك خاتمة مسك
وختامه ايضا ان اخر الكأس يكون مسكا ومن المخاوف خوف قطع المزيد
من علم الايمان مع تنقية المعرفة المستزاد يكون مستقرا بما هو عليه من المزيد
منها ونفر بنفسه قلبه وتخرج عينه وذلك من النقصان الذي يقع به اهل التمام الا ان

عين الوجه من الملك للتزيين وعين القلب من الملكوت للآخرة فيمتعه ما يبقى بعده
عنده ويعطيه ما يبقى به ويغنيه عند الخلق وقال مالك بن دينار قرأت في التوراة
إذا استكمل العبد النفاق ملك عينيه فيبكي ما شاء وقد كانوا يستعيذون بالله
من بكاء النفاق وهو أن يفتح للعبد الرياء البكاء ويغلق عنه باب الزاد والخشوع وقد
قال الله تعالى وجاءوا أباهم عشاء يبكون وكان السلف أيضا يقولون استعيذوا
بالله من خشوع النفاق قيل وما هو قال أن تبكي العين والقلب قاسي فلأن
يعطى الإنسان رقة قلب في جمود عين خير من أن يعطى دموع عينيه في قسوة قلب
ورقة القلب عند أهل المعرفة هو خشوع القلب وانكساره وذله وإخباته لمجتنى
أعطاه هذا في قلبه لم يضره ما منعه من بكاء عينيه فإن رجع له تعيش العين فهو
فضل ومن أعطاه بكاء عين وحرمه خشوع القلب وذله وخضوعه وإخباته فقد مكر به
وهذا الخاتم عطاؤه حقيقة المنع وعقاب النوع وجملة بكاء العين إنما هو في علم
العقل بابا علم التوحيد فيشاهد حركة البعض والبكاء فيه لأنه يظهر لشاهد الوجد أنه
فيجده علم القدرة بحقيقة الرفوع بانشقاق الغيرة وقد وصف الله تعالى البكائين إن البكاء
يزيدهم خشوعا في قوله عز وجل يبكون ويزيدهم خشوعا فإذا ارتفع البكاء ثبت وبقي
عليها بذلك عدم الخشوع في القلب فكان تضعضعا وتحيرا لحقائق آيات التذوق فأعلى
المقام خوف السوابق والخواتم كما كان بعض العارفين يقول أما بكائي وحزني من
ذنوبي وشهواتي لأنها أعلاني وصفاتي لا يليق في جنب ما أخاف وهم في كيف
كان هذا نصيبي منه ونصيبي حسن قسم الأقسام ويفرق العطاء بين العباد فكيف
كان نصيبي عند العبد بهذا الذي ذكرناه هو مجمل خوف العلماء الذين هم ورثة الأنبياء
وهم أبدال النبيين والأئمة المتقين أولوا القوة والتمكين وسئل أبو محمد هل
يطلع الله أحدا من المريدين من الخوف فقال للأفضل من المؤمنين من يعطى من الخوف
وزن جبل قبيل فقيل فيكون حالهم يأكلون وينامون ويتنكحون فقال نعم يفعلون ذلك
والمشاهدة لا تفارقهم والتلاوة تفضلهم قيل ما لنا في الخوف قال بجملة حجاب القدرة
باللطف الحكمة وتمسك القلب حجب الجلال في التصريف بصفات البشرية فيكون
مثل هذا العبد مثل المرسلين وهذا كما قال لأن مشاهدة التوحيد بالتصريف والحكمة
يقيمه بالقيام بالأحكام وذلك أن نور الإيمان في القلب عظيم لو ظهر للقلب لأحرق
الجسم وما اتصل به من الملك إلا أنه مستترا بالعقل محفوظا بالعلم لبقاء الأحكام
والحجاب لتصريف فيها والقيام بحق ذلك مجرى الغايات من معانيه القدرة والصفات
لأن الأنوار محجوبة بالأسماء والأسماء محجوبة بالأفعال والأفعال محجوبة بالحكمة
فينطق الحكمة بالقدرة وهو غيب من وراء كلما كذلك يظهر التصريف بالحكمة عن نور

الإيمان وأنوار الإيمان مستورة من ورائه وقال بعض العارفين لو كشف وجه المؤمن
للخلق عند الله تعالى لعبدوه من دون الله تعالى ولو ظهر نور قلبه للدنيا لم يثبت
له شيء على وجه الأرض فسبحان من ستر القدرة ومعانيها بالحكمة وأسبل بها حلمه
ورحمته ونظر بغلاف الخلق إليه للمنفعة وهي في قراءة أبي بن كعب مثل نور المؤمن فلو أن نوره
نوره من نوره ما استجاز إدراك حرف بفهم ومعنى وقد كان أبو محمد سهل يقول الخوف هو
مباينة النهي والخشية الورع والإشفاق الزهد وكان يقول دخول الخوف على الجاهل
يدعوه إلى العلم ودخوله على العالم يدعوه إلى الزهد ودخوله على العامل يدعوه إلى
الزهد ودخوله على العامل يدعوه إلى الإخلاص وقال أيضا الإخلاص فريضة لا ينال إلا
بالخوف ولا ينال الخوف إلا بأن تهرب ممن تخاف وقال أيضا من أحب أن يرى خوف الله
تعالى في قلبه فلا يأكل إلا حلالا ولا يصبح على الرياء إلا الخائف وقال الخوف ذكر والمحبة
أنثى لأن بين الحق النساء يدعون المحبة فيريد أن أفضل الخوف على الرجاء كفضل الذكر
على الأنثى وهذا كما قال لأن الخوف حال العلماء والرجاء حال العمال وفضل العالم على
العابد كفضل القمر على الكواكب وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل
من علم أحب إلي من فضل من عمل وخير دينكم الورع واعلم أن الخوف عند العلماء على غير
ما يتصور في أوهام العموم ويخالف ما يعرفونه من الخلق والأخلاق والولد والأخيار
والأشغال لأن هذه حالات ومواجيد وأحوال العاملين ليست من حقيقة العلم في
شيء بمنزلة مواجيد بعض الصوفية من الصادقين في أحوال المحبة فما اختلافهم ووهمهم
والخوف عند العلماء إنما هو اسم لحقيقة العلم وصدق المشاهدة فإذا أعطي عبد حقيقة العلم
وصدق اليقين سمي هذا خائفا مثل ذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم أخوف الخلق
لأنه كان على حقيقة العلم ومن أشدهم حبا لله تعالى لأنه كان في نهاية القرب وقد كان حاله
السكينة والوقار في المقامين معا والتمكين والتثبت في الأحوال كلها ولم يكن وجد القلق
والانزعاج والإزعاج ولا الوله ولا مستنفرا قد أعطي أضعاف عقول الخليقة وعلومهم و
ووسع قلبه لهم وشرح صدره للصبر عليهم وكان صلى الله عليه وسلم مع الأعرابي كأنه
أعرابي ومع الصبي يغتفل ومع المرأة في نحوها يفاكهم في عقولهم وبحالهم بمعقولهم
ويظهر منه مثل ما هو عليهم ليبسطهم فينصبهم من الأنس ويرفع عنهم مخوفهم من الرد فمنه
ولئلا يعظهم هيبته في صدورهم فيتقطعون عن السؤال له ولا يستريح حكمة منه
لا يطيقون ذلك ورحمة منه فقد جبل عليها فقد البشر مواجيد فلبسه وأدخل له
عليه صيغة تصنع ولا ذلك في ذلك تعليم الحكيم العليم فلذلك وصفه بتعجب من وصفه
فقال وإنك لعلى خلق عظيم قيل على أخلاق الربوبية وقد تضاهى ظاهره فيكون عظيم
اسم الله سبحانه لا يطيق من حاله ونصيبه شيئا لقوله المكين وفضل العقل ولا يفهم
من نصيبهم منه شيئا لحقيقة العلم ولا ينقطع هو لشيء لحقيقة الزهد ونهاية التواضع

والعقول لا يطلع عليه بشيء لمكان الغيرة ورسوخ العلم والحكمة وعلم مناهجه وسننه ومن وصف العارفين من أهل البلاء الذين هم الأمثل فالأمثل بالأنبياء وقال بعض العلماء لا يكون إماما من حدث الناس بكل علمه والعلم لهم نصيبه وكان يحيى بن معاذ يقول لا يخرج أحدا من طريقه ولا يخاطبه بقدر علمه ببعضه ولكن أعطى له من فهمه واسعه بكلامه وسيل بعض العلماء عن العارف هل يستوحش من الخلق فقال لا يستوحش ولكن قد يكون منفردا قيل وهل يستوحش منه فقال العارف لا يستوحش منه ولكن قد يهاب وقد يراد أن الخوف اسم لحقيقة العلم أن في قراءة أبي بن كعب في قوله تعالى يخشيها أن زهقها فجاب وبدا أن هقفنا وقال يحيى بن زياد النحوي ومعناه يعلم ربه وقال الخوف من أسماء العلم

بيان آخر في معنى الخوف

والخوف أيضا من أسماء المعاني موجود بانتفاء ضده فإذا عدم من القلب الأمن كان من كل وجه من أحوال الدنيا وأمور الآخرة فلم يأمن مكر الله في كل الأحوال في تصريف الأحكام الدنيا وتقليب حركات القلوب والنفوس وحوادث الشهوات والذات طبائع العادات لم يسكن إلى علمه ولا عينه ولم يقطع بسلامته ورآه في شيء كان هذا خوفا ويسمي العبد به خائفا لأن من جميع ذلك خائف وهذا مستعمل مأثور في كلام العرب ومذهبهم يقول أحدهم أخاف من كذا إذا لم يأمنه وأخاف أن يكون إذا تحقق علمه وقيل لبعض العلماء ما بال العارف خائف في كل حال فقال لعلمه أن الله تعالى مريد لغيره في جميع الأحوال ثم إن لكل يعني بعض هذا المقام وجها من قبل الخوف المقلق والإرغام المخوف والأشغال المولهة هي مجاورات الطرق السابلة التي في مدارج الأدلة لعاطلة ومنها فنادق وهي كالأودية عند العلماء السيارة والصعود المختارة لا أنه قد سلك بعض الزهاد والعباد فيها وأرى بعض العارفين بها ليستنبطا بفضله كل ذلك عند العلماء لأن من تشابه فيها مقبول عليها عند العارفين لأنها قد نحت جمع إلى معادن الجهالة من طرقات المسالك إلى ميادين الجهالة والضلالة رأى بعضهم له التعريف بها والاطلاع عليها ومنهم من أراد فيه النتيجة والوله فيها والإثبات الشهير في أسماء العلامة والعجب والهول عند العموم

ذكر تفصيل هذه الخوف

إن للخوف سبع معان يرجع إليها من القلب فأول معانيه ما حضر من القلب النية الرابع صاحبه بها لا يستقيمه فقد يفنى الخوف من القلب الحرارة وهي أرفع صفات الأدمة بالحق وهي بالحق اليقين فيها يقتل العبد وهو ممن الذين يموتون في الغشي والصعق وهم الموجودون من ضعفاء العمال وقد يطلع الخوف من القلب إلى

الى الدماغ فيحول بين العقل فيغيبه العبد فيذهب الحال ويسقط المقام وقد يجعل الخوف الشيخ وهو الرابعة فيفيقهما فيذهب الأكل والنوم حتى يسيل الجسم ويستنزف الدم وهذا الأهل الجوع والطي والأصفار وقد يسكن الخوف الكبد فيورث الحمرة اللازمة والحزن الدائم ويورث الفكر الطويل والسهر الدائم وفي هذا المقام يذهب النوم ويدوم السهر وهذا من أوصافها في هذا الخوف والعلم والمشاهدة وهو خوف العاملين وقد يفرح الخوف في الرأيه والبريضة هي اللحمة التي تكون على الكبد ويقال اللحمي الكتفين العريضات وجمعها فرايص ومنه الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجد البريضات من اللحم وهو الذي لحم الجيران وأعذبه من هذا الخوف يكون الاضطراب والارتعاش واختلاف الحركة وقد يبدو الخوف من القلب فيغشي العقل فيحي بسلطانه كقهر سلطان الغيرة ونحو الشمس إذا أشرق ضوء الغيم للبادية الذين يبدوا على الشمس من حزاني الملكوت فيضعف حملة العقل فيضطرب لضعفه الجسم فلا يتمكن العبد من القرار لضعف صفته وذلك أن إحراق الإنسان وإن كانت تتبع فقد في العيان الحكمة والا تعلان وهي كشيء واحد يجمعهما الطبع الأ الغيرة باظهار المشيئة باستعلاء البنية متولد باعلامها بأنه الأعظم باعلاها ما استعلتها وإذ أوصل الداء والدواء إلى عضو منها يراعي له بمسامها وهذه الطائفة تشبه بالفضلاء وأدخل في وصف العلم وقد سلك في هذا المقام من الكبار العلماء وأفاضل أهل القلوب وقد كان هؤلاء في التابعين كثير منهم الربيع بن خثيم وأويس القرني وزرارة بن أوفى ونظراؤهم من الأخيار ولم يكن هذا عليه الصحابة لقوة يقينهم مثل عمر وابن مسعود وحذيفة بن اليمان وقد كان عمر يغشى عليه حتى يقع من ذي قيام ويظلم كما يعيب وقد كان ذلك يلحق سعيد بن عامر وكان من زهاد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أولى الأحنان بعثه عمر واليا على أهل الشام فكان يوصف له من شدة ورعه وزهده ما يعلنه عمر في ذلك وبعث إليه مرة بألف دينار ويقال في رواية بألف دينار وعزم عليه ليستنفقها على أهله ففرق ذلك على الفقراء ثم في قصة طويلة وكتب إليه أهل الشام يذكرون شأنه وكان يغشى عليه في مجلسه فيجتمعوا عليه من ذلك ولم يعرف ذلك أهل الشام فسأله عمر لم الغيبة عن الذي يصيبه إذ أخبرنا ما خبره فيما نجد من مشاهدته وهو جيد الصوفية من العارفين مع ما ذاك عمر وعذره فما ورد زاد ذلك عنه إلا خيرا وكان يكرمه ويعرف له فضله وكتب إلى أهل الشام أن لا يعيروه في أمره ودعوه وقد كان أقوى الأقوياء وسادات الهداة رسول الله صلى الله عليه وسلم يغشى عليه عند نزول الوحي إذا ابتسم لبسمة إذا ترتيب العقل منه ورجع وكان الكون عنده حتى يغطى ويثني وجهه ويخر منه مثل الجمار من العرق في اليوم

الثاني صلى الله عليه وسلم إلا أن هذا الحال يصيبه في ضرب من الوحي إذا يغشاه متصلا
ويتنزل عليه الروح القدس في روعه ويستنطق قلبه لأن الوحي على أربعة أضرب
ضربان متصلان إن هذا الحكم علما أو ضربان منفصلان ومن كل واحد يلحق العلماء بالله تعالى
أهل القلوب التامة والمشاهدة الحاضرة وصف إلا أن ذلك في أماكن مقامات
من المقربين مقام شاهد التوحيد المعرفة ومقام المحبة من تجلي المحبوب ومقام من
التشوق والخشية لعبد هاربا مطلوب ومقام الخوف وكل ضروب الوحي بعد هذه ب
الأربعة ومسمى عشرة للأصل هذه المقامات الثلث منها نصيب شهادة ووجد
وحال وخواطر ومقام الآخر يعني من أنواع الوحي بالأنبياء مخصوص بهم المرسلون منهم
ظهور ملك في صورة ومنها سمع كلام الله تعالى بصفته ومشاهدة هذا وتفصيله ب
يطول وليس يفي به علم يقين الأمن سلك طريقه وليس ينتهي بشهود وتحقيق الأمن
ذاق حقيقته ومن أمن به لقصد في نفسه ليس له منه نصيب وقد نظر رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى جبريل عليه السلام في صورته بالأبطح فصعق
ورويناه عن حمزة الزيات عن حمران بن أعين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قرأ آية من سورة الحاقة فصعق وقال الله عز وجل وخر موسى صعقا وقد يبلغ
الخوف من النفس إلى القلب إلى النفس فتخرق الشهوات وتمحو العادات وتجبر الطبع
ويطفي شغل الهوى وهذا أنوار المخاوف وأعلاها عند أهل المعارف وهولاء أفضل
الخائفين وأرفعهم مذاقا وشرفا إلا أنه والصديقين وخصوص الشهداء وليس
يرقى هذا وصف يغلب عليه حاليا ولا يعرج به عارفا وإن جاوز الخوف هاته الرتبة
إلا وصار يعقد خرج عن حده وجاوز قدره لأنه إنما أخرق الشهوات ومحى الأهواء
وليس يرد شهوة ولا تقوى نفس أن لم يعص العبد من مجاوزة حد الخوف أحرج به
الخوف إلى حد لا شد معانيه حيث أنا أن يبسه في إلى النفس فيهلك فيتلف العبد
فيكون له شهادة وليس هذا المحمود عند علماء الحذيقين من طلاب العلوم و
والمشاهدات إلا أنه قد قال بعض العلماء من شهد ابن زياد عالم أجرا محق قالت
وجدا وهذا صفات المريدين والعلماء الموقنين بكل شهادة من اليقين آخر
شهيرا وسطها أن تعلو إلى الدماغ فيزيله ويحل عقدة العقل لزوبده
فتنقطر الطبائع تحلل عقدة العقل تختلط المزاجات لا خطر أنه يحترق
الصفرا فيتحول سوداء فيكون من هذا الوسواس والهذيان والبله والوله وذلك
أن الدماغ جامد وهو مكان العقل وهو مركب عليه معقود به فإذا اختلطت المزاجات
اشتعلت فيلهب شعلها إلى الدماغ فأحرقته وإنما مجاز محل العقل الذي مكانه
مخ الدماغ وسلطانه صفاء القلب الظاهر لصفاء وهو بمنزلة الشمس الطالعة
محلها الفلك العلوي وشعاعها على الأرض كذلك العقل محله الدماغ وسلطانه في

القلب

القلب في هذا المقام الطيش والهيمان وهذا مكروه عند العلماء وقد أصاب ذلك بعض الـ
المحبين ما نطق عليهم فعبروا عن حده ومنهم من برع في ذلك عن قلبه فسري عنهم فنطقوا
بعلمه وقد كان أبو محمد يقول لأهل التعليل الظاهر والتسبيح احفظوا عقولكم فإنه لم
يكن ولي لله تعالى ناقص العقل والمعنى الثالث وهو شرفها في مجاوزة الخوف هو أن يعظم
الخوف ويقوى فيذهب الرجاء إذا لم يواجه بعلم الأخلاق من الجود والكرم والإحسان التي
تعدل المقام وتروح كرب الحال فيخرجه ذلك إلى القنوط من رحمة الله تعالى والإياس من
رحمة الله تعالى فخلقت هذه المشاهدة عليهم من قبل العدل والاضطراب فيجاوز العقل
مجاوزتهم على علم أخلاقه تعالى بالكرم وقضي الخطاب فتعترت بهم الحدود من قبل
قوة نظرهم إلى الانتساب ولمكن حكم شهادة الأسباب ورجوعهم إلى نفوسهم في الحول
والاستطاعة وإثباتهم التحقيق الوعيد عليهم خاصة لا محالة لدور الحكم على الحكم أن أراهم
بعقولهم وعلو بهم عن عجم تعرفه منهم إلى مشيئته وعن استسلام لقدرته ولا تأميل لأهل
معانيه صفاته الحسنى إن تعم جميع صفاته السوء ولظهرت سيئاتهم الثواني لأهلهم
محبتهم عن المحسن الأول ولم يعلموا أنهم بإحسانه إليهم أساؤوا ويسبق علمه فيهم
بعدوا وإن قلمه لم يكن جاريا بهم إلا جرى بما عليهم وإن في قدرته وسلطانه خير الخير فيهم
من هذا أن ننشد ما ولينهم يدل على صحة ما ذكرناه أن أكثر هذا المخاوف كانت في العجميين وأهل
عبادان والعسكريين وكان من مذهبهم القدر والقول بالطبع ونفي الاستطاعة ونفي
المشيئة والعربية منهم أصحاب عمرو بن عبيد والعباد به سبعة عباد والحرطبيه والعضويه
أصحاب هشام الفوطي وعطاء الغزال ومنهم البشتية أصحاب المنزلة بين المنزلتين والعـ
والقول بالقدر ومن ذلك وجعل من جاء عليهم بل ابتلوا بالاعتماد على الأسباب وبالنظر
إلى أولية الانتساب بحجبهم ذلك عن المقدر الوهاب بقي حركة من الأمر والعبد فوقعوا
في أعظم منه من القنوط من الإياس فصار رأيهم كبار المعاصي من خوفهم منها فجعلهم مثل
الخوارج خرجوا على الأمة بالسيف لإنكار المنكر فوقعوا في أنكر المنكر من ذلك الأمة
وإنكار حكم السلطان وتكفيرهم الأمة بالصغائر وهذا من أبدع البدع وهو لهم لأجل ب
أهل النار ومثلهم أيضا مثل المعتزلة لما هربوا من طريق المرجئة أن الموحدين لا يدخلون
النار وجعلوا الوعيد على أهل التوحيد وقالوا أنهم مخلدين في النار مجاوزة حد المرجئة
فزادوا عليهم لحالة وراء المرجئة طريق أهل السنة وقصرت عنهم وكان أهل مثل أبو
محمد يقول أهل البدع كلهم يرون الخروج على السلطان ويكفرون الأمة ويرون السيف
على الأمة هذا أصل الوجه في مجاوزة الخوف عن قدره وهو من التفريط محروم الله تعالى
وإن منه جعل الله لكل شيء قدرا ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فيصرف الرجاء ورد
وعقد أن الخوف من حقيقة العلم بالله تعالى ومجاوزة الشيء كالنقص عنه والموقف
حقا هو المعتدل بين الخوف والرجاء لخوف التلف للنفس بالموت والمزيل للعقل بالعقوبة

جنس من هذا الوصف الذي هو القنوط لان هذا اوصاف العلم ومسقط المقام وموضع في
الكتاب على ان صاحبي المقامين من الخوف يبشر فيهما علوم مشاهدة على الكشف والمثل
موقوف وجز لكل مقام واحد فيه ابتلاء التبصر ومحو العقل من عندهم له خوف الكرام ويستحي
خالصة من الملائكة اهل القرب والقلوب لانهم يتقلبون في المقامات التي يعرفون بها
كمثل بين الرجا والخوف يبلغني ان منهم جبلا يخرج كل يوم من تحت العرش بعد ما انبفق قد
انطلقه الشوق وحق الكرب في النظر الى وجه الجليل الاعلى فيخر قد شعاع سبحات
وجهه فيحترق قوم اخر ان العرش من المصباح ثم يعود مثلهم كذلك فيهم اذا نبهم
الى قيام الساعة كل ملك منهم لو جعل السموات والارضون في كفه ثم قبضها لغاب فيها
فيه ولكن في ان سائر الملائكة لا ينتقلون في المقامات كمؤمني المومنين انما لكل
ملك مقام معلوم لا ينتقل الى غيره لانهم يرون المقام بموجود للنهاية له الى يوم
القيامة بالكثير ما يراه حملة العرش ولكن اولئك غير خوفهم فواهم ويثبت بمشاهدة وصف
المحبوب خوفهم وصفاتهم ولا يدهلهم ولا يقلقهم لانهم يرون بالقوة ويعصمون من المونات
يحفظ الرجال في وقتنا في الاخرة على ان منهم من يطيش عقله ويوله قلبه ومنهم من يسبح
في تيهه ومنهم من يتيه فلا يهتدي وجهه يتسع في يوم القيامة ومنهم من يفزع الفزعة فلا
يرتد اليه طرفه ولا يرجع عقله الى يوم الحشر ومنهم من يصعق صعقة فلا يزال في صرخه
واحدة الى نفخ الصور وكثير منهم يصعقون عند سماع كلام الجليل حتى اذا فزع عن قلوبهم
سالوا الروحانيين من المقربين ودون الحجب الرتبة والرتب العلية منهم جبريل
وميكائيل واسرافيل ماذا قال ربكم وهؤلاء الحاضرون من الناظرين والمكاشفون من
الشاهدين بحجبة القدس اولو المحبة والانس قالوا الحق وهو العلي الكبير فمثل
هؤلاء الخائفين مثل المخلصين من المومنين الذين قال اولئك لهم رزق معلوم ومثل
الاقوياء من العالمين اولي البصائر والتمكين منهم الصابرين الذين يوتون اجرهم
بغير حساب فعلماء المومنين ينتقلون في مقامات اليقين بمقتضى احكامه من
مقامات خوف الى مقام رجا مثله فاذا عملوا في منزل المقامات بما يقتضيهم رجعوا
الى ما فوقها من مقام الرجا الى مقام رجا اعلى منه ومن حال خوف الى حال خوف
اشرف منه ثم ينتقلون من مقامات الاشتغال الى حال الاشتيان ومن احوال
الوجل والخوف الى مقام التملق والحيا نبينة ومن حال الفزع الى مقام الانس
ومن الوحشة والابعاد والتهويل الى الرضا والمحبة والتذليل فهذا احكام يظهم
على من وقف في مقامه من العموم فلم يجاوزه ومن استنفد بحاله وقام في كله فلم نعد
يقطعه الى كل يوقفه مرده ويقلوا يعلم شهادة ثم استوا به الى الرجا وخوف
الخائفين من المومنين مثل الكروبيين من الملائكة ومثل الراجين من المحبين كمثل
الروحانيين من المقربين والكل الرجا فيضلة ان عند العلماء بالله تعالى من عظيم

الرجا ما يضاهي عظيم الخوف ليعتدل الميزان ويحكم بين المقامين بالتسوية فلا يبرز وا
على قلوبهم بادئ من الخوف عن مشاهدة وصف من الصفات المخوفة يريهم الاطلاع ورا من
عظيم الرجا اشهرهم لطفا من الاخلاق اللطيفة يروحهم ولا يطرا على قلوبهم كلا من الخوف
يهيبون منه به الا برا عليهم فاهو من الرجا باستوا به اليه فيعتدل صفاتهم ويستوي
مقاماتهم عن معاينة معنى من معانيه صفاته لا يستوا لما انما انه فيتكون قلوبهم في
كلسان الميزان بين الخوف والرجا ويكونون كالطائر يقوم بين جناحيه عن مشهوده وصف
وخلق اقتضى ظهور البلا والنعما فيحمل الخوف والرجا وسرى الرجا على الخوف يفيضان
وما في سعة القلب وقوته يغيبان فيه لانه قوي بقوي وواسع بواسع وقائم لا
يفتر ويتبع ذلك الهم على المغيبين بيقع بمشاهدة منعه في حكم عليه ما بدا ومن هذا
قول النبي صلى الله عليه وسلم بك احوال وبك اصول وبك اقول ومن ذلك قوله علو شهادة مشهـ
ونعامه علمه من كونه بمشاهدة اعوذ بك منك ومن هذا الاثر المشتهر عن الله تعالى لم يسعني
سماء ولا ارض ووسعني قلب عبدي المومن الشاكي اللين الوادع ومن ذلك قول الحق الرب
العاضل الكل نبيه ما خلا الله باطل فهذا نطق عن وجد في مقام البقا بعد فقد حال
الفنا لانه سمع قول الباقي المعني كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ويصلح تفصيل
ما اجملنا ولا شرح ما رمزنا وقال بعض السلف ما البس المومن لبسة احسن من
خشوع في سكينة وخضوع في هيبة له فهي لبسة الانبيا وشيمة العلما الاوليا وهي ص
طراق الخائفين وقال لقمان لابنه يا بني خف الله تعالى خوفا لا تيئس فيه من رحمته
وارجه رجاء لا تامن فيه مكره ثم قال محمد المومن كذي قلبين يخاف باحدهما ويرجوا
بالاخر معنى ذلك ان المومن ذو وصفين من مشاهدتين لان المومن اول والشاهد
الاعلى ذو وصف مخوف مثل البطش والسطوة والعزة والنقمة فاذا اشهد العبد
ما امن به من تلك الصفات خاف الذي وجد فيه وتخلى له يشاهدها والمعروف ايضا هو
الملوف ذو اخلاق رجوة من الكرم والرفق والرحمة واللطف فاذا اشهد القلب ما امن
به من هذه الاخلاق رجا من شهدة بابصار القلب لوصفيه الرجا والخوف عن معنى
شهادتين المخوف المرجيه عن وصفين مخوفة ومرجوة صار كذي قلبين كانه يرجوا بقلب
ويخاف بآخر وانهما شيئان ثابتان في قلب واحد لانهما مقامان لقلب واحد عن مشهود مخوف
ومرجو واحد فهذا تفسير قول لقمان وهو صفة المومن ذي الايقان الا ان الخائف يوصف
بما غلب عليه من الحال عن ما قوي عليه المشاهدة ويبرز رجا الراجي في مقامه ويوصف
الراجي بما قوي عليه من المشاهدة ويبرز رجا الرجا في مقامه ويوصف الراجي بما قوي
عليه من الحال عن غلبه شهادته ويبطن الخوف في مقامه ولا تخيفه للخوف بالله تعالى
ولا نهاية للمرجو سبحانه واقل التشبيه المومن العالم المرء بالحالين جميعا يوصف ثم
عند انهما وبالوصفين جميعا ثم مع استوايهما ثم يغلب عليه الوصف التام والحال الح

الكامل فإذا عرف به اندرج الوصفان فيه فيقال صديق لأنه قد تحقق بالصدق فأغنى عن أن
يقال المخلص ثم يقال عارف لأنه قد رسخ في العلم فيكتفى أن يقال عالم ثم يقال مقرب لأنه
قد استشرف القرب فاكتفى ولم يحتج إلى أن يقال عامل ومتى أسماء الكمال وأحوال التمام لا يتفق
الذي له حال ونقيضه لا يوصف بوصف كوصف خائف أو راجي لوجود مقامه فيه واعتدالهما
عنده لأن الخوف والرجاء قد فاض عليه ثم غاض فيه فإذا قلت عارف ومقرب وصديق
فقد دخل فيه وصف محب خائف راجي عامل لا محالة كما إذا قلت فلان هاشمي استغنيت
أن تقول عربي أو قرشي لأن كل هاشمي عربي قرشي لا محالة ثم تصفه بوصف التمام
أيضا فيندرج الوصفان فيه فتقول فلان حسيني فاكتفيت أن تقول قرشي أو هاشمي
أو علوي وإن كان قد يسمى هاشميا علويا لأنه قد عرف أن كل حسيني فهو من
قرشي هاشمي علوي لا محالة فأما أن يقول فلان عربي أو هاشمي أو قرشي أو علوي
ولا يعرف إلا بذا وسمته بذا لأنه قد يكون علويا وهو الغاية في النسب ولا يكون حسينيا
وقد يكون هاشميا غير علوي وقد يكون قرشيا غير هاشمي وقد يكون عربيا غير قرشيا
فيلحقه وصف ما عرف به حسب فكذلك قولك عارف أو محب أو مقرب أو صديق هو اسم
التمام والكمال في المقامات التي تحتوي على جميع الأنساب كقولك حسيني هو اسم
التمام ومنتهى الكمال الذي يحتوي كل الأنساب ولا يبلغ مقام المعرفة إلا بعين اليقين
الذي يشاهد التوحيد بعد أن لا يبقى من النفس بقية في مقام اليقين ولا من
الخلق رؤية في شواهد التوحيد فيكون روحانيا بعد فقد النفس باليقين
ربانيا بعد شهود الخالق فسبق منه التوحيد لأن العارف لا يوسم بحال دون حال
إذ قد استغرق الأحوال فلا يوسم بمقام دون مقام إذ قد جاوز المقامات فحقيقة
معنى العارف بالمعروف الذي هو بكله منابذ وبكل موصوف وغموض عن بينة عمن
غير أهله. ... فإن تعرف إليهم أو عرفه فليس بعارف وقال بعضهم
في صفة العارف أن يعرف كل شيء ولا يتعرف إلى شيء وقيل حقيقته أن يعرف
ولا يعرف عن ... وصف من أوصاف الربوبية لأنه روحاني رباني وتلك
مقامات لا يكاشف عليها ولا يحتمل ... فإن كشف عليها اختلط ومن تكلم في ... عن
مقام النبوة ومقام المعرفة ومقام محبوبيه وقد ذكرنا وصفه في شرح مقام المحبة
في كتاب المحبين بين طرائق الخائفين وجمل صفات العارفين لأنهم قد بعدوا وتنزهوا في
القرب والاقتراب فتعالوا في التقرب والتقريب فترفعوا في التعرف والتعريف
والموقنون من الشهداء ومن المقربين من الصديقين يشهدهم فلا يدرون لهم مشـ
القرب لا اقتراب ومن التقرب التقريب ومن التعرف التعريف ومن لا يتبلغ ... التدليل
لأن مقامهم من القريب العالي الطريق لا قرب والوحدة العليا وهم الشهداء يعرفون
لأهل مقامات اليقين أولي القرب والتقريب وأولي الحب والتحبيب ولهم التأليف

والتقريب

والتقريب وهو ... أفضل طرقات الخائفين ما سرى خوفه إلى النفس فأطفى
شعل الهوى وأحرق نار الشهوات فيسقط له أثقال المجاهدة وخففت عنه مؤنة المكابدة
ووجدت معه حلاوة الطاعة لفقد حلاوة المعصية فاجتمع الهم فالحق عند زوال أسباب
التشتت بالهوى والخلق وسكنت النفس بالطمأنينة لمعاينة القلوب للمشاهدة
ولطف نعيم الذكر والرضا ... الصدق والإخلاص ثم يسكن الخوف في القلب بعد ذلك
فلم يجاوزه فينتقل إلى الحزن بعد المقامات التي ذكرناها وكان منه الحزن الدائم والهم
اللازم والخشوع القائم وهذا هو وصف القلب المنكسر وحال العبد المنيب الذي يوجل عند
الجليل ويجبر بعد كسره فيعطي له بعد أن عطل من غيره وصار من أهل العالم الخائفين من الله كشفوا
اليقين وتقبله لربه في شهادة المغيب في مكان القريب لربه فقد وجده أو صار الحبيب عنده
ومطلوبا لأنه من المنكسرة قلوبهم من أجله وبأنه قد صار عنده من أهله واعلم أن الذي قطع
الخلق عن هذا حلاوة الهوى ولا يخرجها إلا أحد أمرين كأسين تجرع لذة الخوف فيغلب حلاوة الهوى
فيخرجها أو غلبة حلاوة المحبة فيستغرق حلاوة الهوى فيقهر فإن عدم أحدهما لم يخرج
من القلب فينبت في ذلك وروينا أن عليا عليه السلام قال لبعض الخائفين وقد زال
عقله وأخرجه الخوف إلى التلف ما أصارك إلى ما أرى فقال ذنوبي العظيمة فقال
ويحك إن رحمة الله أعظم من ذنوبكم فقال إن ذنوبي أعظم من أن يكون لها شيء. فقال
إن قنوطك من رحمته أعظم من ذنوبك والخوف جند من جنود الله يستخرج من قلوب الـ
المريدين والعابدين ما لا يستخرجه الرجاء وتستخرج له القلوب المراد به منها ثم إن
ان هو معاني التوبة وشرط المراقبة وقد يجعل الله جميع ذلك بأهل الرجاء و
المحبة في مقامات الرجاء فيستخرجه منهم الكرم والجمال والخوف اسم جامع لمقام الخائفين
الخائفين ثم يشتمل على خمس طبقات في كل طبقة ثلاث مقامات فالمقام الأول من
الخوف فهو التقوى وفي هذا المقام المتقون والصالحون والعاملون والمقام الثاني
هو الحزن وفي هذا المقام الزاهدون والورعون والخاشعون والمقام الثالث هو الخشية
وفي هذه الطبقات العالمين والعابدين والمحسنين والمقام الرابع هو الوجل وهذا
للذاكرين والمحبين والعارفين والمقام الخامس هو الإشفاق وهو للصديقين ومن الشهداء
المحبون وخصوص المقربين وقوم ... عن معرفة الصفات لأهل الموصوف لا عن مشـ
مشاهدة لا كنسبا لا لأجل العقوبات كما جاء في الخبر أوحى الله سبحانه وتعالى
إلى داود صلى الله عليه وسلم يا داود خفني كما تخاف السبع الضاري فالسبع لا يخاف
لوصفه بالبطش والسطوة ولما ألبس وجهه من الكبر والهيبة لا لأجل ذنب كان منك
لا إحسان إليه وكذلك السطوة. فالجبار العظيم والنصيب لا أدمى على معنى خوفهم ما لا ينبغي
للعموم أن يذكر فطلبهم بحالهم وحسن ... فأخوفهم لا يصفه الأمر ولا يعرفه سوى أهل
حملة لحال أنصبة القرب ونعيم الأنس وروح اللقاء وسرور التملق وحلاوة الخدمة وبرح

المناجات وروح الخلوة وارتياح المجاورة بلهم منه تجلي معاني الصفات وظهور محاسن الاوصاف بلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ولا عذاب اليم اجل من نعيم الافعال ومواهب العطا والافضال وقد كان يحيى بن معاذ يقول من عبد الله تعالى بالخوف من الاجلال غرق في بحار الافكار ومن عبد الله بالرجا من الخوف تاه في مفازة الاغترار ومن عبد بالخوف والرجا استغرق في محبة الذكار وقال مكحول النسفي في معناه الا انه الوجيه من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبد بالرجا فهو مرجي ومن عبد بالمحبة فهو زنديق ومن عبد بالخوف والرجا والمحبة فهو موحد

شرح مقام الزهد واحوال الزاهدين وهو مقام السادس في مقام الزاهدين

قد سمى الله تعالى اهل الزهد علما بقوله تعالى اذ وصف قارون بخروجه على قومه في زينته الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فهم الزاهدون في الدنيا وقال عز وجل اولئك يوتون اجرهم مرتين بما صبروا واجلا في التفسير على الزهد في الدنيا وقال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم قيل على الفقر وقيل بما صبرتم عن الدنيا في هاتين الايتين قوله تعالى في وصف العلما الزاهدين لما قال وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير قال عقيب ذلك ولا يلقاها الا الصابرون اي عن الدنيا ثم قال في مدحهم بوصف اخر يوتون اجرهم مرتين بما صبروا فقد حصل للزاهد اجران تضعيف على الفقر وبوجود زهده وللفقير المعدوم اجر واحد على الفقر لوجود فقره وعدم زهده وعلونا لذلك ويدل الخبر بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في اهل العلما يدخل فقرا امتي الجنة قبل اغنيائهم باربعين خريفا وقال في الخبر الاخر يدخل فقرا المومنين الجنة قبل الاغنيا بخمسمائة عام وبان الفقير الزاهد يدخل الجنة قبل الغني المتصل بخمسمائة عام وهو الا مخصوص الفقرا وان الفقير غير الزاهد يدخل الجنة قبل الاغنيا باربعين خريفا لاجل فقره فقط ومن محمول الفقرا مطلقا الاغنيا مقصورين في الحالين معا وان جملة الفقرا يدخلون الجنة قبلهم لمكان عدمهم كان في الدنيا وان عموم الاغنيا من اهل الدنيا موقوفون للحمد والحساب ومطالبون بالانفاق ولا كنت صاحب الحجة لذلك اطلعت في الجنة فرايت اكثر اهلها الفقرا واطلعت في النار فرايت اكثر اهلها الاغنيا وفي لفظ اخر قلت اين الاغنيا فقال احبسهم الحد وقد سمى الله سبحانه الفقرا الزاهدين محسنين ووضع عنهم السبيل فقال تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج ثم قال ما على المحسنين من سبيل ثم نص على ذلك من علية الحجة والمطالبة وقال انما السبيل على الذين

بستناده نونه

بستناده نونه وهم اغنيا رضوا بان يكونوا مع الخوالف يعني النسا وعلى هذا جا تاويل قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قيل ازهد في الدنيا فصار الاحسان مقام الزاهدين وهو وصف اليقين كذلك فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سيل ما الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه يعني على اليقين وهو المشاهدة والعيان اذ هذا الموقن لانه مقتضى ومن نتيجة ثم لم تفضل الاغنيا على الفقرا عند قوله تعالى تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون ولا يعلم ان هذا عند اهل التدبر للقران مزية للفقر الفقرا على انهم لما كانوا محسنين كما قال وسنزيد المحسنين وكان من مزيدهم الحزن والاشفاق وخوف التقصير لمشاهدة عظيم الحق الربوبية عليهم حتى كانهم مسيئون حتى بشرهم الله تعالى بانهم محسنون لما قال ما على المحسنين من سبيل لانه مدحهم البكا في الوصف وعطف بهم عليهم في المعنى وايضا فلم يكن بكاوهم على فوت الدنيا ولا على طلب الغنا والله تعالى يمدحهم بصبرهم عن الدنيا ويذم الدنيا اليهم لكن كان حزنهم على طلب الذين من العقر ليجدوا لا نفاق ويخرجوا فيجتمع واتفق بين داذن فقرا يبدله الوقرهم وعلو الانفاق وهو حقيقة الفقر من الدنيا كان حزنهم مهنا فضيلة للفقر لا على الجمع والادخار والموضع لا على الغنى يضربه العقرا من مزية الاية عند اهل الاستنباط والتفكر هو مشاركتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاله ووصف الله عز وجل رسوله بمثل حالهم في قوله تعالى قلت لا اجد ما احملكم عليه ثم نعتهم بمثله لانهم لا قيل لهم ما لا اجد به فقال لا يجدوا ما ينفقون بم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل فهو لا افضل بعد وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم تحفة المومن في الدنيا الفقر فجعل الفقر تحفة له من ذوي التحفات المباركات مع الخبر المشهور الفقر على المومن ازين من العذار الحسن على خد الفرس الجواد والفقر اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم وشعار الانبيا وطريق عليه الاصحاب والتابعون باحسان وقد روينا في الخبر الاخر اخر الانبيا دخول الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه واخر اصحابي دخول الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه في الدنيا وفي حديث اخر رايته دخل الجنة زحفا ولا نعلم من الامة افضل من طا بقتين المهاجرين واهل الصفة وجميعا مدحهم الله تعالى بالفقر فقال الله عز وجل للفقرا المهاجرين للفقرا الذين احصروا في سبيل الله فقدم وصفهم بالفقر على اعمالهم الهجرة والجهاد والله تعالى يمدح من يحب لا ما يحب ولا يصفه حتى يحبه وروينا في قوله عز وجل وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا قيل عن الدنيا وروينا في الخبر بفقرا العلما امثل الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا فاذا دخلوا في الدنيا فاحذروهم على دينكم وجا في الاخبار ان الله تعالى يقول عن العبادة حتى الله عز وجل ما لم يبال لو اما نكت من دنياهم وفي لفظ اخر ما لم

يوثروا صفقة دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى
كذبتم لستم بها صادقين وقد روينا في خبر عن اهل البيت اذا احب الله عبدا ابتلاه فاذا
احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له اهلا ولا مالا وفي الاخبار عن
الكتب السالفة ان الله تعالى اوحى الى بعض اوليائه احذر ان امقتك فتسقط من
عيني فاصب عليك الدنيا صبا ويقال ليس عمل من اعمال البر تجمع الطاعات كلها الا
الزهد في الدنيا وعن بعض الصحابة قال تابعنا الاعمال كلها فلم نر ابلغ في امر الاخرة من زهد
في الدنيا وقال بعض الصحابة لصدر التابعين انتم اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذاك قال كانوا ازهد منكم في
الدنيا وفي وصية لقمان لابنه واعلم ان اعون الاشياء على الدين زهادة في الدنيا ويقال
من زهد في الدنيا اربعين يوما اجرى الله تعالى ينابيع الحكمة في قلبه وانطلق بها
لسانه وفي خبر اخر اذا رايتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه
يلقى الحكمة وقد قال الله تعالى ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وروينا في الاثار
جاء في الاخبار من اصبح وهمه الدنيا شتت الله تعالى عليه امره وفرق عليه ضيعته
وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة جمع
الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال
الله سبحانه في معنى ذلك من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث
الدنيا نوته منها وما له في الاخرة من نصيب وقد روينا في خبر قلنا يا رسول الله
صلى الله عليه اي الناس خير قال كل مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول
الله وما مخموم القلب قال التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قيل
يا رسول الله فمن على اثره قال الذي يشنا الدنيا ويحب الاخرة والشيء يعرف بضده
كما يعرف بمثله وقد اشتهر ان المحبة ضد الزهد وفي حمله خطابه ان شر الناس الذي
يحب الدنيا وان الراغب فيها هو المحب لها والافتتان بها ولا تستحكم رغبته الا مع المحبة
فيها كحب وقد روينا ايضا ان اردت ان يحبك الله فازهد في الدنيا فجعل الزهد سبب
محبة الله تعالى فينبغي ان يكون الزهد من افضل الاحوال اذ المحبة من اعلى المقامات
وصار الزاهد حبيب الله تعالى وفي دليل الكلام من رغبته في الدنيا فقد تعرض الله
لبغض الله تعالى الذي لا شيء اعظم منه وان الراغب مبغوض عند الله تعالى وكان
ابو محمد رحمه الله يقول تجعل اعمال البر كلها في موازين الزهاد ويكون ثواب زهدهم
زيادة لهم وقال ايضا العباد في موازين العلماء والعلماء في موازين الزهاد يوم القيامة
فلا يطمعن طامع في محبة الله تعالى وهو محب للدنيا لان الله تعالى يبغضها وفي خبر ما نظر
اليها منذ خلقها يقول لها اسكتي يا لا شيء ايتي واهلك الى النار وفي الخبر يقول الله تعالى
يوم القيامة للدنيا ميزوا ما كان منها لي والقوا سائرها في النار وكذلك روينا في الاثار الدنيا

ملعونة

ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله تعالى وما والاه وفي لفظ اخر وما ادى اليه ومثل الدنيا
مثل ابليس لعنه الله تعالى جعله الله للعبر واللعنة ليبتليه ويبتلي به ويهلكه ويهلك
به وقد اشتهر ذلك لبعض المكاشفين قال رايت الدنيا في صورة جيفة ورايت ابليس
في صورة كلب وهو جاثم عليها وهو ينادي من يقول انت كلب من كلابي ومن جيفة
من خلقي وقد جعلتها نصيبه فيها فمن نازعه شيئا منها فقد سلطته عليه فجاء من
هذا المكان منه لم يكن فيه شيء منها تسلط العدو بالمكانة منه بقدر ما اصاب منها
وقد كوشف بها بعض الاولياء في صورة امراة وهي تجلي الخلق مجموعة اليها ومعها
تجعل في ايديهم شيئا قال فقلت له ما هو فقال الشيء بلبنه وطابعه ثم عليها ممكنو في
الايدي لا يعطيهم شيئا وكوشف بها مورق العجلي في صورة عجوز شمطاء ثرانية
عليها الوان المصبغات وانواع الزينة قال فقلت اعوذ بالله منك فقالت ان اردت
ان يعيذك الله مني فابغض الدراهم وكذلك جاء في الخبر الدنيا موقوفة منذ خلقها الله عز
وجل بين السماء والارض لا ينظر اليها فيقول يوم القيامة يا رب اجعلني لادنى اوليائك
نصيبا اليوم فيقول اسكتي يا لا شيء اني لم ارضك لهم اليوم وقال بعض السلف
الدنيا دنية وادنى منها قلب من يحبها وروي عن علي كرم الله وجهه الدنيا جيفة
من اراد منها شيئا فليصبر على مخالطة الكلاب وفي اخبار موسى عليه السلام ان لم
يلق الفقير مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واجعل كل علم علمته تحت التراب رايت
الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال ابو محمد رحمه الله في اخبار داود عليه السلام اذا رايت
عجلت عقوبته وقال ابو محمد رحمه الله في اخبار داود عليه السلام اني خلقت
محمد لاجلي وخلقت ادم لاجل محمد وخلقت ما خلقت لاجل ولد ادم فمن اشتغل منهم
بما خلقته لاجله حجبته عني ومن اشتغل منهم في سخطي اليه ما خلقته لاجله وذو
وكان يقول الصديقون في زمانهم طلبوا الدنيا من الله تعالى فمنعهم بلطفه لانهم لو اعطوا التي
عرضها عليهم ما قنعوا منها وكان عيسى عليه السلام يقول هون الدنيا علي يا خنزير
وقد روينا هذا القول عن يزيد بن ميسرة وكان من علماء اهل الشام قال كان الانبياء يسمون
الدنيا خنزيرا ولو وجدوا لها اسما شرا من هذا لسموها به وكانت اذا اقبلت اليهم قالوا
لها اليك عني يا خنزير لا حاجة لنا بك انا قد عرفنا الهنا عز وجل وعرفناك فرغبنا
بالابتلاء بك لتبتلي كيف نعمل في الزهد فيك واعرفنا له وعرفناك ايضا فامقتنا الامور
في افضل في ذلك وعرفناك ايضا فمقتنا فلو بقينا اليه فاجتنبنا واعرضنا عما سواه وكذلك
كان الحسن رحمه الله يصف اشياخه كان احدهم يعرض عليه المال الحلال فيقال خذه
واستغن به فيقول لا حاجة لي به اخاف ان يفسد علي قلبي وهذا ان كان له قلب
صالح راع يخاف تغيره كذلك روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه مر بجدي ميت
فربما يقال اترون هذا هان على اهله قلنا يا رسول الله من هوانه القوه فقال الدنيا

اهون على الله تعالى من هذا على اهله وفي لفظ آخر انه قال اتعجبون ان معزاله بردهم فللد
نيا وبيع شيء فيساوي هذا فقال الدنيا اهون على الله تعالى من هذا عليكم وكذلك اخبر
بالغاية في قلتها وعدم قيمتها بقوله لو كانت الدنيا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة
ما سقى كافرا منها شربة من ماء ومن ذلك صلى الله عليه وسلم المثل في تنتنها وانقلابها
على اهلها بقوله للذي لقي ارايتما ما تأكلون وما تشربون اليس تنظفون وتتهون
قالا بلى قال والى اي شيء يصير قال الى ما علمت يا رسول الله قال اليس يتغير
احدكم خلف بيته فيجعل يده على انفه من نتن ريحه قال نعم قال فان الله عز وجل
جعل الدنيا مثلا لما يخرج من ابن آدم وكذلك روينا في تاويل قوله تعالى وفي انفسكم
افلا تبصرون قيل مواضع الغائط والبول قال وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع قال
بعض اهل اللغة متاع يعني جيفة سمعنا عن الاصمعي قال بعض العرب يقول متع اللحم
اذا تغير وانتن ومن ذلك ان الحسن يقول الحاجة ابن آدم الى الدنيا كان اذل شيء فعل فيها
انه اعرف وروينا عن ابن عباس قال ان آدم لما خرج منه بدأ ريحه ما اغتم لزلته فقال
جبريل عليه السلام ومن ذلك الجنة خطيئته فيشهد العقلاء عن الله تعالى في الدنيا
في صورة كنيف فلم يرغبوا فيها الا ضرورة فكلما استغنينا عنه حولنا الكنيف
كان اجود وشهرها بعضهم جيفة فلم ينالوا منها الا بلغة فكلما تقللت من الجيفة
كان خيرا وقال وهب بن منبه قرأت في بعض الكتب يا ابن آدم في تبديد ازالة الدنيا
تزيد الدنيا طالما عنادها فيها وفي بعض كتب قال الله تعالى يا ابن آدم انك بد لك اللازم
بلاته عليك ما منه بد وقال بعض الحكماء عن الله عز وجل انه اوحى الى الدنيا
من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه وقال آخر وقد روينا مسندا ان الله تعالى
اوحى الى الدنيا مري للاولياء يعني يكون رغبتهم فيما عندي واحلوي للاعداء يعني
يكرهوا لقائي وفي حديث عائشة رضي الله عنها من احب لقاء الله احب
الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فيه الآن روحها فاكهة لظهور انبلاء
الدنيا مستحقة لغير محبيها واضدادها من الاحباء والحسنى في فضل الزهد وشرف العقل
رابعة الى وسر العقل النخاة قبر وقرة عين الزاهد ترواصل الاجنبية في الله نيلا من
ضعف اليقين لأن العبد لو قوي يقينه نظر بنوره الى الآجل فعلا بفي نظره العاجل
يزهد فيما عند الله واحب الخالق فيثار ما هو اعود عليه وابقى وانفع له وهو ارضى
وقرو ولا يفنى ويتقطع الوصل بروم وينتصر وهذا صورة الزهد وشهادة الموقن
لان الخالص لا يحب ما غاب وانفعل الهم ترو الى وصفه تعالى لابراهيم عليه السلام
في قوله وليكون من الموقنين فقال لا احب الآفلين فالموقن مأمور باتباع ملة
ابراهيم كقوله عز وجل ملة ابيكم ابراهيم اي عليكم ملة ابيكم ابراهيم اتبعوا ملته
وليس يشهد الوعد والوعيد بنور العقل انما يشهد بنور اليقين على ان نقول ان

الانوار اربعة والقلب موجه جهات اربعا الى الملك والملكوت والى العزة والجبروت
فبنور العقل يشهد الملك وبنور الايمان يشهد الملكوت وهو الآخرة وبنور اليقين
يشهد العزة وهي الصفات وبنور المعرفة يشهد الجبروت وهو الوحدانية والجبار جل
جلاله فوق القلب محيط به بكل شيء بما شاء فيقلب عليه وجه ما اشهد عليه وهو
وصف اليقين فهو يرى في كل شيء وقوة اليقين تختلف فيه في كل عمل ولا بهو حيل
فيشتري اليه بنور العقل فمن لم يعط نور اليقين لم ير الملك الكبير واستصغر الملك
الصغير واحب لا شيء فلم يكن قيمته في العلو ولا عنده اعلى شيئا

باب كراهية الزهد في شيء هو

ليس يمكن عند ان يزهد في شيء حتى يعرف الدنيا اي شيء هي ثم فقد قال الناس
في الزهد اشياء كثيرة وكلهم مختلفين الاذكى اقولهم ما بين الله تعالى وعنيه
بكتابه الذي جعل فيه الشفاء والغنى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو الحبل المتين والصراط المستقيم من طلب الهدى في غيره اضله الله تعالى قال الله
تعالى وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله وقال فهدى الله الذين آمنوا لما
اختلفوا فيه من الحق باذنه وقد ذكر الله جل اسمه في كتابه ان الدنيا سبعة اشياء
وهو قوله عز وجل زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة
من الذهب والفضة ثم قال في آخرها ذلك متاع الحياة الدنيا فوصف حب الشهوات
بالتزيين ثم نسق الاوصاف السبعة على الحب ثم اشار اليها بقوله ذلك بعد
اشارة الى الكل والكاف كناية عن المذكور المتقدم والمنسوق واللام بين ذا ولك
والكاف للتمييز والتوكيد محيط من نوب الخطاب ان هذه السبعة جملة الدنيا
وان الدنيا هي هذه الاوصاف السبعة وما يتفرع من الشهوات راجع الى الاصل من هذه
الجمل فمن احبها جميعها فقد احب جملة الدنيا وان الدنيا هي هذه الاوصاف السبعة
وما يتفرع عن نهاية الحب ومن احب اصلا منها او فرعا من اصل فقد احب بعض الدنيا فجملتها
بعض الكلام انها شهوة في الدنيا ومنها من دليلها الحاجات ليس بدنيا لانها تقع ضرورات
ما دام لم تكن الحاجة في الدنيا لا انما تسمى شهوة وان كانت قد تستحق الاسم شهوة
لكن فلما ذاك في الدنيا وان وجد الاسم للابقاء الاحكام عليها واستقرت له الخبر روينا
عن الله تعالى في الاسرائيليات ان ابراهيم عليه السلام اصابته حاجة فذهب الى
صديق ليستقرض منه شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما فاوحى الله تعالى اليه لو
سالت خليلك لاعطاك فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا فخشيت ان اسالك منها
شيئا فتمقتني فاوحى الله اليه ليس الحاجة من الدنيا ثم جمعها تعالى في ثمانية
السبعة الاوصاف في مكان آخر في خمس معاني فقال اعلموا انما الحياة الدنيا لعب

وهو زينة وتفاخر بينكم وتكاثر فهذه الخمسة هي وصف من احب تلك السبعة ثم
اختصر الخمسة في معنيين فنبه على ما اجتمعا فيه من السبعة فقال وما الحياة الدنيا الا
لعب ولهو ثم رد الاثنين الى وصف واحد وعمّ عند المعنيين فصارت الدنيا ترجع الى
شيئين جامعين لخمسة ثم يصلح ان يكون كل واحد منهما هو الدنيا في الوصف الواحد الذي
في الاثنين الذي فيه اللعب واللهو هو الهوى الذي جمع السبعة فيه فقال ونهى
النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فصارت الدنيا طاعة النفس للهوى بدليل قوله
تعالى فاما من طغى وءاثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى فلما كانت الجنة ضد
الجحيم كان الهوى هو الدنيا لان النهي عنه ضد الايثار له فمن نهى نفسه عن الهوى
فانه لم يؤثر الدنيا واذا لم يؤثر الدنيا بهذا الوصف كانت له الجنة التي هي
ضد الجحيم التي هي لمن لم ينه نفسه عن الهوى فالايثار للدنيا مجاوزة الدنيا هي
طاعة الهوى والايثار في كل شيء فينبغي ان يكون الزهد مخالفة الهوى في كل
شيء واصل المعنى لان الذي عبر به عن هذا الوصف الذي هو الهوى فجعله دنيا
ايضا هو حب البقاء لمتعة النفس استنبطنا ذلك من قوله تعالى وقالوا ربنا لم كتبت
علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب فالقتال هو فراق الحيوة الدنيا لانه المفضي
بالنفس بسبب الى التلف والفناء بين السبعين فقالوا لو امهلتنا الى وقت
اخر وهو اجلنا بالموت لا بالقتل وهذا هو حب البقاء فنفس حب البقاء بانه هو الدنيا
فقال قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى فلا تكسبها الناس وافتضح المنافقون
المنافقون وابتلي صالح المؤمنون عند فرض القتال وظهر المحبون الذين يقاتلون
في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص وعندها رجح الذين هم لانفسهم واموالهم
بايعون فلما انهم قتلوا باعوها وقال في المشترين الخالصين من اشترى والحياة الدنيا
بالاخرة يعني رغبوا في البقاء الادنى لما اشتروه فبيع البقاء الاخر انه باعوه فمن
اشترى الاثنين سلعة فارتفعت سلعة بالاعلى وبالادنى الابعد فربحت تجارتهم
ولاهم في سبيله بخبرة تجارة من رغب في حياة ثم ينبه فاشترى اهلا فيه فقال ابد الابد
فقد صار بايعا الحياة العالية فما استبدله من اشتراه فهو هذا تنبيه فقوله
تعالى اشتروا الحياة الدنيا اي باعوا الحيوة العليا وذلك الا والتجارة من باع
حياة نفسه وفرق مجموع ماله فاشتراه الله تعالى منه وعوضه داره واسكنه
فيها جواره فقد ربحت واشترى سبيله لما باع حياة خمسين سنة بلا ثمن نجيه
ابد الابد فهذا ربح تجارة الاخرة ان زهد في الدنيا وذلك خسر تجارة الدنيا
الا امنيتي في الهوى فشتان بين التجارتين فما اعظم حسرة الغافلين من خسر
ما يجد الزاهدون بعد الموت وقد كان الناس مستترين بالخطايا ان هو في البقاء
وملتفون لانهم حب البقاء الاعلى حتى نزلت الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم

واقيموا الصلاة واتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون
الناس كخشية الله الاية وحتى نزلت يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون ن
لما قالوا انا نحب ربنا ولو علمنا في اي شيء محبته لفعلناه فانزل الله كبر مقتا
عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا ولذلك
قال ابن مسعود ما كنا نحسب ان احدا يريد الدنيا حتى نزلت منكم من يريد
الدنيا ومنكم من يريد الاخرة وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت ولو
انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال
ابن مسعود فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انت منهم اي من القليل الذي كان
يفعل ذلك فاذا كان حب البقاء هو الدنيا فينبغي ان يكون حب بقاء البقاء هو الزهد
فصار الزهد في الدنيا هو الزهد في البقاء من زهد في الحياة العاجلة في ماله المجموع
فالجهاد للنفس والانفاق في سبيل الله فقد زهد في الدنيا ومن زهد فيهما احبه الله
تعالى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك صار الجهاد افضل الاعمال لانه حقيقة
الزهد في الدنيا ولان الله تعالى يحب من زهد في الدنيا ثم كان مخالفة الهوى افضل الجهاد
لانه حقيقة في الدنيا وقد عبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزهد في
الدنيا اذ قال في الحديث الا وان اردت ان يحبك الله فازهد في الدنيا ثم قال في الخبر
الثاني فجعله اجتنب المحارم يحبك الله فصار اجتنابها زهدا في الدنيا وان الزاهد في
نفسه حبيب ربه وان الراغب في حب البقاء لنفسه منافق في دين ربه ومنه الخبر الذي في
جاء من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من نفاق وبه تشبه الله
الكلام بين وصفهم بمرض القلوب فقال سبحانه فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها
القتال رايت الذين في قلوبهم مرض يعني نفاقا ينظرون اليك نظر المغشي عليه
من الموت فاولى لهم ثم وعيد اي وليهم العذاب وقرب منهم ثم قال طاعة وقول
معروف اي يقولون منهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فصدقوا الخلايق كذبوا ونكثوا
فلو صدقوا الله اي في الوفاء لكان خيرا لهم وهذا من الكلام المضمر وكذلك تشكل البقاء
والحياة اسمان لمعنى ولذلك جعل الله تعالى الدنيا وصفا للحيوة فتكون الدنيا هي الحياة
وتعتقد بالدنيا نعت مؤنث لدخول الهاء في الاسم الذي على احد علامات التانيث وصارت
الحياة هي الدنيا وصار قوله الدنيا نعتا بالدنو ولو كان الاسم يذكر مثل البقاء نعته
بتذكير فقال الادنى وقد قال في مثله ياخذون عرض هذا الادنى فالادنى تذكير دنيا وا...
والدنيا تانيث الادنى كالاعلى والعليا والاخفى ولا تشتغل تذكير عليا وفنوا وسعتنا والعرض
اسم لما يعرض فيقل بقاؤه فمن احب ذلك فهو حب الدنيا لجميع الادنى وهذا يرجع الى اصل حب
الحياة لانه اختار بها العرض الادنى لاجل الحيوة فصار حب البقاء الذي لاجله يريد عرض
الادنى هو الدنيا وصار حب العرض لاجل البقاء من الدنيا فهذا الذي ذكرناه حقيقة

الدنيا حب البقاء لطاعة الهوى وموافقة الهوى في حب العرض لأجل البقاء فمن طول أمل
فلا ذنب له لأن حب البقاء لأجل المتعة هو من الهوى الذي هو صفة النفس الأمارة
بالسوء وطاعة الهوى الذي هو شهوة النفس إنما يكون محبة لأن يتعلق العبد ولا يبقى
بالموت ساعة الحق على الهوى ولو أيس من البقاء لما رغب في العرض لأنه فني وصار
حب البقاء من الهوى وصار إيثار الهوى هو حب البقاء فكان ذلك حقيقة الدنيا وكان
أقوى الناس أملا للبقاء من هو فيه في الدنيا حتى لا يدخر شيئا لغد لأنه عنده غير باق
إلى غد وصار أرغب الناس في الدنيا أطولهم أملا لأن رغبته اشتدت فيها ولحرصه شح
عليها لاقتراحه أمله للحياة فيها إذ لو قصر أمله لقل اغتناره بالغنى فيتبين واختيار الفقر
هو أن هو

بيان آخر من الزهد أي شيء هو

قال الله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين فهذا
لتسميته إياهم لتحققهم بالمعنى محتاج لأن نستشهد ليكون من تحقيق المعنى ذا الزاهد ذا
قوله تعالى وشروه يعني باعوه والعرب تقول شريت بمعنى بعت لأنهم يقولون اشتريت
بمعنى اشتريت فلما باعوه وخرج عن أيديهم صاروا زاهدين كذلك العبد إذا باع والده
ونفسه من الله تعالى وخرجا من هواه إلى سبيل مولاه فهو من الزاهدين ولذلك قال اشترى
من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة كما قال ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي
المأوى فإذا كان العوض واحدا وهو الجنة في المعنيين كان مع النفس والمال وإخراجهما
وإخراجهما لله تعالى بمعنى النهي عن الهوى فيهما الذي هو الحياة الدنيا وهو
أقوى للنفس وحبس النفس عليه أغنى المال فإن يستنفرا إنما لا بد من إخراج
الهوى من النفس ولا قال العقل على المال هو الزهد في الدنيا وليس ذلك من أمر النفس
الأمارة بالسوء لأن هذا هو مجاهدة الحب فصار زهدا لما من الهوى الذي هو اقتناء
المال للجمع والمنع وهذا هو الدنيا بوصف النفس الأمارة بالسوء لأن هذا حقيقة سوء
فكل من كان هذا الوصف بنفسه غير موصوف لأن هذا بالسوء وإذا لم تكن موصوفة لم
يكن صاحبها راغبا وإذا لم يرغب لم تكن مستنزلة فلا يكون صاحب قوة النفس لأنه
لا جامعا للمال ولا نائلا له راغبا في الدنيا لحيائه وليس هذا صفة المومن

وصف آخر من البيان

والتفضيل لما شق الله تعالى أن من اشترى النفس وإخراج المال في ذلك المبيع والثمن
والمستثنى في قوله تعالى يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وكان الزهد
هو من طاعة الهوى وبيع النفس بينهما عند من المولى وكان العوض منه له الجنة
كان الزاهد منه له الجنة كان الزاهد هو الذي يعلم ربه البائع نفسه فيه طوعا فمثل

ان يخرج نفسه إليه كرها وكان الله تعالى هو المحبوب له الذي يرغب فيه فصار العبد محبا
له فجعل له من الغنى حين عشرة وإنما كانت الدنيا هي طاعة الهوى وحب الحياة الدنيا
لمتعة النفس الشهوانية كان ذلك أعجب شيء لنا. أما لما كان الله تعالى فسنة في الحياة
الدنيا فانقلبت ذلك الحيرة العليا ولم يكن محبا له وكان من المبعدين عنه بسوء اختياره
وحق عليه الخسران والجحيم في الآخرة لأنه صار زاهدا في المزيد الظاهر بزاد الغرب في جوار
الحبيب القريب

ذكر بيان حقيقة الزهد وتفصيل أحكامه ووصف الزاهدين

اعلم أن الزهد يكون بمعنيين أن كان الشيء موجودا فالزهد فيه إخراجه وخروج القلب
منه ومن زهد لا غنيا ولا فقيرا فالزهد فيه مع تبقيته للنفس لأنه لا دليل الرغبة فيه
وإن لم يكن موجودا وكان العدم هو الحال فالزهد هو الرضى به والغبطة بالفقر وهذا
زهد الفقير وكذلك القول في الزهد في القدرة على الهوى لا في الأمر مع وجود لا بقائه
بد الماء أن أخوة يوسف زهدوا فالزهد فيه يقولهم ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ولم
يسمهم الله تعالى زاهدين وكلموا فالزهد فيه بقولهم اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل
لكم وجه أبيكم ولم يسموا زاهدين وارادوا الزهد فيه بقولهم أرسله معنا غدا يرتع و
يلعب ولم يحتقروا بالزهد فيه وعزموا على الزهد فيه وأجمعوا عليه ولم يسمهم الله تعالى
زاهدين مع قوله مخبرا عنهم فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب لأن هذا
كله من أسباب الزهد وفعل ما أنه قد يلتبس ويشكل على من لم يعرف حقيقة الزهد فيظنه
زهدا وليس هو زهدا لأنه في أيديهم فلما أخرج من أيديهم واعتاضوا منه ثمنا حينئذ سماهم
فيه فقال تعالى مخبرا عن حقيقتهم وشروه أي باعوه وكانوا فيه من الزاهدين وكذلك المؤمن
يهم بيعه ويغلب عليه نبيعه فلا تكون إشارة فيه ولكن تكون موصوفا بالإرادة لا
لزهد حتى يبيعه وتعتاض عنه فحينئذ هو زاهد فيه وعلى دليل الخطاب من قوله تعالى
وكانوا فيه من الزاهدين أن من أخرج الشيء من يده طوعا ونفسه تتبعه فلا مقام
في الزهد بالمجاهدة ومن أمسك الشيء والظهرت نفسه الزهد فيه بالإرادة والهمة
فلا مقام له في الزهد لأن الإمساك علامة الرغبة والرغبة ضد الزهد فكيف يوصف
بالشيء وضده في حال فالرغبة في الإمساك للشيء المتوهم للزهد فيه بالفعل نفسه
ذلك بالإمر وصفني إلا أن لا يعرف الزهد ولا يعرف خفي شهوة النفس هذا إن لم يكن
عن الراغبين والمخرج للشيء عن يده الخرج لقلبه عنه هو المتحقق بالزهد فيه وهذا هو
الذي وصف الله تعالى به إخوة يوسف والممسك للشيء المتعلق به الذي فيه همه
وقلبه عاكف عليه هو المتحقق بالرغبة فيه وهذا وصف عزيز مصر في يوسف لما اشتراه

محبته لله تعالى بالرغبة فيه لا فتنا به فقال مخبراً عنه بعد ما اشتراه ابيه اكرمي مثواه عسى
ان ينفعنا او نتخذه ولداً وكذلك وصف امراة فرعون في رغبتها في موسى عليه السلام
بقولها قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولداً فكذلك كل من احل شيئاً
واتخذه لنفسه لا يكون فيه زاهداً ابداً

بيان آخر مستنبط من الكتاب

اعلم ان زهد اخوة يوسف في اخيه قد كان يقال زهدهم في يوسف لا انه كان نجيّ
عند ابيه وقد كانوا ايضاً زاهدين فيه ليخلو لهم وجه ابيهم منه الم تسمع الى قولهم
ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وكذلك جاء في الخبر انهم ارادوا ان يلقوا اخاهم معه
في الجب حتى القى نفسه على يهوذا فشفع فيه فمنعهم منه وكان يشترى اه
منهم مصيبته فيهم وقد قيل انه استوهبه منهم وقال الحق يكون فيه سلوة للشيخ
الكبير لا تجمعوه مع احبّ(؟) ووجع تبلوه ثقيل في الكلام معناه قد نصروه له نزل الله عز
وجل لم يفعل مع ارادتهم ذلك لما علمه فيه وكانوا فيه من الزاهدين من قبل الله لما تبيّن
فيقعوا بالزهد فيه في يوسف انهم يخرجوه من ايديهم فكذلك اثبت انه كان الشيء
موجوداً عندهم انما تمسكه لنفسك ثم علمت انك زاهد فيه بخواطر الارادة والارادة
الزهد بعد كونه على نفسه ينسيه ابتلاء ازاهداً وكونه نفسه يوجوده ما هو منه
فيها بالعلم او موهبة تخلى من الارض الزهد رغبة عنه ابتغاء الدنيا وزهدا في الزهد
حتى يخرج الشيء الذي ينظر انه زهدت فيه وتعتاض منه محبة الله تعالى وطلبا
مرضاته او ما عنده من ثوابه فحينئذ يصح زهده فيه على العلم وعند العلماء فيكون
زاهداً اصلاً فاعتبر ذلك وصفة الزهد بالزهد وسماه الزاهدون زاهداً لا لاجله اذا لم يكن
الشيء موجوداً لاجل انه زهد فيه لا لعلة للزهد وان هو في معدوم باطل من قبل ان
تقوم فيه لا لعلة للزهد فكذلك لم يصح زهده فيه ولعله لو كان موجوداً لغيّره فليحذر
به ويتغلب فيه اذ ليس في الحب الخفيّ لم العافية الا الخبر قد يشبهه ويوهم والمعاينة
تكشف الحقيقة وتحكم ولان النفس ذات نزوات لما طبعت عليه من حب المنفعة
بالرغبة فيه فكذلك لا يجعل ظناً معروفاً كيقين موجود ولكن قد يكون لامقام
من الزهد في المعدوم بغية ما يبشر له ويقوم لا يحب وجود الشيء ولا يناسب
فقده او يكون مغتبطاً بعدمه مسروراً بفقده لعلم الله تعالى من غيبه ويطلع
على سره انه لا يفرح بوجوده لو وجده ويحبه انه قد فعل فيه لان قلبه قد رتع بالله
تعالى راض عن الله تعالى بما له التي هي العدم من الدنيا غير محب استبدالاً من الفضل
لصرف تعيينه بفضله الزهد واذا كنت بهذا الوصف حسبت لك جميع ما لك زهداً وكان ثم
لك باختيارك المعاني ثواب الزاهدين فان لم تكن لك الدنيا من الواجدين وهذا زهد الفقراء

الصادقين وهو التحقق بالفقر وقد قال بعضهم حقيقة الزهد ان يكون مغتبطاً بفقره خائفاً
ان يسلبنا الفقر كما يكون الغني مغتبطاً بغناه خائفاً من الفقر وقد كان مالك بن دينار
يقول اذا قيل له انت زاهد قال انما الزاهد عمر بن عبد العزيز جاءته الدنيا وملكها
فزهد فيها فاما انا فلا في اي شيء زهدت وقد يجيء الزاهد للعارف في الشيء مع وجوده
عنده اذا لم يفتنه فيشغله عن النفس ولم يبال به ويسكن اليه بل كان موقوفاً في خزانة
الله تعالى الذي في يده فينظر احكام الله تعالى فيه ومحبته له اذا استغنوا ووجود وعدمه وان
المسارعة اذا رأى حكم الله تعالى الذي تقديره فيكون في ذلك كانه لغيره من عبيده
او اخوانه او سبيل الله تعالى وهذا المقام زائد على الزهد ولذلك لم يخرج بل كان مخصوصاً
فيه تخصيص وهو ايضاً مقام من التوكل

بيان آخر مستنبط من السنة في ماهية الزهد

الزهد ايضاً تقليل الدنيا وتغربها واحتقارها بالقلب واستصغارها لما من الحكم الذي
جاء في ساعة يوم الجمعة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هي في آخر ساعة قال
وجعل يزهدها اي يقللها في يده وفهمنا ويدنيه من الغروب والمعنى لاخر في الخبر
الثالث من قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السلام لما ان لنا الاية له ورة
بالصدقة فلما جاءت الرسول صلى الله عليه وسلم فقال له كم ترى ان تجعل عليهم من الصدقة
مغافلة المناجات فقال شعيرة من ذهب فقال انك لزهيد اي مقلل مصغر للدنيا
ولكن تجعل عليهم دينارا او زهيد كانه معدول من زاهد للمبالغة في الوصف بالزهد
كما عدل شهير من مشاهير وخبير من خابر وكما عدل عليهم وقدير ورحيم من عالم وقادر
وراحم للمبالغة في العلم والقدرة والرحمة

ذكر وصف الزاهد وفضل الزهد

قوة الزهد الذي لا بد منه وبه يتحقق صفة الزاهد ويفضل به عن الراغب هو ان لا يفرح
بعاجل موجود من حظ النفس ولا يحزن على مفقود من ذلك وان يأخذ الحاجة من كل شيء
عند الحاجة الى الشيء ولا يتنفل عند الحاجة لا يمسك العافية ولا يطلب الشيء قبل
الحاجة واول الزهد دخول الهم بالاخرة في القلب ثم وجود حلاوة المعاملة فيها ولا
يدخل هم الاخرة حتى يخرج هم الدنيا ولا تدخل حلاوة المعاملة حتى تخرج حلاوة الهوى
وكل من تزود المعصية ولم يجد حلاوة الطاعة رجع اليها وكل من زهد في الدنيا ولم يذق
حلاوة الزهد رجع فيها وقال الزهد اخراج الموجود من اليد ما من القلب
اخراج ما خرج من القلب ثم اخراج ما خرج من القلب عن اليد وهو عدم الموجود على ...

لا استصغارا له واحتقارا والتقلل فيه ان الدنيا عنده وصغرها في عينيه فيها انما ينتهي ان هو تش
بنفسه وهو في زهده فيكون حبيبه زاهدا في زهده اخبته من زهده وبهذا يجل الزهد وهذا
له او حقيقته وهو اعلى الاحوال في مقامات اليقين وهو ان هو في النفس لانها ان هو للاجل
النفس ولا رغبة في ان هو للزهد وهو مشاهدة الصديقين ودون هذا المقربين ودون هذا مقامات
اخراج المرغوب فيه عن اليد مع ذلك اليه وعلى مجاهدة النفس فيه وهو زهد المومنين وذلك
العمل بان هو عقد وعمل اخرا كان ان هو عن الايمان فالايمان قول وعمل كذلك ان هو عقد
وعمل فعقده خروج حب الدنيا من القلب بدخول حب الاخرة في القلب والعمل بان هو اخراجه
عن اليد في سبيل الله عز وجل معتقدا فقده ما عند الله من وجهه او فقد جوازه في دار فان
لم تكن الدنيا موجودة فان تركها لا سعي عليها وقلة الحرص مع تجاوز الطلب والنهي نحب
وسكون القلب مع العدم رضا بحسن القسم محبب للعبد وهذا لانه لاحال العفيف
فلذا قام بحكمه لم يجب عليه اكثر من القيام به والورع هو من ان هو لحال ان هو من الايمان
والحياء والايمان في قرن واحد كما جاء في الخبر اذا انتزع احدهما تبعه الاخر ورويناه في لفظ
حديث من طريق اهل البيت ان هو والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادفا
قلبا فيه الايمان والحياء اقاما فيه والا ارتحلا والقناعة ايضا من الزهد ايضا واولها
بالتيسير من الاستيفاء حالا من ان هو التقلل في الاستيفاء ومنتهاه الزهد وقال ابراهيم
بن ادهم قد حجب قلوبنا بثلاثة اغطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى يرفع
هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن على المفقود والسرور بالمدح فاذا فرحت
بالموجود فانت حريص والحريص محروم واذا حزنت على المفقود فانت ساخط والساخط
معذب واذا سررت بالمدح فانت معجب والعجب يحبط العمل وقال الله تعالى ومن
اصدق من الله قيلا لكيلا تاسوا على ما فاتكم يعني من الدنيا ولا تفرحوا بما
اتاكم اي منها وهذان الوصفان من ان هو من اعطي احدهما بصفة
الاخر لان الذي لا ييئس على ما فاته من الدنيا هو الذي لا يفرح بما اتاه منها
والذي لا يحزن على ما فاته وهذا وصف عند غير منملة وسيط عند فالمحكم ربا وتعا
ونعتنا عبد موقن محب قد شغلته مشاهدة الاخرة عند الفرح بمتعة الدنيا وقد رغبته
معانيه الاخرة من الاشتغال بما يفنى وفي احد الوجوه من قوله تعالى وانه هو اغنى
واقنى قيل اغنى اهل الاخرة بالله واغناهم عن الدنيا بالاخرة واقنى اهل الدنيا
من الدنيا اي جعل لهم قنية ومرضى او عدة كما وصف من ذمه في قوله جمع مالا وعدده
اي فالا هذا عدة لكذا وهذا عدة لكذا فتفسيره في الوجهين فقد حصل من ذلك ان اهل
في المال عند الله تعالى هو كنز وذخر وطوبى له وحسن ماب ورويناه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كفى باليقين غنى وكفى بالعبادة شغلا وكفى
بالموت واعظا وهذا حلية وصف ان اهل المومنين الذي هو للموت قد تاهب مع الخير

المشهور ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى اليقين وقد جعل النبي صلى الله
عليه وسلم ان من هو في الدنيا عاملا بحقيقة الايمان ورتبه لمشاهدة الايقان في قوله صلى
الله عليه وسلم لحارثة عرفت فالزم عبد نور الله قلبه لما قال المومن حقا قال وما حقيقة
ايمانك فاخبره بان من مقال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها
وكاني بالجنة والنار وكاني بعرش ربي بارزا واشار هذا الخبر الى ان الذي جعل
النبي صلى الله عليه وسلم ان من علامة شرح الصدر بالنور وهو نور اليقين
الذي عموم وصف المومنين لانه هو التحقيق بالاسلام وتفسير قوله تعالى فمن يرد الله ان
يهديه يشرح صدره للاسلام قيل يا رسول الله ما هذا الشرح قال ان النور اذا دخل
القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة قال نعم التجافي
عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فهذا هو الزهد
جعله شرطا لحقيقة الاسلام واشار صاحب الخبر الثالث الذي فيه الحياء من الله
تعالى بان الزهد في الدنيا فقال استحيوا من الله حق الحياء فقلنا انا لنستحيي فقال ليس
لنستحيي فقال تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون ولمعنى هذا الخبر ايمان الوفد
الذي سالهم ما انتم فقالوا مومنون قال وعلامة ايمانكم فذكروا الصبر عند البلاء والشكر
عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعداء فقال ان
كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تاكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه تزحلون
فهذا كان هو جعله تكملة ايمانهم وعلو مقامهم واعلم من مثل ذلك الخبر الرابع الذي جعل فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من شرط اخلاص التوحيد في حديث رويناه عن انس
المكشر عن جابر قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جاء بلا اله الا الله
لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة فقام اليه علي بن ابي طالب عليه السلام فقال بابي
انت وامي يا رسول الله ما لا يخلط بها شيء غير ما صفه لنا فسره لنا فقال حب
الدنيا طلبا لها واتباعا لها وقوم يقولون قول الانبياء ويعملون اعمال الجبابرة فمن جاء
بلا اله الا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة فلذلك كان علي عليه السلام
يجعل الزهد مقاما في الصبر ويجعل الصبر عمدة الايمان في حديث يثبتني رويناه عنه او نحوا
قوله في الحديث الطويل الذي رواه عنه عاصم وعتبة بن عمير والحسن والاعور وقبيصة
بن جابر الاسدي في مباني الايمان انه قال الايمان على اربع دعائم على الصبر واليقين
والعدل والجهاد قال والصبر منها على اربع شعب على الشوق والشفق والزهد
والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات
ومن ترقب الموت سارع في الخيرات والخبر الاخر في الصبر الذي جعله عمود الايمان نهره
لا ايمان بعدمه قوله والصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد لا جسد لمن لا راس له
ولا ايمان لمن لا صبر له ورويناه في خبر مقطوع السخاء من اليقين ولا يدخل النار الموقن

والبخل من الشح ولا يدخل الجنة من شح وكان من الحكم وسيما الحكم المجمل السخي قريب من الله
قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله تعالى وبعيد من الناس قريب من النار وفسر في ذلك الحكم
الثلاثة بالثاني معنى يكون السخي قريبا من الله تعالى قريبا من الجنة لأن السخاء من اليقين
وبالثاني معنى يكون البخيل بعيدا من الله تعالى قريبا من النار لأن البخل من الشك وما البخل
وصف الزاهد لا يكون الزاهد إلا سخيا والبخل وصف الراغب لا يكون الحريص إلا بخيلا
ولا يكون الزاهد إلا سخيا والبخل وصف الراغب لا يكون الحريص إلا بخيلا ولا يكون البخيل
زاهدا لأن الزاهد يدعو إلى إخراج الشيء والبخل يدعو إلى إمساكه فنفس السخاء زهد
وعين البخل رغبة فلذلك ذم البخل لأنه رغبة في الدنيا ثم إن الحرص علامة البخل لأنه
دليل الرغبة والقناعة علامة السخاء لأنها دليل الزهد فلذلك فضل سخاء النفس عما
في أيدي الناس أفضل من سخاء البذل ثم بعض فقهاء الحكماء بعد اجتماعهما في الاسم
من جاد بملكه لله كان زاهدا فيه لوجه الله تعالى ووقع أجره على الله تعالى ومن جاد
بملكه لأجل الناس كان أيضا زاهدا في ذلك موصوفا بالسخاء ولكن لم يزهد لنفسه ولأجل
هواه ولا أجر له عند الله تعالى إذ لم يكن من عمال الله تعالى أجر في الآخرة لأنه عمل
لنفسه وحظ شهوته ونال في الدنيا لأنه عمل لأجل الناس كما قال ابن المبارك رحمه
الله ما رأينا بين الفتوة والقراءة فرقا إلا في شيء واحد ما أخلص القراءة شيئا
لا فيخشه الفتوة والمذا يعني فلان في القراءة يراد به وجه الله تعالى والفتوة يراد
بها وجوه الناس ومدحهم ومن كان أستاذه سفيان الثوري يقول من لم يحسن
يتفقه لم يحسن يقرأ أي من لم يعرف أحكام الفقه فيقوم به حتى يستحق وصفا حتى
لم يحكم أوصاف التقوى حتى يوصف بأنه قارئ ثم إن العبد فيجاهد نفسه
على الزهد كما يجاهدها على مخالفة الهوى وكما يجاهدها في الصبر على الحق بأن يخرج وب
والمرهوب وينبغي المحبوب على كل أشد من النفس وحمل بأن هو عليها فيكون له مقام في
بأن هو ينال به البر ويستوجب مرحلة من البر والمتقين ثم إن الزاهد هو الذي يتضع
للزهد ويعمل في أسبابه من التقلل وركاكة الحال في كل شيء فمثله مثل المتصبر من الصابرين
الذي يحمل على نفسه بالصبر ويطلبها على العلم فيكون له مقام له مقام من الصبر
وصفوة الزهد انتظار الموت وفقد الأمل لأن فيهما ترك الادخار وتحصين الأعمال
وقال ابن عيينة حد الزهد أن تكون شاكرا عند الرخاء صابرا عند البلاء وقال بشر بن
الحارث الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس من زهد فيهم فقد زهد في الدنيا وكذلك قال
بعض الحكماء إذا الطالب أن الزهد الناس باهر منه وإذا أهرب من الناس فاطلبه وقيل ليحيى
بن معاذ متى يكون الرجل زاهدا قال إذا بلغ حرصه في ترك الدنيا حرص الطالب
لها كان زاهدا وقال قاسم الجوعي الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فبقدر
ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد وكان الدنيا عنده الشبع والأكل الشهوات

وقال الفضيل بن عياض

وقال الفضيل بن عياض أن الزهد هو القناعة والدنيا عنده هي الحرص
وقال الثوري الزهد هو قصر الأمل وكانت الدنيا عنده طول الأمل وكان أبو سليمان الد
الداراني يقول الدنيا كلها ما شغل عن الله تعالى وكان الزهد عنده التفرغ لله تعالى وقد
قال إنما الزاهد من تخلى من الدنيا فاشتغل بالعبادة ولا اجتهاد بالتقلل من الكسب وتعطل
فإنما طلب الراحة لنفسه وكان داود الطائي يقول كل ما شغلك عن الله تعالى من
أهل أو مال أو ولد فهو عليك مشؤوم وقد قال أبو سليمان من تزوج أو كتب الحديث أو طلب
معاشا فقد ركن إلى الدنيا ومن أبو سليمان في قوله تعالى إلا من أتى الله بقلب سليم
قال هو القلب الذي ليس فيه غير الله تعالى وقال إنما زهدوا في الدنيا ليفرغ قلوبهم
من همومها للآخرة وقد قال أوليس الغريب إذا خرج يطلب ذهب الزهد وكان إمامنا وشيخ
شيخنا أبو محمد سهل رحمه الله يقول أول الزهد التوكل وأوسطه إظهار القدرة وقال
لي الزاهد العبد زاهدا حتى لا يرجعه بعد مشاهدة فترة فأول الفترة عنده أن ي
يشتهي ما سمع من كلام الغافلين إذ يقول ومما توقدون عليه في النار ابتغاء
حلية أو متاع زبد مثله فالحلية الذهب والفضة وهما فيه لا يشبه الأول إن ملكا
التغوص ويكتسى الرؤوس والمتاع ما سواهما من معادن الأرض فإنما شبه العبد
الذهب الذي هو سبب الدنيا ولأجله الشدة في الشد ويحتمله إن تبدأ من الزبد
لوقوعه وتدنيه في القلوب وقع من وقع فإذا شبه الجوهرين الذهب والفضة زبدا
كما يقع على وجه الماء لا ينتفع فيه ولا غنيمة ولا قيمة له إذ هو فيه جنينين زهد ص
صادق فكان زهده معاينة لا خبرا وكان من الموقنين حقا الذين وصفهم الحق بالحق
في قوله عز وجل الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا
وإن شهد بإيمانه ثم قال وعلى ربهم يتوكلون فالزهد يدخل في التوكل ثم قال
فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون فالتوكل يؤذن على الصبر وكان ممن سمع كلام
الله عز وجل فعقله عن الله تعالى ما شبه في المقام الأمين في جنات وعيون و
واستحق وصف الله تعالى بالإيمان إذا تلا القرآن بحقيقته إلا بقول الذين
آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به وذلك أن هذا الزبد
تشبيه من الله تعالى للمثل ضربه للحق والباطل والماء هو الحق في نفعه
وبقائه بالماء ومثل الباطل في ذهابه وقلة نفعه بالزبد ثم شبه الذهب لزهاده
عن الحقيقة بالزبد فتشبيه مماثلة لا تشبيه مجاز لقوله زبد مثله والمماثلة
مستغرقات ثم قال كذلك يضرب الله الأمثال للذين استجابوا لربهم الحسنى ب
أي الجنة والبقاء وقال للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء هم المريدون للحياة الدنيا
وزينتها الراضون المطمئنون بها ليس لهم في الآخرة إلا النار فسبحان من تبصر
الأبصار وسبحان مقلب الليل والنهار وسبحان من كل شيء عنده بمقدار فيهم ما البيو

كما يقدر حيث المتناهي يعني من متناهيته كما فضحهم بالإحاطة بشيء من علمه
والإحاطة فأعلمهم بما نشاء كما أحاط بهم ما شاء. وكان الذهب والفضة عندهم ذهبا وفضة
طبيعيا بعد أن يأتي فيكون فوق الماء فتجذبه ويمانه من معادن الجبال وكانت الجبال
عندهم أمواجا ذائبة بالجبال وسكنته بتسكين تحسبها جامدة وهي تمر مر
السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء وصارت الأرض بحرا عجاجا تتلاطم بالأمواج فيظهر
منها من المعادن والعقار للاستواء والاعوجاج من كل شيء موزون يقدر بكل الحيوان
في الماء وكل ما يعتاد على السبيل كالظهور حكمته وخفي قدرته ولطيف صنعته
ذلك لتشهدوا حكمته والقيام بشكره جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا
من رزقه إن ربي لطيف لما يشاء واجتمع العرق وارتفع العنق وعلا كل مستغرق فيه
وتحقق وكان عرشه على الماء ليبلوكم وهذه مشاهدة أبناء الآخرة فهي أعلى من
زهدهم في الدنيا واقتفى التجمع إذ تفقطن من الماء كل شيء كما لم واتسع الفضل
واستنفذ الغطاء ووجد التفصيل وحكم الحسبان بالتحصيل كما تنازل تفاقم فيتفقاهما ومعه
وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون وهذه مشاهدة أبناء الدنيا فهي أعظم عليهم
إذا ينقضوا من رغبتهم وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد لقد كنت في
غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد والنازعات غرقا والناشطات
نشطا والسابحات سبحا وهذه مشاهدة القوم عند الموت فيعظم عليهم الحسرة إلى
الفوت وقد وقع للخلوص من تصيبهم بمشاهدة فهم ناظرون إلى مستقبل الذي يرون
مشغولون به عن الغيبة فاليوم بشاهد الحق فيشرفون بالشهادة إذ لم كما أوراه
وبالهنا ولطيفا ومستترا ومعروفا ومنكرا والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس
لا يعلمون بمن عليه لم يكن وما غلبه عليهم إذ لم قهر وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر ألا كل شيء ما خلا الله باطل
وقال الحق والحق يقول خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا
أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما

وكان ابن عباس يقول

لو فسرت لكم هذه الآية لكفرتم فقيل وكيف قال كنتم تكفرون بها وإنكاركم بها كفر
بها وفي لفظ آخر لو فسرت الآية التي في سورة النساء القصرى لرجمتموني بالحجارة
معناه لكفرتم ثم رجمتموني لأنهم لا يعقلون [illegible] عنهم وروينا عنه في قوله تعالى جميعا منه
قال في كل شيء اسم من أسمائه فاسم كل شيء من اسمه فلما أنت من أسمائه وصـ
وصفاته وأفعاله بالهنا بقدرته وظاهر بحكمته وبعضنا كأن أبو محمد يتأول قوله
من الشمال أعز من اليقين فقلت السمع في السمع العلى والسمع السفلى كما

طوى

طوى ذكرها الهوى وغايبها العليا والتجلي في ملكوت العرش والثرى كما طوى
طي النفس وغاب العرش والثرى في جبروت الأعلى كما طي الطي وهو الذي ال
الأول ثم غاب الحرثان التلافي وظهر الباطن الآخر فهي بطن الظاهر الشأن فصار العبد
شهيدا الغول الرسول صلى الله عليه وسلم في كلمته ألا كل شيء ما خلا الله باطل
وأراه الآيات في الآفاق فيتبين الحق بقول الحق تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي
أنفسهم حتى يتبين لهم الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء محيط ولذلك قال ال
الرسول صلى الله عليه وسلم للرجل الذي قال اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال لا
تقل هكذا فإن الله تعالى لا يرى الدنيا كما تراها ولكن قل أرني الدنيا كما يراها
الصالح من عبادك وهذه شهادة أهل الله تعالى عاينها بفضل الشهادة الأولى
كما عنيت ذلك الأولى مشاهدة أبناء الدنيا وكشف هذا المقام والخطا وهذه الشهادة
لا يجل لا يشهد بها مقام في الصديقين عينه وقد قال الحكيم كفى عن معاينة وغايته
عن الأبصار لا شهيد وليس يرى [illegible] وحضر برؤية القلب الغيب ولم أولوا المطلع
في الغدو إلى الذي يعلموا من هول المطلع في العيان وأمثال هذا [illegible] مصيبة
وأعلال هم ولكن يحتاج هذا إلى أمران يشهد لمن هو [illegible] لم يبلغه.
نعم شهادة المشاهدة الآخرة ليكون من أهل الشمع والشهادة فينبغي [illegible] قلبه
معارفه والعادة ويكون عند الله شهيدا له أجره ونوره كما قال الشاهد لا على
والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم وكيف يكون شهيدا من لم يشهد على شهادته
بل كيف يشهد وصفا الولية يغيب نور هذا أو كيف تقوم شهادته من لم يشهد [illegible]
بل كيف يرى [illegible] نور وجه أثبته فإن الغيب في هذا المكان فيكما قال أو
ألقى السمع وهو شهيد فيسمع من مكان هو إلى جنب الغيب ويكون من أهل [illegible]
والعلم كقول الحق المبين كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا
والآخرة أي تتفكرون في فناء الدنيا وزوالها وفي بقاء الآخرة ودوامها فتزهدون
البائد الزائل وترغبون فيه على الزائل الفاني وتزهدون فيه لازما يكون آخره
فناء فيشبه أول أمره وأوله لم يكن وما يكون آخره بقاء فكأنه لم يزل فأشبه أوله
آخره في البقاء وكذلك قال العلم الحكيم والآخرة خير وأبقى ووصفها بالبقاء في المآل
بوصفين من صفاته كما قال عز وجل والله خير وأبقى ثم قال تعالى ما عندكم ينفد
وما عند الله باق فنسب الدنيا إليكم لأن أهل العقل [illegible] أهل الغفلة
ولمن هو فيها وأوصاف الآخرة إليه ليعرفها به لأنه أهل البقاء وليرغبها فيها [illegible]
ابن آدم المغتر بها الحاصل [illegible] الغفل لا يزال يتسبح على نفسه حتى يقتلعه
[illegible] الخروج [illegible] له مخلصا [illegible] وكرهه لغيره [illegible]
بكذلك من جمع مالا لوارثه كان نعيمه لهم وشغله عليه فتنعموا فيه بعده وهلك هو

به قبلهم فاذا اشتهر العبد بعين قلبه وبعين اليقين ما صرف به همّا عن قلبه الدنيا هو بهم سمعه
وادراكا حتما بما يفنى اخرا كانه لم يكن وما يبقى اخرا كانه لم يزل كان من المتفكرين
في معنى الآية المشاهدين لها ومن تلاها حق تلاوتها وتدبرها من حقيقة الايمان زهد في الدنيا
حقيقة الزهد ورغب في الآخرة حق الرغبة وكان من اولي الايدي والابصار اي من ذوي
القوة في الدين والبصائر في اليقين فلما ابصر بقوة عين اليقين الدنيا فر الى الله تعالى مكانا راحة
تعوا كما قال عز وجل ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون اي تذكرون الحقيقة ففروا
الى الله اي من الاشكال والاضداد وكما قال فاعتبروا يا اولي الابصار فعبر لما ابصر فهو ممن
كان ممن اخذ الكتاب بقوة قيل بعمل بما فيه وقيل تفهم ما فيه وقيل الجد والاجتهاد فكان
من المحسنين الذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة وتلا رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق
السماوات والارض الآية فقال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وويل لمن قالها ومسح
بها سبلته وذلك ان في السماوات والارض عبرا فيها عمل وراء علما من رجال الجبروت
ودركات النيران وعمل الملكوت الى الملك الباطن والملك الكبير ويكشف هذا ان عمل
علا وسفل واحاط بهما من العرش والثرى لمن تفكر فيهما ثم كشف ذلك له ما وراء
من العزة فجاوزت الافكار الملكوت لما سرحت القلوب بانوار اليقين الى الافق
الاعلى والجبروت فنفذت ابصار المشتغلين بنورها الى مشاهدة ذلك وبعينها الانوار
يقينهم معاينة ما احاط بذلك وهو ما فوقه فكان ابلغ مما لم يظهر يشهد به كنحو ما
نبه الله العلماء بما يشهدون الى ما وراء مما بدا ليقينوا وللمؤمنين منقلا مستوى
للدنيا قريبة دون منزل من طريق العقول يشهدون انها عقوبة لما قبل ما فتحت
الدنيا على عبد الا مكرا به ولا زويت عنه الا نظرا له ومما روينا في زبور داود
صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل تزوى لم قضيت المعصية على ادم لاني جعلت
معصيته سببا لعمارة الدنيا فينبغي في دليل الخطاب ان يكون الخطاب الطاعة
سببا لخرابها وهوان الزهد فيها في ذلك الخبر المشهور حب الدنيا راس كل خطيئة
لانه كان اساسها ولكن لا يتسع ذلك للعامة لانهم يريدون بها العمارة وصلح
للنفس من الخلاصة لان تعطلت عن علم من الكافة لا يتبقى عمارة الدنيا اذا
المراد عمارتها باهلها وروينا في اخبار ادم عليه السلام انه لما اكل من الشجرة
تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شيء من اطعمة الجنة الا في هذه
الشجرة فلذلك نهيا عن الاكل قال فجعل يدور في الجنة فامر الله تعالى ملكا يخاطبه
فقال قل له اي شيء تريد فقال ادم اريد ان اضع ما في بطني من الاذى فقيل
للملك قل له في اي مكان تضعه اعلى العرش ام على السرر ام على الانهار ام تحت
ظلال الاشجار هل ترى هنا موضعا يصلح لذلك ولكن اهبط الى الدنيا فلما اهبطه الله تعالى

لهذا المعنى فاهبطه الى الارض وقد نعت الله باطنة الدنيا وعيبها للخنزير العجم والنحل
ليزهد فيها واخبر انها مقطوعة ممنوعة ليرغب في الدائم المرهوب وكان بعض العلماء
يقول اما يستطع في زينة زهرة الدنيا لا تنشب في باطنه ويطهر في عروقه عنده فمنه
عناية من الله تعالى لمن وليه من اوليائه المتقين منه بمن تشهد الدنيا بازال وصحب
يعتني بشانه ومن عرفها بباطن حقيقتها لم يعجب بظاهرها ومن كوشف بعاقبتها لم
يستهوه زخرفها ولا يستميله رونقها وكان عيسى عليه السلام يقول ويلكم علماء
السوء مثلكم مثل قناة خشنى ظاهرها حسن وباطنها نتن وقال مالك بن دينار اتقوا
السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا فمن حرص على الدنيا بالباطل فقد قتل نفسه
فان قوي حرصه عليها واشتد عشقه لها فقتل الجحيم وقال الله تعالى ولا تاكلوا اموالكم
بينكم بالباطل ولا تقتلوا انفسكم وقال في قتل غيره يصدو ايام عن سبيل الله عز وجل
ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله
وروينا في اخبار عيسى عليه السلام انه مر في سياحته ومعه طائفة من الحواريين
بذهب مصبوب على الارض فوقف عليه ثم قال هذا القاتل فاحذروه ثم جاوزوا فتخلف به
فتخلف ثلاثة لاجل الذهب فاقام اثنان وبعثا الى واحد شيئا منها يشتري لهم من
الطيبات من اقرب الامصار اليهم فوسوس اليهما العدو زخيفا ان يكون هذا المال
بينكم ثلاثة اقتلوا هذا فيكون المال بينكما نصفين فاجمعا على قتله اذا رجع اليهما
قال وجاء الشيطان الى الثالث فوسوس اليه ارضيت لنفسك ان تاخذ ثلث المال
اقتلهما فيكون المال كله لك فاشترى سما فجعله في الطعام فلما جاء مما بداه وثبا عليه
فقتلاه ثم قعدا ياكلان الطعام فلما فرغا ماتا فرجع عيسى عليه السلام من
سياحته فنظر اليهم صرعى حول الذهب فجاله فتعجب اصحابه وقالوا ما شان هؤلاء
فاخبرهم خبرهم القصة وقيل لابن المبارك من الناس قال العلماء قيل من الملوك قال
الزهاد وروينا عن ابن المسيب عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة قلبه وانطق بها لسانه وبصره داء الدنيا ودواءها
واخرجه منها سالما الى دار السلام وروينا في الخبر الدنيا دار من لا دار له ومال من لا
مال له ولها يجمع من لا عقل له وكان الحسن البصري يقول رايت سبعين بدريا كانوا والله
فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله عليكم وفي حديث اخر بالبلاء والشدة بعضهم اشد
فرحا منكم بالخصب والرخاء لو رايتموهم قلتم مجانين ولو راوا اخياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق
ولو راوا اشراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب قال وكان احدهم يعرض له المال الحلال
فلا ياخذ فيقول اخاف ان يفسد علي قلبي فمن كان له قلب فخاف من فساده وخاف من
تغيره وابعاده ويعمل في صلاحه وارشاده ومن لم يكن له قلب فهو يتقلب في ظلمات
الهوى فربما انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة او يكون من اهل الرضا بالدنيا

واهل الغفلة عن ايات الله تعالى فيكونون قد رضوا بلا شيء، وهذا على من ليس كمثله
شيء. كوصف من اخبر الله تعالى عنه في قوله تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها
والذين هم عن آياتنا غافلون فيستحق الاعراض من الحبيب ويستوجب المقت من
القريب كما امر الله تعالى بالاعراض عنهم وترك المقبول منهم انه يقول فاعرض عن من
تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فلان ولا تطع من اغفلنا
قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا اي مجاوزا للحد ونهى الله عنه فعصوا عن ما
اريد وقيل مقدما الى الهلاك وقد نهى الله تعالى رسوله ان يوسع نظره الى ابناء الدنيا
مقتا لهم واخبره ان ما اعطيهم من زهرة الدنيا فتنة لهم واعلمه ان القناعة وان رزقه خير
وابقى بنظم هذه المعاني قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة
الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى قيل القناعة وقيل قوت يوم بيوم ويقال
ان هرب الدنيا وهذا الوجه هو اشبه بكتاب الله عز وجل بدليل قوله عز وجل والاخرة
خير وابقى وكذلك قوله ورزق ربك خير وابقى يعني ان هرب الدنيا وقال ايضا
في مثله بقية الله خير لكم يعني القناعة وقيل الحلال وفي خبر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مر في المسجد بعشار من النوق حفل وهي الحوامل وكانت من
احب اموالهم اليهم وانفسه عندهم لانها تجمع الظهر واللحم واللبن والولد والوبر وهي
الرواحل التي ضرب النبي صلى الله عليه وسلم بها مثل خيار الناس فقال الناس
كابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة اي لا تكثر والراحلة التي تجمع هذه الاوصاف
الخمسة من الابل قليل وهي العشار التي ذكرها الله في قوله واذا العشار عطلت
اي تركها اهلها وهربوا لهول قيام الساعة شغلا بنفوسهم عنها فاعرض عنها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذه انفس
اموالنا لم لا تنظر اليها فقال قد نهاني الله تعالى عن ذلك ثم تلا هذه الاية ولا تمدن
عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم الاية وعن عمر رضي الله عنه لما نزلت
هذه الاية والذين يكنزون الذهب والفضة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تبا للدنيا تبا للدينار والدرهم قال فقلنا نهانا الله تعالى عن كنز الذهب والفضة
فاي شيء ندخر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا
وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على امر اخرته وفي حديث بلغنا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من اعطي الدنيا على الاخرة ابتلاه الله تعالى بثلاث هما
لا يفارق قلبه ابدا وفقرا لا يستغني ابدا وحرصا لا يشبع ابدا وروينا حديثا
مرسلا عن علي بن معبد عن علي بن ابي طلحة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يستكمل العبد الايمان حتى ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة
الشيء احب اليه من كثرته وروينا عن علي عليه السلام الدنيا قنطرة تعبر عليها

الى الاخرة فاعبروها ولا تعمروها وقال له رجل احملني معك في سياحتك فقال اخرج مالك و
والحقني فقال لا استطيع فقال عيسى عليه السلام بعسرة يدخل الغني الجنة وقال الحجب
وقال الحواريون له لو امرتنا ان نبني بيتا نعبد الله تعالى فيه فقال اذهبوا فابنوا بيتا
على الماء قالوا كيف يستقيم بنيان على الماء قال وكيف يستقيم عبادة على حب الدنيا
وقال لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى لا يحب ان يحمد بعبادة الله تعالى ولا يبالي من
اكل الدنيا وقد كان بشر بن الحارث يقول لا تحسن التقوى الا بزهد وقال مرة العبادة لا تليق
بالاغنياء مثل العبادة على الغني مثل روضة على مزبلة ومثل العبادة على الفقير مثل
عقد الجوهر في جيد الحسناء وقد استنبطنا ذلك من كتاب الله تعالى بمعنى وصف الفقراء
بالعبادة في قوله تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله ثم قال في وصفهم تراهم
ركعا سجدا فحسنت نسبة الصلاة عليهم لحسن سيماهم بالفقر ويروى في وصية
لقمان لابنه وهو يعظه مراقي العبد وقال واذا احببت من قبل الفقر فاخبره، الغني
من اطاع الله تعالى والفقير من اتبعه معصيته واذا اشتهى اليه الغني فاخبره انه
لا يحسن جمع الغنى والغفلة.

وقال بعض السلف

أبى أهل العلم بالله تعالى ان يسمعوا الحكمة والوعظ الا من الزاهدين في الدنيا وقالوا
ليس اهل الدنيا لذلك اهلا ولا يليق بهم وروينا عن عيسى صلى الله عليه وسلم
فيما اوحى الله تعالى يا ابن مريم انما ايام الحياة بكاء من ودع الدنيا وارتفعت
رغبته الى ما عند الله تعالى واكتفى بالبلغة من الدنيا ليكفه منها الخشب الخشن
الخشن يجني اقول لك انما انت بيومك وساعتك ومكتوب عليك ما اخذت من الدنيا
وفيما انفقته واعمل على حسب هذا فانك مسئول عنه لو رايت ما وعدت الصالحين
زهقت نفسك وكان عيسى عليه السلام يقول حلاوة الدنيا مرارة الاخرة
وخشونة الثياب شفاء القلب بمعنى اجابته وكبره وملء البطن هم والنفس بمعنى
فوتها واحتمالها في حق افول الكرم كما لا يلزم البدن بطيب الطعام كذلك لا يخرج حلاوة
العبادة من احب الدنيا من الزهد في الدنيا ترك الملبس الناعم المنظور اليه المرتفع
واجتنابا للزهد من اطايب الطعام والتعمق في الشهوات التي يرغب فيها
المتنعمون ومن دلائل الزهد والعلامة من اهل الكفر لا الذين يلازمون فيها المستحسن ومن
الزهد ان يكون الشيء الواحد يستعمله في اشياء كثيرة كذلك كانت سيرة السلف الصالح
في الاوان وهو من التقلل ان ابناء الدنيا يستعملون الشيء الواحد اشياء كثيرة
هو وصف من التكاثر وذلك من ابواب الدنيا قال بعض السلف او النسك الزهد
وقال بعض العلماء من رقع ثوبه رقع دينه وقال ابن مسعود لا يشبه الزي حتى يشبه

الغلب الغلب وفي الخبر البذاذة من الايمان قيل يعني التقارب في اللباس والحرث في المعيشة
ومن ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعا لله تعالى كساه الله من حلل الايمان ايها شاء
وفي لفظ اخر من ترك زينة لله تعالى ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله تعالى وابتغاء وجهه
كان حقا على الله تعالى ان يدخر له عبقري الجنة في تخت الياقوت ولما اتى الى الرسول
صلى الله عليه وسلم اهل قباء اتي بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح
من يده وقال اما اني لست احرمه ولكن اتركه تواضعا لله تعالى واتي عمر بن الخطاب
بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عني حسابها وحبي الله
تقطع نفسي من اجلها بعد قل لاوليائي لا تلبسوا ملابس اعدائي ولا تدخلوا مداخل
اعدائي فتكونوا اعدائي كما هم اعدائي ولما خطب بشر بن مروان على منبر الكوفة
قال رافع بن خديج انظروا الى اميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق فقلت
وما كان عليه قال ثياب رقاق وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة الى ابي ذر في
برد له فجعل يتكلم في الزهد فوضع ابو ذر راحته على فيه وجعل يضرطه به فغضب ابن
عامر فجاء الى ابن عمر فقال الم تر الى ما لقيت من ابي ذر قال وما ذاك قال جعلت اقول
في الزهد ما اقتربني فقال ابن عمر انت صنعت بنفسك ذلك تاتي ابا ذر وعليك البردة وتتكلم
في الزهد وقال علي بن ابي طالب عليه السلام ان الله عز وجل اخذ على ائمة الهدى
ان يكونوا في مثل ادنى احوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره وقد
عوتب رضي الله عنه في لباسه وكان يلبس الخشن من الغليظ قيمة قميصه ثلاثة
دراهم وخمسة دراهم ويقطع ما فضل من اصابعه فقال هذا ادنى الى التواضع واجدر
ان يقتدي بي المسلم واتت تحف من اليمن الى عمر رضي الله عنه فقسمها في اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بردا بردا ثم صعد المنبر يوم جمعة يخطب الناس في حلة منها
والحلة عند العرب ثوبان من جنس واحد وكان ذلك من احسن زيهم فقال الا تسمعوا
الا تسمعون ثم وعظ فقال سلمان والله لا نسمع والله لا نسمع قال ولم ذاك قال
لانك قد اعطيتنا ثوبا ثوبا ورحت في حلة فقد تفضلت علينا بالدنيا فتبسم ثم قال
عجلت ابا عبد الله رحمك الله اني كنت غسلت ثوبي الخلق فاستعرت برد عبد الله
بن عمر فلبسته مع بردي قال سلمان قل الان حتى نسمع ونهى النبي صلى الله عليه
وسلم عن التنعم وقال عباد الله ليسوا بالمتنعمين وروي فضالة بن عبيد وهو وال في
مصر انكشفت حاله فقيل له انت الامير وانت هكذا فقال انه نهانا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن الارفاه وامرنا ان نحتفي احيانا وقال علي لعمر رضي الله عنهما ان اردت
ان تلحق بصاحبيك فارقع القميص ونكس الازار واخصف النعل وكل دون الشبع و
روينا ان عمر رضي الله عنه خطب الناس فقال انشد الله رجلا علم في عيبا الا اخبرني
به فقام فتى شاب فقال يا امير المؤمنين فيك عيبان اثنان قال وما هما رحمك الله قال

تذيل بين البردين وتجمع بين الادامين قال فما ازال بين بردين ولا جمع بين ادامين حتى لقي
الله تعالى هكذا ذكرته قال الشيخ تذيل بالذال المعجمة عندي تجمع بين ذيليهما فيبقى
ذيل البرد الاسفل يطوله ويجمل وجهه اخر ان تذيل ان تجمع ثوبين تضعهما عندها وانما
كان للفقراء ثوب واحد والعرب تقول ادل واسبل الضع وارجع انا احسب انه تذيل بالدال
اي تدل بردا ابيض وتارة تدال ولعله اراد وقد كان عمر رضي الله عنه يقول اخلولقوا واخشوشنوا
وتمعددوا واياكم وزي العجم كسرى وقيصر وقال علي رضي الله عنه من تزيا بزي قوم فهو
منهم وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال شرار امتي الذين
غذوا بالنعيم الذين يطلبون الوان الطعام والوان الثياب ويتشدقون في الكلام
ولما قدم عمير بن سعد امير حمص على عمر رضي الله عنه قال له ما معك من الدنيا يا عمير
قال معي عصاي اتوكا عليها واقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي احمل فيه طعامي
ثم ادبي ووضوءي للصلاة يعني الشكوة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما
معي فقال له عمر صدقت رحمك الله وكان عمر رضي الله عنه قد كتب الى اهل حمص ان
عدوا لي فقراءكم فسموا له في الكتاب نفرا وذكروا فيهم سعيد بن حذيم ويقال بل
عمير بن سعد فقال عمر من سعيد بن حذيم فقالوا اميرنا يا امير المؤمنين فقال او فقير
هو قالوا ما في بيتنا اهل بيت افقر منه قال فما يفعل بعطائه قال يخرجه كله لا يبقي
لنفسه ولا لاهله منه شيئا فوجه اليه عمر رضي الله عنه باربعمائة دينار وساله
ان ينفقها على نفسه واهله فلما وصلت اليه دخل على زوجته وهو يبكي فقالت
ما شانك امات امير المؤمنين قال اعظم من ذلك قالت فتوقع في المسلمين قال
اشر من ذلك قالت فما هو قال اتتني الدنيا قد كنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلم تفتح الدنيا علينا وخلفنا الى ايام عمر الا وشر ايامي ايام عمر ثم جعل هذه
فقالت تخلص منها واصنع بها ما بدا لك فقال او تساعديني على ما اريد قالت
نعم قال اعطيني خلق ذلك البرد فجعل يجعل فيها ويصر ما فيه صررا ما بين العشرة وال
والخمسة والثلاثة حتى افناها ثم جعلها في مخلاة وتابطها وخرج فاعترض
جيشا من المسلمين يريدون الغزو فجعل يدفع اليهم صرة صرة على ما يرى من حالهم
ثم رجع ولم يترك لاهله منها دينارا ابدا كانت شمائل جملة اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم والتابعين لهم باحسان وروينا في حديث عياض بن غنم عن النبي
صلى الله عليه وسلم في وصف الاخيار ان من خيار امتي فيما انباني الملا الاعلى قوم
يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون سرا من خوف عذاب ربهم مؤنتهم على الناس
خفيفة وعلى انفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان اجسامهم
في الارض وابصارهم عند العرش وفي حديث ابي الدرداء لما وصف الابدال قال فقلت
له كيف لي ان اكون بهذا الوصف وان لي ان اكون مثلهم فقال يا ابن اخي ما بينك

ويبقى ان يكون في اول الحال وسطه لا انه ترى في الدنيا فتعاني الآخرة بقلبه فيتحمل
لها وروينا في الخبر ان الله تعالى يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس وقال الثوري وهو
ويقال جعل الشر كله في بيت وجعل مفتاحه الرغبة في الدنيا وهذا موجود في كلام في
الخبر المنقول عن عيسى عليه السلام ورويناه عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حب
الدنيا راس كل خطيئة وفي خبر ان بغضها راس كل طاعة ولذلك كان بعض السلف
يقول لجسمي بدنه بما لا ينبغي منه حب الدنيا واشد من ذلك ما رواه سفيان عن يحيى
بن سليم الطائفي رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان عبدا عبد الله تعالى
عبادة اهل السموات والارض وفي قلبه محبة لكل دنيا لا اقامه الله تعالى في الموقف عند
مفارقتها يوم بين الخلائق الا ان فلان بن فلان قد احب ما ابغض الله تعالى قال يحيى
بن جابر الطائي قال عمرو بن الاسود العنسي لا البس مشهورا ابدا ولا انام بليل
على دثار ابدا ولا اركب على مأثور ابدا ولا املأ جوفي من طعام ابدا فقال عمر رضي الله
عنه من سره ان ينظر الى هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر الى عمرو بن
الاسود وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضي الله عنها
فرأى على بابها سترا وفي يديها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها ابو رافع وهي
تبكي فاخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال من اجل الستر
والسوارين فهتكت الستر ونزعت السوارين وارسلتهما مع بلال الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقالت قد تصدقت به فضعه حيث ترى فقال اذهب فبعه وادفعه
الى اهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق به عليهم فدخل عليها
فقال بابي انت قد احسنت وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة الا اعرض الله تعالى
عنه حتى ينزعه وان كان عنده حبيبا وقال الثوري وغيره البس من الثياب ما لا
يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال وكان يقول ان الفقير ليمر بي وانا اصلي فادعه
يجوز ويمر بي بعض هؤلاء من ابناء الدنيا وعليه هذه البزة فامقته ولا ادعه يجوز وقال
بعضهم ما رأيت الغني في مجلس قط اذل منه في مجلس الثوري ولا رأيت الفقير اعز
منه في مجلس الثوري وقال ابو احمد كنا اذا جلسنا الى سفيان تمنينا انا فقراء لما نرى من
اقباله عليهم واعراضه عنهم وقال بعضهم انما العالم هو الذي يقوم الفقير من عنده غنيا
ويقوم الغني من عنده فقيرا وقال بعضهم قومت ثوب سفيان ونعليه بدرهم واربع
دوانيق وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته وقال بعض السلف
البس من الثياب ما يخلطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر اليك قال وعد
في قميص عمر رضي الله عنه اربع عشرة رقعة بعضها من ادم وكان بعض
العلماء يقول كثرة الثياب علامة ابن آدم عقوبة من الله تعالى له وقال ابو سليمان
الداراني الثياب ثلاثة ثوب لله تعالى وثوب للنفس وثوب للناس فما لله تعالى

ماستر

ما ستر العورة واما ما يجده البعض الذي للنفس ما طلبت لينه وثقله والذي للناس
ما طلبت جودته وحسنه ثم قال وقد يكون الثوب الواحد لله تعالى وللنفس وقد كان
بعض العلماء يكره ان يكون على الرجل من الثياب ما يجاوز قيمته اربعين درهما وقال بعضهم
سرف فيما جاوز المائة وكان جمهور العلماء وخيار التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين
الى الثلاثين وكان المتقدمون من الصحابة القدماء اذ زهدهم اثني عشر درهما وكانوا كلهم
يلبسون ثوبين قيمته نيفا وعشرين درهما واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثوبا باربعة دراهم وكان قيمة ثوبيه عشرة اي ثمنها وكان طول ازاره اربعة اذرع
ونصف واشترى سراويل بثلاثة دراهم وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكانتا
تسمى حلة لانهما ثوبان من جنس واحد وربما لبس بردين يمانيين او سحوليين من هذه
الغلاظ وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قميص زيات وقد لبس
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما واحدا ثوبا سيراء من سندس قيمته مائتا درهم فكان
اصحابه يلمسونه ويقولون يا رسول الله انزل عليك هذا من الجنة تعجبا منه وكان قد
اهداه اليه المقوقس ملك الاسكندرية فاراد ان يكرمه بقبول هديته ولبسه
ثم نزعه وارسل به الى رجل من المشركين وصله به ثم حرم لبس الحرير والديباج وهذا
يكون لبسه اياه تأكيدا للتحريم بعده كما لبس خاتما من ذهب يوما واحدا ثم نزعه فحرم
لبسه على الرجال وكما قال لعائشة رضي الله عنها في شأن بريرة اشترطي لهم الولاء
فلما اشترطته صعد المنبر فحرمه وهذا يكون مؤكدا للتحريم وكما اباح المتعة
ثلاثة ايام ثم حرمها للتأكيد من النكاح وقد يحتج بهذا علماء الدنيا ويحرجون ليعدوا بهم ومن
ويدعون الناس فيهم منه اليهم ويظهرون الدعوة الى الله تعالى قال ويبلا يشبه ذلك
لما جاء بقلب كان ولا اهل الزيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وطلبا
للدنيا لان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معاني كلام الله تعالى فيه محكم
ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخاص وعام فيعدل علماء الدنيا واهل الاهواء عن المحكم
الشائع من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله الى قليل ما اخذ به وقد نظر صلى
الله عليه وسلم في خميصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى
ابي جهم وائتوني بانبجانيته يعني كساءه فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم ورأى
على باب عائشة رضي الله عنها سترا فهتكه وقال كلما رأيته ذكرت الدنيا ارسلي به
الى ال فلان وفرشت له عائشة رضي الله عنها ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان
ينام صلى الله عليه وسلم على عباءة مثنية فما زال يتقلب ليلته فلما اصبح قال لها
لقد اعيدي العباءة الخلقة ونحي هذا الفراش عني فراشهم في الليلة وكذلك اتته
دنانير خمسة او ستة عشاء فبيتها فسهر ليلته حتى اخرجها من اخر الليل قالت عائشة
رضي الله عنها فنام حينئذ حتى سمعنا غطيطه ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه

فتح علي الفتاح العليم لتبيك عليه رضي الله عنه

ومرة عشرة وكان ربما نعله العربي قد اخلق فلا يزال يلبسه حتى يجدده وصلى فيه فلما سلم قال
اعيروا النعل الخلق وانزعوا هذا الجديد فاني نظرت اليه في الصلاة ولبس خاتما
فنظر اليه وهو على المنبر نظرة فرمى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة اليه ونظرة اليكم
وقال الله عز وجل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من احب سنتي فليستن بسنتي وقال في الحديث المشهور عليكم بسنتي
وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وقد كان ابو محمد سهل رحمه
الله يقول علامة حب الله تعالى حب النبي صلى الله عليه وسلم وحب السنة ومن
علامة حب السنة بغض الدنيا وعلامة بغضها ان لا يأخذ منها الا زادا يبلغه
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة ان اردت اللحوق بي فاياك ومجالسة
الاغنياء ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى نعلين جديدين
فاعجبه حسنهما فخر ساجدا وقال اعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يمقتني
ثم خرج بهما فدفعهما الى اول مسكين رآه وامر عليا عليه السلام فاحتذى
له نعلين سبتيين قد انجردا ولبسهما وقال
صلى الله عليه وسلم ان اقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة من كان على مثل
ما انا عليه من الدنيا وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا
وقال لا يعجز بالله تعالى عبد اجعل رزقه في الدنيا قوتا يوما بيوم وقال صلى الله
عليه وسلم طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان رزقه في الدنيا قوتا وقنع وفي لفظ
آخر وصبر عليه وقال ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيامة ان رزقه كان في
الدنيا قوتا وروينا عنه صلى الله عليه وسلم اللهم من احبني واجاب دعوتي فاقلل
ماله وولده ومن ابغضني ولم يجب دعوتي فاكثر ماله وولده وفي بعض
كثرة الاتباع وكانت هذه دعوة الصحابة على من مقتوه وروينا في الخبر نقصان الدنيا
زيادة في الآخرة وزيادة الدنيا نقصان في الآخرة وفي الاثر ما من احد اعطي
من الدنيا شيئا الا نقص من درجته وان كان على الله كريما وقال ابراهيم الخواص في
وصف المرائين وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على الناس
ليهدوا اليهم مثل لباسهم لئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظر بها الى الفقراء
فيحتقروا ويعطوا كما يعطى المساكين ويحتجون لنفوسهم باتساع العلم وانهم
على السنة وان الاشياء داخلة عليهم وهم خارجون منها وانما يأخذون بعلة
عند تمحيص هذا اذا طولبوا بالحقائق والجئوا الى المضايق وكل هؤلاء اكلة الدنيا بالدين
لم يعنوا بتصفية اسرارهم ولا بتهذيب اخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم
فغلبتهم فادعوها حالا لهم فهم مائلون الى الدنيا متبعون للهوى وكان الخواص رحمه
الله يلبس ... من قطعتين ورداء ... ومئزر تحته ويطوف بالبادية على

رأسه

رأسه ويجعله من وسطه يغطي به رأسه وكذلك يستحب للفقير وهو من اللباس الاخشن
في فضائل الفقر وفضل الفقر اوفى من الدنيا وبعض الاغنياء اكثر من ان يذكر ولم نقصد جمعها
ولكثرة الاستدلال بها ومن الزهد تقصير البنيان وان لا يبني عليها الا مستترا او
من الصيف الا ما يحتاج اليه وقيل اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
المناخل والموائد والاشنان ... من طول الامل التزين والتشييد يعني يرفعون الـ
البناء وانما كانت سقفهم البنيان بالجريد والخوص وهو التشييد وانما كانوا
يبنون بالسعف والاجر وقد جاء في الاثر يأتي على الناس زمان يوشون بنيانهم
كما توشى البرود اليمانية ونظر عمر في طريق الشام الى صرح قد بني بجص وآجر فكبر
وقال ما كنت اظن ان يكون في هذه الامة من يبني بنيان هامان لفرعون يعني
قول فرعون فاوقد لي يا هامان على الطين يعني به الآجر ويقال ان اول من بنى بالجص
والآجر فرعون واول من عمله هامان ثم تبعهما الجبابرة فهذا هو الزخرف ودخل بعض الـ
السلف جامعا في بعض الامصار فقال ادركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف
ثم رأيته مبنيا من رهوص ثم رأيته مبنيا الآن باللبن وكان اصحاب السعف خيرا
من اصحاب الرهوص وكان اصحاب الرهوص خيرا من اصحاب اللبن وقد كان في السلف من
يبني بيته دارا مرارا في مدة عمره لضعف بنائه وقصر امله وزهده في احكام البنيان
وكان منهم من اذا حج او غزا نزع بيته او وهبه لجيرانه فاذا رجع اعاده وكانت بيوتهم
من الحشيش والجلود وعلى ذلك العرب ببلاد اليمن الى اليوم وامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم العباس ان يهدم علية كان قد علاها وامر علي عليه السلام
بجبانة ... فقال لم ... فقالوا لو علا ... اجل اجل لا بد ... رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبر ... رسول الله بالموضع فلم يرها فسأل
عنها فاخبر بانه هدمها ... وكان سماها ... وقال الحسن
كنت اذا دخلت بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ... وقال محمد بن
دينار اذا اعلى العبد البناء فوق ستة اذرع ناداه ملك الى اين يا افسق الفاسقين
وقال صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيامة وفي
الخبر كل نفقة يؤجر عليها العبد الا ما انفقه في الماء والطين وقال بعضهم كنت امشي
مع الثوري في طريق فنظر الى باب مشيد فقال لا تنظر اليه فقلت يا ابا عبد
الله لم تكره من النظر فقال انما اتخذ ليه ما عمله وفي قوله عز وجل تلك الدار الآخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا قيل حب الرئاسة والتطاول
في البنيان ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بناء وبال على صاحبه يوم
القيامة الا ما اكن من حر او برد وقال للرجل الذي شكى اليه ضيق منزله اتسع
في السماء اي في الجنة وهو احسن التأويلين واعلم ان من لا ينفق من الرزق ...

في الصبر ويؤلم الجوع والعري فيكون هذا زهدا للزاهدين الآخرة على هذا الوصف من حرمان
نصيبه من الدنيا حماية له عن التكثير منها والتوسع فيها ويكون الزهد سببه فيكون
دائما عنده ومنعه من الدنيا من الغنى والتوسع زهده من الآخرة والدرجات العلى
بحسن اختيار من الله تعالى وحبطة نحو ما حكيناه عن بعض العلماء. نقلا الاجلاء. فقال
أني كنت أبيع في محلة لا يقال فيها أغنياء وكنت أبيع الكثير ثم ربح علي فقال أخي
فهل ينقص ذلك من رزقي شيئا قال لا ولكن يزيد في بطء التنقل عن البيع واعلم بطالة
لا غنى يجتنب الا توسعة وسواء ودنو على ابتغاء الدنيا لم يتبرء فيقول ما ان الزهد
في الدنيا لما لا ينقص من رزقي شيئا افرح في مقام مع التوسع والاستكبار وعلى
التنعم والرفاهية ولا استبشار للتي اثناء اكل رزقه واخذ قسمه فليه في الزهد مقام
ومن الرضى والتوكل حاله ويقول ان الزهد مترتب مع التمكن والزينة بن حرب بقوله
على من لا يعرف الزهد ويغ بمقاله من لا يعلم طرائق الزاهدين ولعله ممن يأكل الدنيا
بالدين فزاد بزخرف القول ويشبه العلم على الغافلين بمثله كما قال علي عليه السلام
للخوارج حين قالوا لا حكم الا لله فقال كلمة حق أريد بها باطل وصرف رضي الله عنه
لأنهم أرادوا بذلك اسقاطهم حكم الأئمة ونزع الطاعة للإمام العادل كما أراد الغافل المخدوع
الكل زهده واهدر من الاشياء بسمي الاحتجاج لنفسه بهواه والاعتذار عند الجاهلين
حقيقة لو سمع ايا ولا تعلم المغرور بدار الغرور انه وان كان يأكل رزقه ويأخذ قسمه
ولكن بحكم المقت وسوء الاختيار لانه كان الله سبحانه يرزق الحرام للظالمين كما يرزق
الحلال للمتقين وانما بينهما سوء الفضل للأعداء وحسن التوفيق والاختيار
للأولياء فيقدر حرم المرعي لذلك رزقه من الزهد وحسن نصيبه لاوم من حب
الغنى ونقص حظه لا فضل من الآخرة ان كانت الدنيا ضرها وجعل هادي البلاء
سببا فيه وهادي اليه سببا للنقصان وتبتغه من طريق الزاهدين وانه من
اغتنى بالدنيا ولا يثني عليه من الشر البطش صدقه من كذبه فوقع في الفتنة ولم يعطى
للابتلاء ومازنا مشاهدته ان كان طاهرا فيها غير كاذب على وجهه مجاهدا له عن علوم
العارفين المعصومين واستدرج بعلمه من الله عز من علوم الدنيا يعني ويفند
لا قرة لعين الباقية كذا فيه وعدل به اليه عن علوم الخائفين ومشاهدة الزاهدين
الزاهدين الذين فطروا من الحلال في الدقيق وصرفوا الغوا في تورعا رغبة في العمل لا
بالزهد للتحقيق وان كان كاذبا في مشاهدته كما لا ينفسه في الاعداء من وجهه جهر
من اولياء الشياطين فتنة للاعبين وسبق اليهم فتنة لهم ليس اماما للمتقين بل
من اجنة المصلين للمحرومين من ابناء الدنيا الغافلين رغبة في الدنيا وزهدا في طريق
السلف لوجود الطمع وعدم اليقين فغره بكر عنده المغرور به من قلوب الموقنين وما
دخلوا من مشاهدتهم على حد الوصف الذي اريد به الزهد يغلب بحجة وهو لا يتبع

بالمكر ولا يعرف الاستدراج بالنعم وأنى له بعلم ذلك والله تعالى يقول سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون وقال ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فهيهات هيهات ما يفطن الممكور بما
مكر به او يعلم المستدرج ما ادرج فيه الا العالم الطب المالك بتدبير والمدرج احكم الحاكمين
نعوذ بالله من الاغترار بعلم الظاهر ونسأله حسن التوفيق لمشاهدة علم التحقيق
ومثل ما قلنا جاءت الأخبار وكثرت الآثار ان مثل الدنيا والآخرة كمثل ضرتين ان رضيت احداهما
في سخط الأخرى وانهما بمنزلة المشرق والمغرب من استقبل احدهما استدبر الآخر وانهما
بمنزلة كفتي الميزان ان رجحان احداهما نقصان الأخرى وكان عمر رضي الله عنه يقول والله
انهما لا بمنزلة قدحين ملء احدهما الا بما هو ان يفرغ احدهما في الآخر يعني اذ كان
امتلأت في الدنيا تفرغت من الآخرة وان امتلأت بالآخرة تفرغت من الدنيا وان كان
ثلثا قدح الآخرة ادركت ثلثي قدح الدنيا فان كان له ثلث قدح الآخرة يكون له
ثلث من الدنيا وهذا مثل حسن لان فيه نظرة وتدبر وقال بعض السلف مثل من
من زهد في الدنيا مع التنعم فيها كمثل من يغسل يديه من الغمر بسمك وقال آخر مثل من تعبد
وهو يطلب الدنيا فمثل من يطفئ النار بالحلفاء وكان بعض الزاهدين من أهل الشام
يتكلم عليهم فكان رجاء بن حيوة فقيه أهل الشام يجيء مجلسه فافتقده عليهم يوما
وقد اجتمعوا فتكلم عليهم فوق المنابر في الجامع فذكر صوته رجاء بن حيوة فقال من هذا فقالوا
فلان فقال اسكتوا عافاكم الله فانا نكره ان نسمع الزهد الا من اهله وفي لبعض الاخ
اننا نكره ان نسمع الوعظ الا من اهل الزهد وقال عيسى عليه السلام لا تنظروا الى
اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم وقال بعض العلماء تقلب الأمور
يقبض حلاوة الايمان ورويناه في الخبر لكل امة عجل وعجل هذه الامة الدينار والدرهم
وكان اصل العجل من الحلية وقال الله تعالى ابتغاء حلية او متاع زبد مثله وكان بهم
هذه السنة عن سمع هذه الآية ويقال ما من يوم يشرق فيه الا وأربعة املاك
ينادون في الآفاق بأربعة أصوات ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب يقول أحدهم
من المشرق يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر أقصر ويقول الآخر اللهم اعط منفقا
خلفا واعط ممسكا تلفا ويقول اللذان في المغرب لدوا للموت وابنوا للخراب ويقول
الآخر كلوا وتمتعوا لطول الحساب وقال بعض العلماء ان الله تعالى وسم الدنيا
بالوحشة ليجعل انس المطيعين به وبلغنا ان من دعاء ابي بكر الصديق رضي
الله عنه اللهم اني اسألك الزهد عند النصيب من نصيبي والزهد فيما جاوز الكفاف
وقال بعض العارفين ما من نبي الا وهو مطروح في الخير الا العبد مع المعرفة
فانه محزون مختوم عليه لا يعطى الا من طبع بطابع الشهداء وقد يختبر بعض علماء الدنيا
لانفسهم بتفضيل الغنى على الفقر ثناء وبالحجة من قوله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء وهذا عندنا دليل لا ليلة في تدبر الخطاب معنى الغنى لانه قيل لهم

في اول الكلام ان يعلمن كذا لم يسبقكم احد قبلكم ولم يدرككم احد بعدكم فثبت هذا القول
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح لانه معصوم في قوله وهو معصوم في فعله فلاجل ان عليه
يكون محمولا عليه فلم ينبغ ان ينقض اول الكلام آخره ولم يصح ان ينقلب لانه اخبار
عن شيء ولا يجوز الرجوع عنه فلما جعل الاغنياء ما اوتيه الفقراء وقع الفقراء في قول
الرسول صلى الله عليه وسلم لنكتة وهو انهم حين يرد الاغنياء عليهم في القول رجعوا اليه
يستفتون منه ما اخبر به فقال لا تفتيكم ايها الذين قلنا لكم كما قلنا هو فضل الله
لكن يؤتيه من يشاء وانتم ممن نشاء ان يؤتيه فضله فهذا وقلبنا كذا ودلت تلاوته لهم فيه
بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم الاول فكان قوله الثاني بالاخر مواطئا للقول كله
الاول ولم يناقض الاول بالاخر فيه وفرجاء دليل ما قلنا مكشوفا في الحديث المعبر
الذي رويناه عن زيد بن اسلم عن انس بن مالك قال بعث الفقراء رسولا الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبمن
جئت من عندهم جئت من عند قوم احبهم قال قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا
بعثوا بفضل اموالهم ذخيرة لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلغ عني الفقراء ان
لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء اما خصلة واحدة فان في
الجنة غرفا ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر اهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها
الا نبي فقير او شهيد فقير او مومن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء
بنصف يوم وهو خمسمائة عام والثالثة اذا قال الغني سبحان الله والحمد
لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير وان انفق
فيها عشرة الاف درهم وكذلك اعمال البر كلها فرجع اليهم فقالوا رضينا رضينا فهذا
يدل على ما قلنا وقد روينا ايضا معنى هذا في الخبر الذي رويناه عن ابي
اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لاصحابه اي الناس خير قال موسر من المال يعطي حق الله تعالى
في نفسه وماله قال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس قال مومن فقير
يعطي جهده يوقف القوم مع علم العقل برد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى علم اليقين وكذلك من فضل حال الفقر على حال الغنى فانه ينظر في العلم بعين
العقل والاستدلال دون الحقيقة بعين اليقين وهذا في تفضيل حال الفقر
من فضل الغنى بعد ما فقد عادة السنة ان كان علم ما هو عليه هذا له الجهل بالاكدار وفي
الخبر ان خير هذه الامة فقراؤها واسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها وقال لبلال رضي
الله تعالى عنه الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا قال وكيف لي بذلك قال اذا سئلت فلا تمنع واذا
اعطيت فلا تخبأ فلا يشبه الفقر في الاحوال الا اليقين في الايمان كما قال لابن عمر اعمل الله

بالرضى

بالرضى في اليقين فان لم يكن فان في الصبر خيرا كثيرا فرفعه الى اليقين لفضله كما
رفع بلالا الى الفقر لفضله فلم يكن صلى الله عليه وسلم يرضى لبلال الا ما رضي لنفسه
كذلك روينا في حديث عطاء عن ابي سعيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اللهم توفني فقيرا ولا توفني غنيا ولم يكن ليامر بلالا بان يدني الحالين
فيقول الق الله تعالى بفقير الحالين يتبرا ابن عمر الى اخفض المقامين لقوله اعمل الله
تعالى بالرضى في اليقين فصار الفقر حال الموقن لانه يكتسب الاخرة وصار الشكر
في الغنى حال الموقن لانه ينفق الدنيا ببعض اليقين اذا مر على الغني الشاكر
كبعض الموقنين المشاهدين على الموقنين المجاهدين وكذلك جاء الخبر الا في المستثنى الذي دعا
به صلى الله عليه وسلم لنفسه ان يحييه الله تعالى مسكينا ويتوفاه مسكينا ويحشره
في زمرة المساكين كان ذلك تفضيل الفقر ونشر بين الفقراء مع قوله صلى الله عليه وسلم
يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام وروينا عن عيسى عليه
السلام انه قال اني لاحب المسكنة وابغض الغنا وان في المال داء كثيرا قيل
يا روح الله وان كان يكتسبه من حلال قال يشغله كسبه عن ذكر الله عز وجل
وقال وهب بن منبه لابن عباس انه يجري في التوراة ان الفقير المصلح خير من
الغني المصلح فقال ابن عباس اخي ما علمت انه شيء احب الى الله تعالى من
الفقير اذا كان مصلحا وقيل كان احب شيء الى عيسى صلى الله عليه وسلم ان
يقال له يا مسكين وكان يقول من ذم الغنا ان العبد يعصي ليستغني ولا يعصي
ليفتقر وقد ذكر له بعض الحكماء افتنانا في كلام منظوم

يا عائبا للفقر ينفعه الغنا — عيب الغنى اعظم لو تعتبر
انك تعصي لتنال الغنا — ولست تعصي الله كي تفتقر

ورويناه في حديث عطاء عن ابي سعيد الخدري يا ايها الناس
لا يحملنكم العسرة والفاقة على ان تطلبوا الرزق من غير حله فاني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم توفني فقيرا ولا توفني غنيا واحشرني في
في زمرة المساكين وقال لقمان لابنه يا بني ان من اعون الاخلاق على صلاح
الدين زهدا في الدنيا من يزهد في الدنيا يرغب فيما عند الله تعالى ومن يرغب فيما عند
الله تعالى يعمل له ومن يعمل له تعالى يأجره الله وقال الحواريون يا روح الله
نحن نصلي كما تصلي ونصوم كما تصوم ونذكر الله كما امرتنا ولا نقدر نمشي على الماء
كما تمشي انت فقال اخبروني كيف حبكم للدنيا قالوا انا نحبها فقال ان حبها
يفسد الدين لكنها عندي بمنزلة الحجر والمدر وفي خبر اخر انه رفع حجرا فقال
ايما احب اليكم هذا او الدنيا والدرهم فقالوا الدنيا فقال فانهما عندي سواء
ويقال ان من صح زهده في الدنيا حتى يستوي عنده الذهب والحجر مشى على الماء وقد

أشتهر ذلك في العامة حتى قال الشاعر

لو كان زهدك في الدنيا كزهدك في ... وصلي مشيت بلا شك على الماء

ورويناه أن عيسى عليه السلام مر في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة فقال
يا نائم قم فاذكر الله فقال ما تريد مني إني قد تركت الدنيا لا
لأهلها فقال له عيسى نم إذا حبيبي ثم روينا عن موسى صلى الله عليه وسلم
أنه مر برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر
بعباءة فقال يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع فأوحى الله إليه يا موسى
أما علمت أني إذا نظرت إلى عبد بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها وأوحى
الله سبحانه إلى نبيه إسماعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال
يا رب ومن هم قال الفقراء الصادقون فهذا كأنه يفسر خبر موسى عليه السلام
في قوله أين أجدك قال عند المنكسرة قلوبهم وقد كان أحمد بن عطاء وهو من المتأخرين
يفضل حال الغني على الفقير بشبهة دخلت عليه وهو أن بعض الشيوخ سأله
عن الوصفين أيهما أفضل فقال الغني لأنه صفة الحق فقال له الشيخ بالحق غني
بالملك أو بالأسباب فانقطع ولم ينطق بحرف وكما قال الشيخ لأن الحق تعالى غني
بوصفه والفقير أحق بهذا المعنى لأنه غني بوصفه بالإيمان لا بالأسباب لانفراده
عنها فهو أفضل فأما الغني فإنه مستغن محتجب بالأسباب فهو مفضول وممن غلط
الخواص وكان موقفه في المعرفة فقال في كتابه إن الفقر صفة للحق يصف
به الفقير فوقف في التأويل يعني أنه تعالى متخل من الأشياء منفرد عنها ووجه
آخر من الغلط الذي دخل عليه من جهة المعنى الذي ذكرناه أنه كان فضل الغني
على الفقير لأنه صفة الحق فينبغي أن يفضل المتكبر الجبار ومن أحب المدح والعز
والحمد لأن ذلك كله صفة الحق فلما أجمع أهل القبلة على ذم من كان ذلك وصفه كان من
وصف بالغنى في معناه لأن الغنى صفة بالغنى في معناه لأن الغني صفة الحق
معروف بالعز والكبر فينبغي أن تسلم صفات الحق للخالق ولا ينازع إياها ولا يشارك
فيها فيبطل قول ابن عطاء بصحة قول الرسول صلى الله عليه وسلم يقول الله
تعالى العز إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني أحدهما قصمته في النار ومن
خالفه أيضا وأما فقهنا من لا يستسفه الخلاف والغلو في فضل من فضله أبو محمد
سهل بن عبد الله قال من أحب الغنى والبقاء والعز فقد نازع الله صفاته ومن
صفات الربوبية فجاب عليه الهلكة فإذا ثبت ذلك كان الفقراء أفضل لأنه
وصف العبودية من جعل وصفه فقد تحقق بالعبودية وأوصاف العبودية
هي أخلاق الإيمان وهي التي أحبها الله من المؤمنين مثل الخوف والذل
والتواضع والفقر مضاف إليها وأوصاف الربوبية ابتلاء لقلوب أعدائه اف

الجبارين

الجبارين والمتكبرين مثل العز والكبر والفقراء لمعنى مضمر والبخل وكان الحسن يقول
ما رأيت الله تعالى جعل الفقراء إلا بغض خلقه إليه وهو إبليس وكذلك كان العلماء
يقولون لا تغبطوا في البقاء في معنى الدنيا فإن شرار الخلق أطولهم بقاء وهم الشياطين
والغني الظالم لا بالبقاء وبلغنا أن الجنيد رحمه الله دعا على ابن عطاء في مسألة
ودعا عليه لأنه أنكر قوله أشرف الأذكار وكان يقول الفقير الصابر أفضل وإن تساويا
في القيام بحكم حالهما لأن الغني الشاكر تتمتع نفسه وتتنعم صفته والفقير الصابر
قد أدخل على صفته الآلام والمكاره فيؤجر عليه بذلك ومن هذا المقام كذلك كان أحمد
بن حنبل يقول ما أعدل بالفقر شيئا وكان يفضل حال الفقير ويعظم شأن الفقير الصابر
قال المروذي وذكر بعض الفقراء فجعل يترحم ويبكي الشوق عنه قال فقلت له يحتاج
إلى علم فقال وجيد أسكت يا صبي على الفقر ومقاساته للضر خير من كثير من العلم ثم
قال هو كذا خير منه وأقول أن من فضل حال الغني على الفقير فإنه لم يذق مرارة
الفقر ولا حلاوته فهو عن تفضيله بأنه لا حلاوة له لأنه لو ذاق مرارته من الضر
وأنهم لفضله ولو ذاق حلاوته من أن زهدوا رضا لما فضل عليه

ذكر ماهية الدنيا وكيفية الزهد وتفاوت الزهاد في مقامه

ثم إن الدنيا هي نصيب كل عبد من الهوى ومآله من قلبه من الشهوات فمن زهد
في نصيبه وملكه من هواه المذموم فهذا هو الزاهد المغتبط ومن زهد في نصيبه من
المباح وهو فضول الحاجات من كل شيء فهذا هو الزاهد المفضل يرجع ذلك إلى الخطوة
جد رحمه النبي هي أبواب الدنيا وطرقها إليه فإن زهد في ما نال زهد المسلمين به
مجسني أسلافهم وإن زهد في شبهتها فهذا زهد الورع عند بكمل إيمانهم وإن زهد في حلالها
من فضل حاجات النفس فهذا الزاهد بزيد على يقينهم ورويناه في حديث عمر بن
ميمون عن الزبير بن العوام أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا زبير احجز نفسك
عن فضول الشهوات والشبهات بالورع الصادق عن الحرام وادخل الجنة بغير
حساب وكان سهل يقول في فضائل الزهد أعلى مقاماته للخشية زهد عبد حتى
زهد في هذه الثلاث في الدرهم الذي فيه أن ينفقه في أبواب البر فيتركه كذلك إلى
الله وزهد في الثياب التي تستر عورته في الطاعات وزهد في قوته الذي يستعين
به على العبادة وإنما قال هذا لأن عنده حقيقة الزهد من أفضل المعاملات كلها لأنه
كان يقول يعطى الزاهد جميع ثواب العلماء والعباد ثم يقسم على المؤمنين ثواب
أعمالهم وقال لا يرى في الجنة أحد أفضل من ذي زهد عالم متورع وقال أيضا يقال

زهدوا بالخوف لان من خاف زهد ثم يجعل الزهد مقاما في القلوب ومعه عليه **وقد** روينا في
مسروق عن ابن مسعود ركعتان من زاهد قلبه خير له واحب الى الله من عبادة المتعبدين
المجتهدين الى اخر الدهر ابدا سرمدا ولا نهاية للزهد عندها يعد من العارفين لانه يقع
عن نهايات معارفهم بدقائق ابواب الدنيا وخفايا خوارج الهوى وقال بعضهم نهاية
الزهد ان يزهد في كل شيء ويتورع عن كل شيء للنفس فيه منفعة وبه راحة وكذا
كما روي عن عيسى صلى الله عليه وسلم انه وضع تحت راسه حجرا فكانه لما ارتفع
راسه عن الارض استراح بذلك فعارضه ابليس فقال يا ابن مريم اليس زعمت انك
قد زهدت في الدنيا قال نعم قال فهذا الذي وضعته تحت راسك من اي شيء
هو فقال فرمى عيسى بالحجر وقال هذا لك مع ما تركت ومثله روينا عن يحيى بن
زكريا انه لبس المسوح حتى نقب جلده فسالته امه ان ينزع مدرعته الشعر و
يلبس مكانها جبة من صوف ففعل فاوحى الله اليه يا يحيى اثرت على الدنيا
فبكى ونزع الصوف ورد مدرعته الشعر على جسده وكان الحسن يقول ادركت
سبعين من الاخيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا قط
كان اذا اراد النوم الصق باشه الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه واعلم اخي رايت
جمل النعم ثلاثة وقد تمامها بان تعرف ونعلم ان اصل النعم كلها الاسلام لان من ورائه
فقد لات كثيرة احفظوا فيها حقيقة التوحيد ثم النعمة الثانية السنة فمن ورائها
بدع كثيرة فحكم احفظوا حقيقة السنة والنعمة الثالثة العلم بالله لان من
ورائه جهلا كثيرا بعظمة الله وقد روينا ان في الدنيا نعما اعطيها مع العلا
نعمة عليه النعم فكان مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء و
والصالحين في نعمة الله عليهم لان من ورائه حرصا كبيرا على الشبهات ورغبة
عظيمة في الشهوات ومن كان سهل يجعل الزهد من شرطها السنة والاتباع
لقوله عز وجل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني قال محبة السنة اتباع الرسول وقد
كان زاهدا فيما تعلقوا الا زاهدون لان شيء زهدوا مقاماتا على نحو علوا لمقاماتا
فمنهم من زهد اجلالا لله عز وجل ومنهم من زهد حياء من الله عز وجل ومنهم من
زهد خوفا من الله ومنهم من زاد زهده رجاء موعود الله ومنهم من زهد مسارعة منه
لامر الله ومنهم من زهد حياء لله وهو اعلاهم وادناهم من زهد مخافة طول الوقوف
ومناقشة الحساب كما قيل لعمر في الدرهمين يوم العيد انه اشترى بهما لحما فقال لا
الدرهم ولان طوبى للمغرمين لا يسالهم من ملاحق الدنيا زوجين من شيء وما
اهم يعطى من الدنيا شيئا الا قيل جرى على ذلك الاكل كلهم وكذلك سيقل
وكذلك حساب وانا اجل من الاغنياء ليوقف الحساب لما اورد ما به يعتق عطايا
على عوفه لصرت رواه وانه ليرى منازله من الجنة فلما رفق فقراء في قلوب الورعين

اشتغلوا من طول الحساب بزهدوا في الجمع والمنع وبادروا فضول الاموال الطيبة محبة
لسؤال وسرعة الوقوف في الاهوال ومن الزهد في الدنيا حب الفقر واهله ومجالسة
المساكين في اوطانهم والتنزل لهم كما كان مطرف يجالس المساكين في مزيته تقرب
بذلك الى ربه وكان محمد بن يوسف الاصبهاني عالما زاهدا ومن الناس من كان
يفضله على الثوري لانه كان يؤثر الخمول فلم يكن يعرفه الا العلماء وكان من
حسن رعايته وشدة فطنته يعمل في كل وقت افضل ما يقدر عليه في ذلك الوقت
فلما طلبه ابن المبارك دخل المصيصة فقال له بعض من يعرف حاله انه لم لا يكون في
المسجد الا في افضل موضع فيه فقال فمضى الى الجامع فطلبه فقيل له انه لا يقعد الا في
افضل مكان فقال فطلبه عند الفقراء فاذا هو قد دس راسه واخمل نفسه مع الم
المساكين فكان عنده افضل وذلك في المسجد الجامع لانه يقال ان الصلاة فيه
خمسون صلاة وان افضل الاماكن موضع الفقراء من الجامع وان افضل الاحوال
الخمول فلزم الحامه نفسه فيما بين الفقراء في الجامع ليحوز فضائل الاعمال ومن الزهد
ان يكون بفقره مغتبطا مستبشرا لعظيم نعمة الله عليه به فخاف ان يسلب فقره
ويحول عن زهده كما يكون الغني مغتبطا بغناه يخاف الفقر ثم وجود حلاوة الزهد
حتى يعلم الله من قلبه ان القلة احب اليه من الكثرة وان الذل احب اليه من العز
وان الوحدة اشد عنده من الجماعة وان الخمول احب اليه من الشهرة وهذا من اخلاصهم
اخلاصه في زهده وروينا عن عيسى عن نبينا ايضا صلى الله عليهما اربع لا يدركن
الا بعجب الصمت وهو اول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشيء وقال
الثوري لا يكون الرجل عالما حتى يعد البلاء نعمة والرخاء عقوبة وقال بعض
السلف لا يبلغ العبد كمال الفقه حتى يكون الفقر احب اليه من الغنى والذل احب
عنده من العز ومن روينا خبرا مقطوعا لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون
ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرته
وكان السلف الصالح يقولون نعمة الله علينا فيما صرف عنا من الدنيا اعظم من
نعمته فيما صرف الينا وكان الثوري يقول الدنيا دار التواء لا دار استواء ودار
ترح لا منزل فرح من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء وكان سهل بن عبد
الله يقول لا يصح التعبد لاحد ولا يخلص له عمله حتى لا يجزع ولا يفزع من اربعة
اشياء الجوع والعري والفقر والذل كما روينا ان ابراهيم التيمي ومع البذل
يجلسون العباد ولم يرها فقيل له لم فقال الكبر ان اجلوا سمعي متى
لا يقول في الفقر فحسبي البلاء ومن الزهد عند ان الزهد لزهد فضول العلوم التي معلومات
تتوق الى الدنيا وتنزعوا الى الجاه والمنزلة عند ابنائها وفيما لا ينفع فيه في
الاخرة ولا مزيد به عند الله تعالى وقد يشغل عن عبادة الله وتفرق الهم عند

اجتماعه بذكر الله ويقسي القلب عن ذكر الله ويحجب عن التفكر في الآية
وعظمته وقد اعترضتنا علوم كثيرة لم يكن تعرف فيما سلف اتخذها الغافلون علما
وجعلها البطالون شغلا انقطعوا بها عن الله وحجبوا بها عن مشاهدة علم
الحقيقة لا يستطيع ذكرها لكثرة امثالها الا ان نسأل عن شيء منها اعلم
هوام الكلام وحق او تشبيه او طرق وحكمة او زخرف وغرور آنسة هو
عشق او حزن ونشر بها تحسين بحسن بصواب ذلك ومن افضل الزهد الزهد في
الرياسة على الناس وفي المنزلة والجاه عندهم وان يزهد في حب الثناء والمدح منهم
لان هذه المعاني من اكبر ابواب الدنيا عند العلماء فان زهد فيها فهو زاهد
العلماء وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول الزهد في الرياسة ومدح الخلق
اشد من الزهد في الدنيا والدرهم قال لان الدنيا والدرهم قد يبذلان في طلب
ذلك وكان يقول هذا باب غامض لا يبصره الا سماسرة العلماء وقال الفضيل نقل
الصخور من الجبال ايسر من ازالة رياسة قد تثبتت في قلب جاهل **وذهب**
اويس القرني الى ان الزهد هو ترك الطلب للمضمون قال هرم بن حيان لقيته على
شاطئ الفرات يغسل كسرا وخرقا قد التقطها من المنبوذ وكان ذلك اكله ولبسه
قال فسألته عن الزهد اي شيء هو فقال من اي شيء خرجت قلت الطلب للمعاش
قال اذا وقع الطلب ذهب الزهد وكان احمد بن حنبل يقول لان هذا الازهد اويس القرني
بلغ به العري حتى قعد في قوصرة وكان ابو سليمان الداراني يقول الزهد في النساء
ان يختار المراة الدون او اليتيمة على المراة الجميلة والمراة الشريفة وذهب الى
ذلك الامام الجنيد فيما روى وقال سهل بن عبد الله لا يصح الزهد في النساء لانه قد
حبب الى سيد الزاهدين وقال ابن عيينة فقال ليس في كثرة النساء دنيا لان
ازهد الصحابة علي بن ابي طالب كان له اربع نسوة وبضع عشرة سرية وقد كان الجنيد
يقول احب للمريد المبتدي ان لا يشغل قلبه بهذه الثلاث والا تغيرت حاله التكسب
وطلب الحديث والتزويج وقال احب للصوفي ان لا يقرا ولا يكتب لانه اجمع لهمه
وفي الخبر انما الزهاد يكونون بما في يد الله اوثق منهم بما في يدهم وهذا مقام التوكل
وذهب قوم الى ان الزهد ترك الادخار وكانت الدنيا عندهم هو الجمع وقال بعضهم
الدنيا هو ما شغل القلب والهم به فجعلوا الزهد ترك الاهتمام وطرح النفس في
مجاري الاحكام وهذا هو التفويض والرضى وقال احمد بن ابي الحواري قلت
لابي سليمان الداراني ان مالك بن دينار قال للمغيرة اذهب الى البيت فجئ بالركوة
التي كنت اهديتها لي فان العدو يوسوس الي ان اللص قد اخذها فقال ابو
سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية هو قد زهد في الدنيا ما عليه من
اخذها فاراد ابو سليمان منه حقيقة الرضى بجريان الاحكام واراد مالك من

نفسه حقيقة الزهد بان تخرج عن قلبه الاهتمام وقال بعض العلماء الزهد هو العمل
بالراي والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم ولزوم السنة ومنه لم يغفل اهل الحديث ورد
وهذا القول من الظواهر يشبه قول علماء الظاهر كما روينا عن سفيان قال قالوا للزهري
ما الزهد قال من لا يغلب الحرام صبره ولا يمنع الحلال شكره يعني ان يكون الصبر عن
الحرام حتى لا يغلبه شهوة الحرام ويكون شاكرا في الحلال حتى لا يغلبه الحلال فيشغله عن
الشكر واما الحسن فانه قال الزاهد الذي اذا رأى احدا قال هذا افضل مني فذهب الى ان
الزهد هو التواضع وكان الفضيل يقول القناعة هو الزهد وقال ابو سليمان الورع
اول الزهد وقال احمد بن ابي الحواري قلت لابي صالح المغازلي اي شيء الزهد قال قطع الامال
اعطاء المجهود وخلع الراحة وكان يوسف بن اسباط يقول من صبر على الاذى وترك الشهوات
واكل الخبز من حلال فقد اخذ باصل الزهد وقال احمد قلت لابي صفوان الرعيني الدنيا
التي ذمها الله في القران ما هي التي ينبغي للعاقل ان يجتنبها فقال كل ما اصبت في الدنيا تريد
به الدنيا فهو مذموم وكل ما اصبت فيها تريد به الاخرة فليس منها قال احمد فحدثت به مروان
فقال الفقه ما قال ابو صفوان الا انه لان الدنيا كل شيء الا الاخلاص فيما
وافق العلم فهو مباح وما خالفه فهوى فالهوى حظ النفس والاخلاص حق الرب
والمخلصون اثنية الله من عباده على عدوه ومن اهل الاخرة في الدنيا وكان ابن
السماك يقول الزاهد قال خرجت الافراح والاحزان من قلبه فهو لا يفرح بشيء من
الدنيا اتاه ولا يحزن على شيء منها فاته لا يبالي على عسر اصبح او على يسر وقال ابو
سعيد بن الاعرابي عن اشياخه الصوفية انما الزهد عندهم خروج قدر الدنيا من
القلب اذ هي لا شيء ولا يكون في نفسه زاهدا لانه لم يترك شيئا اذ كانت لا شيء
وهذا العربي هو الزهد لانه زهد ثم لم ينظر الى زهده ثم زهد فيه انه لم يترك شيئا لانه
زهد في لا شيء وهذا يشبه ما يقول ان حقيقة الزهد في النفس لانه قد زهد في الدنيا
لنفسه طلبا للعوض فيكون ذلك رغبة على صفة فاذا زهد في النفس التي يريد
الاعواض على الزهد فهو حقيقة الزهد وهذا يشبه قول من قال ان حقيقة الزهد
في الغنى هو الزهد في الفقر لان العبد ربما زهد في الغنى ولم يزهد في الفقر فيكون
فيه بقية من الرغبة فاذا زهد في الفقر فهو حقيقة الزهد في المعنى اذ كان يراه للفقر

فصل اخر

الرغبة في الهوى هو حقيقة الدنيا وان كان العبد زاهدا في المال من قبل انه قد يعطي
الزهد في شيء دون شيء كمن زهد في النساء ولم يزهد في اللباس ولا يعطى الزهد في
الاطعمة وقد يعطى الزهد في المال ولا يعطى الزهد فيه فضه لغلبة الهوى فاذا اع
اعطي الزهد في الهوى كله فانه ما كان بعد اعطي حقيقة الزهد في الدنيا وهذا هو الزهد

في النفس لان النفس يعني الرغبة والهوى روح النفس فاعرفوا هذا وكان يوسف بن حسين
الجيلاني يقول الزهد ان الزهادة في الدنيا ليس بتحريم الحلال ولا اضاعة للمال ولكن الزهادة
في الدنيا ان يكون بما في يد الله اوثق منك بما في يديك وان يكون حالك في المصيبة وحالك
اذا لم تصب بها سواء وان يكون ذامك ومادحك في الحق سواء وقال سلام ابن ابي مطيع
الزهد على ثلاثة اوجه واحدها ان تخلص العمل لله والقول فلا يراد بشيء منه الدنيا
والثاني ترك ما لا يصلح والعمل بما يصلح والثالث الحلال ان تزهد فيه فهو تطوع وكان امامنا
في هذا العلم ابراهيم بن ادهم يقول الزهد ثلاثة اصناف زهد فرض وزهد فضل وزهد سلامة
فهذا الفرض الزهد في الحرام والفضل الزهد في الحلال والسلامة الزهد في الشبهات واما
ايوب السختياني فكان يقول الزهد ان يقعد احدكم في منزله فان كان قعوده لله رضى والا خرج
ويخرج فان كان خروجه لله رضى والا رجع فان كان رجوعه لله رضى والا سار ويخرج درهمه
فان كان اخراجه لله رضى والا حبسه ويحبسه فان كان حبسه لله رضى والا رمى به
ويتكلم فان كان كلامه لله رضى والا سكت فان كان سكوته لله رضى والا تكلم فهذا
صعب فقال هذا الطريق الى الله والا فلا تلعبوا فتذهب الحال ان الزهد هو المراقبة
والاخلاص وسئل حاتم الاصم صاحب شقيق البلخي عن الزهد فقال اوله الثقة واوسطه
الصبر واخره الاخلاص فاذا كان الاخلاص عند علم هو مقام للزهد فكيف يقع لعبد اخر
الزهد قبل اوله ام كيف يجاوز الاخلاص الى مقامات المعرفة بغير صار ما اخر الزهد عند علم
اول المعرفة وقد قيل لطايفة اى الامر في الدنيا فريضة على المومنين لان حقيقة
الاخلاص عند علم هو الزهد فلذلك وجب على المومنين كان حقيقة الا
الاخلاص وما الى هذا القول عبد الرحيم بن يحيى الاسود وقد روينا معناه
عن احمد بن حنبل قيل لاحمد بأي شيء نال القوم وصاروا اليه فقال بالصدق
قالوا وما الصدق قال الاخلاص قيل وما الاخلاص قال هو الزهد قيل وما الزهد يا ابا
عبد الله فاطرق ثم قال سلوا الزاهدين هذا سلوا بشر بن الحارث وقال قوم الزهد
في الدنيا طلب الحلال فانه واجب مفترض في مثل زماننا هذا لاختلاطه لا سيما وغلبة
الشبهات قالوا فقد تعين فرض الزهد وهذا مذهب ابراهيم بن ادهم ووهيب بن الورد
وسليمان الخواص وجماعة من اهل الشام وقد كان سهل يقول الزهد الثابت في الدنيا
اصلها ما طعمها وقال افضل مقام من الورع ادنى مقام من الزهد وقد روينا عن
يوسف بن اسباط ووكيع قالا الورع اعز في زماننا هذا حتى يكون كالذي في ذوات
الرداء ما سمينا زاهدا الا من عمد الى هو في الحلال المحض ونعني بالحلال
المحض باليوم ولذلك كان الحسن البصري امام الايمة رحمه الله يقول لا شيء افضل
من زهد في الدنيا قال الفضل بن كرد قلت للحسن يا ابا سعيد رجلان طلب احدهما
الدنيا بحلالها فاصابها فوصل بها رحمه وقدم منها لنفسه ورجل زهد في الدنيا قال احب

الى الزهد

الى الزهد في الدنيا قلت يا ابا سعيد هذا طلبها بحلالها فاصابها فوصل بها رحمه وقدم
فيها لنفسه فقال احبهما الي الذي جانب الدنيا فاما تنزيه الحسن راحة الزهد لانه
مقام الزهد يجمع التوكل والرضا الا تسمع الى الخبر الذي جاء الزهد يجمع التوكل والرضا الا
تسمع الى الخبر الذي جاء الزهد ان تكون بما في يد الله اوثق منك بما في يدك فهذا هو التوكل
ثم قال وان تكون بثواب المصيبة ارجى منك لو انها بقيت لك وهذا هو الرضا ثم انا المعرفة
والمحبة بعد الزهد احلال عليه فاي مقام اعلى من مقام جمع هاذه الاربعة ومعنى غاية
الطالبين ولعمري انه هاهنا لا انه روي عن ابن عباس رضي في خبر قال يوتى بالدنيا
يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية مشوهة خلقها فتشرف على
الخلائق فيقال تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هي الدنيا التي
تفاخرتم عليها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف في جهنم
فتنادي اي رب اين اتباعي واشياعي فيقول الله تعالى الحقوا بها اتباعها واشياعها وقد
روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا اشد من هذا حدثناه عن عبد الواحد بن زيد
عن الحسن عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجيئن اقوام يوم القيامة واعمالهم
كجبال تهامة فيومر بهم الى النار فقالوا يا رسول الله امصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون
وياخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم من الدنيا شيء وثبوا عليه ولذلك كان الحارث بن اسد
المحاسبي يقول انما الزهد اسقاط قيمة الدنيا من القلب وان لا يكون شيء من عاجل الدنيا
في القلب وزن فاذا سقطت قيمة الاشياء واستوت في القلب فهو الزهد واما
ابو يزيد البسطامي فانه كان يقول ليس الزاهد من لا يملك شيئا انما الزاهد من لا يملكه شيء
وقال عالم سئل عن معناه الزاهد من لا يتملكه الاشياء ولم يمسكه البخل وكان يقول
الزاهد قوته ما وجد وثوبه ما ستر وبيته ما اوى وحاله وقته وقال بعض العارفين
الزهد المطلق ترك التدبير والاختيار والرضى والتسليم لاختيار مدبره كان او رحلا
وهذا طريق الخواص والثوري وذهب الثوري وقد قال ابو يزيد ان الزاهد لا يملك شيئا
ولا يملكه شيء وقال حقيقة الزهد لا يكون الا عند ظهور القدرة والعلم لا يصح
زهد هو ان يعلمه ويطلعه على الاسم ويقدره على الاشياء فاختار الكون بين يدي
في ذلك لاجل من الله وترك حبا لله وكان يستعيذ بالله من اربعة وعشرين مقاما
من اطوار القدرة وقال لابي موسى عبد الرحيم في اي شيء تتكلم قلت في الزهد قال
في اي شيء قلت في الدنيا فنفض يده وقال ظننت انه تتكلم في الزهد في شيء
الدنيا لا شيء ايش يزهد فيه وذهب الى هذا المعنى سهل وغيره وقال سبعة عشر
مقاما في المعرفة ادناها المشي على الماء وفي الهواء وظهور كنوز الارض وهذا كله من
زخرف الدنيا وقد حكي لنا معنى هذا القول عن الجنيد قال اجتمع اربعة من الابدال
بجامع المنصور لليلة العيد فلما تعبوا قال احدهم امالنا فقد نوينا ان اصلي العيد

بلى سوس وقال الثالث اللهم انا نعتذر من ذنوبنا ان اصلي العيد بجبة وسكنت الى اربع وكان اعلاهم
فقيل له انت انا ابي شيء نتوب فقال اللهم انا نعتذر من ذنوب اليوم لما السهوات لا اصلي لانه هذا
المسجد الذي بت فيه فقالوا انت اعلمنا فقعدوا معه فطار عنهم هذا كما ذكرنا ان معنى
الايمان هي من السهوات ان ليس حاجات مقامات والسهوة من الدنيا للاكل من الهوى
والمقام فهذه توبيخ الخيار وهذه احوال العارفين والمحبين ان هذه مكر وخدع فيتلون به وينب
وينقطعون لينظر كيف يفعلون اذا بقى كل عبد على قدر نيته وحاله فليعلم ما الزاهد
فيه وقال هي المقام السابع عشر من المعرفة من سلك ذلك الطريق اجابه ومرفقه فيبقى
وسبعون مقاما اوطى من ذلك وسئل الجنيد عن الزهد فقال معنيان ظاهر وباطن فالظاهر
بغض ما في الايدي من الاملاك وترك طلب المفقود والباطن زوال الرغبة عن القلب ووجود
العزوف والانصراف عن ذكر ذلك فاذا تحقق بذلك رزقه الله الاشراف على الاخرة والنظر اليها
بقلبه فحينئذ يجري في العمل تقصير الامل وتقريب الاجل لان الاسباب عن قلبه منقطعة
والقلب متعلق بالاخرة وحقيقة الزهد وصلنا الى قلبه ما قلل من الذكر الخالق ربه
وكذلك يقول ان الزهد يكون عن حقيقة الايمان فان الزهد عن حقيقة الايمان والمشاهدة
للاخرة تكون بعد الزهد واستواء الشيئين فيكون عن هب لوجودها بعد المشاهدة لا تستوي
بالقلب ومعه فيستوي المدح والذم لسقوط النفس وذهاب رؤية الخلق ويعتق حال قلبه
الاخلاص لصحاء الزهد وقد كنا ان الزهد لسقوط النفس فلك ذلك الخبر الذي روينا
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اجل هذا استويتنا قال وكيف استوي قال
هل يستوي عندك المدح والذم وقول حارثة لما سأله عن حقيقة الايمان عزفت
نفسي عن الدنيا فاستوى عندي ذهبها ومدرها لا يستقر فيها وذهبها ثم ذكر المشاهدة بعد
ذلك الخبر بيننا ومنزلة الحلبة مقامات في الزهد وكان من جعل الدنيا شيئا مبلغ علمه ومشاهدة
وعلم مشاهدته جعل الزهد حذره وقد نوع اهل المعرفة الايمان في القلب على مقامين فجعل
لهما زهدين فقال اذا تعلق الايمان بظاهر القلب احب العبد الدنيا واحب الاخرة وعمل
لهما فاذا بطن الايمان في سويداء القلب وباشره ابغض الدنيا فلم ينظر اليها ولم يعمل
لها وقد كان ابو سليمان يقول من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين
ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهدين المقامين لنيل من السنة
ان النبي صلى الله عليه وسلم سهل الى الناس حتى فقال من سره الدنيا وحب
الاخرة ما وقع الشيطان للدنيا الوجود ضرر من حيث الاخرة والمقام الاعلى فليلة
من جعل الهموم هما واحدا اهل المعاد الدائم الاخرة وما بيلة والهما لواحد موحد واحد
بالواحد وصف غير متوجه لواحد فلذلك الى الواحد وقد وهب له خلقا من اخلاقه فيه الاهل
بوحدانيته صفته وغير متوجه فيوحده بين خلقه فهو متفرد اليهم مجتمع القلب وانفراد الهم
يكون بعد محو الهوى ومحوه بعد امتلاء القلب للتقوى واجتماع القلب يكون مع طيب

النفس

النفس وكما بينهما في الايمان وقد جمعهما باليقين والرضا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
طيب النفس من النعيم وقال الله قد افلح من زكاها وقال المطمئنة راضية فيكون متوحدا بالرضا
فخليفة بالاخلاق في الايمان مواضعة للقلب لمشاهدة اليقين وقال وهب بن منبه وجدت فيما انزل
الله على موسى من احب الدنيا ابغضه الله ومن ابغضها احبه الله ومن اكرم الدنيا اهانه
الله ومن اهانها اكرمه الله والله اعلم. الظاهر فقال الزهد في الدنيا هو موافقة العلم والعمل
بالحكم الشرع واخذ الشيء من وجهه ووضعه في حقه وما خالف العلم فهو هوى كلام
يذكر واعراض الزهد وكلامه ولم يعرف حقيقته وباطنه وقد روينا عن سفيان بن عيينة
والثوري معنى هذا قيل لهم يكون الرجل زاهدا وله مال قال نعم واذا كان اذا ابتلي صبر
واذا انعم عليه شكر قال ابن ابي الحواري فقلت لابي سليمان ابا محمد انعم عليه فيشكر وابتلي فـ
يصبر وحبس النعمة كيف يكون زاهدا فيه فقال اسكت من لم تمنعه النعماء من
الشكر ولا البلوى عن الصبر فذلك الزاهد ودافعهما الزهري فقال ذلك وقد فضل ابو
سليمان فقال ابن ابي الحواري قلت له اكان داود الطائي زاهدا قال نعم قلت بلغني
انه ورث من ابيه عشرين دينارا فانفقها في عشرين سنة فكيف يكون زاهدا وهو
يمسك الدنانير فقال اردت منه ان يبلغ حقيقة الزهد ولكن ابى ذلك ورويناه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم نعما بالمال الصالح للمرء الصالح هو الحلال والمرء الصالح هو
المنفق ماله بالليل والنهار سرا وعلانية في سبيل الله تعالى وطاعته كما يحبه الله
ويرضاه وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن
لا يحب ولا يعطي الدين الا من يحب والذي يحبه الله ممن اعطاه الدنيا الا يركن بقلبه
الى هواه الا قدر قوته فيما اعطاه ولا يوثر نفسه على محبة مولاه وقد روينا صلى الله عليه
وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر والطاعم الشاكر هو الذي يستعين بطعمته
على خدمة مولاه ويعتبره شكر المولاه وقد قال اولياء الزهد وجعلان جامعان للاحوال
القلوب قال فضل بن عيسى قلت لسباع الموصلي يا ابا محمد الى اي شيء افضى
بهم الزهد قال الى الانس بالله قال عثمان بن عمارة كان يقول الورع يبلغ بالعبد
الى الزهد والزهد يبلغ به حب الله فاعلم ان الحال الان غاية الطالبين الحب للجليل
والانس بالحبيب لمن لم يتحقق بالزهد لم يبلغ مقام الحب ولم يرد حال الانس
ان السراير العيوب في مقام الحب والحكمة في حال الانس والغربة وفقنا الله واياكم
لما يحب ويلغنا من نؤمل منه بفضله ورحمته ولا قوة الا بالله العلي العظيم. اخر كتاب الزهد

شرح مقام التوكل ووصف احكام المتوكلين
وهو مقام السابع من مقامات اليقين

المتوكل من اعلا مقامات اليقين واشرف احوال المقربين قال الله الحق المبين ان الله
ان الله يحب المتوكلين فجعل التوكل حبيبه والقى عليه محبته وقال الله عز وجل
وعلى الله فليتوكل المتوكلون فرفع المتوكلين اليه وجعل من يتوكل منه وقال جلت
قدرته ومن يتوكل على الله فهو حسبه فحسب من الله عز وجل حسبه اي كافيه
مما سواه ثم كان الله تبارك وتعالى كافيه فهو شافيه ومعافيه ولا يسئل عما هو
فيه فقد صار المتوكل على الله سبحانه من عباد الرحمان الذين اضافهم اليه ووصفهم بالرحمة
وهو من عباده المخصوصين الذين نفى عنهم الجاهلية وهم الذين في الكتاب بقوله سبحانه ومن
وعباد الرحمان الذين يمشون على الارض هونا الى اخر اوصافهم وهم الذين كعلمهم في
قوة الزاد المهمات وقالهم نتبعو بعضهم اليه السيئات بقوله عز وجل اليس الله بكاف
عبده وقوله جل جلاله وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات
ما كسبوا ولينصر نفسه من عبيد العرض الذين قال عز وجل ان كل من في السموات والارض
الا اتي الرحمن عبدا العز اعطاهم وعزهم عزا وقال بعض الصحابة وغيره من التابعين التوكل
نظام التوحيد وجماع الامر وحكى عن بعض السلف قال رايت بعض العباد من
اهل البصرة في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لي وادخلني الجنة قلت فباي
الاعمال وجدت هذا فقال بفضل التوكل وقصر الامل فعليك بهما وقال ابو الدرداء
ذروة الايمان الاخلاص للتوكل والاستسلام للرب تعالى وكان ابو محمد سهل رحمه الله
يقول ليس في المقامات اعز من التوكل ومن ضبط الا بنظر فيه فيغنى منه صبابة
انتفع بها الصديقون والسحرة التي تعلق شيء منه فهو صديق او شهيد وقال ابو
سليمان في كل المقامات في قدم الا هذا التوكل المبارك فاني منه الاشمام الريح وقال
لقمان في وصيته لابنه من الايمان بالله عز وجل التوكل على الله فان المتوكل
على الله يحب العبد الى الله وان التقرب الى الله تعالى من حب الله وحب
الله يوافق العبد رضوان الله ومواقفة رضوان الله يستوجب العبد كرامة
الله وقال لقمان ايضا ومن يتوكل على الله ويسلم لقضاء الله عز وجل يعوض له
الله ويرضى بقدر الله بقدر اقدام الايمان ويورع يديه ورجليه لكسب الخير
واقدام الاخلاق الصالحة التي تصلح للعبد امره وقال بعض علماء الابدال العلم
كله باب من التعبد والتعبد كله باب من الورع والورع كله باب من الزهد والزهد
كله باب من التوكل قال وليس للمتوكل حد ولا غاية ينتهي اليه وقال ايضا
في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا قال اصدق توكلا وقال التستري واليقين
مثل كفتي الميزان والتوكل لسانه يعرف الزيادة والنقصان وسئل عن قوله
تعالى اتقوا الله حق تقاته فقال العبد وكيل التوكل وسئل عن قوله فاتقوا
الله ما استطعتم قال باظهار الفقر والفاقة اليه وقال ابو يعقوب السو

السوسي

السوسي لا تطعنوا على اهل التوكل فانهم خاصة الله الذين خصوا بالخصوصية فسكنوا
الى الله وانقطعوا به واستراحوا من هموم الدنيا والاخرة وقال من طعن في التوكل فقد طعن
في الايمان لانه مقرون به فقد عاب اهل التوكل فقد عاب الله واول التوكل المعرفة بالله
بالتوكل وانه عزيز حكيم فيعطي بعزته ويمنع بحكمته فيغتر العبد بعزه ورضي بحكمه
كذلك اخبر عن نفسه تعالى ونبه المتوكلين عليه في قوله ومن يتوكل على الله فان الله
عزيز حكيم فيعطي بعزته العبد فيعز به ويعطيه من حكمته فيغنيه عن السؤال من خلقه واذا
شهد العبد الذليل الملك الجليل قائما بالقسط والتدبير قيوما بالتنويع والمقادير
عنده خزائن كل شيء وكل شيء عنده بمقدار لا ينزله الا بقدر معلوم وشهد التوكل
فانبطا على تواضع المتاليين المتوكلين بالاسباب ورأى عنده خزائن السموات من
الاحكام والاقدار الغيبيات وله خزائن الارض من الايدي والقلوب والاسباب المشاهدات
المشاهدات فخزائن السموات ما قسمه من الرزق وخزائن الارض ما جعله على ايدي الخلق
وفي السماء رزقكم وما توعدون وفي الارض ايات للموقنين ولله خزائن السموات والارض
ولكن المنافقين لا يفقهون فلا يغنى العبد ان بيده ملكوت كل شيء وانه يملك كل شيء
السمع والابصار ويقلب القلوب والايدي يتقلب الليل والنهار وانه احسن التدبير
والاحكام للموقنين وانه احكم الحاكمين وخير الرازقين ومن احسن من الله حكما لقوم
يوقنون ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه عندها نظر
العبد الذليل الى سيده العزيز فعوى ينظر اليه وعز بقوته واستغنى بغيره
عنه وسكن بحضوره عنده وكذلك جاء في الخبر كفى بالموقنين غنا حسبنا فخر الثقة
في كل شيء ووثق به واعتمد عليه دون كل شيء وقنع منه بادنى شيء وصبر عليه
ورضي عنه اذ لا بدل له منه فتم لا يطمع في سواه ولا يرجو الا اياه ولا يشهد في العطا
الا جوده ولا يرى في المنع الا حكمته ولا يعاين في القبض والبسط الا قدرته فهنالك
حققت عبادته وخلص توحيده فعوق الخلق من قلبه وطلب الرزق عند معبوده
ورازقه وقام بشهادته قال ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم ان الذين
تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه فعندها
لم يجد خلقا ولم يرزقه ولم يرحمه ولم يستكفه لاجل انه منعه وانه اعطاه اذ كان الله عز
وجل هو الاول المعطي ولم يشكره لانه مولاه مرحه واباه بالشكر له فخلقا خلافه
والاتباع لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان ذمه وفتنه فلاجل مخالفته مرة
جوا فتنه هواه لانه قد ذم المتقين وذم الباخلين والفرق بين الحمد والشكر ان الحمد
معه لا ينبغي الا لله عز وجل وهو ثناء فان النعمة من الله عز وجل مع حسن المعاملة
في الوجه الله سبحانه لا شريك له فيها ولذلك قال الحمد لله رب العالمين اي الحمد لله كله
لا يكون ولا ينبغي الا لله وحده لانه رب العالمين وفي الخبر الحمد رداء والشكر ازار

التمنا واسرار الذي على للاولياء فهذا معنى مشتبه لا يدخل فيه الوالدان وهو ايضا مخصوص لمن
هو اهل ان يشكى من الناس حدثونا عن يوسف بن اسباط قال قال لي الثوري لا يشتكي الا
من عرف موضع الشكوى قلت وكيف ذاك قال انما الدنيا معروف وانا وكنت اسمع منه ركنت
منذ اشتر الشخيل فلا شكي ولا جلا وسئل ابراهيم رجلا من اصحابه درهمين فلم يكن معه
فاحزن فتى في مجلسه فبسا فيه ما ينبغي درهم فعرضه عليه فلم يقبل وقال الاكل منى
بذل لنا شيئا فعلنا فقد لا يقبل لا من يرى نعمة عليه فيما اعطى اعظم من نعمته
علينا فيما نأخذ وحدثونا عن الحسن في قصة طويلة ان رجلا بذل له جملة من المال
ورده فلما انصرف قال له هاشم لا وقد عجبت منه يا ابا سعيد رددت على الرجل
كذا منه وانصرف حزينا وانت تأخذ من مالك بن دينار ومحمد بن واسع الشيء بعد
الشيء فقال له الحسن وجدت مالكا وابن واسع يتقربان الى الله عز وجل فيما نأخذ
منهما فعلينا ان نقبل وان هذا المسكين ينظر الينا فيما يعطي جودا علينا صلفته
وعترما لا يرى احد ولا يبغضه لاجل الله كان سببا لمنعه اذ كان الله تعالى هو المانع
الاول واذا لم يجد المنع من الحكمة مثل ما في العطاء من النعمة ولكن يزهده ويبغضه
ان كان استوجب ذلك من مولاه فيكون موافقا له والله تعالى يشهد بره في العطاء
ويرحم المذنبين نيابة في امره ويشهد في المنع والمكروه مشيئته ويرى البطالين
والعاصين قدرة من حكمته وحكما من تقديره لا اضداد لا احكام وتفصيل الحلال والحرام
وعود الثواب والعقاب على الاعمال بقدر الختم لا لام واستئناف بسم القدر فيعمل المؤمن
بالامر وسلم له ما استانف وروى بعض العلماء ان رجلا قال للخبير ان اصحابه اذا
الحقناهم واعطيناهم اكرمونا ومدحونا واذا منعناهم قصروا في ذلك واعرضوا عنا
فقال الحسن من اصحابه قالوا فلان وفلان فسموا قبل اصحابه فقال فذا احسنوا قال الواله
كيف قال لانكم اذا اذنتم لهم خالف العزم هواكم وافقتم هواهم موجب عليهم ان
يلزموكم واذا جعلوكم وافقتم هواكم وخالف العزم هواهم فوجبا عليهم ان يعرضوا
عنكم فيساء من يفعل ذلك من اصحابه ليستطيع المراتب اذ في اصحابه عموم وخصوص
وخصوص فيلا وثق بهم ورضيهم احب عنهم عن معاني الخلق علم ان ذلك من يرزقهم لما
في عنده من زهدهم وهكيتي فهم فيهم وروينا عن الله تعالى لو ان ابن آدم لم
يخف غيري ولو ان ابن آدم لم يرج غيري ما وكلته غيري وروي اعظم من هذا
قال لذا وضع العبد في قبره مثل له كل شيء كان يخاف من دون الله عز وجل
يفزعه في قبره الى يوم القيامة وقال الفضيل بن عياض من خاف الله تعالى خاف
منه كل شيء ومن خاف غير الله اخافه الله من كل شيء ويقال ان الخوف من
المخلوقات عقوبة نقصان الخوف من الله تعالى وان ذلك من قلة المعرفة بالله
عز وجل وقد قال الله تعالى في معناه لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله لا يفقهون

بطلان

فكان العبد اذا ما خوف بدون الله ازال ذلك الخوف هوى المخلوقين عن قلبه وحول له
في قلوب المخلوقات فصار هيبة مخافة اذ لم يجعلها هو كما اذا احملت مشاهدة العبد وقام به
شهدت ذاته عينية تلك المشاهدة وجود الكون مع الله فلم يرها وقام له الغيرة منه
بنصيبه من الملك لما تفرغ قلبه لمعاينة الملك وهذا هو اليقين لانه هو الاول و
والظاهر وقال سعيد عن يحيى بن ابي كثير مكتوب في التوراة ملعون من يثق به انه
انسان مثله قال سعيد يعني ان يقول لولا فلان هلكت لولا كذا ما كان كذا
ويقول يقينه هو عندي اعتماده عليه وسكونه اليه لان ذلك شرك في التوحيد
اذ لا ينبغي الا للواحد وهو داخل في قوله الشرك الخفي ويقال ان يقول العبد
لولا كذا كان كذا او لم يكن كذا من الشرك وفي الخبر اياكم ولو فانه يفتح عمل الشيطان
وقال بعض العلماء لو جند من جنود ابليس وقد جاء في تفسير قوله عز وجل
فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون قالوا كانت الملاح فارها ومثله قوله تعالى ويوفي
اكثرهم بالله الا وهم مشركون قيل قالوا لولا نباح الكلاب وزقاء الديك لاخذنا
السارق وروينا عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من اعتز
بالعبيد اذله الله وقد جاء في الخبر لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم
كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال وقد جاء هذا
الوصف في قوله صلى الله عليه وسلم لو عرفتم الله حق معرفته ولو اعطيتم اليقين
يدل ان حقيقة التوكل حسن المعرفة وصدق اليقين كان عيسى عليه السلام يقول
انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوما بيوم فان قلتم
نحن اكبر بطونا من الطير فانظروا الى الانعام كيف قيض الله لها هذا الخلق ويقال
لا يدخر من الدواب الا ثلاثة النملة والفارة وابن آدم وقال ابو يعقوب السوسي
المتوكلون على الله تجري ارزاقهم بعلمه واختياره تعالى بخصوص عباده
بلا شغل ولا تعب وغيرهم مشغولون مكدودون وقال ايضا المتوكل الذي الشيب
ارزاقهم فهو مرعي لا يصلح له التوكل فاول المتوكل ترك الاختيار والمتوكل
على صحة قد رفع الهم عن الخلق لا يشتكوا ما به اليهم ولا يرى احدا منهم لا يرى
المنع والعطاء من واحد وقد شغله عما سواه وقيل لسهل رحمه الله ما ادنى التوكل
قال ترك الاماني قال واوسطه قال ترك الاختيار وقيل فما اعلاه قال لا يعرفه الا من
توسط التوكل وترك الاختيار اعطى منزلة الامتثال وقال بعض علمائه الطابعة
العبيد كلهم ياكلون ارزاقهم من المولى ثم يعرفون في المشاهدات فمنهم من
ياكل رزقه بالامتهان ومنهم من ياكل رزقه بالانتظار ومنهم من ياكل رزقه بعز بلا امتهان
ولا انتظار والذلة فالاولى الذين ياكلون ارزاقهم بذل السؤال يشهدون ان هؤلاء
الخلق فيتذللون لهم والذين ياكلون ارزاقهم بالانتظار فالتجار ينتظر احدهم تعارف

سلعته فهو مشغول القلب معذب بالانتظار، والذين ياكلون بالامتنان فالصناع
ياكل احدهم رزقه بمهنته والذين ياكلون ارزاقهم بغير مهنة فالصوفية
يشهدون العزيز فياخذون قسمتهم من يده سبحانه وتعالى بعزة، وسئل بعض العلماء
العلماء عن معنى الخبر المأثور الخلق عيال الله تعالى فاحبهم الى الله تعالى انفعهم
لعياله فقال هذا مخصوص وعيال الله خاصته فقيل كيف قال لان الناس اربعة
اقسام تجار وتجارة وصناع وزراعة فمن لم يكن منهم من عيال الله تعالى فاحب الخلق
الى الله تعالى انفعهم لهؤلاء، وهذا الحافظ لان الله اوجب الزكوة في الاموال لهؤلاء
الذي جعل من عياله من لا تجارة ولا صنعة له لا تؤدى الزكوة للتجار والصناع
لقوله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني ولا لقوي مكتسب فافهم لان
المكتسب في مقام الغني وقال عامر بن عبد الله قرأت ثلاث آيات من كتاب الله
عز وجل استغنيت بهن على ما انا فيه قوله تبارك وتعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف
له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله فقلت ان اراد ان يضرني لم يقدر احد ان
ينفعني وان اعطاني لم يقدر احد ان يمنعني وقوله عز وجل فاذكروني اذكركم فاشتغلت
بذكره عن ذكر من سواه، وقوله سبحانه وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فوالله ما
اهتممت برزق منذ قرأتها فاسترحت، وقد كان سهل بن عبد الله يقول المتوكل اذا رأى
السبب فهو مدعي وقال النسر مع الايمان اسباب الا الاسباب في الاسلام معنى
ليس في حقيقة الايمان رؤية الاسباب والسكون اليها الا ان ينقطع الطمع في الخلق
يوجد في مقام الاسلام ومن ذلك ما قال لقمان لابنه الايمان اربعة اركان لا يصلح
الا بهن كما لا يصلح الجسد الا باليدين والرجلين التوكل على الله والتسليم لقضائه
والتفويض الى الله والرضا بقدر الله فحال المتوكل سكون القلب عن الاستنـ
لا تستشرف الى العبيد والتطلع وقطع الهم عن الفكرة فيما بايديهم من التطمع على كف
الذنب على المقلب على الدرب مشغول العقل بقدرة المصرف المقدر للحجاله عدم الا
الاسباب على ما فطره العلم عليه وذمه ولا يمنعه ان يقول الحق وان يعمل به او يوالي
في الله تعالى ويعادي فيه حذرا ان الاسباب على ايدي الخلق فيمنع الحق حياء منهم
وطمعا فيهم او خشية قطع المنافع المعتادة ولا تدخله نوازل الحاجات وطوارق الاسباب
العلاقات في الاختلاط في اهواء الناس والميل الى الباطل والحنا عن حق ان راه او يوالي
عدوا او يعادي وليا ليرى بذلك حاله عنده او يشكل بذلك ما اسره اليه بالكف
عنهم وفي باب الصنعة التي فرع بها لنظره الى الصانع ولا ينظر لمصنوعه فيفيله
لعلمه بيمن الصنع في الدوام مشاهدته ولا يسكن الى عادة من خلق ولا يثق بمعتاده
من مخلوق واذ قرأ بغني برزقه ونفعه وضره من واحد وهذه المعاني من يرض التوكل
فان وجدت في عبد خرج بها من حد التوكل دون ما يليه ويدخله في ضعف اليقين

وقد كان

وقد كان الاقوياء اذ دخل عليهم شيء من هذه الاهواء المتيسرة لتوكلهم قطعوا
تلك الاسباب وحسموا اصولها واعتذروا تركها وعملوا في مجاهدة الامصار والتغرب عن
الاوطان وترك الالاف والاخلاف فاخرجوا انفسهم من حيث دخل عليهم ووضعوا عليه
الدواء من حيث تطرق البلاء حتى ربما رفعوا الظاهر العلم الى علوم الباطن وحكم
مشاهدتهم وفيهم يخفى احوالهم اذ ليس اهل الظاهر حجة عليهم في شيء، ولم
يجتنبي فتلك لان الايمان ظاهر وباطن والعلم محكم ومتشابه ولان اهل الحق اقرب
الى التوفيق واوفق للاصابة الحقيقية لانه لهم رعاية لصحة توكلهم وورع لحسن
عملهم وعملا بالاحكام حالهم لئلا تسكن قلوبهم الى غير الله سبحانه ولا يقف بهم
مع سوى الله تعالى ولا تطمئن نفوسهم الى غيره ولا تخرجوا بسكنات سواه ولا يسكنوا
الى اهواء النفوس فيخرجوا بسكونهم عن سكون القلب فيبقى ذلك في قلبهم و
يوهن اجتنابهم الذي هو الاصل ويستانس قلوبهم الحق في المكان للكشف والـ
والشهادة فيحبس وارباب المال ويعونهم حقيقة الحال فما اذا يتجون ويداى شهادة
يقوم وهذا لا يفطن له الا العالمون ولا يبصره العموم وقد قال بعض العلماء
في حقيقة التوكل لما سئل عنه فقال هو العلم من التوكل اي يتوكل ولا يبلغ الى
توكله انه لاجله يكتفي او يعافي او يؤتي فيجعل نظره الى توكله علة في توكله ف
يلي مد العراد منها حتى يروم نظره الى الموكل وحده بالاخلاص ويقوم بشهادته فيه بلا ملاحظة
فيكون بينه وبين الوكيل شيء يلتفت اليه او يعول عليه او يراد به حتى التوكل ايضا
الذي هو طريق يجد كذلك قال قبله بعض العارفين في معنى قوله سبحانه امن يجيب المضطر
اذا دعاه، فقال المضطر الذي يقف بين يدي مولاه فيرفع اليه يديه بالمسألة فلا يرى
بينه وبين الله تعالى حسنة يستحق بها شيئا فيقول هب لي مولاي بلا شيء، فهذا هو
المضطر فيمولاه، القوم من الذين وصفهم الله بالتقوى والخلافة وجعلهم العلماء للدعوة
والنذارة واخبر انهم لا يرون بينهم وبينه شيئا يليهم ولا شفاعة وقال تعالى يا امر
رسوله صلى الله عليه وسلم بالنذارة بكلامه فجعلهم وجهة تخليقه وقال الكلمة
لما جعل رسوله صلى الله عليه وسلم وجهة لهم وحكاية لتكليمهم وقال تعالى
وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع
لعلهم يتقون وقال تعالى في وصف المشاكلين من اهل اللعب واللهو والعزة
والشهو فقيد لكيلا تتواعدوا وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا
الدنيا وقيل لبعض علمائنا ما التوكل فقال التبري من الحول والقوة والحول اقل
من القوة يعني بالحول الحركة وبالقوة الثبات على الحركة وهو اول الفعل يعني
بذلك لا ننتقل الى حركته مع الحركات اذ هو الاول الى ثباته ايضا بعد الحركة
تثبيته اذ هو المثبت الاخر فيكون الاولية والاخرية حقيقة تشهد له به انه

اول، اخر يعني اليقين مخرج خفي الشك بحقيقة التوحيد وهذا هو شهادة اليقين
باليقين بعضها صاحب نزكي لها بشهادة الوكيل وقال ونة اخرى التوكل ترك التدبير ورد
واصل كل تدبير من الرغبة واصل كل رغبة من طول الامل وطول الامل من حب البقا
وهذا هو الشرك يعني انه نشاركنا الربوبية ووصف البقا وقال ان الله تعالى
خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما جعل حجابهم تدبيرهم معبركة قوله رحمه الله
في ترك التدبير ونسخه ان يدرب معنا ليس يعني بترك التدبير ترك التدرب
فيما وجه العبد فيه اواتي له كيف وهو يقول من طعن على التكسب فقد طعن
على السنة ومن طعن في ترك التكسب فقد طعن على التوحيد وانما يعني ترك
التوحيد اي ترك الاماني وقوله لم كان كذا اذا وقع ولم لا يكون كذا ولو كان كذا
فيما لم يقع لان ذلك داعية اضر وجهان بسبق العلم وثانيهما عن تعاطي العزة وشهادة
الحكمة وغفلة عن رؤية السنة وعن جريان الحكم به ويعني ترك التدبير فيما
يفني وما يأتي يعترض لان فيه مثل هذا يقول فلا نشتغل بالعمل
فيه والتدبير له بعقله وعلمه فيقطع عزها لك في الوقت الذي هو ان ع له واجب
عليه حتى يكون فيما يأتي من الاحكام والنظر يعني في ترك التدبير والتفقد بهما في
با زيادة فيها والنقصان او تقلبها من وقت الى غيره او من عبد الى اخر بالتقديم والتا
والتاخير فيكون في ذلك كما كنا فيما قد مضى لا فرق ان الانسان لا يدري ما قد مضى
قال فينبغي ان يكون فيما يستقبل تاركا للتدبير تاركا للاماني فيه بمعاني مسا
فيما كذلك ابدا فيما مضى فيستوي عنده الحالان لان الله تعالى احكم الحا
الحاكمين ولان العبد مسلم للاحكام ولا فعال راض عن مولاه في الاقدار مع جهله
بعواقب الفعل فترك التدبير بهذه المعاني هو اليقين والتقى هو مكان المعرفة
اذ جعل سبحانه قلب الموقن مكانا مكينا فيه على قدر المكان وما يليق به وقد
كان يقول قد امسكتم كان ولم يكن ويكون ولا نكون فلما كنت اليوم قلت انه وانا كنت
فيما انت لان كما لم تكن فلانه هو اليوم كما كان وقد كان يقول ايضا ان هذا انما هو ترك
التدبير فهذا يعني به ترك الاسباب التي توجب التدبير واخراج السبب الذي يجب
التدبير لانه يكون متسببا مقتفيا للاسباب وهو ترك تدبير حالان التدبير في
هذا الموضع انما هو التمييز والقياس بالاحكام ووضع الاشيا مواضعها فكيف لا يكون
العبد كذلك مع وجود الاشيا وهو عاقل مميز متعبد بالعلم مطالب بالاحكام مع احساسه
بالاسباب وانما يقول انزع الاشياء المدبرة وازهد في الاسباب المهيجة حتى يسقط عنه
التدبير والتفقد فيكون تركهما تاركا للتدبير فيسقط احكامها عنه واستراحته
من الغلبة والتكلف فيه فهذا هو بعض جملة قوله في ترك التدبير وهذا هو حال
المتوكلين والمتوكل لا يهتم بما قد كفي كما لا يهتم الصحيح بالرواية اعوفي و

ولكن

ولكن قد يجتمعي قبل النزول كما يجتمعي العلماء قبل وروده العلل قال الله تعالى وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم فالمتوكل
قد علم بيقينه ان كل ما بيده الله من العطاء من ذرة فما فوقها انه له رزقه من خالقه هو له
وان ماله واصل اليه لا محالة على اي حال كان وان ما له لا يكون لغيره ابدا وكذلك ما
لغيره من القسم والعطا لا يكون له وقد نظر الى قسمه ونصيبه من مولاه بعين يقينه
الذي نوره من اخر كذلك مشاهدات انه دونت منشا مدة نظر الى قسمه من العطا
في الصحيفة التي كتب له عند تصوير خلقه وكتب فيها رزقه واجله واثره وشقي
او سعيد فكما لا يقدر احد من الخلق ان يجعله سعيدا ان كان قسمه شقيا او يقدر
ان يجعله شقيا ان كان قسمه سعيدا كذلك لا يقدر احد ان يمنعه ما اعطاه مولاه
من القسم فيجعله محروما ولا يعطيه ما منعه من الحكم فيجعله مرزوقا لان ذلك قد
كتب كتابا واحدا وجعلهما سواء وان ارتفعت مشاهدته نظر الى ما في اللوح
المحفوظ مفروغا منه وهو ام الكتاب الذي استنسخ منه هذه الصحيفة فكان
بعينه يكتب رزقه في اللوح وانه لا يزاد فيه بحول ولا حيلة ولا ينقص منه بعجز ولا
مسكنة بما كتب فيه من انه من اهل الجنة لا محالة وان عمل اي عمل بعد ان يكون
قد كتب اسمه في اللوح وجعل له فيها اي لقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر
ان الارض يرثها عبادي الصالحون فقد كتب الا تذكروا الارزاق من كل شيء كتبا
واحدا في ثلاثة مواضع توكيدا للعلم وتسكينا للقلب في القسم كتب ذلك في
الذكر الاول وهو اللوح المحفوظ ثم في الزبور الاولى وهي الصحف ثم انزل ذلك في كتابنا
هذا الذي عرفنا ما سلف من ذلك وان علت مشاهدته كأعيان من تقدمه من معبود ومن
مكانه في دنوه وعلوه شهد ذلك هذا الذي ذكرناه معلوما في علم الله عز وجل قبل خلق
اللوح فسكن قلبه واطمأن الى علم الله سبحانه وتعالى وما سبق منه له وكذا اجل في
الاخرة ان الزهد في الدنيا ان يكون بما في يد الله سبحانه اوثق منه بما في يديه وان يكون
في ثواب المصيبة ارغب منه فيها لو انها بقيت له ذاتها فيها حرصا لبقاء شهدته ووجب
وزهد في الخلق جميعا فهذا هو الرضا وقد جمع المتوكل المقامين معا بما في يد الله
سبحانه هو رزقه الواصل اليه لا شك فيه على اي حال وهو الذي لا يعذر اليه وهو معلوم علم
الله الذي لا ينقلب وذلك اخرة لانه انسي ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او
تصدقت فامضيت فهذا هو الذي له في الدنيا والاخرة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
يقول ابن ادم مالي مالي تعجبا من جهل ابن ادم وغفلته ثم قال انما له من ماله جزء من هذه
الثلاث واستثنى مع كل واحد اخرى على نسقها فقال ما اكلت فافنيت او لبست فابليت
فهذا هو الذي له في الدنيا والاخرة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم يقول ابن ادم
مالي تعجبا من جهل ابن ادم وغفلته ثم قال انما له من ماله جزء هذه الثلاث واستثنى

مع كل واحدة. اذ غدا بيننا فقال ما اكلتنا ما بقينا ولبسنا ما بلينا او تصرفنا فامضينا
فاستنقل الاجل او الاملا والامضا لنا قال يعرفه لهم وما سوى ذلك فهو مال الوارث
فهذه الثلاث على هذه الاوصاف هي رزق العبد وهي التي في يد العبد فقد لا يكون له
انما هو مستودع ابدا ومستخلف فيه وان تملكه وحازه خمسين سنة وانما للعبد ما فرغ
منه العبد وهو الذي فرغ له منه لما سبق لديه فان تملك ما سبق لديه سوى هذا
او ادعاه لاجل انه في خزانته او قبض يده فذلك لجهله بالله تعالى وذلك فيفصه
عن الله سبحانه وغفلته عن حكمة الله لانه لو عرف حكمة الله وقدرته علم ان صنوفه
وخزائنه وبرءه من خزائن الله في ارضه يودعها ما يشاء الى الوقت الذي يشا حتى
يستفي الى من هي له كيف شاء يقول الله تعالى فمستقر ومستودع فقال
ولكل نبإ مستقر وقال سبحانه ولله خزائن السموات والارض وهكذا روينا
عن نبينا صلى الله عليه وسلم ان الرزق ليطلب العبد كما يطلبه اجله وقال صلى
الله عليه وسلم لكل عبد رزق هو ياتيه لا محالة فمن قنع به ورضي به بورك له فيه
ووسعه ومن لم يقنع به ولم يرض لم يبارك له فيه ولم يسعه ويقال لو هرب العبد
من رزقه لادركه في وقته كما لو هرب لادركه واعلم ان الخلائق لو جهدوا ان ينفعوه
بما لم يكتبه الله لهم ما قدروا عليه ولو جهدوا ان يضروه بشيء لم يكتبه
الله سبحانه عليه لم يقدروا عليه لهم طويت الصحف وجفت الاقلام فمن كان نقته
متوسطا في القسم المعلوم تسقط عنه جملة من الهموم واستراح من الخلق
من الهم، وشغل عنهم بخدمة مولاه، وكان من اهم شيئا من الحطاب وممن اقبل على
الله الكريم بصالح ما دعاه اليه واستجاب له كما روي ان رجلا لزم باب عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كل غداة فيشهره عمر بحبسه لاجل الطلب فقال له يا هذا هاجرت
الى عمر او الى الله اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل
ففقده عمر حتى افتقده عمر فسال عنه فدل عليه فاتاه فاذا هو قد اعتزل
الناس واقبل على العبادة فقال له عمر اني قد افتقدتك حتى اشتقت اليك فما
الذي شغلك عنه فقال اني قرأت القرآن واغناني عن عمر وعن ال عمر فقال له
عمر رحمك الله فماذا وجدت فيه فقال وجدت فيه وفي السماء
رزقكم وما توعدون فقلت رزقي في السماء وانا اطلبه في الارض فبكى عمر وكانت
موعظة له منه وكان عمر يعرفه لذلك ياتيه في الاحيان فيجلس اليه ويستمع منه
فهذه علامة مراد مطلوب والطالب المردود اذا تعلم القرآن افتقر الى الناس
وازداد بخلا وطعنا في القرآن واستعلى بالقرآن محبة يكتسب المال حتى
والمردود هو غني للموقنين وهو فقر للطامعين وجاء رجل لبشر بن الحارث
فقال اني قد عزمت على سفر الشام وليس عندي زاد فما ترى فقال يا هذا الرجع

فيما قصرت له فان لم يعطه ما التمس لم ينفعه ماله وشكى رجل الى فضيل حاله
فقال يا هذا امدبر انت غير الله تريد وكان الحسن يقول المتوكل هو الراضي وفي تقسيم
قوله تعالى وقدر فيها اقواتها قال خلق الارزاق قبل الاجسام فالعبد علام فالمتوكل
لا يطالب مولاه برزق غدا كما لا يطالبه مولاه بعمل غد فاما المتوكل في المضمون من
الرزق والمعلوم من القسم فهو توكل العموم ويستخفي الخصوص منه ذكره ويتكرمون عن
ثمرة اذ كان الله تعالى قد اقسم بنفسه ان الرزق في السماء حق كما اقسم بنفسه ان ما
كلامه حق فجمع بينهما في الحقيقة بالقسم بالذات دون سائر الافعال ليسكن
بذلك نفوس الخليقة عن النظر الى الاسباب وان لم تنفع الشك فيهما ويحصل اليقين
بحقيقتهما فقال فورب السماء والارض انه لحق كما قال ويستنبئونك احق هو قل اي
وربي انه لحق وليس في القرآن قسم بالذات فيما سبق نبأه الا في خمسة اشيا فيها
هذان القسمان وواحد في سورة التغابن وسورة الواقعة بمعنى واحد على
بعث الكافرين وانباءهم بما يعملون وفي تبديل الخلق خلقا خيرا منهم والخامس في
سورة النساء في نفي الايمان عمن لم يرض بالحكم وينشرح صدره للتحكيم عليه
ويسلم تسليما للاحكام وسائر الاقسام بالافعال والمتوكل فرائضه انه قد وكل
برزقه من يقوم له به من الخلق فان لم يرزقه من كسبه وعن يده رزقه من كسب غيره
ويده ولكن يشغل الخصوص بالاعمال الاخرة وما يقربهم من القربات الى الله ويدخرونه
للمولى الذي وكل اليهم فان لم يقوموا به لم يقم به غيرهم لهم ولم ينب غيرهم من الدنيا
فيه لقوله سبحانه وان ليس للانسان الا ما سعى ولقوله وجوه يومئذ ناعمة
لسعيها ولقوله والاخرة خير وابقى وقوله والذين يريدون الاخرة مع قوله من كان يريد
حرث الاخرة نزد له في حرثه ولم يقل هذا في ارزاق الدنيا لانه تكفل للعالمين الى الغوي
ومعنى الزيادة ههنا في الاجل اسبه على ما يعطيه من الدنيا لانه لم ينو له الى الاخرة
وعون على الدين اذ لا زيادة في القسم فحسب له نزد الحرث عليه زيادة وقد قيل
ان الله عز وجل يعطي الدنيا على نية الاخرة ولا يعطي الاخرة على نية الدنيا هذا
يعلوا للاخرة وذلك الدنيا وكان علي عليه السلام يقول الاخطب ان حرث الدنيا
هذا المال وحرث الاخرة العمل الصالح وقد يجمعهما الله لاقوام وكان ابن عباس يقول
نزد له في حرثه في الاخرة من الدرجات والمنازل لمن كانت نيته وقصده الاخرة وبها يعمل
يشغل الخصوص بما وكل اليهم وبما لا يعلمه غيرهم لهم عن ما يكفل به لهم واقيم عنهم
غيرهم فيه مقامهم وقد ابطل عند قلبه من اسباب الدنيا ما هم فيه لا في العالمين
الذين صبروا على المعاملة وتواصوا بالحق وعلى ربهم يتوكلون كما روينا في اخبار
داود عليه السلام اني خلقت محمدا لاجلي وخلقت ادم لاجل محمد وخلقت ما خلقت
لاجل ولد ادم فمن اشتغل منهم بما خلقته لاجله حجبته عني ومن اشتغل منهم بي

سبقت اليه ما اخلقته لاجله وتوكل الخصوص ايضا في الصبر على الاذى من القول والفعل
اذ كان امرا نزل الله الرسول في قوله فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون مع قول الرسل
عليهم السلام ولنصبرن على ما يقولون مع قول الرسل عليهم السلام ولنصبرن
على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وكذلك امر نبيه صلى الله عليه وسلم
بالتاسي بهم في قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فقال ودع اذاهم
وتوكل على الله لقوله ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وقيل من التكذيب
والاذى مع قوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال بعض العارفين لا يثبت
لاحد مقام في التوكل حتى يستوي عنده المدح والذم من الخلق فيسقطان وحتى
يوذى فيصبر على الاذى فيستخرج بذلك منه رفع السكون الى الخلق والنظر الى علم
الخالق الذي سبق ثمرة التوكل في الصبر على حسن المعاملة وترك الطلب للمعاوضة
جلاء من الله والاجلال لاجله ارضوا منه وحبا له وقد وصفهم بذلك ظاهرا وباطنا فـ
بالظاهر قوله عز وجل نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون فلما
عملوا صبروا على عملهم ثم توكلوا عليه في جميع ذلك فلا نعم اجرهم واجزل ذخرهم
والباطن فيما اخبر عنهم انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي
بقطعهم الخوف عن الطلب وفي قوله منكم وجه حسن غريب وهو باطن الاية وقد
يكون بمعنى لا نريد بدلا منكم عوضا منكم كقوله ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة
في الارض يخلفون ليس انه يجعل من البشر ملائكة ولكن المعنى بدلا منكم فهذا احد
الوجهين في الاية والوجه الظاهر ان يكون الكاف والميم اسما للمطعمين اي لا نريد
من عندكم جزاء اي مكافأة ولا شكورا احسن ثناء فلما لم يطلبوا العوض من اجلهم ولا
المكافاة من عندهم وقالوا انا نخاف من ربنا جزاء فلم افضل الجزاء واحسن لهم غاية
العطاء فقال وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا
انهم لم يطلبوا جزاء ولا شكورا جعل جزاءهم شرابا طهورا وجعل سعيهم لديه مشكورا
في التوكل عليه في تسليم الحكم والرضا به ومنه قول يعقوب عليه السلام حين
سلم الحكم توكلا على الوكيل الحاكم ان الحكم الا لله عليه توكلت لان العبد اذا
كان موقنا لم ير لنفسه من الاشياء وقد لا تراه في كل شيء ارادة تدبير هو على
يقين من ارادة مولاه لكل شيء وان كل شيء مراد لوكيله فينبغي ان يريد ما
يريد مولاه انه لم ينبغ له ما يريد بل ينبغي ان يكون مراد مولاه احب اليه وان
عنده لانه مما اراد مولاه مما لا عقوبة على العبد فيه ولا سخطة لمولاه فانه محبوب
لله مختار له فلتكن محبة الله مقدمة لربه على محبته هو واقتناء ان كان لله
عاقبة الامور وقد بشر المتقين وترك لهم عن امور المعاجلة الرتبة بقوله عز
وجل والعاقبة للمتقين وكما روي في اخبار موسى صلى الله عليه وسلم اذ المم

يكن

يكن ما تريد فارد ما يكون فان لم يكن ما تريد فلا تغتم فيما تريد ولا يكون الا ما اريد
وروينا عن الحسن البصري وحدث ان اهل البصرة في عبادي وان حبيبة بن نبار وهذا
من فضائل التوكل ولن يتم ذلك الا في تسليم الاحكام والرضا بالحبيب جرت بهم لان
هذا الكلام فتجاوز المعقول فلعل يطعمهم الموت وقد كان وهيب بن الورد المكي
يقول لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا ثم اهتممت برزقي لظننت اني مشرك
ويقال من اهتم برزق غد كتبت عليه خطيئة وقال سعيد ابن المسيب اذا
اهتم في اول النهار لعشائه كتبت عليه خطيئة وقد كان سهل يقول ان ذلك
ينقص من صومه وقال الحسن في البوادي مغيرة عظيمة تغيروا على مواهم برزقهم
من الجنة بكرة وعشيا يرون فيما لكم من الجنان وعليهم من الهموم والكروب ما لو
قسم على اهل الدنيا لماتوا قبل ولم قال كانوا اذا افتقروا قالوا لاي شيء
تتعقب واذا تعشوا قالوا لاي شيء تتغيروا وقال مرة اخرى لم يكن لهم من
التوكل والرضا نصيب وهذه المعاملات من فضائل التوكل وبوقت فلا يطلع رسمه
في كتاب قوت ولا اشتغال الصديقين ومشاهدات العارفين فلما انهم اعطاهم لحق
بالطاعة اياهم على الاسم من هواه كون كن لاجل كان توكلا عليه وحيلة منه
ان يعارضوه في قدرته او يرغبوا عن تغييره او يطلبوا في تكوينه لان تدبيره عندهم
احكم واتقن وهو بالعواقب اعلم واخبر ولم لما نقد احلاه واعطاهم ما تغير تحق ويعلم
فاما التوكل عليه في الغوث فانه عندهم احكم وايقن وهو بالعواقب اعلم واخبر ولم
له انشد اجلاه واعطاهم ما تغير تحق وتعلم فاما التوكل عليه في الوقت فانه عندهم
من فروض التوكل فيستحيون من تحكم مع الوكيل وكذلك التوكل عليه في تسليم الاقدار
حلوها ومرها خيرها وشرها من الله حكمة وعدلا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس وكما قال تعلم ان ما اخطاك لم يكن ليصيبك وان
ما اصابك لم يكن ليخطئك وكذلك قال الله سبحانه الجليل وكل صغير وكبير مستطر فما
العلم بتبرئة شيئا وكما نيمتة القلب في وسكينة العقل عند ورودها وان لا يضطرب
بالرأي والمعقول ولا ينازع بالتشبيه والتمثيل فان هذا عندهم من مرابض الايمان
لا يصح الايمان عندهم حتى يسلم ذلك كله وليس هذا من التوكل في شيء ومن هذا قول ابن
عباس القدر نظام التوحيد من وحد الله وكذب بالقدر كان تكذيبه بالقدر نقضا
للتوحيد فجعل الايمان بالاقدار كلها انها من الله تعالى مشيئة وحكما بمنزلة الحبل الذي
ينتظم عليه الحب فان التوحيد ينتظم فيه يقول فاذا انقطع الحبل سقط الحب فان
كذلك اذا كذب بالقدر ذهب الايمان فالتوكل فرض وفضل فرضه مثوله فالايمان
وهو تسليم الاقدار كلها للقادر واعتقاد ان جميعها قضاؤه وقدره الم تر الى
ربك كيف اقسم بنفسه على نفي الايمان عن من لم يحكم الرسول فيما اختلف عليه

من حاله فقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الى قوله تسليما
فكيف بالحاكم الاول والفاضل الاجل بالمفضل المتوكل فانه يكون عن مشاهدة
الوكيل له انه في مقام المعرفة بنظر عين اليقين كما قال العبد الصالح فكيدوني
جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ولطف منه قوة عظيمة تقوى واخبر
عن عجزه في نفسه فكانه قيل ولم ذاك وانما انت بشر مثلنا ضعيف فقال اني توكلت
على الله ربي وربكم فكانه سئل عن تعيين توكله كيف سببه واخبر بمشاهدته
بالوكيل اخذه بقولك في دواب الارض فقال ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ثم اخبر
عن عدله في فعله وقيام حكمته وانه ان كان اخذا بنواصي العباد في الخير والشر
والنفع والضر لافتقارهم فانه لهم مستقيم من عدله وصواب من حكمه فقال ان ربي
على صراط مستقيم وقال الله تعالى في فرض التوكل على الله وعلى الله فتوكلوا
ان كنتم مؤمنين وقال في مثله ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم
مسلمين وقال في وعظه وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال ان الله يحب المتوكلين

ذكر اثبات الاسباب والاواسط لمعاني الحكمة ونفي انها الحكم ويجعل لثبوت الحكم في القدرة للحاكم الاول

اعلم ان الله سبحانه ذو قدرة وحكمة فاظهر اشياء بحكمة وصف القدرة واجرى
اشياء على معاني الحكمة ولا يسقط المتوكل ما اثبتنا من حكمته لاجل ما شهد من
قدرته من قبل ان الله حكيم بالحكمة صفته ولا يثبت المتوكل الاشياء بالحكمة نافعة
ضارة فيشرك في توحيده من قبل ان الله قادر والقدرة صفته وانه حاكم جاعل نافع
ضار لا شريك له في اسمائه ولا ظهير له في احكامه كما قال ان الحكم الا لله ولا يشرك
في حكمه احدا وكما قال وما له منهم من ظهير فالشريك الخالط بالشيء والظهير المعين
على الشيء فالمتوكل مع مشاهدته قدرة الله على الاشياء وانه منفرد بالتدبير و
التدبير فاعلم بالملك والملكوت وهو ايضا عالم بوجوه الحكمة في النصب والتقلب
فلا تعطيل للاسباب والاواسط لاظهار الاثقال ولا انسلاخ لا بقاء الاحكام
على المحكوم وعود الثواب والعقاب على المرسوم من حيث كان المتوكل قابلا للاحكام
الشرعية ملتزما لما حملنا لما ان العلم مع تسليم الحكم الاول لله واعتقادا ان كلا بقدر
الله اذ سمع الله يقول لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولان الله تعالى في جميع ما
اظهر اخفى قدرته في حكمته وظهرت حكمته في الاشياء بعود الاحكام على المظهر في

لها وبطنت قدرته في الاشياء لرجوع الامر كله اليه ولا تفارق الصنعة الظاهرة
بالصنع الباطن ولذلك قال صنع الله الذي اتقن كل شيء اي صنعه الباطن اتقن
صنعته الظاهرة ثم قال والبه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه اي في جميع ذلك
فللعارف المتوكل من الصنع الباطن بشهادة هو قلبه وله في الحكمة الظاهرة علم شرع
وتسليم اسم ورسم هو عامل به وهذا هو شهادة التوحيد في عبارة التفصيل وهو
مقام ربانيي العلماء وكل مؤمن بالله فمتوكل على الله ولكن توكل كل عبد على قدر يقينه
فتوكل الخصوص ما قدمنا من ذكر المشاهدة ومعاني الرضى وتوكل العموم ما عقلناه
من الايمان بالقدر خيره وشره وقد اخبر الله انه هو الرزاق كما هو الخالق كما هو
المحيي المميت فقرنه بهذه الاربع في قرن واحد مع ترتيب الحكمة والقدرة وكيف تحلو
حكمها او تبقيه وحكمها الظهور للاسباب ووجود الاواسط فقال سبحانه وتعالى
الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم فما ليس في الثلاث الاخر عاجل
ولا ظهر الا الواحد وكذلك ليس في الرابعة من الرزق الا هو الا ترى انه لا يقول
اني خلقني فلان وان كان هو سببا خلقه ولا يقول احياني وامانني فلان وان
كانوا اواسط في الاحياء والقتل لان هذا ليس لظاهر اسم فيه ثم ولذلك قال
افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون وكذلك افرايتم ما تحرثون ءانتم
تزرعونه ام نحن الزارعون فاضاف الامنا والحرث الينا لانهما اعمال لنا ونحن عبيد
عمال ولا نسب صفاتنا واحكامها عائدة علينا واضاف الخلق والزرع اليه لانهما بانا
عن قدرته وحكمته وهو القادر الحكيم وكذلك كل ما ذكر في الكتاب من الاعمال والا
والاكتساب اضيف الى الجوارح المجترحة ونسب الى الادوات المكتسبة وما
كان من القدرة والارادة وصف نفسه به لانه المبدئ الاول والقادر الاعلى
حالهم عن الله فقطابه كبيلة يرع فليلهم فيما تشابه ثم قد يقول العبد اعطاني ورب
ومنعني فلان لكن هذا ليس اخفى ولان الاسباب قطعت على ابرهيم وتجري
باواسطهم مجيزا بها عن السبب واستتر عنهم المعطي المانع هذا ايضا
عند الموقنين كفي ذلك وهذا هو الشرك الخفي لان الله تعالى نفى الرزق عن سواه
كما نفى الخلق فقال هل من خالق غير الله يرزقكم ولم يرد الكلى على البعض
وان حسن فيقول تخلقكم لانه اراد سبحانه وتعالى ان يخبر بافضل بيان ويعلمنا
ان الرزق بالخلقة وانهما سببان عن القدرة فالمتوكل قد يعلى انه لم يكن
على الله ان يخلقه فلما خلقه كان عليه ان يرزقه وهكذا روي عن الله عز وجل
الخلق خلقا والا ارزقه وكما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو هرب احدكم من رزقه لادركه رزقه كما لو هرب من الموت لادركه اجله فسوى بين
درك الرزق ودرك الاجل فكما على الله بعد ان خلقه ان يميته لعزته وقدرته وكذلك عليه

ان يرزقه بعد ان خلقه تكرمة وتفضله وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا مانع لما
اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ردا عليهم حين قالوا جد في
كذا وجد في كذا يعنون صنوف الانساب فنفى ذلك بقوله هذا في صلاته واسمعهم
اياه خشية دخول الشرك عليهم اي جد العبد لا ينفعه منك شيئا وهذا كما قال
الله تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيئا وقال ابو محمد سهل في معنى ذلك من جد
في الطلب وحرص وجد منه المنع له لم ينفعه جده في طلبه وحرصه شيئا وقال ايضا
في معنى قول الله تعالى يمحو الاسباب من قلوب العارفين ويثبت الغفلة ويمحو
المشاهدة من قلوب الغافلين ويثبت الغفلة ويمحو المشاهدة من قلوب العارفين
ويثبت الاسباب في صدورهم وقال هذا العارف ايضا خلق الله النفس محركة ثم
اوحى اليها السكون وهذا هو الابتلاء فان تداركها بالعصمة سكنت وهذا خصوص وان
تركها تحركت بطبعها وجبلتها وهذا هو الخذلان منه وفي وصية لقمن لابنه يا بني
ارد رغبتك الى الله ان تشأ اعطاك وان تشأ منعك فان جبلتك ان يرد ولست
تنفصل من قسمة الله التي قسم لك ولو اجتمعت رزقك خلقك وان استطعت ان يرد
في خلقك شيء لتقدر فانك لا تقدر ان يرد في رزقك ولا ما علم ان الله هو الذي عدل الخلق
وقسم الرزق فلن تستطيع ان تزيد في واحد منهما فان منهم المحتال الجلد [illegible]
وجرى زاده لا يغرا ومنهم الضعيف العيي الواهن المهين فلا يرد ماله لا كثرة
ولو كان من الحيلة لسبق القوي الضعيف الى كل شيء ولكن الله يخلق
ويرزق ولا يحيله العباد فيه لهم شيئا وهكذا حكي ان بعض الاكاسرة سأل
حكيما في زمانه فقال ما بال العاقل محروما والاحمق مرزوقا فقال اراد الصانع
سبحانه وتعالى ان يدل على نفسه ولو كان كل عاقل مرزوقا وكل احمق محروما لوقع
في العقول ان العقل يرزق صاحبه وان الاحمق حرم نفسه فلما راوا الامر بخلاف
هذا علموا ان الصانع هو الرازق وروينا عن ابن مسعود ان في اعطاء هذا المال
فتنة ان اعطاه عبد ومدح غير الذي اعطاه وان منعه عبد وذم غير الذي منعه
وقد روينا معناه في حديث قطرب عن بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خطب فقال الا ان في اعطاء هذا المال
فتنة وفي منعه فتنة يقوم الرجل الى ابن عمه يسأله الحاجة التي قد كتبها الله
له ولا يملك منعه فيعطيه ما كتب له فيبطل بشكره ويثني عليه غير الذي يعوده
البعيد العاري المقبل فيسأله الحاجة التي لم يكتبها الله له فلا يجد له ان يعطيه
كما لم يملك في العام الاول ان يمنعه فيمنعه فلم يكتب له فيرجع يخي فمه عليه
ذنبا ويثني عليه غير الذي الا وان في اعطاء هذا المال فتنة وفي منعه فتنة
والاجعاب للخير ولم [illegible] يعني بالفتنة الاختبار وصدق صلى الله عليه وسلم

يجتنبهم

يجتنبهم بذلك الموقنين والغافلين ليبلوكم كيف يعملون فاما اهل اليقين فيعتبرون دالا
بالانساب ويعجبون من التسبيب فيزدادون بذلك هدى وايمانا ويشهدونهم المعطي
المانع والامر في العطاء والمنع ولمع فيهم بالحكمة فيما جاءت به النشأة يعقبه من
فيثبت لهم مقام الشكر له والصبر عليه واما الغافلون فيقطعون بذلك ويسب
ويستشرفون لنظرهم الى الانساب والايدي فيمدحون المعطين ويذمون المانعين
عنهم فينقصون بذلك فقد صار المال فتنة لمن يغير بكسبه ومحنة للتقوى وكذلك
قد جاء في الخبر ان العبد ليهم من الليل بالامر من امور الدنيا من التجارة وغيرها الذي
لو فعله كان فيه هلكته فينظر الله اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا
حزينا يتطير بجاره وابن عمه من سبقني من دهاني وما هو الا رحمة الله به وعن ابن
مسعود ان من الاخلاص ان لا تحب ان يحمدك الناس على عبادة الله وان لا تذمهم
على ما رزقك الله وقد روينا عن عيسى صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود ايضا
وغيره ان من اليقين ان لا تحمد احدا على ما اعطاك الله ولا تذمه على ما لم يؤتك الله
وقال الصبر نصف الايمان والشكر نصف الايمان واليقين الايمان كله وفي حديثنا
اول الذي رواه معمر عن ابان عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت فقام الي ابواي
فقبلاني في صدورهما فقلت بغير حمدكما ولا حمد صاحبكما احمد الله الذي عذرني
وبرأني وفي حديث غيره فقال لها ابو بكر قومي فقبلي راس رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت والله لا افعل ولا احمد الا الله فقال النبي صلى الله عليه
وسلم دعها يا ابا بكر وفي رواية المعلى التي قد مثلها تكون من ضعف اليقين ونقصان
الجمع فان ما انا اعترضت في سر عبد وغلبت وكثرت من قوله وفعله اذهب حقيقة
الايمان كما قال عبد الله ان العبد ليخرج من منزله ومعه ايمانه فيرجع الى منزله
وليس معه من ايمانه شيء يلقى الرجل لا يملك له ضرا ولا نفعا فيقول انك
لذيت وذيت ويلقى الاخر فكذلك حتى يرجع الى منزله ولعله لم يحل منهم بشيء
وقد اسخط الله عليه. وسئل عالمنا عن معنى الخبر المنقول من التوراة من تواضع
لغني ذهب ثلثا دينه فقال لان الايمان عقد وفعل وقول فاذا تواضع للغني لاجل
دنياه بالثناء والحركة اليه ذهب ثلثا ايمانه وبقي الثلث وهو العقد فان جعلنا
الله واسطة في الرزق او سببا في الجعل لثبوته فان الله تعالى قد القم ما اسبابا فابرز
نفسه فيها فقال يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم ردها واظهر نفسه
فقال الله يتوفى الانفس حين موتها وكذلك قال افرايتم ما تحرثون من [illegible] واسطة
ثم قال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا وقال في التفصيل فلما سلكنا
الينا روحنا ثم قال في التوحيد فنفخنا فيها من روحنا وكان الناطق جبريل
كما قال فاذا قراناه فاتبع قرانه قال اهل التفسير فاذا قراه عليك جبريل

يجزي عنه بعد قوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به وكذلك قال جبريل لأهب لك
غلاما زكيا وهو شهر وبعد ثم قال في الحرف الآخر ليهب لك يعني الله ومثله قول
موسى لا أملك إلا نفسي وأخي لأجل أن الله تعالى قال ووهبنا له من رحمتنا أخاه و
وهو في الحقيقة لا يملك نفسه ولا أخاه إذ لا مالك إلا الله وهذا على أحد الوجهين
إذا كان وأخي في موضع رفع فيكون المعنى وأخي أيضا لا يملك إلا نفسه وكذلك قال
الله تعالى في التحصيل والكلام اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وفي قتله ملائكة الموت
الواسطة لأجل الأمر فإن تقتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ثم قال في التوحيد فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم وقال في إثبات الأسباب ورفع حقيقتها وما رميت إذ رميت
ولكن الله رمى وقال في الزكاة للواسطة بالتحقيق أموالهم ولا حملهم المال في
الله ليعذبهم به وقال في مثله الذي علم بالقلم ثم قال الرحمن علم القرآن ووهبه
وقال تعالى علينا البيان ثم قال إن علينا بيانه وقال في تثبيت الأملاك ور
وبيعها منه بالأعواض ملكه وتفضلا إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم مجازا لهم لما ملككم ماله بقوله وما ملكت أيمانكم وعند أهل المعرفة
أن لا فاعل حقيقة إلا الله عز وجل لأن حقيقة الفاعل هو الذي لا يستعين
بغيره من الآلات وغيره أن يفعل الأفعال من فاعلين ولا كان شيء كما
لأن الفاعل الثاني المطيع الذي يفعل بيده وآخر الفعل بواسطته هو كاتب
ومحرك والأول القديم هو الفاعل الأصل كما أن حقيقة المالك هو
خالق الشيء ومن جعل في يده فهو مملك لأنه لم يخلق ما في يده كما الجاري على
يده الفعل مفعول لأن الله تعالى هو الأول القيوم بنفسه لا يستعين بغيره
وقد جعل الله أيضا بحكمته وعزته من مباشرة الأشياء بنفسه للخلقة والحياة
واسطة وهو ملك الأرحام وفي الخبر أنه يدخل الرحم فيأخذ النطفة في يده ثم
يصورها جسدا فيقول يا رب أذكر أم أنثى أسوي أم معوج فيقول الله ما
يشاء ويخلق الملك وفي لفظ آخر ويصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة
أو بالشقاوة ويقال إن الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الأرواح في
الأجسام وقيل أنه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من أنفاسه روحا تلج
في جسم ولذلك سمي الروح وقد قال الله تعالى في وصف نفسه البارئ المصور
كما قال الخالق وقال خلق الموت والحياة وقد جعل للأحياء واسطة كما جعل للموت
وهو إسرافيل صاحب الصور ينفخ فيه النفخة الثانية فيحيي كل ميت ثم رفعه
الله فقال يوم ينفخ في الصور ووصف نفسه تعالى بأنه هو المحيي المميت
وفي بعض الأخبار أن ملك الموت وملك الحياة تناظرا فقال ملك الموت أنا أميت
الأحياء وقال ملك الحياة أنا أحيي كل ميت [illegible] الله إليهما الحكم على علمكما

ومانسخ لذلك

وما نسخ لذلك من الصنع فأنا المميت وأنا المحيي لا مميت ولا محيي سواي وكذلك أيضا
قيل عن الله عز وجل إن الدليل على نفسي لأنه لا دليل أدل علي مني ولم يمنع وجود هذه
الأواسط أن يكون الله سبحانه هو الأول في كل شيء وهو الفاعل لكل شيء وهو ب
لا شيء بعده في شيء وإن الكون كله مكان يجري بأن لا فعال لإرادته ولا قدرته مستند
ورائه ولم يقل أحد من المسلمين الملك خلقني ولا عزرائيل أماتني ولا إسرافيل أحياني
كذلك أيضا لا يصلح أن يقول المؤمن المشاهد للتوحيد فلان أعطاني أو منعني كما
لا يقول فلان رزقني ولا فلان قدر علي وإن جعل واسطة في الرزق بسبب النقد
ولا كان عندهم مشركا في أسماء الله غيره إذ كان الله تعالى هو المعطي المانع الضار
الضار النافع كما هو المحيي المميت لا شريك له في ملكه ولا ظهير له من عباده في خلقه
ورزقه وهذا عندهم يقدح في حقيقة توحيد العبد وهو من الشرك الخفي الذي جاء
فيه أن الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل في الليلة الظلماء وقد قال بعضهم
في معنى قوله وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون قال مؤمن بالإقرار أن
الله هو المقدر المدبر ومشرك في الاعتماد على الأسباب ورد الأفعال إليها ومن
الأسباب ورد الأفعال إليها ومن الإخلاص عند المخلصين بالإله إلا الله الذي في
أصل التوحيد أن يشهدوا كذلك لا نافع ولا ضار إلا الله ولا معطي ولا مانع إلا الله
ولا خافض ولا رافع إلا الله كما لا إله إلا الله وحده لا شريك له هذا عندهم في قرينة
وأمر فيها شهادة واحدة وهو أول التوحيد وإن كان قد جعل هادين ومضلين و
ومعطين ومانعين ولكن من بعد إذنه ومشيئته وحكمته وقدرته كما قال أحسن الخ
الخالقين فبرأ أزيين لأنه خلقهم وخلق خلقهم ورزقهم ورزق رزقهم كذلك هو
هداهم وهدى بهم وأضلهم وأضل بهم معنى هدانيه وأضله هدوا وأضلوا كما قال
لو هدانا الله لهديناكم وقال في مثله فأغويناكم إنا كنا غاوين فيمشيا هذه ما
في ترى خرج العبد من الشرك الخفي وهو تحقيق قوله لا إله إلا الله بعد النصر فيقوى
في ليس من تأله القلوب ويأخذ له إليه القلوب إلا الله تعالى ثم يقول معهد
وهذا لا شريك له في وحدته في قدرته وتوحيده لا شريك له في ملكه ومن خلقه
ثم وكذلك ثم يقول له الملك أي جميع ما ظهر وله الحمد أي في جميع ما أعطى ومنع
مستحق الحمد كله بقوله لا يستحقه غيره وهو على كل شيء قدير أي من الخلق
والأمر والقدرة كلها له يخلقه فيما شاء كيف شاء ومثل الواسطة من
الأول مثل الخيط الصانع لا ترى أنه لا يفعل الشيء حتى الفعل والشهود
ضرب العبد لما يفعل الجراح النعل فلا ضرب عبد بالشهود وإن كانت مدة
الواسطة مباشرة للأفعال إلا أنه لا يبصرها نعم لذلك الخليفة يباشرون
الأسباب في ظاهر الإعلان والله من ورائهم محيط القادر الفاعل فلطائف القدرة

وقبلها المقتضية المنة الى قولهم الامير اعطاني كذا وخلع علي كذا وان لم يقبل ولم يرى
لا يصلح ان يقول خادم الامير اعطاني لاجل انه جرى على يده وان كان يباشر العطايا
بنفسه اذ قد علم ان الخادم للامير اعطاني لاجل انه جرى على يده وان كان يباشر
العطايا بنفسه اذ قد علم ان الخادم لا يملك ولا يتقوم في ملك الامير الا ان
يسأل السائل ان يقول من اعطاك الامير او على يد من وجه اليك بالعطا فيقبله فتكون
للسائل في معرفة اي عبد جرى على يده فيجوز ان يقول حينئذ في يد عبده فلان فلان ان
يتقرب المعطي من عند ان يسأل انما اراد ان يفضي العطا فيقول الامير اعطاني
على يد عبده فلان فان هذا القول يحتاج الى ذكر العبد مع ذكر الملك لان البغية الاظهار
العطايا الملك المعطي فلا معنى لذكر العبد الذي جرى العطا على يده ومن
ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي ناوله التمرة خذها لو لم تاتها
لاتتك والتمرة لا تاتي فلم يقل لجار لما جب رجل انه لا يقنيه في ذلك ذلك ومن هذا
قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي قال اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد فقال
عرف الحق لاهله والماخذ لله عز وجل الاسباب لانها لا حكم لها فتعلقه بها والاحكام
عائدة على الاسماء الثواب والعقاب فلم يبح ان لا يذكر فتعود الاحكام على الحاكم تعالى
عن ذلك انه لا شريك ويبعد الاحكام من الحاكم ويعيدها على المحكوم وهذا هو سبب
الخطا والمكان من الاموات والحيوان ليلا يكون تعالى محكوما وهو الجليل الحاكم ولا يكون
ماموراً وهو العزيز الامر فعادت الاحكام منه على المحكومات وتوجهت الاوامر منه
قبل المامورات ومن هذا قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وجميعها عنده وفي
خزائنه الا انه اضاف الزينة الباقية الى حكم الاحكام عليها وليزهدوا فيها واضاف الاخرى
اليه تخصيصا لها وتفضيلا ليرغبوا فيها وقد قال سبحانه مخبرا عن عيسى عليه
السلام واذ تخلق من الطين كهيئة ومثله فلا يزهدوا فيه منه فسماه خالقا
انه خلق العبد على يديه وسماهم رازقين لما جرى على ايديهم رزق اهليهم وهو
عندي كقوله لمريم وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وقد علمنا
ان الرطب لم يتساقط من هزها فعلا ولا جعل من هازها الرطب اراد ان يظهر لها منه
ويجعل لها اية غيرها ومثله قوله تعالى اركض برجلك هذا مغتسل
بارد وشراب فركض برجله فنبعت عينان احدهما اشد بياضا من الثلج واحلى من العسل
فيشرب من احداهما فغسل ما في جوفه وباطنه من البلاء واغتسل من الاخرى
فزال ما في جسمه وظاهره من السقم والاذى ولا فعل لرجله في اظهار العينين
ولكن الله تعالى خلق ذلك على يديه واجراه بواسطته له وكذا وهيبة له وقدرة
تعينه لعبده ما سوى الله في قوله الا كل شيء ما خلا الله باطل فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اصدق كلمة قالها ... انما النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم قال اصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل وهو
صلى الله عليه وسلم يعلم ان في الاشياء اوائلها حق والاسباب صدق ثم لم يمنعه ذلك
ان قال اصدق بيت قاله الشاعر كذا ايثاراً منه للتوحيد وتوجيهه للموحد هذا مع زهده
عنهم فلم تنكر تكذيب الرسل وابطال الكتب ولكن لما كانت الاشياء بعد ان لم تكن ولا تكون
بعد ان كانت اشبهت الباطل الذي لا حقيقة له اوليه ولا ثبات له اخرية وكان الله
تعالى الاول الازلي والاخر الابدي فهو الحق ولا تكذيب اصول ومثل الاسباب ايضا في
توابعها واواسطها الى جنب الاول المسبب مثل ما يقول في القران قال الله كذلك
وكذلك ان يقول قال نوح وقال يوسف كذا وكل صواب فان قلت قال الله فهو القائل
الاول قبل القائلين فتكلم بوصفه مخبرا من علمه بغير وقت لموقت ولا اجل معدود
وان قلت قال صالح وقال شعيب وقد قالوا بانهم توابع في القول واواسطه فما كان
لهم عنه محدودات اوقات ولظهور اسباب كذلك الاسباب في اواسطها هي توابع
عن الاول المبدي ومن ههنا وفي مثله دخلت الشبهة على المبتدعين فقالوا بخلق
القران فلو لم يدخل عليهم الا انهم جعلوا قول القائلين قبل قول الله تعالى فيما يقولوا
قبل قوله قبلا وهو القول منهم لتفقهم فروع الكلام فوقعوا بجهلهم في اعظم ما فروا منه
لانهم هربوا من اثبات قديم اخر مع عكسه فوقعوا في اثبات حدث او لا والحدث فرع
تعالى الله عما يقول الجاهلون علوا كبيرا ولم يعلموا بجهلهم انهم انما قالوا بعد
قوله فصار قولهم عن قوله وكان هو الاول في القول من حيث كان هو الاول في
القدم والسابق في العلم وصاروا هم توابع في المقال من حيث كانوا احداثا من
لا جعال وكذلك ايضا يدخل الشبهة على الغافلين من ضعفاء اليقين لشهود
المعطين والمانعين اواير في الفعل من قبل ان الله تعالى اظهر العطا والمنع
بايديهم فيشهدوا انهم معطين مانعين لنقصان توحيدهم ولنشركهم في اسماء الله
لما لم تخف المشركين في صفات الشرع وجلاء عن شبهة لانهم سبق علم الله لما
حجب الذين ابعدوا عن حقيقة توحيد الله لا ان اثرهم ابعض ضلال فيغفل عن المال
لانه ثم جلي وثم الضعفاء الموقنين غفلة وجهل لا يتغافل عن المسالة لانه
ثم خفي حكي عن بعض العلماء صلى خلف رجل فلما انصرف الامام تسلح
العبد زبن عنه وكتب فقال يا شيخ من اين تاكل فقال اصبر حتى اعيد الصلاة
التي صليتها خلفك ثم اجيبك وحدثوا في معناه عن اخر انه لزم العكوف في
مسجد ولم ير كذا معلوم من عيشته فقال له الامام الذي يصلي بالناس لو تكتسب
وتعيشت كان افضل لك فلم يجبه فاعاد عليه قوله ثانيا فحزن له فقال اليهودي
في جوارك للمسجد قد ضمن في كل يوم رغيفين فقبلت بذلك وتركت التكسب فقال
الامام ان كان صادقا في ضمانه فالعكوف في المسجد خير لك فقال له يا هذا انت

لولا ذلك لما قدّر للمشركين تقوم بينهم وبين الله تعالى لنفي توحيده لما كان خير الدوح وحدثنا ان الله سبحانه اوحى الى بعض الصديقين ادرك في لطف الفطنة وخفي اللطف فاني احب ذلك قال يا رب وما لطف الفطنة فاذا وقعت عليك ذبابة فاعلم اني وقعتها فسلني ارفعها قال وما خفي اللطف قال اذا اتتك فوله مسوسة فاعلم اني ذكرتك بها وهذا الذي ذكرناه من ان الله سبحانه هو المعطي المانع الضار النافع من حيث كان هو الخالق الرازق كيف شاء ومتى شاء ولم شاء هو في عقود عموم المؤمنين وفي علمهم الا ان فيهم جهلا بالحكمة وغفلة عن الاحكام يجهلون ذلك اذا عاينوا نعم ويرون ان يكون رزقهم من حيث معتادهم او من حيث معقولهم واختيارهم وبالعز والغنى والتطاول والانفة لا على الذل والتواضع والفقر والمسكنة ولا يكون امورهم الى الله تعالى يرضون بتدبيره وتفقههم ان يرزقهم كيف شاء وبما شاء فيحرمون اخلاق الجبابرة على اخلاق المؤمنين لبعدهم عن مشاهدة اليقين واستيلاء اخلاق النفوس عليهم ان يعرفوا من علمهم ان الخلق والامر لله تعالى وان الملك والحمد لله قد تطمع في غير الله وتجزع سواء وقد يضطرب قلبهم عند العادة الحقائق في عادة الصبر وقلوبهم لا تطمئن بل تنزعج عند الابتلاء بالمصائب والعاهات فلا تصبر للخالق وان السنتهم قد تسبق بالمدح والبعد مع رؤيته لا واسطة او بالذم ولا تسكن على فوت العطا الوجود ال الغفلة وذهابهم عن مشاهدة فلا يعلمون بحدا لهم لنقص توحيدهم وعلامة ضعف يقينهم وان معرفتهم معرفة سمع وخبر لا معرفة شهادة وخبر وقد يشكل هم المؤمنون بتسليم ذلك لله تعالى في القدرة والعلم وايمانا بالاسباب والاسباب لمجاري الحكمة وعوائد الثواب والعقاب على الخليقة ولكن دلهم واعليهم بحسن اليقين وقوة المشاهدة وجميل الصبر وحقيقة الرضى فسكنت القلوب واطمأنت النفوس عند النوازل والبؤس وتساوى لا بتلا لشهود المبتلي بين الخلق كيف شاء فحصل لهم مقام في اليقين وحال في التوكل ونصيبا من الرضى وخرج اولئك من مقامات من المعاني وقد خلوا في عموم وحفل عموم المؤمنين في مقام التوكل فرحا وزهدهم المؤمنون بما رفعوا عليهم وعلوهم بفضله ووقف العموم ونكصوا عن العلو لضعف يقينهم وحجب الاسباب لهم وسبق المقربون الى العلا ويؤتى كل ذي فضل فضله هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون وقال بعض العلماء احتجب عن عموم خلقه بالاسباب فهم يرونها ولا يرونه وحجب الاسباب بنفسه عن الخصوص فهم يرونه ولا يرونها وقد حكي ذلك عن سري السقطي قال كلامي يستبين في اليقين القيام بالحق في مواطن المهلكة عند زوال النعمة وقال يوسف بن اسباط فليكن الذي يعقد كلامي من كان فيه استكمل ايمانه من اذا رضي لم

يخرجه

يخرجه رضاه الى باطل واذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق واذا قدر لم يتناول ما ليس له وقد روينا من طريق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر تفصيل الكسب والتصرف في المعايش والحركة

ولا ينقص التصرف والتكسب من صحة توكله ولا يقدح في مقامه ولا ينقص من حاله انما احكم به معنى التخلي الى التوكل في اول الحركة فيكون في كل باب والرضى بالحكم بعد النفوذ وطمأنينة القلب به قال الله عز وجل وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وقال وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم احل ما اكل العبد من كسب الصانع والتاجر احب الى الله يدبره وكل بيع مبرور وقد كان الصانع بيده احب اليهم من البطال وقال ابن مسعود اني لاكره ان يكون الرجل بطالا ليس في عمل دنيا ولا في عمل اخرة ولان التوكل من منازل الايمان ووصف الاسلام قال تعالى ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فلا ينقص الايمان بحجة ولا يشكل للمتوكل عليه فان كان حال المتوكل التصرف فوجهه فيه ودخل في الاسباب وهو ناظر الى المسبب في نصيبه معتمد عليه واثق به في حركته فيتسبب فيما يقلبه فيه مولاه فيتعيش فيما يسبب له ويوجهه فيه مولاه عالما بان الله تعالى قد اودع الاشياء منافع خلقه وجعلها خزائن حكمته ومفاتح رزقه ويكون ايضا متبعا للسنة والاثر تاركا للتزهد والتنعم فهو في تكسبه وتنعمه ابعد من دخلت عليه العلل في توكله فيسال الله وقد حكي لنا عن بعض العلماء انه رأى يحيى بن جبلة وكان قد ترك العمل اربعين سنة فقيل له دخلت في التكسب بعد ان كنت قد تركته فقال يا هذا انما عرفنا عن التوكل لم تقض على ذلك الاستشراف وكذلك لا ارمي دخلت عليه الآفة في ترك التكسب فليخرج منها الى الاكتساب ومن دخل عليه اليقين فلا ينقطع فلينقطع عن الاكتساب فان التكسب خير من التشوف الى الخلق والاختيار للمسألة ونسالكه على طريق بصير وان كان في طريق بعد وانما التوكل لمن اعتمد ذلك الى الوكيل افضل لمن صح له فراغ قلبه من الخلق وشغله بالخالق وهو طريق قريب بصاحبه مقرب والتارك للتكسب طمعا في الخلق ومن يحب للنفس وحبا للمسألة وابتغاء للهوى سالك على غير طريق وايا ما يصير هو عيش المحنة وعبء المفتصحات وكما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لان ياخذ احدكم فاسه وحبله فيذهب الى الجبل فيحتطب فياكل ويتصدق خير له من ان يسأل الناس اعطوه او منعوه وقال صلى الله عليه وسلم استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك

دفعة بجمعه وقال عليه السلام من يضمن لي خصلة واحدة اضمن له الجنة لا يسال
الناس شيئا وقد كان ابو بكر رحمه الله يقول من اتكل على التكسب فقد طعن في السنة
ومن اتكل على القعود عن التكسب فقد طعن في التوحيد وقال بعث النبي صلى الله عليه
وسلم الى الخلق وهم اصناف كما هم اليوم فمنهم التاجر والصانع والقاعد ومن
يسال الناس فلم يقل للتاجر اترك تجارتك ولا قال للقاعد اكتسب واصنع بل
جعل ملاك الامر هو اليقين في جميع احوالهم وتركهم مع الله عز وجل في التدبير
يعمل كل واحد بعمله في حاله وقد كان بعض المتوكلين يقول من لم يصبر على جوع
ثلاثة ايام فالواجب ان لا يسعه ترك العمل اذا وجده وقال ايضا من فقد الاسباب
وضعف قلبه او كان وجودها اسكن لقلبه من عدمها لم يجز له القعود عن المكاسب
لان فيه انتظار الغير اليه عز وجل وقال بعض العلماء من فتح فاقة بسبعة ابواب
فنصر في قلبه طمع في خلق او استشراف الى عبد فالسوق افضل له من المسجد
وقال ابو سليمان الداراني لاخير في عبد نوى القعود في البيت وقلبه معلق بقرع
الباب متى يطرق بسبب وقال بعض علمائنا اذا استوى عنده وجود السبب
وعدمه وكان قلبه ساكنا مطمئنا عند العدم لم يشغله لاحق الله ولم ينتقص
همه فترك التكسب والقعود لهذا افضل لشغله بحاله وزهده لمعاملة ب
وقد صح له مقام التوكل وقال سهل رحمه الله وقد سئل متى يصح للعبد التوكل
فقال اذا دخل عليه الضر في جسده والنقص في ماله فلم يلتفت اليه ولم
يحزن عليه شغلا بحاله وينظر الى قيام الله عليه وقال ابراهيم الخواص وهو
امام المتوكلين من المتوكلين المتاخرين ثلاثة مواطن حمل الزاد فيهن من ادب
التوكل القعود في مسجد والركوب في السفينة وصحبة القافلة وقال سفيان
الثوري رحمه الله العالم اذا لم يكن له معيشة كان وكيلا للظلمة والعابد
اذا لم تكن له معيشة اكل بدينه والجاهل اذا لم يكن له معيشة كان في
سعيه للفساق وقال بعض اهل المعرفة بالله الناس ثلاثة رجل شغله معاده
عن معاشه فهذه رتبة العاملين ورجل شغله معاشه لمعاده فهذه حال الناجين
وءاخر شغله عن معاده فهذه الصفة اهل الكبر ورويناه عن علي عليه
السلام الرزق رزقان رزق طلبك ورزق تطلبه وفسره بعض العلماء فقال
الرزق الذي يطلبك هو رزق الغذاء والرزق الذي تطلبه رزق التملك وهو
طلب فضول القوت وقال ابو يعقوب السوسي وقد كان له مقام مكين
على كلا[illegible] مقامات عام وخاص وخاص خاص فمن دخل في الاسباب واسب
واستعمل العلم وتوكل على الله ولم يتحقق باليقين فهو عام ومن نزل الاسباب
على حقيقة بوجود اليقين ثم دخل في الاسباب فهو بالغير فهذا مقام خاص

قال ومن هذا

قال ومن هذا وصف الطبقة العليا من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم العشرة و
غيرهم فلم يرد بهم اليقين من الدنيا وادخلهم العلم في الاسباب لغيرهم ولا تسقطوا
بل العلم على حقيقة اليقين وكذلك كان الخواص يقول دخول الخصوص في الاسباب
لغيرهم رحمة عليهم احوال الغير وجعلوا ذا زمن لهم فنعم مواهب الله لهم ومن يرون
من التعلق بها وقد كان ابو جعفر الحداد رحمه الله شيخ الجنيد احد المتوكلين وقال
اخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق اكتسب كل يوم دينارا وعشرة
دراهم لا ابيت منها دانقا ولا استريح به الى قيراط ادخل به الحمام بل اخرجه كله
قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرة ابي جعفر يقول استحي من الله ان
اتكلم في مقامه وهو حاضر عندي وقد شرك النبي صلى الله عليه وسلم للعطاء ترك
المسئلة ولا استشراف او تشوفا للعطاء وردهم الى الله عز وجل كان في
مسئلة العبد الغير ذلا لبلاء ومضاعف الدنيا عليه وفي الاستشراف الى
الغير طمع في غير مطمع ونظر الى غير الله تعالى وانتشار الهمم من غير ابواب
وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم مسئلة الناس من الفواحش ما احل من
الفواحش غيرها وقال صلى الله عليه وسلم من استغنى اغناه الله ومن استعف
اعفه الله ومن فتح على نفسه باب مسئلة فتح الله عليه باب فقر وكان الفقراء
الصادقين جعل لهم اخذ العطاء بلا شرط الى قبوله عوضا لهم من ذلك لما منعوا
من الاستشراف والسؤال تنزيها لهم وتفضيلا لحالهم كما اهل البيت
النبي صلى الله عليه وسلم جعل لهم خمس الخمس من الغنائم لما منعوا الصدقة
تفضيلا لهم وتشريفا وقد كان احمد بن حنبل امر ابا بكر المروزي ان يعطي
بعض الفقراء شيئا فضلا عما كان استاجره عليه فرده فلما ولى قال له احمد
الحقه فادفعه اليه فانه ياخذ قال فلحقه المروزي فدفعه اليه فاخذه فسال
احمد عن ذلك فقال رده في الاول واخذ في الثاني فقال انه كان قد استشرف
لذلك فرده ولقد احسن فلما انقطع طمعه بعد يأسه فلذلك قبل وقد كان الخواص اذا
نظر الى عبد في العطاء او خاف اعتياد النفس لم يقبل منه شيئا وكان يقول
صوفي لا يكون [illegible] وهذا كله يحسن في حال المتوكل فاما ذو العيال فلا
عليه ان يسع من ذلك ولا بأس ان ياخذ لاجل عياله كما ياخذ لغيره من الفقراء
لان عياله عيال الله عنده قد وكله واجرى رزقهم على يده بان طلب لهم وجب
على اسنى اجر حقهم [illegible] اوجب الله تعالى لم يقف ذلك حاله وفاته ما تعمل
افضل من ان يلزم العبد بصرفه في [illegible] رحم اقامهم مقام عيال من المسلمين فقد
[illegible] السلف ان يقوم [illegible] فهم [illegible] من المسلمين واكثر فكانه
[illegible] من الغنى الا انهم قد وجبوا عليه وقد احب رسول الله صلى الله عليه

بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف فقال له سعد أقاسمك مالي وأهلي فقال عبد
الرحمن بارك الله لك في أهلك ومالك دلوني على السوق فعمل يومه ذلك فراح بشيء
من سمن وأقط فلو كان التكسب في الأسواق ينافي التوكل لم يختر عبد الرحمن وهو
إمام الأئمة ما ينافي توكله ولكنه أحب إدخال المشقة على نفسه وترك أن ينتفع بمال
عباد الله ليبسوا بالمتنعم كما قال فضالة بن عبيد وقد رأى أشعث أغبر حافيا
وهو أمير مصر فقيل له أنت هكذا فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن
الإرفاه وأمرنا أن نحتفي أحيانا ثم اختار عبد الرحمن أيضا إيثار أخيه بما آثره به
رعاية لحق أخوته ولأن الله تعالى قد ندب إلى الإيثار ووصف به الأحباب وأعلى
من عبد الرحمن مقاما إمام الأئمة أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة
أخذ الأثواب تحت حضنه ودخل السوق ينادي فيه ومد إلى أحواله حتى أجبره أهل الخلافة
وأقيم مقام النبوة حتى اجتمع المسلمون وفرضوا له ذلك فقال لا تشغلوني عن
عيالي فإني إذا ضيعتهم كنت لما سواهم أضيع حتى فرضوا له قوت أهل بيت من المسلمين
لا كبير ولا سفلة فلما رضوا جميعا بذلك وأنفقوا عليه ترك السوق لشغله بأمور المسلمين
لا نزاع كيف لا القيام بحاله وما أوجب الله تعالى عليه لأهله وتواضع لله تعالى
في حال رفعته واستغنى الخلق عن عينه حتى لم تكن الصحابة له بعد كما كان وكذلك
المتوكل لا يزال مع الحكم الأول حتى يفتح الله له طريقا آخر فيسلكه بحكم ثان
وقد كان بعض السلف يجتمع إليه الناس للكلام عليه فكان يقول لو أعلم أن
أهلي يحتاجون إلى باقة بقل ما تكلمت عليكم فهذا بيان وبرهان لمن لم
يستفهموا لا هوا في إنكار التكسب على أهل التوكل احتجاجا لنفسه واعتذارا
من بطالته ولا يسع العلماء في الدين إلا البيان وكشف حقيقة العلم فإن [illegible]
في التكسب ولم نتسبب طرقا ولم يجعل الله تعالى العطاء والأرزاق لا
تعطى وترزق [illegible] والسلف من الاستخدام فالمتوكل المتسبب موقن أن
الله سبحانه هو المعطي والمانع وأنه هو المسبب الرازق وأنه هو الأول في النعم في
والأخذ في التقليب فقلبه ذاك إلى القيام ونفسه ساكنة إلى القسم وقلبه
قانع راض بالمقسوم وجسمه متحرك في المعلوم الذي وجه فيه وسبب له وهو عالم
بقدمه والمراد منه راض بجبايته وما قدر مستسعي فيه والزوائد والذي ينبغي
للمتوكل ويخرجه من حد التوكل اكتساب الشبهات للاستكثار والسعي
بالتكسب للجمع والافتخار والحرص على طلب فاضل العلم عليه إذ الطلب لما
يكون المنال منه والسخط للأقدار ثم لم يواتنه على ما قدر وترك النصح لمن عامله
بأن يختال عليه أو يكذب أو التشوف إلى الخلق والطمع في سبب فهذا كله لا يصح معه
التوكل وقد قال بعض العلماء العبد إذا دخل السوق للتكسب وكان همه

احب اليه

أحب إليه من تمر مسلم غيره ممن يتبع المسلمين في المبايعة وهذا عبد يخرجه من التوكل و
ودخول الآفات ومسكنتها لقصور علم أو غلبة هوى يخرج العبد من التوكل وهو أن
يكون متوكلا على الناس بأن يطمع فيهم ويتصنع لهم بالتعرض والتصنع أو يكون م
متوكلا على صحة جسمه ودوام عوافيه وأنه لا يرزق إلا من كد يديه أو يكون متوكلا
على ماله بأن يثق به ويطمئن إليه ويجتنب أنه إن افتقر انقطع رزقه وعلامة
ذلك طمأنينته به وإعداده له عدة لكذا وعدة لكذا كما ذم الله تعالى من جمع مالا وعدده
فهذه المعاني تخرج من التوكل وقد يخفى [illegible] وتفرقة [illegible] على [illegible] العلماء
الراسخين في العلم المتضلعين باليقين الغائصين على الدوام بالمشاهدة الناكبين
عن ما لولي التحسس والعادة ثم نظر إلى هذه المعاني من الأسباب والأشخاص وسكن
إليه سكون أنس فيقوى قلبه بوجوده كما أنه يضطرب ويستوحش إن فقد
قلبه لفقد ما وجهه عليه في توكله روينا عن بشر بن الحارث رحمه الله قال إن العبد
ليقول إياك نعبد وإياك نستعين فيقول الله تعالى كذبت ما إياي تعبد ولا بي تس
تستعين لو كنت تعبد إياي لم تؤثر هواك على رضاي ولو كنت تستعين بي لم تسكن
إلى خلقك وقوتك ولا إلى مالك ولا تاركك للتكسب والنظر في الأسواق إذا كان في أمر
كفاية واغتبط بالطلب والقناعة في فعل [illegible] هذا أفضل وإن حال من المتكسب إذا
خاف أن لا ينال المعيشة إلا بمعصية الله فدخوله في شبهة عياله وعيالته لا حجة له
أنه من المسلمين ولأنه قد تعذر القيام بشرط العلم مع مباشرة الأسباب وكثرة دخول
الآفات والفساد في الاكتساب ثم ملابسة أهل الأسواق ومخالطتهم على هذا
الوصف المكروه أقرب إلى السلامة لبعده من رؤية الأسباب وبعده عنها ثم لا [illegible] الحكم
فتعلق بالرؤية وفعل الحرام أو فعل المنكر إنما المراد سقوطه عنه حكمه وليس الجسم كالمعا بينة
ولا المجاورة كالمباشرة ولا المعاين كالمخبر وهذا لكمال ما نقل عن حقيقة الكتابة على
العبد لا أنه متوجه إلى المسلك فضلا عن جائزة ولو زاغ عنها الخلة مع المعاينة
لها بكلمات [illegible] والتكسب ليس بعوض وقد يعترض بإظهار معنيين بوجود العيال
مع عدم كفايتهم من وجه عن الوجوه أو بأن ينقطع عن غيره عن فرض ويضعف عنه
مع ما تعلق به الغرض مثلا برمته وقد كان بشر بن الحارث ترك التكسب وكان يت
يتكلم في الحلال ويشدد فيه فقيل له يا أبا نصر وأنت من أين تأكل فقال من حيث
تأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يبكي مثل من يأكل وهو يضحك وقال يد
أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة وكان سبب تركه للصنعة أن البقلي كان يبلغه
أنه استغنت على رزقها بالمغازل أرأيت أحمد الله سعيه [illegible] على من
[illegible] في قلبه لسكاه منه وأخرجه إلى المغازل ويقول لو تركها لما [illegible]
بالسمه وقصر لأجلها ولطلبت لأجله [illegible] فلم ينل أنه لم يبق إلا الله

سلكه بعد العلم في الاول وقد كان للثوري خمسون دينارا يتجر له بها ثم اخذ قال
في آخر مرة يبعث بها على اخوانه وترك التكسب ويقال انه فعل ذلك لما مات عيال له
وليس للعبد ان يحمل حال عياله على حاله الا ان يكون اختيارهم كاختياره وصبرهم
على مثل صبره ومعرفتهم بفضله كمعرفته فحينئذ يكون سبيلهم سبيله ويسقط عنه
التكسب لاجلهم لانهم كهو في الحال مع سقوط المطالبة منهم له بحقوقهم عليه وقد
يفعل الجماعة من السلف وبعض العارفين يفضلون من لا معلوم له على من له معلوم
وهؤلاء يرون ترك التكسب افضل لانه معلوم ويعدونه سكون القلب مع وجود
المعلوم علة ولكن اذا سكن قلبه مع غير معلوم واجتمع همه ولا يتفرق همه في حال
المعدوم فهذا هو المقام وتفصيل هذا في التوسط في المقال عندي ان العبد لا يفضل
بفقد عدم المعلوم كما لا يفضل بفقد القعود عن المكاسب وكذا لا يفضل بفقد
المعنى فيقال من زهد او رضي وانما يوصف بالغنى لكن يفضل بحال او مقام في جميعه
فاذا كان ذو المعلوم احسن معرفة واقوى يقينا فضل على من لا معلوم له ولا يكون سكون
القلب وطمأنينة النفس ايضا مع وجود المعلوم علة في الحال على قدر المقام ولكن لا يكون
مقاما لمن بعد ولا حالا لا يفضل فيه الا ان الطمع في الخلق ويتشتت القلب مع وجود عدم
معلوم الكفاية نقصان عند الكل عندي وقطع الطمع في الخلق واجتماع القلب مع
العدم افضل واعلى عند الجماعة فاما سكون القلب واجتماع الهم مع العيال فهو افضل
ان يتفقوا عليه وهذا حال الاقوياء ولمن بقي الا قليلا واما اضطراب القلب مع وجود العيال
فان كان لاجلهم او للعيال فحكم الله فيهم ماض فيه وقد يخرج ضعاف اليقين عليه
واما استلاب القلب مع حال الوحدة فمصيبة من الرغبة موجودا الا ان يكون عند الحاجة
فمعذور وفي حديث حبة وسواء ابني خالد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهما
لا تيأسا من الرزق ما تهززت رؤوسكما فان ابن آدم تلده امه احمر ليس عليه
قشرة ثم يرزقه الله بعد وقال للرجل الذي دل وله النخلة تموت ثلاثا لا تبتئس لا تتهم
والرزق لا ينقطع عن العبد حتى يخفي له ملك الموت فحينئذ ينقطع عنه الر
الرزق الدنيا ويدخل في رزق الاخرة اي رزق الدنيا ولا اخرة الرزق وقال
سهل رحمه الله لو ان العبد سأل الله ان لا يرزقه لم يستجب له ويقال يا جاهل
انا خلقتك ولا ارزقك وقال وقد سئل عن القوت فقال هو الحي الذي
لا يموت وقيل له مرة سألناك عن القوام فقال القوام هو العلم فقيل سألناك عن
الغذاء فقال الغذاء هو الذكر فقيل سألناك عن طعمة الجسد فقال ما لك والجسد
دع من تولاه اولا يتولاه آخرا اذا دخل عليه علة رده الى صانعه اما رايت
الصنعة اذا عابت ردها الى صانعها حتى يصلحها وقال الخواص وقد روينا ايضا
عن سهل ان الله تعالى يطلع على الخصوص الحقائق ويخرجهم الى الخلق بالطمع فيهم

فيلقي

ويلقي في قلوب الخلق المنع لهم فيحرمهم ما في ايديهم ليردهم اليه فاذا رجعوا اليه بسبب
فتح لهم من رزقهم من حيث لا يحتسبون ومن علامة الخصوص انهم اذا استشرفوا الى سبب
بشيء ثم مواخذهم بالشيء واذا سكنوا الى عبد سلط اذى جنبه وبينهم لئلا
يطمئنوا اليه ابدا ولا يانسوا به وليرجع سكونهم اليه وقد كان بعضهم اذا جاءه السبب
يعود يطلع اليه رده ومنهم من كان يخرجه ولا يتناول منه عقوبة لنفسه وكان ذو النون
يتكلم على اخوانه في علم التوحيد والمعرفة فسأله غلام شاب عن الخير فما بين فقال خذوا
بيده وانهضوا به الى الصوفية حتى يعلموه الادب وقد يحكى عن معروف الكرخي رحمه
الله انه ذكر له انقباض بشر عن الاسباب التي تفتح عليه فقال انا في بيت افتقه
الورع وانا تبسطني المعرفة الا ان معروفا كان لا يأخذ الا عند الحاجة ولا يأخذ منه
ما لا بد له منه ويجمل في كل وقت بحكم ما يوجب الوقت وكان لا يدخر وكان يقصد الا من
لم يكن يامل التنفل من وقت الصلاة الى صلاة اخرى كان اذا صلى صلاة الظهر يقول
للحجام ان اطلبوا الكرم من يصلي العصر وكان يقول انما انا ضيف في دار مولاي ان
اطعمني اكلت منه ما اطعمني وان اجاعني صبرت حتى يطعمني وقد كان سهل
يقول المتوكل لا يسأل ولا يرد ولا يحبس

ذكر الادخار مع التوكل

ولا ينفي الادخار مع صحة التوكل اذا كان مدخرا لله تعالى وفيه وكان ماله موقوفا
على رضا مولاه لا مدخرا لحظوظ نفسه وهواه وهو حينئذ مدخر لحقوق الله التي اوجبها
الله عليه فاذا رأى اهلا بذل ماله فيه والقيام بحقوق الله لا ينقص مقامات الله
العبد بل يزيد بها علوا وقد روينا عن حسين المغازلي بعض اصحاب بشر بن الحارث قال
كنت عند بشر ضحوة من النهار فدخل عليه رجل كهل اسمر خفيف العارضين فقام اليه بشر قال
وما رايته قام لاحد غيره قال ودفع الي كفا من دراهم فقال اشتر لنا من الطيب
ما تقدر عليه من الطعام والطيب قال وما قال لي مثل ذلك قط قال فجئت
بالطعام فوضعته بين يديه فاكل منه وما رايته اكل مع غيره قال فاكلنا حاجتنا
وبقي من الطعام شيء كثير فاخذه الرجل وجمعه في ثوبه وحمله تحت يده وانصرف
قال فعجبت من فعله ذلك وكرهته له اذ لم يأذن بشر له بذلك ولا هو استأذنه فيه
فقال لي بشر لعلك انكرت فعله فقلت نعم اخذ بقية الطعام من غير
اذن فقال نعم ذاك فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل وانما
اراد ان يعلمنا ان التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار وانما الادخار هو حال من مقامه
متوكل وقد يصح التوكل مع تأميل البقاء ان كان املا لحياة الطاعة من كل وقرينته

قف على التوكل الذي يخص ... الخواص

والمجاهدة في سبيله وليستعف وليستقل ويصلح بالعلم والطاعة والايثار بالجميل
والهوى بفضل بذله ومن زاد بقي طايفة من الاحبين والمحبين وحسبي الغنى به
والمستغنى فيستغنى وان كان اهله للخبرة لاجل منفعة نفسه واقترح لموكله من نفسه تعقل
ذلك من زهده في الدنيا فيسر من النفع الى توكله وما انفع من الزهد ولينسر مثل
زاد في الزهد فيه في التوكل لان الزهد من شرطها خصوص التوكل وليس التوكل
من شرطها عموم الزهد وكل متوكل فهو في مقام زاهد لا محالة وليس كل زاهد في مقام
متوكل لان التوكل مقام في الزهد والزهد حال والمقامات للمتمكنين ولان الاحوال
في اصحاب اليمين لان من اعطى حقيقة الزهد فانه يعطى التوكل لا محالة لان مقام في
الاحوال وثبوتها ودوام استقامة اهلها فيها ولزومها لعلوهم في مقامات فلذا
جاز للمتوكل تاخير القليل لشيء بحاله لان الادخار للزكاة لان طول الامل
يخرج من حقيقة التوكل وقد قيل الكثير من اربعين يوما يخرج من حد التوكل عند الخواص
ويخرجه من حد الزهد والكمال للمتوكل الادخار لاكثر من اربعين يوما لما ذكرناه له التاويل القليل
لاكثر من اربعين ومن اهتم لصلاح قلبه وتسكين نفسه وقطع تشوفه الى الناس ان
كان مقامه السكون مع المعلوم فالادخار له افضل ومن قوي يقينه وحسن ثقته
وصح زهده فترك الادخار له افضل وقد حقيقة الادخار من حقيقة التوكل عند ابي
محمد وعند ابراهيم الخواص وكان يحكيه عن شيخه من مقام فيه فلا من اهتم لعياله ليسكن
بذلك قلوبهم ولترجع رضاهم عن الله وليشغلهم عنه لينقطع لعبادة ربه
فهو فاضل في ادخاره اتفقوا عليه ولا تدخر لك القائم بحكم ربه راعي لرعيته التي
هو مسؤول عنهم وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنة
لسنتهم ذلك وقد نهى ام ايمن وغيرها ان تدخر له شيئا لغد ونهى بلالا ان يدخر عن
الادخار ليقتدي اهل المقامات وقال له اذا سيلت فلا تمنع واذا اعطيت
فلا تخبا فهو امام المتوكلين وذكر للمتوكلين لانه كما روي انه قبض صلى الله
عليه وسلم ولدرعه ان في التحب بستعان وقد كان صلى الله عليه وسلم اقوى الاكلان
يبول فيتيمم قبل ان يصل الى الماء فيقال له ان الماء قريب فيقول
وما يدريني لعلي لا ابلغه ولكن فعله ليدل تعطيلا من كان اهله من امته
ويجعل فعله حجة له فهذا دليل على ان الادخار يتسع ويضيق على قدر سعة
مشاهدات العارفين من قبل ان الشريعة جاءت بالرخصة والعزيمة فالعزايم
من الدين للاقوياء المحققين والرخص من الدين للضعفاء المحمولين وقد كان ابو
محمد رحمه الله يقول في تاويل الخبر ان الله تعالى يحب ان يوخذ برخصه كما يحب
ان يوخذ بعزايمه فقال ما كان من اخذ بالاوسع وما كان من بعض اخذه بالاشد
فيه وكان الخواص يرفق في احوال المتوكلين ويرى ان الادخار يخرج من حد التوكل

ولم يكن

قف وتأمل

ولم يكن يفارقه اربعة اشياء كان يقول الادخار من تمام حال المتوكل للاشياء من اهل
الدين والركوة والحبل والابرة والخيوط والمقراض وكان شيخنا ابو محمد رحمه الله يقول يلزم
تنالا في قصر الامل وطوله فيقول مثل من يترك الادخار مثل رجل يقول اريد ان اخرج الى
لاجله فيقال له خذ زادك فقال اريد ان اخرج الى عبادان فقيل له خذ زادك فيقول
لا فقال اريد اخرج الى العسكر فقيل له خذ زاد اربعة ارغفة فقال يكفيه ثم ترك الادخار
زاد الادخار على قدر قصر الامل وطوله وعلى ذلك فان الادخار ينقص من فضايل الزهد
الزاهدين بمقدار ما ينقص من حقيقة الزهد لان مقام العارفين لانهم على حقيقة
من اليقين اقيموا بشهادة عين التوحيد ينظرون بنور الله وليقينه والحق بذلك
بالموجود لان عندهم غيره اذا كانت ايديهم بيد سبحانه وتعالى فبعضهم قبضه
فهو وكيلهم ومهم وكلاوه فهو فيه عليهم لانه يعرف والزهد قد جاوزوه فكيف يقنتونه
وهو لا يدخر لا يعوزهم رغبة فيكون الزهد معيارا عليهم وفي حديثنا ثم من حوشب
عن ابي امامة في ذكر الفقير الزهد او رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابا رب
واسامة يقسم له ويكفيه برداية فلما دفنه قال كتابه انه يبعث يوم
القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه
كالشمس الضاحية قلنا وما هي يا رسول الله قال انه كان لصواما قواما
كثير الذكر لله تعالى غير انه كان اذا جاء الشتاء ادخر حلة الصيف واذا جاء
الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه ثم قال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر
ومن اعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وحدثنا عن بعض
العارفين قال رايت في النوم كان القيامة قد قامت وكان الناس يساقون زمرا
زمرا الى الجنة على طبقات ينظرون الى طبقة احسن الناس هيئة واعلاهم طريقا
واسرعهم سبقا فقلت من هؤلاء افضلهم الكون فيهم من هيبته لا خطوا اليهم واحدهم
معهم في لحق بغيهم فلما ادركته هولهم قد منعوني فقالوا فيها مكانه حتى يجي اصحابه
فنزحل معهم فقلت تمنعوني ان الكون مع هؤلاء السابقين فقالوا ان فيك
لا يسلكه الا من لم يكن له الا قميص واحد ومن كل شيء واحد وانت لك قميصان ومن
الاشياء اثنان فقال فانتبهت باكيا فقيل فجعلت على نفسي ان لا املك من كل
شيء الا واحدا وقد كان حذيفة المرعشي يقول اوشيئا اخرج الا واحدا وكانوا
يستعملون في الشيء الواحد في الاشياء الكثيرة وهذا كله داخل في التخفيف جائز سر
وهو من فضايل المتوكلين وقد روينا في الخبر المشهور زيادة وصف من لم يرى ابي
امامة الباهلي ان رجلا من اهل الصفة توفي فما وجد له كفن فقال النبي صلى
الله عليه وسلم فتشوا ثوبه فقال فوجد في داخلة ازاره دينار فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كية وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف عدة فيقول

ثم لعل لأن هذا كانت حالة الذين ثمروا الهيار العيش ووجدوا التوكل ونزلوا الاختيار وذكر
التداوي وتركه للمتوكل وتفصيل ذلك ولا ينبغي التداوي ايضا ترك الكل العبد لان النبي
صلى الله عليه وسلم امر به وبفعله واخبر عن حكمة الله تعالى فيه فقال صلى الله عليه
وسلم ما من داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام يعني الموت
وقال تداووا عباد الله وسئل عن الدواء والرقى هل يرد من قدر الله تعالى فقال
هي من قدر الله تعالى وفي الخبر المشهور ما مررت بملإ من الملائكة الا قالوا مر امتك
بالحجامة وفي الحديث انه امر به وقال احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى
وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم وفي ذلك تبيغ الدم دليل على توقيت هذا العود
من الايام للحجامة لانه اخبر به من الايام من الشهر وفيه وصف الاسباب التي
جعلت حفوظا وسببا للموت واحسب هذا الغرر من العدد لاهل الحجاز خاصة
لشدة حر البلد كقول عمر رضي الله عنه في الماء المشمس انه يورث البرص سمعت
ان ذلك في ارض الحجاز خاصة وقد كان من سيرة السلف ان يحتجموا في كل شهر مرة
الى ان يجاوز الرجل الاربعين وكانوا يستحبون الحجامة في نقصان الشهر وقد
يروى في خبر مقطوع من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من
سنة وقد روينا حديثا من طريق اهل البيت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة فالتداوي رخصة وسعة
وتركه ضيق وعزيمة والله يحب ان يؤخذ برخصته كما يحب ان تؤتى عزائمه وقد قال
الله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق وربما كان التداوي فاضلا في
ذلك لمعنيين احدهما ان ينوي اتباع السنة والاخذ برخصة الله تعالى وقبول
ما جاءت به الحنيفية السمحة وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم غير واحد من
الصحابة بالتداوي والحمية وقطع لسعد بن معاذ عرقا اي فصده وكوى اسعد
بن زرارة وقال عليه السلام لعلي عليه السلام وكان رمد العين لا تأكل من
هذا يعني الرطب وكل من هذا فانه اوفق لك يعني سلقا قد طبخ بدقيق او شعير
وقال لصهيب وراءه يأكل تمرا وهو وجع العين تأكل تمرا وانت وجع رمد فقال انما
اكل من الجانب الاخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تداوى صلى الله
عليه وسلم في غير خبر من العقرب وغيرها وروي انه كان اذا نزل عليه الوحي
صدع راسه فكان يغلفه بالحناء وفي خبر انه كان اذا خرجت به قرحة يجعل
عليها حناء وقد جعل على قرحة خرجت به ترابا وهو اعلى المتوكلين واقوى الا قويا
فان قيل انه تداوى لغيره وليس ذلك لافتقار به على سنته ولا نهى في
نفسه اذ كان يفعل ذلك لا لنفسه لئلا يكون فعله لقوم عثرة حتى
يمتثلوه الى ان لم حقيقة التوكل صحيح في الشرع وقد كان صلى الله عليه وسلم

طامة

طامة للخلق ليقتدوا به لاثارة من ذلك انه صلى في الشمس في شدة الحر وكان يصب
على راسه الماء ويستنضل بالشجر ليتبرد لما اخبر في البرد بالماء للاضطرار فقيل له ان
قوما صاموا وقد شق عليهم فدعا بقدح فيه ماء فشرب والناس ينظرون ثم قال صلى
الله عليه وسلم لا حينهم فقيل له ان قوما لم يفطروا فقال اولئك العصاة والمعنى الثاني
الذي يفضل به التداوي ان يجب تعجيل البرء للطاعة وخوف مرض والشغل في اوراد
اذا كانت العلل قاطعة عن الخير في العمل ومشغلة بالنفس عن الشغل بالاخرة وذكر
بعض العلماء في الاسرائيليات ان موسى صلى الله عليه وسلم اعتل علة فدخل عليه
بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا لو تداويت بكذا لبرئت فقال لا اتداوى حتى
يعافيني هو من غير دواء فطالت علته فقالوا له ان دواء هذه العلة معروف مجرب
وانا نتداوى به فيبرأ فقال لا اتداوى فدامت علته فاوحى الله تعالى اليه وعزتي
لا ابرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال داووني بما ذكرتم فداووه فبرئ فاوجس في
نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك علي من اودع
العقاقير منافع الاشياء غيري وروينا في بعض الاخبار شكى نبي من الانبياء
الى الله تعالى علة يجدها فقال كل البيض وفي خبر اخر ان نبيا من الانبياء شكى الى
الله الضعف فاوحى اليه كل اللحم باللبن فان فيهما القوة احسبه الضعف عن الجماع وفيه
دليل ومن جنسه ان ملكا من الملوك اعتل علة وكان حسن اليقين في رعيته فاوحى
الله تعالى الى شعيا النبي عليه السلام قل له اشرب ماء التين فانه شفاء من
علتك وقد روينا اعجب من ذلك ان قوما شكوا الى نبيهم قبح اولادهم فاوحى الله
تعالى اليه مرهم ان يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد وقد كانوا
يطعمون الحبالى السفرجل والنفساء الرطب وهذا والله اعلم يكون في الشهر الثالث
والرابع من حملها لان الولد يصور فيهما وعلى ذلك كله فان ترك التداوي افضل للاقويا
وهو من عزائم وطريقة اولي العزم من الصديقين لان في الدين طريقين طريق مبتذل
وعزيمة وطريق توسع ورخصة لمن قوي سلك الطريق الاول فشمر مقصرا واعلى ولكن بعد
ان يكون معه زاد ذلك الطريق وهو للمقربين وهم السابقون ومن ضعف سلك الطريق الا
الادنى وهو لا يسلك الا انه ابعد لان معه زاد لم يبلغه ومنه اصحاب اليمين وهو
المقتصدون والجميع المومنين اقوياء وضعفاء وليس انسانا وروينا عن النبي صلى الله
عليه وسلم المومن القوي احب الى الله تعالى من المومن الضعيف وفي كل خير وروينا
عنه عليه السلام في المومنين من هو اشد في الله من الحجارة وفيه من هو الين من اللبن
وقال عليه السلام في وصف الاقويا مثل المومن كمثل النخلة لا تسقط ورقها وقال
الله تعالى في معنى ذلك اصلها ثابت وفرعها في السماء وقال صلى الله عليه وسلم مثل
المومن كمثل السنبلة تفيئها الرياح يمينا وشمالا وقال صلى الله عليه وسلم في وصفه

قف وتأمل

المومن المطعم مثل المومن كمثل النخلة تجمع في صيفها لشتائها فاوصاف المومنين منقولة
في الضعف والقوة والجبن والشجاعة وفي الصبر وفي الجزع فينبغي ان يقتدي من شبهه في
القوة والعلو بالنخلة فلبه ثابت وهمه في السماء يطعم حسنا ولا يرضى الدني من شبهه
بالنملة وفي الضعف فيستطعم ويحتاج وقد فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما
ومدحهم انهم لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون ثم سال له عكاشة ان يدعو
الله تعالى ان يجعله منهم فقال له انت منهم لما طلب بغية ورأى فيه زيادة لحاله الطلب بقي وشهد
فيه القوة والتخفيف فاعلمه لذلك فلما قال له اخر ادع الله تعالى ان يجعلني منهم
والمقامات لا يقتدى فيها ولا يتمثل فيها لمن لا يدعيه لانها مواجد قلوب فالجاه زيب
ومشاهدات غيوب فاستشاهد حبيب فلم ير لهذا الطالب بغيه ولم يستحضر معه زيادة لمن
يرمله لذلك فاوقفه على حده وحكم عليه بضعفه فرده ردا جميلا لانه كان صلى
الله عليه وسلم حبيبا ليقا فقال سبقك بها عكاشة فهذا كما يقول الحاكم الحكيم
لضعيف احد الشاهدين زد فيه شاهدا اخر ولا يصرح بتجريح الشاهد فلو عزله لقبله
ولم يطلب الزيادة وانما المقامات لا تضيق بمن يسبق اليها والقادم على الحال فيسهم
ليتيسر ذلك عليه عن زيادة انه حاكم حكيم لم يحكم له بالسبق فلم يجعل فيه مكانا
للغيرة والتشوق غير جميل مع قوله سبحانه شاهدا له وما هو على الغيب بظنين
اي ليس بخيلا ولكن لم ير فيه شاهدا له من القوة وتبين الضعف فيه فلم
يخاطبه شفقا عليه ومن نهيه صلى الله عليه وسلم عن الكي في غير حرب وقد قال
اجل اراد ان يداوي اهله لا اله الا من علته فقال اما لو صبر لقلت انه لعلمه
فاحسن في بعض النفوس ان الشفاء والنفع من فعل الدواء وذلك من الشرك
فلهم اكتفوا بالتوحيد التداوي خشية دخول ذلك عليهم وروي عن موسى
صلى الله عليه وسلم من الداء والشفاء قال مني قال فما يصنع الاطباء قال
ياكلون ارزاقهم ويطيبون نفوس عبادي حتى ياتي شفائي او قضائي وقد
كان احمد بن حنبل رحمه الله يقول احب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك
التداوي من شرب الدواء وغيره وكانت تكون به علل فلا يخبر المتطبب ايضا
اذا سالته واعتل عمران بن حصين فاشاروا عليه ان يكتوي فامتنع فلم يزل به الوالي
وعزم عليه الامير حتى اكتوى فكان يقول كنت ارى نورا واسمع صوتا وتسلم علي
الملائكة فلما اكتويت انقطع ذلك عني وفي خبر اخر كانت الملائكة تزورني فانس
بها حتى اكتويت وكان يقول اكتويت كيات فوالله ما افلحن ولا انجحن ثم تاب من
ذلك واناب الى الله تعالى فرد الله تعالى عليه ما كان يجد من امر الملائكة وقال
مطرف بن عبد الله المزني الا الكرامة التي كان اكرمه الله تعالى بها قد ردها الله عليه
بعد ان كان اخبره بفقدها فلولا ان ذلك عنده ذنب لما ندم عليه وتاب منه

ولو

ولولا انه لما كان نقصا ما ضرب فقد الملائكة عنه ومرض ابو بكر الصديق رضي الله عنه
فقيل له لو دعونا لك طبيبا فقال قد نظر الي الطبيب فقالوا فما قال قال اني فعال لما اريد وقيل
لابي الدرداء في مرضه ما تشتكي فقال ذنوبي قيل فما تشتهي قال مغفرة ربي قال
الا ندعو لك طبيبا قال الطبيب امرضني وقيل لابي ذر وقد رمدت عيناه لو داويتهما
فقال اني عنهما مشغول فقيل فلو سالت الله ان يعافيهما فقال اساله فيما هو اهم علي
منهما وقيل لابي محمد رحمه الله متى يصح للعبد التوكل قال اذا دخل عليه الضر في جسمه
والنقص في ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله وينظر الى قيام الله تعالى عليه وقد
كان باصحاب الربيع بن خثيم الفالج فقيل له لو تداويت فقال قد هممت ثم ذكرت عادا و
ثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا كانت فيهم الاوجاع وكان فيهم الاطباء فهلك المداوي
والمداوى ولم تغن الرقى شيئا وقد كان اصاب عبد الواحد بن زيد الفالج فعطل عن القيام
فسال الله تعالى ان يطلقه في اوقات الصلوات ثم يرده الى حاله فعني له فكان
اذا دخل وقت الصلوات كانما نشط من عقال فاذا قضى صلاته رجع اليه الفالج كما كان
قبل ذلك ومن لم يتداو من الصوفية والسلف الصالح اكثر من ان يذكر الا انه مخصوص
لمخصوصين وطريق الخصوص لا يجوز ان يسلكه العموم والضعفاء كما ان طريق العموم قد
يسلكه الخصوص والعجب مما سمعت في تفاوت المقامات عن اختلاف مواجيد العارفين
ما حكي لنا ان موسى والخضر عليهما السلام اجتمعا في فلاة من الارض فشكى موسى
الى الخضر الجوع فقال له الخضر اجلس بنا حتى ندعو فتكلم الخضر بسببه فاقبل ظبي حتى
وقف بينهما موضع نصفه الى الخضر مشويا ونصفه الى موسى نيا فقال له الخضر قم فاقدح
نارا واشو نصيبك وكل قال فقدح موسى نارا واشتغل حطبا وشوى نصيبه فلما فرغ قال
للخضر لم وقع نصيبه اليك مشويا قال انا ليس لي في الدنيا امل وقيل عنه ايضا مرة
اخرى انه ليس لي في هذا الخلق حاجة وكان مذهب ابي محمد سهل ان ترك التداوي وان
ضعف عن الطاعة وقعد عن الفرائض افضل من التداوي لاجل الطاعات وكانت به علة
عظيمة فلم يكن يتداوى منها وقد كان يداوي الناس منها وكان اذا راى العبد يصلي من
قعود ولا يستطيع اعمال البر من امراض يتداوى للقيام في الصلوات والنهوض
الى الطاعة يعجب من ذلك ويقول صلاته من قعود مع رضاه بحاله افضل من التداوي
للقوة ويصلي من قيام وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل في شيء من الدواء
فانما هو سعة من الله تعالى لاهل الضعف ومن لم يدخل في شيء منه فهو افضل لانه لا
يقبل شيئا من الدواء ولو كان الماء البارد يسال عنه لم اخذته ومن لم ياخذه فليس عليه
سؤال وقال من لم ياخذ الماء البارد على سبيل الدواء سئل عنه واصله رحمه الله
في هذا ان عنده من افضل الاعمال ان يضعف العبد قوته حتى لا يكون لنفسه حراك لاجل
الله تعالى وان عنده من اعمال القلوب مثل التوكل والرضى والصبر افضل من اعمال جيران

من عمل الجوارح

وكان مذهب البصريين

في اسقاط القوة
بالتجويع الطويل والطي الكثير ليضعف النفس لانه عندهم ان في قوة النفس قوة
الشهوات وغلبة الصفات وفي ذلك وجود المعاصي وكثرة الهوى وطول الرغبة و
والحرص على الدنيا وحب البقاء فيقول فاذا ادخل الله تعالى عليه الامراض من حيث
لا يحتسب فلا يتعالج لرفع الامراض عنه فان المرض من خاصية الضعف ومنها بلغ ما
يبتغيه في الشهوة وكان يقول علل الاجسام رحمة الله وعلل القلوب عقوبة وقال في
امراض الجسم للصديقين وقد كان ابن مسعود يقول تجد المومن اصح شي قلبا وامرضه
جسما وتجد المنافق اصح شي جسما وامرضه قلبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
تحبون ان تكونوا كالحمر الصيالة لا تمرضون ولا تسقمون وفي الخبر لا يزال الحمى وال
والمليلة بالعبد حتى يمشي في الارض كالبردة ما عليه من خطيئة ويقال لا يخلو
المومن من علة في جسمه او قلة في ماله وقيل لا يخلوا من غفلة او ذلة وللعبد
ان لم يتداو اعمال حسنة منها ان ينوي الصبر على بلاء الله تعالى والرضى بقضائه
والتسليم لحكمه اذ قد حسن عنده لانه موقن وانه قد رعى الحكمة في ذلك والخيرة في
العافية لانه حكيم ومنها ان مولاه اعلم به منه واحسن نظرا واختيارا له وقد حبسه
وقيده بالامراض عن المعاصي كما روي لمن الله سبحانه الغم سجني والمرض قيدي
احبس به من احب من خلقي ولا يامن ان تراوده وعوده اذ تقوى النفس ب
فتنتشر همومها لان المعاصي في العوافي وعلة سنة خير من معصية واحدة لقي
بعض الناس بعض العارفين فقال له العارف كيف كنت بعدي قال في عافية
وقال ان كنت لم تعص الله تعالى فانت في عافية وان كنت قد عصيته فاي داء
ادوى من المعصية ما عوفي من عصى وقال علي عليه السلام لما راى زينة
النبط بالعراق في يوم عيد لهم ما هذا الذي اظهروه قالوا يا امير المومنين
هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا يعصى الله فيه فهو لنا عيد وقال احد الفاضلين
وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون قيل العوافي والغنا وقال بعضهم الاحمر
يدعون انا فلما قال انا ربكم الاعلى لطول العوافي في الاصحاء فانه لبث اربع مائة سنة
لم يصدع له راس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو اخذته
الشقيقة والمليلة في كل يوم لشغلته لما ادعى الربوبية واعلم ان
الانسان قد يطغى بالعوافي كما يطغى بالمال لانه قد يستغني بالعافية
كما يستغني بالمال وقد قال الله عز وجل كلا ان الانسان ليطغى ان راه
استغنى وكل فيه فتنة واختبار وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم نعمتان
مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ فالعصمة في حال العافية نعمة كافية
لكن العصمة في الفقد نعمة النعمة وهذا احد الوجوه في قوله عز وجل اذهبتم طيباتكم

في حياتكم

في حياتكم الدنيا ومنها ان الامراض كفارة للسيئات فاذا اخذ الامراض بقيت ذنوبه عليه
موفورة وفي الخبر حمى يوم كفارة سنة واحسن ما سمعت في معناه قال لان الحمى تهدم
قوة سنة وقيل في الانسان ثلاثمائة وستون مفصلا فيدخل حمى يوم في جميع المفاصل
فيكون له بكل مفصل كفارة يوم واتى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة الذ
الذنوب بالحمى سال زيد بن ثابت ربه عز وجل ان لا يزال محموما فلم تزل الحمى تفارقه
حتى مات رحمه الله وسال ذلك طايفة من الانصار فكانت الحمى لا تزايلهم وكذلك
لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذهب الله تعالى كريمتيه لم يرض له ثوابا
دون الجنة قال ولقد رايت الانصار يتمنون الحمى ولما جاءت الحمى الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم تستاذن عليه قال اذهبي الى اهل قباء هذا احد الوجهين في قوله عز
وجل فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المتطهرين اي من الاثام والذنوب بالحمى
والامراض وروينا عن عيسى عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب
والامراض على جسده وماله لما يرجوا في ذلك من كفارة خطاياه فالبصريون يفضلون
بعلل الجوارح والمنافقون يبتلون بامراض القلوب لان في امراض الاجسام ضعفا عن
الاثام والطغيان وفي امراض القلوب ضعفا عن اعمال الاخرة والايقان وفي معنى قوله ت
عز وجل واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قيل ظاهرة العوافي وباطنة البلاوي لانها
نعم الاخرة وروي ان موسى صلى الله عليه وسلم نظر الى عبد عظيم البلاء فقال يا رب
ارحمه فاوحى الله تعالى اليه كيف ارحمه فيما به ارحمه وقد قال الله عز وجل تصديق هذا
ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون فاخبر ان في زوال الرحمة لهم للجهل
ورحمته وروينا عن عبد الواحد بن زيد انه خرج في نفر من اصحابه الى بعض من نواحي
البصرة فاذا هم بشيخ الى شعب جبل فاذا ابيه عبد مقطع بالجذام يسيل جسده قيحا
وصديدا والاطباق به فقالوا يا هذا لو دخلت البصرة فتعالجت من هذا الداء الذي
بك ثم رفع طرفه الى السماء وقال سيدي في اي ذنب سلطت هذا علي يتخطا في
علي ويحرضون الى فضائل سيدي استشفع بمن دلهم الذنب له الغني اني لا اعود فيه ابدا
قال نعم اعرض عنه بوجهه فاتوه فتاوزوا كثيرا وفي الخبر نحن معاشر الانبياء اشد الناس بلاء ثم
الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان في ايمانه ضعف خفف عنه البلاء
وفي خبر اخر ان الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب احدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج
كالذهب الابريز ومنهم دون ذلك ومنهم من يخرج اسود محترقا وقد روينا حديثا من طريق
اهل البيت اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضي اصطفاه ومنها ان الملك
يكتب له مثل اعماله الصالحة التي كان يعملها في صحته وانه يجري له من الحسنات ما كان
يجري له على اعماله وتكتب الملائكة اعماله الصالحة خيرا له من اعماله لانه قد يدخلها ال
الفساد واختبار الله تعالى له ان يستعمله بالاوجاع خير له من اختياره لنفسه ان

يتنقل الى الله عز وجل بالاعمال الصالحة وهذا احد المعنيين في معنى الخبر افضل
الاعمال ما اكرهت عليه النفوس فيل هو ما دخل عليها من المصايب في الانفس والاموال
بقضي تركه ذلك وهو خير لها ومن هذا المعنى قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير
لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم فقد يكره العيلة والفقر والخمول والنقص وهو
خير له في الاخرة واحمد للعاقبة وقد يحب الغنى والعوافي والشهرة وهو شر له عند الله
واسوا عاقبة وفي الخبر ايضا يقول الله تعالى للملايكة انظروا لعبدي صالح ما كان
يعمل فانه في وثاقي ان اطلقته بدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته
توفيته الى رحمتي فابدال صفة الجسم اختيار الله تعالى خير له في الدنيا والاخرة
من شهوته ولاصل في التداوي وتركه ان المتوكل قد علم في توكله ان للعلة وقتا
اذا انتهت اليه برى العليل باذن الله تعالى لا محالة ولكن الله تعالى قد حكم انه ان
تداوى شفاه في خمسة ايام وان لم يتداو ابراه في عشرة ايام فتنقص مدة العليل
فاحب الله تعالى لعبد قد طمع في تعجيل البرء في خمسة ايام ليكون اسرع لشغله به واقرب
الى عافيته على انه معتقد ان العلة لا تنقضي وان التداوي بعينه لا ينفع لان
الله تعالى هو الشافي وهو النافع والشفاء والنفع بفعله يفعل وجعله في الدواء من
طبايع حكمته لا بجعله سواه ولا يفعله الا بدا اذ كانت للغذاء فيه مطبوعة مجعولة
مجبولة على خلقها بجاعل الاسباب فيها هو جاعلها لان الجعل فيها والخاصية منها
ليس من عمل المتطبب وان كان يعمل به ويجمع بينها وبين العليل لانه الحكيم على يديه
شيئا رزقه والله خالق جميع ذلك وما عمله وكذلك قال سبحانه والله خلقكم وما
تعملون وكذلك ايضا عند العارفين ان الخبز لا يشبع وان الماء لا يروي كما ان المال لا يغني
والعدم لا يفقر لان الله عز وجل هو المطعم المشبع وهو المسقي المروي كما هو المغني
المفقر كما شاء كيف شاء وهو جاعل التشبع والري في المطعوم والمشروب وفي التفسير
بالغذاء والفقر بحكمته وحكمه كما ان الله عز وجل هو المجيع المظمي فيدخل الطعام
والشراب على الجوع والعطش اللذين جعلهما فيذهبهما بما ادخل عليهما كما يدخل
الليل على النهار ويدخل النهار على الليل فيغلب سلطان كل واحد منهما على الاخر
فيذهبه بسره هذا عند الموحدين من صفة الليل والنهار ومن العلل والادواء وفيه
بتسليط الشيء على ضده فيزيله بغلبته منه فادخله والشرك في هذه الاشياء
في الهموم اعجبني من سبب النظر على الصعدا والموقنون التوحيد من
جميع ذلك براء وعلى هذا المعاني احد الوجهين في قوله تعالى الذي اعطى كل شيء
خلقه ثم هدى اي اعطى كل لون وحسن خلقه وطبعه اي صورة الشيء ووصفه
للضر والنفع فان تفعل العليل الصبر بالتداوي فيرى كان ذلك بفضل الله تعالى
وقدره على وضع الشرعة من الفعال فان كان تداوى فيرى تداويه واستعمال شفاء

الطاعة

الطاعة لمولاه والقيام بتدبيره للحرمة كان مثابا على ذلك بافضلا فيه غير منقوص
في مقام توكله وان اراد بتركه صحة جسمه لنفسه والتنعم بالعوافي كان ذلك بابا من
ابواب الدنيا ودخولا فيما ابيح له منها وهو خارج من فضيلة المتوكل وقد فاته بمقدار
ما نقصه من الزهد في الجملة والتنعم وان اراد باستعجال العوافي قوة النفس لاجل الهوى
الهوى وليسعى في مخالفة المولى كان مأزورا بعصيه بنيته ووجود غفلته وخرج من
المباح الى المحظور وهو خارج من حد المتوكل ولده وهذا من مذموم ابواب الدنيا وعقوبته
وان كانت نيته في تعجيل العوافي التنعم في المعايش والتكسب للانفاق او الجمع
نظر في شانه فان كان يسعى في كفاف وعلى عيلة ضعاف وعن حاجة واجلاب نحو
هذا بالطبقة الاولى وهذا باب من ابواب الاخرة هو ماجور عليه ولا يخرجه من
التوكل وان كان يسعى في تكاثر وتفاخر ولا يبالي من اين كسب وفيما انفق الحق
هذا في الطبقة الثالثة من العاصين وهذا من اكبر ابواب الدنيا المبعدة عن الله
تعالى جده فبان الناس في التداوي المحمودة والمذمومة فان لم يتداو والمتوكل
تسليما للوكيل وسكونا لحب حكمه والرضى باختياره وصنعه اذا كان يعلم ان للعلة
وقتا اذا جاء برى باذن الله تعالى لا انما بعد عشر من يوما فيصبر ويرضى ويجبر
على نفسه العشرة ايام رضا بفضل الله تعالى وصبرا على بلايه وحسن تحسب
باختياره له ولا يتهمه في قضايه عليه بهذا هو احد الوجوه في حسن الظن بالله تعالى
ان لا يتهم الله تعالى في قضايه كيف وقد روي فيه خبر ان رجلا قال يا رسول الله
اوصني قال لا تتهم الله في شيء قضاه عليك وقد روي في معنى هذا خبر فيه شدة
يقول الله تعالى من لم يصبر على بلايي ولم يرض بقضايي فليتخذ ربا سواي وهذا باب
من الزهد في الدنيا بقدر ما نقص من الرغبة في نعيم النفس وان الجسم من الملك فكل
نقص منه نقص من الدنيا والغلبة من الملكوت فجاز له فيه زاد في الاخرة وهو باب من
الرضى ما صبر عليه من النقص كما قال تعالى ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر
الصابرين ونقص الانفس يعني امراضها واسقامها ونقص الاموال اهلاكها واذهابها
ولذلك جعلناه وهو الاقرب انه جعل المال ومع هذا فلا يامن في تعجيل العوافي من المعاصي
فاذا انتهى وقت العلة برى من غير دواء باذن الله وله في الامراض تجديد التوبة والحزن
على الذنوب وكثرة الاستغفار والاستغفار منها وحسن التذكر وقصر الامل وكثرة
ذكر الموت وفي الخبر اكثروا من ذكر هادم اللذات ومن ابلغ ما يذكر به الموت ويتوقع به
نزوله الامراض فقد قيل الحمى رايد الموت وفي قول الله تعالى اولا يرون انهم يفتنون
في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قيل يفتنون بالامراض والا
الاسقام تختبر ويقال ان العبد اذا مرض مرضتين ثم لم يتب قال ملك الموت
يا غافل جاءك مني رسول بعد رسول فلم تجب وقد كانوا يستوحشون اذا خرج

عنهم علم لم يطلبوا فيه بنفسه من نفس او مال ويقال لا يخلو المؤمن في كل اربعين يوما
ان يروع بروعة او يصاب بنكبة وكذا نوائب يكرهوني يفرق لها في ذهاب هذا العدد من
غير ان يطلبوا فيه بشيء وروينا ان عمار بن ياسر تزوج امرأة فلم تكن تمرض فطلقها
وان النبي صلى الله عليه وسلم عرضت عليه امرأة فذكر من وصفها حتى هم ان يتزوجها
فقيل له وانها ما مرضت قط فقال لا حاجة لي فيها وذكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الاوجاع من الصداع وغيره فقال رجل وما الصداع ما اعرفه فقال النبي صلى
الله عليه وسلم اليك عني من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى هذا
لان في الخبر ان الحمى حظ المؤمن من نار جهنم وفي حديث انس وعائشة يا رسول
الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم قال نعم من ذكر الموت في كل يوم
عشرين مرة وفي لفظ الحديث الآخر الذي يذكر الموت فيخرج نفسه فان ترك التداوي
ورع فيه دواء كان هذا من فضل الله تعالى وقدرة على وصف الابطال وقد اختلف
رأي الصحابة في مثل هذا المعنى لما خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يريد الشام
انتهى لما بلغوا الجابية انتهى اليهم خبر الشام ان به وباء عظيما وموتا ذريعا
فوقف الناس واختلفوا فرقتين فمنهم من قال لا ندخل على الوباء فنلقي بايدينا الى التهلكة
فيكون سبيلا للاعداء انفسنا وقالت الطائفة الاخرى بل ندخل ونتوكل على الله
عز وجل ولا نهرب من قدره ولا نفر من الموت فنكون كمن قال الله تعالى الم تر الى الذين خرجوا
من ديارهم وهم الوف حذر الموت فرجع الجميع الى عمر رضي الله عنه فسألوه عن رأيه
فوافق عمر الذين قالوا نرجع ولا ندخل على الوباء فقال له آخرون انفر من قدر الله فقال
عمر نعم الى قدر الله تعالى ثم ضرب لهم مثلا فقال ارأيتم لو كان لاحدكم غنم وله شعبتان
احداهما مخصبة والاخرى مجدبة اليس ان رعى المخصبة رعاها بقدر الله تعالى
وان رعى المجدبة رعاها بقدر الله تعالى فسكتوا ثم دعا عمر بعبد الرحمن بن عوف
يسأله عن رأيه فقيل هو غائب قد نزل في المنزل الذي نزلنا فيه فبات عمر
والجماعة على ذلك لما اراد وعلى ان يسأل عبد الرحمن بن عوف عن رأيه فلما اصبحوا
جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك فقال عندي فيه يا امير المؤمنين شيء
سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر الله اكبر فقال عبد الرحمن
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم بالوباء في ارض فلا
تقدموا عليه واذا وقع في ارض وانتم فيها فلا تخرجوا فرارا منه فحمد عمر الله وحمد
الله تعالى اذ وافق رأيه ورجع بالناس من الجابية

باب آخر من التمثيل في التداوي وتركه

ومثل

ومثل التداوي وتركه في انهما مباحان وان احدهما افضل لا من طريق الطب بل وهو تركه مثل
التكسب وتركه ان التكسب عند الجوع الذي هو علة الجسم ليستعجل العبد الدواء
بالحكم جائز له لا يقدح في توكله لانه مباح مأمور به وان نوى بالتكسب القوة على
الطاعة والسعي في سبيل الله والمعاونة على البر والتقوى كان فاضلا فيه وان نوى
بالتكسب الاكل للشهوات والغناء والتحول للتنعم من الرفاهات نقص ذلك توكله
واخرجه من حقيقته وكان طريقا من طرقات الدنيا الا انه مباح وان قصد بكسبه
التكاثر والحرص والمنع كان عاصيا بكسبه فالعامل به ومن هذا من اكبر طرق الهوى ثم
ان لم يكتسب وصبر على الجوع ورضي بالقلة والفقر فان رزقه يأتيه لا محالة في حينه
ووقته وان كان قليلا ادون وسعه ولكنه يحتاج الى فضل صبر ومعنى الرضى وسكون
نفس وطمأنينة قلب فان وجد هذه المعاني قلبه فهذا هو التوكل وكان فاضلا في تركه
التكسب لحسن يقينه وثقته برازقه وشغله بما هو افضل وانفع له في عاقبته
وان ضعف منه واضطرب نفسه وتكره قضاء ربه عز وجل فاخرجه ذلك الى الجزع والهلع
والتبرم والشكوى فالكسب لهذا افضل وهو منقوص في تركه كذلك ايضا من اكثر
الشكوى من علته ونسي حكم ربه عز وجل وتبرم وضجر وسخط على الناس وساء
خلقه لمرضه فان الافضل لهذا ان يتداوى وهو ناقص في تركه وروينا عن عمرو بن
قيس عن عطية عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ضعف اليقين
ان ترضي الناس بسخط الله تعالى وان تحمدهم على رزق الله تعالى وان تذمهم على
ما لم يؤتك الله تعالى ان رزق الله تعالى لا يجره حرص حريص ولا يرده كره كاره ان
الله تعالى بحكمه وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الغم والحزن
في السخط

ذكر استواء شهادة المتوكلين مع اختلاف ظهور الاسباب

ويستوي عند الخصوص بعض يقينهم في مشاهدتهم بواسطة ايديهم واسباب كسبهم وما
جاءهم بايدي غيرهم وبغير كسبهم اذ كان المعطي عندهم واحدا والعطاء كله رزقا
واذ كانت الايدي ظروف العطاء يستوي كان الظرف يده او يد غيره وسواء كان السبب
كسبه او كسبا غيره لما اخذ جميعه رزقه ولان لكل شيء حكما وفي كل شيء
حكمة وبكل شيء نعمة قال الله عز وجل ازعمتم ان النعماء التي لم يخلق مثلها في
البلاد فاضطربا البدع الخلق بعد ان يتوهما بايديهم ورغبوا منها ومثله يستوي
ايضا فيستوي عندهم ملاحظتهم بذر الذرة لا يلتفت فيه ولا واسطة به وملاحظتهم ما بايديهم
عن الحكمة وترتيب العرف والعادة لان الذرة ايضا تعتبر انه ظرف للعطاء من المعطي.

بل يمضي كما يريد العالم ولا يبد الانسان نفسه ويرغبه اذا القدرة والحكمة خزانتان
من خزائن الملك والملكوت فهذه المعاني الثلاثة اعني ما لا يقدر على رده بكسبه
وما لا يقدر عليه الا بكسبه لما وقع الظن به القدرة عن غيره في معتاده ولا واسطة
في نسبة هذا كله عند الموقنين سواء لا يترجح بعضه على بعض لاجل ايمانهم وقوة
يقينهم وبغاية مشاهدتهم ان الكل حكمة بالغة وقدرة نافذة عن حكيم واحد وقادر
واحد وهذا يدلك على استواء ما لا يقدر عليه الا بواسطة وما الظن به القدرة عند العلماء
ان من جمع كرامات الاولياء والعادات المرضية فيهما ما لا يظن لهم عند القدرة وما
الظن لهم على ايدي الخلق من الارزاق عند وقت الفاقات عن غير مسئلة ولا اشراف
نفس فيسموا بينهما في الكرامات ويجعلوهما واحدا من الاحوال وحسبوا الحاجة لهم
من الحالات على ان العارفين يشهدون ما يوصل العبيد اليهم من اقسام رزقهم اجملا
وداعهم عند مليكهم حتى تهم بلا بد بهم يؤدونه اليهم قليلا ويدفعونه اليهم شيئا
شيئا لانهم يحتملونه ابدا ولا يطالبونهم به وان كان لهم عند ملكهم حسن ادب فيهم
وحسن اقتصاد لا انا من حسن الاقتضاء ترك الطلب ولقوة ثقتهم بربهم انه يوفيهم
نصيبهم غير منقوص فقد سكنوا الى قديم وعده كما نظروا الى سبق بره وكذلك هم
مشاهدة العاملين من الموصلين اليهم فسمتهم الرافعين اليهم حقوقهم يشهدون
انهم قد خرجوا اليهم من حقهم وادوا اليهم ما اليهم فيستحيون الى اخراج ذلك
ويخرجون بلا ابدا الى اربابه ويشكرون الله تعالى على حسن توفيقه واعانتهم
على سقوط ذلك عنهم كما يخرج من عليه الدين الثقيل اذا اداه فسقط عنه حكمه
وثقله وهذا مقام الموصلين في المعرفة وهؤلاء لهم من اليقين حسنة وهو
مشاهدة عالية للاخرين مثل التوكل للاخرين

ذكر تشبيه التوكل بالزهد

اعلم ان التوكل لا ينقص من الرزق شيئا ولكنه يزيد في اليقين ويزيد في الصبر
وكذلك الزهد في الدنيا لا ينقص من الرزق شيئا ولكنه يزيد في الغم ويزيد في
الحرص والعافية فيكون هذا رزقا حلالا ورزقا في احسن [illegible] الاخرة على هذا الوصف
المخصوص من حرمان نصيب الدنيا وحمايته عن التنعم فيها والتوسع فيها ولو
ويكون التوكل والزهد سببا لذلك فيكون ما اقتطع عنه من الدنيا زيادة
له في الاخرة من الدرجات وكذلك روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
نقصان الدنيا زيادة الاخرة وزيادة الدنيا نقصان الاخرة ومن اعطي
من الدنيا شيئا نقص ذلك من منزلته في الاخرة وان كان على الله كريما وقيل
ان الدنيا والاخرة ضرتان متى ارضى احدهما اسخط الاخرى وقال رجل لبعض العلماء

لكن

كنت في محلة ليس فيها بقال غيري فيفتح الى جانبي بقال اخر افتخاران ينقص
ذلك من رزقي شيئا فقال ليس ينقص من رزقك شيئا ولكن يزيد في بطالتك
ويغير كثيرا لا ينفع شيئا ولكن غلط في هذا الطريق قوم فادعوا التوكل وان هذا
واتسعوا في المأكل والملابس فجمعوا اعلى من دونهم ممن لا يعرف طريق التوكل و
وان هذا انتهى المجلد الاول من قوت القلوب ويليه في المجلد الثاني ذكر كتاب الامراض
وجزا الكتاب تم بحمد الله تعالى وبتوفيقه وحوله وحسن توفيقه والحمد لله
رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وكان
الفراغ من نسخه يوم الاربعاء التاسع عشر من شهر شعبان الابرك
١٢٧٤ سنة اربعة وسبعين ومايتين والف عرفنا الله خيرها
ولعل نافعها على يد العبد الضعيف الى مولاه الغني محمد بن علي
منصور [illegible] غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولمن
احسن اليه ولمن نظر، وتسبب فيه انه سميع مجيب
وصلى الله على سيدنا محمد وسلم. اخر دعوانا ان
الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم
انتهى

ملك العبد الفقير الى مولاه [illegible]